الهجرة النبوية

لفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى

لما هل أول المحرم كان العدد الأول من هذه المجلة قد نجز طبعه . فلما خطب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى خطبتيه فى مناسبة الهجرة النبوية وعيد حضرة صاحب الجلالة الملك ، رأينا حقا علينا أن ننشر هاتين الخطبتين تسجيلا لهذا الكلام الحكيم فى صفحات هذه المجلة . وقد ملأنا ملزمة فقرناها ببقية الملازم راجين أن يضعها القارئ فى الترتيب عند التجليد حيث أراد .

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام على إمام الأنبياء ، وشيخ المرسلين ، وسيد المصلحين ، وقدوة المتقين .

سلام على سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه .

سلام عليه يوم ولد ويوم بعث ، ويوم هاجر ويوم قبض الى الرفيق الأعلى ، ويوم يبعث حيا .

وسلام على المؤمنين فى جميع البلدان والأقطار أحييهم به من هذا المكان المعمور فى مستهل هذا العام الهجرى .

أيها السادة :

لم تكن العرب تؤرخ على أمر معروف يعمل به عامتهم ، وكان المؤرخ منهم يؤرخ بسنة مجدبة فى ناحية من نواحى بلادهم وشدة أصابتهم ، أو بالعامل كان يكون عليهم ، أو بالأمر الحادث ينتشر خبره عندهم . يدل على ذلك اختلاف شعرائهم فى تأريخاتهم ، ولو كان لهم تاريخ على أمر معرف وأصل معمول عليه لم يختلف ذلك منهم . حكاه الطبرى فى تاريخه .

والمشهور أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو أول من جمع المسلمين للمشورة فى أمر التاريخ ، وأنهم عرضوا عليه أمورا : التاريخ لمولد الرسول الأكرم صلوات الله عليه ، والتاريخ لمبعثه ، والتاريخ لوفاته ، والتاريخ لهجرته ، فاختار من بينها التاريخ للهجرة وقال : إنها فرقت بين الحق والباطل .

اختار عمر هذا ورضيه الصحابة . فمن الحق أن يحتفل المسلمون بهذا الحادث ، وأن يذكروا مافيه من عبر وعظات ، وما كان له من الأثر البعيد فى حياة الاسلام والمسلمين .

وإن هذا الحادث ليذكّر بما كان من الصراع المخيف المروع بين الحق والباطل ، وبما كان من انتصار الحق انتصاراً لم يكن ليتم لولا قوة الايمان ، وثبات العقيدة ، والصبر على احتمال المكاره ، والاستهانة بالنفس والمال والأهل والوطن فى سبيل الحق ، وفى سبيل حرية الرأى والعزة الانسانية والكرامة .

لم يكن محمد صلوات الله عليه وسلامه مطالبا بملك ولا طالبا جاها ، ولم يكن محبا للمال يبغى توفير لذاته وشهواته . فقد كان زاهدا فى الدنيا قانعا باليسير منها . ولم تكن شمائله وأخلاقه بحيث تنفر منه أهله ومعاشريه ، بل كان أفضل قومه مروءة ، وأكرمهم مخالطة ، وأحسنهم جوارا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ، وأكثرهم برا ، وأطهرهم قلبا ونفسا وذيلا وردنا ، وأعدلهم حكما ، وأدومهم شكرا ، وأشدهم حياء وأناة ، يستجيب لدعوة الضعيف ، وينصر المظلوم ، ويفيض حنانا وعطفا على البائسين .

ومع هذه الشمائل فقد أخرجه قومه من منبته ، فهاجر فرارا بدينه ، والتماسا للنجح فى مهاجره ، وأحيط بالعداوة من كل جانب ، وتربص له الشر فى كل ثنية ومطلع . كمن له الشنآن فى كل قلب ، وضاق عليه وجه الفضاء ، والتمس كل وسيلة للبقاء مع الحرية ، فلم يجد الوسيلة . ولم يكن لهذا كله من سبب إلا أنه يريد حماية الانسانية ، ويريدها عزيزة ، ويأبى التقليد والغرور ، والاعتزاز بما عليه الآباء ، إلا أن تكون ذليلة معذبة . ومن شأن التقليد والغرور الحرمان من نعمة التمييز بين الخير والشر والضار والنافع . إنهما يطمسان نور العقل ، ويردان الفطرة الى أسفل السافلين .

حرية الرأى ، وحرية الجهر به ، وحق الانسان فى الضرب فى الأرض ، يلقى عقيدته وتعاليمه وبيده الحجة والبرهان ، وينشر مبادىء الفضيلة ، ويدعم أصول الأخلاق ، هذه الحرية أثمن شىء لدى الانسان ، وأعز مايبتغيه العاقل ويحافظ عليه . هى حياة النفس الانسانية ، تعدل حياة الجسم أوترجح عليها ، والاعتداء عليها عدل الاعتداء على الحياة الجسمية . لذلك أجاز العقلاء وأجاز الدين الاسلامى القتال لحمايتها ، وعد الدفاع عنها دفاعا عن النفس ، ودفاعا عن الشرف الانسانى ، وعن الكرامة التى اختص الله بها هذا النوع من بين سائر الأنواع .

كان من الطبيعى أن تتلمس الوسائل لردع أولئك السفهاء وشق طريق للحرية وللحق حتى يصلا الى مأمن يقيهما هذه الشرور الجامحة ، ويبعدهما عن نيران هذه البشرية البهيمية الخبيثة ، ليؤدى الرسول الأمين رسالته عن ربه ، وينجلى ليل الوثنية وعبادة المادة ، وينبلج نور الوحى الإلهى يملأ القلوب طمأنينة ، ويواسى الضعفاء ، ويأخذ بيد البائسين ، وينزل الجبابرة من مكانهم العلى الى مستوى العباد ، ويصيح بالناس جميعهم : «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم» . وقد سمى الله تعالى فى كتابه الصبر على الذل والرضا بالضيم ظلما للنفس ، وأنب من يقيم عليها ويقعد عن الهجرة : «إن الذين توفّاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

فظلم النفس هو ترك الجهر بالحق ، وترك العمل به خوف الأذى ، والصبر على هذا الذل ، وعدم الهم بالخروج عنه والهجرة الى حيث تجد الانسانية حريتها و كرامتها . فالواجب الانسانى والدينى يحتم فى هذه الحالة الهجرة ، ويجعلها هجرة فى سبيل الله يعطى أجرها : « ومن يهاجرْ فى سبيل الله يجدْ فى الأرض مراغَما كثيرا وسَعة ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركْه الموت فقد وقع أجره على الله »

بدت للرسول الأكرم صلوات الله عليه بارقة الأمل ، وتفتحت له سبل الهجرة ، بعد أن عرف أن اليهود بيثرب يقولون لأهلها : إن نبيا مبعوثا قد أطل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . وبعد أن قال له نفر من الخزرج : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم ، بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، وأن يجمعهم عليك فلا رجل أعز منك . وبعد أن ترامت اليه الأخبار بأن هذا النفر وجد بعد رجوعه قلوبا متفتحة للإيمان ، متلهفة على دين ، وأنه لم يبق دار من دورهم إلا فيه ذكر محمد .

بدت له هذه البارقة فلم يتردد فى الهجرة ، ثم أشار على أصحابه بها ، وتحين الوقت المقدر لها ، فهاجر هو وصاحبه أبو بكر وكان الله نصيره ومؤيده : « إلاّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانىَ اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمةُ الله هى العليا ، والله عزيز حكيم » .

كانت الهجرة وتمت ، ولابسها أحوال وأهوال ، واستهدفت لأخطار وقى الله النبى صلى الله عليه وسلم شرها ، تضمنتها بطون السير وكتب التاريخ . وليس لى من غرض فى ذكر التاريخ إلا بمقدار ما تنتزع العبرة وتستفاد العظة .

وكان من نتائجها أن انساب الدين الاسلامى فى أودية بلاد العرب وطلع على أنجادها ، وأن أعز الله دينه بالأنصار والمهاجرين ومن نفذ الاسلام الى قلوبهم واهتدت بصائرهم بنوره ، فانتقم للانسانية ، وضرب يافوخ الشرك ، ودق عنقه ، وعاد الى البلد الذى أخرجه منه أهله فاتحا وهاديا .

وبعد أن تم له الظفر طاف بالكعبة على راحلته ثم قال لقريش : « ما ترون أنى فاعل » ؟ فقالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . قال : « فاذهبوا فأنتم الطلقاء » .

قال هذا لمن لم يدخر وسعا فى إيذائه ، ولم تفتهم حيلة فى سبيل إذلاله وفتنته عن دينه وعقيدته ، ولمن فتنوا بعض أصحابه ، ولمن قاتلوه فى بدر وأحد ، وحاصروه فى غزوة الخندق ،

ولمن ألبوا عليه العرب . فعل ذلك لأنه لم يكن يعمل لارضاء نفسه ، ولم يقاتل لملك ، وإنما قاتل وهاجر وجاهد لله وفى سبيل الله ، وقاتل للحق ، فلما رضى الحق رضى هو ، ولما اطمأن الحق اطمأنت نفسه . فهو ما ولد إلا للحق ، وما عاش إلا للحق . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله .

كان من نتائج الهجرة أن دخل الناس فى دين الله أفواجا ، وعزّت كلمة الله ، وبدأ التشريع للمجتمع الانسانى تنفجر ينابيعه ، وتضىء مصابيحه ، وأن استبحرت المدنية الاسلامية ، وقامت دولها فى الشرق والغرب تعز ما أعزت كلمة الله وتوحدت نواياها ، وتذل وتزول ما استهانت بالحق وتفرقت .

أيها السادة :

لو أنى أبحت لنفسى أن أطيل عليكم فى بيان مزايا الدين الاسلامى ، وما عاد على الانسانية من خير ببركة رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لوجدت للقول ميدانا فسيحا ، وللفخر مضطربا واسعا ، ولكنى أكتفى بكلمات :

إنه دين رفع مقام الانسانية الى أن جعل الانسان خليفة الله فى الأرض ، وقدس الحرية حتى أباح القتال فى سبيل حماية العقيدة ، وأعز منزلة العقل الانسانى ثم طالبه بالتدبر والتفكر ، ورفع قدر العلم والعلماء ، وسوى بين الطبقات ، ولم يجعل بين الله وعبده وسيطا ، وجعل شعاره فى العبادة التذكير بأن الله أكبر من كل شىء ، وأنه المعبود وحده والمستعان وحده ، وجعل الصدقة والبر فرضا ، وأكد طلب الرحمة والرفق ، وحث على الاتحاد والتعاون والصبر ، وهوّن أمر الحياة الدنيا ، ورفع شأن الحياة الآخرة ، وجعلها المطلب الوحيد الذى يجب أن يتوجه اليه القصد ، وأبان أصول الأخلاق جميعها ، ووضع قواعد العدل وأمر به ، وقرر أن رحمة الله وسعت كل شىء ، وأنها تكتب للمتقين الذين يؤمنون بالآخرة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

من الحق أن نعتبر بحادث الهجرة، وأن تكون أعمال الرسول الأكرم هي القدوة، وألا تلهينا المدنية وزخرف الحياة عما في الأخلاق والدين من جمال، وأن ننبه الضمائر الى ما في السمو الروحي من لذة، وأن نعتقد أن الاباحية التي طغت على العالم وأشعلت فيه نيران الشهوات مدنسة للانسانية مهينة لكرامتها.

ومن الحق أن يعتقد المسلمون أن عزتهم من قبلُ لم تقم إلا على الدين، وأن ذلهم لم يجيء إلا بعد الإعراض عنه.

« وتعاوَنوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله، إن الله شديد العقاب». «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين». «وَعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم، ولَيبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لايشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون».

وأسأل الله أن يوفق قادة الإسلام وحماته لإعلاء شأن دينه، وأن يديم حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فؤاد نصيرا للعلم والدين، ممتعا بالصحة والسعادة والهناء.

والسلام عليكم ورحمة الله.

خطبة فضيلة الاستاذ الاكبر

الشيخ محمد مصطفى المراغى

فى احتفال الازهر بعيد جلالة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة :

يحتفل الأزهر الليلة بعيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فؤاد الأول أطال الله بقاءه . ولجلالته من الآثار الخالدة والأعمال الصالحة النافعة ما سيكون مفخرة التاريخ ، وما سيزيده توالى الأيام وتعاقب الأجيال إجلالا وإكبارا . ولا أريد الليلة أن أتحدث عن جلالته من نواحيه المتعددة ، فهذا يطول أمره . ولكنى أتحدث عنه من حيث هو عالم ، ومن حيث إنه نصير للعلم والدين فى الشرق ، محافظ على التقاليد الدينية والتقاليد القومية الصالحة .

عرف كل من أسعدهم الحظ بالتشرف بلقاء جلالته أنه واسع الاطلاع على القديم والحديث ، يتتبع باهتمام كل الحركات الفكرية فى الشرق والغرب ، ويتتبع النهضات الأدبية فى البلدان المختلفة . وقد أسعده الله بذاكرة قوية لا يندّ عنها شىء مما يرتسم فيها ، وأسعده بعقل جبار يمحص به المسائل ، ويدرك ما فيها من دقائق ، وما يتبعها من آثار ، ويرد الزائف ويبقى على النافع الصحيح ، وكثيرا ما أدهش العلماء المتخصصين فى فروع من العلم بأسئلة كان يلقيها عليهم فى نواح مختلفة مما يتحدثون فيه لم تكن خطرت على بالهم من قبل . فهو عالم حقا ، له رأى ناضج دقيق ، وهذه الدقة خلق من أخلاقه فى جميع ما يتناوله من الشئون . وكثيرا ما رأيت مريدى التشرف بلقائه حذرين خائفين مما يلقى عليهم من أسئلة لم يعدّوا أنفسهم لها .

من هـذا تعلمون سبب حبه للعـلم وحدبه على العلماء ، وتعلمون سر هذه النهضة العلمية المباركة التى وجدت فى عهده الزاهر ، وسر إنشاء هذه الدور الضخمة للعلم ، وهذه المعـاهد التى ترونها منبثة فى كل ناحية من نواحى القطر لفروع مختلفة من العلم .

كان البرنس أحمد فؤاد رئيس الجامعة المصرية الأهلية يُعنَى بأمرها كما يعنى كل عالم محب للعلم بدار للتعلم العالى ، ويمدها بالرأى النافع ، ويحوطها بالرعاية ، لتصل الى البقاء والاستقرار . فلما أصبح البرنس فؤاد جلالة الملك فؤاد الأول ، أنشأ الجامعة المصرية وأقام لها الصروح الشامخة التى ترونها فى الجانب الغربى للنيل ، تلقى دروس العبرة على الأهرام بمـا فيها من حياة وعلم . ولولا حب جلالته للعلم ومضاء عزيمته لما رأيتم تلك الصروح وهذه الحياة التى تدب فى كلياتها المختلفة ، والتى ستصير إن شاء الله حياة قوية صالحة تتباهى بها البلاد ، وتزيد العلم ، وتدنى ثمـاره للناس فى لغة العرب ، لغة القرآن الـكريم . هذا أمر الجـامعة .

أما المعـاهد الدينية فقد عنى بإصلاحها منـذ جلس على العرش ، وعنى بإسعادها . ورأىُ جلالته فى إصـلاح المعاهد والتعليم الدينى قائم على أسـاسـين صحيحين : العقيدة الدينية ، والعلم .

فجلالة الملك فؤاد مؤمن قوى الإيمان ، مخلص الإخلاص كله لمبادئ الدين السامية ، يعتقد أن الخير كله فى المحافظة على الدين والعمل به ، وعالم خبير بنظريات الفـلاسفة وآراء الناس فى الخير والشر ، وبالمذاهب الاجتماعية التى وجدت فى العالم ، وهذا يدفعه بلا شبهة الى محاولة التوفيق بين الدين والعلم ابتغاء ضم العلماء والفلاسفة الى الدين ، ليزيد بهم قوة ، ويجد محتجا له ، مدافعا عنه بسلاح العلم والفلسفة ، ويبتعد عن شرور عداوة العلم والعلماء . وهذا هو الذى قصد من إصلاح التعليم الدينى ، ليجد علماء الدين بيدهم سلاح العلم ، وليبتعدوا عن وصمة الجهل بمـا لا يجوز جهله فى هذا العصر .

وقد أدركت هذا حق الإدراك من أحاديث جلالتـه الممتعة ، فصارت النظم

والقوانين للأزهر تساير هذا الرأى النافع ، ابتغاء رضوان الله ، وابتغاء خدمة الدين وعلومه ، واللغة العربية وآدابها .

وسيكون عصر جلالة الملك فؤاد من ناحية إصلاح التعليم الدينى عصرا يباهى به الشرق وتفخر به مصر ، وسيعيد هذا البلد المبارك إن شاء الله مجد الاسلام وفخره بعلومه وعلمائه . وقد وضعت الأسس النافعة الصالحة ، وبقى على العلماء القيام بما هو مفروض عليهم من الإخلاص والجد ، وعلى طلبة العلم صرف أوقاتهم فى التحصيل والدرس والمذاكرة والفهم . وقد رأوا أنى ، ونحن نحتفل بملك عظيم ، لم أجد أفضل من الثناء عليه بالعلم ، وسعة الاطلاع ، والدقة فيه .

وآثار جلالة الملك المادية على التعليم الدينى وعلى العلماء ظاهرة يحس بها كل واحد فى نفسه وفى بيته وفى أهله وولده . وهو الذى أنشأ لكم هذه الصروح لتكون دورا للعلم ومأوى لطلابه . أمامكم معهد أسيوط ومعهد الزقازيق ، وهذه العمارات الشاهقة بجوار الأزهر . وسترون إن شاء الله صرحا للمكتبة الأزهرية ، ودورا لكليات الأزهر وللمعهد الأزهرى ، وقاعة للمحاضرات العامة . وسترون بعد تمام هذه المنشآت أن الأزهر اتسع مدلوله وتضخم معناه ، وبعد أن كان مسجدا أصبح حيا من أحياء القاهرة . وسترون أن مابناه المعز لدين الله أصبح شيئا صغيرا بجوار ما بناه الناصر لدين الله جلالة الملك فؤاد الأول .

ولقد حافظ جلالة الملك على التقاليد الدينية والتقاليد القومية الصالحة . وأنا واثق أتم الثقة من أنه لولا هذا الحرص الذى يبدو منه دائما على هذه التقاليد لتقطعت صلة الناس برسوم كثيرة ، ولطغت تقاليد العصر الجديد على مقومات حياتنا الاجتماعية أكثر مما طغت .

ويجب أن أنتهز هذه الفرصة المباركة لأنادى بأنه أصبح حتما مفروضا أن توضع لهذا البلد النظم التى تحمى ولدانه وفتيانه ، وتحمى هذا النشء الذى سيكون عدة الجيل المقبل ،

ومربى الأجيال التى بعده ، فقد تحللت الأخلاق ، وكادت تتقطع الصلات بالدين ، وكادت تزول الروح القومية . وإنى لأخشى أن يكون الآباء الذين لم يثقفهم العلم خيرا من الآباء الذين تعلموا وضلوا بالفلسفة .

ولا خير للأمة فى حياة مترهلة هانئة وادعة لم يعوّد أفرادها خشونة العيش ، فهى حياة تجلب الذل ، وتوقع تحت الدّين ، وتجر الإفلاس . ولا خير فى حياة مادية لايتذوق أهلها طعم الحياة الروحية . ونحن الآن فى حياة مسرفة أشد الإسراف ، مادية ، بعيدة عن السمو الروحى .

فإلى مولانا جلالة الملك ، والى الحكومة ، والى الزعماء : أوجه رجائى طالبا أن يفكروا جديا فى الحياة الاجتماعية ، وأن توضع النظم الصالحة لخير هذا البلد الأمين ، إبقاء على دينه وقوميته .

وإن أملى فى طلبة العلم والدين وطلبة الجامعة المصرية كبير . فهذا الشباب المثقف المستنير يجب أن ينبه الى الخير برفق ، وتقع مسئولية هذا على المربين والأساتذة .

ومتى تنبه هذا الشباب واعتقد الخير ، قام بالدعوة واضطلع بها ، واستطاع أن يجعل الحياة روحية ، وأن يملأها سعادة معنوية .

وإنى أيها السادة أرفع باسم العلم والعلماء ، وباسم الأزهر ، الى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك خالص الولاء وأصدق التهنئة بعيد ميلاده السعيد ، وأصدق الشكر على ما تفضل به من إصدار قانون الأزهر الجديد .

ولهذه المناسبة أقدم شكر الأزهر لحضرة صاحب الدولة على ماهر باشا وأصحاب المعالى زملائه الوزراء ، على النظر فى قانون الأزهر ، الذى كان الأزهريون يشعرون بشدة الحاجه الى إصداره .

أسأل الله أن يديم للعلم ولهذا البلد الطيب حياة حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول مشمولا بعون الله ، مؤيدا بنصره ، ممتعا بالعافية السابغة ، قرير العين بحضرة صاحب السمو الملكى أمير الصعيد ولى العهد المحبوب : والسلام عليكم ورحمة الله ؟



الجزء الأول	المحرم سنة ١٣٥٥	المجلد السابع

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وجدى

الإدارة

شارع محمد مظلوم باشا رقم ١

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

الاشتراك

		ص
داخل القطر المصرى		٣٠
خارج القطر المصرى		٤٠
للعلماء غير المدرسين وأئمة المساجد والمأذونين ومعلمى المدارس الاولية والطلاب ومصالح الحكومة ومجالس المديريات	داخل القطر	٢٠
للطلاب وأئمة المساجد	خارج القطر	٣٠

ثمن الجزء الواحد ٣ قروش صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الاسلامية

١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م

فاتحة السنة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أسدى إلينا من معونة ، وأمدنا به من تأييد ، وأفاض علينا من فضل . والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد ، وعلى إخوانه الذين اصطفاهم الله لهداية خلقه ، وأيدهم بروح من عنده ، وعلى آله وأتباعه الذين آمنوا به ونصروه ، وترسموا طريقته المثلى ، فأقاموا صرح هذا الدين على أرسخ القواعد وأقوى الدعائم ، وكانوا لمن جاء بعدهم أعلام رشاد ، ومنار هدى .

وبعد : فإن مجلة الأزهر تستقبل بهذا العدد سنتها السابعة ، راجية أن تتابع خطواتها فى النماء والارتقاء ، فتبلغ الى ما يتناسب وخطورة الغرض الذى ترمى اليه من خدمة الاسلام بالدلالة على أصالة أصوله ، وسمو مبادئه ، وصلاحية تعاليمه لكل زمان ومكان ، وعلى أنه يؤدّى الى وجود إنسانى كريم ، ومدنية فاضلة خالصة من شوائب الرعونات النفسية ، والنزغات الشيطانية ، عاملة على مكافحة البدع التى تسربت الى بعض الضعفاء ، ومحق كل ما يتنافى والدين الخالص .

هذه كلها من المهام التى يعنى بها الأزهر عناية خاصة ، ويعمل على إيصالها الى أسمى وأبعد ما يمكن أن تصل اليه بوساطة مجلته هذه .

لقد علم القراء أن هذه المجلة قد استبدلت اسم (مجلة الأزهر) باسم (مجلة نور الاسلام) منذ عدة أشهر ، وهو عمل قد اعتبروه حسنا من كل وجه ، لأنه أبين لعزوتها ، وأدل على صبغتها .

ومما يجدر بنا أن نبشر به أنصار هذا الدين أن حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى واضع أساس هذه المجلة، رأى أن ينشر الى جانبها ملحق لها باللغة الانجليزية، عملا على تعميم الفائدة الدينية من جهة، واستكمالا لأدوات الدعوة الاسلامية من جهة أخرى، فإنه توجد شعوب إسلامية كثيرة لا يفهمون العربية، ويحذقون الانجليزية، وهؤلاء يطالبون الأزهر أن يمدهم فى تلك اللغة بما يستعينون به على فهم حقائق الاسلام، ويشاركون به الذين يعرفون العربية فى الاستفادة من بحوث أعلامه.

وكما تنقع مجلة الأزهر الانجليزية غلة هؤلاء، يكون لها أثر كبير فى وقف الذين يبحثون فى الاسلام من الأجانب على طريقته المثلى، وعلى أدلته القاطعة، وفى نفى الشبه التى يثيرها أعداؤه عليه بعزوهم اليه أصولا لا تمت اليه بصلة، وليست منه فى شىء.

وقد كان جهدنا الى اليوم أن نرد على تخرصات المتخرصين باللغة العربية، وليس هنالك من يفهمها، فتسرى أقوالهم حرة مطلقة فى العالم الغربى، وتروج فيه دون أن تجد مفندا لها بلغة يفهمها الذين قرءوها، فترسخ فى أذهانهم وتصبح عقائد لهم، يتناقلونها فيما يكتبونه عن الاسلام والمسلمين. ولكن بوجود هذه المجلة يمكن دحض هذه الشبهات بلغة أوربية كثيرة الانتشار لا تعدم من يفهمها فى كل بقعة من بقاع الأرض، فلا تلبث هذه الشبهات أن تضمحل وأن تزول، فيقف أولو العلم على حقيقة هذا الدين ومراميه العالية، ويكون من أثر ذلك أن يتناولها بعض الباحثين الإخصائيين ويكتبوا عنها كتابات تخدم فى إعلاء كلمة الله هنالك خدمة عظيمة الخطر، بعيدة الأثر، جليلة العائدة.

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن ننوّه بفضل حضرة صاحب الجلالة الملك «فؤاد الأول» ، فقد أغدق على الأزهر من فيض سخائه ما أقدره على تحقيق جميع رغباته السامية ، وحباه من رعايته بما وجهه هذه الوجهة المنتجة لأعظم الثمرات وأدومها . وسيتابع بفضل إمداده المتواصل الى أقصى ما يمكن أن يصل اليه رقيا ونفعا . أبقاه الله ذخرا للعلم وأهله ، وأقر عينه بولى عهده المحبوب حضرة صاحب السمو الملكى « الأمير فاروق » أمير الصعيد بمن الله وكرمه ؟

مدير مجلة الأزهر

محمد فريد وجدى

العام الهجرى الجديد

إن حلول كل عام هجرى جديد يثير فى أنفسنا ذكريات كريمة لحوادث عظام كان لها أكبر الآثار، ليس فى العالم الاسلامى وحده، ولكن فى العالم الانسانى كله.

كان الناس فيما سلف من الزمان يعتقدون أن الله يرسل رسلا منهم الى الناس يؤيدهم بالمعجزات، ويعززهم بخوارق العادات. فلما بلغ العلم أشده افتتن الناس بتعليل حوادث التاريخ تعليلا حسيا، منطبقا على قوانين الاجتماع ومنطق الحوادث، فإن قصر هذا الأسلوب فى تعليل بعض الحوادث، أصغروا من شأنها واتهموا الأمم فى تقديرها واستفادوا من غموض تاريخها فى التكذيب بها. كل ذلك ليرغموها على أن تقبل التعليلات التى يسوغها العلم المادى ولا يعول إلا عليها. وهذه النزعة من العلم كانت مبنية على أصل مقرر عنده، وهو أن جميع ما فى الوجود تابع لنواميس محدودة لا تتخلف، وأن هذه النواميس مليئة بتعليل كل ما يحدث فيه، سواء أكانت ظواهر مادية أم شئون اجتماعية.

وكان الباحثون الاسلاميون يسايرون هذه الطريقة العلمية ثقة منهم بأن الشئون الاسلامية لا تستعصى على أى أسلوب من أساليب البحث، وأن جلالها تظهر متلألئة على أى وجه قلبت عليه عند الدرس.

ولكن العلم فى العهد الأخير قد شك فى السلطان المطلق للنواميس، ولمح من ورائها قدرة علوية تصرفها فيما تريد. قال الأستاذ وليم كروكس الانجليزى فى خطبة له فى مجمع العلوم البريطانى وكان رئيسا له:

« أكثر الذين يدرسون الطبيعة يستحيل أمرهم عاجلا أو آجلا الى إهمالهم الكلى لجانب عظيم من رأس مالهم العلمى لأنهم يرون أنه وهمى محض . . . .

« إننا متى امتحنا من قرب بعض النتائج العادية للظواهر الطبيعية ندرك الى أى حد هـذه النتائج أو النواميس كما نسميها محصورة فى دائرة نواميس أخرى ليس لنا بها أقل علم . . . .

« إننا لنستطيع أن نكتشف جميع النواميس الطبيعية للحركة ، ولكننا مع ذلك لا نكون أقرب مما كنا عليه الى حل أهم مسألة وهى : أى ضرب من ضروب الإرادة والفكر يمكن أن يوجد خلف هذه الحركات المادية مجبرا إياها على اتباع طريق رسمه لها من قبل ؟ وما هى العلة العاملة خلف هذه الظواهر ؟ وأى ازدواج من الإرادة والفكر يقود الحركة الآلية الصرفة للمادة خارجا عن نواميسنا الطبيعية بحيث يحملها على تكوين هذا العالم المادى الذى نعيش فيه ؟ »

ثم قال :

« اسمحوا لى أن أستنتج من هذا الفهم أنه يستحيل علينا أن نتخيل مقدما الأسرار التى يحتويها الوجود والعوامل الدائبة على العمل فيما حولنا » (راجع مجموعة خطب الأستاذ وليم كروكس) .

وقال الفيلسوف (أدوار لوروا) Edouard Leroy كما نقله عنه الرياضى الكبير (هنرى بوانكاريه) Henri Poincaré فى كتابه قيمة العلم : La valeur de la Science

« العلم لم يتألف إلا من تواضع العلماء على أصوله ، وهو لكونه على هذه الحالة يظهر لنا بمظهره المعهود من الثبوت والاستقرار ، فالقواعد الطبيعية بل النواميس ليست إلا من مخترعات العلماء أنفسهم . فالعلم لا يستطيع وهذه حالته أن يكشف لنا عن وجه الحقيقة المطلقة ، وكل ما ينتظر منه أن يخدمنا كقاعدة للعمل »

من هنا يرى القارئ أن العلم قد بدأ يتحول عن المنهاج المادى الذى اتبعه فى مدى قرون ثلاثة ، وأخذ يلمح وراء الحوادث قدرة عالية ترسم لكل كائن الحد الذى ينتهى اليه ، وتدفع العوامل لتحقيق مرادها منه .

وعليه فقد جاء العهد الذى يستطيع فيه الباحث فى الأديان عامة وفى الاسلام خاصة أن يشير الى النواحى الخارقة للعادة منها ، أى التى لا تكفى النواميس المعروفة أن تأتى بتعليل يثلج عليه الصدر عنها . ولما كنا اليوم بسبيل الكلام عن الهجرة المحمدية لمناسبة حلول السنة الجديدة ، فلنا أن نستغل هذا الموقف العلمى لتنور عناية الله التى حفت بالنبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الهجرة :

مما ثبت ثبوتا قاطعا أن النبى صلى الله عليه وسلم لبث يدعو قريشا الى الاسلام سرا وعلنا نحو ثلاث عشرة سنة ، فلم يرفعوا بدعوته رأسا إلا عددا قليلا منهم اضطروا أن يهاجروا الى الحبشة مرتين من شدة ما لحقهم من اضطهاد المشركين لهم ، وقد قاطع هؤلاء المشركون من بقى منهم فى مكة سنين حتى اضطروهم لسكنى أحد الشعاب الجبلية يعانون فيه عنت الحصار والمقاطعة . فلما رأى المشركون أن هذا الإرهاق لم يجدهم نفعا ، عادوا الى معاملتهم فى كثير من المشادّة والمعاكسة .

فلما يئس النبى صلى الله عليه وسلم منهم أخذ يعرض نفسه على القبائل إبان الموسم داعيا إياها الى الاسلام ، وراغبا اليها أن تنتدب لحماية الدعوة ، فكان منها من يرده بالمعروف ومنها من يهزأ به . وذهب يدعو أهل الطائف فرجموه بالحجارة !

فاتفق أن قابل بضعة رجال من أهل يثرب (المدينة) ففاتحهم بما فاتح به غيرهم ، فصادفت دعوته هوى من قلوبهم ، فآمنوا به ووعدوه بأن يخبروا بأمره قومهم ، وضربوا له موعدا الموسم المقبل .

فلما كان ذلك الموسم أقبل من أهل يثرب اثنا عشر رجلا ، فاجتمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم عند العقبة وأسلموا . وكان منهم عشرة من بنى الخزرج واثنان من بنى الأوس ، وهما القبيلتان اللتان يتألف منهما أهل يثرب .

فلما رجع هذا الوفد أخذ الأوسيان اللذان أسلما يدعوان الناس الى الاسلام ، فقال سعد بن معاذ سيد قبيلتهما لابن عمه أسيد بن خضير : ألا تذهب الى هذين الرجلين

اللذين أتيا يسفهان ضعفاءنا فتزجرهما ؟ فقام لهما أسيد وقال لهما : ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلا إن كان لكما بنفسيكما حاجة .

فقال له أحدهما واسمه مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره ؟

فقرأ عليه مصعب ما تيسر من القرآن ، فأسلم . ورجع الى سعد فقال له : والله ما رأيت بالرجلين بأسا .

فغضب سعد وذهب بنفسه ، ففعل معه مصعب مثل ما فعله مع أسيد ، وانتهى الأمر بإسلامه . فرجع لرجال من بنى عبد الأشهل وهم بطن من الأوس فقال لهم : ما تعدّونني فيكم ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا . قال : كلام رجالكم ونسائكم علىّ حرام حتى تسلموا .

فلم يبق بيت فيهم إلا أجابه، وانتشر أمر الاسلام فى المدينة، فلم يبق لهم كلام فى غيره .

ولما كان العام الذى بعده وفد على مكة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ليقابلوا النبى صلى الله عليه وسلم ، فتواعدوا أن يتلاقوا فى بعض الشعاب بعد مضى الثلث الأول من الليل لكى لا تشعر بهم قريش ، فلما جاء الموعد تسللوا وحدانا الى مكان الاجتماع . فلما تم عددهم افتتح العباس الكلام فقال لهم : إن محمدا فى منعة من عشيرته لم يمكنوا منه أحدا مع ما رأوه فى ذلك من الشدة ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه وما نعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإلا فدعوه بين عشيرته فإنه لبمكان عظيم .

فقال كبير الوفد البراء بن معرور : والله لو كان لنا فى أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ، ولكننا نريد الوفاء والصدق .

وبعد هذا قال الوفد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فقال : أشترط لربى أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا ، ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم .

فسألوه : وماذا لنا على ذلك ؟ قال : الجنة . قالوا قبلنا ، وأخذوا يبايعونه حتى انتهوا . وتسمى هذه بيعة العقبة الثانية .

ثم تقدم الوفد الى النبى صلى الله عليه وسلم راجيا منه أن يهاجر اليهم ، فقبل دعوتهم داعيا لهم بخير . ثم تخير منهم اثنى عشر نقيبا لكل عشيرة منهم واحد ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

فلما بلغ قريشا أن الاسلام انتشر فى يثرب ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد أهلها على أن يحموا دعوته بما يملكون من قوة ، وأنه أزمع أن يهاجر اليهم ، هالهم هذا الأمر ، فاجتمعوا فى دار ندوتهم وتبادلوا الآراء فيما يعملونه لاتقاء هذا الخطر المتوقع ، فاتفقوا على قتله بطريقة مبتكرة ، وهى أن ينتدب شاب من كل عشيرة منهم فيحاصروه فى داره ثم يقتحموها عليه ويضربه كل منهم ضربة بسيفه ، فيتفرق دمه فى جميع عشائر قريش ، فيتعذر الثأر من قاتله ، فترضى عشيرته بالدية ، وبذلك ينتهى أمره ولا تقوم لمن اتبعه قائمة .

فأوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ما أضمروه ، فأمر عليا أن ينام على فراشه ، واستصحب هو أبا بكر وخرجا من مكة سرا فى الليل الدامس ، وجدّا فى السير حتى بلغا غار ثور فأويا اليه .

أما شبان قريش الذين كلفوا بقتله ليلا فقد اقتحموا داره لتنفيذ ما نُدبوا له ، فلم يجدوا فيها إلا عليا ، فأوجعوه ضربا ، وعلمت قريش أنه خرج ليلا مع صاحبه فأرسلت خلفهما شرذمة لتتعقبهما ومعهم القافة ، فما زالوا يتتبعون أثرهما حتى انتهوا الى غار ثور . هنالك قرر القافة أنهما أويا الى الغار لانقطاع الأثر فيما بعده ، ولم يبق إلا اقتحامه عليهما لإخراجهما منه . فيقال إن المشركين استبعدوا أن يكونا لجآ اليه لما كان عليه من

الظلمة والوحشة وثَواء الهوام فيه ، ولم يجسر أحد منهم أن يرتاده ليتحققوا من خلوه من غريميهم ، فتركوه وعادوا أدراجهم .

لبث النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه بالغار ثلاث ليال ، وكان يبيت معهما فيه ولد لأبي بكر اسمه عبد الله ، يبكر فيحضر أندية قريش نهاراً ثم يوافيهما ليلا فيخبرهما بما تقوله قريش وما تعتزمه ضدهما ، ويحمل اليهما ما يتبلغان به من الطعام والماء .

فلما أمنا الطلب من قريش جاءهما الدليل الذى كانا قد أعدّاه من قبل لهذه الغاية ومعه راحلتان ، فامتطياهما وجدّا فى السير قاصدَين المدينة ، وما زالا جادّين حتى وصلا اليها سالمين . وهنالك أصبح للاسلام دولة ، وأضحى له جيش وصولة ، والقراء يعرفون ما جدّ بعد ذلك من الأحداث .

هنا نرى أن لابد لنا من وقفة لنلمح آثار الآيات الإلهية من خلال هذه الحوادث . فإنه إذا كان معنى الآيات أنها الحوادث التى تقع ولا يمكن تعليلها بالنواميس المعروفة ، ولا تنطبق على المنطق الذى تواضع عليه البشر ، فإن هذا المعنى يصدق على ما نحن بصدده الآن مما يتعلق بالهجرة النبوية .

ذلك أنه ليس ينطبق على أى ناموس معروف ، بل يشذ عن كل قاعدة منطقية ، ويخالف كل ما عرف من التقاليد العربية ، أن ترفض جميع القبائل الدخول فى الاسلام والاضطلاع بأعباء حماية الدعوة اليه ، وتقبله قبيلتان لم تكونا أنبه قبائل العرب ، ولا أكثرها عددا ، ولا أوفرها مالا ، على ما تقتضيه هذه الحماية من حرب وكفاح ، وخسائر فادحة فى الأموال والأرواح .

وما كان ليعقل قبولهما له لو كان النبي صلى الله عليه وسلم منّاهما بالسيادة على بلاد العرب ، أو بالإغارة على الأمم المجاورة والاستيلاء على ما لديها من أموال ونعم ، لأن تلك السيادة كانت مما لا يعقل فى بلاد العرب ، إذ لم تكن لها سابقة هنالك يقاس عليها ، ولانقسامها الى قبائل رحالة دائمة الحركة ، إن أصابتها مخافة فى ناحية رحلت الى ناحية أخرى ، غير آسية على زراعة تتركها أو مساكن تهجرها ، ألا ترى أنه لما تهدم سد

مأرب وأصاب اليمن سيل العرم ، هاجرت قبائلها الى كل وجه ، حتى وصل بعضها الى شمال بلاد العرب ، ومنها بنوغسان التى نزلت بحدود سورية ، ووقعت تحت سلطان الرومانيين ونزل غيرهم فى بقاع أخرى ؟

أما التمنية بالإغارة على الأمم المجاورة لبلاد العرب فكان مما لا يعقل أيضا ، لأن القبائل العربية التى كانت أرفع مكانا وأعز نفرا قد وقعت تحت أسر الدول التى جاورتها شمالا وشرقا وجنوبا ، فكيف كان يطمع بنوالأوس والخزرج أن يتخطوا جميع هذه الحوائل القبيلية ويغزوا الفرس والرومانيين ؟

ولِم هذه الافتراضات كلها وقد نص فى التعاقد بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الأوس والخزرج على أن لهم الجنة ؟

هنا لا بد لنا من وقفة ثانية نتساءل فيها هل مما ينطبق على مجرى الحوادث العادية أن ترضى قبيلتان عربيتان لا عهد لهما بدين سماوى ولا كتاب ، بمثل هذا الجزاء الغيبي على تجردهما لنشر دين عُودى صاحبه من قومه بسببه الى حد أنه أصبح لا يطيق البقاء بين ظهرانيهم ؟

لا أنكر أن الجنة تصلح أن تكون جزاء لأعظم ضروب التضحية ، ولكن عند من ؟ عند الذين يكونون قد وصلوا من الإيمان الى أقصى مداه ، لا عند قوم لم يقابلوا النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاث مرات ، ولم يقرأ عليهم من القرآن إلا آيات ؟

حقا إن هذه لآية ، ومن أكبر الآيات شأنا ، وإنها لتساوى فى نظر المفكر تفجير الماء من الصخور ، وإحياء الموتى من القبور .

لننظر الآن فى مسألة الغار :

لا مشاحة فى أن القرشيين كانوا حريصين على قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، اتقاء لخطر يتهددهم من اجتماع الجموع حوله خارج مكة ، ثم العود اليها بهم فاتحا أو مماكسا .

فلما تبين لهم أنه خرج مهاجرا مع صاحبه تعقبوهما ومعهم القافة حتى انتهوا الى

غار ثور ، فتوافرت الأدلة على نزولهما فيه ، فهل يعقل وقد انتهى أثرهما اليه أن يتركوه دون أن ينزلوا اليه ؟

يقال إنهم تهيبوا الدخول فيه . كيف يعقل ذلك ولم يتهيبه الطفل عبد الله بن أبي بكر ، وكان يتردد عليه كل مساء ليبيت فيه ؟

هب أن قريشا على كثرة شجعانها لم يجرؤ واحد منهم على اقتحامه ، فهل يعقل وقد تحققتْ أن الأثر انتهى اليه أن لا تدع عنده جماعة لمحاصرته ؟

وهل كانت تعجز أن تركم على فوهته الأحجار فتسده ، أو تلق فيه قشا وحطبا وتلهب فيه النار لإجبار من فيه على التسليم اليهم ؟

وإن كان لا هذا ولا ذاك ، فهل كانت تعجز أن ترسل خلفهما فى طريق المدينة رجالا يصلون الليل بالنهار ليقطعا الطريق عليهما ؟

اللهم إن هذه آية ثانية لا تقل عن سابقتها شأنا .

فإذا كان الأدب الذى حصله العلم لأهله فى هذا العصر يسمح بأن ينظر الانسان فى الحوادث على مدى أوسع مما كان ينظر فيه اليها ، فإن النظر الى هذين الأمرين خارجا عن المجال الضيق للنواميس المعروفة يؤدينا الى تنور آيات من العناية الإلهية بخاتم رسله تزيد المؤمنين إيمانا ، وتنير بصائر الذين لا يزالون يرون فى النبوات أمورا عادية ، أو كما يقولون ظواهر اجتماعية .

هذا ومن يعنَ بدراسة كل ما أحاط بالنبي صلى الله عليه وسلم من شئون ، وما تأدى اليه من فلج ، فى بيئة لم تنجب رجلا اجتماعيا قبله ، بَلْهَ رجلا عالميا ، على هذا القسطاس من زنة الحوادث ، وهذا الأسلوب من تقدير الأمور ، ير رأى العين أن الحق سبحانه وتعالى قد أيد خاتم رسله من الآيات الكبر ، ليس بما لم يُرَ له مثيل فى تاريخ البشر كله فحسب ، ولكن بما يحمل العلم نفسه أداة فى الكشف عن أسراره ، والتنويه بجلائل آثاره : «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أوَ لم يكفِ بربك أنه على كل شيء شهيد » .

محمد فريد وجدى

الروح الاسلامية ومدى تأثيرها

فى النفس البشرية

— ١ —

لم تصدق نظرية الفيلسوف الفرنسى الكبير جان جاك روسو فى العقد الاجتماعى على أمة غير الأمة الاسلامية (١) فهى الأمة الوحيدة التى قامت على مبدأ التعاقد بين آحادها على احترام أصول إلهية مقررة ، والعمل بدستور سماوى مدوّن . فكانت هذه الأمة لهذه العلة بنجوة عن كل ما تلتاث به الجماعات فى أول تكونها : من رعونات النفوس ، وجمحات الغرائز ، وسطوات الأهواء التى تصحب دائما دور النشوء للجماعات البشرية ، فنشأت فاضلة ، وشبت فاضلة ، واكتهلت فاضلة ، ولم تزل روحها فتية فاضلة ، على الرغم مما لحق بالجماعات الممثلة لها من الضعف بسبب انحرافهم عن صراطها لعلل عارضة ليس هذا محل بيانها .

نعم إن نظرية روسو لم تصدق إلا على الجماعة الاسلامية ، وبيان ذلك أن الجماعات العربية على عهد البعثة المحمدية كانت مستقرة على الحالة القبيلية القائمة لديهم منذ أول نشوئهم فى جزيرة العرب ؛ وكانت هذه القبائل تتعادى وتتناحر ، ثم تتصالح وتتصافى على نحو ما كانت عليه الأمم المتخالفة أجناسا ولغات وديانات .

وقد شوهد أن عدة قبائل كانت تعقد بينها حلفا ضد مجموعة أخرى من القبائل ،

---

(١) كان من رأى الفيلسوف جان جاك روسو أن الجماعات البشرية لم تتكون إلا عقب تفاهم حدث بين آحادها على التآلف بينهم والحياة حياة مشتركة ، تحت قيادة حكومة معترف بها من الكافة .

وقد راجت هذه النظرية فى القرن الثامن عشر ، ولكنها لم تلبث أن سقطت لما ثبت من أن الجماعات تتألف محفوزة بعوامل قاهرة من البيئة وضرورات الحياة ، ويكون تآلفها فى أوله ساذجا ثم يترقى بترقى مدارك آحادها ، واقتضاء سلامتها العامة لزيادة الترابط ، واكتمال التعاون بين جميع عناصرها .

ولكن مع حفظ كل منها لاستقلاله الذاتى ، وتقاليده الموروثة ، كما كان يحصل بين الأمم المختلفة لدفع عدو مشترك ، أو للإغارة على جماعات مجاورة ، يتطلب التغلبُ عليها قوى متضافرة . ثم قد تنقلب الحال فيصبح أعضاء الحلف الواحد ، أعضاء فى حلف آخر ضد حلفائهم الأقدمين ، كما كان يحصل ولا يزال يحصل بين الأمم المتباينة الأصول والمصالح .

وكانت وحدة البيئة لا تأثير لها فى إيجاد الوحدة الاجتماعية بينهم . ومن يطلع على تاريخ حروب العرب يجد من ذلك عشرات من الأمثلة ، من أشهرها ما كان بين عبس وذبيان وبين الأوس والخزرج ، وكانت الحروب تدوم بينهم عشرات من السنين .

وكانت الحالة القبيلية متأصلة فيهم الى حد أن خصوبة اليمن وخفض العيش فيها لم يلطف من هذه الحالة فيهم ، فإنه لما تهدم سد مأرب باليمن واجتاح أرضها ، واضطر كثير من أهلها أن يهاجروا منها ، فعلوا ذلك وهم قبائل متميزة كالأزد وقضاعة وجرهم والأوس والخزرج وغسان وتنوخ الخ .

ومن أقوى الأدلة على أن حالتهم الاجتماعية لم تكن ماسة الى الوحدة ، أنه لم يظهر فيهم فى كل أدوار تاريخهم الطويل داع يهيب بهم اليها ، كما يكون ذلك بين يدى كل انقلاب يطرأ على بنِىَ الأمم .

دام الحال على هذا السمت حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالدين الحق يدعو الأمم عامة لا العرب خاصة للدخول فيه ، فكان هو ومن أسرع للإيمان بما جاء به أول نواة لمجتمع يتألف على غير مثال سابق ، مجتمع يقوم على الأصول الانسانية الخالدة ، والمبادئ الخلقية القيمة ، والسمو الروحانى المطلق ، غير معتد بالجنسيات والقوميات ، ولا باختلاف البيئات واللغات ، راميا الى توحيد الانسانية جمعاء فى دائرة الحق المحض ، والكمال البحت ، والمدنية الفاضلة .

هذا أول حادث من نوعه فى تاريخ البشر ، فلم يطف بخيال فيلسوف أو مصلح فى أى عهد من العهود أن يدعو العالم كافة للدخول فى وحدة عامة ، وبخاصة إن لم يكن قومه قد وصلوا من سلم الاجتماع الى درجة أمة ، حتى يعقل أن يحدّث واحد من آحادها نفسه أن يجمع البشرية جملة ، وكان بحسبه أن يوحد الأمة التى هو فرد منها ، فيخلد اسمه فى سجل أكبر المصلحين فى العالم كله .

فهذا النزوع من محمد صلى الله عليه وسلم الى الوحدة الانسانية العامة ، وهو فى أعرق بيئة فى الفرقة ، دليل قاطع على أنه كان يردد صوت الوحى السماوى ، ويستمد من معدن الحكمة الإلهية .

هذه الدعوة مجردةً كان مما لا يستحيل تمليلها لولا أنها اصطحبت بتعاليم ذات صبغة عالمية لم تدر بخلد أقطاب الفلاسفة والمصلحين ، ولم يتسنّ لأشهر العباقرة أن يتخيلوها تخيلا ، بَلْهَ أن يأتوا بها بالبيان التفصيلى الذى جاءت به على لسان خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، وقد سردناها تباعا فى بحث مهمة الدين الاسلامى فى هذه المجلة .

إن الباحث فى جوهر الاسلام يشعر أنه حيال خِضَمٍّ مثعَنْجَر متلاطم الأمواج إن وقف على ساحله تَهيّبه ، وإن خوّض فيه بعلم وحكمة لم يصل الى ساحله ، فيحار فى أى ضروب المعارف يلتقط ، وإن جمع طائفة منها حار فى ترتيبها ، لا لأنها تستعصى على الترتيب ، ولكن لبعد أغراضها ، ولطف مسالكها . فلذلك كان لابد للمعنِيّ بها أن يقسم الكلام فيها الى بحوث متعددة بقدر ما يرى فيها من الوجوه الممكنة .

إن مانشرناه فى هذه المجلة تحت عنوان (مهمة الدين الاسلامى فى العالم) وإن كان قد استوعب كثيرا من أصول الاسلام ، إلا أنه لا يمكن أن يصور جميع وجوه تلك التعاليم ، ويستوعب كل مواطن تأثيرها ، فى العقول والقلوب ، ويكشف عن مكنون أسرارها ، فلا مناص لنا من اللجأ الى ما قررناه من وجوب إفراد بحث خاص لكل وجه من وجوه تلك التعاليم القيمة . وها نحن نشرع فى ذلك جاعلين هدفنا فى هذه

المرة دراسة عناصر الروح الاسلامية ومدى تأثيرها فى النفس البشرية، فى أدوار الانقلابات الاجتماعية، فنقول :

نحن من قيام المجتمع الاسلامى وظهوره على سائر المجتمعات التى كانت معاصرة له حيال حادث جلل لم يجر على السنن المعروفة للعلم، لا فى أدوار وجوده، ولا فى عناصر كيانه، فهو بالأمور الخارقة للعادات أشبه . ونحن نبسط المسألة أولاً ثم نشرع فى معالجة تفهمها وحلها، توسلا الى دراسة ما نحن بصدده من عناصر الروح الاسلامية :

كانت الحالة الاجتماعية فى جزيرة العرب فى العهد الذى بُعث النبى صلى الله عليه وسلم فيه مستقرة على ما كانت عليه منذ قرون كثيرة . فأطرافها من الشمال والغرب والجنوب كانت مملوكة للرومانيين والفرس، والجزء الباقى منها، وهو المحصور بين هذه الحدود الثلاثة والبحر الأحمر، كان موزعا بين مئات من القبائل على حالة من الحياة البدوية مَرَنوا عليها من لدن نشوئهم فيها . ولم يكن فى مجموعة من هذه المجموعات البشرية قلق ينم عن شعور بوجوب استبدال نظام اجتماعى جديد بهذا النظام الساذج العتيق . يدل على ذلك دلالة قاطعة عدم قيام دعوة صريحة الى إصلاح دينى أو اجتماعى من أى ضرب كان، ولا الى بث مبدأ سياسى يقصد به إلقاء نير السيادة الأجنبية عن الحدود الثلاثة لجزيرة العرب . فبينا كان السكون تاما فى ذلك الركن من العالم إذا بصيحة تنبعث من صميمه : « يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض، لا إله إلا هو يحيي ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » . فلم يأبه بهذه الصيحة خارج البلاد العربية أحد لعلمهم أن هذه البقعة من الأرض ليست مثار خطر على أية دولة من دول العالم، وبخاصة على الدولتين اللتين كانتا قد توزعتا ممالكه كلها وانفردتا بالسلطان فيه . وزادهما اطمئنانا أن هذه الصيحة بعيدة عن البقاع التى دانت لحكمهما من جزيرة العرب .

ومن الذى كان يعقل أن تتخطى هذه الصيحة مئات القبائل التى تحول بين مكة وتلك البقاع وتنتشر منها اليهما وتصبح مثار خطر على كيانهما ؟

قابل الناس هذه الصيحة بالإعراض ، وقابل الملوك الكتب التى وصلتهم من صاحبها بالإهمال ؛ ومنهم من رأى فى دعوته للإيمان غضا من كرامته فزق الكتاب كل ممزق وذراه فى الهواء .

فما مضت بعد ذلك سنون تعد على الأصابع حتى شهد الناس أمرا لم يكن يخطر ببال ، ولا يطوف بخيال ، رأوا العرب ينصلتون من بلادهم شمالا وشرقا ، وهم على حالة من الوحدة والترابط ونكران الذات لم تؤثر عن غيرهم ، منتدبين لإحداث أكبر الانقلابات العالمية التى لم تسجَّل فى تاريخ البشرية من لدن وجودها الى ذلك العهد ، فانتزعوا من الرومانيين سورية ومصر وجزر البحر الأبيض المتوسط ، وضربوا الجزية على عاصمة عواصمهم القسطنطينية ، وقضوا على دولة الفرس ، وأوغلوا شرقا حتى وصلوا الى أسوار الصين ، ولم يدعوها حتى فرضوا عليها إتاوة سنوية ، ونزلوا الى شبه جزيرة ايبريا فى غرب أوربا فامتلكوا الأندلس بعد أن دان لهم شمال القارة الأفريقية ، وما عادوا من جولتهم هذه حتى كان لهم ملك لا تغرب عنه الشمس ، ولم ينبغ لأمة كانت قبلهم أو جاءت بعدهم الى يومنا هذا .

كل هذا كان فى نحو خمسين سنة ، وهى طفرة لم تشاهد فى أية حركة اجتماعية ولا لأشهر الأمم الفاتحة للأرض ، وهى الأمة الرومانية ، فإنها لم تبلغ غاية توسعها إلا فى ثمانمائة سنة ، ولم تصل الى مثل ما وصل اليه المسلمون فى تلك المدة .

والعجب العاجب فى هذا الأمر أن المسلمين استطاعوا بفضل العدل الذى عاملوا به مقهوريهم ، والعطف الذى أظهروه نحوهم ، والنظام الذى أداروا به ممتلكاتهم ، أن يحفظوا وحدة هذه الامبراطورية التى لم تشهد الأرض مثلها ، فلم تشق عصا الطاعة

عليهم ، ولم تحاول التفلت من سلطانهم ، فكانت الطريقة المثلى التى عاملوا بها الأمم التى خضعت لهم أحفظ لها من جنودهم ومعداتهم .

ومما يجب لفت الأنظار اليه أن هذه الجماعة الاسلامية لم يبطرها ما نالته من تبسط فى الأرض ، فأخذت تستغل هذه الأقطار لتعيش عالة عليها فى ترف وخفض وبذخ ، كما فعلت جميع الأمم الفاتحة قبلهم ، ولكنها شرعت تنظم وجودها ، وتضع أحكم القوانين لإراحة مقهوريها ، وأخذ آحادها يبحثون عن حقائق العلوم من أغزر مناهلها ، وعن أسرار الصناعات والفنون من أخفى مظانها ، فلم يمض عليهم قرنان حتى جمعوا بين أطرافها ، ومزجوا بين عناصرها ، فأصبحوا حفظة كنوزها ، وكشفة رموزها ، وصاروا للعالم كله أئمة فيها ، فنشروها حيث وطئت أقدامهم ، فكانت بسببهم نهضة عالمية تولدت منها العلوم والفنون التى ابتنى عليها صرح المدنية الحاضرة .

هذه كلها حقائق معترف بها لا يختلف فيها مؤرخان فى الأرض ، حتى من الذين يتوركون على الاسلام ويحاولون الغض منه . فنحن والحالة هذه إزاء حادث عالمى خطير قامت به أمة تألفت على غير السنن المعروفة فى قيام الجماعات البشرية . وكما كان لكل مجتمع روح تقوّمه وتهيمن عليه ، وتمده بما يحتاج اليه من العوامل والبواعث ، وتهيئه للدخول فى الأطوار التى يقتضيها وجوده ككائن حى نامٍ ، كان لا بد للباحث فى حقيقة الاسلام من أن يحلل الروح الاسلامية التى ألفت عناصر هذا المجتمع وتولته حتى قام بما قدر له أن يقوم به من الحوادث العالمية .

هذا هو موضوع بحثنا الجديد فى هذه المجلة سنقوم ، إن شاء الله ، بنشره فى مقالات متتابعة ، كما نشرنا البحث الذى تقدمه ، مستمدين من الله التوفيق ، وهو يتولى المؤمنين ؟

محمد فريد وجدى



سورة الرعد

— ١٠ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (وَٱلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُولَـٰئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدَّارِ . ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، وَفَرِحُوا بِٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ . وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ . ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ ٱللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ . ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) .

سبق لنا القول بأنه بعد أن سيقت تلك الآيات البينة تجلو تلك الحجج البالغة والبراهين الدامغة ، دالة على قدرة الحق جل جلاله ، وجالية للبيان الصدق الذى لا يعرض له شك ولا ريب ، ثم ضرب له المثل الموضح للفرق بين الحق والباطل وتجلى الأمر تماما ، ولم يبق إلا أن توجد عين تبصر وأذن تسمع وقلب يعى ، جاء قوله تعالى : « أفمن يعلم أنّ ما أنزل اليك من ربك الحقّ كمن هو أعمى » ، فكان بيّنا تمام البيان أنه لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

وكذلك سبق لنا القول بأن ما تلاه الله علينا من هاتين المجموعتين التاليتين من الآيات الكريمة تفصيل وتصريح وتوضيح لما تضمنه الحكم السابق من عدم الاستواء. فالمجموعة الأولى موضحة لحال من علم أنّ ما أنزل اليه صلى الله عليه وسلم من ربه هو الحق، وهو قوله تعالى: « الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق » الى قوله: « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ». والمجموعة الثانية موضحة لحال من هو أعمى لم يبصر الحق، وقد وضح وضوح الشمس، وهو هذه الآيات، أى قوله تعالى: « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » الخ، فتكون هذه المجموعة من الآيات مقابلة المجموعة السابقة، وهما معا موضحتان لعظم الفرق بين من يعلم أن ما أنزل اليه صلى الله عليه وسلم من ربه هو الحق، وبين من هو أعمى.

والنقض فى البناء والحبل والغزل والعهد ونحوها: إبطال ما هو محكم منها. وعهد الله ما ألزمه عباده وكلفهم إياه ووصاهم به، فمن المفسرين من حمله على عموم التكاليف، ومنهم من أرجعه الى ما أشير إليه فى قوله تعالى: « ألستُ بربكم ». وبين المعنيين تقارب، فقد أشير فى « ألست بربكم » الى ما ركب فى نفس الانسان من آيات دالة على عبوديته ووجوب خضوعه لربه، إذ كان لا وجود له من نفسه، ولا يملك لها نفعا ولا ضرا، وهو فى كل حالة فى شدة الحاجة الى من يمنحه الوجود، ويمده بالنعم التى لا يفقه من أين جاءت ولا كيف ركبت إلا بما وهبه موجده الأصلى. فهو متقلب فى نعمه، خاضع لحكمه، مقهور بقدرته. فأدلة ربوبية الله له متجلية فى كل شأن من شئونه، وقد وهبه قوة الإدراك التى متى استعملها ووجه نظره معها الى تعرّف حالته، نطق واعترف بربوبيته. فاذا سئل: ألست بربكم، لم يسعه إلا أن يجيب ببلى. فاذا سئل: أليس من الواجب عليك أن تمتثل أمر ربك وتبتغى مرضاته وتشكر نعمته وترجو رحمته وتخاف عذابه؟ لم يسعه إلا أن يجيب ببلى، فاذا سئل: هل يسعك أن تعصى أمره وتخالف عهده وتخالف عبدا اصطفاه لهدايتك وإرشادك؟ لم يسعه إلا أن

يقول كلا . فاذا قيل له : فهؤلاء الأنبياء عبيدى وصفوتى أرسلتهم إليك يعلمونك ما يجب عليك أن تفعله وما يجب عليك أن تجتنبه لتحوز مرضاتى، فهل أنت على استعداد لتلقى رحمتى عن طريقهم باختيارك كما وهبتك رحماتى ونعمى من قبلُ تتوالى عليك بدون شعور منك ولا توسيط اختيارك ، أفأنت مستعد لطاعتهم وقبول شريعتهم ؟ لم يسعه إلا أن يقول إى وربى !

هذا هو عهد الله الذى لا تجد نفس مهما كبر عنادها وصعب قيادها مخلصا للتملص منه . فهو عهد « ألست بربكم » بالأصالة ، وهو عهد الايمان بالرسل الذين أيدهم الله بالمعجزات شاهدة بصدقهم فى التبليغ عن ربهم ، وهو عهد ركب فى الفطرة ، وهو عهد أعطى بالاختيار بالايمان بالرسل ومبايعة المؤمنين لهم ، والذين يبايعون الأنبياء إنما يبايعون الله . أفمثل هذا العهد كان يصح أن يتطرق اليه نقض أو نقص ؟ عهد ركب فى الفطرة ، ووُثّق بالاعتراف للأنبياء ، بل وثق قبل ذلك باعتراف النفوس قاطبة بمقتضاه ، إذ لا تكاد تجد نفسا مهما عتت وتكبرت إلا وهى تشعر فى قرارتها بأن فوقها قوة مهيمنة عليها ، مالكةً أمرها ، وهبتها هذا الوجود وهذه القوى ، وهى بمرصد أن تستردها منها . ولئن خفى هذا الاعتراف حينا من الدهر حين توافر النعم فلا بد أن يتحرك حين زوال بعضها . ومن لم تعطفه النعمة ردعته النقمة « وإذا مسّ الانسانَ الضُّرُّ دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما » هكذا شأن الانسان كافرا كان أو مؤمنا . هذا عهد الله أشربته النفوس ، واعترفت به فوثقته باعترافها . وهذا عهد الله أبلغه للناس على لسان الرسل فوثقوه بالايمان بهم .

والخلاصة أن عهد الله وصاياه وتكاليفه لعباده ، وميثاقه قبوله والاعتراف به . وهذا متحقق فى كل طائفة من طوائف الناس مؤمنا كان أو كافرا ، عاصيا كان أو طائعا ، وهو واضح لدى كل امرئ متى نظر فى نفسه لا يخفيه عنه إلا أن يصاب بعمى فى بصيرته ، فيتردى فى الهاوية ، ويكون مأواه جهنم وبئس المهاد : « أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى » ؟

وأصل الميثاق من وثِقَ به إذا أمن جانبه ، يقال على الاعتراف والإقرار ، لأن من أقر بشيء فشأنه يكون قد أمن إنكاره وخروجه عما اعترف به .

وظاهر أن هذا من الآية الكريمة مقابل لما سبق فى صفة المؤمنين من قوله تعالى : « الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق » . وواضح أن فى إضافة العهد الى لفظ الجلالة من التنويه به وتفخيم أمره مافيه، فالعهد أيا كان يجب الوفاء به ، فما بالك بعهد بين الله وبين عباده ، وما بالك به وقد وثقوه بقبوله والاعتراف به ؟ فكم يكون للوفاء به من عظيم المنزلة ، وكم يكون لنقضه من فظاعة وشناعة !

وقوله : « ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل » مقابل لقوله جل شأنه : « والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل » . وهو إشارة الى الأعمال نفسها التى كُلفوها ، بعد ما أشير اليها من حيث مصدرها الذى أوحى بها وعهد بها اليهم . فهذا نعى عليهم فى مخالفة الأعمال نفسها ، والأول نعى عليهم من جهة مخالفة من عهد بها . ويصح أن يكون الأول إشارة الى اقتلاع نفس الإيمان ، وهذا إشارة الى العصيان بالأعمال . وقد استوفينا فى تفسير الآية السابقة بيان ما أمر الله به أن يوصل ، فعساك ترجع اليه وهو قريب فتتعرف به ما هنا .

وقوله : « ويفسدون فى الأرض » تشنيع ثالث عليهم فى نقضهم العهد ، ولكن باعتبار الآثار السيئة المترتبة على تلك المخالفة ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل . وهذا يتضمن الإشارة الى أن ما أمر الله به أن يوصل ما كان إلا ما هو صلاح فى الأرض ، واستقامة لعمارية الكون : من تهذيب النفوس ، وردعها عن غواياتها ، وتوجيهها الى ما فيه مصلحتها . فكل مخالفة تقع فهى نقيض لما قصد من الثمرات بذلك الأمر الربانى . فإذاً يكون هذا فسادا فى الأرض . والفساد فى الأرض لا بد أن يكون له الأثر السيء يمس الجميع عن قرب أو عن بعد . فهم بهذا القطع أعداء أنفسهم ، إذ هم يجرون اليها الفساد وهم لا يشعرون ، فما جزاء من كانوا على هذا النمط السيء ؟ هذا هو ما أفيد فى قوله تعالى : « أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » .

لقد يقول قائل : قد ذكر فى صفة المؤمنين تسع صفات ، وذكر فى صفة هؤلاء ثلاث ، وقد قوبل الوفاء بالعهد وصلة ما أمر الله به أن يوصل بما يقابلهما ، واقتصر بعد ذلك فى المقابل على الإفساد فى الأرض ، فهلا ذكر مقابل البواقى كما ذكر مقابل الأولين ؟

والجواب أن الوفاء بالعهد وصلة ما أمر الله به أن يوصل هما الأساسان الشاملان اللذان ينبنى عليهما باقى التفصيلات ، ولهما ولما يقابلهما المقام الأول فى استحقاق الثناء أو الذم . وأما ما ذكر بعدهما فى الصنف الأول فهو مما لا سبيل الى حصوله إلا بعد تحققهما . وانظر الى خشية الله ، والخوف من سوء الحساب ، والصبر ابتغاء وجه الله ، وإقامة الصلاة ، والإنفاق سرا وعلانية ، ودرء السيئة بالحسنة ، تجدها كلها لا تكاد تجرى إلا ممن اتصف بتينك الصفتين السابقتين : وفاء العهد ، وصلة ما أمر الله به أن يوصل ، وهو الإيمان بأنبيائه ورسله . وعلى فرض أن يجرى شىء منها ممن لم يتصف بها تين الصفتين فلا اعتداد به ، فيكون اقتلاع الصفتين الأوليين ، وهما وفاء العهد والصلة ، بمثابة الاقتلاع لهذه البقية ، حتى لو حصلت فلا اعتداد بها ، فهى أولاً كمالات إنما تنتظر ممن اتصف بالأساس ، وثانيا أنها لو فرض حصولها بدونهما فهو من البنيان على غير أساس . ولقد جىء بدلها فى بيان حال ذلك الصنف الأعمى بما هو أشد وأنكى ، وهو شرح الآثار المترتبة على ترك ذينك الأساسين ، ألا وهو الفساد فى الأرض ، وكفى به تشنيعا عليهم ونعيا على مصيرهم وآثارهم . ومن ناحية أخرى ترى بعض ما ذكر فى الصنف الأول من باب الترقى فى الكمال ، وهذا لا تكون مخالفته سببا فى العقاب ، فإن كون المرء يستوفى حقه إذا أسيء ولا يدرأ السيئة بالحسنة قد أباحه الله ، فلا يحسن ذكره فى باب موجبات العقوبة . وكذلك ليس ترك الإنفاق سرا وعلانية مما يوجب اللعنة ، ولكن الإنفاق ودرء السيئة بالحسنة والصبر ابتغاء وجه الله مما يستحق به صاحبه عقبى الدار : جنات عدن ، فحسن ذكره فى الأول ، ولم يكن له محل فى الثانى .

بقى أن يقال : قد ذكر الموصول مكررا فى الأول ومرة واحدة فى الثانى . ولعل السر فى ذلك إبراز تلك الصفات الجليلة على وجه يجعل كل صفة منها محل قصد بالتنويه ، وأنها حيث وجدت استحق صاحبها بها ما استحق ، وبيان أن الصفات فى الثانى مما يجر بعضها الى بعض ، فمتى ابتلى أحد بإحداها ارتكس فى سائرها ، فمن نقض عهد الله فهو البتة قاطع لما أمر الله به أن يوصل ، وهو لا بد أن يكون من المفسدين فى الأرض ، فهم وإن تعددت قبائحهم فهى مرتبطة يجر بعضها الى بعض ، فليحذر من أيها لكى لا يقع فى باقيها .

أما قوله تعالى : « أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » فقد قلنا فى مثلها إن الإتيان باسم الإشارة راجعا الى موصوف بصفات متعددة ، يفيد استحضار ما رجع اليه بكل صفاته ليبين أنه استحق الجزاء بسبب ما قام به من تلك الصفات ، فكأنه قيل هنا إنهم بسبب ما ذكرنا فى شأنهم قد استحقوا اللعنة أى الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، ولهم سوء الدار . والدار هى جهنم ، وسوءها عذابها ، أو الدنيا ، والمعنى سوء عاقبة الدار . ولم يصرح بلفظ عاقبة لأن عاقبة السوء لا تستحق أن تسمى عاقبة . كيف وقد قال تعالى : « والعاقبة للمتقين » . فكأنها عاقبة ياليتها لم تكن عاقبة . أو المراد الدنيا ، وسوءها ما استحقوه فيها من سخط وتعرض لغضب الله ومقته ، فهم ما أفادوا من دنياهم إلا ما أوجب صب الغضب واللعنة عليهم ، وكفى بهذا سوءا من هذه الدار . والتعبير بكلمة لهم دون عليهم وهى مقتضى الظاهر ، للإشارة الى أن هذا قد أصابهم استحقاقا بما كسبوا لا أنه أمر فرض عليهم فرضا بدون استحقاق .

لقد كانوا يعتزون بما أوتوا فى الدنيا من بسطة فى الرزق ويجعلونه كالبرهان على أنهم هم السعداء المستحقون للكرامة ، قائلين من ذا الذى يستحق التكريم ويضمن له الفوز بكل خير إلا أهل الثراء ، وهم من أول أهل الثراء ؟ ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ! ! لاجرم رد الله عليهم زعمهم الباطل ، وبين الحقيقة الصحيحة

والحق الصريح ، وهو أن أمر الرزق أمر منوط بمشيئة الله يدبره بحكمته ، ويخضعه لنظام سَنّه فى هذه الحياة ، وذلك لا شأن له بأحكام الآخرة وإحراز سعادتها ، فلا ينبغى الاغترار بما أوتوا من سعة رزق فى الحياة الدنيا ، فيفهموا منه أنهم هم المقربون عند الله فى الآخرة ، لا لا « الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع » .

لعلك لمحت وجه اتصال هذه الآية بسابقتها ، وأنها بسبب منها ، تنعى على الذين كفروا سوء تقديرهم وفاسد أوهامهم ، وتسد عليهم طرق تعللاتهم ، فتحكى ما يجيش بصدورهم من فرح وأشر وبطر ، وتطوح فى الأحكام والتقدير ، وزعمهم أنهم الخاصة المقربة المحبوبة التى وقف عليها وحدها سعادة الدارين ، مغترين بما أوتوا من بسطة فى الرزق، قائلين ــ وقد تسمعها جهارا من بعضهم : أفيظفر ذلك الصعلوك بالسعادة ويحرم منها هذا العظيم الجليل القدر ، كيف هذا وكيف يفهم ؟ والجواب أن ما أنتم فيه من رغد وبسط عيش هو فعل الرب القادر المختار الحكيم فيما يفعل ، وقد بسط لكم فى الرزق ، والله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لمن يشاء ، وما فرحكم بما أوتيتم إلا فرح بمتاع زائل وظل حائل ، وما أمر الآخرة وسعادتها إلا منوط بتقوى الله واتباع هداه ، وليس بين هذا المتاع الدنيوى وبين سعادة الآخرة ارتباط ، إلا من شكر الله على نعمته وقام بحق العبودية « إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وإن تشكروا يَرْضَه لكم » . أما أن نعمة الرزق فى الدنيا هى السبيل فى الآخرة للسعادة ، وأن تقديره فى الدنيا قاطع عن سعادة الآخرة ، فلا سبيل إليه ، فلتفرحوا بدنياكم فدونكموها فاقنعوا بها إن شئتم ، فقد ضيعتم على أنفسكم الحياة الحقيقية ، وإنّ الدار الآخرة لهى الحيوان . وإذا تفتحت أبصاركم ، وجعلتم الحياة الدنيا متاعا موصلا للآخرة ، فذلك ما ينبغى أن يثمره العقل الصحيح ، وهو الأشبه بمن يزعم لنفسه الرأى والتفكير . فيكون قوله : « وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع » يحتمل

أن « فى » بمعنى المقايسة ، أى ما هى فى جانبها وبالقياس إليها إلا متاع حقير لا يؤبه له . ووجه هـذا الاستعمال أن من يقيس شيئا بشىء يجعله غالبا فى جانبه ، فهى كقوله : « ذنوب العبد فى رحمة الله كقطرة فى بحر » أى إذا قيس هذا بهذا الخ . ويحتمل على بُعد أن يكون معنى متاع أنها متاع للآخرة مقصودة على أن تكون وسيلة لها ، لا أنها هى محط القصد الذاتى حتى يقصروا فرحهم عليها ويعرضوا عن النعيم المقيم والثواب العظيم . هـذا وكون معنى (يقدر) يضيق ، مأخوذ من قولهم : جعل كذا قدر كذا ، أى لم يزد عليه . فالمعنى جعل رزقه كفافا على قدر حاجته لم يعطه سعة من العيش ، بل أعطاه على قدر ما يستطيع أن يعيش به وكفى .

قال تعالى : « ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ، قل إن الله يضل من يشاء ويهدى إليه من أناب » .

لقد رأيت الآيات البينة تترى فى هذه السورة من أولها ، وكلما انتهت آية تلتها آية ، وكلها حجج بالغة وبراهين قاطعة دالة على ما سيقت له أوضح دلالة ، وشاهدة بصدق ما ادعاه صلى الله عليه وسلم من قدرة ربه وسعة علمه وباهر حكمته ، الى غير ذلك مما سبق . ثم لم يكفهم هذا كله فيجىء منهم ذو الوجه الجامد من الكافرين ويقول : « لولا أنزل عليه آية » كأن هـذه الآيات كلها ليس فيها آية « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرُجون لقالوا إنما سُكّرت أبصارُنا بل نحن قوم مسحورون » « إن الذين حقّت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يرَوا العذاب الأليم » لا لا ، ليست المسألة إنزال آية ، فقد أنزلت الآيات والنذر ، وأيد صلى الله عليه وسلم من ربه بما فيه مقنع لمن ألقى السمع وهو شهيد ، ولم يبق إلا أن يرى مبصر ويسمع واعى فليس الأمر أمر آية ، وإنما هو ما أمر به نبيه أن يقوله لهم بقوله عز من قائل : «قل إن الله يضل من يشاء ويهدى إليه من أناب» فمن يضلل الله فلا هادى له ومن يهد الله فلا مضل له . وكيف يطلبون إنزال آية وهذا القرآن يتلى عليهم وكل جزء منه آية ؟ !

ولقد تنوعت وجوه الإعجاز فيه حتى لم يبق عذر لمتذر ولا علة لمتعالل . لقد جاء فيه الإعجاز البلاغى مع تحدى القوم البلغاء الذين أفنوا عمرهم فى تخيّر الأساليب البلاغية حتى بزوا فيها العالمين وبلغ من عنايتهم بها أن دونوا ما شهدوا له بالبلاغة فى أقدس الأمكنة مكتوبا بأغلى مداد ، فالذين جعلوا البلاغة ديدنهم قد تحداهم القرآن فما جرأ واحد منهم أن يتصدى لمعارضته ، وما كان أقدرَهم — لو أن الأمر عادى — على أن يقول بليغهم ما يقول ويشهد له بقيتهم بما يريد من الترجيح ، ولكن القوم كانوا أعقل من أن يتصدوا للافتضاح ، فرضوا بمقارعة السيوف ، تأكلهم الهزيمة ، ويفنيهم السيف ، ويجلَون عن ديارهم ، ولم تحدثهم نفسهم أن يتصدوا لمعارضته ، اللهم إلا مأفونا فضح نفسه بنفسه ، فكان الأضحوكة والسخرية . ومن قهر مثل هؤلاء فهو لغيرهم أقهر .

وغير البلاغة تجـد فيه من وجـوه الإعجاز شتى الأنواع . فمن البراعة فى التشريع الإلهى والاجتماعى والخلقى ، الى الاخبار بالمغيبات الماضية أو المستقبلة .

ولو لم يكن فيه من الأخبار المستقبلة سوى التحديث عمن كانوا ينازعونه من أهل الكتاب أنهم لن يحصل من أحدهم تمنى الموت فلم يحصل ، لكفى ، ذلك قوله تعالى : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عندالله خالصةً من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبدا » . أفترى لو كان الأمر عاديا كان يجوز أن يتورط عاقل فيقول : إن آية صدق أنه لا يقول أحد منكم ليتنى أموت ؟ أفيأمن أن يجىء مكابر ويقول هذه الكلمة الخفيفة ، فيقيم بها الدليل على أن ذلك المتحدى لم يتحر الحقيقة ؟ وهل لو قالها كان يستطيع المدعى أن يقول أنت تقولها بلسانك ؟ إذاً يقال له : فمن أين لك هذا ، لقد أخبرت أنا لن نتمنى الموت ، وها أنذا أتمناه . وكم كان يكون لها من صدى ولا سيما عند قوم كانوا يتلمسون له هفوة يتمسكون بها ، حتى إنهم حينما قال قائلهم عند نزول قوله تعالى : « إنكم وما تعبدون من دون الله حصَبُ جهنم » قال : أليس عيسى قد عبد ؟ أليست الملائكة قد عبدوا ؟ فقاموا يحيصون فرحين بحجة أوتوها حتى

قال صلى الله عليه وسلم : « ما أجهلك بلغة قومك : ما لما لا يعقل » ؛ فبهت وبهتوا . فقوم كان حرصهم على تلمس أوهى الحجج بهذا المقدار هل كانوا يفوتون على أنفسهم هذه الفرصة تعطى لهم من قبل خصمهم، يقول لهم: إنى أحدث عن ربى أنكم لن يستطيع أحد منكم أن يقول ليتنى أموت ، فينظرون إليه واجين ولا يلفظ فم أحدهم هذه الكلمة الخفيفة وفيها نجاتهم من سبى نسائهم وقتل رجالهم ؛ اللهم إن الأمر أبين من أن يتوقف على آية ، ولكن الله يضل من يشاء ويهدى إليه من أناب .

ولا تظن أن الآيات التى أُيد بها المصطفى صلى الله عليه وسلم مقصورة على القرآن ، وإن كان هو أعظمها شأنا ، وهو الباقى من بينها مسايرا للشريعة الباقية بقاء الدهر حتى لا يدخل فيها أحد على غير بينة ويقول : « إنا وجدنا آباءنا على أمّة وإنا على آثارهم مقتدون » لا لقد أيد صلى الله عليه وسلم بآيات حسية من نبع الماء من بين أصابعه وحنين الجذع ، وردّ عين قتادة ، وشق القمر ، وكشف بيت المقدس له وهو فى مكة حتى وصفه لهم وصف من يشاهد ، ورؤية العير قادمة من الشام والتحديث عنها بأنها ستصل وقت كذا ، وغير ذلك مما بلغ بمجموعه حد التواتر حتى لو كان بعض تلك الآيات قد روى آحادا فلا شك أن المجموع متواتر ، وهذا ما يسمى بالتواتر المعنوى كجود حاتم ، وشجاعة على . فالوقائع الجزئية فيهما تروى آحادا ولكن المعنى المشترك بينها متواتر لا يقبل الشك ولا التشكيك .

هذا وكلمة «أناب» معناها رجع ، كأنها من النوبة ، أى رجع الى نوبة الخير وارتياد الحق والصواب . والتعبير فى جانب الهداية بقوله : «اليه» أى الى دينه وشريعته والتقرب منه ، وترك ذلك فى جانب الإضلال لبيان أن الهداية لها وجهة معينة يتجه اليها المهتدى وهى الزلفى الى ربه ، بخلاف الضلال فإنه سير على غير هدى وكدح فى غير غاية ، فهو متخبط متردد متحير ، فلا وجهة له ولا غاية يرمى اليها . واختيار صيغة المضارع فى يشاء لبيان أن ذلك يتجدد بتجدد مشيئة الله حسبما يليق بكل شخص شاء إضلاله . واختيار

الماضى فى جانب الاهتداء ليحث من ندّت منه نفسه وشرد عقله على أن يكبح جماحه ويكفكف من غربه ، ويرجع نفسه الى تلق الهدى من ربه ، فإنه متى استعد لقبول هداه أسعفه مولاه ، فكأن الاستعداد للقبول سابق على منح السول .

نسأل المولى القدير أن يهبنا هدايته ، ويجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه حتى نكون من المنيبين اليه ، فتفيض علينا الهداية من لديه ، فهو نعم المولى ونعم النصير !

ابراهيم الجبالى

احتمال المشاق فى سبيل الرغائب

قال امرؤ القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة ... كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل ... وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

وقال أبو تمام الطائى :

أعاذلتى ما أخشن الليل مركبا ... وأخشن منه فى الملمات راكبه
ذرينى وأهوال الزمان أقاسها ... فأهوالها العظمى تليها رغائبه

وقال كعب بن زهير :

وليس لمن لم يركب الهول بغية ... وليس لرحل حطه الله حامل
إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا ... أصبت حليما أو أصابك جاهل

وقال بليغ :

من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب ، ومن طلب العظائم خاطر بعظيمه .

وقال حكيم :

لا ينبغى للعاقل أن يكون إلا فى إحدى منزلتين : إما فى الغاية من طلب الدنيا ، وإما فى الغاية من تركها . ولا ينبغى له أن يرى إلا فى مكانين : إما مع الملوك مكرما ، وإما مع العباد متبتلا . ولا يعد الغرم غرما إذا ما ساق غنما ، ولا الغنم غنما إذا ساق غرما .

وقال عمر بن عبد العزيز لدكين : إن لى نفسا تواقة ، وإن نفسى تاقت الى أشرف منازل الدنيا فلما بلغته وجدتها تتوق الى أشرف منازل الآخرة .

ولا يخفى أن عمر بن عبد العزيز هذا تولى الخلافة فكان أعدل خلفاء بنى أمية .

تشريح الميت

رد على رد

كتبنا فى العدد السابع والثامن من السنة الماضية من هذه المجلة كلمة عن تشريح الميت . وقد رأينا للشيخ العربى (بوعياد الطنجى) ردا علينا ببعض المجلات ، نقفك اليوم على أهم ما جاء فيه ، ثم نعلق عليه بما يحق الحق ويبطل الباطل إن شاء الله ، فنقول :

إن فتوانا فى تشريح الميت بجملة كثيرا ، فإننا لم نعرض فيها لجزئية خاصة ولا لحادثة معينة ، ولم نطلق فيه الجواز إطلاقا بل قيدناه بالضرورة ، وجعلناها علة الحكم الذى يدور معها وجودا وعدما . وقد حذرنا فى آخر كلمتنا الأطباء وأولى الأمر من التوسع فى ذلك الموضوع ، وأمرناهم أن يقتصروا على قدر الضرورة ، وقلنا لهم : « إن الناقد بصير والمهيمن قدير » . وهذا صريح فى أننا نطالبهم بالاقتصار على مقدار الضرورة ولا نبيح لهم أن يتجاوزوها بحال من الأحوال ، خصوصا فى كلمتنا الثانية التى بالعدد الثامن . ومن المعلوم الذى لا شك فيه أن هناك من الضرورات ما يجب أن نحكم معه بجواز تشريح الميت ، كما إذا توقفت تبرئة ساحة متهم ظلما على تشريح الميت الذى يظهر منه أنه غير مجنى عليه مثلا . ويقول صاحب الرد :

« معلوم أن شهادة هؤلاء المشرحين غير معتبرة شرعا ولا مقبولة فى مذهب من مذاهب الاسلام حتى تثبت عدالتهم »

ونقول له أولاً : إن هذا حكم قاس جدا ، فإن كثيرا من الأطباء لا يشك فى صدقهم وعدالتهم . على أن ذلك من باب الأخذ بالقرائن التى يعتبرها الشرع ، كما بينه ابن القيم فى السياسة الشرعية ، وصاحب معين الحكام وغيرهما من المحققين ، وستسمع شيئا عن القرافى المالكى فى ذلك .

والدين لا يهمل الحقيقة متى ظهرت ، ولا يعدو الحق متى تبيّن . وهكذا يجب أن نفهم الدين وننزل الوقائع عليه . ونحن فى زمان قلما نصل فيه الى الإثبات الشرعى من طريق واحد ، فلا يجوز أن نهمل بقية الطرق التى تؤدينا اليها ، بل قد تجعلها لمس اليد ورأى العين . وقد طبق العلماء كثيرا من تلك الجزئيات على ما جاء فى الشريعة من قواعدها العامة وكلياتها التى تسع ذلك كله على ما ستسمع ، علما منهم أن الشريعة الاسلامية يمكن تطبيق أصولها الكلية وروحها التى لا تعرف إلا الحق ولا تريد إلا جلب المصلحة ودرء المفسدة على كل ما يعرض للناس من أحوال وأقضية بمقتضى نظرها السامى وحكمتها البالغة .

فروحها الذى هو تنزيل من حكيم حميد يبعث فى أحكامها العادلة كل معانى الحيوية والنمو والصلاحية لكل ما يرقى العمران ، ويعود بالخير على بنى الانسان فى كل زمان ومكان . فإذا أمكن أن نخلص مسلما من المسلمين يتهم ظلما بما هو برىء منه بأى طريق من الطرق دون أن نحتم على أنفسنا سلوك طريقة واحدة قد لا تصل بنا الى الغاية المنشودة من إحقاق الحق وإقراره فى نصابه ، وجب ذلك وتحتم علينا أن نخلص المسلم ونحقن دمه ما أمكن ، وأن نحافظ على حقوقه ما وجدنا الى ذلك سبيلا . وارتكاب أخف الضررين واجب بالاتفاق . وهى قاعدة من القواعد التى اتفق عليها العقل والنقل .

وأرانى مسوقا لأن أنقل لك عبارة القرافى المالكى بطولها فى كتاب الذخيرة لما لها من المناسبة التامة لهذا المقام ، وما فيها من الفوائد الجمة التى تناسب حكمة الشريعة ونظرها البعيد ، قال رحمه الله :

واعلم أن التوسعة على الحكام فى الأحكام السياسية ليس مخالفا للشرع بل تشهد له الأدلة المتقدمة ، وتشهد له أيضا القواعد الشرعية من وجوه :

(أحدها) أن الفساد قد كثر وانتشر بخلاف العصر الأول ، ومقتضى ذلك اختلاف الأحكام بحيث لا تخرج عن الشرع بالكلية ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر

ولا ضرار » . وترك التوسعة التى تقتضيها السياسة الشرعية مؤد الى الضرر لا محالة . ويؤكد ذلك جميع النصوص الواردة بنفى الحرج .

و (ثانيها) أن المصلحة المرسلة قال بها جمع من العلماء — خصوصا المالكية — وهى المصلحة التى لم يشهد الشرع باعتبارها ولا بإلغائها . ويؤكد العمل بالمصالح المرسلة أن الصحابة رضى الله عنهم عملوا أمورا كثيرة لمطلق المصلحة لا لتقدم شاهد بالاعتبار ، نحو كتابة المصحف ، ولم يتقدم فيه أمر ولا نظير . وكذلك ترك الخلافة شورى بين ستة ، وتدوين الدواوين ، وعمل السكة للمسلمين ، واتخاذ السجن ، وغير ذلك مما فعله عمر وغيره من الصحابة رضى الله عنهم ، كهدم الأبنية التى بإزاء المسجد ، أعنى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، والتوسعة بها فى المسجد عند ضيقه ، وحرق المصاحف وجمعهم على مصحف واحد ، وتجديد أذان الجمعة بالسوق مما فعله عثمان رضى الله عنه ، وغير ذلك كثير جدا فعل لمطلق المصلحة .

و (ثالثها) أن الشرع شدّد فى الشهادة أكثر من الرواية لتوهم العداوة ، فاشترط العدد والحرية ، ووسّع فى كثير من العقود للضرورة ، كالعرايا والمساقاة والقراض وغيرها من العقود المستثناة ، وضيّق فى الشهادة فى الزنا ، فلم يقبل فيه إلا أربعة يشهدون بالزنا كالمِروَد فى المُكحُلة ، وقبل فى القتل اثنين ، والدماء أعظم ، لكن المقصود الستر ، ولم يحوج الزوج الملاعن إلى بينة غير أيمانه ، ولم يوجه عليه حد القذف بخلاف سائر القَذَفة لشدة الحاجة للذب عن الأنساب ، وصون العيال والفرش عن أسباب الارتياب . وهذه المباينات والاختلافات كثيرة فى الشرع لاختلاف الأحوال ، فلذلك ينبغى أن يراعى اختلاف الأحوال والأزمان ، فتكون المناسبة الواقعة فى هذه القوانين السياسية مما شهدت لها القواعد بالاعتبار ، فلا تكون من المصالح المرسلة ، بل أعلى رتبة ، فتلحق بالقواعد الأصلية .

و(رابعها) أن كل حكم فى هذه القوانين ورد دليل يخصه أو أصل يقاس عليه . الى أن قال: وإن لم نجد فى جهة إلا غير العدول أقمنا أصلحهم وأقلهم فجورا للشهادة عليهم . ويلزم مثل ذلك فى القضاة وغيرهم لئلا تضيع المصالح وتتعطل الحقوق والأحكام (وما أظن أن أحدا يخالفه فى هذا ، فإن التكليف مشروط بالإمكان) . وإذا جاز نصب الشهود فسقة لأجل عموم الفساد ، جاز التوسع فى الأحكام السياسية لأجل كثرة فساد الزمان وأهله . وقد قال عمر بن عبد العزيز : سيحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور . قال القرافى : ولا نشك أن كثيرا من قضاة زماننا وشهودهم وولاتهم وأمنائهم لو كانوا فى العصر الأول ماولوا ولا عرج عليهم ، وولاية هؤلاء فى مثل ذلك العصر فسوق ، فقد حسن ما كان قبيحا ، واتسع ما كان ضيقا ، واختلفت الأحكام باختلاف الأزمان . الى أن قال :

ولذلك قال الشافعى رضى الله عنه : ما ضاق شىء إلا اتسع . يشير الى هذا الموطن . فكذلك إذا ضاق علينا الحال فى درء المفاسد اتسع كما اتسع فى تلك المواطن .

و(خامسها) وهو مما يستأنس به — أن أول بدء الانسان من زمن آدم عليه السلام كان الحال ضيقا فأبيحت الأخت لأخيها ، وكذلك أشياء كثيرة وسع الله تعالى فيها . فلما تغير الحال وكثرت الذرية حرم ذلك فى بنى إسرائيل ، وحرم السبت والشحوم والإبل وأمور كثيرة ، وجعل توبة أحدهم بالقتل لنفسه ، وإزالة النجاسة بقطعها . الى غير ذلك من التشديدات .

ثم جاء آخر الزمان وضعف الجسد وقل الجلد ، فلطف الله بعباده ، فأحلت تلك المحرمات وقبلت التوبات . فظهر بذلك أن الأحكام والشرائع قد راعى فيها الله تعالى ، وهو الحكيم العليم ، اختلاف الزمان ، وذلك من لطف الله عز وجل وسنته الجارية فى خلقه ، وظهر أن هذه القرائن لا تخرج عن أصول القواعد ، وليست بدعا عما جاء به الشرع المكرم . الى أن قال :

ومن النـاس من توهموا أن السياسة الشرعية قاصرة عن سياسة الخلق ومصلحة الأمة ، فتعدوا حدود الله ، وخرجوا عن الشرع الى أنواع من الظلم والبدع فى السياسة على وجه لا يجوز ، وسبب ذلك الجهل بالشريعة . وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن من تمسك بالـكتاب والسنة لن يضل . انتهى كلام القرافى ، وهو نفيس جـدا ، إلا أننا نحذر الناظر فيه من توسع الجهلاء ومراعاة الأهـواء ، ونحتم أن يكون ذلك من أهله العارفين بروح الشريعة المحتاطين فيما يقولون ويكـتبون .

ولنرجع الى موضوعنا الأصلى فنقول :

إن من الواضح جدا قياس التشريح لإنقاذ حياة مسلم مثلا على المال الذى قال كثير من الفقهاء : إن الميت يشق بطنه لإخراج ذلك المـال الذى ابتلعه قبل موته .

وقد قال الشيخ العربى فى قيـاس تشريح الميت على شق بطنه لإخراج مال ابتلعه على ما قرره الفقهاء : « إن هـذا الفرع باطل فى نفسه ، فـكيف يلحق به ما هـو أبطل منه » ؟

ونقول أولًا : إن هذا ليس ردا علينا فقط ، بل هو أيضا فى معنى الرد على جميع الفقهاء الذين قرروا هذا الفرع الباطل فى زعمه . ولم يقتصر الشيخ العربى على إبطال هـذا الفرع الذى قرره الفقهاء وهو شق بطن الميت لإخراج مال ابتلعه ، بل أنـكر أن يكون مرويا عن الأئمة والعلماء ، حيث يقول : « إذ معاذ الله أن يصدر من الأئمة المجتهدين والعلماء العاملين الموصوفين بالخشية والخوف من الله تعالى وتعظيم حرماته القولُ بإباحة هتك حرمة الميت المسلم التى أمر الشارع بحفظها ، وجواز بقر بطنه من أجل مال مقدر بنصاب السرقة لا يسمن ولا يغنى من جوع الخ » .

فأنت ترى أن الشيخ العربى يتوصل لإبطال القياس بأن ماقرره الفقهاء من جواز شق بطن الميت إذا ابتلع مالا باطل فى نفسه ، وأن الأئمة المجتهدين الموصوفين بالخشية والخوف من الله تعالى لم يصدر عنهم القول بهذا الفرع .

وسيمر بك من النصوص، ورواية هذا الفرع عن أئمة المذاهب الأربعة، ما تحكم معه على الشيخ العربي بأنه يرى أن أولئك الأئمة القائلين بهذا الفرع غير موصوفين بالخشية والخوف من الله تعالى. وهذا الحكم عظيم صدوره من أمثال الشيخ العربي.

ولا أدري كيف ينكره هذا الإنكار القاطع مع أنه منصوص في كتب الفقه، وثابت عن الأئمة الأربعة، وإن اختلفت فيه الأنظار وتنوعت فيه العبارات؟ على أنه اعترف به بعد ذلك كما يعلم من مراجعة كلامه.

ولا أدري كيف لم يلتفت الى هـذا التناقض الواضح مما يدل على أنه كان يكتب بالعاطفة لا بالتحرى. (ولهذا أوصانا بالغرباء كأننا لم نكتب ما كتبناه إلا بقصد الإضرار بهم).

هذا ومسألة المال الذى ابتلعه وشق بطنه من أجله، تكلم فيها العلماء الفطاحل فى كل المذاهب كما قلنا.

ولنسق للقارئ الكريم بعض تلك الأقوال، ولنبدأ منها بكلام المالكية فى أشهر كتبهم التى بين أيدينا فضلا عن غيرها، وستقضى العجب العجاب عند ما ترى تلك النصوص التى جهلها الشيخ العربى وهو من أفاضل علماء المالكية، والنصوص فى أقرب الكتب وأشهرها. فسبحان من يتصرف فيمن يشاء كما يشاء. وهـذه هى النصوص:

قال خليل «وبقر عن مال كثر ولو بشاهد ويمين»:

قال الخرشى فى شرحه: «البقر عبارة عن شق جوف الميت، يعنى أن من ابتلع مالاً له أو لغيره ثم مات فإنه يشق جوفه فيخرج منه إن كان له قدر وبال بأن يكون نصابا، وهل نصاب الزكاة أو السرقة؟ قولان. وقال ابن حبيب بعدم البقر. قال فى التوضيح قال شيخنا: ينبغى أن يكون الخلاف إذا ابتلعه لقصد صحيح كخوف عليه أو لمداواة، وأما إن قصد قصدا مذموما كحرمان وارثه فلا ينبغى أن يختلف

فى وجوب البقر لأنه كالغاصب . وقيده ابن بشير بما إذا كان للميت مال يؤدى منه ، وإلا فلا ينبغى أن يختلف فى استخراجه . ولا فرق بين أن يثبت الابتلاع ببينة أو بشاهد ، ويحلف المدعى لذلك معه . واليه أشار بقوله : « ولو بشاهد ويمين » .

وقال فى الشرح الكبير للدردير على عبارة خليل السابقة (وبقر) : أى شق بطن ميت (عن مال) له أو لغيره ابتلعه حيا (كثر) بأن كان نصابا (ولو) ثبت (بشاهد ويمين) . ومحل التقييد بالكثير إذا ابتلعه لخوف عليه أو لمداواة ، أما لقصد حرمان لوارث فيبقر ولو قل اه

وقال الأمير فى المجموع وشرحه : (وشق بطنه) أى الميت (عن كثير) نصاب زكاة (ولو بشاهد ويمين) .

وقال الشيخ حجازى فى حاشيته عليه عند قوله (نصاب الزكاة) : ظاهره أنه لا يبقر عن الأقل ولو كدينار مثلا ، مع أن له بالا . ولو قيل يبقر عما له بال كان أولى . واستظهر الشيخ الأمير فى حاشيته إحالة ذلك على العرف وأنه يختلف باختلاف الأحوال .

ولو شئنا لنقلنا لك كثيرا من نصوص المالكية . فلنقتصر على هذا . ولننقل لك نصوص المذاهب الأخرى حتى تعلم أن المسألة معروفة مشهورة لدى أرباب المذاهب الأربعة ، فنقول :

قال ابن قدامة الحنبلى المتوفى سنة ٦٢٠ فى شرح المغنى عند شق بطن الأم الميتة لإخراج الجنين منها : « ويحتمل أن يشق بطن الأم إن غلب على الظن أن الجنين يحيا ، وهو مذهب الشافعى ، لأنه إتلاف جزء من الميت لإبقاء حى ، فجاز ، كما لو خرج بعضه حيا ولم يمكن خروج بقيته إلا بشق ، ولأنه يشق لإخراج المال منه فلإبقاء الحى أولى» .

فأنت ترى أنه فى التعليل قاس مسألة الشق لإخراج الجنين على مسألة الشق لإخراج المال قياسا أولويا كما قلنا . الى أن قال ابن قدامة فى مسألة المال :

« يحتمل أنه إن كان يسيرا ترك ، وإن كثرت قيمته شق بطنه وأخرج ، لأن فيه

حفظ المال عن الضياع ونفع الورثة الذين تعلق حقهم بما له بمرضه » . ومن جملة ماذكره احتمالا أنه يشق إن كان كثيرا للغير ، لأن فيه دفع الضرر عن المالك برد ماله اليه ، وعن الميت بإبراء ذمته ، وعن الورثة بحفظ التركة لهم .

ولننقل لك عبارته فى فصل عقده فى بيان ما إذا كان الميت فى بئر فيه بخار خانق بأن انعدم الاكسوجين الذى هو عنصر الهواء الصالح للتنفس (ج ٢ ص ٤٠٧) لما فيها من زيادة الفائدة و بيان أنظار العلماء فى أمثال تلك المسائل :

« وإذا شك فى زوال بخاره (يريد البئر) أنزل اليه سراج أو نحوه ، فإن انطفأ فالبخار باق ، وإن لم ينطفئ فقد زال ، فإن النار لا تبقى إلا فيما يعيش فيه الحيوان ، وإن لم يمكن إخراجه إلا بمثلة ولم يكن الى البئر حاجة ، طمت عليه فكانت قبره ، وإن كان طمها يضر بالمارة أخرج بالكلاليب ، سواء أفضى الى المثلة أو لم يفض ، لأن فيه جمعا بين حقوق كثيرة : نفع المارة ، وغسل الميت . وربما كانت المثلة فى بقائه أعظم لأنه يتقطع وينتن ؛ فإن نزل على البئر قوم فاحتاجوا الى الماء وخافوا على أنفسهم فلهم إخراجه وجها واحدا وإن حصلت مثلة ، لأن ذلك أسهل من تلف نفوس الأحياء . ولهذا لو لم يجد من السترة إلا كفن الميت واضطر الحى اليه ، قدم الحى ؛ ولأن حرمة الحى وحفظ نفسه أولى من حفظ الميت عن المثلة ، لأن زوال الدنيا أهون على الله من قتل مسلم ، ولأن الميت لو بلع مال غيره شق بطنه لحفظ مال الحى ، وحفظ النفس أولى من حفظ المال اهـ.

هذا كلام ابن قدامة ، وفيه من الفقه والعلم ما تفهم معه أن الفقهاء راعوا حرمة الميت عملا بالنصوص ما لم تتعارض مع مصالح حقيقية للحى كالإبقاء على نفسه أو ماله ، ولم يقفوا جامدين عند ظاهر النصوص التى تأمر بإكرام الميت وعدم إهانته دون أن ينظروا الى ما يعارضها من أدلة الشرع الأخرى .

وقال فى المهذب ، وهو من أعظم كتب الشافعية : « وإن ابتلع الميت جوهرة لغيره وطالب بها صاحبها ، شق جوفه وردت اليه ، وإن كانت الجوهرة له ففيه وجهان :

أحدهما يشق لأنها صارت للورثة فهي كجوهرة الأجنبي . الثاني لا يجب لأنه استهلكها في حياته فلم يتعلق بها حق الورثة» . قال شارحه النووي في المجموع : «أما إذا بلع جوهرة لغيره أو غيرها ففيه طريقان ، الصحيح منهما ، وبه قطع المصنف والأصحاب في معظم الطرق ، أنه إذا كان طلبها صاحبها شق جوفه وردت الى صاحبها . والطريق الثانى فيه وجهان ممن حكاه المتولى والبغوى والشاشى أصحهما هذا . والمشهور للأصحاب إطلاق الشق من غير تفصيل . أما إذا بلع جوهرة لنفسه فوجهان مشهوران ، ذكر المصنف دليلهما قلَّ من بيّن الأصح منهما مع شهرتهما ، فصحح الجرجانى في الشافى والعبدرى في الكفاية الشق » .

وقال أبو حنيفة وسحنون المالكى : يشق مطلقا . الى غير ذلك وهو كثير .

فمسألة كهذه كثر فيها الخلاف لكونها محل اجتهاد لا ينبغى التنازع فيها ولا كثرة الجدال . ولكل رأيه ووجهة نظره ، مع تأكدنا حسن النية من فضيلة الأستاذ الشيخ العربى .

أما قوله : إن هذا قياس فى محل النص مستندا إلى الأحاديث التى تنهى عن إيذاء الميت ، فهو عجيب ، لأن ذلك لو خالف النص لم يكن لهذا الفرع وجود فى كتب الفقهاء ، فإنّ شق البطن إهانة للميت ، وهو مصادم لهذه النصوص على فهم الشيخ العربى .

والحقيقة أن الأحاديث التى نهت عن إهانة الميت ليست نصا فيما يريد ، ولا هى واردة فى محل النزاع ، فإن موردها فعل ذاك استهانة بالميت كما يفيده سبب ورود الحديث ، وهو أن حفارا أخرج عظما (ساق أوعضد) فذهب ليكسره فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تكسرها فإن كسرك إياه ميتا ككسرك إياه حيا ولكن دسه فى جانب القبر » .

أما محل النزاع فهو ما تتعارض فيه المصلحة والمفسدة ، ثم تكون المصلحة فيه أرجح من المفسدة . وقد عرف العلماء ذلك فقالوا ما قالوا فى مسألة الجنين الذى فى بطن الميت ،

ومسألة المال الذى ابتلعه الميت ، ولم يروا فى ذلك مخالفة لهذه الأحاديث التى ظنها حضرته نصوصا فى الموضوع وما هى منه فى قليل ولا كثير .

أما تقدم علم الطب بالتشريح فلم نجعلها أساسا لذلك ، ولكن ذكرناها على سبيل العلاوة والتكميل كما يعرف من مراجعة كلامنا .

هذا ودعوى أن تشريح الحيوان مثل تشريح الانسان ، كما قال بعض الكاتبين ، دعوى لايقرها العلم كما هو معروف . وأبطل منها دعوى أن علم التشريح قد وصل الى غايته حتى أصبح وليس فيه زيادة لمستزيد . دعوى يضحك منها الباحثون والمكتشفون . وناهيك ما يقررونه الآن فى الغدد وآثارها العجيبة مما لم يحلم به الأولون .

ولنذكر لك ما جاء فى بعض أعداد مجلة الهلال إجابة لطلب بعض قراء المجلة الذين ألحوا علينا أن نتوسع فى ذلك الموضوع الذى يهمهم كثيرا (ولعل الشيخ العربى يقول إن صاحب الهلال مسيحى ينقل عن المسيحيين ثم يقوم فيرد علينا بذلك) .

ولندع هذا وما يشبهه ونقل لك ما جاء فى تلك المجلة ، قال ما خلاصته :

« إن فى الانسان ما يشبه الأزرار الكهربائية إذا ضغطت أثرت فى جسمه نموا وسمنا وقصرا وطولا وانتقالا من طور الى طور وهلم جرا ، وهذه الأزرار هى الغدد المنقطعة أى التى تفرز سوائلها بدون قنوات . فالسائل يخرج مباشرة الى الدم لاتحمله الى الأعضاء قنوات خاصة . فالكبد مثلا غدة كبيرة بل هى أكبر غدة فى جسم الانسان ولكنها ليست منقطعة ، إذ هى تفرز الصفراء فى الأمعاء بواسطة المرارة . فالمرارة قناة تحمل الصفراء من الكبد الى الأمعاء ، ولكن الغدة الدرقية التى تقع فى أسفل الحنجرة تفرز سائلها فى الدم مباشرة . فهى لذلك غدة منقطعة » الى أن قال :

« إننا نرى فى الانسان بعد أن يعدو طور الجنين أن تشبيه الغدد بالأزرار الكهربائية ليس من المبالغات . فبعض الأطفال مثلا تمرض فيهم الغدة الدرقية فيبقون أطفالا

من حيث الذهن ونمو الجسم مدى حياتهم ، ولا يمكن أن يبلغوا سن الرجولة العقلية والجسمية ما لم يغذ دمهم بالغدة الدرقية المستخرجة من الفرس » . الى أن قال :

« فنحن الآن فى البيولوجية كما كنا فى الكيمياء قبل مائتى سنة . فإذا دخلنا فى دور التجارب فإننا سنرى العجائب من الغدد » . الى أن قال :

« ولسنا ندرى الآن على وجه التحقيق ما هى تلك الغدد التى تجعل الأوربى حديد المزاج قوى الطبع فى حين أن الصينى خامل الذهن عديم النشاط » ؟ الى أن قال :

« والخلاصة أنه انفتح للغدد ميدان ، وهو كنز واسع لا يزال يعد بكرا أو كالبكر فى أيدينا مفاتيحه ، ولكننا لم نتمرن بعد على فتح مغاليقه بها » .

ومن ذا يستطيع أن يقول إن العلم له غاية ؟ ويعجبنى قول بعضهم : إن الغاية اسم بلا مسمى ، ومايتراءى من وجودها فإنما هو بحسب العقل البشرى والخيال الانسانى . وهكذا يجب أن تكون سعة الربوبية وتصرفاتها ، وآثار قدرتها التى لا نهاية لها ، والتى يرينا العلم كل يوم من آياتها العجائب والغرائب ، خصوصا فى الانسان الذى لا تنتهى عجائبه : «فى أى صورة ما شاء ركّبك» «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» «ذلك تقدير العزيز العليم» . « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

فكيف يدعى مدع بعد ذلك كله أن تركيب الانسان مثل تركيب الحيوان ، أو أن علم التشريح بلغ غايته ، والغاية مفقودة المسمى فى هذا العالم ؟

أسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم ، وأن يجنبنا الإفراط والتفريط فى القول والعمل بمنه وكرمه .

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

باب الأسئلة والفتاوى

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما خلاصته :

فى الميراث

رجل توفى عن بنتين ، وابن ابن ، وأولاد أخ شقيق ، فهل يُحرَم أحد من هؤلاء الميراثَ ، أو يرثون جميعا ؟ وإذا ورثوا جميعا ، فما نصيب كلٍّ ؟ على عيد محمد

الجواب :

الميراث لابنتى المتوفى ، وابن ابنه ، وليس لأولاد الأخ الشقيق شىء ، فإنّ أولاد الأخ الشقيق إن كانوا ذكورا ، فهم محجوبون بابن الابن ، وإن كن إناثا ، فهن من ذوات الأرحام .

أما البنتان فلهما الثلثان فرضا ، وأما ابن الابن ، فله الثلث تعصيبا ، والله أعلم .

***

امرأة توفيت عن زوج ، وعن أم ، وعن أخت من أبيها ، وأخت وأخ من أمها ، وعن أولاد أخيها ذكورا من أبيها ، وعن أولاد عمها ذكورا وإناثا ، فمن يرث ، ومن لا يرث ؟ محمد جمعه

الجواب :

الميراث للزوج والأم والأخت من الأب ، والأخ والأخت من الأم ، ولا شىء لأولاد الأخ من الأب الذكور ، وأولاد العم الذكور والإناث ، لاستغراق الفروض التركة .

أما الزوج ، ففرضه النصف ، وأما الأم ، ففرضها السدس ، وأما الأخت من

الأب ، ففرضها النصف ، وأما الأخ والأخت من الأم ، ففرضهما الثلث ، لكل منهما السدس .

فبعد أن كانت التركة تقسم الى ستة أقسام ، قسمت الى تسعة ، وصار النصف ثلثا ، والسدس تسعا ، والثلث تسعين ، للزوج نصف عائل ، هو ثلاثة من تسعة ، وللأخت من الأب نصف عائل ، هو ثلاثة من تسعة أيضا ، وللأم سدس عائل ، هو واحد من تسعة ، وللأخ والأخت من الأم ، ثلث عائل ، هو اثنان من تسعة ، لكل منهما واحد ، والله أعلم .

* * *

امرأة توفيت عن أختها فقط ، فما نصيب الأخت إذا انفردت ، ولمن يكون الباقى ؟

فارسكور — ابراهيم أحمد الدسوقى

الجواب :

هذه الأخت ترث التركة كلها : ترث نصفها فرضا ، ونصفها الآخر ردًّا ، والله أعلم .

الحلف بالمصحف

رجل حلف على المصحف ألاّ يشرب « العرقسوس » ثم شرب ، فهل هذه يمين شرعية يلزمه أن يكفّرعنها ؟ حنفى محمد أحمد

الجواب :

اتفق المالكية والشافعية والحنابلة على أن الحلف بالمصحف يمين شرعية إذا أراد الحالف كلام الله القديم ، أو أطلق .

ومذهب الحنفية أن الحلف بالمصحف ليس يمينا شرعية . وقال العينى من الحنفية : « وعندى لو حلف بالمصحف ، أو وضع يده عليه ، وقال : وحق هذا ، فهو يمين ،

ولا سيما فى هذا الزمان الذى كثرت فيه الأيمان الفاجرة ، ورغبت العوام فى الحلف بالمصحف » وأقره على ذلك صاحب النهر .

فعلى أن الحلف بالمصحف يمين ، يلزم الحانثَ أن يكفّر ، وعلى أنه غير يمين لا يلزمه ذلك ، والله أعلم .

الطلاق

رجل حلف بالطلاق ثلاثا : « كلما تحل زوجته تحرم : ما يزوج ابنته بفلان » والبنت بالغ تريد التزوج به ، فهل هناك مخلص من وقوع الطلاق ؟

عطية عبد العال

الجواب :

إذا تزوجت هذه البنت فلانا المذكور فى السؤال بغير ولاية أبيها أو وكالته ، فلا يقع الطلاق ، والله أعلم .

الرضاع

بنت رضعت ثلاث مصّات ، فهل يحل لأبناء المرضعة التزوج بها ؟

حسين محمد دربال

الجواب :

إذا كان الرضاع فى مدته الشرعية ، فلا يحل لأبناء المرضعة التزوج بهذه البنت عند الحنفية والمالكية ؛ لأن قليل الرضاع وكثيره سواء فى التحريم عندهم .

ويحل لهم التزوج بها عند الشافعية والحنابلة ، لأنه لا يحرّم عندهم إلا خمسُ رضعات متفرقات ، والله أعلم .

القنوت بعد الركوع

ما الحكم فى صلاة مالكى يؤم الناس فى صلاة الصبح ، وقد اعتاد أن يقرأ القنوت بعد الرفع من الركوع الأخير ، ومن المأمومين من يتابعه فى ذلك ، ومنهم من يخر ساجدا ؟

أحمد حفنى الحادى

الجواب :

صلاة هذا الامام صحيحة عند المالكية ، إلا أن فيها مخالفة للأفضل ، وهو أن القنوت قبل الركوع الأخير على المشهور .

وأما المأمومون ، فمن تابع الإمام منهم فأمره واضح ، ومن خر ساجدا وتركه ، فإنه يجب عليه أن يرجع الى الإمام ليخفض بخفضه ، ويسجد بسجوده . فإن لم يرجع واستمر ساجدا حتى أدركه الامام ، وأخذ فرضه معه ، صحت صلاته . وإن رفع من السجود قبل أن يأخذ فرضه مع الإمام عامدا أو جاهلا ، بطلت صلاته ، والله أعلم ؟

كتابة القرآن الكريم

بالحروف اللاتينية

ما قول سادتنا العلماء — أيدهم الله — فى كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة ؟

عن الهيئة المركزية للرابطة العلوية

الرئيس الثانى
السيد أبو بكر بن محمد الحبشى العلوى

وكيل الكاتب الأول
السيد عبدالله بن أبى بكر بن سالم الحبشى العلوى

الجواب :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

أما بعد : فلا شك أن « الحروف اللاتينية المعروفة » خالية من عدة حروف توافق العربية ، فلا تؤدى جميع ما تؤديه الحروف العربية .

فلو كتب القرآن الكريم بها على طريقة النظم العربي — كما يفهم من الاستفتاء — لوقع الإخلال والتحريف فى لفظه ، وتبعهما تغيّر المعنى وفساده .

وقد قضت نصوص الشريعة بأن يصان القرآن الكريم من كل ما يعرضه للتبديل أو التحريف . وأجمع علماء الاسلام سلفا وخلفا على أن كل تصرف فى القرآن الكريم يؤدى الى تحريف فى لفظه أو تغيير فى معناه ، ممنوع منعا باتا ، ومحرم تحريما قاطعا .

وقد التزم الصحابة رضى الله عنهم ، ومن بعدهم الى يومنا هذا ، كتابة القرآن الكريم بالحروف العربية .

ومن هذا يتبين أن « كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة » لا تجوز ، والله أعلم .

حسين والى

رئيس لجنة الفتوى

فضيلة الصمت

قال أبو الدرداء : أنصف أذنيك من فيك ، فانما جعل لك أذنان اثنان وفم واحد لتسمع أكثر مما تقول .

وقال المهلب بن أبى صفرة : لان أرى لعقل الرجل فضلا على لسانه ، أحب الى من ان أرى للسانه فضلا على عقله .

وقال سالم بن عبد الملك : فضل العقل على اللسان مروءة ، وفضل اللسان على العقل هجنة .

وقال سالم بن حيان : صاحب الكلام بين منزلتين ، إن قصر فيه خصم ، وإن اعرق فيه أثم .

وقال أكثم بن صيفى : مقتل الرجل بين فكيه .

وقال شاعر :

الحلم زين والسكوت سلامة ... فاذا نطقت فلا تكن مكثارا

ما إن ندمت على سكوتى مرة ... إلا ندمت على الكلام مرارا

وقال بعض الحكماء :

حظى من الصمت لى ونفعه مقصور على ، وحظى من الكلام لغيرى ووباله راجع على .

الاسلام والطب الحديث

« إن مَثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » :

هـذه الآية تفسر ما قلناه سابقا فى حمل السيدة مريم ، وهو أن الملك والنفخ الخ إنما هى ملطفات لوقع المعجزة فقط ، وأما الحقيقة فإنه ما دامت السنن الإلهية قد بدلت فلاضرورة لطريقة مخصوصة ، فإن عقولنا لا تفهم إلا أن الله تعالى يقول: « كن فيكون ». وهنا وجه الشبه بين ولادة عيسى وخلق آدم ، وكلاهما من صنع الله مباشرة ، وعلى غير طريقة السنن الاعتيادية التى يبحث عنها الانسان ويجدها دائما لا تتبدل إذا تساوت ظروف التجربة ويمكن أن يكررها الانسان بنفسه مرارا ، وأما خلق عيسى وآدم فلا يمكن أن نفهم طريقته .

* * *

« إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيَكم أن يُمِدَّكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزَلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يُمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين » :

قد سبق تفسير هذه الآيات ، والله تعالى يخاطب الانسان بالطريقة التى يفهمها . والحقيقة أن الله ما دام قدر لهم النصر فلا ضرورة لأى عدد مخصوص يأتى لمساعدتهم . وكأن الله تعالى يخاطبهم حسب عقولهم ويقول لهم : إن صبرتم فإن النصر يكون أكمل وإن خمسة آلاف تقاتل معكم بدل ثلاثة آلاف .

* * *

« قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كُتب عليهم القتل الى مضاجعهم » :

هذه الآية تذكر الانسان بضعفه ، وأن موته ليس بيده ، وأنه لا يتحكم فى مستقبله

كما أنه لا يتحكم فى ولادته . ورب قائل يقول : ما دام الانسان فى بيته ولا يخرج منه فكيف يبرز منه ليقتل ؟ والحقيقة هى أن عقل الانسان الذى يحكم به على الأشياء فى حالاته الاعتيادية ، ويستعمله ليفر من الموت ، يجعله عرضة لتأثيرات عنيفة من الانفعالات العصبية التى تصيره فى حالة جنون وقتى قد يؤدى به الى الموت الذى كان يفر منه .

وأضرب لذلك مثلا شاهدته بنفسى ، وهو أن شيخا يبلغ من العمر فوق الستين يحب حياته ويخشى الموت ، ولا يأتمن أحدا على أن يعطيه الدواء حتى أقرب الناس اليه ، وكان يأخذ بنفسه حبة الدواء عند الحاجة الى النوم حتى يتأكد أنه لم يتعاط أكثر مما يجب . وقد حصل له فى ذات يوم انفعالات عصبية مع أرق اضطر معها الى أن يزيد كمية الحبوب المنومة ، ولكنه بدل أن يأخذ اثنتين أخذ أكثر من ذلك ، بل تناول كل ما كان فى الأنبوبة ، وكان سبب وفاته نفسه التى كان يفر بها من الموت .

وهذا معنى قوله تعالى « لبرز الذين كتب عليهم القتل » . أى أن الشخص الذى لا يخرج من منزله خوفا من الموت قتلا لا بد أن يموت قتيلا ، لو كتب عليه القتل : « قل إن الموت الذى تفرُّون منه فإنه ملاقيكم » .

وفى هذا إظهار لضعف الانسان وجهله ، فإن عدم المعرفة الكاملة يعرضه لأن يقع فيما كان يريد أن يتحاشاه . وهذا معنى المثل القائل : « نصف المعرفة أضر من عدم المعرفة » . فهذا الشيخ الذى يحب حياته ويحتاط لها ، عرف بالتجارب أن يأتمن نفسه على حياته أكثر مما يأتمن الذين حوله ، ولكنه كان جاهلا بعلم النفس ، ولم يعرف أن عقله ليس شيئا ثابتا ، وأنه يتقلب كثيرا بالمؤثرات ، وقد يكون أشد ضررا على نفسه ممن حوله ، وهو لو عرف ذلك أيضا فإنه يجهل أشياء أخرى . وهكذا يبقى الانسان طفلا أمام الحوادث ولا يصيبه إلا ما كتب له .

***

« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » :

تفسير هذه الآية ظاهر بعد ما قيل فى السنن الطبيعية والمعجزات . فأول المخلوقات سيدنا آدم ، ومنه زوجه . وقد خلق الاثنان بطريقة لا نعرفها . وأما باقى المخلوقات فإنها خلقت من هذه النفس الواحدة بطريقة التناسل ، وهى من السنن الطبيعية التى لا تتبدل إلا حيث يريد الخالق كما قلنا فى المعجزات . وهذا معنى الآية الكريمة « وهو الذى يبدأ الخلق » .

فهناك فرق بين خلق سيدنا آدم وبين خلق أى إنسان : فالأول خلق كاملا ، خلقه الله الذى يستحيل عليه النقص ، وأما باقى المخلوقات البشرية فقد خلقت بالسنن الإلهية ، وهذه السنن تتأثر بسنن إلهية أخرى ، ولذلك كان هناك تفاوت كبير فى كمالها بالنسبة للجسم والعقل .

وسأضرب لذلك مثلا : شخص يصاب بمرض الزهرى فيكون أولاده مرضى بدرجات مختلفة ، وقد يكون فى جسمهم جراثيم الزهرى ، وقد يكون منهم الأعمى والأصم والأبكم الخ ، أى أنهم يكونون غير كاملى الخلقة ، وقد يولد الطفل ميتا أو يعيش مدة قصيرة . وتفسير هذا النقص فى الخلقة هو أن خلق الانسان كما أنه نتيجة سنن طبيعية لا تتبدل ، كذلك حياة الجراثيم وحياة كل شىء إنما هى نتيجة سنن طبيعية أخرى . وقد اقتضت إرادة الله أن تعيش هذه الجراثيم على جسم الانسان ، فهى مضرة بالانسان ، ومضرة بنسله الذى هو جزء منه ، ولكنها لا تعيش إلا على جسم الانسان ، وتموت بعد مدة قصيرة إن بقيت بعيدة عنه . فالنقص الذى يظهر فى النسل مثل النقص الذى يحدث فى الجسم نتيجة حادثة طبيعية ، لأن الاثنين نتيجة سنن طبيعية .

وإذا سأل سائل : ألم يكن الله قادرا على أن يخلق كل فرد كاملا ؟ فالجواب : نعم ، إلا أن فى ذلك فائدة للنوع الانسانى ، وسنشرحها فى مقال آخر . والنقص الظاهر الفردى هو من كمال السنن الإلهية وكمال النوع الانسانى . فالشخص الذى يسقط من مكان عال

ويفقد رجله مثلا لا يقال إن خلقته ناقصة من أول تكوينه ، لأن ما طرأ عليه هو شيء نفهمه من القواعد الطبيعية . وكذلك الشخص الذى يعرض نفسه للجراثيم ويمرض وتنتقل الجراثيم الى نسله ، لا يكون نسله ناقصا من أول تكوينه ، ولكن المرض طرأ عليه حسب الناموس الطبيعى (الإلهى) . وهذه الأمراض التى يتعرض لها الانسان لا تخلو من فوائد جمة سأتكلم عنها فى تفسير آيات أخرى .

* * *

« إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ، إن الله كان عزيزا حكيما » :

هذه الآية الكريمة تقول : إن النار كلما أكلت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها . والسبب فى ذلك أن أعصاب الألم هى فى الطبقة الجلدية ، وأما الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية فالإحساس فيها ضعيف ، ولذلك يعلم الطبيب أن الحرق البسيط الذى لا يتجاوز الجلد يحدث ألما شديدا ، بخلاف الحرق الشديد الذى يتجاوز الجلد الى الأنسجة ، لأنه مع شدته وخطره لا يحدث ألما كثيرا . فالله تعالى يقول لنا : إن النار كلما أكلت الجلد الذى فيه الأعصاب نجدده كى يستمر الألم بلا انقطاع ، ويذوقوا العذاب الأليم . وهنا تظهر حكمة الله قبل أن يعرفها الانسان ، وكان الله عزيزا حكيما .

دكتور عبد العزيز اسماعيل

علامات الاذن بالانصراف

قال أصحاب معاوية له : إنا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك ، فأنت تكره أن تستخف بنا فتامرنا بالقيام ، ونحن نكره أن نثقل عليك بطول الجلوس ، فلو جعلت لنا علامة نعرف بها ذلك !

فقال : علامة ذلك أن أقول : إذا شئتم .

وقيل مثل ذلك ليزيد بن معاوية . فقال : إذا قلت ، على بركة الله .

وقيل مثل ذلك لعبد الملك ، فقال : إذا وضعت الخيزرانة .

الاسلام والفلسفة

— ٤ —

أشرنا فى الفصول السابقة الى رحوبة صدر الدين الاسلامى وتقبله التفكير الحر بثغر باسم ومحيا طلق ، بل أثبتنا أن مصدره الأساسى ، وهو القرآن الكريم ، قد أمر بالنظر والتأمل أمرا صريحا لاسبيل الى الشك فيه ، وأوجبهما على معتنق الاسلام من غير استثناء ، وقلنا إن هذا الأمر بالتأمل ميزة فى الاسلام قد اختص بها وفاق فيها جميع الديانات الموجودة الآن بين أيدينا ، وأنحينا باللائمة القاسية على أولئك المقلدين من المصريين الذين اندفعوا وراء علماء أوربا فى إثباتهم العداء بين الدين والفلسفة ، وقلنا لهم : إن كلمة الدين فى كتب الغربيين — لو تعلمون — معناها المسيحية .

ذكرنا كل هذا ثم أزمعنا أن نحلل بقدر المستطاع أشهر مشاهير فلاسفة الاسلام ، وأن نرد عليهم فيما أخطؤا فيه الصواب فى رأينا ، منتهجين نهج الاسلام نفسه فى التسامح ورحوبة الصدر ما استطعنا الى ذلك سبيلا . وقد بدأنا فى الكلمة الماضية بالكندى ، واليوم نحدث القارئ الكريم عن ثانى مشاهير فلاسفة الشرق وهو أبو نصر الفارابى أشهر شعبة الفلاسفة المنطقيين الذين سلكوا فى الاستدلال على وجود الله سبيل النظر والفكر . وإليك هذه الشخصية البارزة :

الفارابى — نسبه — مولده :

هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابى نسبة الى فاراب الداخلية ، وهى إحدى مقاطعات فارس .

ولد الفارابى من أب كان قائد جيش . ولايعرف أحد تاريخ مولده بالضبط ، وإنما يظن أنه ولد حوالى سنة ستين ومائتين للهجرة . وقد استنتج هذا من أنه توفى فى رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان عمره ثمانين عاما .

حياته :

لايعرف المؤرخون شيئا عن طفولة الفارابى ، وهم يختلفون كذلك فى شبابه ، فتارة يروون لنا أنه كان ناطورا فى أحـد بساتين دمشق ، وكان فقيرا معدما الى حد أنه كان لا يجد فى منزله مصباحا يقرأ على نوره ، فـكان يخرج الى الحراس ليستضىء بمصابيحهم أثناء مطالعته بالليل . وتارة أخرى يحدثوننا أنه كان قاضيا ثم مال الى المعرفة ، فتنحى عن القضـاء وانغمس فى بحار الفلسفة والتصوف العمـلى . ويذكر هؤلاء المؤرخون أن السبب فى ميله الى الحـكمة هو أن رجـلا أودع عنـده بعض كتب « أرسطو » فقرأها فـال اليها وشغف بها ولم يستطع أن يقاوم هذا الشغف ، فعكف على دراسة الفلسفة . وسواء أصحت الرواية الأولى أم الثانية ، فإن الفارابى بعد هذا الشباب المجهول كان أشهر من الـكوكب اللامع فى سمـاء الدولة العربية ، متنقلا بين بغداد والقاهرة ودمشق وحلب ، وكان من المحبوبين المقربين لدى سيف الدولة ، حتى أنه كان يجرى عليه نعما كثيرة لا يتناول الفارابى منها إلا أربعة دراهم فى اليوم . وكان يعيش عيشة التقشف والزهد ، ويتغذى بماء قلوب الحملان ويشرب الخمر الريحانى . ولـما مات صلى عليه سيف الدولة فى نفر من خاصته ، ودفن بظاهر دمشق .

دراسته :

انتقل الفارابى من مسقط رأسه وتعددت أسفاره من بلد الى بلد حتى ألقى عصا التسيار فى بغداد التى وجد فيها ما ينقع غلته ويروى ظمأه الى العلم والمعرفة . وكان حين نزل « بدار السلام » يعرف العربية والفارسية والتركية ، وقيل : إنه كان يعرف كذلك اليونانية والسريانية . وكان بهـذه المدينة إذ ذاك عالم جليل قد علا كعبه وذاع صيته فى المنطق والفلسفة وهـو : « أبو بشر متى بن يونس » الذى انفرد من بين علماء بغداد بحسن العبارة ورقة الأسلوب ووضوح الفكرة والخلوص من تلك الالتواءات التى تؤدى الى غموض المعنى وتقلل الفائدة من المؤلفات ، فـال الفارابى الى الأخذ عنه

والتتلمذ عليه ، وتأثر فى كتابته فيما بعد بأسلوبه الساحر حتى جاءت كل مؤلفاته غاية فى البسط والوضوح . ولا أحسب أن هناك سببا حمل القاضى صاعدا على مهاجمة الكندى — إذا لم يكن مغرضا أو متأثرا بأعدائه — إلا مقارنة كتبه المعقدة بكتب الفارابى الواضحة التى دفعت أحد علماء عصره الى أن يقول ما نصه : « ما أرى أبا نصر الفارابى أخذ طريق تفهيم المعانى الجزلة بالألفاظ السهلة إلا من أبى بشر » . وكان من أساتذته فى بغداد أيضا « يوحنا بن حيلان » الذى تلقى عنه المنطق وبرع فيه حتى فاق جميع أهل عصره .

مؤلفاته :

كتب الفارابى نحو مائة وثمانية وعشرين كتابا ، فى المنطق ، وما وراء الطبيعة ، وفى السياسة والاجتماع ، وفى شرح أغراض « أرسطو » وبيان مقاصده من كتبه والتوفيق بينه وبين « أفلاطون » وفى الرد على من هاجموا المعلم الأول . وقد ذكر القفطى وابن أبى أصيبعة هذه الكتب بأسمائها ، ونخص منها هنا بالذكر كتابيه الجليلين اللذين كتب أحدهما فى إحصاء العلوم والثانى فى بيان فلسفة « أفلاطون » و « أرسطو » . وسنورد لك هنا ما أشار به ابن أبى أصيبعة الى هذين الكتابين حيث قال فى جزء ٢ صفحة ١٣٦ نقلا عن القاضى صاعد ما نصه فى وصف الكتاب الأول : « ثم له بعد هذا كتاب شريف فى إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها لم يسبق إليه ولا ذهب أحد مذهبه فيه ، لا يستغنى طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به وتقديم النظر فيه » . ويعلق أحد المعاصرين على وصف ابن أبى أصيبعة لهذا الكتاب بما يأتى :

«ولكن هذا الوصف مبالغ فيه ، لأن ما جاء فى الكتاب لا ينطبق على ما يقصد فى وقتنا هذا من دائرة المعارف ، أو المعلمة كوضع أحمد تيمور باشا » .

ولو أن لدينا الآن نسخة من هذا الكتاب لاستطعنا أن نحكم على هذين الرأيين المختلفين ، ولكن أين منا هذا والكتاب قد فقد وليس له إلا ملخص بسيط

فى مكتبة « الأسكوريال » بمدريد ؟ إلا أننا مع ذلك نستطيع أن نجزم بأن ذلك الكتاب الأول ضرورى لمن أراد أن تكون عنده ثقافة عامة ، بل لعل هذا الكتاب كان أساس وضع دوائر المعارف الأوربية ، خصوصا إذا علمنا أن الفرنجة لم يبتدئوا فى وضع دوائر المعارف إلا بعد اطلاعهم على الكتب الشرقية . أما الكتاب الثانى ، فلا بد منه لمن أراد دراسة فلسفة هذين الحكيمين : « أفلاطون » و« أرسطو » ، لأنه لابد أن يكون قد أبان فيه مشربيهما وغايتيهما وطريقتيهما فى التأليف ، وهذا نور لا يستغنى عنه طالب الفلسفة ، ولكن مع الأسف الشديد أن هذا الكتاب قد اندثر ولم يبق منه إلا وصف يجلب الحسرة والألم دوّنه لنا ابن أبى أصيبعة يفيد أن هذا الكتاب كان يحوى بيانا كافيا للعلوم التى يجب أن يبدأ بها طالب الفلسفة كمقدمات فى حياته الفكرية . وبعد ذلك البيان كان يجد فيه الطالب بسطا مسهبا لفلسفتى «أفلاطون» و«أرسطو» حتى لا يتخبط فى فهم مذهبيهما ، ولا يضل السبيل فى الحكم عليهما . واليك هذا الوصف :

«وله كتاب فى أغراض فلسفة « أفلاطون » و « أرسطوطاليس » يشهد له بالبراعة فى صناعة الفلسفة والتحقق بفنون الحكمة ، وهو أكبر عون على تعلم طريق النظر وتعرف وجه الطلب ، اطلع فيه على أسرار العلوم وثمارها علما علما ، وبيّن كيف التدرج من بعضها الى بعض شيئا فشيئا ، ثم بدأ بفلسفة « أفلاطون » فعرّف بها وسمى تآليفه فيها ، ثم أتبع ذلك بفلسفة «أرسطوطاليس» فقدم له مقدمة جليلة عرّف فيها بتدرجه الى فلسفته ، ثم بدأ بوصف أغراضه فى تآليفه المنطقية والطبيعية كتابا كتابا حتى انتهى به القول فى النسخة الواصلة إلينا الى أول العلم الالهى فى الاستدلال بالعلم الطبيعى عليه . ولا أعلم كتابا أجدى على طالب الفلسفة منه ، فإنه يُعَرِّف بالمعانى المشتركة لجميع العلوم والمعانى المختصة بعلم منها . ولا سبيل الى فهم معانى « قاطيغورياس » « المقولات » وكيف هى الأوائل الموضوعة لجميع العلوم إلا منه » .

ما بقي من كتبه :

وضع أحد المؤلفين العصريين إحصاء للكتب الباقية من مؤلفات الفارابى ، وهى تبلغ نحو أربعة وأربعين كتابا ، منها :

١ — التوفيق بين رأيي الحكيمين : أفلاطون وأرسطو (مطبوع فى مصر مع غيره) .

٢ — فيما ينبغى الاطلاع عليه قبل قراءة أرسطو (مطبوع أيضا) .

٣ — فصوص المسائل (مطبوع) .

٤ — رسالة فى المنطق (خطية) بأوربا .

٥ — رسالة فى القياس ، وهى خمسة فصول يحتاج اليها فى المنطق (خطية) .

٦ — رسالة فى ماهية الروح (خطية) .

والكتب الباقية غير هذه الستة اثنا عشر كتابا فى المنطق متفرقة فى مكاتب أوربا . وثمانية مؤلفات فى السياسة والأدب ، منها :

١ — مبادئ آراء أهل المدينة الفاضلة (طبع ليدن سنة ١٨٩٥) .

٢ — إحصاء العلوم (خطية فى الأسكوريال) ولها ترجمة لاتينية ، وأخرى عبرية .

٣ — السياسة المدنية (طبع بيروت سنة ١٩٠٢) وتسعة كتب أخرى فى مواضيع مختلفة .

فلسفته :

من المعروف أنه لم يكد ينتهى القرن التاسع المسيحى حتى كانت الفلسفة العربية قد انقسمت فى وجهة نظرها وفى طريق استدلالها على وجود الله واكتشافها أسرار الكون العام الى شطرين : طبيعى ومنطقى . فأما القسم الأول ، فقد اعتمد فى براهينه على مظاهر الطبيعة وما تشتمل عليه من خفايا وأسرار . وأما القسم الثانى ، فقد سلك فى تفلسفه سبيل المنطق . ولما كان الفارابى من هذا القسم الأخير ، فقد وجب علينا أن نبين طريقته فى الوصول الى إثبات وجود الله . وهاك سلسلة براهينه :

إن كل المعلومات الحاصلة فى الذهن مكونة من تصورات محضة ، وتصورات مع نسب ، وتسمى : تصديقات . فأما التصورات فهى بديهية بسيطة لا يحتاج فى فهمها الى تفكير كتصور النور والظلام والوجود والعدم وهلم جرا . وأما التصديقات فهى معقدة بعض الشىء حتى بسائطها وأولياتها ، لأنها تستلزم النظر فى أكثر من مرتبة . وعلى أى الأحوال ، فإن العلم الانسانى لايخرج عن ذلك ، إذ كل معلوم سواء أكان موجودا أم معدوما لا يحصل فى الذهن إلا على سبيل التصور أو سبيل التصديق . ولما كان كل ما يتناوله التصديق إما واجبا أو ممكنا ، فالموجود بعضه واجب الوجود وبعضه ممكنه ؛ والمعدوم بعضه واجب العدم وبعضه ممكنه ، ولا يخرج شىء من المعقولات التصديقية عن هذه الأقسام الأربعة . ولما كان بدء البحث فى الإله يحتم علينا أن نفرضه فى القسم الوجودى فقد لزم أن نستخدم النظر العقلى ، لنرى من أى قسم هو من أقسام الموجودات ، ولا يتيسر ذلك إلا إذا عرفنا ماهية كل من الممكن والواجب على حدة . فالممكن الوجود هو الذى لا يلزم من عدمه محال ما دام هذا العدم يستوى مع الوجود فى الإمكان . وأما الواجب الوجود فهو الذى يلزم المحال من عدمه بالضرورة ، لأن المحال والواجب نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان . ولا يمكن أن يكون البارى من القسم الأول ، لأن وجوده حين ذاك يكون قد رجح على العدم المساوى له فى الرتبة ، والترجيح لا يكون بدون مرجح ، وإذا أنزلنا هذا الراجح منزلة الأول المرجوح واعتبرناه ممكن الوجود ، لزم أن يكون وجوده الفعلى قد ترجح على عدمه بمرجح ، والمرجح يحتاج بدوره الى مرجح ، وهكذا نهوى فى حضيض التسلسل الذي لا يتناهى وهو باطل .

وإذا كان إمكان الوجود قد انتفى عن البارى ، فإن وجوب هذا الوجود يكون قد ثبت ، وهذا الوجوب إما أن يكون بالذات أو بالغير . وإذ كان الثانى محالا ، لأنه يقودنا إما الى كائن واجب الوجود لذاته ، وحينئذ يكون هو البارى المقصود ؛ وإما الى

واجبات الوجود لغيرها بلا نهاية ، وهو باطل كما أسلفنا ؛ فلم يبق إلا أن نجزم بأن الله تعالى واجب الوجـود لذاته ، وواجب الوجود لذاته لا يمكن أن يكون معلولا لغيره ولا ناشئا عنه ، بل يجب أن يكون هو الموجود الأول . وإذا ثبت هذا تحتم أن يكون منزها عن كل شوائب النقص والافتقار التي لا يبرأ منها الممكن المعلول لغيره كالتغير والعجز والصورة وأمثالهـا .

وإذا ثبت هذا لزم ضرورة أن يكون كل ما عدا الله فيضا عنه ومخلوقا له .

هذا ، وسنعالج بقية النواحي الأخرى من فلسفة الفارابي في المقال الآتي ، ولاسيما نظرية العقول العشرة التي كانت منشأ شهرته في محيط الفلسفة العربية ، فإلى الملتقى .

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

أدب الاعتناق

روى أبو بكر بن محمد قال حدثنا سعيد بن اسحاق قال : كنت جالسا عند مالك فاذا سفيان ابن عيينة يستأذن بالباب . فقال مالك : رجل صالح صاحب سنة أدخـلوه . فدخل ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . سلام خاص وعام عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله . فقال مالك : وعليك السلام يا أبا محمد ورحمة الله . فصافحه مالك قائلا : يا أبا محمد لولا أنها بدعة لعانقناك .

فقال سفيان : قد عانق من هو خير منا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال مالك : عانق جعفرا ؟ قال سفيان نعم . فقال مالك ذاك حديث خاص يا أبا محمد ليس بعام . فقال سفيان ما عم جعفرا يعمنا ، وما خصه يخصنا إذا كنا صالحين . أفتاذن لي أن أحدث في مجلسك ؟ قال مالك نعم يا أبا محمد . فقال سفيان : حدثني عبد الله بن طاوس عن أبيه عن عبد الله بن عباس أنه لما قدم جعفر من أرض الحبشة اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم ، وقبل بين عينيه ، وقال : جعفر أشبه الناس بي خلقا وخلقا .

الاسلام والمباحث النفسية الحديثة

جدّت حركة سريعة فى الاتجاه العلمى ، ونشأت من جرائها مذاهب شتى ، بعضها يمس الدين مساً عنيفا زلزل أقدام مداره الدين وحماته فى أوربا ، وبعضها يعضد الدين ويؤيده ، ويفسر بعض نظرياته تفسيرا علميا . وقد طرب الماديون عبّاد الطبائع الى المذاهب الالحادية وحبوها بعطفهم وعنايتهم ، وارتاح المتدينون — بعد تردد كاد ينقاب الى معركة بين العلم والدين — الى المذاهب المؤيدة للدين ، وإن سلكت فى البحث مسلكا يختلف مع مسلك الدين ، لأن الدين وحى من الله تعالى الى صفوة من خلقه اختارهم ليكونوا سفراء لتبليغ شرائعه ، وتلك المذاهب تقوم على الوقائع المحسة والشواهد الملموسة ، والدلائل النظامية على حسب ما تواضع عليه أصحاب المذهب .

أما موقف الاسلام من هذه المباحث باعتباره دينا سماويا وشريعة إلهية ختم الله به الأديان فهو موقف الرقيب الناقد ، فاذا رأى حقا أسرع الى احتضانه بين طيات نصوصه وقواعده ، وإذا رأى باطلا تجافى عنه ورده بالحجة الصادقة والبرهان القويم . وإذا كانت النظريات لا تزال فى طريق البحث فدأب الاسلام ألا يهجم الى تصديقها أو تكذيبها . والقانون العام للاسلام فى هذا تأييد سنن الله الكونية ، وكثير منها لم يصل اليه الانسان . وقد أشعرنا القرآن الكريم بهذا العجز فقال : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » وقال : « ويخلق مالا تعلمون » وقد أيّد العلم هذه الحقيقة التى جاء بها القرآن ، فكان ذلك آية من آيات الله فى تصديق القرآن الحكيم ، وبيانا لعظمته العلمية .

اتسعت دائرة البحث الروحى ، وتدرجت مدارج مختلفة حتى أصبح الشغل الشاغل لكثير من الجمعيات التى تضم بين جنباتها أساطين العلم وغطارفة العلماء فى القارتين الأوربية والأمريكية ، وذعر الماديون من شبح هذه البحوث لأنها ستقضى على ما فى أيديهم من مزاعم كاذبة ، وآمن كثير منهم بأن وراء عالم المادة عالما آخر ، ووقف

بعضهم فى سفح الحيرة والتردد رغم مشاهداتهم لتجارب العلماء الواقعية، وقد قام بها فريق كانوا يدينون بالمادية، ولهم مقام ممتاز فى المعارف، ودفعهم الى البحث فى هذه الفنون إنكارهم الشديد على المشتغلين بها، وتصريحهم بأن كل ما وصل اليه الروحيون نتيجة غش أو وهم أو تأثير عصبي، ولكنهم رأوا صوت الروحيين مرفوعا فأفزع ذلك الفزيولوجيين وتأهبوا لبحث هذا الموضوع بحثا دقيقا. وحسبنا أن نعلم أنه قد تألفت فى لندره جمعية كبيرة [1] سنة ١٨٦٩ لفحص ما يذيعه الروحيون، وقد كان أعضاء هذه الجمعية من مشهورى الطبيعيين أمثال الفيلسوف جون لبوك الانكليزى والفريد رسل ولاس مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعى قبل «داروين»، وقد استمرت فى بحثها عاما ونصف عام، وكتبت تقريرا أثبتت فيه صحة هذه المشاهدات الخارقة للعادة، واقتنعوا بها تمام الاقتناع.

فهل تقبل روح الاسلام هذه المباحث إذا قامت الحجة على صدقها عند المسلم المفكر؟

اتفقت كلمة الأنبياء عليهم السلام، والحكماء، إلا شرذمة الماديين، على وجود الروح الانسانى، غير أن حقيقة الروح ظلت لغزا عسر على الفكر حله، ومن ثَمّ اختلفت أقوال الفلاسفة والعلماء فيها حتى نيفت على المائة قول، وترجع فى جملتها الى قولين: (الأول) تجردها عن المادة، واتصالها بالبدن اتصال تدبير وتصرف لا اتصال حلول واتحاد، وهو قول «أرسطو» من القدماء، وحجة الاسلام الغزالى، والإمام فخر الدين الرازى، والراغب الأصفهانى، وجمهور الصوفية من الاسلاميين. (الثانى) عدم تجردها من المادة، وهؤلاء اختلفت كلمتهم فى تحديدها، فقال «سقراط»: إنها جسم حال فى هذا الهيكل حلول الدهن فى السمسم وماء الورد فى الورد. وقال تلميذه «أفلاطون»: هى حياة غير قابلة للفناء محصورة فى سجن فانٍ هو الجسد. وبقول سقراط قال إمام الحرمين وجمهور المتكلمين من المسلمين.

---

(١) دائرة المعارف للقرن العشرين.

والقرآن الكريم ردد ذكر الروح كثيرا، وأصرح نص ورد فيه عن الروح الانسانى قول الله تعالى: «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى». قال الغزالى: وفى الآية جواب مقنع كاف لمن علم «الأمر» على ما هو عليه، وذلك حيث جعل الروح من عالم «الأمر». وقال فى آية أخرى: «ألا له الخلق والأمر» فجعل الخلق غير الأمر، والخلق هو التقدير، ويكون فى الأشباح الظاهرة التى تقع عليها المساحة والتقدير، وهى الأجسام وعوارضها. وعالم الأمر هو عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والجهة والمكان والتحيز، وهو مالا يدخل تحت المساحة والتقدير، لانتفاء الكمية عنه.

الروح الانسانى على أى معنى فهمته له آثار ظاهرة وخواص عجيبة، فهو مرآة لجميع المعارف الكلية بذاته والجزئية بواسطة الحواس، وله فى الأشياء تأثير يجعلها تنفعل أمامه، سواء كان المتأثر به من جنسه أو من غير جنسه كالأجسام، ويختلف التأثير قوة وضعفا تبعا لجوهر الروح فى أصل وجودها، فاذا كانت الروح قوية كان لها تأثير ظاهر فى الأرواح التى هى أضعف منها، وهذا التأثير قد يكون بمساعدة بعض الحواس وأقربها الى الروح «البصر» لأنه ألطف الحواس، ونتيجة هذا الأثر لها مظاهر متعددة، منها ما سماه الشرع «العين» ومنها ما سماه «الحسد» وقد يكون منها ما يسمى علميا «التنويم». وقد يكون التأثير بلا مساعدة شىء من الحواس، ولا مقابلة لبعض الأجسام بل بتوجه الروح مباشرة الى روح أخرى. وقد أشير الى النوع الأول فى القرآن الكريم بقوله تعالى: «وإن يكاد الذين كفروا ليُزْلِقونك بأبصارهم» ولكنه فقد شرط المنفعل، لأن المخاطب فى الآية الروح الأعظم صلى الله عليه وسلم، ولو اجتمع الانس والجن على أن يؤثروا فى روحه الكريمة ما قدروا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. ويذكر بعض المفسرين أن بنى أسد اشتهروا بالعين، فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام، فلا يمر به شىء فيقول فيه: لم أر كاليوم مثله إلا عانه.

وروى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين » . قال القسطلانى : وقد أجرى الله العادة بوجود كثير من القوى والخواص فى الأجسام والأرواح كما يحدث لمن ينظر اليه من يحتشمه من الخجل فيرى فى وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك ، وكذا الاصفرار عند رؤية من يخافه ، وكثير من الناس من يسقم بمجرد النظر اليه ، وتضعف قواه ، وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى فى الأرواح من التأثيرات ، ولشدة ارتباطها بالعين ، وليست هى المؤثرة ، وإنما التأثير للروح ، والأرواح مختلفة فى طبائعها وكيفياتها وخواصها ، فمنها ما يؤثر فى البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال ، ومنها ما يكون بتوجه الروح .

وقد روى الامام احمد والنسائى : أن عامر بن ربيعة نظر الى سهل بن حنيف فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة ، فلبط سهل ، أى صرع وسقط على الأرض . وفى قوله تعالى : « ومن شر حاسد إذا حسد » تلميح الى النوع الثانى ، لأن الحاسد إنما يؤثر فى المحسود بتوجه روحه الى المحسود دون مقابلة واتصال ، وكلما كانت الروح قوية كان تأثيرها أشد كما قدمنا ، وربما وصل الى جذب بعض النفوس المفارقة . قال الامام فخر الدين الرازى : « النفوس إذا فارقت الأبدان قد يكون فيها ما يكون شديد المشابهة لهذه النفوس المرتاضة فى قوتها وتأثيراتها ، فإذا صارت هذه النفوس صافية انجذب اليها ما يشابهها من النفوس المفارقة ، ويحصل لتلك النفوس نوع مّا من التعلق بهذا البدن ، والنفوس الناطقة إذا صارت صافية عن الكدورات البدنية صارت قابلة من الأرواح السماوية والنفوس الفلكية ، فتقوى بأنوار تلك الأرواح على أمور خارقة غريبة » . وقال أيضا : « النفس إذا كانت مستعلية على البدن كانت قوية التأثير فى مواد هذا العالم ، فإذا أراد إنسان إلجاء النفس الضعيفة بحيث يتعدى تأثيرها من بدنها الى بدن آخر ألزمها الرياضة فتقوى التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية » .

إذا تأمل الباحث فى النصوص المتقدمة كلها أخذه العجب كل مأخذ ، لأنها

تكشف الغطاء عن آثار الروح وجلالها، وتظهر مرونة الاسلام، وعناية علماء الاسلام بالبحث فى أعوص مسألة شغلت فلاسفة العالم ودخلت فى طور جديد . وقد اتسعت عقول المسلمين لأكثر من هـذا مما يدخل فى غور الفلسفة الروحية، فقد روى عن أبى يزيد البسطامى أنه قال فى بعض أحواله : « انسلخت من جسدى فرأيت من أنا » .

فلو أن جماعة من رجالات العلم فى معاهد الاسـلام وأمصاره أقدموا على درس المباحث النفسية الحديثة والتنويم من الوجهة العلمية لوجدوا من دينهم وسيرة سلفهم نصيرا ، ولأدركوا فائدة جليلة لهذه الدراسة . قال أحد الباحثين من علماء الغرب : « التنويم المغناطيسى يثبت وجود الروح وخلودها، ويبرهن على إمكان اختلاط أرواح متجردة بأخرى مكتسية بالمادة » . وقال : العـلامة باركس الجيولوجى الانجليزى : « إنا لندرس الآن من استحضار الأرواح ما كان قبل ألفى عام الشغل الشاغل للفلاسفة » .

« إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

صادق ابراهيم عرجون

فضل الفصاحة

حكى الله تعالى عن رسوله موسى عليه السلام استيحاشه لعدم الفصاحة إذ قال : « وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فارسله معى ردأ يصدقنى »

أما العيوب التى تنافى الفصاحة فهى ما أحصاه محمـد بن يزيد النحوى بقوله : التمتمة فى المنطق التردد فى التاء ، والفأفاة التردد فى الفاء ، والعقلة هى التواء اللسان عند إرادة الكلام ، والحبسة تعذر الكلام عند إرادته ، واللفف إدخال حرف فى حـرف ، والطمطمة أن يكون الكلام مشبها لكلام العجم ، واللكنة أن تعترض عند الكلام اللغة الأعجمية ، واللثغة أن يعدل بحرف الى حرف . والغنة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم ، والخنة أشد منها ، والترخيم حذف الكلام .

والرتة قد تكون غريزية ، ويقال إنها تكثر فى أشراف الناس .

فلسفة الاخلاق

أسلفنا شطرا من الكلام عن المرتبة القصوى للانسان فى الكمال ، وكيف أن النفوس الخيرة إذا طبعت بطابع من الحكمة سمت بذلك الى أعلى الأجناس من الكمالات ، ثم تطلعت الى المستوى القدسى الذى تصبو اليه النفوس الشيقة الى المعرفة . والآن نحاول أن نعرض لبسط آراء جمهرة من الفلاسفة الذين عالجوا قضايا علم النفس فى مختلف مناحيها وما يعرض لها من تفاعل وما يلابسها من غاشيات الطبيعة ثم اشتغلوا بعد ذلك بالدعوة الواضحة الى تركيز الخلق وإنشاء صروحه فى النفوس .

قسم الفلاسفة علم النفس الى شطرين : أولهما نظرى ، وثانيهما عملى ، فإذا كمل الانسان بهما كمالا يرفعه الى مرتبة النبوغ الأخلاقى ، استأهل لأعلى الأجناس من السعادة وهو الظفر بالحياتين . ولكماله الأول لا بد هو محتاج بادئ ذى بدء الى قوتين متقابلتين ، إحداهما العالمة ، والأخرى العاملة . فالقوة العالمة هى التى يشتاق بواسطتها الى العلوم والمعارف ، فإذا حصلها كان فى أمن من الغلط فى الحس والخطأ فى النظر ، فيصدق نظره وتصح رويته وتستقيم بصيرته ، ثم ينتهى فى العلم بحقائق الموجودات مرتبة ترتيبا نظريا الى العلوم الالهية التى هى آخر مراتب العلوم ، فيثق بهذا الحد الذى بلغه ، ويسكن اليه قلبه وتطمئن اليه عزيمته .

فاذا كمل الانسان هذا الكمال المرموق فتممه بفعله المنظم له ورتب القوى والملكات الكامنة فيه ترتيبا علميا ، كان خليقا أن يسمى عالما صغيرا ، ضرورة أن صور الموجودات كلها قد كمنت فى ذاته فصار ممثلا لها على نحو من الأنحاء . ومن العجب العاجب أن يذهب فريق من الناس الى أن كمال الانسان وغايته هما فى اللذات الحسية ، وأنها هى الخير المرجو والسعادة العليا . ثم ظنوا أن جميع قواه الأخر إنما ركبت فيه لتكون موصلة الى هذه اللذات ، وأن النفس الناطقة إنما وهبت له ليرتب بها الأفعال ويميزها على نحو خاص

ثم يوجهها نحو هذه اللذات لتكون تلك اللذائذ بالقياس الى الاستمتاع بها هى غاية الغايات، ثم تدرجوا من ذلك الى القول بأن قوى النفس الناطقة، وهى الذكر والحفظ والروية، إنما تراد لتلك الغاية، وعللوا تلك النظرية بأن الانسان حين يتذكر اللذات ويتجه اليها بتلك القوى الثلاث بواسطة ما يحصل فيه من المآكل والمشارب وما إليها، اشتاق إليها وأحب معاودتها، وإذا تكون منفعة الحفظ والذكر هى اللذات وتحصيلها ليس غير. ولأجل هذه الظنون جعلوا النفس الخيّرة كالعبد المهين، وكالأجير المستعمل فى خدمة النفس الشهوية لتخدمها تحت سلطان المآكل والمشارب وما إليها.

وبدهى أن اللذات كلها إنما تحصل لمن قامت به بعد آلام تلحقه، لأن اللذة هى راحة من ألم، وأن كل لذة حسية إنما هى خلاص من ألم أو أذى، وإذا يكون كل من قنع بتحصيل اللذات البدنيـة وجعلها غايته راضيا بأخس أنواع العبودية لأخس الموالى، لأنه حينئذ يصيّر نفسه الكريمة التى يضارع بها الملائكة عبدا للنفس الدنيئة التى يحاكى بها الحشرات والهوام المشاركة له فى هذا القدر من الإسفاف. وقد عجب غاية العجب جالينوس من هـذا الرأى الفطير، وكثر تبرمه بأصحابه. غير أنه حكى بشأن هؤلاء أن سيرتهم فى الورى أسوأ السير وأحطها، فكلما وجدوا إنسانا هذا رأيه نصروه ونوهوا بشأنه واشتغلوا بالدعوة اليه ليوهموا النـاس بأنهم غير متفردين بهـذه الطريقة، وهؤلاء الذين يفسدون الأحـداث وأغرار النـاس بإيهامهم أن الفضيلة هى ما تدعوهم اليـه طبيعة البدن من الملاذ، إذا قامت عليهم الحجة الدامغـة بأن تلك الفضائل الملكية إما أن تكون باطلة ليست بشىء البتة وإما أن تكون غير ممكنة لأحد من الناس، والناس مأخوذون بالطبع الجسمانى بالميل الى الشهوات، فتكثر أتباعهم وتقل النبلاء فيهم، وأن هذه اللذات إنما هى لضرورة الجسد، وأن بدنه مركب من الطبائع المتضادة أعنى الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة، وأنه إنما يعالج بالمأكل والمشرب أمراضا تحدث به عند الانحلال لحفظ تركيبه على حالة واحدة أبدا وأن عـلاج المرض

ليس بسعادة تامة ، والراحة من الألم ليست بغاية مطلوبة ولا خير محض ، وأن السعيد التام هو من لا يعرض له مرض نفسانى البتة . وقد عرف مع ذلك أيضا أن الملائكة الأبرار لا تلحقهم هذه الآلام فلا يحتاجون الى مداواتها بالأكل والشرب - عارضوه بأن بعض خواص البشر أشرف من الملائكة ، وأن الله تعالى أجل من أن يذكر مع الخلق ، وشاغبوه وسفهوا رأيه وأوقعوا له شبها باطلة حتى يشك فى صحة ما تنبه لإدراكه وهداه عقله اليه .

والعجب الذى لاينقضى هو أنهم مع رأيهم هذا إذا وجدوا واحدا من الناس قد اجتوى طريقتهم التى يميلون اليها ، واستهان باللذة والتمتع وصام وطوى واقتصر على ما أنبتت الأرض ، عظموه وأهلوه المراتب العلية ، ثم يذلون له غاية الذل ويعدون أنفسهم أشقياء بالإضافة اليه . والسبب فى ذلك هو أنهم وإن كانوا من أفن الرأى وسفاهته على ما ترى فان فيهم من كرائم القوى الشريفة المميزة وإن كانت ضعيفة ما يريهم فضيلة ذوى الفضائل فيضطرون الى إكرامهم وتعظيمهم، وهذا موضع الحيرة فى تفهم آرائهم المتناقضة .

ثم إن النفس من حيث هى كذلك تعرض لها قوى ثلاث : القوة البهيمية وهى أدناها ، والقوة السبعية وهى أوسطها ، والقوة الملكية وهى النفس الناطقة التى ليس وراءها مطلب . والانسان إنما استحال إنسانا بأفضل هذه القوى وهى النفس الناطقة . فأنبل الناس من كان حظه من هذه القوة أوفر . وإن أخس الناس لهو من كان قليل العقل قريبا من البهيمية كالذين يقيمون فى بعض أقاصى المعمورة ، وكسكان البوادى الذين ظلوا فى جهالة عمياء لا يمتازون عن القردة إلا بصورهم ، وبهذا القدر الضئيل يستحقون أن يخلع عليهم لقب الانسانية ، فإذا أمسكوا بأسباب الانسانية المهذبة واختلطوا بالناس فشموا منهم عبير الثقافات المختلفة استطاعوا أن يوجدوا فيهم العالم المستنير والذكى المهذب ثم هم بعد يتفاضلون بتفاضل بدائهم حتى يبلغوا غاية مايبلغه أولو النبل والفضل ، وليس ثمة حالة للانسان أعلى من تلك الحالة ما دام إنسانا .

عباس طه

دحض شبهات عن الاسلام

يذكر قراؤنا الكرام أننا أتينا فى السنة الماضية على ملخص مقالة المسيو أندريه هرفيه الفرنسى، نشرها فى فرنسا وأتى فيها على شبهات ضد الاسلام، فرددنا فى أعداد تلك السنة على ثلاث شبهات منها، ورأينا اليوم أن نتابع ردودنا على ما بقى منها.

الشبهة الرابعة : قال المسيو أندريه هرفيه : « إن العلم العربى لا يعدو ما ترجمه السوريون للعرب ترجمة مشوهة، انخدع بها المؤرخون ونسبوها للعرب زورا ».

نقول : إننا أول ما وقع بصرنا على هذه الشبهة كدنا لا نصدق صدورها عن كاتب فى القرن العشرين، ليس لأنها تغمط المسلمين حقهم فى حفظ العلم فحسب، ولكن لأنها تنسب لجمهرة المؤرخين الانخداع فى أمر لا يمكن فيه الخدع والانخداع البتة.

ذلك لأن العرب لما اندفعوا فى تحصيل العلم بحافز من الاسلام لم يكن أمامهم من سبيل اليه إلا سبيل الترجمة، فاستعانوا عليها بالنساطرة واليعاقبة واليهود ممن يحذقون اللغات اليونانية والسريانية والكلدانية وغيرها، فكانوا كلما تمت ترجمة كتاب كتبوا عليه اسم مؤلفه ومترجمه، وأخذوا فى تدارسه وتفهمه، فاجتمع لديهم من هذه الكتب المترجمة عدد كبير، فلم يرو عن أحد من العرب أنه نسب الى نفسه كتابا من هذه الكتب، ولا أخطأ مؤرخ عربى أو أجنبى فعزا واحدا منها الى غير واضعه. فماذا يعنى إذن المسيو أندريه بقوله : إن المؤرخين انخدعوا بهذه العلوم المترجمة فنسبوها للعرب؟

ليسمح لى أن أقول : إنها لا تعنى شيئا، وإنها لا تستحق الرد لهذا السبب.

ولكن العرب بعد أن أحسنوا العلم بها وضعوا تعليقات وشروحا عليها، وتفنيدات لبعض مزاعمها، وتصحيحات لكثير من أخطائها. وهذه الثمرات الفكرية لا يمكن الخطأ فى نسبتها، لأن أصول تلك الكتب التى ترجمها العرب لا تزال محفوظة فى مكتبات

أوربا بلغاتها الأصلية ، وهى خالية من تلك التعليقات والشروح والتعديلات العربية الباحتة. وفى الأوربيين ، وليس المسيو أندريه منهم ، فلاسفة وقفوا حياتهم على النظر فى تلك الأصول فلم يعثر واحد منهم على شىء انتحله العرب لأنفسهم . فالتفرقة بين ما كان للأمم المنقول عنها ، وبين ما هو من صميم العقول الاسلامية ، ميسورة فى كل وقت ، ولا يمكن الانخداع فى أمر يتعلق بها .

هنا يسوغ لنا أن نسأل : هل زاد المسلمون على المعارف القديمة علوما جديدة ؟ وهل أكسبوا ما كان موجودا منها تحسينا لم يكن فيها ؟

الجواب على هذين السؤالين ليس بصعب ، فما علينا إلا نقل ما أجمع عليه المؤرخون ، وما أجمعوا عليه لا يمكن أن يقابل بالاستخفاف من فرد يرسل القول إرسالا ولا يأتى على ما يقول بسلطان بين .

فاليك ما قاله تاريخ العلم على لسان الأستاذ الكبير (دريبر) المدرس بجامعة نيويورك فى كتابه (المنازعة بين العلم والدين) (1) :

« إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة (٦٣٨) ميلادية أى بعد موت محمد بست سنين . ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية اليونانية وقدروها قدرها الصحيح » . الى أن قال :

« ولما ولى الخلافة أبو جعفر المنصور من سنة (٧٥٣ الى ٧٧٥) ميلادية ، نقل عاصمة الملك الى بغداد وجعلها عاصمة فخمة ، فلم يأل جهدا فى نشر العلوم الفلكية ، وتأسيس مدارس الطب والشريعة .

« ولما تولى حفيده هارون الرشيد سنة (٧٨٦) م اتبع أثر جده فى هذه الفتوحات العلمية ، وأمر بإضافة مدرسة الى كل مسجد فى جميع أرجاء ملكه .

« ولكن عصر العلم الزاهر فى القارة الآسيوية لم يشرق إلا فى خلافة المأمون

(1) Les conflit entre la Science et la religion, Par le professeur Draper

الذى تولى الخلافة من سنة (٨١٣ الى ٨٣٢) م ، فإنه جعل بغداد العاصمة العلمية العظمى ، وجمع اليها كتبا لا تحصى ، وقرب اليه العلماء وبالغ فى الحفاوة بهم .

هـذه المكانة التى اكتسبها العرب ، وهذا الذوق السليم فى العلم ، استمرا لديهم حتى بعد أن انقسمت مملكتهم الى ثلاثة أقسام ، فإن العباسيين فى آسيا ، والفاطميين فى مصر ، والأمويين فى اسبانيا ، لم يكونوا متناظرين متنافسين على الحكومة فقط ، ولـكن كانوا كذلك فى الآداب والعلوم أيضا .

« ذاق العرب فى الفنون الأدبية كل ما من شأنه أن يحد القريحة ويصقل الذهن ، وقد افتخروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدر ما أنجبت الأمم كلها مجتمعة .

« أما فى العلوم فقد كان تفوقهم فيها ناشئا من الأسلوب الذى توخوه فى المباحث ، وهو أسلوب أخذوه عن فلاسفة اليونان الأوربيين ، فإنهم قد تحققوا أن الأسلوب العقلى النظرى لايؤدى الى التقدم ، وأن الأمل فى وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقودا بمشاهدة الحوادث ذاتها ، ومن هنا كان شعارهم فى أبحاثهم الأسلوب التجربى والدستور العملى الحسى .

«وكانوا يعتبرون الهندسة والعلوم الرياضية أدوات ومعدات لعلم المنطق . وقد يلاحظ المطالع لكتبهم العديدة على الميكانيكا والايدروستاتيك (علم توازن السوائل وضغطها على جدران أوعيتها) ونظريات الضوء والإبصار أنهم قد اهتدوا الى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات .

« هذا (تأمل) هو الذى قاد العرب الى أن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء ، والمستكشفين لعدة آلات للتقطير والتصعيد والإسالة (إسالة الجوامد والتصفية الخ).

« وهذا بعينه هو الذى جعلهم يستعملون فى بحوثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المعلمة والاسطرلابات (هى آلات لقياس أبعاد الكواكب) .

« وهو أيضا الذى بعثهم لاستخدام الميزان فى العلوم الكيماوية ، وقد كانوا على ثقة تامة من نظريته .

«وهو الذى هداهم لعمل الجداول عن الأوزان النوعية للأجسام والأزياج الفلكية (هى جداول تعرف بها حركات الكواكب) مثل التى كانت فى بغداد وقرطبة وسمرقند

« وهو الذى أوجد لهم هذا الترقى الباهر فى الهندسة وحساب المثلثات.

« وهو أيضا الذى هداهم لاكتشاف علم الجبر، ودعاهم لاستعمال الأرقام الهندية.

« هـذا هو ثمرة تفضيلهم أسلوب أرسطو الاستدلالى على مقالات أفلاطون الاستنتاجية » الى أن قال:

«لقد كتب العرب فى كل فن وفى كل علم، كالتاريخ والشريعة والسياسة والفلسفة وتراجم الرجال وتراجم الخيول والإبل، وكل هذه المؤلفات كانت تنشر بدون رقابة ولا حجر، وما يعلم من المراقبة على الكتب اللاهوتية، فقد حدث فيما بعد هـذا التاريخ. وقد كانت الكتب الزاخرة بالمعلومات التى تصلح لأن تتخذ مادة، كثيرة جدا فى الجغرافيا والإحصاءات والطب والتاريخ وقواميس اللغـة، وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد أبو عبد الله » الى أن قال:

« كان الملك الاسـلامى يغص بالمدارس والمكتبات، وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والأندلس حاصلة على عدد عديد منها » الى أن قال:

« ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى، لخرجنا عن حدود هذا الكتاب، فإنهم (تأمل) قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جـدا، وأوجدوا (تأمل أيضا) علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم » الى أن قال:

« وإننا لنـدهش حين نرى فى مؤلفات العرب من الآراء العلميـة ما كنا نظنه من ثمرات العلم فى هـذا العصر، من ذلك أن مذهب النشـوء والارتقاء للكائنات العضوية الذى يعتـبر مذهبا حديثا، كان يدرس فى مدارسهم، وقد كانوا ذهبوا منـه الى مدى أبعد مما وصلنا اليه، وذلك بتطبيقه على الجامدات والمعادن أيضا ».

وقال المؤرخ الانجليزى الكبير (جيبون):

« كان من أثر تنشيط الأمراء المسلمين للعلم أن انتشر الذوق العلمى فى المسافة الشاسعة التى بين سمرقند وبخارى الى فارس وقرطبة » .

نقول بعد هذا أين تذهب شبهة المسيو أندريه هرفيه فى وسط هذه الأسنة المشرعة اليها من تأكيدات مؤرخى العلوم الانسانية ونقبائها المعروفين ببعد النظر وشدة التمحيص ؟ فهل كان بينهم وبين العرب رابطة جنسية أو دينية أو لغوية حتى يعزوا اليهم ما ليس لهم ، ويحيطوا اسمهم بهذه الفتوحات العلمية التى لم تسجل لأمة قبلهم فى الأرض ؟

إن كل ما عمله المسيو أندريه بشبهته أن أثار من جديد تاريخا حافلا بالعظائم لأمة لم يوجهها هذا التوجيه المدنى الخطير إلا الدين الذى يصمه بما ليس فيه ليلفت اليه نظرات الإعجاب به من جديد ، وإن كان يريد هو عكس ذلك : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون » . محمد فريد وجدى

التفضيل بين المنطق والصمت

قال الذين يذهبون الى تفضيل المنطق : إنما بعثت الأنبياء متكلمين ، ولم يبعثوا صامتين . وبالكلام وصف فضل الصمت ، ولم يوصف القول بالصمت . وبالكلام يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر . والبيان من الكلام هو الذى من الله به على عباده ، فقال : خلق الانسان علمه البيان . والعلم كله لا يؤديه الى أوعية القلوب إلا اللسان ، فنفع المنطق عام لقائله وسامعه ، ونفع الصمت خاص لفاعله .

قالوا . وأعدل شيء قيل فى الصمت والمنطق قولهم : الكلام فى الخير كله أفضل من الصمت ، والصمت فى الشر كله أفضل من الكلام .

قال عبد الله بن المبارك يرثى الامام مالك بن أنس .

صموت إذا ما الصمت زين أهله ... وفتاق أبكار الكلام المختم
وعى ما وعى القرآن من كل حكمة ... ونيطت له الآداب باللحم والدم

وقال عمر بن الخطاب : ترك الحركة غفلة . وقال بكر بن عبد الله المزنى : الصمت خرسة .

وقالوا : الصمت نوم والكلام يقظة . وقالوا : ما شيء ثنى إلا قصر ، إلا الكلام فانه كلما ثنى طال .

اسرار التشريع الاسلامى وفلسفته

الفرائض

عنى الدين الاسلامى بأمر الأسرة أيما عناية ، وأعطاها من نظره السامى وتشريعه الحكيم أوفر قسط وأوفى نصيب ، فجاءها فى كل نواحى حياتها بما يكفل سعادتها ويمتعها بوجود كريم . وإن من خير ما جاء به الدين الاسلامى خاصا بالأسرة نظام المواريث ، فقد شرعه الله تعالى لتآلف الأسر وتناصرها ، ولذلك فصل الكتاب العزيز أحكامه ، وبين سهامه ، على نحو لا يحتاج الى تعمق فى الحساب ولا التماس علل وأسباب ، فعبر بالنصف والثلث ، والربع والسدس ، ونحو ذلك ، تيسيرا على جمهور المكلفين ، ومراعاة لسواد المخاطبين . كل ذلك قطعا للنزاع بين الأسر ، وصونا لعلاقات أفرادها أن تهن أو يتسرب اليها الانحلال .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العلم ثلاثة وما سواها فهو فضل : آية محكمة ، وسنة قائمة ، وفريضة عادلة » يريد بها العدل فى القسمة بحيث تكون على السهام والأنصباء المذكورة فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

فنظام التوريث فى الاسلام من أدق النظم وأصرحها ، وأ كفلها بالنصفة وتحقيق العدالة . وهو موافق للجبلة الانسانية التى مظهرها العطف والحنو بين الأقرباء وذوى الرحم . شهد بذلك كله المشترعون فى القديم والحديث ، وعدّوه من مبارّ الدين الاسلامى وسمو حكمته . وحسبك أن تقارن بينه وبين ما كانت عليه الأمم قبل الاسلام ، وما عليه الامم الأخرى الآن ، لتدرك الى أى حد بلغ نظام التوريث فى الاسلام من الدقة والإحكام

وإذا نظرنا الى أسباب التوارث التى ورد بها الشرع وجدناها قائمة على ما ذكرنا .

فالسبب الأول وهو الرحم قد بنى على المناصرة الجبلية ، وهى لا تكاد تفارق ذويها فى كل ماينوب ، لذلك كان أصحاب هذا السبب أقوى الوارثين ، وكانت مرتبتهم

أول المراتب . والأصل فيه قوله تعالى : «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله» وقوله تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم » الآية .

أما السبب الثانى وهو النكاح فمبناه المصاحبة المطيعة ، واعتبارات أخرى بعضها خاص بالزوج ، وبعضها خاص بالزوجة ، وبعضها مشترك بينهما . فأما الخاص بالزوج فقيامه عليها بالنفقة وتمكينه إياها من ماله ، وذلك يؤديه الى اعتقاد أن ما تركته الزوجة بعض ماله ، فتتطلع نفسه اليه ، وتسهل عليه الخصومة من أجله ، فاذا لم يجعل له فيه حظ ، حزنت نفسه ، واشتد غضبه . وأما الخاص بالزوجة فهو أنها مكلفة بالمكث فى منزله مدة العدة ، والنفقة عليها حينئذ من ماله ، وبما أن تعيين قدر خاص لذلك غير ممكن ، لعدم التحقق من قدر التركة ودرجة الزوجة ، وجب أن يكون ذلك جزءا شائعا . وأيضا ربما جاءت بمن ينسب اليه ويكون من قومه وعشيرته لا محالة . ولما كان اتصال الابن بالأم لا ينجزم ، كانت الأم داخلة قطعا فى تضاعيف آل الزوج . وأما المشترك بينهما فتوكيد التعاون فى تدبير سياسة المنزل ، وشعور كل منهما بأن نفع الآخر وضرره راجع اليه . والأصل فى قوله تعالى : « ولكم نصف ما ترك أزواجكم »

ونظرة واحدة فى كيفية تقسيم التركات ، ومراعاة درجات الورثة ، ترينا مقدار بعد نظر الدين الاسلامى وحرصه على تحقيق العدالة فى أكمل أحوالها ، ذلك أن درجات الورثة تتحد باتحاد المراتب كالبنوة والذكورة والأنوثة ، وتختلف باختلافها . فإذا كان الوارثون ذكورا أو إناثا فى درجة واحدة تساووا ، لعدم الترجيح ، وإن كانوا ذكورا وإناثا فى درجة واحدة فضل الذكر على الأنثى . فإذا تعددت المراتب حجب الأقرب الأبعد حجب حرمان تارة ونقصان تارة أخرى ، لأن الأقرب مظنة النفع والمؤازرة القوية .

هذا والكلام فى الميراث وأسراره طويل الذيول ، فلنكتف الآن بهذا مرجئين الكلام عن أسرار هذه الشرعة الحكيمة الى الأعداد المقبلة .

عباس طه

تصحيح خطأ

وقع نظرى على ما نشرته مجلة الأزهر فى الجزء الثامن من المجلد السادس فى نعى المغفور له الشيخ محمد بخيت وأنه امتحن سنة ١٢٩٣ هـ وقد سبقتها الأهرام فذكرت أنه امتحن سنة ١٢٩٢ هـ

والحقيقة أنه امتحن ونال شهادة العالمية من الدرجة الأولى سنة ١٢٩٤ هـ وكان أحد ستة، منهم الإمام الشيخ محمد عبده، وقد توفوا جميعا، وكان فقيدنا الأخير أطولهم عمرا. وقد امتاز رحمه الله من بنى أترابه بكثرة الاطلاع والبحث، وقد ورث عنه هذه النحلة حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر، فانه حفظه الله من يوم أن غادر مجالس الامتحان فى ١٢ ربيع الثانى سنة ١٣٢٢ هـ وهو عاكف فى أوقات فراغه على البحث والاطلاع، فالزائر لفضيلته فى داره لا يصادفه بغير كتاب فى يده يقرؤه. زاده الله نعمة على نعمة!

هذا ما أردت تسطيره تبيانا للحقيقة ؟ محمد على القاضى الطماوى

الحياة الادبية عند العرب

يذكر قراؤنا أن فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون كتب بحثا تحت هذا العنوان فى العدد العاشر فعقبنا عليه بما يخالف ما ذهب اليه، فأرسل الينا بمقالة ثانية فى الموضوع نفسه يؤيد بها وجهة نظره فى المقالة الأولى، فرأينا أن نغفل نشره لأن الموضوع قد وفى حقه على كلا المذهبين، وقد نشرنا لحضرته مقالة فى موضوع آخر يجدها القراء فى هذا العدد.

لجنة الفتوى بالازهر

ورئيسها الراحـل

كان مقررا أن تنعقد لجنة الفتوى بالأزهر فى الساعة الرابعـة من مساء يوم السبت ٦ من ذى الحجة سـنة ١٣٥٤ الموافق ٢٩ من فبراير سـنة ١٩٣٦ برياسة فضيلة رئيسها المغفور له الشـيخ حسين والى ، وما كادت تبزغ شمس ذلك اليـوم حتى فوجئ أعضاؤها كما فوجئ الناس عامة بنعى رئيسها العظيم ، وما كادت تحين الساعة المحدودة لانعقاد اللجنة ، حتى كان شـيخها الجليل يعبر الطريق من منزله الى الازهر الشريف محمولا فوق الأعناق ، مشيعا بقلوب مكلومة ، وزفرات حارة ، ودموع منهمرة .

وإن أعضاء لجنة الفتوى الذين خبروا الفقيد عن كثب ، فعرفوا فيه العلم الغزير ، والخلق الكريم ، والعقل الراجح ، والفكر الثاقب ، والجلد على البحث ، والشغف بالاطلاع ، والدقة فى تلمس الحق ، ليبثون حزنهم العميق على هذا المصاب الجلل .

وهم جميعا يتقدمون الى الأمم الاسلامية كافة والى رجال العلم والأدب فى أقطار الأرض ، والى أسرة الفقيد ، بصادق العزاء ، ويسألون الله الكريم أن يأجرهم على مصابهم ، وأن يتغمده بالرحمة والرضوان .

واللجنة تتقدم بخالص الدعاء وجزيل الشكر الى حضرة صاحب الجلالة الملك على ما غمر به أسرة العـلم والدين فى شخص فقيدها الـكبير من عطف ورعاية ، كما تشـكر جميع الذين تفضلوا بمواساة الأزهر فى مصابه ، ضارعة اليه سبحانه أن يجزيهم عن عواطفهم نحو الدين ورجاله أحسن الجزاء !

لجنة الفتوى

سكرتير لجنة الفتوى : فكرى يس

إن أسرة مجلة الأزهر تشاطر لجنة الفتوى أساها الجلل على فقد رئيسها الـكريم ، وتصرح بأنها فقدت فى شخصه ركنا من أقوى أركانهـا ، ومرجعا من أوثق مراجعها . وإن القراء عامة والمسلمين كافة ليشاركوننا فى الشعور بهذه الخسارة الفادحة ، فقد كان الفقيد رحمه الله متحليا بجميع سمات الاقطاب من أهل العلم : سعة اطلاع فى تواضع ، وعزة نفس فى بشر ، ووقوف مع الحق فى مقاربة ، وقوة عارضة فى أدب . وإن الذين اشتغلوا معه سواء فى مجلس الشيوخ أو فى هيئة كبار العلماء ، أو فى المجمع اللغوى ، ليشعرون أنهم فقدوا بفقده شخصية ممتازة ، وقوة فعالة ، وبصيرة نافذة ، وعقلية متلالئة .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأنزله منزلة الصالحين الطيبين عنده !

نفسية الرسول العربى

السويرمن الأول العالمى

إن الذين يقرءون سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتأملون فى خلاله وشمائله ، ويدركون جلالة الأعمال التى قام بها بتأييد من الله له ، يشعرون أنهم أمام شخصية عالية يريدون أن يقولوا فيها فيعجزهم البيان ، ويرجون أن يوفوها حقها من الوصف فتضيق لديهم العبارات ، فهؤلاء يجدون فى كتاب الأستاذ الجليل لبيب النشاشيبى المسمى (نفسية الرسول العربى) متنفسا لهم ، فيقرءون فيه ما كان يخالج صدورهم ولا يستطيعون التعبير عنه من عبارات الإكبار والإعجاب ، فهو شعر منثور ولكن ليس معتمده الخيال بل الواقع ، ومن الواقع ما هو أبعد أثرا فى الذهن من الخيال ، وأشد وقعا فى النفس منه .

وقد قرظه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر بكلمات بليغة حكيمة ، وضعها المؤلف فى أولى صفحاته . وإنا لنسجل منه هذه العبارة القليلة الألفاظ الجليلة المعانى ، قال فضيلته :

« إن إخلاصك للحق والعلم ، وتجردك من كل موروث من العقائد والتقاليد ، هو الذى جعلك تخلص الاخلاص كله للنبي العربى صلوات الله عليه ، وتلك فضيلة العلماء ، وخاصة الحكماء ، ولو أن الناس حافظوا عليها ، وجروا فى البحث على منهجها لقل النزاع وضاقت دائرة الخلاف » .

وإنا لنكتفى بهذا القدر اليوم واعدين أن نعود الى هذا الكتاب فى فرص نرجو أن تكون قريبة لنوفيه حقه ، وننقل للقراء بعض ما أورده من آيات البيان ، فى أسلوبه الساحر الفتان .

لباب الاداب

للأمير أسامة بن منقـذ كتاب فى الأدب موسوم بلباب الآداب . وهو من صميم الأدب العربى ، جدير بأن يكون فى كل مكتبة يعنى صاحبها باللغة العربيـة والفصاحة . ومما زاد فى قيمته أن فضيلة الأستاذ الشيخ احمد شاكر القاضى بالمحاكم الشرعية قد عنى به ، فضبط كلماته بالشكل ، ووضع عليه تعليقات قيمة . وقام بطبعه لويس افندى سركيس طبعا متقنا ، فجاء الكتاب من أحسن الكتب الأدبية .

جمعية رعاية اليتيم

تأسست فى سنة ١٣٥٢ جمعية فى مصر الجديدة باسم جمعية رعاية اليتيم ، وقد أرسل الينا قانونها فاطلعنا عليه ، وعلمنا منـه أن غرضها كما يدل عليه اسمها « مساعدة اليتيم وتربيته ، ومساعـدة الفقراء والمعـوزين والأرامل من المسلمين بمصر الجـديدة وضواحيها » الخ . ويلى ذلك تفصيل لوجوه تلك المساعدة .

فنشكر لحضرات القائمين بهـا عملهم البار ، ونرجو الله أن يثبت أقدامهم ، وأن يثيبهم ثواب الصالحين .

شرح البردة وتشطيرها

للأستاذ البوصيرى رحمه الله قصيدة يمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم ، اشتهرت شهرة لم تشاركها فيها قصيدة غيرها ، وهى حرية بهذه الشهرة . وقد قام بشرحها وتشطيرها أخيرا حضرة محمد افندى رضوان احمد وأهدانا بنسخة منها . فنشكره ونثنى عليه .

CHAPTER 21.

باب: لا يُستنجى بِرَوْثٍ:

Animal dung must not be used for Abstersion.

حدثنا أبو نعيم قال حدثنا زهير عن أبي اسحق قال ليس أبو عبيدة ذكره ولكن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه أنه سمع عبد الله يقول:

We are informed by Abu Nuʿaim, who had it from Zuhair, through Abu Ishâq, who stated that it had not been related by Abu ‹Ubaidah but by ‹Abdu-r-Rahmân b. Al-Aswad[1] through his father, who heard ʿAbdul-lâh say :

أَتَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْغَائِطَ فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِثَلاثَةِ أَحْجَارٍ، فَوَجَدْتُ حَجَرَيْنِ والتمستُ الثَّالِثَ فَلَمْ أَجِدْهُ فأخذتُ رَوْثَةً فأتيتُهُ بِهَا فأخذ الحجرين وألقى الرَّوْثَةَ وقال: هذا رِكْسٌ »

" The Prophet (Allâh bless him and give him peace) once went out to the open to relieve his necessity, and ordered me to bring him three stones. I found two stones, and looked for a third but could not find it. So I picked up a lump of dry dung and brought them all to him. He then took the two stones and threw away the lump of dung saying : ' This is unclean. " [2]

---

1. The narrator prefers the authority of ‹Abdu-r-Rahmân to that of Abu ‹Ubaidah, as the former supplies an unbroken Isnâd. (Al-‹Aini).

2. In other versions any doubt suggested against Abu Ishâq's veracity is dispelled by tracing the hadith through Yûsuf, a fellow-witness of Zubair, and by using the formal « حدثني » instead of the casual « ذكره » thus he says :

« وقال ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي اسحق حدثني عبد الرحمن »

« إذا بال أحدكم فلا يأخذن ذكره بيمينه ولا يستنج بيمينه ولا يتنفس في الإناء » :

" When any of you micturateth, let him on no account take his member in his right hand, nor use his right hand for abstersion, nor breathe into his drinking-vessel "

باب الاستنجاء بالحجارة :

CHAPTER 20.

On Abstersion with stones.

حدثنا احمد بن محمد المكي قال حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو المكي عن جده عن أبي هريرة قال :

« اتبعت النبي صلى الله عليه وسلم وخرج لحاجته، فكان لا يلتفت، فدنوت منه فقال : ابغني أحجاراً أستنفض بها (أو نحوه) ولا تأتني بعظم ولا روث، فأتيته بأحجار بطرف ثيابي فوضعتها إلى جنبه وأعرضت عنه فلما قضى أتبعه بهن »

We are informed by Ahmad b. Muhammad Al-Makki, who had it from ‹Amr b. Yahyâ b. Sa‹id b. ‹Amr Al-Makki, through his grandfather, through Abu Hurairah, who said :

" I once followed the Prophet (Allâh bless him and give him peace) when he went out to relieve his necessity. He went on without looking round. (1) When I approached him he said : 'Fetch me some stones for my abstersion (or some word to that effect) but do not bring me any bones or animal dung.(2) I therefore brought him some stones in the fold of my gown and placing them beside him, I left him. When he had finished he made use of the stones. "

---

1. As was his habit .

2.— of horses, mules or asses, which the Arabs may have used when dry and which the Prophet hereby condemns as unclean.

CHAPTER 18.

On the prohibition of Abstersion with the right hand.

We are informed by Mu'âdh b. Fadâlah who had it from Hishâm (Ad-Dastawâ'i), through Yahyâ b. Abu Kathîr, through 'Abdullâh b. Abu Qatâdah, through his father, who stated that the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said :

" When any of you drinketh, let him not breathe in the vessel, and when he relieveth his necessities, let him not touch his member with his right hand, nor use his right hand for abstersion. "

باب النهى عن الاستنجاء باليمين:

حدثنا معاذ بن فضالة قال حدثنا هشام هو الدستوائى عن يحيى بن أبى كثير ، عن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِى الإِنَاءِ، وَإِذَا أَتَى الْخَلَاءَ فَلَا يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَلَا يَتَمَسَّحْ بِيَمِينِهِ »

CHAPTER 19.

The member must not be held in the right hand in micturating.

We are informed by Muhammad b. Yûsuf, who had it from Al-Auzâ'i, through Yahyâ b. Abu Kathîr, through 'Abdullâh b. Abu Qatâdah, through his father, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) who said :

باب : لا يمسك ذكره بيمينه إذا بال :

حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

CHAPTER 17.

On carrying the iron-tipped staff [1] together with the water for purposes of abstersion.

We are informed by Muhammad b. Bashshâr, who had it from Muhammad b. Ja'far, who received it from Shu'bah, through 'Atâ' b. Abu Maimûnah, who heard Anas b. Mâlik say :

" When the Messenger of Allâh went out to relieve his necessities, I and a lad used to carry a small skin of water and an iron-tipped staff. The water was intended for abstersion ."

(Likewise An-Nadr and Shâdhân as fellow-witnesses with Muhammad b. Ja'far confirm this narration through Shu'bah.)

In Kuraimah's version the explanation of عنزة is given as an iron-tipped staff ".

باب حَمْلِ العَنَزَةِ مَعَ المَاءِ فِي الاستِنجَاءِ :

حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا محمد ابن جعفر قال حدثنا شعبة عن عطاء بن أبي ميمونة سمع أنس بن مالك يقول :

« كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَدْخُلُ الخَلَاءَ فَأَحْمِلُ أَنَا وَغُلَامٌ إِدَاوَةً مِنْ مَاءٍ وَعَنَزَةً ـ يَسْتَنْجِي بِالمَاءِ » .

(تَابَعَهُ النضرُ وشاذانُ عن شعبة)

الْعَنَزَةُ عَصاً عليه زُجٌ .

---

1. It is related that this staff was presented to the Prophet by the Negus, and may have been used partly to drive away wild beasts , partly to loosen the soil for sanitary reasons, partly to stick in the ground during prayer in open country *to warn anyone from passing in front*, and partly to lean upon. It was handed down to the four Orthodox Califs and preserved by Ibn-uz-Zubair until his death.

" Whenever the Prophet (Allâh bless him and give him peace) went out to relieve his necessities, I and a lad came *to him* carrying a small skin of water. "

Abu-l-Walīd adds that Anas meant that the water was for the Prophet to perform his abstersion. [1]

« كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَجِيءُ أَنَا وَغُلَامٌ مَعَنَا إِدَاوَةٌ مِنْ مَاءٍ » ـ يَعْنِي يَسْتَنْجِي بِهِ .

CHAPTER 16.

On one in whose company water is carried for his use in purification;

and on the words of Abu-d-Dardâ› : " Is there not amongst you one who was the bearer of the Prophet's sandals, purification-water, and cushion ? "[2]

We are informed by Sulaimân b. Harb, who was told it by Shu'bah, through Abu Mu‹âdh namely ‹Atâ› b. Abu Maimûnah, who heard Anas say:

" Whenever the Messenger of Allâh went out to relieve his necessities, I and a lad of our people[3] followed him carrying a small skin of water."

بابُ مَنْ حُمِلَ مَعَهُ الْمَاءُ لِطُهُورِهِ ،

وقال أبو الدرداء : أَلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ النَّعْلَيْنِ وَالطَّهُورِ وَالْوِسَادِ ؟

حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن أبي معاذ، هو عطاء بن أبي ميمونة، قال سمعت أنسا يقول :

« كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ تَبِعْتُهُ أَنَا وَغُلَامٌ مِنَّا مَعَنَا إِدَاوَةٌ مِنْ مَاءٍ » .

---

1. Al-Bukhâri's purpose in citing this hadith was to give an answer to those who maintained that the Prophet did not use water for this purpose, but stones.

2. Abu-d-Dardâ› was a prominent Sahâbi and a judge in Damascus during the Califate of ‹Uthmân. When he was asked by the people of Irâq for decision he used to reply : "Why ask a man like me, when you have among you ‹Abdullâh b. Mas‹ûd who bore the Prophet's sandals etc. "

3. Namely ‹Abdullâh b Mas‹ûd. (Al-Qastallani)

when I saw the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) relieving his necessities with his back to the qiblah and his face to Syria."[1]

لِبَعْضِ حَاجَتِي فَرَأَيْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته مُسْتَدْبِرَ القِبْلَةِ مُسْتَقْبِلَ الشَّأْمِ ».

2. We are informed by Ya'qûb b. Ibrâhîm, who had it from Yazid b. Hârûn, who received it from Yahyâ, through Muhammad b. Yahyâ b. Habbân that he was told by his paternal uncle Wâsi' b. Habbân that 'Abdullâh b. 'Umar informed him saying :

حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال : حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا يحيى عن محمد بن يحيى بن حبان أن عمه واسع بن حبان أخبره أن عبد الله بن عمر أخبره قال :

" *I remember clearly* that I went up one day on to the roof of our house, when I saw the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) squatting on two mud-bricks[2] with his face towards Jerusalem. "

« لَقَدْ ظَهَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى ظَهْرِ بَيْتِنَا فَرَأَيْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَاعِداً على لَبِنَتَيْنِ مُسْتَقْبِلَ بَيْتِ المَقْدِسِ ».

CHAPTER 15.

بابُ الاستِنْجَاءِ بالمَاءِ :

On Abstersion by means of water.

We are informed by Abu-l-Walid, Hishâm b. 'Abdul-Malik, who had it from Shu'bah, through Abu Mu'âdh named 'Atâ' b. Abu Maimûnah, who heard Anas b. Mâlik say :

حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك قال حدثنا شعبة عن أبي معاذ واسمه عطاء ابن أبي ميمونة قال سمعت أنس بن مالك يقول :

---

1. Presumably the Prophet was in the courtyard in an open privy. The purpose of this hadith is to show that after the introduction of privies into houses, it was no longer necessary for women to go out for sanitary reasons.

2.—to relieve his necessity.

the veil verses. [1]

الحجابُ ،فأنزلَ اللهُ آيةَ الحجابِ .

2. We are informed by Zakariyyâ, who had it from Abu Usâmah, through Hishâm b. ‹Urwah, through his father, through ‹A›ishah, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) who said *to his wives* :

" It hath verily been permitted unto you to go out[2] for your needs."

(Hishâm explained that by "needs' is meant "natural necessities.")

حدثنا زكرياء قال حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قد أُذِنَ أنْ تخرُجنَ في حاجتِكنَّ » قال هشام : يعني البرازَ .

CHAPTER 14.

بابُ التبرُّزِ في البيوتِ :

On relieving necessities in houses.

1. We are informed by Ibrâhim b. Al-Mundhir, who had it from Anas b. ‹Iyâd, through ‹Ubaidullâh, through Muhammad b. Yahyâ b. Habbân, through Wâsi‹ b. Habbân, through ‹Abdullâh b. ‹Umar, who said :

" I went up on to the roof of Hafsah's house for a personal reason,

حدثنا ابراهيم بن المنذر قال حدثنا أنس بن عياض عن عبيد الله عن محمد ابن يحيى بن حبان عن واسع بن حبان عن عبد الله بن عمر قال : « ارتقيتُ فوقَ ظهرِ بيتِ حفصة

---

1. There are three possible renderings of حجاب :

a. Covering the face (Surah 33, v. 59) ; b. Speaking to men from behind a screen (Surah 33, v. 53) ; c. Confinement to the house except in the case of legal necessity, in which case the whole person must be veiled (Surah 24, v. 31). This is one of the eleven cases where the revelations in the Qur›ân confirmed ‹Umar's views. (See Al-Qastallâni).

2. ‹Umar was in favour of complete seclusion of the Prophet's wives, and even after the first revelation of covering the face, he was not satisfied. On another occasion when Saudah had gone out veiled, ‹Umar recognised her by her height and shouted out « يا سودة ! أما والله ما تخفين علينا » " O Saudah, ay ! by Allâh thou canst never disguise thyself from us. " When she returned and told the Prophet about it, the revelation here referred to was sent down. (Al-Qastallâni).

CHAPTER 13.

On women going out to relieve their necessities.

1. We are informed by Yahyâ b. Bukair, who received it from Al-Laith, who had it from ʿUqail, through Ibn Shihâb, through ʿUrwah, through ʿAʾishah that :

The wives of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to go out at night when they relieved their necessities, to Al-Manâsiʿ which is an elevated open space. ʿUmar had told the Prophet (Allâh bless him and give him peace) to keep his wives indoors, but the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) did not do so. Saudah bint Zamʿah, a wife of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) went out one evening in the dusk. She was a tall woman, and so ʿUmar called out to her : " Ho there ! Saudah, we have recognised thee." He did this because he was eager for a revelation enjoining the seclusion of women ; and in fact Allâh did subsequently send down

باب خُرُوجِ النِّسَاءِ إِلَى الْبَرَازِ :

حدثنا يحيى بن بُكَير قال حدثنا الليث قال حدثني عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة :

أَنَّ أَزْوَاجَ النبيّ صلى الله عليه وسلم كُنَّ يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا تَبَرَّزْنَ إِلَى الْمَنَاصِعِ ، وَهُوَ صَعِيدٌ أَفْيَحُ ، فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ لِلنبيّ صلى الله عليه وسلم : احْجُبْ نِسَاءَكَ ، فَلَمْ يَكُنْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَفْعَلُ .

فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجُ النبيّ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةً مِنَ اللَّيالي عِشَاءً وكانت امْرَأَةً طَوِيلَةً ، فَنَادَاهَا عُمَرُ « أَلَا قَدْ عَرَفْنَاكِ يَا سَوْدَةُ » حِرْصًا عَلَى أَنْ يُنْزَلَ

" Some people[1] say that if thou relievest thy necessities squatting, face not the qiblah, nor Jerusalem ; well, (added ʿAbdullâh b. ʿUmar) I once went up on to the roof of a house of ours, and I did see the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) squatting on two mud-bricks to relieve his necessity whilst facing Jerusalem."

Ibn ʿUmar then said to Wâsiʿ : " Perchance thou art one of those that perform their prayers *resting* on their thighs ! " Wâsiʿ replied : " By Allâh, I am not conscious of it. " [2]

Expounding

« من الذين يصلون على أوراكهم »

Mâlik said : " It meant one that performeth his prayers without raising himself from the ground — making his prostrations *with the limbs* touching the ground."

إِنَّ نَاساً يَقُولُونَ : إِذَا قَعَدْتَ
عَلَى حَاجَتِكَ فَلَا تَسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ وَلَا
بَيْتَ المَقْدِسِ ، فقال عبد الله بن عمر :
لَقَدِ ارْتَقَيْتُ يَوْماً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَنَا
فَرَأَيْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم
عَلَى لَبِنَتَيْنِ مُسْتَقْبِلاً بَيْتَ المَقْدِسِ
لِحَاجَتِهِ ،
وقال: لَعَلَّكَ مِنَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ
عَلَى أَوْرَاكِهِمْ، فَقُلْتُ : لَا أَدْرِي والله»
قال مَالِكٌ : يَعْنِي الَّذِي يُصَلِّي
وَلَا يَرْتَفِعُ عَنِ الأَرْضِ - يَسْجُدُ
وَهُوَ لَاصِقٌ بِالأَرْضِ .

---

1. Such as Abu Hurairah and Abu Ayyûb Al-Ansâri who hold the principle of general prohibition.

2. According to Muslim, Ibn ʿUmar saw Wâsiʿ praying in the Mosque, and thought he was making his prostrations incorrectly. He appeared to be allowing his abdomen to touch his thighs and his forearms to lie along the ground— instead of keeping his trunk and arms clear from the ground, his elbows spread outwards and knees apart. The sunnah prescribes that only the hands, forehead, nose, knees and toes must be in contact with the ground.

It would appear that Ibn ʿUmar was under the impression that Wâsiʿ had adopted that attitude in prostration in order to prevent the pudenda from obtruding in the direction of the qiblah, —thinking that just as it was prohibited to face the qiblah while relieving necessities, so it would be to obtrude the parts in prostration. Hence Ibn ʿUmar's remark, which was intended to convey to Wâsiʿ the principle that just as walls and buildings were an effective screen from the qiblah in the case of relieving necessities, so were clothes in the case of prostration in prayer. [See Ibn Hajar Vol. I p. 175, Cairo, 1319 A. H.]

ʿAtâʾ b. Yazîd Al-Laithi, through Abu Ayyûb Al-Ansâri, who stated that the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said :

" When any of you goeth to the draught, let him not face the qiblah, nor turn his back to it ; turn ye [1] to the east or to the west. "

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا أَتَى أَحَدُكُم الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ ، شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا » .

CHAPTER 12.

On him who when defecating *is seated resting* on his haunches upon two mud-bricks.

We are informed by ʿAbdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Yahyâ b. Saʿîd, through Muhammad b. Yahyâ b. Habbân, through his uncle Wâsiʿ b. Habbân, through ʿAbdullâh b. ʿUmar that he used to state that :

بَابٌ مَنْ تَبَرَّزَ عَلَى لَبِنَتَيْنِ :

حدثنا عبدالله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسع بن حبّان عن عبد الله بن عمر أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ :

---

1. Here the Prophet changes from the third person to the second as he is directing the last remark to the Madinites,—which is naturally valid for all worshippers in the same longitude. The exception mentioned in the heading was not accepted by Abu Ayyûb the narrator of this hadith who takes the prohibition to be general. In the " Talw'h" we find that Abu Ayyûb says :

« فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض قد بنيت نحو الكعبة فكنا ننحرف عنها ونستغفر الله »

" We came to Syria where we found the privies built facing Makkah, so we turned aside from them and asked forgiveness of Allâh." This is confirmed by Mâlik's hadith as well as by ʿAtâʾ's. Abu Hanifah adopts this view, while Ash-Shâfiʿi and the others consider that it is mainly intended for the desert or open spaces. This principle has influenced the architectural disposition of mosques and houses in Muslim countries.

CHAPTER 10.

On placing water by the privy.

We are informed by ‹Abdullâh b. Muhammad who had it from Hâshim b. Al-Qâsim, who received it from Warqâ›, through ‹Ubaidullâh b. Abu Yazîd, through Ibn Abbâs that:

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) once entered the privy and I placed water *by it* for his wudû›. When he asked who had put it there and was told who it was, he said : " O Allâh, grant him [1] a deep knowledge of the Faith."

بابُ وَضعِ الماءِ عِندَ الخَلاءِ :

حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا هاشم بن القاسم قال حدثنا ورقاء عن عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس :

أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ الخَلاءَ فوَضَعتُ لهُ وَضوءًا، قال: مَنْ وَضَعَ هذا؟ فأُخبِرَ، فقال: « اللّهُمّ فقهه في الدِّينِ ».

CHAPTER .11

The Qiblah[2] must not be faced in defecating or micturating, unless there be an *intervening* building – a wall or the like. [3]

We are informed by Adam, who had it from Ibn Abu Dhi›b, who received it from Az-Zuhri, through

باب: لا تُستَقبَلُ القِبلَةُ بغائطٍ أو بَولٍ إلاّ عِندَ البِناءِ: جِدارٍ أو نَحوِه:

حدثنا آدم قال حدثنا ابن أبي ذئب قال حدثنا الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي أيوب الأنصاري

---

1. Ibn ‹Abbâs was only a boy at the time, and the Prophet felt that his evident intelligence and consideration deserved that he should have the deepest instruction in the Faith. The prayer was answered as Ibn ‹Abbâs afterwards became one of the greatest faqihs of Islâm.
2. Any side of the Ka›bah which worshippers face all over the world.
3. Such as rocks, hills and mountains.

which thou mayest bestow upon us', and if it is foreordained that a child be born to them, Satan cannot harm it . "

وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ـ فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ »

CHAPTER 9.

بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ الخَلَاءِ :

On what a person should say when about to enter the privy.

We are informed by Adam, who had it from Shu'bah, through 'Abdul-Azîz b. Suhaib, who heard Anas say:

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) on entering the privy used to say: " O Allâh, I take refuge in thee from demons male and female." (1)

(Likewise Ibn 'Ar'arah as fellow-witness with Adam confirms this narration through Shu'bah; and while Ghundar reports through Shu'bah: "on reaching the privy, " Mûsa reports through Hammâd : " on entering ", and Sa'd b. Zaid states that he was informed by 'Abdul-'Aziz : " when about to enter.")

حدثنا آدم قال حدثنا شعبة عن عبد العزيز بن صهيب قال سمعت أنساً يقول :

« كَانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ الخَلَاءَ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ »

تَابَعَهُ ابن عرعرة عن شعبة ، وقال غندر عن شعبة « إِذَا أَتَى الخَلَاءَ » وقال موسى عن حماد « إِذَا دَخَلَ » وقال سعيد بن زيد حدثنا عبد العزيز « إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ » .

---

1. If the masdar خبث is read for خبث plural of خبيث the translation of the phrase will be " abomination and iniquities. "

took another scoop of water and poured it out slowly over his right foot *up to the ankle*, until he had washed it; he did likewise for the other foot, that is, his left foot.

When he had done this he said: "Thus have I seen the Messenger of Allâh perform his wuḍû'."

اليُمْنَى حَتَّى غَسَلَهَا، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً أُخْرَى فَغَسَلَ بِهَا رِجْلَهُ، يَعْنِي الْيُسْرَى .

ثُمَّ قَالَ : هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلي الله عليه وسلم يَتَوَضَّأُ .

CHAPTER 8.

On uttering the basmalah (1) in all conditions,(2) even during copulation. (3)

We are informed by ‘Ali b. ‘Abdullâh, who had it from Jarîr, through Manṣûr, through Sâlim b. Abul-Ja‘d, through Kuraib, through Ibn ‘Abbâs who traces(4) to the Prophet (Allâh bless him and give him peace) the following saying:

" If each of you, when he hath intercourse with his wife saith : ' In the Name of Allâh, O Lord, keep Satan away from us, and from that

بابُ التَّسْمِيَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَعِنْدَ الْوِقَاعِ :

حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا جرير عن منصور عن سالم ابن ابي الْجَعْدِ عَنْ كريب عن ابن عباس يَبْلُغُ بِهِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال :

« لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ : بِسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ

---

1. i.e. the formula (بسم الله الرحمن الرحيم) " In the Name of Allâh the All-Loving the Most Merciful."

2. i.e. whether in conditions of ritual purity, impurity or defilement by sexual intercourse.

3. A condition which would naturally be expected to be most remote from religious feeling, and which according to Muhammadan Tradition should be associated with silence.

4. Kuraib here is not certain whether Ibn ‘Abbâs had the hadith directly from the Prophet, or from a contemporary Companion who received it from the Prophet.

CHAPTER 7.

On washing the face with both hands, *taking the water* at one scoop.

We are informed by Muhammad b. ʿAbdu-r-Rahîm, who had it from Abu Salamah Al-Khuzâʿi Mansûr b. Salamah, who received it from Ibn Bilâl—to wit Sulaimân—through Zaid b. Aslam, through ʿAtâʾ b. Yasâr, through Ibn ʿAbbâs that the last-named performed his wudûʾ as follows :—

He *first* washed his face taking the water at one scoop with which he rinsed his mouth and cleansed his nostrils ; again taking up a scoop of water with one hand he acted thus : he joined it to the other hand and washed his *whole* face with both. He then took another scoop of water with which he washed his right hand *up to the elbow* ; then taking up another scoop of water he did likewise with his left hand; he then stroked part of his head[1]. After that he

بابُ غَسلِ الوَجهِ باليَدَينِ مِنْ غَرْفَةٍ وَاحِدَةٍ :

حدثنا محمد بن عبد الرحيم قال أخبرنا أبُو سَلَمَة الخُزاعي منصورُ بن سلمة قال أخبرنا ابن بلال يعني سليمان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس : أَنَّهُ تَوَضَّأَ فغسَلَ وَجْهَهُ، أَخَذَ غَرْفَةً من ماءٍ فَمَضْمَضَ بها واستَنْشَقَ، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَجَعَلَ بها هَكَذا : أضافَها إلى يَدِهِ الأُخْرَى فَغَسَلَ بِهِمَا وَجْهَهُ، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَغَسَلَ بِهَا يَدَهُ اليُمْنَى، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَغَسَلَ بِهَا يَدَهُ اليُسْرَى، ثُمَّ مَسَحَ بِرأسِهِ، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَرَشَّ عَلَى رِجْلِهِ

1. Abu Dâwûd in his version of the same hadith adds : « بعد أن قبض قبضة من الماء ثم نفض يده » " After taking up a fresh scoop of water and shaking it off his hand. " He also mentions the moistening of the ears.

The Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) was returning from ‹Arafah, and when he reached Ash-Shi‹b[1] he alighted, micturated and then performed his wudû‹,but without doing it thoroughly. "Shall we pray, O Apostle of Allâh?" asked I. " Prayer will be made further on",[2] replied he. He then remounted, and when he came to Al-Muzdalifah,[3] he alighted and performed a thorough wudû‹. The prayer was then called [4] and he performed the sunset prayer, after which each man made his camel kneel at the spot where he alighted. Then the iqâmah was called for the evening prayer, which the Prophet performed, making no other prayer between these two. [5]

دَفَعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ عَرَفَةَ حَتَّى إِذا كَانَ بالشِّعْبِ نَزَلَ فَبَالَ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَلَمْ يُسْبِغِ الوُضُوءَ ، فقلتُ : « الصَّلاةَ يارَسُولَ اللهِ ؟ » فقالَ : « الصَّلاةُ أَمَامَكَ » فَرَكِبَ فَلَمَّا جَاءَ المُزْدَلِفَةَ نَزَلَ فَتَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلاةُ فَصَلَّى المَغْرِبَ ، ثُمَّ أَنَاخَ كُلُّ إِنْسَانٍ بَعِيرَهُ فِي مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ أُقِيمَتِ العِشَاءُ فَصَلَّى وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُما .

---

(1) A mountain-track familiar to the pilgrims.

(2) This incident has formed the precedent for the pilgrims returning from ‹Arafah making no prayers until they reach Al-Muzdalifah.

(3) A place between ‹Arafât and Minâ.

4. إقامة (iqâmah) the call to "rise" to prayer from the sitting posture in the mosque, as distinct from the أذان (adhân)which is the first general call made by the muezzin from the minaret, or an elevated place within the mosque.

5. It is to be noted that here the sunset and the evening prayers were combined owing to the exigencies of travel ; and in order that the proper sequence should be maintained, no supererogatory prayers were made in the interval. It is also evident that an "Iqâmah" was required for each prayer, while a single " adhân " sufficed for both. As regards making the camels kneel in the interval, which was done to eliminate their noise, the continuity of the prayers was not held to be broken as the men did this in silence.

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للاستاذ ابراهيم محمد الموجى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

BY

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

OF RITUAL ABLUTION
(Continued)

CHAPTER 6.

On the thorough performance of the wudû;

And on the words of Ibn ʿUmar: "The thorough performance of the wudû consisteth in perfect cleansing.

We are informed by ʿAbdullâh b. Maslamah, through Mâlik, through Mûsa b. ʿUqbah, through Kuraib, the freedman of Ibn ʿAbbâs, through Usâmah b. Zaid that he heard the last-named say :

كتاب الوُضوء (تابع ما قبله)

بابُ إسباغ الوُضُوء ،

وقال ابنُ عُمَرَ « إسباغُ الوُضُوء الإنقاء » :

حدثنا عبد الله بن مَسلمة عن مالك عن موسى بن عقبة عن كُريب مولى ابن عباس عن أسامة بن زيد أنه سمعه يقول :

كل نفس ذائقة الموت

لو كان لنفس بشرية أن تخلد فى هـذا العالم بقوة إرادتها ، ومضاء عزيمتها ، وعزة سلطانها ، لكان الملك فؤاد واحدا من أفراد خالدين . ولكن الله خلق هذا العالم الأرضى وجعله ممرا الى عالم أمرع جنابا ، وأوسع رحابا ، وأقرب الى حظائر القدس أسبابا ، وأكرم لأهل الكمالات مستقرا ومآبا ، وما مات من خلف وراءه دويا يملأ الجواء ، وذكرا تتمطر به الأرجاء ، ونورا تستهدى به الأحياء ، وسيرة تترسم خطواتها القادة والأعلياء ، وشبلا يحيي آثاره ويزيدها لألاء .

فلم يمت الملك فؤاد ، ولكنه ارتقى من عالم الفناء ، الى عالم البقاء ، ومن مواطن العمل الى مواطن الثواب والجزاء : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

إن للملك الراحل ، جعل الله الرفيق الأعلى مثواه ، من المآثر أميرا ومليكا ، ما لا يستقصيه إحصاء ، ولا يستوعبه تعداد ، فإذا شيعته اليوم مصر الى حيث من تقدمه من الملوك الأخيار ، والعياهل الأبرار ، فإنما تشيع نفسا بعثت الحياة الى نفوسها ، وإرادة نفثت روح القوة فى إرادتها ، وعظمة أشعرتها بسر عظمتها ، فهى ليست مدينة له بما أحدث فيها من ضروب الإصلاح ما لا عهد لها به من قبل فحسب ، لكنها مدينة له أيضا بما هو أرفع من ذلك : بالشعور بوجودها ، وبكرامتها ، وبحقها فى الحياة العزيزة القوية . ولقد تأثرت كل طائفة من مصر بحظ من هـذا الشعور ، وهو قوام وجودها ، وباعث ارتقائها ، ولعل الأزهر من أكثرها حظا منه ، فقد استوى الملك

الراحل على أريكة الملك وهـذه الجامعة مفـككة الأوصال ، منحـلة الأواخى ، تسير تارة الخيزلى ، وترتد تارات القهقرى ، وقد أعيا دواؤها نطس الأساة واستعصى قيادها على الهداة ، فأمدها من عنايته بنصيب موفور ، وما زال يواليها الرعاية حتى تماثلت من علتها ، ولـكن العلل المزمنة ، تخلف ضعفا لا محيص من تركه للزمن ينفيه يسيرا يسيرا ، فلما آنس منها القوة على الوثوب الى غاياتها ، أسند رعايتها لإمام المجددين فى هذا العصر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، وما كاد الملك يدعى الى جوار ربه حتى رأى بعينيه هـذه الجامعة تحت القيادة الحـكيمة التى منحها إياها تتبوأ مكانهـا من حظيرة الجامعات الـكبرى ، لا نقول بالغة الغاية من رقيها ، ولـكنا نقول سائرة الى تلك الغاية بخطى سريعة لا نقول متزنة .

***

وبعد فلو أردنا أن نحصى ما للملك الراحل العظيم من الأثر البليغ فى جميع مرافق الحياة الأدبية والمـادية فى مصر لمـا استطعنا الى ذلك سبيلا .

وقد ختم ، أكرم الله وفادته ، ورفع مـكانته ، أعمـاله الجليـلة البارة بمـا وفق اليه من إهـداء الأمة بوارث خلاله العظيمة وسجاياه الـكريمة ، صاحب الجـلالة المـلك « فاروق الأول » جعل الله عهده مقرونا باليمن والإقبال ، وأيامه حافلة بجلائل الأعمال ، وأمـد فى عمره حتى يرى أمته فى مصاف الأمم الـكبرى ، تحقيقا لغرض آبائه العظام من قبل ؛ وإن هذه الأمة التى أخلصت لهم الولاء ، لتعاهد الله على أن تخلص لجلالته ، وتسترشد بهدايته ، وتتيمن بطاعته .

نبذة من تاريخ الملك الراحل

ولد صاحب الجلالة أحمد فؤاد الأول فى ٢٦ مارس سنة (١٨٦٨) فهو تاسع من تولى الأريكة المصرية من سلالة موجد مصر محمد على الكبير. وهو ابن اسماعيل خديو مصر المظيم، عنى بتربيته وتثقيف عقليته، فألحقه بمعهد توديكوم بجنيف فنال منه حظا من الثقافة استعد به أن يلحق بالمعهد العلمى الدولى بتورينو من ايطاليا. وفى سنة ١٨٨٥ أى لما بلغ الثامنة عشرة أدخله والده الى الكلية الحربية فى تلك المدينة، وتلقى بعد ذلك دروسا فى مدرسة المدفعية. ولما تخرج عين ملازما فى حامية روما. وفى سنة ١٨٩٠ ندبه سلطان تركيا ليكون ملحقا عسكريا فى السفارة العثمانية فى فينا.

ولما حضر الى مصر، ونمت عليه ثقافته العالية، أخذ العاملون على النهضة الحديثة يسندون اليه رعاية المشروعات العلمية، والمؤسسات الخيرية، فأسند اليه القائمون بأمر الجامعة المصرية رعايتها، فكان روحها المدبر، وعقلها المفكر، حتى أزهرت وأثمرت وضمت الى وزارة المعارف. وعهدت اليه رئاسة اللجنة المصرية التى ألفت لإسعاف منكوبى صقلية سنة ١٩٠٩ فكان عند ظن الناس به. وفى سنة ١٩١٠ ألقيت مقاليد جمعية الإسعاف اليه، فكان لها مصدر يمن وإقبال. وفى سنة ١٩١٦ رجاه الجنرال مكسويل أن يأخذ جمعية الهلال الأحمر تحت رعايته، فكان أثره فيها أكبر الآثار.

ومن أعماله الكثيرة لإصلاح المجتمع المصرى وهو لايزال أميرا، إنشاؤه مشغل الصناعات اليدوية فى اسكندرية لتعليم بنات الطبقات الفقيرة صناعات يستعن بها على كسب القوت، فما لبث هذا المشغل أن نما وامتد حتى ضم المئين من البنات.

أما أعماله فى الدولة المصرية وهو ملك فلا يكفى فيها أقل من مجلد ضخم، فإن كل

مايتجلى فى مصر اليوم من تجديدات إدارية واقتصادية وعلمية وقضائية ودستورية تمت فى عهده فى وسط صعوبات من ضروب شتى كان يزيلها بسداد رأيه وحسن تدبيره .

وكان إسلامه روحه الكريمة يوم الثلاثاء السابع من صفر سنة ١٣٥٥ الثامن والعشرين من شهر أبريل سنة ١٩٣٦ واحتفل يوم الخميس بدفن جثمانه الطاهر فى مقابر الأسرة المالكة بجوار مسجد الرفاعى. جعل الله مثواه فى عليين ، وأطال الله بقاء نجله العظيم صاحب الجلالة « فاروق الأول » وأمتع بوجوده شعبه الأمين .

محمد فريد وجدى



في مناسبة شروع مشيخة الأزهر بالاشتراك مع وزارة المعارف في ترجمة معاني القرءان الكريم الى أشهر اللغات الأوربية حفظا لتلك المعاني السامية من تشويه الترجمات لجالها ، رأينا أن ننشر بحثا مستفيضا جامعا نشره حضرة صاحب الفضيلة الامام الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر في سنة (١٩٣٢) فانه حفظه الله وفى هذا المقام حقه من الابانة والتدليل على مذهب أبي حنيفة ، فكان موردا عِدًّا لطلاب الحقيقة من هذا الموضوع . قال أيده الله بروح من عنده :

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونستعينه ، ونلجأ اليه ، ونطلب منه التوفيق في الرأى والعمل ، ونصلي على خاتم أنبيائه ورسله .

وبعد : فهذه فصول في ترجمة القرءان الكريم وأحكام قراءتها في الصلاة وغيرها ، أثبتُّ فيها النصوص ، ووازنت بعضها ببعض ، وبينت مداركها ، وأرجو أن أكون مؤيدا فيها بالتوفيق .

استحالة ترجمة القرآن :

أُثبتَ في صدر هذا البحث نصا لأبي إسحاق الشاطبي من كتاب الموافقات ، وسترى أن ما قاله معروف لكل من درس علوم البلاغة ، وعرف وظائفها وتحديد الفروق بينها وبين غيرها من علوم العربية . ولكن الناس كثيرا ما يذهب عنهم المعروف إذا عرض لهم شيء يختص بأمر ديني ، وبخاصة إذا كان ذلك متعلقا بكتاب الله سبحانه ، وبالعبادات . قال الشاطبي :

« للغة العرب من حيث هى ألفاظ دالة على معان نظران : أحدهما من جهة كونها ألفاظا وعبارات مطلقةً دالة على معان مطلقة ، وهى الدلالة الأصلية . والثانى من جهة كونها ألفاظا وعبارات مقيدةً دالة على معان خادمة ، وهى الدلالة التابعة . فالجهة الأولى يشترك فيها جميع الألسنة ، وإليها تنتهى مقاصد المتكلمين ، ولا تختص بأمة دون أخرى ، فإنه إذا حصل فى الوجود فعل لزيد مثلا كالقيام ثم أراد كل صاحب لسان الإخبار عن زيد بالقيام ، تأتى له ما أراد من غير كلفة . ومن هذه الجهة يمكن فى لسان العرب الإخبار عن أقوال الأولين ممن ليسوا من أهل اللغة العربية وحكاية كلامهم ، ويتأتى فى لسان العجم حكاية أقوال العرب والإخبار عنها ، وهذا لا إشكال فيه .

وأما الجهة الثانية فهى التى يختص بها لسان العرب فى تلك الحكاية وذلك الإخبار ، فإن كل خبر يقتضى فى هذه الجهة أمورا خادمة لذلك الإخبار ، بحسب المخبر والمخبر عنه والمخبر به ، ونفس الإخبار فى الحال والمساق ، ونوع الأسلوب من الإيضاح والإخفاء والإيجاز والإطناب ، وغير ذلك . فأنت تقول فى ابتداء الإخبار : قام زيد ، إن لم تكن لك عناية بالمخبر عنه بل بالخبر ، فإن كانت العناية بالمخبر عنه قلت : زيد قائم ، وفى جواب السؤال أو ما هو بمنزلة السؤال : إن زيدا قام ، وفى جواب المنكر لقيامه : والله إن زيدا قام ، وفى إخبار من يتوقع قيامه والإخبار بقيامه : قد قام زيد أو زيد قد قام ، وفى التنكيت على من ينكر : إنما قام زيد . ثم يتنوع أيضا بحسب تعظيمه وتحقيره ، أعنى المخبر عنه ، وبحسب الكناية عنه والتصريح به ، وبحسب ما يقصد فى مساق الإخبار وما يعطيه مقتضى الحال ، الى غير ذلك من الأمور التى لا يمكن حصرها ، وجميع ذلك دائر حول الإخبار عن زيد بالقيام . فمثل هذه التصرفات التى يختلف معنى الكلام الواحد بحسبها ليست هى المقصود الأصلى ولكنها من مكملاته ومتماته . وبهذا النوع اختلفت العبارات وكثير من أقاصيص القرآن ، لأنه يأتى مساق القصة فى بعض السور على وجه ، وفى بعضها على وجه آخر ، وفى ثالثة على وجه ثالث ، وهكذا مما تكرر فيه

من الأخبار لا بحسب النوع الأول، إلا إذا سكت عن بعض التفاصيل فى بعض ونص عليه فى بعض، وذلك يكون أيضا لوجه اقتضاه الحال والوقت، وما كان ربك نسياً .

وإذا ثبت هـذا فلا يمكن لمن اعتبر هذا الوجه الأخير أن يترجم كلاما من العربى بكلام العجم على أى حال، فضـلا عن أن يترجم القرءان وينقله الى لسـان غير عربى إلا إذا فرض استواء اللسانين فى اعتبار المترجم، كما إذا استوى اللسانان فى استعمال ما تقدم تمثيله .

فإذا ثبت ذلك فى اللسان المنقول اليه مع لسان العرب، أمكن أن يترجم أحدهما الى الآخر، وإثبات هـذا بوجه بيّن أمر عسير جـدا، وربما أشار الى ذلك أهل المنطق من القدماء ومن حذا حذوهم من المتأخرين، ولـكنه غير كاف ولا مغن فى هـذا المقام .

وقد نفى ابن قتيبة إمكان الترجمة فى القرءان، يعنى على هذا الوجه الثانى . فأما على الوجه الأول فهو ممكن، ومن جهته صح تفسير القرءان وبيان معناه للعامة ومن ليس لهم فهم يقوى على تحصيل معانيـه، وذلك جائز باتفاق أهل الاسـلام، فصار هذا الاتفاق حجة فى صحة الترجمة على المعنى الأصلى » .

أثبت الشاطبى فى هذا الفصل جواز الترجمة وإمكانها، وسأعقد فصلا خاصا لجواز الترجمة على مذهب فقهاء الحنفية، ولـكن الشاطبى أتى بما يرد كل شبهة فى ترجمة القرءان، حيث قال : إن أهل الاسلام أجمعوا على جواز تفسيره للعامة، وهذا إجماع منهم على جواز ترجمته .

وبيان هـذا أن التفسير قـد يطول وقـد يقصر، وهو تعبير بألفاظ تبين معانى القرءان وأغراضه، وليست هى ألفاظ القرءان، وقـد يكون المفسر مخطئا فى بيان معانى المفردات، وقد يكون مخطئا فى بيان المعانى التى يدل عليها التركيب، ولا يمكن أن تُدّعى العصمة لمفسر أيا كان، ومع هذا فقد احتمل جواز هـذا الخطأ، فيجب

أن يحتمل جواز الخطأ فى الترجمة كما احتمل فى التفسير ، إذ لا فرق بين المفسّر والمترجِم إلا أنّ هذا يضع فى بيان معنى اللفظ لفظا عربيا ، وذاك يضع لفظا أعجميا .

وإذا وَجد المترجم نفسه أمام لفظ مشترك يدل على معان مختلفة ، أو أمام لفظ متضاد يدل على معان متضادة كلفظ (القرء) الذى يدل على الحيض والطهر ، أو وجد نفسه أمام جملة يختلف معناها باختلاف ارتباط الظروف ، أو باختلاف أوجه الإعراب وجب عليه أن يختار معنى واحدا من معانى الأسماء المشتركة والمتضادة ومعنى من معانى التركيب ، ثم ينقل المعنى بعد فهم الآيات الى اللغة التى يترجم بها ، وربما كان المعنى الذى اختاره هو المراد لله تعالى ، وربما كان غيره .

ولكن هذا لا يمنع جواز الترجمة ، فإنه قد أجيز للمفسر أن يختار معنى من معانى الأسماء المشتركة ، وأن يختار معنى مما يحتمله التركيب ، فوجب أن يجاز هذا للمترجم .

وقد يزعم أحد أنه بناء على هذا نجيز الترجمة فيما يمكن أن يوضع فيه لفظ بدل آخر يؤدى فى لغته مايؤديه اللفظ العربى ، أما مايحتاج الى التفسير أولاً واختيار رأى فلا يجوز أن ينقل الى اللغات الأخرى ، فنقول له : إن علماء الحنفية — كما سيأتى — لم يفرقوا بين آية وأخرى فى جواز الترجمة ، ولكنهم أوجدوا هذا الفرق فى الصلاة فقالوا : إنما يصلى بما يعلم أن معانيه هى معانى القرءان ، ولم يقولوا إنه لا يجوز الترجمة فيما يحتاج الى التفسير . وستطلع على البحث بعد .

أما إمكان الترجمة فهو أمر بيّن يدركه من لايعرف إلا اللغة العربية على الطريقة التى بيّنها الشاطبى ، ويدركه عن خبر من عرف لغات متعددة ، وقد تستطيع اللغة المنقول اليها أن تؤدى بعض الخصائص فى اللغة العربية وتنهض لأداء الدلالات التابعة . يعرف هذا من عانى نقل العلوم والفنون من لغة الى أخرى ، ومن يدرك فقه اللغات وخواص استعمالها . ويتفاوت الناس فى هذا كما يتفاوتون فى التعبير عن أغراضهم بلغة واحدة ، ولكن من المحال أن تنهض لغة من اللغات لأداء كل ما فى اللغة العربية

من خصائص ، فقد يكون المفرد فى لغة العرب له فوق دلالته الوضعية دلالة على حادثة خاصة ، وقد يكون المثل أو الاستعارة فى لغة العرب لا نظير لهما فى لغة أخرى ، لأن تأثير المثل أو تأثير الاستعارة جاء من ناحية خاصة بالعرب وأحوالهم ، وليس لتلك الحالة شبيه فى أمة أخرى . كذلك لغة العرب لا تنهض لأداء الدلالات التابعة كلها فى أية لغة من اللغات الراقية .

وكلما كانت القطعة العربية التى يراد نقلها أكثر فى حمل الدلالات التابعة من غيرها كان نقل تلك الدلالات أكثر تعسرا ، وهكذا يزيد الأمر صعوبة حتى يصل الى الاستحالة المطلقة فى نقل الآيات المعجزة من القرءان الكريم . فإن نقل الخصائص التى بها كان الإعجاز ، يقتضى أن الترجمة تحمل خصائص الإعجاز أيضا فى اللغة المنقول اليها ، والإعجاز فى أى لغة من اللغات ليس فى استطاعة البشر .

وإذا كان الأمر هكذا كان ادعاء أن القرءان الكريم كله لا يمكن ترجمته لأنه معجز ، ادعاء خاطئا ، بل الحق أن يقال إنه يمكن ترجمته كله من ناحية الدلالات الأصلية ، ويستحيل ترجمته من ناحية الدلالات التابعة .

شبه الناس فى الترجمة :

ومما قاله المانعون لترجمة القرءان الكريم :

(١) أنه معجز فلا يمكن أن يترجم ؛ وأن فيه كلمات لا مقابل لها فى اللغات الأخرى ، وذلك يضطر المترجم الى أن يدل على معانيها بكلمات توجد شيئا من التغيير ، فإذا نقلت هذه الترجمة الى لغة أخرى قد يحدث فيها تغيير آخر ، وهكذا ، فينفتح على القرءان الكريم باب التحريف ؛ وأن كلمات الكتب السماوية تستخرج منها إشارات وأحكام بطريق الحساب ، ويستخرج منها أهل التصوف معارف ولطائف ، ويستخرج منها العلماء علوما طبيعية وعلوما رياضية ، والترجمة تضيع على الناس هذا كله .

(٢) أن ترجمة القرءان ترجمة حرفية غير ميسورة ، فيضطر المترجم الى نقل المعانى

التى يفهمها أو يفهمها غيره من العلماء، وهذا لا يسمى قرءانا، ولا يمكن أن يسمى نصا شرعيا تستخرج منه الأحكام، والذين يعتمدون على هذه التراجم لا يسلم لهم شىء من أصول الاسلام، وهم يقلدون المترجمين فى فهم المعنى، والدين نهى عن التقليد، وبهذا يُحرَمون نعمة استعمال العقل والفهم فى كتاب الله تعالى، ونعمة الأجر على الاجتهاد واستعمال العقل والفهم، ذلك لأن مسلما لا يقول بأن التراجم مما يصح فيه الاجتهاد والاستنباط.

(٣) أن للنظم العربى من الروعة والطلاوة واللذة والتأثير فى النفوس ما لا يمكن أن يوجد فى التراجم، فالاعتماد على التراجم يحرم من يقرؤها من ذلك كله، كما يحرمه من الينبوع الصافى للمعارف الإلهية.

(٤) أن بعض الألفاظ العربية يجب أن يسلط عليها التأويل امتثالا لدليل العقل، وهذا لا يمكن فى التراجم.

وقبل أن أعرض للرد على هذا وأشباهه، أفسح للامام الشاطبى أن يتولى الرد على كثير منه، قال رحمه الله:

« ما تقرر من أن الشريعة أُمّيّة، وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب، ينبنى عليه قواعد، منها أن كثيرا من الناس تجاوزوا فى الدعوة على القرءان، فأضافوا اليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها؛ وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح. وقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم أعرفَ بالقرءان وعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنْ تكلم منهم أحد فى شىء من هذا المدّعى سوى ما ثبت فيه من أحكام التكاليف وأحكام الآخرة وما يلى ذلك، ولو كان لهم فى ذلك خوض ونظر لبلغَنا منه ما يدل على أصل المسألة، إلا أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أن القرءان لم يقصد منه تقرير شىء مما زعموا. نعم

تضمّن علوما هى من جنس علوم العرب وما يبنى على معهودها ، مما يتعجب منه أولو الألباب ، ولا تبلغه إدراكات العقول الراجحة دون الاهتداء بأعلامه ، والاستنارة بنوره . أما أن فيه ما ليس من ذلك فلا » .

وقد عقد الشاطبي فصلا آخر قال فيه : إن العلماء اتفقوا على أن الأحكام تستفاد من جهة المعانى الأصلية ، واختلفوا فى استفادتها من جهة المعانى التابعة الخادمة ؛ ففريق منهم ذهب الى أن الأحكام تستفاد أيضا من جهة المعانى التابعة كما تستفاد من جهة المعانى الأصلية ؛ وفريق ذهب الى أنها لا تستفاد من جهتها . وقد بيّن أدلة الفريقين ، ورجح أدلة المنع كما ترى :

« قد تَبيّن تعارضُ الأدلة فى المسألة ، وظهر أن الأقوى من الجهتين جهة المانعين ، فاقتضى الحال أن الجهة الثانية ، وهى الدالة على المعنى التبعى ، لا دلالة لها على حكم شرعى زائد البتة ، لكن يبقى فيها نظر آخر ، وربما إخال أن لها دلالة على معان زائدة على المعنى الأصلى هى آداب شرعية ، وتخلقات حسنة ، يقرُّ بها كل ذى عقل سليم ، فيكون لها اعتبار فى الشريعة ، ولا تكون خالية من الدلالة جملة » .

وقد أرجع الشاطبي رحمه الله جميع الأحكام التى زعم الناس أنها مستفادة من الدلالة التابعة الى الجهة الأولى ، وهى الدلالة الأصلية ، التى لا تختلف فيها لغة عن لغة ، والتى باعتبارها أمكن أن يفسَّر القرءان وأن يترجم .

ونقول بعد هذا : إنه لا خلاف بين المسلمين فى أن القرءان كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم باللفظ العربى ؛ ولست أستطيع التصديق بأن أبا حنيفة ذهب يوما مّا الى أن القرءان اسم للمعنى كما نُقل عنه ، وقد علم من الدين ضرورة أن القرءان اسم لما نتلوه ، ولما هو ثابت بين دِفّتى المصحف ؛ وإنكار هذا أو التشكيك فيه مخرج من الدين . ولكن أبا حنيفة رأى جواز قراءة القرءان بالفارسية للقادر على العربية والعاجز عنها لسبب من الأسباب ؛ وقد يكون السبب ما قاله أصحابه من أنه اعتبر

النظم العربى غير لازم، رخصة فى الصلاة حال القدرة، وخلفا فى حالة العجز؛ وقد يكون السبب غير ذلك. ولكن أصحابه ذهبوا يتلمسون له الأدلة، ويتلمسونها فى القرءان نفسه، فوجدوا فيه: «وإنه لفى زُبُر الأولين» ووجدوا فيه: «إن هذا لفى الصحف الأولى، صحفِ إبراهيم وموسى» والضمير للقرءان، واسم الإشارة للقرءان، فخرجوا بتلك النتيجة، وهى أن القرءان اسم للمعنى.

والقرءان أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم وله جهتان: جهة هى المقصودة وهى معانيه التى يشتمل عليها من توحيد وتنزيه، وأدلة عليهما، وجدال مع المخالفين ورد عليهم، وأحكام شرعية لنواح متعددة فى الحياة، من زواج وطلاق، وبيع وشراء، وتداين ورهن، الى غير ذلك؛ ومكارم أخلاق وآداب، وقصص سيقت للعبرة. وجهة أخرى هى دليل صدق النبوة. وقد جاء هكذا ليكون دليل الصدق ملازما لما جاء به غير منفصل عنه، كما كان الحال فى معجزات سائر الأنبياء.

وتلك الجهة الثانية هى إعجاز الكتاب الموجودُ فى أكثر آياته، والإعجاز لازم من لوازم النظم لا من لوازم المعنى.

وإذا استثنيت من قال إن الإعجاز إنما كان لاشتمال القرءان على الإخبار بالمغيبات، لا ترى أحدا من العلماء الذين يعتدُّ بهم ذهب الى أن الإعجاز من لوازم معناه، بل تراهم يقولون إنه معجز لاشتماله على النَّظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم فى مطالعه ومقاطعه وفواصله، أو لمجيئه على تلك الدرجة العالية من البلاغة واشتماله على جميع ضروبها، أو معجز لهذا وذاك.

وإذا كان وجه الإعجاز من ناحية النظم فلا يمكن أن يذهب عاقل الى إمكان ترجمة القدر المعجز الى أية لغة من اللغات بحيث تحمل الترجمةُ المعنى ووجهَ الإعجاز، ولكن عدم إمكان نقل دليل الإعجاز لا يستلزم عدم إمكان نقل المعنى نفسه. وأنت تعلم أن

نقل المعنى لا يُعدم دليل الإعجاز فى النظم العربى ولا يغيّره . فالترجمة لا تحدث ضعفا فى الدليل ، ولا نقضا ولا هدما .

وأريد الآن أن أقول : إن قراءة الأعاجم للنظم العربى نفسه لا يدلّهم على الإعجاز ، وليس فى استطاعتهم فهمه ؛ والأمم العربية الآن ومن أزمان خلت لا يفقهون الإعجاز من النظم العربى ؛ وقد انقضى عصر الذين أدركوا الإعجاز من طريق الذوق ، وآمنوا بالقرءان بسبب هذا الإدراك .

ونحن الآن نقيم على الإعجاز أدلة عقلية فنقول : إن القرءان تحدى العرب ، وإنهم عجزوا ، وهذا يدل على أنه من عند الله .

نعم : قد ندرك بالدرس والمثابرة على تفهّم أساليب العرب وأساليب القرءان شيئا من جمال القرءان وبلاغته ، ولكن لا يمكن أن يصل بنا الحد الى إدراك الإعجاز من طريق الذوق اللغوى إلا إذا أصبحت سلائقنا عربية .

وإذا كان الإعجاز من طريق الإخبار بما هو غيب فإن الترجمة تحمل معها هذا الدليل ، لأن ذلك مرتبط بالمعنى لا باللفظ . أما إذا ذهبنا الى أن الإعجاز بالصَّرْفَة ، على معنى أن العرب صرفهم الله عن الإتيان بمثل هذا القرءان وكانوا قادرين على الإتيان بمثله ، أو على معنى أن الله سلبهم العلوم والمعارف التى كانوا يقدرون معها على الإتيان بمثله بعد أن كانت متوافرة لديهم ، فإننا نصير الى شىء آخر .

وليس هناك ريب فى أن بعض كلمات القرءان لا مقابل لها يساويها فى اللغات الأخرى بحيث يؤدى ذلك المفرد فى لغته كل ما يؤديه المفرد العربى ؛ وفى أن فى القرءان ألفاظا من الألفاظ المتضادة كلفظ القرء الذى يدل على الطهر والحيض ؛ وفى أن فيه ألفاظا يصعب تحديد معناها فى اللغة العربية نفسها كلفظ الدهر والحين ؛ وفى أن فيه جملا يختلف معناها باختلاف وجوه الإعراب . وما من شك فى أن نقل هذا بجملته

بحيث يكون حاله فى اللغة المنقول اليها كحاله فى اللغة العربية ، أمر مستحيل ؛ والنزاع فى هذا لا يليق بالعلماء .

ولكن الشاطبي تولى الرد بعبارة وجيزة هى قوله :

« فأما على الوجه الأول فهو ممكن ومن جهته صح تفسير القرءان وبيان معناه للعامة ومن ليس لهم فهم يقوى على تحصيل معانيه ، وذلك جائز باتفاق أهل الاسلام . فصار هذا الاتفاق حجة فى صحة الترجمة على المعنى الأصلى » .

وقد أشرت من قبلُ الى تفسير عبارة الشاطبي . وعلى ذلك فجميع المحذورات التى تخشى من الترجمة فيما أشير اليه من قبل موجودة فى التفسير باللفظ العربى نفسه ؛ وقد أجمعت الأمة على عدم التحاشى عن هذه المحذورات ؛ فيجب ألا يتحاشى عنها فى الترجمة أيضا ، إذ لافرق بين التعبير باللفظ العربى والتعبير باللفظ العجمى عن المراد بالآيات ، بعد أن يكون المعبِّر والمفسر والمترجم مستكملا للشروط والمؤهلات الواجبة لمن يعرض نفسه للتفسير والترجمة .

وقولهم : « إن فى الكتب السماوية إشارات وأحكاما تستخرج بطريق الحساب ، ومعارفَ يستخرجها أهل التصوف بالذوق ، وعلوما طبيعية ورياضية ، وإن ذلك يضيع بالترجمة » قد تولى رده الشاطبي بقوله : ليس المقصود من القرءان إلا الهداية وأحكام الدنيا والآخرة ، وأن السلف الصالح لم يخض فى القرءان على هذا النحو الذى فعلوه . على أنه إذا فاتت هذه الأشياء فى الترجمة فلن تفوت فى النص العربى ، وهى باقية فيه .

وقد كنا نخاف لو أن الترجمة أذهبت من النص العربى علومه وأسراره وإعجازه ، ولكنها باقية معه للأمم العربية ، ولمن يريد من الأمم الأعجمية أن يقرأ النص العربى . وأيضا فإن العلوم الطبيعية والتاريخية والفلسفية غير مرتبطة بالألفاظ ، بل هى مرتبطة بمعانيه ؛ وقد أقمنا الدليل على أنه يمكن نقلها الى اللغات الأخرى .

على أنى أرى واجبا علىّ أن أذكر لهذه المناسبة كلمة فيما اغترّ به العلماء : ذلك أنه

كلما جدّت فى العالم فكرة طريفة اجتهدوا فى تلمسها فى القرءان ، وفرحوا إذا استطاعوا الاهتداء الى إشارة بعيدة اليها .

يفعلون هذا فى جميع النظريات المرتبطة بالكون وأسراره ، وقواعد الاجتماع والسياسة ؛ ولكن من حقهم أن يفهموا أن المعارف البشرية غير مستقرة ، وأنها تتغير وتتجدد بدلها معارفُ أخرى تختلف عنها أو تناقضها ، وأنه ليس من الحكمة أن نربط هذه المعارف غير القارة بكتاب الله الثابت الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ومن الخير أن ندع كتاب الله يقرر لنا أحكام التشريع ؛ ويهدم الوثنية ويجتثها من أصولها ؛ ويرفع العقل البشرى الى المستوى اللائق به ؛ ويأخذ بيد الانسان الى المقام الأسمى اللائق بخلافته فى الأرض ؛ ويبين لنا العبرة والعظة بأحوال الماضين ؛ ويغرس فى نفوسنا تلك الأخلاق الفاضلة من الصبر والقناعة ، والرضا والشجاعة ؛ ويفتح أمامنا أبواب العلم والهداية بما أشار اليه من وجوب النظر فيما صنعه الله . خير لنا أن نفعل ذلك ، وندع للعلماء يقررون معارفهم ويستدلون عليها ، ويحملون نتيجة خطئهم إذا تغيرت معارفهم وأثبت العلم نقيضها .

نعم إن فى الكتاب الكريم آياتٍ لا تفهم حق الفهم إلا بمعارف فلكيةٍ وطبيعية ، ولكن تلك الآيات لم تُسَق لتقرر تلك المعارف ، وإنما أنزلت للهداية والعبرة ، فليس القرءان الكريم كتاب حساب وفلك وطبيعة ، وإنما هو كتاب هداية وتنظيم لعلاقة الانسان بربه ، وعلاقة أفراد الانسان بعضهم ببعض .

ثم نعود فنقول : هب التراجم تغيرت واختلفت ، فإن ذلك التغير وهذا الاختلاف لا يمكن أن ينسحب على القرءان ، وهو النظم العربى المعروف المحفوظ بوعد الله سبحانه .

وهذا النص هو كما يقال فى الاصطلاح الحديث النص الرسمى الذى يجب الرجوع اليه دائما عند الاختلاف ؛ وهو الذى يردُّ كل شىء الى نصابه ؛ وهو الحاكم على كل ترجمة توجد ؛ وهو الميزان العدل لكل شىء يقال ؛ والتراجم لا يصح أن تسمَّى القرءانَ ،

ولكن سلب هذه التسمية لا يستلزم سلب جواز استخراج الأحكام منها ، بل يجب أن يصح استخراج الأحكام منها ، لأن الأحكام تستفاد من المعانى التى هى مدلولات الألفاظ العربية ، والمعانى يصح نقلها الى اللغات الأخرى . وقد علمت من قبل أن العلماء على اتفاق فى أن الأحكام تستفاد من الدلالة الأصلية التى لا تختلف فيها اللغات ؛ وعلمت أن المرجّح عدم استفادة الأحكام من الدلالات التابعة . وإذا كان الأمر هكذا فكيف يدّعى أن الذين يعتمدون على التراجم لا يسلم لهم شىء من أصول الاسلام ؟ وكيف يدّعى أن مسلما لا يقول بأن الأحكام تؤخذ من التراجم ؟ ثم كيف يقال هذا والعالم الاسلامى أكثره غير عربى ، وأكثر الأمم الأعجمية لا تعرف اللغة العربية ولا تقرأ النص العربى ، وقد نقلت اليها أصولُ الاسلام كلها الى لغاتها ، وحملت لغاتُها تلك الأصول ، كما حملت اليهم الفروع أيضا ، وسلمت لهم تلك الأصول والفروع ؟

ثم نقول بعد هذا : إن بعض آيات القرءان يمكن أن تترجم ترجمة حرفية ، وبعضها لا يمكن أن يترجم ترجمة حرفية . فالقسم الأول لا يكون الناظر الى الترجمة مقلدا فيه المترجِمَ فى فهم المعنى . والقسم الثانى يكون الناظر فيه مقلدا للمترجم ، وهذا لا شبهة فيه . ولكن التقليد فى فهم النص العربى لا يحرم الناس الاجتهاد .

ألا ترى أن الغزالى رحمه الله نص فى كتاب المستصفى على « أن الأحاديث التى اشتهر رواتها بالعدالة وقبلتها الأمة لا يلزم المجتهدَ أن يبحث عن أسانيدها ، وأن الأحاديث التى ليست كذلك يكفيه فيها تعديل الإمام العدل لرواتها » . وهذا دليل على أن وسائل الاجتهاد جميعًها لا يجب أن تكون اجتهادية ، بل قد يكون بعضها بطريق التقليد . ثم ما لنا نذهب بعيدا والمجتهدون يعتمدون على معاجم اللغة ، وعلى الشعر يرويه العدل الواحد ، وأكثر المفردات غير متواترة ، وتحديد معانيها فى أغلب أحوالها لم ينقل بطريق التواتر ولا بطريق الشهرة ؟ والاعتماد فى بيان اللفظ على المترجم

كالاعتماد فى بيانه على راو من رواة اللغة ، وهذا فيما ينقل على طريق الترجمة الحرفية ؛ أما ما ينقل على طريق الترجمة المعنوية فلا يمكن أن يخرج قارئ الترجمة فيه عن التقليد بحال .

وبعد : فهذا كله سبح فى أوهام ، لأنه ليس هناك مجتهدون حرموا الاجتهاد بالترجمة ؛ وليس فى الأمة العربية التى لازمت النص العربى مجتهدون . وقد حرمت الأمم العربية نفسها من نعم الاجتهاد واستعمال الفهم والعقل ، ورضيت بالتقليد ، ولم يكفها هذا الرضا حتى أقفلت باب الاجتهاد وحرمته . وفى اليوم الذى تنتعش فيه الأمم الاسلامية عربية وأعجمية ، وتدرك حق الإدراك دينها وما يوجبه عليها هذا الدين ، سينشط العرب للاجتهاد ، وينشط العجم لتعلم اللغة العربية ، وفهم النص العربى ، واستعمال العقل والفهم .

وفى الحق أننا ننظر الى الأمم بعين الخيال ، ولا نعتبر الواقع وطبيعة الناس . فهذه دولة الفرس دخلت الاسلام فى عهد شبابه ، ولكنها لم تنسلخ عن لغتها . والأمة التركية كانت دولةُ الخلافة فيها ، وكانت حامية الاسلام ، واختلطت بالأمم العربية ، ومع ذلك فهى باقية على لغتها ، ولا يوجد فيها من يجيد العربية ، إلا أفراد يوجد مثلهم فى الأمة الألمانية وغيرها من الأمم الغربية . وفى مركز أسوان فى القطر المصرى أجناس مختلفة لهم لغات مختلفة ، والمحاكم تحتاج الى مترجمين لأقوالهم عند النظر فى خصوماتهم ؛ وكذلك فى بلاد السودان فى وسط القبائل العربية أجناس مسلمة تحافظ على لغاتها المنحطة ولا تعرف إلا قليلا من العربية ؛ وهذا مع الخلطة فى المرافق ، ومع الجوار واتحاد الحكومة والحكام . كل هذا حاصل ، والناس طامعون بعدُ فى تعريب الأمم المختلفة من هنود وجاويين ويابانيين وصينيين وأتراك وجراكسة ، وطامعون فى أن يصيّروهم علماء فى اللغة العربية ، يصلون بعلمهم الى الاجتهاد والاستنباط

من نظم الكتاب العربى حتى ينالوا نعمة استعمال العقل والفهم والأجر على هذا الاستعمال .

ثم نعود فنقول : إنه لا ينكر أحد ممن يتذوّق طعم العربية ، مسلما كان أو نصرانيا أو يهوديا ، ما لنظم القرءان العربى من الطلاوة واللذة والتأثير فى النفوس ؛ ولذلك نقول : إنه يجب على كل مسلم يعرف العربية ويفهمها ألا يحيد عن قراءة النظم العربى الى قراءة إحدى التراجم ، فإن ذلك عبث واستهزاء . ولكن مَن لنا بأن نعرب الأمم الأعجمية الاسلامية لتنال هذه اللذة وتقع تحت هذا التأثير ؟ ولا يمكن الادعاء بأن النظم العربى يؤثّر وتكون له لذة وطلاوة عند جاوى أو فارسى أو تركى أو يابانى أو صينى لا يفهم العربية . فالأمم الاسلامية التى لا تفقه العربية ليست الآن واقعة تحت تأثير طلاوة النظم العربى حتى تكون قراءة التراجم مانعة عنهم هذه الطلاوة وهذا التأثير ؛ وعلى العكس فإن قراءة التراجم تجعلهم يحصلون على طلاوة المعانى ولذتها وتأثيرها . ومن الخير أن نوفّرلهم الحصول على بعض هذه المقاصد إذا فاتهم المقاصد كلها ؛ وليس يخفى على أحد من الناس أن ينبوع المعارف الإلهية هو معانى القرءان المدلول عليها بنظمه العربى . وإذا ذهبنا الى أن المعارف الإلهية مرتبطة بالألفاظ صرنا الى شىء من اللغو لا يقوله قائل .

ثم نقول بعد هذا أيضا : إن التراجم لا تحرم الناس من تأويل الألفاظ التى يجب أن تؤوّل بالدليل العقلى الذى قام على استحالة بقائها على ظاهرها ، وهذا التأويل يسلط على التراجم نفسها إذا أمكن المترجم أن يضع بدل اللفظ العربى مرادفا له من لغة أخرى ؛ ويسلط على اللفظ العربى نفسه قبل أن ينقل معناه الى لغة أخرى إذا لم يوجد فى اللغة الأخرى مرادف ومقابل لذلك اللفظ العربى .

فلندع الآن هذه الشبهات ، وقد نعود اليها بعد ذلك مرة أخرى ؛ ولننظر فى أحكام مذهب فقهاء الحنفية فى التراجم وجواز الصلاة بها ، وما يتعلق بذلك من التفاصيل .

وإذا تتبعت أمهات الكتب المعدة لنقل مذهب الامام أبي حنيفة وأصحابه لا تجد فيها كلاما عن الترجمة من حيث الجواز والحرمة ، ولكنك تجد الفروع الكثيرة والأدلة الطويلة على جواز الصلاة بها عند القدرة على العربية على رأى الامام ، وعلى جواز الصلاة بها عند العجز خاصة على رأى أصحابه .

ولا أظن أنه يدور بخلد أحد ممن تمذهب بمذهب أبى حنيفة ودرس فروعه وأصوله أن يشك فى جواز الترجمة على مذهب أبى حنيفة وأصحابه . وقد رأيت رأى الشاطبى فى الترجمة وكيف استدل على جوازها بإجماع المسلمين على جواز التفسير .

جواز الصلاة بالترجمة :

قال شمس الأئمة السرخسى فى كتاب المبسوط : « وأصل هذه المسألة إذا قرأ فى صلاته بالفارسية جاز عند أبى حنيفة رحمه الله ويكره ، وعندهما لا يجوز إذا كان يحسن العربية ، وإذا كان لا يحسنها يجوز . وأبو يوسف ومحمد رحمهما الله قالا : القرءان معجز والإعجاز فى النظم والمعنى ، فإذا قدر عليهما فلا يتأدى الواجب إلا بهما ، وإذا عجز عن النظم أتى بما قدر عليه ، كمن عجز عن الركوع والسجود يصلى بالإيماء . وأبو حنيفة رحمه الله استدل بما روى أن الفرس كتبوا الى سلمان الفارسى رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكانوا يقرءون ذلك فى صلاتهم حتى لانت ألسنتهم للعربية » .

ثم عند أبى حنيفة إنما يجوز إذا قرأ بالفارسية إذا كان يتيقن بأنه معنى العربية . فأما إذا صلى بتفسير القرءان لا يجوز لأنه غير مقطوع .

وقال فخر الدين قاضيخان : « وعلى هذا الخلاف إذا قرأ القرءان فى الصلاة بالفارسية عند أبى حنيفة رحمه الله يجوز وإن كان يحسن العربية ، وعندهما إذا كان يحسن العربية لا يجوز وتفسد صلاته . كذا ذكر شمس الأئمة الحلوانى » .

وفى شرح الهداية : « فإن افتتح الصلاة بالفارسية أو قرأ فيها بالفارسية أو ذبح وسمى بالفارسية وهو يحسن العربية ، أجزأه عند أبى حنيفة رحمه الله . وقالا لا يجزئه

إلا فى الذبيحة ، وإن لم يحسن العربية أجزأه ... وأما الكلام فى القراءة فوجه قولهما أن القرءان اسم لمنظوم عربى كما نطق به النص ، إلا أنه عند العجز يكتفى بالمعنى كالإيماء ، بخلاف التسمية ، لأن الذكر يحصل بكل لسان . ولأبى حنيفة قوله : «وإنه لفى زبر الأولين» ولم يكن فيها بهذه اللغة ، ولهذا يجوز عند العجز ، إلا أنه يصير مسيئا (يعنى حال القدرة على العربية) لمخالفته السنة المتوارثة ، ويجوز بأى لسان كان سوى الفارسية وهو الصحيح لما تلونا ، والمعنى لا يختلف باختلاف اللغات » .

وفى شرح فخر الدين الزيلعى على الكنز : « وأما القراءة بالفارسية فجائزة فى قول أبى حنيفة ، وقال أبو يوسف ومحمد : لا تجوز إذا كان يحسن العربية لأن القرءان اسم لمنظوم عربى لقوله تعالى : « إنا جعلناه قرءانا عربيا » . وقال تعالى : « إنا أنزلناه قرءانا عربيا » والمراد نظمه . ولأبى حنيفة قوله تعالى : « إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى » وصحفُ إبراهيم كانت بالسريانية ، وصحف موسى بالعبرانية ، فدل على كون ذلك قرءانا ، وما تلوناه (يعنى : إنا جعلناه قرءانا عربيا) ، (و : إنا أنزلناه قرءانا عربيا) لا ينفى كون غير العربى قرءانا لأنه مسكوت عنه ؛ ويجوز بأى لسان كان سوى الفارسية وهو الصحيح ، لأن المنزل وهو المعنى عنده لا يختلف باختلاف اللغات . والصحيح أن القرءان هو النظم والمعنى جميعا عنده ، لأنه معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم والإعجاز وقع بهما جميعا ، إلا أنه لم يجعل النظم ركنا لازما فى حق جواز الصلاة خاصة رخصة ، لأنها ليست بحالة الإعجاز » .

وفى النفحة القدسية للشرنبلالى : « وروى أن أهل فارس كتبوا الى سلمان رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكتب لهم «بسم الله الرحمن الرحيم بنام يزدان بخشايند » فكانوا يقرءون ذلك فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم ؛ وبعد ما كتب عرض على النبى صلى الله عليه وسلم . كذا فى المبسوط . قاله فى النهاية والدراية » .

وفى النفحة القدسية أيضا : « وفى فتاوى النسفى سئل عمر النسفى عمن لا يحسن

الفاتحة بالعربية ويقدر على التكلم بالفارسية أو لغة أخرى يتأدى بها معنى القرءان هل يكلَّف تعلُّم تلك اللغة غير العربية ؟ فقال : نعم لأن تعلم القرءان فرض لإقامة الصلاة. ومذهب أبى حنيفة أن القرءان لا يختص بالنظم العربى فى قوله الأول الذى رجع عنه، فيفرض عليه تحصيل ذلك كما يفرض عليه تعلم القرءان بالنظم العربى لمن قدر عليه. وعندهما تجوز قراءة القرءان بغير العربية إذا كان لا يحسن العربية. فقد وافقاه فى أنه يصير قرءانا عند العجز عن أدائه، فيفرض ذلك عليه بالإجماع فى هذه الحالة »

وفى شرح مسلم الثبوت « وقد صح رجوع الامام أبى حنيفة رضى الله عنه عن القول بجواز الصلاة بغير عذر . . . وفيه إشارة الى أنه يجوز القرءان بالفارسية للعذر وهو عدم العلم بالعربية، وعدم انطلاق اللسان بها ؛ وقد سمعت من بعض الثقات أن تاج العرفاء والأولياء الحبيب العجمى صاحب تاج المحدثين وإمام المجتهدين الحسن البصرى قدس الله سرهما كان يقرأ القرءان فى الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية » .

وفى التحرير للكمال بن الهمام « والوجه فى العاجز عن النظم العربى أنه كالأمى لأن قدرته على غير العربية كلا قدرة فكان أميا حكما فلا يقرأ كما هو أحد القولين فيه، إذ فى المجتبى : واختلف فيمن لا يحسن العربية ويحسن غيرها هل الأولى أن يصلى بلا قراءة أو يصلى بغيرها ؟ فلو أدى العاجز بالفارسية قصة أو أمرا أو نهيا فسدت الصلاة بمجرد القراءة، لأنه حينئذ متكلم بكلام الناس لا ذكرا أو تنزيها، إلا إذا اقتصر على ذلك فإنها تفسد حينئذ بسبب إخلاء الصلاة عن القراءة » .

وقال ابن أمير حاج فى شرح التحرير عند شرح النص السابق : « وهذا اختيار المصنف، فلفظ الجامع الصغير محمد عن يعقوب عن أبى حنيفة فى الرجل يفتتح الصلاة بالفارسية أو يقرأ بالفارسية أو يذبح ويسمى بالفارسية وهو يحسن العربية قال (الامام) : يجزئه فى ذلك كله . وقال أبو يوسف ومحمد : لا يجزئه فى ذلك كله إلا فى الذبيحة، وإن كان لا يحسن العربية أجزأه . قال الصدر الشهيد فى شرحه (يعنى كتاب الجامع

الصغير لمحمد بن الحسن) : وهذا تنصيص على أن من يقرأ القرءان بالفارسية لا تفسد الصلاة بالإجماع » .

وفى معراج الدراية « قراءة غير العربى يسمى قرءانا مجازا ، ألا يرى أنه يصح نفى القرءان عنه فيقال : ليس بقرءان وإنما هو ترجمة ؟ وإنما جوّزناه للعاجز إذا لم يخل بالمعنى لأنه قرءان من وجه باعتبار اشتماله على المعنى ، فالإتيان به أولى من الترك ، إذ التكلم بحسب الوسع ، وهو نظير الإيماء » .

سترى فى بيان هذه النصوص أنها مشتملة على الأقوال المختلفة فى مذهب أبى حنيفة ، ولذلك أثبتُّها جميعها ما كان منها صحيحا وما كان غير صحيح ؛ وسأجتهد فى بيانها وبيان مداركها . وقبل أن أشرع فى هذا أنبه الى أن صاحب الهداية نبه على إمكان الترجمة بقوله : « والمعنى لا يختلف باختلاف اللغات » . وكذلك ترى فى قولهم : « إنما يجوز إذا كان يقطع بأنه معنى العربية » إشارةً الى أن الترجمة يمكن أن تحمل معنى النص العربى .

وأول ما يخطر بالبال فى هذه المسألة حكاية رجوع الامام أبى حنيفة عن رأيه بجواز الصلاة للقادر على العربية ، فإن رواية الرجوع نسبت مرة الى أبى بكر الرازى ، ونسبت مرة الى نوح بن مريم وعلى بن الجعد ، وأغفلت مرة واحدة فى كتب الإمام محمد ، وأغفلت فى شرح المبسوط للسرخسى ، وفى كتب قاضيخان ، أفيمكن أن نثق بهذه الرواية وثوقا مطلقا ، أم ينبغى أن نقابلها بشىء من التحفظ لأن المقدمين من صدور الأشياخ لم يشيروا اليها ؟ ولا أقصد بهذا ترجيح بقاء الامام على رأيه ، فإنى أرى ما رآه صاحباه من وجوب قراءة النص العربى للقادر عليه ، ولذلك سأبحث هذه المسألة على فرض رجوع الإمام ، وعلى أن فى المذهب قولا واحدا هو جواز الصلاة بالترجمة للعاجز عن العربية لا للقادر ، فأقول :

روى عن الإمام وصاحبيه جواز الصلاة بالفارسية للعاجز عن العربية ، وهذا قدر متفق عليه لا يصح النزاع فيه ، فما هو المراد بالجواز : أهو مقابل الوجوب والحرمة ،

أم هو مقابل الحرمة فقط ؟ وينبنى على هـذا أنه على التفسير الأول تصح الصلاة بالفارسية للقادر عليها ، ويصح أن تترك ، ويعتبر القادر عليها أمياً يصلى بلا قراءة . وعلى التفسير الثانى يجب عليه أن يصلى بالفارسية ، ولا يجوز له أن يتركها ، وتبطل صلاته إذا تركها . ثم على التفسير الأول وهـو الذى يجوّز القراءة ويجوّز تركها هـل الأولى أن يقرأ ، أو الأولى أن يترك ؟ هذه الاحتمالات الثلاثة هى أقوال فى مذهب أبى حنيفة ، ذهب الى كل احتمال منها فقيه أو أكثر .

وهذه نصوص الذين يمثلون الاحتمال الثانى :

قال فخر الملة والدين قاضيخان : « وإذا تعلم تفسير سورة من القرءان نحو الفاتحة وغيرها بالفارسية عند أبى حنيفة يخرج من أن يكون أميا فلا تجوز صلاته إلا بقراءة ما يعلم . وهو قول أبى يوسف ومحمد رحمهما الله ، لأن قولهما فيمن لا يحسن العربية كقول أبى حنيفة » .

وقال صاحب الخلاصة : « وإذا تعلم تفسير سورة من القرءان بالفارسية يخرجه من أن يكون أميا » .

وقال عمر النسفى وقد تقدم نص فتواه : « إنه إذا لم يقدر على حفظ النظم العربى وقدر على حفظ ترجمته بلغة يتأدى بها المعنى أنه يفرض عليه تعلم تلك الترجمة بالإجماع »

فهذه النصوص صريحة كما ترى فى أنه يجب على من يعرف ترجمة أن يصلى بها ، ويجب عليه إذا لم يحفظ ترجمة وهو يقدر على حفظها ويعجز عن العربية أن يحفظ الترجمة ويصلى بها .

وقال الكمال بن الهمام فى التحرير : « والوجه فى العاجز عن النظم العربى أنه يجوز كالأمى ، لأن قدرته على غير العربية كلا قدرة فكان أميا حكما فلا يقرأ كما هو أحد القولين فيه ، إذ فى المجتبى : واختلف فيمن لا يحسن العربية ويحسن غيرها هل الأولى أن يصلى بلا قراءة أو يصلى بغيرها »

وفى معراج الدراية « وإنما جوّزناه للعاجز إذا لم يخل بالمعنى لأنه قرءان من وجه باعتبار اشتماله على المعنى، فالإتيان به أولى من الترك، إذ التكليف بحسب الوسع، وهو نظير الإيماء » . فهذه هى نصوص الذين يمثلون الاحتمال الأول بشقيه .

فأنت ترى صاحب معراج الدراية يصرح بأن الأولى أن يقرأ لأنه هو الذى فى وسعه ؛ وظاهر التعبير بكلمة الأولى لا يفيد الإلزام . وعبارة المجتبى تفيد رأيين، وهما هل الأولى له أن يقرأ، أو الأولى ألّا يقرأ ؟ ومع هذه الآراء الثلاثة وهى القول بوجوب القراءة، والقول بأنها أولى، والقول بأن الأولى السكوت، لم يشر أحد من أصحاب هذه الأقوال الى بطلان الصلاة إذا كانت الترجمة ترجمة قصة أو أمر أو نهى . فإحداث الفرق الذى أبداه الكمال بن الهمام وتبعه غيره فيه إحداث لرأى لم يسبقه إليه أحد من الفقهاء، ولذلك ترى الكمال لم يذكر رأيه هذا فى فتح القدير فى مسألة قراءة العاجز عن العربية، ولكنه ذكره فى مسألة ضم الترجمة الى مقدار المفروض بالنظم العربى . وقد يصح أن يبدى فرقا فى هذه المسألة لأن فيها خلافا سابقا، ولأن فيها رأيين : أحدهما أن الصلاة تفسد بالضم وهو الذى نقله عن النسفى ؛ والثانى أنها لا تفسد وهو الرأى الذى نقله صاحب الهداية والزيلعى ؛ ولكنه لا يصح أن يبدى رأيا فى المسألة الأولى التى نتكلم فيها لأنه إحداث لرأى فى مسألة نقل فيها الإجماع . ولذلك يجب ألّا يعدّ رأيه فى التحرير رأيا فى مذهب أبى حنيفة، بل هو رأى خاص به ؛ وقد أخذه من فرع ذكره الفقهاء فى قراءة التوراة والانجيل والزبور فى الصلاة، حيث قالوا : إن كان المقروء من مكان القصص أو الأمر أو النهى تفسد الصلاة، وإن كان من مكان الذكر لا تفسد ؛ فسوّى الكمال بين ترجمة القرءان والتوراة فى الحكم . ولكن الفقهاء الثلاثة نقل عنهم الاتفاق على جواز الصلاة بالترجمة عند العجز من غير فرق . وتشبيهُ التراجم بالتوراة والانجيل وقد أخذا حكما قاطعا فى القرءان بالتحريف، فيه مصادمة للامام وصاحبيه وجميع فقهاء المذهب . وبعد أن ظهر اتفاق أهل المذهب على

عدم الفساد بقراءة التراجم حال العجز سواء أكانت التراجم تراجم قصص وأمر ونهى، أم تراجم تنزيه؛ وظهر أن لهم ثلاثة أقوال: أحدها الوجوب؛ والثانى أن القراءة أولى؛ والثالث أن السكوت أولى، وجب أن ننظر فى العلل وما نقل من عبارات الأقدمين.

فإذا نظرنا الى ذلك نراهم متفقين على أن التكليف بالوسع، وأن الترجمة للعاجز هى التى فى وسعه، وأنها خلف عن النص العربى يقام مقامه عند العجز كما يقام الإيماء عند العجز مقام الركوع والسجود؛ ولم نعهد فى التشريع أن المكلف مخير فى الخلف، بل الذى عهدناه أن الخلف يأخذ حكم الأصل ويحل محله.

وإذا تأملت قولهم: إن المعنى لا يختلف باختلاف اللغات، تراهم يريدون أن لا تخلو الصلاة من القرءان، إما بلفظه ومعناه، وإما بمعناه فقط؛ فهم حريصون على أن تكون المناجاة لله بكلامه أو بمعنى كلامه؛ وهم حريصون على تحصيل المقاصد وجعل الصلاة صورة حية مملوءة بالشعور بجلال الخالق وعظمته؛ وفى معانى القرءان الكريم من العظات والعبر ما يملأ القلب روعة ورهبة وخشية، وبركتها لا يمكن أن تذهب بنقلها الى لغة أخرى؛ والمناجاة بالمعانى خير وأبقى من وقوف المتكلم صامتا.

ولم يحرم المسلم من مناجاة ربه بمعنى قوله: «ربَّنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن، وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء».

أومن معنى قوله: «إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب. الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا، سبحانك فقنا عذاب النار. ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار. ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنَّا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفِّر عنا سيئاتنا وتوفَّنا مع الأبرار. ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد».

أو من معنى قوله تعالى: «وما قَدَروا الله حقَّ قَدْرِه والأرضُ جميعا قَبْضَتُه يوم

القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون . ونُفخ فى الصور فَصعِق من فى السموات ومن فى الأرض إلاّ من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذاهم قيام يَنْظرون . وأشرقت الأرض بنور ربها ووُضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقُضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون . ووُفّيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون » .

وإنى لا أتردد لحظة واحدة عن القول بأن جمال معانى هذه الآيات لا يمكن أن يفارقها فى اللغات الأخرى . نعم قد تضيع روعة هذه الألفاظ ، ولكن تبقى روعة المعانى ، والمناجاة محتاجة الى هذه الروعة . ولا يسع منصفا إلا الإعجاب بآراء فقهاء الحنفية فى هذه المسألة . ولله هم حيث قالوا : إن الصلاة حالة مناجاة لا حالة إعجاز . وللعالم الإسلامى الحق فى أن يفخر بأولئك العلماء الذين استنبطوا هذه القواعد وهذه المدارك الدقيقة . وفى الحق أن فقهاء الحنفية هم الملجأ دائما فى حل المعضلات الاجتماعية ، ولا نستطيع أن نفيهم حقهم من الثناء .

وأنتهى من البحث فى هذه المسألة الى ترجيح رأى قاضيخان ومن تابعه من الفقهاء ، وهو وجوب القراءة فى الصلاة بترجمة القرءان للعاجز عن قراءة النظم العربى . وقد علمت أن اختيار صاحب الفتح مبنى على أن الترجمة ليست قرءانا ، وما كان كذلك كان من كلام الناس ، وهو غير صحيح ، لأن الترجمة وإن كانت غير قرءان باتفاق تحمل معانى كلام الله ، ومعانى كلام الله ليست كلام الناس . وعجيب أن تسلب من معانى القرءان صفاتها وجمالها وتوصف بأنها من جنس كلام الناس بمجرد أن تلبس ثوبا آخر غير الثوب العربى ، كأن هذا الثوب هو كل شىء . وقد علمت مما سبق أن ابن أمير حاج ردّ ما اختاره الكمال بنص الصدر الشهيد فى شارح الجامع الصغير . وقد رده أيضا ابن عابدين فى حاشيته على البحر .

ثم أنت ترى أن صاحب معراج الدراية يذهب الى أن الأولى للعاجز أن يقرأ لأنه بالقراءة يأتى بما فى وسعه ؛ وهذا التعليل يدل على الوجوب ، فالظاهر أنه أراد بالأولى

ما يشمل الواجب . وللمتقدمين هذا التعبير فى مثل هذا ، حتى إنهم كانوا يقولون : أكره للمحرم وأحب للواجب ، حيث لا يكون الدليل قطعيا .

أما القول بأن الأولى أن يترك فليس له مستند إلا أن الترجمة ليست قرءانا ، ومن الجائز أن تفسد الصلاة ، ومن الجائز ألا تفسدها ، فرجحوا جانب الترك من قبيل الاحتياط . ولكن هذا عجيب منهم بعد أن نقل الجواز عن الأئمة الثلاثة حالة العجز إجماعا ، وبعد أن صرح جميع علماء المذهب الذين يعتد برأيهم بأن الترجمة أقيمت مقام القرءان خلفا عنه كالإيماء ، وبأنها هى المقدورة للمكلف وهى التى فى وسعه ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

بعد هذا تنتقل البحث الى مسألة أخرى ، وهى ما إذا قرأ شيئا من تراجم القرءان بعد أن قرأ الفرض من النص العربى . وأمامنا خلاف فى هذه المسألة أيضا :

قال الصدر الشهيد فى شرح الجامع الصغير : « وهذا تنصيص على أن من يقرأ القرءان بالفارسية لا تفسد صلاته بالإجماع » . وقال شارح الهداية : « والخلاف فى الاعتداد ولا خلاف فى أنه لا فساد » . وقال الزيلعى فى شرح الكنز : « ولا خلاف فى الفساد حتى إذا قرأ معه بالعربية قدر ما تجوز به الصلاة جازت صلاته » . وقال أبو اليسر : « والجواز عند العجز بالفارسية نص على أن القراءة بها لا تفسد الصلاة ، إنما الشأن فى جواز الصلاة بها . كذا فى جامع قاضيخان » .

فهذه نصوص صريحة مطلقة لا تحتمل التأويل تدل على جواز ضم قراءة الترجمة الى النص العربى المفروض للقادر على القراءة باللغة العربية .

ويقابل هذه النصوص نصوص أخرى ، فقد نقل صاحب الفتح عن النسفى « أنها تفسد عندهما » وما رجحه صاحب الفتح من أنه « إذا كان المقروء من مكان القصص والأمر والنهى تفسد بمجرد قراءته لأنه حينئذ متكلم بكلام غير قرءان ، بخلاف ما إذا كان ذكرا أو تنزيها فانها تفسد إذا اقتصر على ذلك بسبب إخلاء الصلاة من

القرءان» وقال الإتقانى : «قولهم لا خلاف فى أنه لا فساد مع القدرة على العربية، فيه نظر، لأن القراءة بالفارسية ليست قراءة القرءان عندهما، وإذا لم تكن قراءة القرءان كانت من كلام الناس وهو مفسد للصلاة»

فهذه النصوص يدل بعضها على أن القراءة بالترجمة مع قراءة الفرض بالنظم العربى يفسد الصلاة مطلقا، ويدل بعضها على أن الترجمة إذا كانت ترجمة ذكر وتنزيه لا تُفسد قراءتُها الصلاة، وإذا كانت ترجمة قصة تفسد قراءتها الصلاة. فهى مسألة خلافية فى المذهب نَقل الخلاف فيها من يعتد بصحة روايته؛ وقد رجح صاحب الفتح رأى القائلين بالفساد إذا كان المقروء من الترجمة ترجمة قصة أو أمر أو نهى؛ ورجح رأى القائلين بالصحة إذا كان المقروء ترجمة ذكر أو تنزيه.

وقد أصاب صاحب الفتح فى هذا، فإنّ جعلهم الترجمة خلفا يقام مقام الأصل مع اتفاقهم على أنها ليست قرءانا، يقتضى الفساد إذا وجد الأصل، لأنه لا يجمع بين الأصل والخلف. ولكن إذا كان المترجَم ذكرا لا تبطل قراءته الصلاة لأن الصلاة لا تبطل بالذكر. فالفرق الذى أبداه الكمال فى هذا الباب يوافق قواعدهم وعللهم.

ونحن نرى هذا الرأى إذا لم يكن هناك عذر، أما إذا وجد العذر وهو عدم إحسان النطق بالعربية أو عدم فهمها فإنه يظهر فى هذه الحالة عدم الفساد لتتحقق المناجاة على الوجه الأكمل وهو المقصود فى الصلاة. وقد أشار الى هذا شارح مسلم الثبوت فيما نقلناه عنه من قصة الحبيب العجمى صاحب الحسن البصرى.

ونذكر هنا أن الامام الشافعى رضى الله عنه نص فى كتاب الأم فى الصفحة ١٤٧ من الجزء الأول على ما يأتى:

«وإذا ائتموا به فإن أقاما معا أمّ القرءان أولحن أو نطق أحدهم بالأعجمية أولسان عجمى فى شىء من القرءان غيرها، أجزأته ومَن خلفه صلاتُهم إذا كان أراد القراءة لما نطق به من عجمة ولحن، فإن أراد به كلاما غير القراءة فسدت صلاته»

ومراده أن الامام والمؤتم إذا أحسنا قراءة الفاتحة ثم لحنا أو نطق أحدهم بلهجة أعجمية أو لغة أعجمية فى شىء من القرءان غير الفاتحة لا تبطل صلاتهم . والمراد من الأعجمية اللهجة ، ومن اللسان اللغة كما هو استعماله فى هذه المواطن . فهذا النص يدل على أن اللسان الأعجمى بعد قراءة المفروض عنده وهو الفاتحة لا يبطل الصلاة ، وهو موافق للحنفية فى هذا .

كتابة التراجم وقراءتها :

نقل الشيخ الشرنبلالى فى رسالته عن التجنيس ما يأتى : « ويمنع من كتابة القرءان بالفارسية بالاجماع لأنه يؤدى الى الإخلال بحفظ القرءان ، لأنا أمرنا بحفظ النظم والمعنى ، فإنه دلالة على النبوة ، ولأنه ربما يؤدى الى التهاون بأمر القرءان » .

وفى كتاب فتح القدير « وفى الكافى إن اعتاد القراءة بالفارسية أو أراد أن يكتب مصحفا بها يمنع ، فإن فعل فى آية أو آيتين فلا ، فإن كتب القرءان وتفسير كل حرف وترجمته جاز » .

وفى النفحة القدسية « قال المحبوبى : والخلاف — يعنى على الرواية المرجوحة — فيمن لا يتهم بشىء وقد قرأ فى الصلاة كلمة بالفارسية أو أكثر فيها ، أما لو اعتاد قراءة القرءان أو كتب المصحف بالفارسية يمنع أشد المنع ، حتى قال الفضلى : من تعمد ذلك يكون زنديقا أو مجنونا ، والمجنون يداوى ، والزنديق يقتل »

وفى النفحة القدسية : « وحاصل ما تقدم وملخصه حرمة كتابة القرءان بالفارسية إلّا أن يكتب بالعربية ويكتب تفسير كل حرف وترجمته » .

فلدينا فى هذه المسألة خلاف أيضا ، ولكن المحبوبى رحمه الله كشف لنا وجه الحق ، وأنار لنا الطريق ، ذلك أنه على الرواية المرجوحة عند الامام كان يجوز للقادر على العربية أن يقرأ بالفارسية ، فنبّه المحبوبى الى أن هذا الجواز عند الامام فيمن لا يتهم بشىء وقد قرأ بالفارسية كلمة أو أكثر . أما الرجل المتهم بالعبث بالقرءان والمتهم بالزندقة

والإلحاد فلا يترك على عبثه يقرأ الترجمة وهو قادر على العربية ؛ وكذلك الرجل الذى يفهم العربية ويعتاد القراءة بالفارسية يمنع، فإن حالته هذه تدل إما على الجنون أو الزندقة ، لأنه ليس من اللائق برجل يعرف العربية ويحترم النظم العربى ويعتقد إعجازه أن يتركه الى التراجم ؛ فالذى يتركه وهو على هذه الحالة إما زنديق أو مجنون . أما الإجماع الذى فى عبارة التجنيس فقد عرفت قيمته بنقل صاحب الفتح عن الكافى . على أن عبارة التجنيس تشير أيضا الى ما فى كلام المحبوبى ، فإن الذى أمر بحفظ النظم والمعنى هو القادر على حفظ النظم والمعنى ، والذى يتهاون بأمر القرءان إذا كتب بالفارسية ، هو الذى يعرف الكتابة بالعربية ويقدر على القراءة بها . أما الأعجمى الذى لا يقدر على الكتابة بالعربية وعلى القراءة والفهم بها فإنه يتهاون بأمر القرءان إذا لم يبحث عما يستطيعه منه ، فاذا لم يستطع إلا معناه وتدبر معناه ، وجب عليه أن يحرص على ما يقدر عليه .

وإنى أرى أن يعمل برأى صاحب الكافى وتكتب التراجم مع النص العربى ؛ وفى العمل بهذا الرأى اتباع لآراء فقهاء المذهب ، فضلا عن أنه يذكّر دائما بالنظم العربى ، ويشوّق الى تعلمه وتعلم اللغة العربية لإمكان الوصول الى فهمه فيها . ولا أقول يكتب النص العربى ليعلم الناس أن الترجمة ليست قرءانا ، فإن الترجمة نفسها تنادى بأنها ليست قرءانا ، فهى تشتمل على الآيات الدالة على أن القرءان أنزل عربيا « حمٓ تنزيلٌ من الرحمن الرحيم ، كتابٌ فُصِّلت آياته قرءانا عربيا لقوم يعلمون » وهنا ينبغى أن أنبّه الى شيء قد يغفل عنه الناس ، وهو أن كلمة تفسير ذكرت فى عبارات الفقهاء مرة بمعنى البيان والشرح ، ومرة بمعنى الترجمة باعتبار أن الترجمة والتفسير شيء واحد فى اللغة كما يعلم من مراجعة كتبها ؛ وكلمة التفسير فى النص السابق المنقول عن قاضيخان معناها الترجمة ؛ وكذلك كلمة التفسير فى عبارة الكافى معناها الترجمة ، وعطف الترجمة عليها بيان للمراد . والدليل على أنها فى عبارة قاضيخان معناها الترجمة أنه أجرى الخلاف فيمن حفظ تفسير سورة ؛ وصاحب المبسوط وغيره صرحوا بعدم جواز الصلاة بالتفسير بالإجماع لأنه غير مقطوع به .

وبهذا علمنا أن كلمة التفسير ذكرت مرة بمعنى الترجمة ، ومرة بمعنى البيان .

ما هو المراد من الترجمة ؟

قد علمنا من النصوص السابقة أن الفقهاء لا يجيزون الصلاة بالتفسير بالإجماع ، وأنهم اختلفوا فى جوازها بالترجمة على النحو السابق ، وبذلك تعلم أنهم يريدون الترجمة الحرفية ، وهى التى يوضع فيها بدل كل لفظ لفظ آخر مرادف له فى اللغة الأخرى بقدر الاستطاعة ، وبقدر ما تحتمله طبيعة تلك اللغة . ولا شبهة فى أن الترجمة الحرفية غير مستطاعة فى كل آيات القرءان الكريم . نعم إن بعض الآيات يستطاع هذا فيها ، وبناء على ذلك فلا تجوز الصلاة بأية آية مترجمة ، بل بالآية التى تترجم ترجمة حرفية ، وليس معنى هذا أن الترجمة المعنوية غير جائزة ، كلا ، بل هى جائزة ، وهى بمنزلة التفسير كما تقدم ، ولكنها لا تجوز الصلاة بها ، وإنما تجوز الصلاة بالترجمة الحرفية . هذا هو الذى يقتضيه فقه مذهب الحنفية ، وهو فقه ظاهر الوجه .

والعلماء يحرصون فى تراجم العلوم والفنون أشد الحرص على الترجمة الحرفية حتى ولو كان المعنى ينبهم أمره فى الترجمة ، وهذا دأب أكثرهم وهم الذين تملكهم الأمانة فى النقل ؛ وقد نقلت الفلسفة وغيرها فى أول أمرها فى الدولة العربية على هذه الطريقة .

القراءة :

علمنا أن الترجمة يصلى بها العاجز عن العربية وجوبا ، ويجوز أن تضم الى مقدار المفروض من العربية لمن لا يحسن النطق العربى . وإذا كان هذا هو الحال فى الصلاة فقد بان أنه يصح لمن لا يحسن النظم العربى قراءةً وفهما أن يتدبر معانى القرءان للعبرة والعظة والهداية وفهم الدين من ينبوعه الأصلى مترجما . وقد استفاد من ذلك الينبوع لابسا ثوبا غير ثوبه العربى كثيرون من العلماء الذين لا يدينون بالدين الاسلامى ؛ فبعضهم آمن به واهتدى بهديه ، وخرج من الظلمات الى النور ببركة تلك المعانى ؛ وبعضهم لم يصل

الى هـذه الدرجة ولـكنه غيّر رأيه فى الدين الاسلامى وفى النبي صلى الله عليه وسـلم ، ووضع الدين موضع الكرامة ، وبحث فيه البحث اللائق بجلاله . وأظننى أعبث إذا شرعت أبين الفوائد التى تعود على الاسلام نفسه من إظهاره ونشره على الأمم المتحضرة بلغاتها ، ولـكن يجب أن تراقب تلك التراجم .

حرمة مسه وقراءته لغير طاهر :

فى التجنيس « ولو كتب القرءان بالفارسية يحرم مسه على الجنب والحائض بالإجماع وهو الصحيح ؛ أما عند أبى حنيفة فظاهر لأن العبرة للمعنى ؛ وكذلك عندهما لأنه قرءان عندهما حتى تعلق به جواز الصلاة فى حق من لا يحسن العربية » .

وفى فتاوى قاضيخان « الثالثة : إذا كتب تفسير القرءان بالفارسية عند أبى حنيفة رحمه الله يكره مسه للحائض والجنب ، وعلى قول أهل المدينة لا يكره ، وقولُ صاحبيه فى هذا مشتبه ، والصحيح أنه كقوله لأنهما يأخذان بالاحتياط » .

وفى شرح المجمع عند الاستدلال على رأى أبى حنيفة « فدل ذلك على أن القرءان هـو المعنى ، والفارسية تشتمل على معناه ، فيكون جائزا فى حق الصلاة خاصة لأن المناجاة حالة دهشة ، وأما غيرها فالنظم لازم حتى جاز للجنب قراءته بالفارسية » .

وفى شرح الهداية عنـد تعليل رأى الصاحبين « إن القرءان اسم لمنظوم عربى كما نطق به النص إلا أنه عند العجز يكتفى بالمعنى كالإيماء » .

وفى شرح الزيلعى « إلا أنه لم يجعل النظم ركنا لازما فى حق جواز الصلاة خاصة رخصة ، لأنها ليست بحالة الإعجاز » . وفى فتاوى النسـفى « فقد وافقاه على أنه يصير قرءانا عند العجز عن أدائه بالعربية ، فيفرض ذلك عليه بالإجماع » .

فتجد فى هـذه المسألة أيضا خـلافا ونصوصا متضاربة ، فصاحب التجنيس يرى حرمة المس بالإجماع ، وكذلك قاضيخان والنسفى فى فتاواه ، لأنه متى صار قرءانا يأخذ

حكمه وهو حرمة المس وحرمة القراءة أيضا ، وشارح المجمع لا يرى حرمة المس وحرمة القراءة .

وإذا نحن رجعنا الى أصل النزاع والى الأدلة أمكننا أن نقول : إن حرمة القراءة والمس يجب أن ترتبط برأى الامام أبى حنيفة الذى رجع عنه ، وهو أن القرءان اسم للمعنى . أما على ما هو الصحيح عنده وعند صاحبيه من أن القرءان اسم للنظم والمعنى ، وأن الترجمة جعلت خلفا عن النظم العربى فى الصلاة كما جعل الإيماء خلفا عن الركوع والسجود ، وأنه لا يصار اليها إلا عند العجز ، أو أنها جعلت رخصة فى الصلاة حال القدرة عنده ، فلا يمكن أن تعطى الترجمة فى حالة القراءة والمس حكم النظم العربى . وقول النسفى : إنها حال العجز قرءان عندهما ، معناه أنها تعطى حكم القرءان فى وجوب الصلاة بها ، لا أنها تسمى قرءانا وتعطى حكم القرءان .

وبعد : فإن الترجمة لا تسمى قرءانا على أى وجه كانت ، وأنها أجيزت الصلاة بها للقادر عند أبى حنيفة على رأيه المرجوح رخصة ، وأجيزت الصلاة بها (وبعبارة أدق : ووجبت الصلاة بها عند العجز عن العربية) لأنها اعتبرت خلفا عن النظم العربى .

دفع شبهة أخرى :

عُلِم من الفصول السابقة أن الخلاف جرى فى أمور كثيرة : فى تسمية الترجمة قرءانا ، وفى جواز الصلاة بها عند القدرة على قراءة النظم العربى ، وفى أنها تصبح فرضا فى الصلاة عند العجز عن النظم العربى أولا ، وفى أنه يصح ضمها الى المقروء من النظم العربى بمقدار الفرض أو لا يصح ، وفى أنه يكتب بها مصحف أولا . كل هذا جرى الخلاف فيه ، ولم يجر فى جواز الترجمة وعدم جوازها حرفية كانت أو معنوية مع اتفاقهم على أن الترجمة المعنوية لا تجوز بها الصلاة . وقد ظن بعض العلماء أن خلاف الحنفية يختص بالصلاة ، على معنى أنهم لم يجيزوها فى غير الصلاة ولم يجيزوا القراءة بها فى غير الصلاة .

وسبب هذا أنه وقع فى بعض العلل وفى بعض العبارات شىء أمكنهم أن يأخذوا

هذا منه ، فقد علمت أن العلماء رجحوا أن القرءان اسم للمعنى والنظم عند أبى حنيفة وأصحابه ، وأنهم مع هذا أجروا الخلاف فى جواز الصلاة بالترجمة حال القدرة على أداء النظم العربى . وهذا غريب لأنه مع الاعتراف بأن الترجمة ليست قرءانا ، والله تعالى طلب قراءة القرءان بصيغة الأمر الدالة على الوجوب بقوله : « فاقرءوا ما تيسر منه » كيف تجوز الصلاة بما ليس قرءانا ، وإجازة الصلاة بها دليل على أنها قرءان ؟ فقال العلماء : إن الخلاف إنما هو فى الصلاة ، ومعناه أن أبا حنيفة لا يسمى الترجمة قرءانا فى غير الصلاة ، ولكنه يعتبرها قرءانا فى الصلاة رخصة ، لأن حالة الصلاة حالة مناجاة لا حالة إعجاز . فعبارة : أن الخلاف فى الصلاة خاصة ، وكلمة : رخصة فى الصلاة ، هى التى جعلت بعض أفاضل العلماء يقول إن خلاف الحنفية إنما هو فى الصلاة . ولكن الواقع أن المراد منها ما أسلفته ، وإلا فكيف يُعقل أن يجيز الإمام الصلاة بها للقادر على رأيه المرجوع عنه ، وأن يجيز هو وأصحابه باتفاق الصلاة بالترجمة حال العجز ، وأن يجيزوا ضمها الى المقدار العربى المفروض ، وأن يجعلوها فرضا عند العجز على أصح الأقوال ، وأن يجيزوا كتابة الآية والآيتين بالاتفاق ، وأن يجيزوا على الراجح كتابة المصحف بها بعد أن يقرن بالنص العربى . كيف يعقل أن يكون هذا كله ثم لا تكون الترجمة جائزة ؟ هم يجيزون الترجمة بلا نزاع ، وهم يجيزون كتابة المصحف بها مع النص العربى . أما القراءة حال القدرة لمن يتهم بشىء فى دينه ، وأما كتابة المصحف بها حال القدرة دون أن يكون معه النص العربى ، فيمنع منه أشد المنع ، لأنه من القادر تهاون فى أمر القرءان . وأما كتابة المصحف بها مع النص العربى للعاجزين عن قراءة النص العربى فلا يمكن أن يدّعى حرمتها على قواعد مذهب أبى حنيفة ، ولا يمكن أن تطرد فيها العلل وهى التهاون بأمر القرءان والإخلال بالنظم العربى .

ولا شبهة فى أن الفتوى بالحل والحرمة لشخص من الأشخاص يتبع حاله ويتبع نيته ويتبع الأمارات القائمة عنده .

وعلى هـذا فكل مسلم عاجزٍ عن أداء القرءان بالعربية ، وعن النطق بالعربيـة ، وعن الفهم بالعربيـة ، يستطيع أن يقرأ ترجمة القرءان للعظة والهداية والتدبر ويصلى بها وجوبا إن لم يعرف شيئا من النظم العربى ، وله أن يضمها الى النظم العربى إذا كان حسن القصد يريد مناجاة الله بمعنى كلامه . أما إذا كان عابثا سيء القصد فيحرم عليه هذا .

خاتمة البحث :

ونقول فى خاتمة هذا البحث : إننا إذا تتبعنا كلام المانعين رأيناه ينقسم الى قسمين: قسم لا يستحق العناية والتقدير ، وقسم يستحق العناية والتقدير .

فمن القسم الأول قولهم إن للحروف العربية مزية وحرمة ، وللكلمات العربيـة مزية وحرمة ، وللنظم العربى مزية وحرمة ، والترجمة تغيِّر هذا كله ، وتقدم المضاف إليه على المضاف ، وتحرم الناس من الإشارات الحسابية والمعارف واللطائف الصوفية ؛ فاننا مع اعترافنا بهذا كله (إلا الإشارات الحسابيـة وما أشبه ذلك) واعترافنا بأنه لا يجوز أن تغير الحروف والكلمات والترتيب فى النظم العربى كى لا يقع فيه التحريف ، نرى أن التراجم لا يمكن أن تؤثر فى شيء من هذا مطلقا ، لأن ذلك كله باق فى النظم العربى لا تفتح التراجم عليه باب الفساد ؛ ونحن إنما أمرنا بحفظ هذا فى اللسان العربى الذى أنزل به القرءان ، وكيف نكلفه إذا أريدت الترجمة ، ويصح أن يقال إنما أمرنا به فى القرءان ، والتراجم ليست قرءانا ولا يصح أن تسمى قرءانا وإنما هى معانى القرءان .

وأما القسم الثانى فهو أن الترجمة الحرفية متعذرة ، والترجمة المعنوية قد تغيِّر المعنى ، والأمم الأعجمية ينبغى أن تعرَّب وتتعلم العربية وفهم القرءان فى نظمه العربى .

ونحن نعترف بأن الترجمة الحرفية متعذرة فى كل القرءان ، وممكنة فى آيات كثيرة أو فى أكثر آيات القرءان ؛ ونعترف بأن الترجمة المعنوية قد يتغير بها المعنى المراد لله سبحانه وتعالى ، لأنها موقوفة على الفهم أولاً ، وبعد الفهم ينقل المعنى المفهوم الى اللغة الأخرى ؛ ولكن الحنفية مع هذا أجازوا الترجمة الحرفية فيما يمكن أن يترجم حرفيا ،

ولم يجيزوا الصلاة بغيرها ، وأجازوا الترجمة المعنوية ، ولكنهم لم يجيزوا الصلاة بها ؛ ولو أنهم كانوا يمنعون الترجمة المعنوية لقالوا إنها لا تجوز الصلاة بها لأنها غير جائزة ، ولكنهم قالوا لا تجوز الصلاة بها لأنه لا يتيقن أنها معنى كلام الله . وقد رأيت الشاطبي رحمه الله كيف أجاز الترجمة المعنوية وسوّى بينها وبين التفسير .

أما تعريب الأمم الاسلامية الأعجمية فهو أمل حلو ، وكل مسلم يود لو أن اللغة العربية عمّت العالم الاسلامى جميعه أو العالم كله ، وأصبحت لغة التفاهم والتخاطب ، ولغة التأليف والتراسل ، ولغة العلم ولغة الفنون ؛ ويود كل مسلم أن يصبح كل المسلمين قادرين على فهم القرءان الكريم بنظمه العربى ، وقادرين على النطق به ، وقادرين على استنباط الأحكام منه .

ولكن الى أن يتحقق هذا الأمل ماذا تفعل الأمم الأعجمية ؟ وهل الأفضل لها أن تبقى كما هى قائمة بقراءة الفاتحة فى الصلاة ، ثم هى بعد ذلك لا تستطيع النظر فى ألفاظ القرءان العربية ، ولا النظر فى معانيه مترجمة ؛ أو الأفضل أن تنقل اليها معانى القرءان وينقل ما يمكن نقله بالترجمة الحرفية لتستطيع إطالة الصلاة والمناجاة بقراءة الترجمة الحرفية ، وتستطيع النظر والفهم والتدبر فى المعانى ؟ هذه فى الحقيقة هى المسألة بقطع النظر عن الجواز والحرمة ، فإن أمر الجواز والحرمة فرغ منه الفقهاء منذ اثنى عشر قرنا ، ونحن لا نحدث جديدا من الفقه فى هذه المسألة .

ثم هل الأفضل أن يبقى القرءان محجوبا عن الأمم الراقية المسيحية ، أو الأفضل أن ينقل إليها نقلا صحيحا ليبحث العلماء نُظمه الاجتماعية وما فيه من توحيد وتنزيه ومكارم أخلاق ؟

وهذه المسألة تدل على ظاهرة غريبة فى الفقه ، فكلما ذهبتَ بعيدا تطلب الأولين من الفقهاء وأقوالهم تجد روح التسامح باديا فى الصور ، وروحَ النظر الى المعانى وثابا طامحا ؛

وكلما دنوت من عصرنا الذى نعيش فيه وجدت الأمر على العكس . وهذه الظاهرة تمثل أقوى تمثيل حياة الأمم الاسلامية فى الماضى والحاضر ، وتبين الفرق بين العصرين .

والحمد لله أولا وآخرا ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

فصل :

كتبت هذه الرسالة منذ أربع سنوات ، وأثبتُّ فيها نصوص علماء الحنفية . والآن أريد إثبات بعض النصوص لعلماء المذاهب الأخرى :

جاء فى صفحة ٣٠٨ من الجزء الأول من كتاب تصحيح الفروع للمقدسى الحنبلى « قال شيخنا : يحسن للحاجة ترجمته لمن يحتاج الى تفهيمه إياه بالترجمة ، وذكر غيره هذا المعنى ، وحصل الإنذار بالقرءان دون تلك اللغة كترجمة الشهادة » اه .

وفى كتاب الإقناع « وتحسن للحاجة ترجمته إذا احتاج لتفهيمه إياه بالترجمة ، وحصل الإنذار بالقرءان دون تلك اللغة كترجمة الشهادة » اه .

وقال الحافظ ابن حجر فى شرحه للبخارى نقلا عن ابن بطال المالكى فى الصفحة الثامنة من الجزء التاسع : « باب : نزل القرءان بلسان قريش والعرب قرءانا عربيا بلسان عربى مبين » شرح حديث يعلى بن أمية : مناسبة الحديث للترجمة أن الوحى كله متلوا أو غير متلو إنما نزل بلسان العرب ، ولا يرد على هذا كون النبى صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة عربا وعجما وغيرهم لأن اللسان الذى نزل عليه به الوحى عربى وهو يبلغه الى طوائف العرب وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم » اه . وقد أقر ابن حجر هذا وهو شافعى .

ومن السهل أن يطمئن الباحث بعد هذه النصوص التى نقلناها الى أن الحنفية لم ينفردوا بالقول بجواز الترجمة ، بل وافقهم على هذا الحكم الشافعية لما علمت من إقرار ابن حجر لما نقله عن ابن بطال ، والحنابلة لما سمعت من نص كتاب تصحيح الفروع

وكتاب الإقناع ، والمالكية لما رآه ابن بطال فى شرح الحديث السالف . وقد عرفت من قبل رأى الشاطبي ، وهو أن الترجمة جائزة بإجماع المسلمين .

ويحسن أن نذكر فى هذا الفصل عبارة لجار الله الزمخشرى فى الكشاف عند تفسير قوله تعالى : « وما أرسلنا مِن رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم فيُضل اللهُ من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم » :

قال : « فإن قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وإنما بعث الى الناس جميعا « قل يأيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا » بل الى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة ، فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة ، وإن لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة أيضا ، قلت : لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها ، فلا حاجة الى نزوله بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفى التطويل ، فبقى أن ينزل بلسان واحد ، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول لأنهم أقرب إليه ، فاذا فهموا عنه وتبيّنوه وتُنوقل عنهم وانتشر ، قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم فى كل أمة من أمم العجم » . ثم قال : « ولأنه لو نزل بألسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الإعجاز فى كل واحد منها وكلّم الرسول العربى كل أمة بلسانها كما كلم أمته التى هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك أمرا قريبا من الإلجاء » اهـ. وقد فصل العلامة الألوسى عبارة صاحب الكشاف ثم علق عليها بقوله : « كذا قرره شيخ الاسلام والمسلمين وهو من الحسن بمكان » .

وبعد هذا يمكن القول بأن المسألة من الوضوح بحيث لا تقبل الجدل ، فإن رسالة النبى صلى الله عليه وسلم رسالة عامة ولا سبيل الى تبليغ الرسالة وتبليغ ما أنزل اليه ليتدبره الناس إلا عن طريق الترجمة .

ولا أرى خطرا ما فى هذا ، لأنه متى علم الناس علما لا لبس فيه أن الترجمة ليست قرءانا وليس لها خصائص القرءان ، وأنها لا تحمل الإعجاز الموجود فى النظم العربى ،

بل ولا تحمل معانى النظم العربى جميعها ، وإنما تحمل المعانى التى فهمها المفسرون ، وُجِد الأمن التام ، وحصلت الطمأنينة التامة الى أن التراجم لا تأخذ قدسية القرءان العربى ، والى أنه لا يمكن أن يخطر بالبال يوما ما أن التراجم هى القرءان المنزل على رسوله الأكرم صلوات الله عليه .

هذا، وقد أكثر الناس من الكلام على الترجمة الحرفية ، وظنوا أن الغرض منها نقل خصائص النظم العربى . وهم واهمون فى هذا الفهم، لأن نقل خصائص النظم العربى مستحيل، بل المراد منها ما يفصح عنه النص الآتى فى مذهب الحنفية :

فى الزيلعى : « ولا تجوز الصلاة بالتفسير بالإجماع لأنه غير مقطوع به » قال الشلبى فى حاشيته : « لجواز أن يكون مراده تعالى غير ذلك التفسير ، ولأنه كلام الناس ؛ والاختلاف فيما إذا أبدل لفظا عربيا بلفظ عجمى يماثله » .

ومن هذه النصوص التى سلفت يعلم أن الآيات التى يختلف المفسرون فى تفسير معناها ، والتى لا يمكن أن تترجم إلا على وجه من الوجوه ، لا تصح الصلاة بها عند الحنفية لأنه لا يقطع أن معناها كلام الله .

أما الآيات التى يصح أن يصلى بها فهى التى لا يوجد فيها خلاف فى معانيها . ومثل هذه الآيات تسمى ترجمتها ترجمة لفظية أو ترجمة حرفية ، على معنى أن هذه الترجمة تنقل المعنى نقلا تاما .

وقد يقول قائل : إنه عند تعدد المعانى لا تصح الترجمة لأن المعنى المنقول حينئذ لا يقطع أنه معنى كلام الله .

والجواب عن هذا : أن المسلمين فى هذه الحالة قد أجمعوا على جواز التفسير باللفظ العربى ، وعلى أن الفقيه يأخذ الأحكام بناء على ما يفهمه من النظم العربى باعتبار أن ما فهمه هو معنى كلام الله ، فكما صح هذا يصح أيضا أن تنقل هذا المعنى الى اللغة الأخرى على أنه المعنى المفهوم للناقل والمترجم، ولا ضير فى هذا .

والمحذور هو أن تُفهِم العربي الذى تحكى له التفسير أن هذا المعنى هو مراد الله تعالى قطعا .

ولعل هذه الفصول ، وفيها «من النصوص ما فيه بلاغ» ، وفيها من توضيح الآراء ما اشتجرت فيه وجوه الفهم ، تثلج صدر المتخوفين من أن يُسلم الناس بهذه الترجمة ما أورثوه وما استحفظوا من كتاب الله ، فلا يزال القرءان الكريم بفصحاه باقيا يهتدى به الناس ويتعبدون بتلاوته ، وتطمئن قلوبهم بذكر الله منه . وقد غبرت قرون من لدن اختلاف العلماء فى جواز الصلاة بغير العربية ، وترجم القرءان الكريم مرارا الى شتى لغات العالم ، وما وجدنا معقل العربية قد أسلمه حماته . وخير أن يوحد للناس بالقدر الممكن ما تستقر عليه آراء أشياخ العربية والدين من فهم معانى كتاب الله ، ليبعد عن هذا الكتاب المطهر زيغ الزائغين وإلحاد الملحدين .

وقد اختلف العلماء قديما فى الوجه الذى أعجز به القرءان ، ونقل اختلافهم فى كتب الحديث وعلوم القرءان . ووراء نظمه المعجز صنوف من الإعجاز ، وألوان من معانى حكم الله وأسراره الباهرة ، وما سرد من قصص ، وما أخبر عنه من مغيب .

حرام أن تبقى هذه المعانى محجوبة عن أعين الناس فرارا من أوهام الخائفين ، وحذارا من إشفاق الموّقين .

وسيجد المخلصون فى هذه الترجمة أكبر خدمة لدين الله الذى ارتضاه ، وخير معونة تسدى للراغبين فى تفهم حقائق هذا الوحى السماوى . والله متم نوره .

«سنريهم آياتِنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق أولم يكْفِ بربك أنه على كل شىء شهيد» .

الروح الاسلامية ومدى تأثيرها

فى النفس البشرية

٢

مقابل هذه الروح من الشخصية الانسانية

نحن باطلاقنا كلمة روح على هـذه المباحث إنما نسميها بما سمى به الحق سبحانه وتعالى تعاليمه ووصاياه التى أوحاها الى رسـوله صلى الله عليه وسلم فى قـوله جل شانه : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهـدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، ألا الى الله تصير الامور » قال المفسرون : وإنما سمى الله ما أوحاه الى رسوله روحا لأن به حياة القلوب كما بالروح الانسانية حياة الأجساد .

ولما كان الخالق الحكيم لا يكلف عباده إلا بما يستطيعون القيام عليه ، وما كمن فى جبلتهم من القوى الحافزة اليه ، فقد سمى الدين الجامع لجميع خصال الخير بدين الفطرة إيذانا بانه موافق لها كل الموافقة .

فالروح الاسلامية تعتمد على الفطرة الانسانية ، وتستمد منها سلطانها على العقول ، وحجتها على الخلود . ولما كان هذا الموضوع يمس أساس الدين وعليه يتوقف استيلاؤه على النفوس ، وبه تبلغ أدلة هذا الدين أقصى ما قدر لها من قوة ، وجبت علينا زيادة بيان له فنقول :

خلق الله الانسان مطبوعا على نحائز تحفزه الى الخير ، وغرائز تدفعه من السمو الى مدى لايبلغ اليه العقل ، ولا يصل الى غايته خيال ، ناهيك بكائن علمه مبدعه الأسماء كلها وأسجد له ملائكته . فهذه إشارة الى أنه بمكان من قبول الترقى بحيث يصل الى مقاوم روحانية يفضل بها الكائنات العلوية . وهذا التقدير الاسلامى للانسان قد انتهى اليه مذهب العلم المادى فى القرن العشرين . فكتب العلامة الكبير (شارل ريشيه) (١) مدرس الفيزيولوجيا فى كلية الطب البارزية وأحد أعضاء المجمع العلمى الفرنسى ، فى مقدمة كتبها لكتاب (الظواهر النفسية) (٢) للدكتور ماكسويل ، النائب العام فى حكومة الجمهورية الفرنسية ، لطبعته الخامسة الصادرة فى سنة (١٩١٤) قال :

« إذا سألنا رجلا متوحشا ، بل لو سألنا فلاحا مصريا أو قرويا روسيا عما يعلمه عن قوى الطبيعة ، وجدناه لايدرى منها عشر ما تسرده منها الكتب الأولية لهذا العلم فى سنة ١٩٠٣

---

(1) Charles Richet. (2) Les phénomènes psychiques, Dr Maxwell.

(هى السنة التى كتب فيها هذه المقدمة) . ويظهر لى أن علماء هذا العصر سيكونون حيال علماء القرون المقبلة فى مثل حال قروى اليوم إزاء أساتذة جامعة فرنسا » انتهى .

وقد دفع هـذا التقدير الاسلامى للانسان الى اعتقاد المسلمين بانه بمـا أودع صميمه من روح الله يعتبر به عالما وحده ، بل ذهب بعضهم الى القطع بانه العالم الأكبر فقال شاعر :

أتزعم أنك شىء صـغيـ ـر وفيك انطوى العالم الأكبر

وإذا كان اعتقاد المسلمين هو هذا ، فاى كمال يرون الانسان دونه ، وأى مرتقى من السمو يظنون أنه لا يبلغه ويجوزه الى حيث لا تصل الظنون والأوهام ؟

وما دام هذا مسلما به فأى تـكليف مهما كان شاقا عنيفا لا يستسهله الانسان ليبلغ هذا الملك الذى لا يبلى ، وأى رياضة نفسية لا يتحملها ليصل الى هـذا المستوى الذى دونه كل مستوى ؟ « إنا عرضنا الأمانة (أى التـكاليف المناسبة لـكرامة الانسانية) على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الانسان ، إنه كان ظلوما جهولا » أى كان ظلوما لعدم القيام بادائها جهلا منه بثمراتها .

والنظر المجرد فى كل ما أدركه عقل الانسان من أسرار العلوم ، وما سخره من قوى الـكون ، وما تم على يديه من الصنائع والاختراعات ، يدل من طريق محسوس على أن الفطرة الانسانية ثرية فى القوى المعنوية ، ثروة لا يمـكن تقديرها بهذا العقل العادى فى أى دور من أدوار رقيه ، لأن ما حكم هذا العقل عليه بالاستحالة فى عصر من العصور ، وصل اليه هذا العقل نفسه بعد عهد قريب أو بعيد . أما رأيت أن شيخ الفلاسفة الحسيين (أجوست كومت) أراد أن يضع حـدودا للممكن وغير الممـكن ، وعد من غير الممكن معرفة تركيب مادة الـكوا كب ، فـلم يمض على كتابه الذى قرر فيه هذا الرأى بضع سنين حتى اكتشف أحـد المخـترعين آلة السبكـترسـكوب المؤسسة على تحليل ألوان الأشعة الشمسية ، فعرفت مادة الـكواكب بطريقة محسوسة لا يمـكن النزاع فيها ؟

وإذا لم يكن الانسان مفطورا على بلوغ أقصى ما هو أهل له دفعة واحدة ، فانه مطبوع على أصول أولية يستطيع أن يقوم عليها ، بدون هاد يهديه اليها ، وهى ما سمى بالمعارف الضرورية . فيستطيع أن يميز بها بين الحسن والقبيح ، وبين النافع والضار ، وبين الخير والشر ، وغرز فيه من البواعث على التـكمل ما يحفزه الى العروج الى أرفع مكانات الارتقاء .

ولما كان الغرض الأول من الدين الحق هـو إيصال الانسان الى كماله ، من طريق تنبيه غرائز التـكمل الـكامنة فى طبيعته ، وإيقاظ عواطف السمو الثاوية فى روحه ، فقد اتفق الدين الحق والفطرة الانسانية كل الاتفاق ، فاذا كان بينهما فارق فهو فى أن الفطرة قـوى معنوية مبثوثة فى كيان الانسان ، والدين ترجمة طبق الأصل لهذه القوى . وقد ورد التنزيل مؤيدا

لهـذه الحقيقة الفلسفية ، فقال تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر النـاس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولـكن أ كثر الناس لا يعلمون » .

فاذا قلنا إن الاسـلام دين عالمى عام يسع الخلق كلهم ، وهو خالد خلود الحقائق الـكلية ، ساغ لنا ذلك ، بل عد من باب تقرير الواقع ، لأن الفطرة الانسانية عالمية عامة ، وغرائزها وميولهـا مستقرة خالدة ، وكل ما وافق المثل العليا التى تتجه هـذه الفطرة الى تحقيقها فهو دينها الحق الذى لا تجد عنه معدلا . ولـكن الأمر يحتاج الى أدوار كثيرة من التطور تدخل فيها النفوس البشرية لتتهذب وتخلص من رعوناتها الحيوانية ، وتقوم على صراطها الذى نهجه الخالق لها ، وتتعرف الأعلام التى نصبها فى الـكون لتسترشد بها ، والى هذا يشير الحق سبحانه وتعالى بقوله : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

وكل دين لا يعتمد على الفطرة التى فطر الله الناس عليها فمحكوم عليه بالزوال متى وصلت عقول أهله الى الرشد ، ومتى ضعف فيهم تأثير التقليد الأعمى لآبائهم . وهذه النتيجة تعتبر طبيعية من كل وجه ، لأن كل ما لا ينطبق على العقل يضعف أثره على النفس على نسبة الاستنارة التى يصل اليها هـذا العقل ، وكل ما كان لا معتمد له غير داعية التقليد الأعمى يضمحل باضمحلال الداعية التى يقوم عليها بتقدم العلم والفلسفة ، والعالم من هـذه الناحية فى تطور مستمر ، وإن شوهد أن سيره وئيد ، فذلك لأن الأديان البشرية قد أصبحت عنصرا من عناصر القوميات ، فهى باقية بفضل هذا الامتزاج ، ولـكن تطور أصول الاجتماع سينتهى باخراج هذا العنصر من كيان القوميات ، كما أخرجت عناصر أخرى أصبحت فيها عللا للضعف ، ولعل ما طرأ من هذا القبيل فى علاقات الأمم بالأديان من التراخى ، يشير الى أن سنة التمحيص تعمل على عزل كل ما هـو باطل من كيان الأمم ، ليتم التلاؤم بين ما وصلت اليه عقولهـا ، وما يجب أن تـكون عليه مقوماتها .

وكل هذه التفاعلات الأدبية والاجتماعية بين الامم تعتبر فى الواقع تمشيا نحو مقتضيات الفطرة الانسانية السليمة ، وكل ما يعمل لمصلحـة الفطرة هو فى الواقع ، بناء على ما علمت ، عمل لمصلحة الاسلام ، وجهد مبذول لتعميم دولته فى الأرض ، فالمستقبل للاسلام وإن جهل ذلك الجاهلون ، أو تجاهله المتعصبون .

فانظر على أى أساس تقوم الروح الاسلامية من الطبيعة الانسانية ، وعلى أى الغرائز الفطرية تعتمد لتحقق مقاصدها العالمية ؟ إن دينا يقوم على مثل هذا الأساس المتين لا يعقل أن يبلغ منه الخصـوم ، فـكل سهم يوجهه اليه منازع يرتد اليه فيصميه ، وكل كيد يدبره له كائد يعود عليه فيرديه : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الـكافرون » .

محمد فريد وجدى



سورة الرعد

— ١١ —

بسم الله الرحمن الرحيم

(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ . الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) .

قد سمعت فى الآية السابقة ما حكاه عز وجل عن الكفار المكابرين من تماديهم فى المكابرة والطغيان ، وتعاميهم عما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات ، فهم يقولون بعدكل ما رأوا : « لولا أنزل عليه آية من ربه » ، وسمعت ما أمر عز وجل أن يرد به عليهم فى قوله : « قل إن الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب » ؛ وبيّنا أن معنى ذلك : أن المسألة ليست مسألة طلب آية يتبين بها الحق ، فقد أنزل من الآيات ما فيه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وإنما الأمر أمر التوفيق والخذلان ، أمر من أراد الله أن يهديه أو أراد أن يضله ، أمر من شاء الله أن يشرح صدره للاسلام أوشاء أن يركسه فى مهاوى الضلال والبهتان ، والله فعال لما يريد ، لا راد لأمره ولامعقب لحكمه ؛ وإلا فكيف لا يعدّ ما ذكر من أول السورة برهانا أقوى برهان على صدق ما دعاهم اليه من الاعتراف بوحدانيته وعظيم قدرته وباهر حكمته وواسع علمه ، وأنه وحده هو المهيمن على العالم علويه وسفليّه ، هو الموجد له

على هـذا النظام الحكيم والترتيب العجيب ؟ لالا ، ليست المسألة مسألة آية ، وإنما الأمر أمر الضلال والهداية : «قل إن الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب» .

والسر فى التعبير فى الشق الثانى بكلمة « من أناب » بدل أن يعبر بكلمة « من يشاء » كما فى الشق الأول ، هو قطع ما عسى أن يتعللوا به من المحاولات التى كانوا يتصيدونها كلما بدت لها بارقة شبهة ، فربما قال قائلهم : إذا كان الأمر راجعا لمشيئته كما ذكرت فى الضلال والهداية ، فما وجه مطالبتك لنا ، فلوشاء الله لهدانا أجمعين ؟ أجل : لوشاء الله لهدى الناس جميعا ، ولكن ليس معنى ذلك بطلان الاختيار من العبد وعدم مدخلية إرادته بالمرة ، فالمتمسك بهذا ليفر من المسئولية مكابر لنفسه مكابر لعقله مكابر لوجدانه ، منكر لما أنعم الله به عليه من عقل وتمييز وإرادة واختيار يتوجه بها الى ما راق فى نظره وحسن فى عقله . تشهد بذلك بديهته بل بديهة الصبيان فى أول درجات التمييز . ألست ترى الطفل حين تهم بتأديبه لأمر فرط منه تجده تارة يلجأ الى قوله : « هذا جرى قهرا عنى » وتارة الى قوله « تبت أن أعود » ؟ أليس معنى هذا فى عقله أنى فى الأول لا أستحق الأذى لأنى لا يصح أن أؤاخذ بما لا اختيار لى فيه ، وفى الثانى أنى أستحق العقوبة لأنى فعلته باختيارى ، ولكنى أستسمحك وأستقيلك مما فرط منى واستوجب عقوبتى ، وأعدك بأن أقلع ولا أعود ؟ اللهم إن هـذا فى فطر الأطفال بله العقلاء .

فالمستمسك بالمشيئة الإلهية وهو لا يعلم من أمرها شيئاً إلا بعد أن يقع منه الفعل إجابة لداعية نفسه ، مستمسك بما يعلم فى نفسه أنه كاذب فيه ، وإنما يريد المكابرة والمراوغة ، وهو لا يراوغ إلا فى مصلحة نفسه ؛ وإلا فالحقيقة أن من أناب الى الله وثاب الى رشده ، وجعل لعقله نوبات يراجع فيها أمره على بصيرة ، مطرحا العناد واللجاج فى الفساد ، واستلهم من الله الرشاد ، فقد أعدّ نفسه لإفاضة نعمة الله وهدايته عليه ، والله كريم جواد ، ورءوف بالعباد ، فهو يضل من يشاء ممن انصرفت نفسه بالمرة عن مراجعة الحق والصواب ، ويهدى من يشاء ممن أناب الى ربه ورجع الى التفكر

فيما نصبه له من أدلة ، وساقه له من آيات . وبعبارة أوضح : جعل من نفسه لنفسه نوبة يرجع فيها الى التفكير الهادئ الخالص ، فهو بذلك محل لإفاضة الهدى عليه من الله . وهؤلاء هم « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله » . وعلى ذلك يكون قوله : « الذين آمنوا » الخ ، من تمام الكلام السابق ، ويُعرَب بدلا من « مَن أناب » أو عطف بيان عليه ، أو خبر مبتدأ محذوف كما قدرناه آنفا .

وقد يرى بعضهم أن الكلام تم عند قوله : « من أناب » وقولُه : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم » كلام مسوق لبيان شأن الفئة المقابلة الذين كفروا القائلين : « لولا أنزل عليه آية من ربه » . فكأنه بعد ما ذكر حال أولئك الكافرين ، وأنهم إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وكلما نزلت عليهم آية طلبوا غيرها ، ذكر حال المؤمنين الذين اطمأنت قلوبهم وسكنت الى ما أنزل عليه من الذكر الحكيم والقرءان العظيم ، وهو الجدير بأن تطمئن اليه القلوب : ألا بذكر الله تطمئن القلوب . ويكون قوله : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » جملة اعتراضية بين المبتدأ والخبر الآتى فى قوله : « طوبى لهم وحُسْنُ مآب » وقولُه : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » بدلا من الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم ، وهو وجه لا بأس به ، وإن كان الأول أظهر منه وأقرب .

وإذا قيل على الأول : ما معنى يهدى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم والهداية قد حصلت بالإيمان وطمأنينة القلوب ، فكيف يجعلان سببا للهداية ؟ قلنا : إن هذا على نسق قوله تعالى : « هدى للمتقين » وقد قالوا فيها : إن معنى المتقين من أعدوا نفسهم لإفاضة التقوى على قلوبهم برجوعهم الى طلب الحق والبحث عنه ، فإن الله يهديهم صراطه المستقيم ؛ فكذلك هنا معنى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الذين لانت قلوبهم ، واتجهوا الى طلب الحق الذى شعروا به من نفوسهم ، وأصاخوا الى ما صدر عن فطرهم من الإهابة بقولهم : أن ثوبوا الى رشدكم ، وتعرفوا مصدر نعمكم ، وافقهوا ما ركب فى فطركم ، تعلموا ما ينجيكم من عذاب ربكم ، وما يديم ما أنعم به

عليكم . هذه بارقة الايمان تنبعث من صدور المؤمنين ، فيتلقفونها ، ويتدبرون ما احتوت عليه ، ويتأملون فيما دُعوا اليه ، فيجدون ذلك كله يدعو بعضه الى تصديق بعض ، فإذا اطرحوا العزة النفسية والحمية الجاهلية ، وعدلوا عن اللعب فى موضع الجد ، ونظروا النظر الصحيح ، فقد تفتحت عيونهم لمشاهدة ما عرض عليهم من آيات ، فاستمسكوا بها ، فحصوها وأخلصوا النظر فيها ، فازدادوا اليها ركونا ، فآمنوا واطمأنت قلوبهم بذكر الله وآياته ، وأى شىء أوجب لطمأنينة القلوب من ذكر الله وذكر آياته ؟ ألا بذكر الله تطمئن القلوب .

والطمأنينة : السكون والاستقرار ، ويقال للمكان المنخفض مطمئن ومطمأن ، لأن ما يحل فيه يسكن ويستقر عادة . وطمأنينة القلوب : سكونها الى ما حل فيها من عقيدة راسخة . وذكر الله هنا : القرءان الكريم . يعرف ذلك من مقابلته لقوله : « لولا أنزل عليه آية » . وإطلاق الذكر على القرءان مستفيض « إنا نحن نزلنا الذكر » « وهذا ذكر مبارك أنزلناه » . وسبب طمأنينة قلوبهم بذكر الله ما يشهدون فيه من آيات بينات دالة على صدق من أنزل عليه دلالة لا لبس فيها ولا ريب ، فهى تدفع عن قلوبهم قلق الحيرة والتردد .

وقوله تعالى : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » تقرير وتثبيت لما كان منهم ، وبيان أنه هو الذى ينتظر ممن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ؛ فأما من مرّ عليه فلم يُلقِ له بالاً ولم ينتفع بالهدى الذى احتواه ، فلا يصح أن يكون من ذوى القلوب ، بل ممن قال الله فيهم : « وأفئدتهم هواء » أى فارغة خالية عن القلب . والحصر المستفاد من تقديم « بذكر الله » على « تطمئن » لبيان عظم منزلة الطمأنينة الحاصلة منه ، فهى طمأنينة منشؤها العقل ، وليست من المحسوسات التى ربما لحقت النفوسَ معها توهمات تقلق راحتها ، كأن يقولوا : « إنما سُكِّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » أو كما حكاه عز وجل عنهم فى قوله : « وإن يَروْا آية يُعرضوا ويقولوا

سحر مستمر » . فيكون الحكم بحصر اطمئنان القلوب فى ذكر الله ، لأنه بمنأى عن أن يدّعى فيه السحر أونحوه ، فضلا عما فيه من الدوام والبقاء ، ليكون معجزة خالدة بذاتها خلود الدعوى التى قامت هذه الآية لتأييدها ، فليس الموجود نبأ هذه الآية والإخبار عنها ، بل الموجود الخالد هو الآية نفسها ، فلا سبيل الى تطرق الريب إليها ، ولا يعترى القلق قلوبا نظرت فيها وتعرفت وجوه إعجازها .

وبعد : فهذا لا يمنع أن يستفاد من الآية معنى آخر إذا نُظر إليها فى ذاتها بقطع النظر عن السياق الذى سيقت له ، وهو أنّ تذكر جلال الله وعظمته ، وباهر قدرته وحكمته ، مما يغرس فى القلوب طمأنينة وسكينة ، كما قال تعالى : «ثم تَلِين جلودُهم وقلوبهم إلى ذكر الله » . ويكون وجه مناسبته لما سبق : أن شأن الكافرين أنهم إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوبهم . ولكن المعنى الذى قررناه أولا أقرب للنظر ، وأوجه فى المناسبة ، وهو أن المراد بالذكر القرءان الحكيم .

وعلى المعنى الثانى قد يقال : ما وجه الجمع بين ما هنا وبين ما جاء فى قوله تعالى : « إذا ذُكر الله وَجِلت قلوبهم » ؟ والجواب أن ذكر الله يتجلى فى عدة صور : فتارة يكون ذكر الأُنس والتبتل إليه سبحانه ، ومشاهدة ما فى صنعه من جمال باهر ، فتطمئن القلوب من حيرتها ، وتسكن من قلقها ، مذعنة أنه الواحد لا شريك له ، ولا يستحق أن يعبد غيره ؛ وتارة يكون بذكر عظمته وهيبته ، وما يجب على المرء ليقوم بواجب شكره ، وأنه مهما فعل فهو مقصر ، فيدرك الذاكرَ من أسباب المهابة ما يجعله وجلا خائفا من عذاب ربه ، حذِرا من غضبه ؛ ولكل مقام مقال .

« الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » :

قد بيّنا آنفا أن قوله تعالى : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله » الأظهر فيه أنه مرتبط بقوله : «من أناب» على أنه بدل منه أوعطف بيان ، أوخبر لمحذوف عائد عليه . وعلى هذا يكون قوله : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات» مبتدأ ، وطوبى لهم خبرا عنه.

ويصح أن يكون من تتمة الكلام السابق ، وكأنه ذكر « من أناب » بصفتين تنوهان بعظم مقداره وشرف إنابته : (الأولى) إيمانه وطمأنينة قلبه بذكر الله . و(الثانية) إيمانه وعمله الصالحات ، ويكون وجه ذلك إظهار أن الإنابة الى الله والرجوع الى طلب الحق ينشأ عنها ثمرتان طيبتان : (الأولى) الايمان الراسخ الذى اطمأنت اليه النفوس وسكنت عنده القلوب خالصة من كل قلق وريبة . و(الثانية) الايمان المثمر للعمل الصالح والسيرة الطيبة .

وتكرار الايمان لبيان أنه من حقه أن يعتبر ثمرة مستقلة من كل جهة من الجهتين . فهو باعتبار اطمئنان النفس وسكون القلب وسلامته من الحيرة والشك والريب ، ثمرة قائمة بذاتها ؛ وباعتبار ماينشأ عنه من الأعمال الصالحة والسيرة المستقيمة ثمرة أخرى ، وإن كان هو فى ذاته شيئا واحدا . وعلى ذلك يكون قوله : « طوبى لهم وحسن مآب » دعاء لهم بأن يطيب عيشهم ، وتهنأ حياتهم فى الدنيا والآخرة ، وأن يحسن مآبهم ومرجعهم الى ربهم .

وسبق أن الآية تحتمل وجها آخر ، وهو أن الكلام تم عند قوله : « من أناب » ، وأن الذين آمنوا وتطمئن مبتدأ والذين آمنوا الثانية بدل منه وطوبى لهم خبر عن المبتدأ ، ويكون الكلام فى الأول لبيان حال الكافرين ، وأنهم لا يزالون قلقين مضطربين لا تطمئن قلوبهم لحال يسكنون لها ، لأنهم لم يتجهوا الى طلب الحق لذاته ، بل يريدون أن يتبع الحق أهواءهم ، فيعييهم هذا الطلب ، فلا يزالون يطلبون آية يشبعون بها أنفسهم ، ويتمنون الأمانى ، ويقترحون الخزعبلات ، حتى إنهم ليقترحون أن ينزل السماء عليهم كسفا . فهؤلاء لايؤمنون ولوجاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم . وبعد أن شرح حالهم ذكر فى مقابلتهم حال من أناب الى ربه ، فقال : « الذين آمنوا » الى قوله : « وحسن مآب » وهو وجه لابأس به كما سبق .

وطوبى : فُعلى ، من الطيب كبشرى وزلفى ، قلبت ياؤها واوا لسكونها وضم

ما قبلها كموقن وموسر مأخوذين من اليقين واليسار . فإذا جعلت الذين آمنوا مبتدأ تكون طوبى لهم خبرا ؛ وإذا جعلتها بدلا من «من أناب» تكون طوبى لهم دعاء مستقلا ، ومعناها أصابوا طيب عيش وصلاح حال ، كقولك : سلام عليك وسلاما عليك . وهى إما مرفوعة على معنى لهم طيب عيش ، أو منصوبة على معنى أصابوا طيبا . ويبين أنها مرفوعة أو منصوبة قوله بعدها : «وحسن مآب» فقد قرئ بالرفع والنصب .

والمآب : المرجع ، من آب المسافر الى بلده رجع . والمعنى أن مرجعهم الى الله سيكون مرجعا حسنا سارا ، فقد أصابوا حسن مرجع ؛ أولهم حسن مرجع ، على حسب قراءة الرفع والنصب . وقد قرئ حسنَ مآبٌ ، برفع مآب وفتح النون من حسن . ووجهها أن حسن فعل ماض أصله حَسُن بفتح الحاء وضم السين فنقلت ضمة السين الى الحاء بعد حذف حركتها ؛ ومثل هذا جائز فى فعل المدح والذم ، يقولون : حُسنَ ذا أدبا ، كقولهم : نعم ذا ؟

ابراهيم الجبالى

فضل الرفق والاناة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أوتى حظه من الرفق فقد أوتى حظه من خير الدنيا والآخرة .

وقال بعض الحكماء : يدرك بالرفق ما لا يدرك بالعنف ، ألا ترى أن الماء على لينه يقطع الحجر على شدته ؟

وقال أشجع السلمى لجعفر بن يحيي بن خالد : ما كاد يدرك بالرجال ولا بالمال ما أدركت بالرفق . وقال النابغة :

الرفق يمن والأناة سعادة ... فاستان فى رفق تلاق نجاحا

وقالوا : العجل بريد الزلل .

أخذ القطامى هذا المعنى فقال :

قد يدرك المتانى بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

ترجمة القرآن

ونصوص العلماء فيها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي العربي ، أرسله الله بالحق بشيرا ونذيرا ، وأنزل عليه كتابا عربيا ليخرج به الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد .

وبعد : فان المسلمين قد بدءوا يشعرون بتقهقر حالتهم بين الأمم الناهضة ، وقد حفزهم هذا الشعور الى التفكير فى الوسائل التى تنهض بهم فى جميع نواحى الحياة ، وكان من ذلك أن رأى المصلحون الدينيون منهم أن أساس النهوض للأمة الاسلامية هو العمل بجد و إخلاص لنشر هداية الاسلام ، وإذاعة تعاليمه العالية ، وبث مبادئه القويمة ، وآدابه الفاضلة ، وإعطاء صورة صادقة عنه للأمم التى نشطت فى مضمار الحياة ، وجدت فى دراسة الثقافات الدينية المختلفة ، ومحاولة الوقوف على حقائقها من منابعها الأولى .

وكان من ذلك أيضا أن رأى هؤلاء المصلحون أن يد الطموح العلمى المتغلغلة فى العالم امتدت الى القرءان الكريم ، فوضعت له تراجم بلغات مختلفة لم تسلم من أخطاء كان لها أثر سيء فى فهم معانى القرءان .

وإزاء هذا وذاك لم ير أولئك المصلحون بدآ من أن يفكروا فى وضع ترجمة تحتوى على معانى القرءان الكريم احتواء دقيقا تاما ، وأن تذاع تلك الترجمة فى أنحاء العالم ، فتنشر هداية الاسلام ، ومبادئه الحقة من جهة ، وتقضى على تلك التراجم الخاطئة من جهة أخرى .

ولا يرتاب مسلم فى أن هذين الأمرين من ألزم ما يحتمه الدين على أهله ، وأشد ما يؤثمهم على تركه ، وإن ترك هذه التراجم ينفاقم شرها ، ويستشرى ضررها ، لمن أشد أنواع المنكر الذى يوجب الدين محاربته ، والقضاء عليه بما يستطاع من الوسائل .

وما كادت فكرة هؤلاء المصلحين تبزغ فى أفق الاستعداد للعمل حتى ضاق بها صدر بعض الناس ، وأخذ يحاول التأثير على العامة بأساليب لا يعرفها العلم ، ولا يألفها البحث ، وينكرها الاخلاص للحق والدين ، وقد أوقعه موقفه هذا فى سوق بعض آيات من القرءان الكريم فى غير موضعها ، وسلخها عن روحها ومعناها ، وكان بذلك من « المترجمين الخاطئين » !

وقد رأيت من واجبى أن أكشف الموضوع من جهته الدينية ، وأن أعرض لنصوص العلماء المتقدمين فى مسألة الترجمة ، حتى يكون الناس على بينة من الأمر ، وحتى لا يكون لتلك السهام الطائشة أثر إلا فيما لا يرضى به أصحابها .

وقد بنيت بحثى هذا من فصلين ومقدمة ، فان وفقت فيما أردت ، فلله الحمد على ما وفق ، وإن تجافانى التوفيق ، فلست باول من بحث فاخطا ، وما أريد إلا الخير ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله العلى العظيم .

المقدمة :

الترجمة : نقل المعنى من لغة الى أخرى ، والترجمة التفسير مطلقا ، ومنه ترجمان القرءان ، وفى القاموس — الترجمان : المفسر للكلام .

والترجمة التى يمكن أن يفترضها العقل للقرءان ثلاثة أنواع :

أولها — نقله من أسلوبه الى أسلوب آخر يضاهيه تمام المضاهاة فى خصائصه ومزاياه ، ويقوم بوظيفتيه : الاعجاز ، والتبليغ . وهذا النوع لا تتناوله قدرة البشر ، ولا يدخل تحت حكم شرعى ، وقد أخبر الله بعجز الانس والجن عن الاتيان بمثل القرءان ، والمثلية المطلقة لا تتحقق إلا بقيام أحد الشيئين مقام الآخر فى جميع وظائفه ، وهذا الفرض ليس موضع تفكير لأحد من العقلاء ، فضلا عن المسلمين ، وليس هناك عاقل تحدثه نفسه بان يترجم القرءان بهذا النوع من الترجمة ، كما أنه ليس هناك مسلم عاقل يزعم على أحد من المسلمين العقلاء أنه يريد هذا النوع من الترجمة !

لهذا يجب أن يستبعد هذا النوع من موضع النزاع ، ويقصر على النوعين : الثانى — وهو أن يوضع بدل كل لفظ لفظ آخر مرادف له من اللغة المنقول إليها بقدر استطاعة المترجم ، واستطاعة تلك اللغة ؛ وعلى النوع الثالث — وهو أن يفهم معنى الآية فهما تاما دقيقا ، ويؤدى بعبارة اللغة المنقول إليها .

* * *

هذان النوعان هما موضع البحث ، ومحل النزاع . ومن المسلم به بادئ ذى بدء أن هذين النوعين سواء أكانا بلسان القرءان أم بغيره ، ممكنان وواقعان ، وماهما عند إمعان النظر الذى يطلب الحق لذاته إلا تفسير وبيان ، ونحن جميعا نعلم أن البيان أو التفسير يقصر تارة ، ويحاذى بترتيبه حسب الامكان ترتيب الأصل ، فيكون الأول منهما ؛ ويطول أخرى ، ولا يحاذى به ترتيب الاصل ، فيكون الثانى .

ومن المسلم به أن الترجمة باحدهما لا يمكن — مهما علا كعب صاحبها فى البلاغة — أن تحمل

وجوه الاعجاز التي يحملها القرءان ، فلا تكون القرءان المتعبد بتلاوته ، المتحدى باقصر سورة منه ، ولا تكون مثله ، كيف والقرءان في وجوده الذاتي ، وعند الله ، وعند المسلمين ، هو اللفظ العربي المعجز المنقول الى المسلمين بالتواتر ؟

ومن المسلم به أيضا أن وجود الترجمة باحد هذين النوعين بجانب الاصل القرءاني المعجز لا يتصور عاقل أنها تطغى على ما يحمله من وجوه الاعجاز ، أو أنها تغني غناءه فيما قصد منه من إعجاز وتبليغ .

على أنه من المسلم به أيضا أن جهات الاعجاز في القرءان لا تنحصر في بلاغته التي لا يتذوق الوجه المعجز فيها إلا من كان ذا سليقة عربية خالصة ، بل من وجوه إعجازه احتواؤه على أخبار غيبية لا يدركها الانسان إلا عن طريق الوحي الالهي ، واحتواؤه على أسس تشريعية ، ومبادئ أخلاقية واجتماعية ، لم يعهد في تاريخ البشر أن أميا نشا في جاهلية يستطيع أن يضعها أو يضع شيئا منها .

ولا ريب أن الترجمة إذا لم تحتفظ بالوجه البلاغي المعجز ، فانها تحتفظ بجهات الاعجاز المستقرة في صلب المعاني الأصلية ، وهي جهات عظيمة القدر ، جليلة النفع ، لها أثرها في امتلاك القلوب ، فلا ينبغي أن تحجب عن نفوس متطلعة ، ولا أن تحرم منها الانسانية .

***

على هذه الأسس المسلمة عند جميع العقلاء ترجم القرءان بلغته ، وبغير لغته ، وفسر في جميع الأجيال والعصور ، وظل الأصل القرءاني المعجز في نظمه ومعناه قائما محفوظا لا يعتريه تغيير ولا تبديل ، يؤدي وظيفتيه : الاعجاز ، والتبليغ ، لمن يستطيع أن يتذوقه ويتفهمه ، وتفاسيره قصرت أم طالت قائمة حوله تتغير وتتبدل ، وترتفع وتنخفض ، وتقل وتكثر ، ولا يتجاوز عملها في كل أطوارها وحالاتها عمل الخدم ، يقومون حول سيدهم باذلين جهدهم في خدمته ، ونشر آرائه وأوامره لمن لا يستطيع أن يقترب منه ، وهو عند الجميع المرجع عند الاختلاف ، والحكم عند الخصومة «فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول» .

ولقد ظل المسلمون منذ نهضتهم العلمية يفسرون القرءان قياما بواجب التبليغ والبيان بهذين النوعين من التفسير ، حتى وصلت التفاسير طويلة وقصيرة الى حد لا يمكن حصره ؛ والقرءان بين تلك التفاسير قائم باعجازه ومزاياه ، لا تنقضي عجائبه ، ولا تبلى جدته ، ولا تفرغ نهمة العلماء منه ، وما دار بخلد إنسان في يوم ما أن هذه التفاسير « هدم لما بنى الله ، أو تغيير لرسم ما فصل الله !! » .

الفصل الأول :

قد كان في هذه الأسس المسلمة ما يدفع أحد المختصمين للحق أن يصافح صاحبه ، ولكن

الخصومة فى موضوعنا لم تكن ناشئة عن حب الحق ، فوجب أن نعرض نصوص العلماء المتقدمين فى المسألة ، راجين أن يكون لها من السلطان ما يلطف من حدة الثائرين ، ولنبدأ برأى الحافظ المجتهد الامام الشاطبى المتوفى سنة ٧٩٠ هـ :

بين الشاطبى فى كتابه « الموافقات فى أصول الأحكام » أن للكلام العربى دلالتين :

إحداها — أصلية ، وهى الدلالة على المعانى الأولية ، وقال : هذه تشترك فى أدائها جميع الألسنة ، ولا تختص بأمة دون أخرى .

ثانيتهما — ثانوية ، وهى التى تفيد معانى وراء النسب الأصلية ، وقال : وتختص هذه بلسان العرب ومزاياه . ثم استأنف فصلا آخر قال فيه : « وإذا ثبت هـذا فلا يمكن من اعتبر هذا الوجه الأخير أن يترجم كلاما من الكلام العربى بكلام العجم على أى حال ، فضلا عن أن يترجم القرءان ، وينقله الى لسان غير عربى . وقد نفى ابن قتيبة إمكان الترجمـة فى القرءان ، ويعنى على هـذا الوجه الثانى . فأما على الوجه الأول (الدلالة الأصلية) فهو ممكن ، ومن جهته صح تفسير القـرءان ، وبيان معناه للعامة ، ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيـه ، وكان ذلك جائزا باتفاق أهل الاسلام ، فصار هذا الاتفاق حجة فى صحة الترجمة على المعنى الأصلى » .

فالامام الشاطبى يقـرر بصراحة وقوة فى كتابه الذى مر عليه وهـو فى أيدى المسلمين وعلمائهم ستة قرون كاملة — أن ترجمة القرءان باعتبار معانيه الأصلية جائزة ، وأن الأصل فى جوازها هـو إجماع المسلمين على ترجمته وبيان معناه للعامة ، ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه ، ويرى بذلك أن البيان والترجمة والتفسير كلها ألفاظ تتقارض معنى واحدا ، سواء أكان الأصل والبيان من لغة واحدة ، أم من لغات متعددة ، وسواء أكانا متساويين ، أم كان البيان والتفسير أطول من المبين والمفسر .

***

وجاء فى « فتح البارى » للامام ابن حجر فى « باب نزل القرءان بلسان قريش والعرب » : « ولا يرد على هذا كونه صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة عربا وعجما وغيرهم ، لأن اللسان الذى نزل عليه به الوحى عربى ، وهو يبلغه الى طوائف العرب ، وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم » .

وجاء فى الكتاب نفسه فى « باب هل يرشد المسلم أهل الكتاب ، ويعلمهم الكتاب » : « أما إرشادهم فظاهر ، وأما تعليمهم الكتاب (القرءان) فكأن البخارى استنبطه من كونه صلى الله عليه وسلم كتب إليهم بعض القـرءان بالعربية ، وكأنه عليه السلام سلطهم على تعلمه إذ لا يقرءونه حتى يترجم لهم ، ولا يترجم لهم حتى يعرف المترجم كيفية استخراجه » .

وجاء فى تفسير الكشاف للامام الزمخشرى المتوفى سنة ٥٢٨ هـ وهو يفسر قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » ما يأتى :

« فان قلت : لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم للعرب وحدهم ، وإنما بعث الى الناس أجمعين ، بل الى الثقلين ، وهم على ألسنة مختلفة ، فان لم تكن للعرب حجة على الله لفهمهم القرءان بلغتهم ، فلغيرهم من الأعاجم الحجة ، قلت : لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة ، أو واحد منها ، ولا حاجة لنزوله بجميع الألسنة ، لأن الترجمة تنوب عن ذلك ، وتكفى التطويل ، فبقى أن ينزل بلسان واحد ، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول ، لأنهم أقرب إليه ، فاذا فهموا عنه وتبينوه ، وتنوقل عنهم وانتشر ، قامت التراجم ببيانه وتفهيمه ، كما نرى الحال ، ونشاهدها فى كل أمة من أمم العجم » اهـ

وقد نقل عنه هذا المعنى بعبارة طلية جلية الامام أبو السعود فى تفسيره لهذه الآية ، والعلامة الآلوسى ، وقال الآلوسى : وهو من الحسن بمكان .

***

وجاء فى حواشى المنار ، وهو بصدد الكلام على نقل الحديث بالمعنى ، ما هو صريح فى أنه لا تمتنع ترجمة القرءان بالفارسية وغيرها ، وإنما الممتنع الترجمة على أن المترجم هو القرءان المجيد ، والكتاب الحكيم ، فانه يورث تضليلا ، فان المروى له يقع فى ذهنه أنه الكلام الالهى فحينئذ يقرؤه فى الصلاة فيضل . ثم قال : كذا فى الصبح الصادق » .

وقال الغزالى فى الموضوع نفسه : « ويدل على جوازه (نقل الحديث بالمعنى) للعالم ، الاجماع على جواز شرح الشرع للعجم بلسانهم ، فاذا جاز إبدال العربية بعجمية ترادفها فلأن يجوز عربية بعربية ترادفها وتساويها أولى ، وكذلك كان سفراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البلاد ، يبلغونهم أوامره بلغتهم . وهذا لأنا نعلم أنه لا تعبد فى اللفظ ، وإنما المقصود فهم المعنى ، وإيصاله الى الخلق ، وليس ذلك كالتشهد والتكبير ، وما تعبد فيه باللفظ » اهـ وهذه العبارة بعمومها تتناول القرءان والسنة لأنهما أساس الشرع .

هذه بعض نصوص الأصوليين والمفسرين والمحدثين فى المسألة ، وهى واضحة فى جواز نقل معانى القرءان بغير لغته . ونحن إذا نظرنا الى أن هذا النقل وسيلة لتبليغ الأحكام ، والارشاد لهدى القرءان ، لا نتردد لحظة واحدة فى أنه واجب لا جائز ، ومحتم لا مباح . وما أنزل الله القرءان لتظل معانيه محجوبة عن غير العرب من الناس ، وإنما أنزله عربيا بلسان الرسول ، وأمره أن يبينه لكافة من بعث اليهم ، قال الله تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » . ولا ريب أن بيان « ما نزل إليهم » يتناول ما كان بلغته وما كان بغير لغته . فالترجمة بهذه الآية وأمثالها ، وهى كثيرة فى القرءان ، واجبة وأصل

من أصول الدين ، ولكن التواء طرق البحث يدفع بالانسان الى هوة عميقة ومكان سحيق . وصدق الله العظيم حيث يقول : «ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت يداك ، وأن الله ليس بظلام للعبيد » .

نصوص الفقهاء فى المسألة :

جاء فى كتاب « مسلم الثبوت » وشرحه « اعلم أن القرءان عندنا وعند سائر الأئمة اسم لكل من النظم المعجز ، والمعنى المستفاد ، أما المعنى المستفاد فقط ، فليس بقرءان ، وقد صح رجوع أبى حنيفة عن القول بجواز الصلاة بالفارسية بغير عذر ، وفيه إشارة الى أنه يجوز القرءان بالفارسية للعذر ، وهو عدم العلم بالعربية ، وعدم انطلاق اللسان بها ، وهو الصحيح ، وعليه الصاحبان ، إقامة للمعنى مقام النظم لأجل العذر » .

وجاء فى شرح الكنز للزيلعى « وأما القراءة بالفارسية فى الصلاة ، فجائزة فى قول أبى حنيفة ، وقال أبو يوسف ومحمد : لا تجوز إذا كان يحسن العربية » .

وجاء فى الهداية وشراحها : « ويجوز باى لسان كان سوى الفارسية ، وهو الصحيح ، لأن الاعتماد على المعنى عند النقل ، والمعنى لا يختلف باختلاف اللغات ، وقال الكرخى : والصحيح النقل الى أى لغة » .

وهكذا تجد تلك النصوص فى كتب الحنفية من شرح « نور الايضاح » الى كتاب « المبسوط » وهى كلها صريحة فى أن الحنفية مجمعون على جواز القراءة فى الصلاة بالفارسية وغيرها من اللغات الأجنبية عند العجز عن العربية ، وعلى أن ذلك لم يكن باعتبار أن الترجمة قرءان ، وإنما هو باعتبار أن المعنى قائم مقام اللفظ لأجل العذر .

ومما ينبغى أن يعلم فى هذا المقام أن الحنفية صرحوا بان الصلاة بالتفسير غير جائزة بالاجماع ، ولو فى حالة العجز ، ومنه يتبين أن ما أجمعوا على صحة الصلاة به إنما هو النوع الأول من نوعى الترجمة الممكنة ، وهو المشهور فى لسان الباحثين اليوم باسم « الترجمة الحرفية » او « المساوية » وقد صرح بذلك العلامة شلبى فى حاشيته على الزيلعى حيث قال : إن الاختلاف بين الحنفية وغيرهم إنما هو فيما إذا أبدل لفظا عربيا بلفظ عجمى يماثله .

ومن هذا يعلم أن الحنفية يجيزون بالاجماع ترجمة القرءان رجمة مساوية ، ويجيزون الصلاة بتلك الترجمة ، وإذا كانوا يجيزون الصلاة بتلك الترجمة ، وقد اشترط فيها قراءة القرءان ، وهو اسم للنظم والمعنى عند الجميع ، فلايتصور أن يمنعوها فى التبليغ والارشاد ، ولم يشترط فيهما أن يكونا بلسان عربى ، ولا أن يكونا بلفظ القرءان ، فهم بلا ريب يجيزون الترجمة

المساوية ، فضلا عن غيرها ، كما يجيزون كتابة القرءان بغير العربيـة ، بشرط أن يكتب القرءان معها .

قال الشرنبلالى فى النفحة القدسية بعـد ان أورد عبارات العلمـاء المتقدمين فى ترجمـة القرءان وكتابته بغيرالعربية : «وحاصل ماتقدم حرمة كتابة القرءان بالفارسية ، إلا أن يكتب بالعربية ، ويكتب تفسير كل حرف وترجمته» . وهو بذلك يختار رأى صاحب الكافى ، وقد نقله عنه صاحب الفتح ، وأقره عليـه ، حيث قال : « وفى الكافى إن اعتاد القراءة بالفارسـية ، وأراد أن يكتب بهـا مصحفا يمنع ، فان فعل ذلك فى آية أو آيتين فلا ، فان كتب القـرءان وتفسير كل حرف وترجمته جاز » اهـ .

* * *

أما غير الحنفية ، فقـد خالفوهم فى جواز القراءة بالفارسـية فى الصلاة ، لا لأن الترجمة فى ذاتها غير جائزة ، بل لأنهم يرون أن المطـلوب فى الصلاة قراءة القرءان ، والذى يكون بالفارسية ليس قرءانا بالاجماع ، فلا يكون الآتى به محققا للأمر بقراءة القرءان فى الصلاة ، قال إمام الحرمين ، وهو يرد على الحنفية فى جواز القراءة فى الصلاة بالفارسية ، وقد نقله النووى فى مجموعه : « ترجمة القرءان ليست قرءانا باجماع المسلمين ، ومحاولة الدليل لها تكلف ، فليس أحد يخالف فى أن التكلم بمعنى القرءان بالهندية ليس قرءانا ، وليس ما لفظ به قرءانا ، ومن خالف فى هـذا كان مراغما جاحدا ، وتفسير شعر امرئ القيس ليس شعره ، فكيف تفسير القرءان يكون قرءانا ! ولا خلاف أن القرءان معجز ، وليست الترجمة معجزة ، والقرءان هو الذى تحدى به النبى صلى الله عليه وسلم العرب ، ووصفه الله بكونه عربيا . . . ثم قال : وإذا علم أن الترجمة ليست قرءانا ، وقد ثبت أنه لا تصح صلاة إلا بقرءان ، حصل أن الصلاة لا تصح إلا بالترجمة» .

هذا إمام الحرمين يمر فى فصله هذا على ترجمة القرءان كامر مسلم مفروغ من البحث فيه ، ويرد على الحنفية فيما هو موضع الخلاف بينه وبينهم بان المطلوب فى الصلاة هوقراءة القرءان ، والترجمة ليست قرءانا ، ولو كانت الترجمة محظورة لـكفاه ، وكان أبلغ فى الرد عليهم ، أن يقول لهم : إن مذهبكم باطل ، لأنه يقتضى جواز ترجمة القرءان ، وترجمة القرءان « هدم لما بنى الله ، وتغيير لرسم ما فصل الله » !

فامام الحرمين يجيز الترجمة من غير نكير ، وهو بذلك يتبع سبيل المؤمنين . وقد صرح صاحب المجموع قبل عبارة إمام الحرمين بأن الانذار بالقرءان يتحقق بتفسيره .

وجاء فى كتاب « المغنى » لشيخ الاسـلام موفق الدين الحنبلى بعـد أن رد على الحنفية فى موضع الخلاف السابق : أما الانذار فانه إذا فسر لهم كان الانذار بالمفسر دون التفسير .

وجاء فى كتاب الاقناع للحنابلة « وتحسن للحاجة ترجمته إذا احتاج لتفهيمه إياه بالترجمة ، وحصل الانذار بالقرءان دون تلك اللغة كترجمة الشهادة » اه

وجاء فى كتاب « تصحيح الفروع » للمقدسى فى باب صفة الصلاة « قال شيخنا : يحسن للحاجة ترجمته لمن يحتاج الى تفهيمه إياه بالترجمة ، قال : وذكر غيره هذا المعنى ، وحصل الانذار بالقرءان دون تلك اللغة » اه .

***

وكان من نتيجة الاطلاع على هذه النصوص الواضحة أن أفتى فضيلة المغفور له المفتى الأسبق شيخ الجميع بوجوب ترجمة القرءان ، وجاء فيما كتبه سنة ١٩٢٥ « أن ترجمة القرءان للتعلم والتعليم والتفهم والتفهيم ، والانذار والتبليغ ، قد أجازها الحنفية والحنابلة والشافعى فى قول بلا تفصيل ، واستحسنها الحنابلة ، وقد علمت ما يشهد للجواز من الكتاب والسنة . الى أن قال : ولا يجوز مصادرة مصحف كتب فيه القرءان بالعربية وترجمته معه إلا بعد التحقق من خلل الترجمة ، وتغييرها لمعنى القرءان . ثم قال : والذى أراه أن الترجمة على الوجه الذى بين فى كتب الحنفية أصبحت الآن واجبا على الكفاية حفظا للقرءان من تحريف معناه ، وترجمته على غير الصحيح ، وبغير المراد منه ؛ وبحفظ القرءان ، يحفظ أساس الدين المتين ... وقال فى سنة ١٩٣٢ بعد أن بين أن القرءان لا يمكن نقله بخصائصه ومزاياه : وأن الترجمة لا يمكن أن تكون قرءانا ، وحينئذ لا يمكن إفهام القرءان لغير العرب إلا بالترجمة التفسيرية مع المحافظة على اللفظ المعجز العربى إبقاء للمعجز الى أن تنتهى هذه الدار ، وحيث كان التبليغ فرض كفاية كانت الترجمة والتفسير مطلقا فرض كفاية ، لأن الترجمة معناها التفسير لغة ... وقال فى موضع آخر : ومما لا شك فيه أن تفسير القرءان بألفاظ عربية هى عبارة عن ترجمة لمعناه ، غاية الأمر أنها باللفظ العربى ، وهى بلا شك ليست بقرءان ، كذلك تبليغ القرءان لغير العرب إنما يكون ببيان معناه بلغتهم ، وهى ليست من القرءان فى شىء أيضا ، وبذلك كان التفسير فرضا ، لأنه من باب التبليغ ، قال فى الاتقان بعد ذكر نحو ما تقدم : قد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفاية ، وأجل الفروض الشرعية ، وقد علمت أن الترجمة بمعنى التفسير لغة . اه

ومثل هذا بعينه جاء أيضا فى رسالة المغفور له الشيخ محمد حسنين العدوى ، ومن هذا يتبين أن رأى الشيخ بخيت ، والشيخ حسنين ، ليسا كما زعم عليهما بعض الكاتبين من غير اطلاع ولارجوع إلى ما كتبا ، وإذا صح للباحث فيما يجتهد فيه بنفسه ألا يرجع الى قول غيره ، فانه لا يصح للناقل إذا كان أمينا صادقا أن ينسب الى غيره ما لم يقله ، وأن يتقول عليه زورا وبهتانا ، فهذان الشيخان الجليلان يقرران اتفاق المسلمين كافة على نقل معانى القرءان بغيرلغة

العرب ، ويصرح الأول منهما ، وينادى بأعلى صوته بأن ذلك العمل من الفروض الكفائية ، تبليغا للقرءان ، وحفظا له من عبث العابثين .

الفصل الثانى :

لقد كان فى هذه النصوص الواضحة فى هذه المسألة ، وهذا الاجماع الذى نقله غير واحد من العلماء ، ما يغنينا عن عرض تلك الشبه الواهيه التى يسمم بها بعض الناس جو الدعوة الى الله ، ويشدون بها أزر جماعة وقفوا أنفسهم لاطفاء نور الاسلام ، والحيلولة بين الناس وبين تعرف أحكام القرءان وهديه ، ولكن المسألة أخطر من الاكتفاء بهذه النصوص ، والواجب يحتم علينا أن نقفى على جميع مسالك هذه الفتنة العمياء التى يوقظها بعض الناس باسم الدين ، وباسم المحافظة على كيان الاسلام من أصله الى ذراه ، خصوصا أن هذه الشبه التى زورها أصحابها قد تناولوا فيها بعض آيات القرءان بالتحريف عن مواضعها ، إسرافا فى طمس الحق ، وإمعانا فى التلبيس ... قالوا :

أولا — القرءان معجز ، وليس فى قدرة البشر أن يأتى بمثله ، فمن حاول الترجمة نهو عاجز وابن عاجز. ونحن نقول : نعم هوكذلك ، وأكثر من ذلك ، غيرأن من يزعم أن الترجمة إتيان بمثل القرءان المعجز ، ويزعم أن من يريد الترجمة يحاول الاتيان بمثل القرءان يحل محله ، ويغنى غناءه ، لم يوجد الى الآن فى دائرة العقلاء ، وإنما نراه فى دائرة المسرفين الملبسين .

ثانيا — لو شاء الله نقله الى اللغات التى يراد ترجمته إليها لأنزله بتلك اللغات ، أو لأنزله على رسل من عنده ، كل رسول بلسان قومه ، ولكنه لم يفعل ، بل جعله كتابا عربيا مع عموم البعثة ، فدل ذلك على أنه سبحانه يريد تعريب العالم كله .

ونحن نقول :

أولا — إن هذا النوع من الحجاج يذكرنا بحجاج المشركين لرسول الله ، وهو يدعوهم الى التوحيد ، إذ قالوا : لو شاء الله ما أشركنا ، ولا آباؤنا ، ولا حرمنا من شيء .

ونقول :

ثانيا — إنه يفتح باب الاحتجاج لطوائف تنكر عموم بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتزعم أنه رسول العرب خاصة ، وما كان لعاقل أن يفهم ، أو يقول : إن الله يبعث الرسل وينزل الكتب لقصد توحيد العالم فى اللغات والألسن ، وقد جعل الله الاختلاف فى الألسن من آياته فى خلقه ، وإنما أنزله الله بلغة العرب لأنها كما قال الزمخشرى : لغة الرسول المبعوث ، ولغة قومه ، وهم يتولون الترجمة والبيان بعد التلقى والفهم ، وما علمنا لأحد من علماء المسلمين أنه يجب على من يريد الاسلام ، وتعرف أحكام القرءان أن يتعلم اللغة العربية ،

ولو ذهب إليه ذاهب لكان غير معقول ، وما كان لله فى عليائه ان يخلق الناس مختلفين فى الألسن واللغات ، ويجعل ذلك من آياته التى يلفت نظرخلقه إليها ، ثم يعود فيرسل خاتم الأنبياء بشريعة تقضى على هذا الاختلاف ، وتطلب توحيد العالم فى اللغات !!

إنى أكل تقدير هذه العقلية لأهل العقل والتقدير .

ثالثا — إن أصحاب اللغات اللاتى يراد ترجمة القرءان الى لغاتهم موجودون من قبل أن ينزل القرءان ، وباقون الى يومنا هذا ، فماذا جد منهم حتى أوجب ترجمة القرءان ؟

ونحن نقول : جد منهم أن أطلقوا لعقولهم ،بعد الأسر والتقييد فى عصورهم المظلمة ، عنان البحث فى الأديان ، وأخذوا يترجمون القرءان بلغاتهم حسب قدرتهم ، فوقعوا فى أخطاء يجب على المؤمنين تلاشيها ، والقضاء على وسائلها . جد فيهم أن الحياة المادية أرهقتهم ، فاخذ كثير من عقلائهم يتلمسون الهداية من منبعها الأول الذى لم تلوثه شهوة الرؤساء الدينيين ، فنحن نريد ، وهو واجب علينا ، أن نحفظ القرءان من تلاعب الأولين ، وأن نقدمه جليا نقيا للآخرين ، وأنتم تريدون غير هذا وذاك ، فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون !

رابعا — إن القرءان موجود من وقت الرسالة ، ويقرؤه ويفهمه العرب والمتعربون من أهل الكتاب ، كما نقرؤه نحن ونفهمه ، فهل آمنوا به ؟ لا ، فاذاً ما الداعى لترجمته لمن لم يقرأه منهم ، ولا يفهمه بلغته ؟ أليسوا كاخوانهم الذين يقرءونه ويفهمونه بلغته فى تمسكهم بدينهم ، وعدم الايمان به ؟ .

قياس جلى واضح !! يتقدم الى القاضى الشرعى ، زيد من الناس ، ويبسط دعواه ، ويتبين انه مبطل فى الدعوى ، فيرفضها القاضى ، فيأتى أخ له صاحب حق ، ويتقدم بدعواه الى فضيلة القاضى ، فيعلم القاضى أنه أخو المدعى بالأمس ، فيقول : هذا أخو ذاك ، وقد ثبت بالأمس أن ذاك مزور ، فليكن هذا مثله ، فيرفض دعواه ، ويخرج صاحب الحق عاضا بنان الأسف على القضاء وأهله ، أليس هذا هو مقتضى قياسهم ؟ !

خامسا — إن أسلافنا كانوا يفسرون القرءان قبل ظهور الوابور والسيارة والراديو والطيارة بغير ما نفسره نحن به على ضوء العلم الحديث ، والاكتشاف المخترع ، فهل ختم العلم أبوابه ، وأصبح لا يأتى الناس بجديد ، حتى يفسروه (رسميا) بما لا يضمن ألا يجد ما يقتضى تغيير التفسير ؟ !

ونحن نقول : ياهؤلاء إن محتويات القرءان لا تتجاوز اصول الايمان ومعانى الهداية العامة ، وقد جاءت فيه محدودة ، ولا مدخل للعلم الحديث فيها ؛ وأصول الأحكام ، ومنها النص الذى لا يحتمل ، والظاهر الذى كان محلا لاجتهاد الفقهاء ولا مدخل للعلم الحديث فيه أيضا ؛ والقصص ، وهو التحدث عن الماضين بما فيه العظة والاعتبار ، ولا مدخل للعلم الحديث فيه

أيضا ، وتنبيه العقول الى ما أودع فى الكون من مظاهر الاتقان والابداع ، وقد جاء القرءان فى هذا القسم بأساليب مختلفة ، وعبارات شتى ، وكلها لا تتجاوز ما يقع عليه الحس ، وتدركه العقول العامة بمجرد التامل والنظر ، ولم يكن من وظائف القرءان تحديد طبائع الأشياء ولا الكشف عن الحقائق العلمية الدقيقة التى يشتغل بالبحث عنها فلاسفة البشر وأخصاؤهم ، وكل ما ورد فى القرءان مما قد يمس شيئا من تلك الدقائق ، فهو من قبيل العبارات العامة الصالحة للانطباق على كل ما يكشفه العلم الحديث . وقد كتب الشاطبي فصلا فيمن يحاولون توجيه القرءان الى غير طريق الهداية ، ويربطونه بالحقائق العلمية الطبيعية .

على أنه إذا كنا نحن نفسر القرءان على ضوء العلم الحديث بغير ما كان يفسره أسلافنا قبل ظهور الوابور والراديو ، فما الذى يمنع خلفنا أن يفسره فى عصره بغير ما نحن نفسر به الآن ؟ وهل تقضى « رسمية الترجمة » بألا نعدل نحن أو من ياتى بعدنا عند تبين الخطأ عن التفسير الخاطئ الى الصواب ؟ ليس معنى « رسمية الترجمة » يا هذا أنها كالورقة الرسمية ! لا يدخلها تغيير ولا تبديل ، وإنما معناها أن الحكومة هى التى تتولى الترجمة ، وتشرف عليها ، وليس من مقتضياتها أنها تسجيل فى الارض يتبعه التسجيل فى السماء ، ولكن الشهوة تدفع بصاحبها الى ما لا يحمد له ، ولا يحب أن ينسب اليه !

سادسا — إن ترجمة القرءان تسليم بآخر حصن من حصون العزة الاسلامية ، وإقرار بالتخلى عن مكانة هذا الدين السماوى ، وعن عز أبنائه الى أصحاب اللغات الاجنبية !!

ونستحلفهم : أهم جادون فى هذا ؟ أهم يعقلون له معنى ؟ أهم يعرفون له مغزى يصح أن يوجه اليه نظر من يريدون الترجمة ؟ انا لا أشك فى أنهم بهذا القول ملبسون ، وأنهم يسترون الحق بثوب مهلهل ، وهم يعلمون ، ومع هذا أليس من العزة أن ينشر المسلمون تعاليم دينهم السامية ، ومعانى كتابهم التى تاخذ بالألباب ؟ وهل يصح فى عقل أن يكون هذا من التخلى عن مكانة هذا الدين السماوى ؟ اللهم إن هى إلا فتنتك . والحق أن هذه الشبهة ونحوها من نوع الشبه التى اعتاد خصوم الدين أن يصدوا بامثالها عن سبيل الله باسم الدين ، وباسم المحافظة على عزة المسلمين .

سابعا — إن ترجمة القرءان ليست أول محاولة معسولة يتمنى بها البشر عليه ، فقد سبق أن قيل لنبيه عليه السلام : « ائت بقرءان غير هذا أو بدله » « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرءان جملة واحدة » الى آخر الأمثال فى هذا مما كان الظن معه إيمان المتمنين لو أجيبوا .

ونحن نقول : إن كنتم جادين فيما تقولون ، وهانت عليكم عقليتكم أن تنزلوها الى هذا الحد ، وتطاوعوا نزغة الشيطان فيكم ، فاسمعوا هذه الآيات ومعناها حتى يتبين لكم أن أمنية الذين لم يؤمنوا فى عهد الرسول غير أمنية الذين يريدون الترجمة ! :

إن القوم كانوا يطعنون على نبوة محمد ، ويتلمسون وسائل إفحامه ، وكان من ذلك أن قالوا له : ائت بقرءان غير هذا ، لا يشتمل على ذم الهتنا والطعن فى طرائقنا ، أو بدل آيات الطعن بآيات ثناء ، وآيات الانذار بآيات تبشير ، فأجابهم الله بقوله : « قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا ما يوحى الى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم » . وأين هذا من بيان ما نزل الله ، ونشره على العالمين ، والمحافظة عليه من التغيير والتبديل ؟ وكيف تقاس فكرة الترجمة بفكرة تغيير القرءان وتبديله ؟

إنى فى الحق لمشفق على هذه العقلية التى ذابت ، وانحلت أعصابها فى سبيل الشهوة والهوى ، وإن ظلم هؤلاء الذين كانوا يلتمسون من الرسول تغيير القرءان ، أو تبديله بما يريدون — لأنفسهم والحق ، لأخف وطأة من ظلم هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب ، ويحرفون كلمه عن مواضعها — وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم — ويقولون : إن القرءان فيه ذكر الرد على السببين اللذين يذكرهما مريدو الترجمة ، وكان الأجدر بهؤلاء أن يجعلوا أقلامهم إثر عقولهم حتى لا يتورطوا فيما وقعوا فيه ، وهم من أهل العلم والمكانة ، وكان جديرا بهم أن يتنبهوا الى أن (أخلاق العلماء) تأبى عليهم تلك المواقف !

لم يبق بعد ما نسجوا من شبه مهلهلة سوى كلمات ظاهرة التلبيس ، وتحمل كثيرا من الاسراف فى الاتهام ، والادعاء العريض بالغيرة على الاسلام ، والتخوف على كتابه ، مما كان جديرا به أن يصدر من غيرهم .

***

والى هنا نعتقد أن المسألة قد انكشف عنها غطاء التمويه ، ووضح الصبح فيها لذى عينين ، و « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد » .

محمود شلتوت

المدرس بكلية الشريعة

الاصابة بالظن

قيل لعمرو بن العاص : ما العقل ؟ قال : الاصابة بالظن ، ومعرفة ما يكون بما قد كان .

وقال الشاعر :

وقلما يفجأ المكروه صاحبه حتى يرى لوجوه الشر أسبابا

وإنما ركب الله العقل فى الانسان دون سائر الحيوان ليستدل بالظاهر على الباطن ، ويفهم الكثير بالقليل .

باب الأسئلة والفتاوى

فى الميراث

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما خلاصته :

توفى رجل عن جد وأخت شقيقة ، وأخت لأب ، وإخوة لأم ، فما نصيب كل منهم على مذهب الإمام الشافعى إذا كانت التركة ستمائة جنيه ؟ محمد مطر

الجواب :

إذا كان الجد هو أبا الأب ، كانت التركة بينه وبين الأخت الشقيقة ، لكل منهما النصف ، ولا شىء للأخت لأب فى هذه المسألة ، ولا للأخوة لأم ، وهذا عند الإمام الشافعى ، والإمام أبى يوسف ، والإمام محمد من أصحاب أبى حنيفة .

أما الإمام أبو حنيفة ، فيرى أن التركة كلها للجد ، ولا شىء للأختين ، ولا للأخوة من الأم ، والله أعلم ؟

* * *

توفى رجل عن ولد ذكر وزوجة هى أم الولد ، ثم توفى الولد عن أمه المذكورة ، وزوجته وابنته ، وأولاد أولاد عمه ذكورا وإناثا ، ثم توفيت ابنة الولد عن أمها وجدتها ، وأولاد أولاد عم الأب .

فما مقدار مايرث كل من المذكورين مما ترك الولد وابنته ؟ وهل لأولاد العم ميراث فى تركة الولد ، وتركة ابنته ؟

وأصل التركة التى تركها الولد : فدان ، وثمانية عشر قيراطا وعشرة أسهم ؟

مسعد فضل الله

الجواب :

تركة الولد المذكور لأمه وزوجته وبنته ، والذكور من أولاد أولاد عمه الشقيق أو لأب ، دون الإناث ، لأنهن من ذوات الأرحام .

فللأم السدس ، وللزوجة الثمن ، وللبنت النصف ، والباقى للذكور من أولاد أولاد العم .

وتركة البنت لأمها والذكور من أولاد أولاد عم الأب .

فللأم الثلث ، وللذكور من أولاد أولاد عم الأب الباقى ، يقسم بينهم بالسوية ، ولا شىء للجدة لأنها محجوبة بالأم . والله أعلم ؟

* * *

امرأة توفيت عن ثلاثة إخوة ذكور من أبيها ، وثلاث أخوات إناث ، هن شقيقات للإخوة الذكور ، وعن أخت من أبيها ، أمها غير أم هؤلاء الستة ، وليس للمتوفاة وارث غير المذكورين ، فما استحقاق كل ؟ احمد عثمان بدير

الجواب :

المفهوم من السؤال أن أخوات المتوفاة الأربع كلهن من أبيها ، كإخوتها الذكور ، وإذاً تكون التركة للجميع بطريق العصوبة ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، والله أعلم .

الزكاة والخراج

أتخرج الزكاة عن الزروع فى أرض مصر على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، أم لا يخرج عنها شىء ا كتفاء بالأموال الأميرية التى تدفع للحكومة ؟

وهل هـذه الأموال هى المقصودة فى القـول بأنه « لا زكاة مع خراج » ؟ وإذا كانت كذلك ، فهل تخرج عن الأطيان المستأجرة مع أنه ربما استغرق الإيجار كل الزرع ؟ عبد الفتاح دومه

الجواب :

إن ما يدفع من الأموال الأميرية عن أرض مصر خراج ، ومن المقرر عند الحنفية أنه لا يجتمع على الأرض عشر وخراج .

وعلى هذا لا تجب فيها زكاة الزروع ، لا على المالك ولا على المستأجر عندهم .

أما المالكية والشافعية والحنابلة ، فيرون أن زكاة الزروع تجب مع الخراج فى الأرض الخراجية ، وأن الخراج يجب على مالك الأرض ، والزكاة تجب على زارعها المسلم ، مستأجرا كان أم مالكا ، ولا تمنع الأجرة وجوب الزكاة ، ولو استغرقت كل الناتج من الأرض ، والله أعلم .

الدية

رجل توجه الى بلدة ليصلى بها الجمعة ، ومعه ولده البالغ من العمر ثلاث سنوات ، وأعطاه لشخص يعرفه ، وقال له : احفظ ولدى هذا عندك حتى أصلى الجمعة ، وبعد أن صلى طلب منه ولده ، فقال له : إن الولد موجود وأت معى لتأخذه ، فتبين بعد ذلك أن الرجل أودعه فى بيت خلاف بيته ، فسأل صاحبة البيت عن الولد ، فقالت : إنه كان يلعب مع الأولاد فى البيت ، ولم نعلم عنه شيئا ، وبعد البحث وجد الولد غريقا فى ترعة .

فهل تجب الدية على الرجل الذى أخذ الولد من أبيه ليحفظه فى بيته ، وحفظه فى بيت غيره ، أو لا تجب ؟

محمد مالك السنوسى

الجواب :

إن الرجل الذى سُلّم اليه الولد ليحفظه عنده ، فوضعه فى منزل غيره ، لم يتسبّب فى غرقه ، ووضعُه إياه فى ذلك المنزل الذى خرج منه فغرق ، لا يجعله متسبّبا شرعا فى ذلك الغرق . وعلى هذا لا تجب دية فى هذه الحادثة ، والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

كلمة مع مقدسى النواميس الطبيعية

وبيان عظمة العلم وضعف الانسان

تكلم معى بعض الناس فى النواميس الطبيعية ، وقال : إنه يستحيل خرقها وأن يوجد شىء على خلافها . يريد بذلك أن ما ينسب الى الأنبياء من المعجزات وللقديسين من الكرامات لا يمكنه التسليم به لأنه غير صحيح ولا ممكن . فرأيت أن أجعل مقال اليوم مع أولئك الماديين الذين وقفوا عند الظواهر ولم يصلوا الى رتبة التحقيق فى الأشياء حتى فى علم الطبيعة نفسه الذى يدعون أنهم علماؤه وبيدهم لواؤه ، مع أن أساطين علم الطبيعة بأوربا لا يقدسون النواميس الطبيعية هذا التقديس . وستسمع شيئا من كلامهم بعد ، فكأننا عائشون فى القرن السابع عشر لا القرن العشرين . وهكذا الحركات كلها عندنا فى الشرق ، تأخذ شكلا غريبا تستوحيه من الطيش والجهل . فهى معكوسة عكسا سار بنا الى الاضمحلال الذى إذا لم نستأصله فسيجعلنا فى أخريات الأمم أو على حافة العدم ، فنقول وبالله التوفيق :

إن فريق الماديين الذين جمدوا على القشور وظنوا أنهم عرفوا كل شىء ووصلوا الى كل شىء ، قد أنكروا المعجزات الحسية للأنبياء ، والكرامات المتواترة للأولياء ، لأنها تناقض النواميس الطبيعية المقدسة التى لا يجوز خرقها ، وهى أزلية أبدية على ما يزعمون .

دعاوى خيالية لم يعضدها الحس ولا قام عليها البرهان ، ولكنها نزعات نفوس حمقاء ، وأوهام رءوس طائشة ، لم تستمد من الوجود ، ولا استندت الى البرهان ، وإنما استمدت من عقول أربابها المنحرفة ، واستندت الى ما فى نفوسهم الطفلية من خيالات وجهالات !

وإنا نقول لهم : أولاً هل أحطتم بكل النواميس ؟ أليس من الجائز بل الواقع أن يكون هناك ناموس أو نواميس لم تحلموا بها ؟ ألم يكن من قبلكم من علماء القرن السابع عشر والثامن عشر يتبجحون تبجحكم ويدعون دعاويكم ؟ بل نقول : ألم يكن الأقدمون يزعمون أن العناصر أربعة ، وأن الأجسام مركبة من الجواهر الفردة ، وكانوا يحلون بذلك كل شيء فى الوجود ، وما كان يدور بخلدهم أن العناصر تصل الى السبعين أو الثمانين (ومن يدرى ما يجىء به المستقبل فلعلها تصل الى المئات أو الألوف) . وما كانوا يظنون أن نظرية الجوهر الفرد ستصبح فى حيز الهزء والسخرية ، وأن ستحل محلها نظرية الألكترونات الجديدة ؟ وعلى كل حال من ذا يستطيع أن يدعى أنه أحاط علما بكل نواميس الكون وما فيه ، ولو كان كذلك لوقف الاكتشاف والبحث ، ولم يتقدم العلم الذى يبدى لنا كل يوم جديدا ، ويبرهن على أنه لا آخر له ؟ ومن ذا الذى يدريهم أن قدرة الفاعل المختار تقف عند ذلك الحد ولا تتعداه مع أنهم يعتقدون أن فى الطبيعة قوى لا تحد ولا تعد ؟

فعلى أى شيء يعتمدون فى إنكار معجزات الأنبياء ؟ وهب أنهم عرفوا شيئا مما شاهدوه فى تلك الأرض التى هى من أصغر العوالم : ألم يبق مما لم يعرفوه الشيء الكثير الذى لا نهاية له ؟ فإن العوالم لا يدرون لها نهاية (باعترافهم) . وقد ذكروا فى سير النور وسرعته ، وأنه مع تلك السرعة المدهشة لا يصل الينا من بعض الكواكب إلا بعد مئات السنين أو ألوف السنين ، ما يوجب الدهش الكلى والقبوع التام فى إحدى زوايا تلك الأرض الصغيرة التى هى أقل من جحور الحشرات والديدان بالنسبة لهذا العالم الذى لا يعلمه غير خالقه . ولماذا لا يقولون مايقول (اسحق نيوتن) الانكليزى مكتشف الجاذبية وأحد أساطين العالم فى الفلك : « لسنا إلا كأطفال فى جزيرة على شاطئ بحر العلم نلتقط ما يقذفه البحر من القواقع على حين أن الجواهر النفيسة فى قعر ذلك البحر » . ولكن الأمر على ما يقول الفيلسوف شوبنهور : « كما

انحط الانسان فى القوة العقلية . قلت مساتير الوجود فى نظره ، فكل شىء عنده يحمل معه تفسيرا لكيفية وجوده وسبب حدوثه » .

وقد قال المسيو لوسيان بوانكاريه : « إنه لا توجد لدينا نظريات كبرى الآن يمكن قبولها قبولا تاما ويجمع عليها المجربون إجماعا عاما ، بل يسود اليوم على عالم العلوم الطبيعية نوع من الفوضى » . وقال الفيلسوف الشهير جوستاف لبون : « الوجود مفعم بمجهولات لا نراها ، والحجاب الذى يحجبه عنا منسوج غالبا من الآراء الضالة أو الناقصة التى توجبها علينا تقاليد العلم الرسمى » .

وقال الفيلسوف ادوار لوروا : «العلم لم يتألف إلا من تواضع العلماء على أصوله ، وهو لكونه على هذه الحالة يظهر لنا بمظهر الثبوت . فالحوادث الطبيعية بل النواميس ليست إلا من مخترعات العلماء أنفسهم . فالعلم لا يستطيع وحالته هذه أن يكشف لنا عن وجه الحقيقة المطلقة ، وكل ما ينتظر منه أن يخدمنا كقاعدة للعمل»

وقال الفيلسوف الكبير وليم كروكس فى خطبة له : « إن عدم اعتمادى على رأس مالى العلمى قد بلغ حدا بعيدا جدا ، فقد تقبض هذا النسيج العنكبوتى للعلم كما عبر عنه بعض المؤلفين حتى لم يبق منه إلا كرية حقيرة تكاد لا تدرك »

وقال الفيلسوف الطائر الصيت هنرى بوانكاريه العضو بالمجمع العلمى الفرنسى فى كتابه (قيمة العلم) : « إذا نظرنا فى ناموس خاص أيا كان فإنا نستطيع أن نتأكد من أنه لا يمكن أن يكون إلا تقريبيا » . وقال أيضا : « كثيرا ما يقال من ذا الذى يدرى ما إذا كانت النواميس لا تتطور ، وأنها لم تكن فى العهدالفحمى على ماهى عليه اليوم»؟ ولهذا كله قال بعضهم : « إن الفرق بيننا وبين آبائنا أنهم كانوا يعتقدون أنهم علماء أما نحن فنعتقد أننا جهلاء » الى آخر ما اعترف به المنصفون من أكابر علماء الطبيعة المخلصين الذين ليسوا فيه زعانف ولا مقلدين ؟

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

الحياة الادبية عند العرب [١]

تختلف الحياة الأدبية عن الحياة الاجتماعية اختلافا كبيرا ، لأن الحياة الاجتماعية وليدة البيئة الحاضرة ، أو هى صورة البيئة التى تحيا فيها الأمة وتعيش بأسبابها ، والنظم التى تسير فى حاضرها على مقتضاها ، وليس لماضى الأمة أثر كبير فى حياتها الاجتماعية ، ولا سيما إذا تنقلت فى مراحل تاريخية بعيدة الشبه ببعضها كالذى كان عليه الحجازيون من العرب ، فإن قرب الشبه بين الحياتين ، واتصلت أسباب الحاضر بالماضى ، كان هذا الماضى منبعا يمد الحاضر مع ما يتجدد له من وسائل حيوية كما حصل للمناذرة والغساسنة ، فإن اتصالهما بالفرس والرومان ، وأخذهما بأسباب الحضارة مكّنهما من الاحتفاظ بتراث آبائهم الأولين من سمات الملك والحضارة ، وقعدت طبيعة الحجاز بأهله عن مجاراة إخوانهم فى الحياة الاجتماعية ، وصرفتهم الى مقتضيات حياتهم الجديدة ، فكانوا بدوا معاندين أميين ، ألفوا الظعن والارتحال ، جفاة لا ينقادون الى الحق من قريب ، وهذه الفوضى الاجتماعية هى التى نعاها عليهم القرآن الكريم ، وعابهم بها فى بعض آياته .

أما الحياة الأدبية فهى صورة الماضى الذى مرت به الأمة فى جميع مراحلها التاريخية ، وإن كانت هذه الصورة تتجلى فى مرآة الحاضر ، فإن الأدب أثر العاطفة الكاملة ، وثمرة العقل الناضج ، وا كتمال العاطفة ونضج العقل يحتاجان الى زمن طويل ، ومؤثرات متكررة ، وتلك المؤثرات قد تكون مستمدة من الحياة الاجتماعية والعقلية فى صورها الكاملة ، وفى هذا ما يشرح وجود حياة أدبية زاخرة فياضة الى جانب الفوضى الاجتماعية وحياة البداوة عند العرب قبيل مجىء الاسلام . وإلا

(١) بقية البحث المنشور فى العدد العاشر من المجلد السادس .

فكيف نفهم صدور هـذا الأدب عن العرب لو لم نربط حاضرهم بماضيهم ، ونعـلم أن العقـل العربى ، والعاطفة العربية قد استوفيا حضانتهما وبلغا رشدهما فى ذلك المـاضى البعيد ، ذلك الأدب من الشعر والنـثر الذى قامت عليه الثقافة الاسـلامية والنهضة الفكرية فى القرن الأول الى جانب القرآن الحكيم ، والذى صاحب العلوم الحكمية والمعارف الأجنبية وتبوأ بينها مكانا عليا ، والذى لا يزال على كثرة البحث والنقد والتحليل دعامة من أقوى دعائم المعارف الاسلامية صامدا أمام الأعاصير العاصفة ، والذى خلد لغة العرب ومجدهم ، والذى لا يزال فى أسلوبه ومتانة عباراته ونصاعة ديباجته مثلا أعلى للبلاغة البشرية .

فى نواحى الأرض أمم كثيرة هى أربى عددا من العـرب ، وأطول بقـاء منهم ، عمروا أحقابا وعاشوا دهرا دهيرا ، ولم ينقل عنهم حرف واحد يدخل فى ساحة الأدب الرفيع ، وهم لايزالون على حالهم تلك من الجهالة والبلادة الفكرية والوحشية الاجتماعية ، فكيف يمكن فهم هـذا الوضع فهما علميا ؟ ألأنهم ليسوا أناسى مثل العرب وغيرهم من الأمم التى تركت فى سفر التاريخ آثارا أدبية خالدة ؟ ! كلا ، إنما كان ذلك كذلك لأن أولئك النـاس أشبه حاضرُهم ماضيهم فى حيـاة جاهلة جرت على وتيرة واحـدة من البعد حتى عن أوليات المعارف الفكرية منذ خلقهم الله ، فهم لم يكن لديهم أثارة من عـلم تجلو عقولهم ، وتصقل عواطفهم ، وتعدهم لإنتاج أدبى ، وحياة راقية ، فإذا وجدنا لأمة من الأمم تراثا من الأدب الحى الذى يستطيع أن يغذى الفـكر البشرى فى طور ارتقائه كان باطـلا من الرأى ولغوا من القول أن يقال عن تلك الأمة إنها عاشت مدى تاريخها كله عيشة أولية جاهلة لا تهيئها لحياة أدبية ونهضة فكرية .

بين أيدينا ثروة عظيمة من الأدب يعزوها ثقات الرواة الى العرب قبل الاسلام ، والذى ذهب عنا ولم يصل الى أيدينا ، وعبثت به تيارات الحياة أضعاف ما وصلنا .

قال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين : « وإن شيئا الذى فى أيدينا جزء منه لمقدار

الذى لا يعلمه إلا من أحاط بقطر السحاب وعدد التراب ، وهو الله الذى يحيط بما كان والعالم بما سيكون » . وروى محمد بن سلام فى طبقات الشعراء « قال عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح ، واطمأن العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر فلم يئلوا الى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، فألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عنهم أكثره » . وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر وكثير » .

ويحدثنا ابن قتيبة عن الأصمعى قال : جاء فتيان الى أبى ضمضم بعد العشاء ، فقال : ما جاء بكم ياخبثاء ؟ ! قالوا جئناك نتحدث ، قال : كذبتم ، بل قلتم كبر الشيخ وتبلغته السن عسى أن نأخذ عليه سقطة ، فأنشدهم لمائة شاعر كلهم اسمهم عمرو ، فقال الأصمعى : فعدت أنا وخلف الأحمر فلم نقدر على أكثر من ثلاثين . قال ابن قتيبة : هذا ما حفظه أبو ضمضم ، ولم يكن بأروى الناس .

وقال عبد الصمد بن الفضل الرقاشى : ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره . ويروى لنا الإمام عبد القاهر الجرجانى عن الجاحظ : أن قيس بن خارجة أتاه الحاملان فى شأن حمالة داحس والغبراء فضرب بصفيحة سيفه مؤخرة راحلتيهما وقال : مالى فيها أيها المشمتان ؟ قالا : بل ما عندك ، قال عندى قرى كل نازل ، ورضا كل ساخط ، وخطبة من لدن تطلع الشمس الى أن تغرب ، آمر فيها بالتواصل ، وأنهى عن التقاطع . قالوا فخطب يوما الى الليل ، فما أعاد كلمة ولا معنى . وهذه الخطبة ونحوها من كلام مصاقع خطباء العرب ضاعت فيما ضاع من أدبهم .

يحدثنا ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء : كان ثلاثة إخوة من بنى سعد لم يأتوا

الأمصار ذهب رجزهم ، يقال لهم نذير ، ومُنْذِر ، ومُنْذَر ، ويقال إن قصيدة رؤبة التى أولها : وقاتم الأعماق ، لنذير ، ويقول ابن سلام : ومما يدل على ذهاب العلم وسقوطه قلة مابقى بأيدى الرواة المصححين لطرفة وعبيد ، والذى صح لهما قصائد بقدر عشر ، وإن لم يكن لهما غيرهن فليس موضعهما حيث وضعا من الشهرة والتقدمة .

هذه حقائق وأسانيد تبعث فى نفس الباحث المنصف الطمأنينة الى الإيمان بأنه كان للعرب حياة قبل الاسلام حياة أدبية تعتمد فى منزعها على العقل والعاطفة جميعا ، وتبدو فى مظهر عليه سيماء الطبيعة التى تكتنف ذلك العقل وتلك العاطفة فى حاضرها ، أما هـذا الغموض الذى يسـود تفاصيل تلك الحياة الأدبية فما هو إلا أثر من آثار الغموض الشامل للتاريخ القـديم كله عند جميع الأمم التى عاصرت العرب فى عصورها الجاهلية .

واذا حاول الباحث أن يتعرف هـذه الطبيعة التى جلت الحياة الأدبية فى مرآتها عن طريق ما بين أيدينـا من نصوص أدبية ، رأى مظاهر البـداوة بأخيلتها وآثارها ومعانيها وأغراضها ماثلة فى صفحة ذلك الأدب ، فهو أدب بدوى فى ديباجته ومعانيه وروحه ، لا يمثل الحياة العربية كاملة ، حضارتها وبداوتها كما حدثنا عنها التاريخ .

ومن حق البحث أن نتساءل عن شأن الحضارة العربية التى حدثنا عنها ابن خلدون وكشف عن وجهها النقاب البحث الأثرى الحديث ، تلك الحضارة هل كان لها أدب يمثلها ؟ وإذا كان فأين هو ذلك الأدب ؟ والتاريخ لا يتظنن فى أن آثارا من بقايا تلك الحضارة ظلت قائمة فى مواطنها من العراق والشام واليمن ، حتى جاء الاسلام .

أما أنه كان للحضارة العـربية أدب يصورها فهذا ما نرجحه ترجيحا قويا ، لأن الأدب صورة الحياة ومرآتها ، وقد كانت الحياة هناك زاخرة فياضة ، وبعيد عن طبيعة الوجود أن تذهب تلك الحيـاة دون تصـوير فى قالب أدبى من الشعر أو النثر تجيش به النفوس الحساسة إجابة لداعى الطبيعة نفسها ، وهى أنطق ما تـكون فى هذا الجانب

المتحرك الحساس من الحياة ، وهى أحرى أن يكون لها أدب أروع وأخصب وأمتع من حياة البداوة التى يعتزى اليها الأدب الجاهلى المعروف .

وأما أين هو ذلك الأدب ؟ فهذا ما اختلفت فيه أنظار الباحثين . فقد عرض بعض المعاصرين لهذا النحو من البحث ورأى أن الذى أضاع تلك الآداب وذهب بها إنما هو اختلاف لغات العرب فى الشمال والجنوب والشرق والغرب اختلافا جوهريا جعل الصلة بينها كالصلة بين اللغة العربية المبينة التى نزل بها القرآن الكريم وبين أية لغة أخرى من اللغات السامية ، وقد كان لأهل الحضارة من العرب فى اليمن ، والحيرة وغسان أدب بلغة خاصة بهم تخالف لغة هذا الأدب المروى المحفوظ فى أساس وضعها وفى نحوها ، وتصريفها وحركات إعرابها ، ومن ثمة عرض الشك فى صحة هذا الأدب المأثور معزوا الى العرب قبل الاسلام، لأنه « بعيد كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية فى العصر الذى تزعم الرواة أنه قيل فيه » .

ونظرية تعدد لغات العرب لا تقوى بأى حال من الأحوال على حل مشكلة فقدان الأدب العربى فى بيئات الحضارة ، فلا بد من تعليل آخر يتمشى مع المنطق وطبيعة الحياة حتى يستقر البحث وتظهر الحقيقة . وسنفرد مقالا لبحث تعدد اللغات وتوحدها ، ثم نقفى بذكر الأسباب التى نراها من عوامل فقدان ذلك الأدب .

صادق ابراهيم عرجون

فضيلة الحلم

قال معاوية بن أبى سفيان : أفضل ما أعطى الرجل العقل والحلم ، فاذا ذكر ذكر ، وإذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر ، وإذا غضب كظم ، وإذا قدر عفا ، وإذا أساء استعفى ، وإذا وعد أنجز .

وقيل لبعض الصالحين : إن فلانا يقع فيك . فقال : لأغيظن من أمره ، يغفر الله لى وله . فقال محدثه : ومن الذى أمره ؟ فقال : أمره الشيطان !

أسرار التشريع الاسلامى وفلسفته

نظام الوقف فى الاسلام عود الى بدء

مضينا بالقارئ فى شطر غير قليل من الكلام على تعريف الوقف ولزومه عند بعض الأئمة وعدم لزومه عند آخرين ، وعن عروض الأحكام الشرعية الخمس له ، ثم عن تفاريع كل حكم من هذه الأحكام ومستلزماته فى عدد سابق . والآن نتحدث فى تبسط عن شروط الوقف التى لا ينعقد بدونها . فالشروط التى تتوقف عليها صحة الوقف أربعة أنواع ، لأنه فى وجوده يفتقر الى أربعة أمور : واقف ، وموقوف ، وموقوف عليه ، وصيغة يتأدى بها المعنى المراد . فالشروط التى يجب تحققها فى الواقف كثيرة ، منها أن يكون أهلا للتبرع بأن يكون حرا ، عاقلا ، بالغا ، غير محجور عليه لسفه أو غفلة .

فباشتراط تحقق الحرية يعلم أن وقف الرقيق غير صحيح إلا إذا أذنه مولاه فى هذا التصرف ، وكان غير مستغرق بالدين ، فيصح منه فى هذه الحالة وقف ما زاد عن الدين . فاذا كان مستغرقا لا يصح وقفه ، على ما ذهب اليه صاحب البدائع .

وباشتراط العقل يعلم أن المجنون لا يقع الوقف منه صحيحا ، لأن الوقف تصرف من التصرفات ، وهى إنما تعتمد التمييز ولا تمييز عند المجنون ، فلو كان الجنون متقطعا ثم وقف فى حالة إفاقته وقع تصرف الوقف منه صحيحا لتوفر شرط تحقق العقل حين الوقف . ويقاس المعتوه على المجنون جنونا مطبقا فى عدم وقوع الوقف صحيحا . والفرق بين العته والجنون أن الجنون خلل فى العقل تجرى معه الأقوال والأفعال على خلاف مقتضى العقل ، والعته نقص فى العقل يختلط معه الكلام فبعضه يشبه كلام العقلاء وبعضه يشبه كلام المجانين ، وكذلك باقى أموره وأفعاله . وقد اعترض بعض العلماء على النظرية القائلة بوقوع تصرف الوقف من صاحب الجنون المتقطع صحيحا اعتراضا قويا لأنه

غير مأمون العاقبة فيما يصدر عنه من أفعال ، فينبغى أن يعتبر الوقف منه تصرفا غير صحيح . من أجل ذلك حكى صاحب المحيط أن تصرف ذى الجنون المتقطع فى الوقف لا يقع صحيحا ، وعلل ذلك بأن حالة الإفاقة لذى الجنون المتقطع تشبه فى أكثر أحوالها المعتوه ، والمعتوه محكوم بعدم صحة تصرفه ، وذو الجنون المتقطع قد يُرى فى فترة الإفاقة عاقلا بالقياس الى بعض مظاهره الدالة عليه ، وقد تكون هذه المظاهر خدّاعة فيكون هو فى واقع أمره مجنونا ، فالأحوط فقها وديانة ألا يؤخذ بتصرف من تصرفاته .

وباشتراط البلوغ يعلم أن وقف الصبي لايقع صحيحا إطلاقا ، سواء كان مميزا أم غير مميز ، وسواء أذن له وليه بهذا التصرف أم لا ، لأنه فى جميع صور ما يصدر منه ليس أهلا للتبرع كما أسلفنا فى صدر البحث ، والوقف من التبرعات الصادرة عمن كمل رشده ، وولى الصبي لا يملك التبرع بشيء من ماله فلا يملك الإذن به . وروى صاحب الفتاوى الهندية نقلا عن الامام الزركشى فى المحيط — حالة صبي محجور عليه وقف عيناله ، قال الفقيه أبو بكر : وقفه باطل إلا بإذن من القاضى ، وقال الفقيه أبو القاسم هو كذلك وإن أذن له القاضى ، لأنه تبرع وهو لا يملك الإذن به ، وليس أهلا لهذا التبرع . وجمهور فقهاء مذهب أبى حنيفة على أن وقف الصبي غير جائز مطلقا .

وباشتراط عدم الحجر للسفه ينبغى أن يعلم أن السفيه ، وهو المبذر لماله والمبدد له على خلاف مقتضى العقل أو ناموس الشرع ، إذا حجر عليه كان وقفه بعد الحجر غير صحيح على ماروواه الامام الخصاف ، ثم وجهه بأن الوقف من التبرعات والسفيه ليس من أهلها . فإن الحجر عليه للمحافظة على ماله فلا يملك التبرع بشيء منه فى هذه الحالة .

وذهب الكمال بن الهمام فى الفتح القدير الى أنه ينبغى إذا وقف المحجور عليه لسفه عينا على نفسه ثم على جهة بر لا تنقطع أن يقع هذا التصرف صحيحا أخذا من مذهب الامام أبى يوسف وهو القائل بصحة الوقف الصادر من السفيه على النفس ، وهذا الرأى صحيح عند المحققين من علماء الفروع . كما أنه يقع صحيحا عند الكل

لو صدر به حكم من القاضى لأن حكم القاضى يرفع كل خلاف . وعلل أصحاب هذا الرأى اتجاههم بأن الوقف على النفس لا يعتبر تبرعا . بل فوق ذلك فيه مبالغة فى حفظ الموقوف والتوافر عليه ، واستحقاق الغير له إنما يحل بعد موته ، وهذا لا ضرر فيه البتة .

وزاد الفقهاء الوقف شرطا آخر وهو عدم الحجر على الواقف لدين أحاط به أو لزم العين الموقوفة ، وفرعوا على هذا الشرط أن وقف المحجور عليه لدين لا يقع صحيحا وقد تعلق به حق الغرماء . ومعنى عدم صحة الوقف من هذا النوع فيما شغل بالدين من ماله جواز زوال هذا التصرف ، فللغرماء حق طلب نقض هذا الوقف والحكم بعدم نفاذه ، وليس معناه أنه يقع باطلا ، لأن الحجر على المدين إنما هو لحق الغرماء ، ولأجل المحافظة على مالهم، فإذا أجازوا الوقف نفذ ولزم ، ضرورة أنهم بهذه الإجازة قد أسقطوا حقهم فى الاعتراض على ما وقع من تصرفهم . فلو وقع الوقف فى هذه الحالة باطلا لما كان لهم أن يجيزوه أو يعترضوا عليه ، إذ الإجازة لا تلحق الباطل وإنما تلحق الموقوف على ما هو معروف .

عباس طه
المحامى

المروءة

قدم وفد على معاوية فقال لهم : ما تعدون المروءة ؟ قالوا : العفاف ، وإصلاح المعيشة .

وقيل للأحنف : ما المروءة ؟ قال : العفة ، والحرفة . وقال : لا مروءة لكذوب ، ولا سودد لبخيل ، ولا ورع لسيء الخلق .

وقال العتبي عن أبيه : لا تتم مروءة الرجل إلا بخمس : أن يكون عالما ، صادقا ، عاقلا ، ذا بيان ، مستغنيا عن الناس .

وقال الشاعر :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ... ففى صالح الأعمال نفسك فاجعل

فلسفة الاخـــــلاق

وصلتها بالنفس الناطقة

لا مشاحة فى أن النفس الناطقة متى روضت على خير الوسائل بلغت أشرف المقاصد وأنبل الغايات .

وقد قال علماء الأخلاق : إن مما لا يقبل جدلا ولا حوارا أن من اتفق له فى كن الصبا وخدر الغرارة أن يربى على أدب الشريعة البيضاء ، ويؤخذ بشرائطها وأحكامها حتى يتعود وتصبح له ملكة وسليقة ، ثم ينظر بعد ذلك فى كتب الأخلاق الاسلامية لتتأكد تلك الأخلاق والآداب والمحاسن فى نفسه بالبراهين والأقيسة ، ثم ينظر فى علم الحساب وعلم الهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان بما زاول من عمليات ومارس من أرقام ، ثم يتدرج رويدا رويدا حتى يبلغ أسمى المراتب ، كان هو السعيد الكامل ، وإذاً فعليه أن يكثر من حمد الله على تلك الموهبة العظيمة والمنة الجليلة . فإذا لم يتفق ذلك للانسان فى فاتحة عمره فابتلى بأن يربيه القوامون عليه على رواية الشعر الفاحش والحديث اللغو وقبول أكاذيبه واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبائح ونيل اللذات كيفما كان السبيل اليها ، كما يوجد مثلا فى شعر امرئ القيس والنابغة الذبيانى وشعر أبى نواس وعمر بن أبى ربيعة والبها زهير ومن اليهم ، من التشبيب والغزل ، وذم ما يجب حمده ، وحمد ما يجب ذمه ، وبسط الألسنة فى الأثرياء من الناس بغية الوصول الى الهبات والعطايا ، ثم صار بعد ذلك الى محبذين له يشجعونه أينما انتحى ، فليعتبر ذلك له شقاء لا نعيما ، ومقتا من الله وخسرانا مبينا .

ومما لا مرية فيه أن النفوس الثلاث التى أسلفنا عنها شيئا من الكلام غير قليل وهى النفس السبعية والنفس البهيمية والنفس الملكية على ما تواضع عليه الأقدمون من علماء الأخلاق ، إذا اتصلت وتماسك بعضها ببعض أضحت شيئا واحدا ، ولكن ليس معنى اتحادها أن تتصل نهايتها أو تتلاقى سطوحها على نحو ما يكون فى الأجسام ،

بل تصير فى بعض الحالات شيئا واحدا وفى بعضها الآخر أشياء مختلفة بحسب ما تهيج قوة بعضها أو تسكن . ومعنى ذلك أن تلك النفوس الثلاث من حيث تركز بعضها فى بنى الانسان دون البعض الآخر ، وغلبة بعضها على بعض ، وتدافع بعضها على بعض قوة وضعفا ، مختلفة الأثر فى نتائجها وما يترتب عليها . ويذهب بعض الفلاسفة الى أن كل نفس من هذه الأنفس الثلاث مستقل عن صاحبه غاية الاستقلال . وهذا لاينفى اجتماعها فى بنى الانسان ، ولكن ليس جملة واحدة بل على التوزع . من أجل ذلك قال قوم : إن النفس واحدة ولها قوى كثيرة . وقال آخرون : بل هى واحدة بالذات كثيرة بالعرض .

ونريد أن يعلم الباحث فى هذا الفن الجليل الأثر أن بعض هذه النفوس نفس كريمة أدبية بالفطرة والطبع ، وبعضها مهينة فاقدة للأدب بالطبع ، وليس فيها استعداد لقبول التأديب ، وبعضها فاقدة للأدب غير أنها مستعدة لقبول التأديب متهيئة للأخذ بأسبابه . فالكريمة الأدبية بالطبع هى النفس الناطقة ، الفاقدة للأدب غير المتهيئة لقبوله هى النفس البهيمية . والنفس التى فقدت الأدب ولكنها تتناوله وتطمئن الى تلقى تعاليمه هى النفس الغضبية .

فإذا عرفت النفس العاقلة شرف غايتها وجليل فوزها وأحست بمرتبتها من الله عز وجل ، أحسنت خلافته فى تربية هذه القوى والقيام على سياستها ، ونهضت بهذه القوة الى مكانها الأسمى ، فبلغته على أكمل وجه ، وفى هذا المقام لا يمكن أن تخضع البتة للسبعية ولا للبهيمية ، وبالتالى للغضبية ولا للشهوية ، لأن النفس الشهوية والغضبية فى هذه الحالة تكون بمنأى عن النفس الناطقة بعد أن تهيأ لها أسباب الفوز ، وخلصت من المادة وعلائقها الى واد من النور والعرفان ، يتنكر فيه عالم الشهوة وعالم المادة ، ويتمحض فى ساحته الشرف الرفيع والجاه المنيع .

وسنأتى فى العدد القادم على بحث تحليلى لأرسطاليس ، ورأى المعلم الأول الفارابى ، تعقيبا على بعض النظريات الحديثة الشائعة ، ووضعا للحق فى نصابه ، إن شاء الله ؟

عباس طه

الاسلام والطب الحديث

« أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

هذه الآية الكريمة هي التي دعتني الى تفسير بعض الآيات لأني وجدتها يفسر بعضها بعضا بلا اختلاف ، وإذا ظهر مثل هذا أو كان ما لا يتفق مع الآراء العلمية فيما مضى فإنه كلما تقدمت العلوم ظهرت حكمة القرآن ، وظهر أن كل شيء لا يتفق مع القرآن باطل ، والأمثلة كثيرة فيما قلنا وفيما سيأتي :

« يأيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين » الآية ٦ سورة المائدة .

حركة الوضوء يقصد منها : حركة استعداد للصلاة ، لأن الصلاة معناها أن يتصور الشخص أنه أمام الخالق ، وأن يكون خاشعا ، وأنه يقوم بإظهار عبوديته ، فلكي يتهيأ ذهنه لذلك ويتخلص من شواغل الحياة الكثيرة ، فرض عليه الوضوء قبل القيام بالعبادة . وفي اعتقادي أنه يحسن بمن يريد أن يحصر عقله كله في عبادة ربه ، دون أن تشغله الحياة التي نراها في هذا العصر ، يحسن أن يستريح زمنا قبل الصلاة ليستجمع قواه العقلية ، ويهيء نفسه للخشوع ، ويترك شواغل الدنيا .

وإذا كان الإنسان مشغولا بتفكير عميق فإنه لا يرى ما يقع أمامه ، ولا يسمع بما يدق حوله ، وهو والحالة هذه يحتاج الى تنبيه ليرى ويسمع ، وهذه نظرية فسيولوجية لكل الحواس التي لا تؤدي وظيفتها إلا إذا كان المخ غير مشغول بشيء آخر ، وحتى يكون على استعداد لاستعمال الحاسة الخاصة . وكذلك الشأن في حركة التفكير ، فالذي يفكر في شيء مهم لا يمكنه أن يفكر في شيء آخر إلا اذا تنبه اليه بانفعالات عصبية ، وهنا يترك التفكير الأول فجأة وعلى عجل ، وأما إذا أريد تنبيهه ليفكر في شيء

آخر تفكيرا هادئا فإنه يحتاج الى وقت ما ، فإن الذى يفكر فى التجارة والزراعة ثم يقال له : قم للعبادة ، يجد صعوبة فى تأديتها .

وهنا كانت حكمة الوضوء ، لأنه يساعده على ترك التفكير الأول ، ويعطيه الوقت الكافى ليبدأ فى تفكير عميق من نوع آخر . ومما لا شك فيه أن الشخص إذا كان كثير الاشتغال بأمور الدنيا يصعب عليه حتى بعد الوضوء أن يترك تفكيره الأول تركا تاما ، ولذلك كانت الحكمة فى الذهاب الى المسجد قبل موعد الصلاة ، كما كانت الحكمة فى الحث على عدم الإفراط فى حب الدنيا . « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلُوًّا فى الأرض ولا فسادا » وفى الحث كذلك على عدم الاهتمام بالفشل والنجاح « لكى لا تأسَوْا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » . وكل ذلك حتى لا يشتغل عقل الانسان بأمور الدنيا اشتغالا يصعب معه أو يستحيل أن يكون مطمئن البال ، وأن يكون خاشعا وقت الوقوف بين يدى الله حتى بعد حركة التنبيه التى يحدثها الوضوء .

وقد شبه الدكتور محمد عبد الحميد الوضوء بفترة الاستراحة بين محاضرتين ، فهى تعطى الطالب الوقت لترك التفكير فى المحاضرة الأولى ، وأخذ الأهبة للمحاضرة الثانية .

أما الفوائد الأخرى للوضوء فكثيرة من الوجهة الطبية .

فنظافة الفم مرات متعددة فى اليوم ، من أهم أسباب الوقاية من مرض الأسنان واللثة . كذلك غسل طاقة الأنف بماء بارد من أهم الوقاية من الزكام المتكرر ، وكأنها مثل الحقن بالفاكسين ، وقد كتب أخيرا فى هذا الشأن أطباء اختصاصيون فى الأنف .

وفوائد غسل الوجه والأذنين والأيدى ظاهرة ، من كثرة ما يصيب الوجه والأجزاء المعرضة عادة للأمراض الجلدية ، وللالتهابات ، فإن غسلها عدة مرات كل يوم أحسن وقاية لها من ذلك . وقد اتضح أخيرا أن كثيرا من الميكروبات (الجراثيم) بل الأغلبية منها تصيب الانسان بطريق اختراقها الجلد ، كما اتضح أن طفيلات

الديدان تدخل الجسم بطريق اختراق الجلد أيضا ، ولا شك فى أن الغسل المتكرر من الوقايات البسيطة الفعالة ، لأن الطبقة الخارجية للجلد تمنع كل الميكروبات من الوصول الى داخل الجسم ، إلا إذا حصل فيها « تسلخ » abrasion ولو بسيطا ، فهى حينئذ تفقد وظيفتها وتتمكن الجراثيم من الدخول الى الجسم . وأهم سبب لوجود التسلخات البسيطة هو (الهرش) وهو نتيجة عدم النظافة .

وأما الجراثيم التى تدخل من الفم فلا تدخل إلا من طريق تلويث الأيدى ، فإذا كانت الأيدى مغسولة نظيفة على الدوام ، كانت أحسن وقاية .

« يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

سبق الكلام على ضرر الخمر من الوجهة الطبية .

« وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى ، وتبرئ الأكمه والأبرص بإذنى ، وإذ تخرج الموتى بإذنى » ١١٠

سبق أن تكلمنا فى تفسير هذه المعجزات ، ووضحنا الفرق بينها وبين المخترعات ، ثم بينها وبين ما يمكن أن يأتيه الانسان مهما تقدم علمه . ومما يلاحظ أن المعجزات مرتبة بحسب تأثيرها فى الانسان ، فإحياء الطير المصنوع من الطين أقل صدمة من إبراء الأكمه ، وأشدها صدمة هو إحياء الموتى ، ولكن الكل كما قلنا من صنع الله مباشرة ، وقوله تعالى : « تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى » : هذه الكلمة الأخيرة من الآية تفسر ما قلناه سابقا من أن صنع الطين بهيئة الطير إنما هو تلطيف لوقع المعجزة ، لأن الآية الكريمة تنص على أن الله أمر سيدنا عيسى بصنع الطير من الطين لغرض خاص ، وأما إذا صنعه شخص آخر أو صنعه سيدنا عيسى من نفسه فى ظروف أخرى ، فإنه لا يفيد فى إدخال الروح الى الطين . وكذلك قوله تعالى : « بإذنى » بعد قوله : « فتنفخ فيها فتكون طيرا » لأن المهم هو إرادة الله لا حركة النفخ . وهكذا يفسر القرآن بعضه

بعضا ، ويفسر ما قلناه سابقا فى المعجزات والمخترعات ، وهو أن المعجزات ليست لها طريقة يتعلمها الانسان ، وأنه مهما تشابهت ظروف التجربة فإنها لا تكرر بل هى من صنع الله مباشرة . وأما المخترعات فهى كشف سنة طبيعية ، ويمكن الانسان أن يكررها مرارا على يديه ما دامت ظروف التجربة متشابهة ، حتى لو لم يفهم الانسان حقيقة السنن الطبيعية فانه لا يعرف ما هى الكهرباء ولا الحرارة الخ ، لكنه يعرف ويستفيد من كثير من السنن التى تتعلق بها ما دامت لا تتبدل — ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وقد أظهرنا فى الكلام على المعجزات أنه فيما يتعلق بالروح والحياة ، يمكن الانسان أن يستفيد من السنن الطبيعية التى تختص بها ، فالطبيب يمكنه أن يعطى دواء يقوى به القلب وبذلك يستمر على الحياة ، ولكنه لا يمكنه أن يوجد الحياة فى الجماد أو فى جسم ميت موتا تاما . وكلما تقدمت العلوم ارتقى الانسان فى معرفة السنن الطبيعية ، ولكنه لن يبدأ خلقا جديدا لأن هذا من اختصاص الله ، وقد سبق البرهان على ذلك منطقيا : « قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم مَن إلهٌ غيرُ الله يأتيكم به » .

الدكتور عبد العزيز اسماعيل

فضيلة الصداقة

روى أن داود قال لابنه سليمان عليهما السلام : يابنى لا تستقل عدوا واحدا ولا تستكثر ألف صديق ، ولا تستبدل بأخ قديم أخا مستحدثا ما استقام لك .

وقال شبيب بن شبة : إخوان الصفا خير من مكاسب الدنيا ، هم زينة فى الرخاء ، وعدة فى البلاء ، ومعونة على الأعداء

وأنشد ابن الاعرابى :

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة   ولكن إخوان الصفاء الذخائر

الفتح الربانى

ظهر القسم الثالث من الجزء الرابع من كتاب (الفتح الربانى لترتيب مسند الامام احمد) ومعه كتاب (بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الربانى) كلاهما تاليف فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ احمد عبد الرحمن البنا ، وهو عمل جليل نرجو ان ينال ما يستحقه من الانتشار .

يطلب الاشتراك من فضيلة المؤلف بمكتبه بعطفة الرسام رقم ٩ بالغورية بمصر

باب القمر

إن تاريخ البعثة المحمدية وما سبقها وما وليها من الحوادث تعتبر من أهم ما يجب أن يعنى بتدارسه المسلمون ، لأن منه انبثقت أول نواة لوجودهم الدينى والمدنى .ولكن النفوس تمل عادة الاطلاع ، وتضعف عن المثابرة ، لذلك بقيت هـذه الحوادث مجهولة لدى الأكثرين . فرأى حضرة اللوذعى الأديب ، والبحاثة الاجتماعى الضليع الأستاذ ابراهيم رمزى وكيـل قسم الادارة الأوربية بوزارة المعارف أن يتدارك هـذا الانصراف بوضع هـذه الحوادث فى صورة روايات خيالية . وهو جدير بان يسلك هـذه الطريقة ، فقد مارس صناعة وضع الروايات سنين كثيرة ، وله فيها مكان معـلوم ، فأتى على هـذه السلسلة التاريخية على أسلوب لم يسبق اليـه ، فقد نقل ذات الأقوال والمحادثات التى عزاها رواة السير الى أولئك الذين حدثت تلك الحوادث منهم ، وهذا وحده فضلا عن أنه يجعل الرواية مثلا فى البلاغة العربية ، يعتبر عملا شاقا مضنيا . وقد أخبرنى المؤلف الفاضل أنه أنفق فى سبيل جمع هذه الأقوال وضبط تلك الوقائع نحو عشرين سنة .

وقد أصـدر أول حلقة من سلسلة هـذه الروايات فى كتاب أسماه باب القمر يقع فى ٥٦٤ صفحة ، وإنه لكتاب يستحق أن يجد محله من كل مكتبة .

اللغة والدين والتقاليد

فى حياة الاسـتقلال

هـذه ثمرة فياحة الشذى من ثمرات قريحة الأديب المشهور الدكتور زكى مبارك ، وقد أهداها الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، وإنها لجديرة

أن تهدى الى هذا الامام المجدد ، فقد أتى المؤلف فى هذه الرسالة بضروب شتى من البحوث تختص باللغة والدين والتقاليد فى علاقتها بالاستقلال ، فكان له ما أراد من إبداع وسداد رأى وحكم صحيح .

التبصرة والتذكرة

هى شرح لألفية الامام المحدث العراقى المتوفى سنة (٨٠٦) ه ويليها (فتح الباقى على ألفية العراقى) لقاضى القضاة زين الدين زكرياء الأزهرى المتوفى سنة (٩٢٥) فنحث طلاب الحديث وعلماءه على اقتناء هذه الذخيرة العلمية .

دعوة الرسل

إن تاريخ الرسل هو تاريخ الدين نفسه ، وقد عنى به المؤلفون قديما وحديثا ، وفى بعض تلك الكتب خلط بين الاسلاميات والاسرائيليات ، وفى بعضها تجريد خرج بها عن حدود الموضوع .

ولكن أمامنا كتابا سلك طريقة لم يقم عليها ما سبقه من الكتب ، وهى استمداد تواريخ الرسل والحوادث التى وقعت لهم ، ووجوه الاصلاح التى أتوا بها للأمم من القرآن الكريم نفسه ، مع شرحها شرحا وافيا من مقررات التاريخ العام نفسه . وزاد على ذلك ان جعل هذا الشرح متصلا بالحياة الحاضرة وصل به الماضى من التاريخ بالحاضر . وقد عنى بتحليل كلمات كل رسول ووازن بينها وبين كلمات خصومه . وكذلك عنى بتحليل نفسيات الرسل وبين ما فى كيانهم من رحمة وحزم ، وما ملأ قلوبهم من حب للمصلحة العامة ، وما شحنت به قواهم المعنوية من الصبر على الأذى والعطف على الجاهلين ، والثبات على الحق ، والثقة بالتأييد الخ الخ من امهات الفضائل .

فجاء هذا الكتاب نسيج وحده ، يشهد لمؤلفه حضرة صاحب الفضيلة العالم الجليل الشيخ محمد احمد العدوى المدرس بكلية الشريعة بالاطلاع الواسع والعلم الغزير ، والفهم الصحيح لنفسيات الناس فى أطوارهم المختلفة . وهذا السفر الجليل الذى يقع فى ٥٣٢ صفحة يعتبر عهدا جديدا فى وضع التواريخ لسير الأنبياء والمرسلين . فنرجو أن يثيب الله مؤلفه الجليل بما يثيب به أولياءه الصالحين .

AL-AZHAR REVIEW
PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للأستاذ ابراهيم حسن الموجى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS
Translated into English
by
I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

OF RITUAL ABLUTION
(continued)

CHAPTER 22.

On the Wudû' being performed once for each several part.

We are informed by Muhammad b. Yûsuf, who had it from Sufiân, through Zaid b. Aslam through 'Atâ' b. Yasâr, through Ibn 'Abbâs who said:

"The Prophet (Allâh bless him and give him peace) *hath been known to* perform the wudû' once for each several part."

CHAPTER 23.

On the wudû' being performed twice for each several part.

We are informed by Husain b. 'Isâ, who had it from Yûnus b. Muhammad, who received it from Fulaih b. Sulaimân, through 'Abdullâh b. Abu Bakr b. 'Amr b. Hazm, through 'Abbâd b. Tamim, through 'Abdullâh b. Zaid that:

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) *hath been known to* perform the wudû' twice for each several part.

كتاب الوضوء (تابع ما قبله)

بَابُ الوُضُوءِ مَرَّةً مَرَّةً :

حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا سفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال :

« تَوَضَّأَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَرَّةً مَرَّةً » .

بَابُ الوُضُوءِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ :

حدثنا حسين بن عيسى قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا فليح بن سليمان عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد :

« أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ » .

Chapter 24.

On the wudû* being performed thrice for each several part.

بَابُ الوُضُوءِ ثَلاَثاً ثَلاَثاً :

1. We are informed by ʿAbdul-ʿAziz b. ʿAbdullâh Al-Uwaisi, who had it from Ibrâhim b. Saʿd, through Ibn Shihâb, who was told it by ʿAtâ* b. Yazid, who was informed by Humrân, the freedman of ʿUthmân, that the last-named had seen ʿUthmân b. ʿAffân act thus:

١ ـ حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسى قال حدثنى ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب أن عطاء بن يزيد أخبره أن أن حُمران مولى عثمان أخبره أنه رأى عثمان بن عفان :

He called for a vessel *of water* out of which he poured some on his hands three times and washed them. He then immersed his right hand in the vessel *and took a scoop of water* with which he rinsed his mouth and cleansed his nostrils. After that he washed his face thrice, and his hands as far as the elbows thrice. Next he stroked his head *with his wet hands*, after which he washed his feet three times as far as the ankles.

« دَعَا بِإِنَاءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى كَفَّيْهِ ثَلاَثَ مِرَارٍ فَغَسَلَهُمَا ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الإِنَاءِ فَتَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثاً ، وَيَدَيْهِ إِلَى المِرْفَقَيْنِ ثَلاَثَ مِرَارٍ ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلاَثَ مِرَارٍ إِلَى الكَعْبَيْنِ .

He then stated: "The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said: 'Whoever performeth his wudû* after the manner of this wudû* of mine, and then performeth a two-rakʿah(1) prayer without having his soul distracted therein, shall have his past sins forgiven him.'"

ثُمَّ قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

2. It is also related through Ibrâhim (2) who said that Sâlih b. Kaisân stated that Ibn Shihâb said that ʿUrwah, however, narrated this version through Humrân:

٢ ـ وعن ابراهيم قال قال صالح بن كيسان قال ابن شهاب ، وَلَكِنْ عُرْوَةُ يُحَدِّثُ عن حمران :

---

(1) A rakʿah is composed of various forms of bowing, kneeling and prostration performed in the prayer ritual. The five daily prayers comprise different numbers of rakʿahs. In addition to these obligatory salawât, two-rakʿah prayers can also be made as works of supererogation.

(2) i.e. the Ibrâhîm b. Saʿd mentioned at the beginning of this chapter.

ᶜUthmân having performed the wudûᶜ said: "Verily I shall relate unto you a hadith, which I should not have done but for a verse in the Qurᶜân. I heard the Prophet (Allâh bless him and give him peace) say: 'No man performeth his wudûᶜ thoroughly, and then the *appointed* prayer, but shall be pardoned the sins he may commit between this prayer and the next.'"

ᶜUrwah added that the verse in question was: "Verily they that conceal the evident proofs and the Guidance that we have sent down'." [1]

CHAPTER 25.

On the cleansing of the nostrils in wudûᶜ, which ᶜUthmân, ᶜAbdullâh b. Zaid, and Ibn ᶜAbbâs (Allâh be well-pleased with them) mentioned *as being commanded* by the Prophet (Allâh bless him and give him peace).

We are informed by ᶜAbdân who had it from ᶜAbdullâh, who received it from Yûnus, through Az-Zuhri, who was told it by Abu Idrîs, who heard it from Abu Hurairah, who had it from the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said:

"Let him who performeth his wudûᶜ cleanse [2] his nostrils, and let him who abstergeth himself with stones use an odd number. [3]"

CHAPTER 26.

On abstersion with an uneven number of stones.

« فَلَمَّا تَوَضَّأَ عُثْمَانُ قَالَ : أَلا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً لَوْلاَ آيَةٌ مَا حَدَّثْتُكُمُوهُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ يُحْسِنُ وُضُوءَهُ وَيُصَلِّي الصَّلاَةَ إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلاَةِ حَتَّى يُصَلِّيَهَا » .

قَالَ عُرْوَةُ الآيَةَ : « إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ » .

بَابُ الاسْتِنْثَارِ فِي الْوُضُوءِ ، ذَكَرَهُ عُثْمَانُ وعبدُ الله بن زَيد وَابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عَنِ النبي صلى الله عليه وسلم :

حدثنا عبدان قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا يونس عن الزهري قال أخبرني أبو إدريس أنه سمع أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« مَنْ تَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ وَمَنِ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ » .

بَابُ الاسْتِجْمَارِ وِتْراً :

(1) Sûrah 2, Verse 159.
(2) استنثر = literally, spurt out water which has been snuffed up into the nostrils in order to remove phlegm from the nasal cavity.
(3) i.e. three or five stones.

We are informed by ᶜAbdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Abu-z-Zinâd, through Al-Aᶜraj, through Abu Hurairah that the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said:

"Whenever any one of you performeth his wudûᵓ, let him snuff water up his nostrils and then spurt it out; and let him who abstergeth himself with stones use an odd number. When any one of you awaketh from his sleep, let him wash his hand before immersing it into the ablution-water, for no one of you knoweth where his hand hath been during the night."

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ فِي أَنْفِهِ مَاءً ثُمَّ لِيَنْثُرْ، وَمَنْ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ».

CHAPTER 27.

On washing the feet and not merely wiping them.

بَابُ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ وَلَا يَمْسَحُ عَلَى الْقَدَمَيْنِ:

We are informed by Mûsa, who had it from Abu ᶜAwânah, through Abu Bishr through Yûsuf b. Mâhik, through ᶜAbdullâh b. ᶜAmr, who said:

"The Prophet (Allâh bless him and give him peace) fell behind us while we were on a journey together. He then caught us up when we were taken unawares by the afternoon-prayer. We therefore proceeded to perform our wudûᵓ, barely wiping our feet, when the Prophet called out at the top of his voice: 'Woe unto your heels, for they will bring you into danger of hell-fire.'" This he said two or three times.

حدثنا موسى قال حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال:

«تَخَلَّفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنَّا فِي سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الْعَصْرُ، فَجَعَلْنَا نَتَوَضَّأُ وَنَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.»

CHAPTER 28.

On rinsing the mouth in the wudûᵓ — related by Ibn ᶜAbbâs and

بَاب الْمَضْمَضَةِ فِي الْوُضُوءِ،

قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَبْدُ الله بن زيد

'Abdullâh b. Zaid (Allâh be well-pleased with them) from the Prophet (Allâh bless him and give him peace).

رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم :

We are informed by Abu-l-Yamân, who had it from Shu'aib, through Az-Zuhri, who was told it by 'Atâ' b. Yazîd, through Humrân, 'Uthmân b. 'Affân's freedman, who stated that :

حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى عطاء بن يزيد عن حمران مولى عثمان بن عفان أنه :

He saw 'Uthmân call for ablution-water. He poured some water out of the vessel on his hands, which he washed three times; he then immersed his right hand in the ablution-water, rinsed his mouth, snuffed the water up his nostrils and ejected it. Afterwards he washed his face thrice and his hands as far as the elbows thrice. Next he stroked his head *with his wet hands*, after which he washed each foot thrice.

رأى عُثْمَانَ دَعَا بِوَضُوءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ إِنَائِهِ فَغَسَلَهُمَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فى الْوَضُوءِ ثُمَّ تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرَ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاثاً وَيَدَيْهِ الى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلاثاً ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ غَسَلَ كُلَّ رِجْلٍ ثَلاثاً .

'Uthmân then said : "I have seen the Prophet (Allâh bless him and give him peace) perform his wudû' in much the same way as I have just done. He also said : 'Whosoever performeth his wudû' after the manner of this wudû' of mine, and then performeth a two-rak'ah prayer without having his soul distracted therein, Allâh shall pardon him the sins he hath committed heretofore.'"

ثم قال : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وُضُوئِى هَذَا ، وَقَالَ : « مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِى هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

CHAPTER 29

On the washing of the heels ;

and on the fact that Ibn Sirin used to wash the place covered by his ring whenever he performed his wudû'.

بَابُ غَسْلِ الأَعْقَابِ ،

وَكَانَ ابْنُ سِيرِينَ يَغْسِلُ مَوْضِعَ الْخَاتَمِ إِذَا تَوَضَّأَ :

We are informed by Adam b. Abu Iyâs, who had it from Shu'bah, who received it from Muhammad b. Ziâd, who said:

I heard Abu Hurairah say while he was passing us as the Faithful were performing their wudû' from the ablution-vessel: "Perform ye a thorough wudû', for Abu-l-Qâsim (1) (Allâh bless him and give him peace) said: 'Woe unto your heels, for they will bring you into danger of hell-fire.'"

CHAPTER 30

On the washing of the feet with sandals on, and not merely wiping over the sandals *with the wet hands.*

We are informed by 'Abdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik through Sa'îd Al-Maqburi through 'Ubaid b. Juraij that he said to ᶜAbdullâh b. ᶜUmar:

"O Abu ᶜAbdu-r-Rahmân, I have seen thee practising four things, which I have not seen practised by any of thy companions."

"What are they Ibn Juraij?" replied he.

"I have seen thee touch only the two Yamanite (2) corners *of the Kaᶜbah;* further I perceive that thou wearest tanned (3) sandals; again that thou usest a yellow dye; (4) and

حدثنا آدم بن أبى إياس قال حدثنا شعبة قال حدثنا محمد بن زياد قال:

سَمِعْتُ أَبَا هريرة وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا وَالنَّاسُ يَتَوَضَّؤُونَ مِنَ المِطْهَرَةِ قَالَ:

«أَسْبِغُوا الوُضُوءَ فَإِنَّ أَبَا القَاسِمِ صلى الله عليه وسلم قال: وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ».

بَابُ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ فِى النَّعْلَيْنِ وَلا يَمْسَحُ عَلَى النَّعْلَيْنِ:

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن سعيد المقبرى عن عبيد بن جريج أنه قال لعبد الله بن عمر:

«يَا أَبَا عَبد الرحمن رَأَيْتُكَ تَصْنَعُ أَرْبَعاً لَمْ أَرَ أَحَداً مِنْ أَصْحَابِكَ يَصْنَعُهَا

قَالَ: وَمَا هِيَ يَا ابْنَ جُرَيْجٍ؟

قَالَ: رَأَيْتُكَ لا تَمَسُّ مِنَ الأَرْكَانِ إِلاَّ اليَمَانِيَّيْنِ، وَرَأَيْتُكَ تَلْبَسُ النِّعَالَ السِّبْتِيَّةَ، وَرَأَيْتُكَ تَصْبُغُ بِالصُّفْرَةِ، وَرَأَيْتُكَ إِذَا

---

(1) The Prophet's agnomen.

(2) i.e. the two southerly corners of the Kaᶜbah facing Al-Yaman and Al-ᶜIrâq, the Black Stone being in the latter; the Yamani Corner predominating gives the name to both.

(3) سبت = a plant used in tanning. Tanned shoes were considered a luxury and Ibn ᶜUmar was criticised for wearing them, while most of the Faithful wore shoes of raw hide.

(4) Either for the hair or clothes.

lastly when thou comest to Makkah, all the Faithful call the ihlâl (1) as soon as they see the new moon, while thou dost not call the ihlâl until the day of tarwiyah. (2)"

To this ᶜAbdullâh replied: "Regarding the corner-stones, I have seen the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) touch only the two Yamanite ones; regarding the tanned sandals, I have seen the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) wear hairless ones and perform his wuḍûᵃ with them on, (3) that is why I like to wear such also; regarding the yellow dye, I have seen the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) use it himself, and therefore I like to do the same; as touching the ihlâl, I have never heard the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) utter this formula until his mount stood ready to start on the procession. (4)"

كُنْتَ بِمَكَّةَ أَهَلَّ النَّاسُ إِذَا رَأَوُا الْهِلَالَ وَلَمْ تُهِلَّ أَنْتَ حَتَّى كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ .

قَالَ عَبْدُ اللهِ : أَمَّا الأَرْكَانُ فَإِنِّي لَمْ أَرَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَمَسُّ إِلَّا الْيَمَانِيَّيْنِ ، وَأَمَّا النِّعَالُ السِّبْتِيَّةُ فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَلْبَسُ النِّعَالَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَعَرٌ وَيَتَوَضَّأُ فِيهَا ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَلْبَسَهَا ، وَأَمَّا الصُّفْرَةُ فَإِنِّي رَأَيْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَصْبُغُ بِهَا ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَصْبُغَ بِهَا ، وَأَمَّا الإِهْلَالُ فَإِنِّي لَمْ أَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُهِلُّ حَتَّى تَنْبَعِثَ بِهِ رَاحِلَتُهُ .

CHAPTER 31.

On giving priority to the right side of the body in the performance of the wuḍûᵃ and the ghusl.

بَابُ التَّيَمُّنِ فِي الْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ :

1. We are informed by Musaddad, who had it from Ismâᶜil, who received it from Khâlid, through Ḥafṣah bint Sirin, through Umm ᶜAṭiyyah, who stated that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said

١ ـ حدثنا مُسَدَّدٌ قال حدثنا اسماعيل قال حدثنا خالد عن حفصة بنت سيرين

---

(1) i.e. raise their voices with the talbiyah formula upon assuming the state of iḥrâm for the pilgrimage.

(2) يوم التروية = the eighth of Dhul-Hijjah — the month of pilgrimage.

(3) The feet are washed last, after the wuḍûᵃ has been performed for all the other members, the sandals being then removed for the washing of the feet and put on again. (See Tuḥfat-ul-Bâri)

(4) — towards Minâ.

عن أم عطية قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم لَهُنَّ في غَسْلِ ابْنَتِهِ :

« ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا . »

to them (1) when they were washing his dead daughter's (2) body :

"First wash the parts on the right side of her body, beginning with the members to which the wuḍû' applies. (3)"

٢ ـ حدثنا حفص بن عمر قال حدثنا شعبة قال أخبرني أشعث بن سليم قال سمعت أبي عن مسروق عن عائشة قالت :

« كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُعجبه التَّيَمُّنُ فِي تَنَعُّلِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَطُهُورِهِ وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ » .

2. We are informed by Hafs b. ʿUmar, who had it from Shuʿbah, who received it from Ashʿath b. Sulaim, who heard it from his father, through Masrûq, through ʿA'ishah, who said :

"The Prophet (Allâh bless him and give him peace) always preferred to give priority to the right side, whether in putting on his shoes, dressing his hair, performing his ablutions, or any other act."

بَابُ الْتِمَاسِ الْوَضُوءِ إِذَا حَانَتِ الصَّلَاةُ ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ : « حَضَرَتِ الصُّبْحُ فَالْتُمِسَ الْمَاءُ فَلَمْ يُوجَدْ ، فَنَزَلَ التَّيَمُّمُ » :

CHAPTER 32.

On seeking ablution-water when the hour of prayer is at hand;

and on the words of ʿA'ishah : "Once when the hour of the morning-prayer was due, water was sought for but could not be found, consequently the dry ablution (4) verse was sent down."

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أنه قال :

« رَأَيْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ فَلَمْ

We are informed by ʿAbdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Ishâq b. ʿAbdullâh b. Abu Talhah, through Anas b. Mâlik that he said :

"I once saw the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) as the hour of the afternoon-prayer was at hand, when the Faithful sought for wuḍû'-water without

---

(1) i.e. Umm ʿAtiyyaha nd the women with her.
(2) Zainab according to Muslim, though Umm Kulthûm has been suggested.
(3) This is the meaning of this hadith according to Ibn Sîrîn quoted by Al-ʿAini.
(4) تيمم (Tayammum) = purification by dust or sand in the absence of water, or in the case of sickness when use of water might be injurious. (Surah 5, Verse 6).

finding any. The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) was however brought some for his wudû'. Immersing his hand in the vessel containing it, he commanded the Faithful to perform their wudû' from it. Then I saw (continued Anas) the water springing up from beneath his fingers, until all the Faithful performed their wudû' *from the first* unto the last."

CHAPTER 33.

On the water which hath been used for washing the hair of a man;(1) since 'Atâ' did not see anything wrong in human hair being used for making thread and ropes;

and on the remains of water from which dogs have drunk, and their passing through the mosque; since Az-Zuhri said: "When a dog hath lapped out of a vessel, and a person hath no other wudû'-water, he may use it for his wudû'; and Sufiân said: "This is the very teaching according to the word of Allâh (be He exalted): 'and *if* ye fail to find water, then perform a dry wudû',' (2) for this is water which, although there may be scruples about it, (3) may be used for wudû', which must be followed by dry ablution."

1. We are informed by Mâlik b. Ismâ'îl, who had it from Isrâ'îl, through 'Asim, through Ibn Sirîn, who said to 'Abîdah:

يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ذَلِكَ الإِنَاءِ يَدَهُ وَأَمَرَ النَّاسَ أن يَتَوَضَّؤُا منه، قال فَرَأَيْتُ المَاءَ يَنْبَعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ حتى تَوَضَّؤُا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ».

— ٣٣ —

بَابُ المَاءِ الذى يُغْسَلُ بِهِ شَعَرُ الإِنْسَانِ، وَكَانَ عَطَاءٌ لَا يَرَى بِهِ بَأْسًا أَنْ يُتَّخَذَ مِنْهُ الخُيُوطُ والحِبَالُ،

وَسُؤْرِ الكِلَابِ وَمَمَرِّهَا فى المَسْجِدِ، وَقَالَ الزُّهْرِىُّ «إِذَا وَلَغَ الكَلْبُ فى إِنَاءٍ لَيْسَ لَهُ وَضُوءٌ غَيْرُهُ يَتَوَضَّأُ بِهِ»، وقال سُفْيَانُ: هَذَا الفِقْهُ بِعَيْنِهِ لِقَوْلِ الله تعالى: «فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا» وَهَذَا مَاءٌ، وَفى النَّفْسِ مِنْهُ شَىْءٌ، يَتَوَضَّأُ بِهِ وَيَتَيَمَّمُ.

١ ـ حدثنا مالك بن اسماعيل قال حدثنا اسرائيل عن عاصم عن ابن سيرين قال قلت لِعَبِيدَةَ:

---

(1) i.e. on the question of its purity for purposes of ablution. Al-Bukhâri wishes here to reply to those who deny this purity.

(2) Surah 5, Verse 6.

(3) These scruples are due to the divergence of opinion among the doctors as to e ritual purity of such water, hence the necessity for a dry ablution being performed also.

"We possess some hairs of the Prophet (Allâh bless him and give him peace), which have reached us through Anas or his family." ᶜ*Abîdah* replied: "I had rather possess one hair of his than the world and all that it containeth." (1)

«عِنْدَنَا مِنْ شَعَرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَصَبْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنَسٍ - أَوْ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ أَنَسٍ» فقال «لَأَنْ تَكُونَ عِنْدِي شَعَرَةٌ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

2. We are informed by Muhammad b. ᶜAbdu-r-Rahîm, who had it from Saᶜîd b. Sulaimân, who received it from ᶜAbbâd, through Ibn ᶜAun, through Ibn Sîrîn, through Anas that:

٢ - حدثنا محمد بن عبد الرحيم قال أخبرنا سعيد بن سليمان قال حدثنا عَبَّاد عن ابن عون عن ابن سيرين عن أنس :

"When the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) had his head shaved, (2) Abu Talhah was the first to take some of his hair." (3)

«أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَمَّا حَلَقَ رَأْسَهُ كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ مِنْ شَعَرِهِ».

3. We are informed by ᶜAbdullâh b. Yûsuf, through Mâlik, through Abu-z-Zinâd, through Al-Aᶜraj, through Abu Hurairah, who stated that the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said:

٣ - حدثنا عبد الله بن يوسف عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

"If a dog drink out of the vessel of any one of you, let him wash it seven times."

«إِذَا شَرِبَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعاً»

4. We are informed by Isḥâq, who had it from ᶜAbdu-s-Samad, who received it from ᶜAbdu-r-Rahmân b. ᶜAbdullâh b. Dînâr, who heard it from his father, through Abu Sâlih, through Abu Hurairah, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) that:

٤ - حدثنا اسحاق أخبرنا عبد الصمد حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار سمعت أبي عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم :

---

(1) Al-Bukhâri has selected this hadîth to controvert the idea that hair may be نجس (unclean).

(2) — on the occasion of the Farewell Pilgrimage.

(3) According to Muslim the right side of the Prophet's head was shaved first, and the hair given to Abu Talhah; Abu Talhah kept this for himself and his wife, after which he was given the hair of the left side, which he distributed among the Faithful, one or two hairs each.

"A man once saw a dog licking the earth for thirst, so he took his shoe and kept on scooping water with it for the dog, until he had quenched its thirst. Allâh rewarded him for this and caused him to enter Paradise." (1)

«أنَّ رَجُلاً رَأى كَلْباً يَأكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ فَأخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أرْوَاهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَأدْخَلَهُ الجَنَّةَ».

5. It was stated by Ahmad b. Shabîb, who had it from his father, through Yûnus, through Ibn Shihâb, who received it from Hamzah b. ᶜAbdullâh, through his father, who said:

٥ ـ وقال احمد بن شبيب حدثنا أبي عن يونس عن ابن شهاب قال حدثني حمزة ابن عبد الله عن أبيه قال:

"Dogs used to make water and run to and fro in the Mosque (2) in the time of the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) and water was not even sprinkled (3) over the places."

«كَانَتِ الكِلابُ تَبُولُ وَتُقْبِلُ وَتُدْبِرُ فِى المَسْجِدِ فِى زَمَانِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَلَمْ يَكُونُوا يَرُشُّونَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ».

6. We are informed by Hafs b. ᶜUmar, who had it from Shuᶜbah, through Ibn Abu-s-Safar, through Ash-Shaᶜbi, through ᶜAdiyy b. Hâtim who said:

٦ ـ حدثنا حفص بن عمر قال حدثنا شعبة عن ابن أبي السفر عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال:

"Once in answer to my question the Prophet said: 'When thou sendest forth thy trained dog, and he killeth the game, thou mayest eat of it; but if he hath eaten of it, then eat it not, for he hath apportioned it unto him-

سَألْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: «إذَا أرْسَلْتَ كَلْبَكَ المُعَلَّمَ فَقَتَلَ فَكُلْ، وَإذَا أكَلَ فَلاَ

(1) This hadîth is written in red in Ibn ᶜAsâkir's version, but appears in the margin in Yûnîni's. Some Mâlikis infer from Al-Bukhâri's citation of this hadîth that the dog is not unclean except in a ritual sense, and therefore the washing of the vessel referred to in the preceding hadîth is not obligatory but a commendable practice. (See Ibn Hajar & Qastallâni).

(2) i.e. the Prophet's Mosque at Madinah.

(3) The use of the word رش for غسل shows even an inferior degree of cleansing was not considered necessary. This hadith is taken by some to support the general cleanness of dogs, but it is pointed out that the Prophet and his Companions were unaware of these conditions, since urine is universally admitted to be unclean; the Hanafi School, however, hold that the soil is purified when the sun and air dry up the defiling moisture.

self.' 'But,' replied I, 'what if I send forth my dog and then find another dog with him?' The Prophet replied: 'Then eat not, because thou hast invoked the name of Allâh upon thine own dog, but hast not done so upon another.' " (1).

تَأْكُلْ فَإِنَّمَا أَمْسَكَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، قُلْتُ :
أُرْسِلُ كَلْبِي فَأَجِدُ مَعَهُ كَلْبًا آخَرَ، قال: «فَلاَ تَأْكُلْ فَإِنَّمَا سَمَّيْتَ عَلَى كَلْبِكَ وَلَمْ تُسَمِّ عَلَى كَلْبٍ آخَرَ» .

CHAPTER 34.

— ٣٤ —

On him who doth not see the necessity for a *fresh* wudû' (2) except in the case of excretion from the anterior and posterior orifices—based on the word of Allâh (be He exalted): "Or *if* one of you cometh from the draught;" (3)

and on ʿAtâ''s statement concerning one from whose posterior orifice there cometh worms, or from whose member there cometh any kind of vermin such as a louse, that he must repeat the wudû';

and on Jâbir b. ʿAbdullâh's statement: "If anyone laugheth during his prayer, he must repeat it, but need not repeat the wudû';"

and on Al-Hasan's statement: "If anyone cutteth his hair or his nails, or taketh off his boots (4) there is no *fresh* wudû' incumbent upon him;"

بَابُ مَنْ لَمْ يَرَ الْوُضُوءَ إِلاَّ مِنَ الْمَخْرَجَيْنِ مِنَ الْقُبُلِ وَالدُّبُرِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : «أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ» ،

وَقَالَ عَطَاءٌ فِيمَنْ يَخْرُجُ مِنْ دُبُرِهِ الدُّودُ أَوْ مِنْ ذَكَرِهِ نَحْوُ الْقَمْلَةِ يُعِيدُ الْوُضُوءَ ،

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ : «إِذَا ضَحِكَ فِي الصَّلاَةِ أَعَادَ الصَّلاَةَ وَلَمْ يُعِدِ الْوُضُوءَ» ،

وَقَالَ الْحَسَنُ : «إِنْ أَخَذَ مِنْ شَعَرِهِ وَأَظْفَارِهِ أَوْ خَلَعَ خُفَّيْهِ فَلاَ وُضُوءَ عَلَيْهِ» ،

(1) The fact that game touched by the saliva of a dog may be eaten without any washing of the place being ordained, is considered by Al-Bukhâri as sufficient proof that a dog is not unclean. In this connection Mâlik said: كيف يؤكل صيده ويكون لعابه نجساً ؟ "How could game touched by a dog be eaten, if his saliva is unclean?"

(2) i.e. does not consider the wudû' nullified.

(3) Sûrah 4 : 43.

(4) الخفين (boots) are properly speaking footwear made of soft leather and protected from contact with the ground by shoes or sandals worn over them. The Arabs often used to wear them without any outer shoes and performed their prayers in them even when they had come in contact with the ground, provided no dirt had clung to them.

and on Abu Hurairah's statement: "No *fresh* wudûˢ is necessary except in the case of accidental defilement; (¹)

وقالَ أبو هريرة: «لا وُضُوءَ إلا مِنْ حَدَثٍ»،

and it is related through Jâbir that when the Prophet (Allâh bless him and give him peace) was at the battle of Dhât-ur-Riqâᶜ (²), a man was struck by an arrow and bled profusely; but he performed the rakᶜah and the prostration and continued his prayer nevertheless; (³)

وَيُذْكَرُ عَنْ جابِرٍ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ فى غَزْوَةِ ذاتِ الرِّقاعِ فَرُمِيَ رَجُلٌ بِسَهْمٍ فَنَزَفَهُ الدَّمُ فَرَكَعَ وَسَجَدَ وَمَضَى فى صَلاتِهِ،

and on Al-Hasan's statement that the Faithful have always performed their prayers while wounded;

وَقالَ الحَسَنُ: ما زالَ المُسْلِمُونَ يُصَلُّونَ فى جِراحاتِهِمْ.

and on the statement of Tâwûs, Muhammad b. ᶜAli, ᶜAtâˢ and the Hijâzis that no *fresh* wudûˢ is obligatory in the case of bleeding; (⁴)

وَقالَ طاوُسٌ ومحمدُ بن عليٍّ وعَطاءٌ وَأهْلُ الحِجازِ: «لَيْسَ فى الدَّمِ وُضُوءٌ»،

and on *the fact that when* Ibn ᶜUmar burst a boil and it bled, he did not perform a *fresh* wudûˢ;

وَعَصَرَ ابنُ عُمَرَ بَثْرَةً فَخَرَجَ مِنْها الدَّمُ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ،

and on *the fact that when* Ibn Abu Awfâ spat blood, he continued his prayer;

وَبَزَقَ ابنُ أبي أوْفَى دَمًا فَمَضَى فى صَلاتِهِ،

and on the statement of Ibn ᶜUmar and Al-Hasan concerning one who is wetcupped, (⁵) that he need only wash the places scarified by the cupping.

وَقالَ ابنُ عُمَرَ والحسنُ فِيمَنْ يَحْتَجِمُ: «لَيْسَ عَلَيْهِ إلاَّ غَسْلُ مَحاجِمِهِ»

---

(1) — including such accidents as falling asleep, fainting or going mad. (Al-ᶜAini).

(2) The Battle of Dhât-ur-Riqâᶜ was fought at a place two days' journey from Madînah. Historians are not agreed as to the date, but it is probable that it took place in the year 5 A.H. after the Battle of the Khandaq and before that of Khaibar. It was so called because the Faithful tied up their legs with rags, or patched up their banners, or because the soil was patchy, or because there was a mountain with various patchy colours. (Ibn Hajar).

(3) Al-Bukhâri here wishes to refute the Hanafi teaching that profuse bleeding invalidates the wudûˢ. (Ibn Hajar).

(4) scil. whether the bleeding be profuse or not. (Al-Qastallâni).

(5) — the flesh being first scarified and the blood being drawn out by the cup.

1. We are informed by Adam b. Abu Iyâs, who had it from Ibn Abu Dhi'b, through Sa'id Al-Maqburi, through Abu Hurairah, who stated that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said :

"The worshipper continueth to be in a fit state for prayer so long as he is in the mosque awaiting the prayer, unless he suffer an accidental impurity." A foreigner asked Abu Hurairah what an accidental impurity was, and he said: "A noise, that is to say — breaking wind".

2. We are informed by Abu-l-Walid, who had it from Ibn 'Uyainah, through Az-Zuhri, through 'Abbâd b. Tamim, through his paternal uncle, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said :

"Let *the worshipper* not interrupt his prayer so long as he hath not heard any sound or perceived any smell."

3. We are informed by Qutaibah b. Sa'id, who had it from Jarir, through Al-A'mash, through Mundhir Abu Ya' lâ Ath-Thawri, through Muhammad b. Al-Hanafiyyah, who stated that 'Ali said :

"I was subject to prostatic secretion, and as I was too ashamed to question the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace), I charged Al-Miqdâd b. Al-Aswad to do so. When he asked him, he replied: 'This calleth for wudû'.'"

(This hadith is also related by Shu'bah through Al-A'mash.)

4. We are informed by Sa'd b. Hafs, who had it from Shaibân, through Yahyâ, through Abu Salamah, who was told it by 'Atâ' b. Yasâr, who received it from Zaid b. Khâlid, who stated that he asked

١ ـ حدثنا آدم بن أبي إياس قال حدثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه سلم :

« لا يَزَالُ العَبْدُ في صَلاةٍ ما دَامَ في المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ مَا لَمْ يُحْدِثْ » . فقالَ رَجُلٌ أعْجَمِيٌّ : مَا الحَدَثُ يا أبا هُرَيْرَةَ ؟ قالَ : « الصَّوْتُ ـ يَعْنِي الضَّرْطَة » .

٢ ـ حدثنا أبو الوليد قال حدثنا ابن عيينة عن الزهري عن عباد بن تميم عن عمّه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يَنْصَرِفْ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتاً أوْ يَجِدَ رِيحاً » .

٣ ـ حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا جرير عن الأعمش عن منذر أبي يَعْلَى الثوري عن محمد بن الحنفية قال قال عليٌّ :

« كُنْتُ رَجُلاً مَذَّاءً فاسْتَحْيَيْتُ أنْ أسْأَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمَرْتُ المِقْدَادَ بنَ الأسْوَدِ فَسَأَلَهُ فقال : « فِيهِ الوُضُوءُ » .

(وَرَوَاهُ شعبة عن الأعمش)

٤ ـ حدثنا سعد بن حفص حدثنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة أن عطاء بن يسار أخبره أن زيد بن خالد أخبره أنه

ᶜUthmân b. ᶜAffân (Allâh be well-pleased with him) saying:

"Tell me the decision concerning a man who cohabiteth *with his wife* without ejaculating." ᶜUthmân replied: "He must perform the same wudûᵓ as for prayer, and wash his member. That is what I heard from the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace)."

I[1] then asked the same question of ᶜAli, Az-Zubair, Talhah and Ubayy b. Kaᶜb (Allâh be well-pleased with them), and they prescribed him likewise.

5. We are informed by Ishâq, who was told it by An - Nadr, who had it from Shuᶜbah, through Al-Hakam, through Dhakwân Abu Sâlih, through Abu Saᶜid Al-Khudri that:

The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) once sent for a certain Ansâri,[2] who came with his head dripping.[3] Then the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said: "Perchance we have hurried thee!"[4] "Yes", replied the man. "If thou art hurried, or hast failed to ejaculate, then *only* the wudûᵓ is incumbent upon thee."

(This hadith is confirmed by Wahb —as fellow-witness with An-Nadr— who had it from Shuᶜbah etc. Al-Bukhâri states that Ghundar and Yahyâ, through Shuᶜbah etc. omit the word «الوضوء»).

سأل عثمان بن عفان رضى الله عنه قلت :

« أَرَأَيْتَ إِذَا جَامَعَ فَلَمْ يُمْنِ ». قَالَ عُثْمَانُ : « يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ وَيَغْسِلُ ذَكَرَهُ » قال عثمان : « سَمِعْتُهُ مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم »

فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَأُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ رضى الله عنهم فَأَمَرُوهُ بِذَلِكَ .

٥ ـ حدثنا اسحق قال أخبرنا النضر قال أخبرنا شعبة عن الحكم عن ذكوانَ أبي صالح عن أبي سعيد الخدرى :

أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم أَرْسَلَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَجَاءَ وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « لَعَلَّنَا أَعْجَلْنَاكَ » فقال: « نَعَمْ » فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « إِذَا أُعْجِلْتَ أَوْ قُحِطْتَ فَعَلَيْكَ الْوُضُوءُ » .

(تَابَعَهُ وَهْبٌ قال حدثنا شعبة ، قال أبو عبد اللهَ وَلَمْ يَقُلْ غُنْدَرٌ ويحيى عن شعبةَ « الْوُضُوءُ »)

---

(1) i.e. Zaid b. Khâlid the narrator of the hadith.
(2) — according to Muslim — ᶜItbân b. Mâlik al-Ansâri.
(3) — with water from a ghusl (a bath).
(4) In fact the man had been engaged in intercourse with his wife.

CHAPTER 35.

On him who helpeth his companion in his wudû'.

1. We are informed by Muhammad b. Salâm, who had it from Yazid b. Hârûn, through Yahyâ, through Mûsa b. ʿUqbah through Kuraib the freedman of Ibn ʿAbbâs, through Usâmah b. Zaid that:

When the Messenger of Allâh (Allâh bless and give him peace) was returning from ʿArafah, he turned aside towards Ash-Shiʿb(1) to relieve his necessity. "Then I proceeded," said Usâmah b. Zaid, "to pour out water for him while he performed his wudû'. *After that I asked him* saing: 'O Messenger of Allâh, wilt thou pray now?' 'The place of prayer is ahead of thee', said he."

2. We are informed by ʿAmr b. ʿAli, who had it from ʿAbdul-Wahhâb, who heard it from Yahyâ b. Saʿid, who received it from Saʿd b. Ibrâhim, who was told it by Nâfiʿ b. Jubair b. Mutʿim that he heard ʿUrwah b. Al-Mughîrah b. Shuʿbah relate through *his father* Al-Mughîrah b. Shuʿbah that:

Al-Mughîrah was once together with the Messenger of Allâh on a Journey when the latter retired for a natural purpose. Al-Mughîrah then proceeded to pour out water for him while he performed his wudû', washing his face and hands, stroking his head with *his wet hands*, and passing *them* over his boots. (2)

— ٣٥ —

بَابُ الرَّجُلِ يُوَضِّئُ صَاحِبَهُ:

١ ـ حدثنا محمد بن سلام قال أخبرنا يزيد بن هرون عن يحيي عن موسى بن عقبة عن كريب مولى ابن عباس عن أسامة بن زيد:

أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم لَمَّا أفاضَ مِنْ عَرَفَةَ عَدَلَ إلى الشِّعْبِ فَقَضَى حاجَتَهُ ، قالَ أسامَةُ بْنُ زَيْد : « فَجَعَلْتُ أَصُبُّ عَلَيْهِ وَيَتَوَضَّأُ فَقُلْتُ : يا رسولَ الله أتُصَلِّي ؟ فَقَالَ : المُصَلَّى أمامَكَ » .

٢ ـ حدثنا عمرو بن على قال حدثنا عبد الوهاب قال سَمِعْتُ يحيى بن سعيد قال أخبرنى سعد بن ابراهيم أن نافع بن جبير بن مطعم أخبره أنه سمع عروة بن المغيرة بن شعبة يحدث عن المغيرة بن شعبة:

أنَّهُ كانَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سَفَرٍ وأنه ذَهَبَ لِحَاجَة لهُ ، وأن مُغِيرَةَ جَعَلَ يَصُبُّ المَاءَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمَسَحَ بِرأسِهِ وَمَسَحَ عَلَى الخُفَّيْنِ .

---

(1) A mountain track used by the pilgrims.

(2) According to the three Imâms, Ahmad, Hanafi, and Shâfiʿi, there is no need to wash the feet more than once in twenty-four hours if the boots (khuffain) have not been removed, when passing the wet hands over the upper part is considered sufficient. This is the case for those staying at home, but for travellers, washing the feet once every three days is sufficient. Mâlik, however, does not stipulate any special period.

احتفال مشيخة الازهر بالمولد النبوى

ألقى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى خطبة جليلة القدر، بليغة الأثر، فى الجامع الازهر المعمور، ليلة المولد النبوى الكريم، على ألوف كثيرة من المسلمين، يتقدمهم صاحب الدولة رئيس الوزراء، وأصحاب المعالى الوزراء، وعدد كبير من رجال الدولة والعلماء، ونقلها المذياع الى جميع البلاد التى تصل اليها تياراته الأثيرية. وقد رأينا أن ننقلها فى هذه المجلة تيمنا بها فى هذا العيد النبوى الكريم. قال حفظه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

يحتفل المسلمون بإحياء ذكرى مولد النبى محمد صلى الله عليه وسلم، ويحتفل غيرهم بإحياء ذكرى عظماء الرجال.

ولهذه الذكريات آثارها الصالحة عند من يفهم الغرض منها، ويدرك السر فى المحافظة عليها. فليست هذه الأيام أعياد مرح وطرب، يستمتع فيها الناس باللذات، ويدركون نصيبا من الشهوات، بل هى أيام عظة واعتبار، وتذكّر واستبصار، تحفز النفوس الى القدوة، وتشوقها الى التشبه بالأسوة.

لو كان العالم ينظر الى النبى محمد صلى الله عليه وسلم نظر المنصف المتجرد عن الهوى والغرض، الذى لم يغش بصيرته ظلمات التقليد، ومتابعة الآباء، وتصديق ذوى الأغراض والأهواء، لو كان العالم ينظر اليه صلى الله عليه وسلم نظر المتدبر لقيمة أعماله، وآثار أخلاقه، وقيمة شخصيته الفذة، وقيمة ما أفادت الانسانيةُ والمدنية مما جاء به من خير،

لكان يوم مولده السعيد يوما مشاعا بين الأمم، يحتفل به المسلمون وغيرهم من أهل الملل والمذاهب والنحل؛ فإن بركة الإصلاح الاسلامى لم يختص بها المسلمون، بل شملتهم وفاضت على غيرهم من الأمم المشاركة لهم فى الوطن وفى الحكم، والأمم التى اقتبست عن قصد أو عن غير قصد ما فى النظام الاسلامى من خير وجمال.

أفلا ترون أن عمر بن الخطاب يقول بهدى الاسلام لأبى بكر أول خليفة: «أنت أجير المسلمين لك عليهم نفقتك ونفقة أهلك بما حبست نفسك لخيرهم»، ويقول لابن عمرو: «بم تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟». هذان أصلان من أصول الحكم والاجتماع، جاء بهما الاسلام ولم يصلا الى الأمم الأخرى إلا بعد عناد وكفاح، ومقارعة بالسيوف والرماح.

وفى القرآن الكريم والسنة المطهرة من نظم الحكم العامة ونظم الأسر وعلاج المجتمع ما هو شفاء للناس. وقد وضع العلماء فى سيرة الرسول الأكرم كتبا ضخمة ومجلدات كثيرةً، ولا يزال مجال البحث واسعا والميدان فسيحا لمن يريد بيان شخصية الرسول الأعظم وبيان هديه. فليس من السهل على مثلى أن يضع صورة لهذا الجلال وهذه العظمة فى هذا الوقت، وأن يرسم ذاتا خلقت لتكون المرشدة للعالم الى أن يأذن الله بنهايته، والداعيةَ الى الحق الى أن تبدَّل الأرض غير الأرض والسموات. ذات صنعها الله على عينه، وأدّبها فأحسن تأديبها، بعثت لتتمم مكارم الأخلاق، ولتوضح السبيل الى الله وتنيره، وتضع نظم الحياة كاملة، وتتلقى أسرار الوجود عن واهب الوجود، وتتلقى كلمات الله عن الله. ذات فرض الله على الخلق طاعتها واجتباها لرسالته.

وقد اخترت أن ألمّ بشىء من صفاته التى لا زمته فى شبابه وكهولته وشيخوخته، والتى كانت سر عظمته وسر اختيار الله إياه للهداية والرسالة، فقد قال عن نفسه صلوات الله عليه: «لما نشأت بُغّضت الىّ الأوثان، وبُغّض الىّ الشعر، ولم أهم بشىء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين، كل ذلك يحول الله بينى وبين ما أريد من ذلك،

ثم ما هممت بسوء بعدهما حتى أكرمنى الله برسالته : قلت لغلام كان يرعى معى : لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فأسْمُر كما يَسْمُرُ الشباب ، فخرجت الى ذلك حتى جئت أول دار من مكة ، سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم ، فجلست لذلك ، فضرب الله على أذنى فنمت فما أيقظنى إلا مسّ الشمس ، فرجعت ولم أقض شيئا ، ثم عرانى مرة أخرى مثل ذلك ، ثم لم أهم بعد ذلك بسوء ».

ولم يشرب خمرا قط على ما كان ذلك شائعا فى البيئة التى عاش فيها ، ولم يأكل ماذبح على النصُب وقد قال أبو طالب فى خطبة زواجه صلى الله عليه وسلم بخديجة : إن ابن أخى هـذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل شرفا ونبلا وفضلا ، وإن كان فى المال قلّ فإن المال ظل زائل ، وأمر حائل ، وعارية مستردة ، وهو والله بعد هـذا له نبأ عظيم وخطر جليل !

ولما اختلفت قريش وتحازبت فيمن يضع الحجر الأسود موضعه من بناء الكعبة حكّموا أول داخل يدخل عليهم ، فكان ذلك الداخل محمدَ بن عبد الله ، فاطمأن الجميع الى حكمه ، وقالوا : هذا الأمين رضيناه ، هذا محمـد . وكانوا يتحاكمون اليه قبـل ذلك لعلمهم بعدله وأنه لا يمارى فى الحكم ولا يجور ، ولا يحكم ابتغاء مدح أوخوفا من ذم .

وقد قال النضر بن الحارث : قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم بينكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب وقد جاءكم بما جاءكم قلتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر !

ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا . فقال هرقل : ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله .

ومن ذلك إسراع أبى بكر رضى الله عنه الى استجابة دعوته والايمان برسالته ، وقوله على الفور : بأبى أنت وأمى أهل الصدق أنت ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . وقد كان أبو بكر صدرا معظما من صدور قريش وصناديدها ، وكان على سعة

من المال وكرم الخلق عن سجية ، محببا فى قومه ، وكان من أعلمهم بالعرب وأنسابهم وتاريخهم ووقائعهم وعاداتهم وأدبهم .

ولقد نزعت نفسه الطاهرة صلى الله عليه وسلم عن الدنيا ، واشتاق الى الحياة الروحية والهدى الإلهى ، وحببت اليه العزلة والتحنث ، فكان يبتعد عن ظلمات هذه الحياة ، وينقطع عن الخلق ابتغاء النور وابتغاء الأنس بالخالق ، آثر جلال الحق ، وابتهج بالوحدة ونور الواحد ، وأصغى بأذنيه الى حفيف أجنحة الملائكة والأرواح العلوية ، وصفى قلبه الطاهر بهذا التحنث ، ليكون مرآة صافية تنطبع فيها أسرار أسماء الله وأسرار الوجود ، وليكون قرطاسا نقيا تنقش فيه آى الله وكلماته ، وليستعد للوساطة بين الحق والخلق فى حمل أوامره ، وحمل نظمه وهدايته للبشر .

هـذه النفس التى لم تصبُ فى الحداثة الى السمر إلا مرتين ، ولم تصل الى غرضها فى المرتين ، نفس صاغها الله من العالم الروحانى ، وصبغها بصبغته ، ونفخ فيها من روحه ، ولم يكن صاحبها من البشر إلا بمقدار ما يؤدى الرسالة للبشر . شاب حدث ، أمى ، يتيم ، ينال من احترام قومه ما يحمل قروم قريش على الرضا بحكمه والاطمئنان اليه ، وما يجعلهم يصفونه بالأمين ، ويحيلون عليه الكذب على الله لأنه لم يعتد الكذب على الناس ، ليس هذا المقام بين البشر بالمقام الذى يحظى به إلا الواحد بعد الواحد . وهذا أبو طالب على ما كان له من رجاحة العقل وإباء النفس يقول : هـذا محمد لا يوزن به رجل وسيكون له قدر وخطر ، لا يمكن أن يصدر هذا إلا عن دلائل فى ذاته وصفاته تقوم برهانا تاما على ما يرجى له من هذا المقام الخطير .

وبعد أن تم له الاستعداد جاءه الوحى ، فكان رسولا ، وشرح الله صدره ، ورفع قدره ، وأعلى ذكره ، ولم يتركه فى الحيرة التى كان فيها يتلمس الحق ، بل آواه ونصره ، وأكمل له النعمة ، وأكمل به النعمة ، وجعله رحمة للعالمين .

قد كان صلى الله عليه وسلم عبدا لله ، فنى فى الله فأدى حقه كاملا . وقالت عائشة

رضى الله عنها : كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق ؟

وعن المغيرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حتى ترم قدماه ، فقيل له : أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا ؟

وقد كان شديد المراقبة والخشية . وفى جوابه لجبريل عن الإحسان ما فيه الغناء ، فقد أجابه بقوله :

« أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . وأسس بهذا قاعدة للمسلمين هى عمدة الصديقين ، وبغية السالكين ، وكنز العارفين ، وأدب الصالحين ، هى مشاهدة الحق بالقلب حتى كأنه يراه بعينه .

وبهذه العبودية والفناء فى ذات الله كان صوّاما قوّاما ، خائفا خاشعا ، ينزعج سره إذا لاحظ جلال الله ، ويمتلىء قلبه بهجة وأنسا إذا اطلع على جماله ورحمته . وبهذه العبودية أدى للخلق حقهم كاملا ، فاتجه الى إصلاحهم ، وكانت نفسه تفيض حزنا وأسى إذا وجد عنادهم . قد اعتبر نفسه جزءا من الكون ، وجوده بوجوده وصلاحه بصلاحه ، فلم يتصور لنفسه وجودا مستقلا . ولم يحفل بما فى الحياة من خير وشر ومال وجاه وولد وعصبية ، بل استهان بحياته فى مواقف كثيرة ، وعرضها للخطر ، واحتمل ألوانا من الإيذاء لا يصبر على مثلها إلا من كان عبدا لله مثله ، وطرح العداوات والضغائن والأحقاد ، وسار لا يلوى على شىء حتى اطمأن آخر الأمر الى أنه أدى الأمانة لله وللناس .

ولقد نظر الى الانسانية باعتبارها وحدة لا تمايز بين أفرادها إلا بالتقوى ، وجعل المؤمنين إخوة : لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى .

لذلك اختار الله له فى التشهد وصفين لا غير ، هما : أنه عبد الله ، ورسوله . فالعبودية التى اتصف بها قبل الرسالة وبعد الرسالة ، والتى صدرت أعماله جميعها عنها ، هى أساس

الفضائل ، وجماع الخير ، ودعامة التقوى ، وينبوع الإصلاح ، وليست إلا الفناء فى الله ، وفى إصلاح الجماعة تنفيذا لإرادة الله . والشعورُ بهذه الحقيقة هو الذى سعى له المصلحون ، ودعا اليه الداعون ، وعمل له المؤمنون ، وجاء لأجله الأنبياء والمرسلون .

وقد رتب الله على العبودية فى كتابه الكريم آثارا جليلة القدر لمن يعتبر ، فليس للهوى والشيطان سبيل على العباد « إنّ عِبادى ليس لك عليهم سلطان » « وعِبادُ الرحمن الذين يمْشون على الأرض هوْنًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سُجّدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصْرِف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرَاما . إنها ساءت مستقرا ومُقاما . والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يَقْتُروا وكان بين ذلك قوَاما . والذين لا يدْعُون مع الله إلها آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق » « ولقد سبقت كلمتنا لِعبادنا المرسلين . إنهم لهُم المنصورون » « وسلام على عباده الذين اصطفى » .

الى عبودية النبى صلى الله عليه وسلم وفنائه فى الله وفى خلق الله تنفيذا لإرادة الله يرد كل شىء من شمائله صلى الله عليه وسلم ، وهى معروفة فى السيرة مشهورة فى الكتب ، نلم منها الآن بقطرات من بحر لا ينفد . فقد كان كثير الضراعة والابتهال ، دائم السؤال أن يزينه الله بمحاسن الأدب ومكارم الأخلاق . ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم حسن خلقى وخلقى ، اللهم جنبنى منكرات الأخلاق » .

قالت عائشة : كان خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن : « خذ العفو وأمر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين » « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » . « واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » « ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىّ حميم » . « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » الى غير ذلك مما لا يحصيه العد من مكارم الأخلاق المنثورة فى القرآن .

ولما أتى بسبايا طىء وقعت جارية فى السبى فقالت : يا محمد إن رأيت أن تخلى عنى

ولا تشمت بى أحياء العرب، فإنى بنت سيد قومى، وإن أبى كان يحمى الذمار، ويفك العانى، ويشبع الجائع، ويطعم الطعام، ويفشى السلام، ولم يرد طالب حاجة قط. أنا ابنة حاتم الطائى!

فقال صلى الله عليه وسلم: ياجارية هذه صفة المؤمنين حقا، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، وإن الله يحب مكارم الأخلاق، ولايدخل الجنة إلاحسن الأخلاق.

وقال معاذ: أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم باتقاء الله، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام، وبذل السلام، وحسن العمل، وقصر الأمل، ولزوم الإيمان، والتفقه فى القرآن، وحب الآخرة والجزع من الحساب، وخفض الجناح. وقال: أنهاك أن تسب حكيما، أو تكذّب صادقا، أو تطيع آثما، أو تعصى إماما عادلا، أو تفسد أرضا. وأوصيك باتقاء الله عند كل شجر ومدر، وأن تحدث لكل ذنب توبة، السر بالسر والعلانية بالعلانية.

وكان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعف الناس. وكان أسخى الناس، لايبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فضل شىء ولم يجد من يعطيه وفاجأه الليل لم يأو الى منزله حتى يتبرأ منه الى من يحتاج اليه. وكان أشد الناس حياء، لايثبت بصره فى وجه أحد. يجيب دعوة الحر والعبد، ولا يستكبر عن إجابة الأمَة والمسكين، ينصف لربه ولا ينصف لنفسه، وينفذ الحق ولو عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه. يأكل ماحضر ولايرد ما وجد، يعود المرضى ويشهد الجنائز، ويمشى وحده بين أعدائه. يكرم أهل الفضل فى أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم. لا يجفو على أحد، ويقبل معذرة المعتذر، ويمزح ولايقول إلا حقا. لا يحتقر مسكينا لفقره، ولا يهاب ملكا لملكه. يدعو هذا وذاك دعاء مستويا الى الله. جمعت له السيرة الفاضلة، والسياسة الكاملة التامة، فسبحان من أدبه وسبحان من صاغه!

هذه بعض صفاته الخلقية التى حلاه الله بها وفطره عليها. أما ماجاء به من هدى ووحى

متلو وغير متلو ، فهو كلمات الله وهدى الله ، اختاره لتبليغها وشرفه بحملها . والحديث عنه حديث الدهر . وسوف يفنى الزمان قبل أن تدرك أسراره الباهرة وحكمه البالغة .

أسأل الله أن يهب المسلمين ما وهب أسلافهم من رشاد، ويبصّرهم طريق السداد ، وأن يعيد عليهم هذه الأعياد محفوفة بالبركات مجملة بالخيرات :

وأن يرعى حضرة صاحب الجلالة الملك « فاروقا الأول » برعايته، ويؤيده بتوفيقه ؛ وأن يوفق الحكومة الى تحقيق آمال البلاد وإسعادها بالعدل والرفق والبر والخير !

وأنتهز هذه الفرصة المباركة لأقدم لحضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء شكر الأزهر على ما أعلنه من تصريحه القيم ، الدال على جميل تقديره لرسالة الأزهر، ورعايته لمصالحه وحقوقه ، وعلى شدة عنايته بالدين وأهله .

والله أكرم مسئول وأقرب مدعو ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والحمد لله أولا وآخراً .

الروح الاسلامية ومدى تأثيرها

فى النفس البشرية

٣

المقومات الروحية للذات الانسانية

الانسان جسد وروح ، فهو بهذا الجسد المادى يندرج فى جملة الكائنات الأرضية وتسرى عليه نواميسها ، وهو بروحه يتصل بالعالم الروحانى ويتناسب وكائناته العلوية ، فى عالم أرفع من هذا العالم . وكما هو فى حاجة الى مدد يستبقى به وجوده المادى من طريق التغذى والتنفس ، كذلك هو فى حاجة الى مدد نورانى يستديم به صلته بالعالم الروحانى . وكما أن الانسان ينحل جثمانه ويزول بحرمانه من المدد المادى ، كذلك هو يخرج عن إنسانيته ويتدلى الى عالم الحيوانية إن حرم من المدد المناسب لروحه .

والانسان مدفوع بغرائز طبيعية فيه الى التكمل فى هاتين الناحيتين ، فمحاولاته لحفظ ذاته دفعته للاجتماع على أمثاله ، والتكافلُ الأدبى والمادى الناتج من هذا الاجتماع كشف له من مساتير الكون ومكنونات العلم ما مكنه من تسخير قوى طبيعية كان قد ألهها فى أزمان جاهليته وعبدها . وهذا الترقى العلمى فتح له باب الإبداع الصناعى ، فبلغ منه الى مستوى ما كان يتخيل أن يبلغه ، وهو يحاول أن يرتقى فيه الى ماهو أرفع شأنا منه .

وأما محاولاته لاستبقاء الصلة بينه وبين العالم الروحانى فلم يقصر فيها الانسان فى عهد من عهوده ، فقد أثبت علم الاجتماع أنه قد كان يدين بدين حتى فى أقدم أدواره ، بحيث لا يمكن أن تصادف جماعة من جماعاته الأولية محرومة من صلة روحانية .

نعم إن هذه الصلة كثيرا ما صادفت عقبات فى طريقها ، تارة من طغيان سذاجة الجهالة عليها ، وطورا من تدخل الوسطاء فيها ، ولكن أشد ما أصيبت به كان من ناحية

سطوة العلم المادى عليها ، بإثارة الشبهات ضدها ، راميا بذلك الى تجريد العقلية الانسانية من آثار التعاليم الدينية ، زعما منه أنها بقية من بقايا الجاهلية ، وأن العلم يقوم مقامها من ناحيته الفلسفية .

ولكن المدبر الحكيم تدارك الروح الانسانية بأن كشف لها من عالم الروح ، بطريق البحث العلمى ، ما كان العلم يظنه من الخيالات الوهمية ، فعاد للدين الخالص سلطانه الأول ، ولكن مؤيدا فى هذه الدفعة بالعلم نفسه ، فكان انتصاره آية من آيات الله فى خلقه ، ومصداقا لقوله : « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز » .

ويحسن بنا فى هذا المقام أن نستشهد الفلسفة الأوربية نفسها بعد حدوث هذا التطور العظيم فيها ، فإليك :

قال الفيلسوف الفرنسى الكبير (أرنست رينان) فى كتابه (تاريخ الأديان)(١) :

« من الممكن أن يضمحل ويتلاشى كل شىء نحبه ، وكل شىء نعده من ملاذ الحياة ونعيمها ، ومن الممكن أن يبطل استعمال القوة العقلية والعلم والفن ، ولكن يستحيل أن ينمحى التدين أو يتلاشى ، فسيبقى أبد الآبدين حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى الذى يرمى الى حصر الفكر الانسانى فى المضايق الدنيئة للحياة الترابية » .

وقال الفيلسوف الفرنسى النابه (أجوست سباتييه) فى كتابه (فلسفة الدين)(٢) :

« لماذا أنا متدين ؟

« إنى لم أحرك شفتى بهذا السؤال مرة إلا وأرانى مسوقا للاجابة عليه بهذا الجواب وهو : أنا متدين لأنى لا أستطيع أن أكون خلاف ذلك ، لأن التدين لازم معنوى من لوازم ذاتى .

« يقولون ذلك أثر من آثار الوراثة أو التربية أو المزاج .

---

(1) Ernest Renan, Histoire des Religions .

(2) Auguste Sabatier, Philosophie de la religion .

« فأقول لهم قد اعترضت على نفسى كثيرا بهذا الاعتراض عينه ولكنى وجدته يعقد المسألة ولا يحلها . وأن ضرورة التدين أشاهدها بأكثر قوة فى الحياة الاجتماعية البشرية ، فهى ليست أقل تشبثا منى بأهداب الدين .

الى أن قال :

« إذن فالدين باق وغير قابل للزوال ، وهو فضلا عن عدم نضوب ينبوعه بتمادى الزمن ، نرى ذلك الينبوع يتزايد اتساعا وعمقا تحت المؤثر المزدوج من الفكر الفلسفى والتجارب الحيوية المؤلمة » انتهى .

هذا لسان الفلسفة الأوربية العصرية ، ولا بد لنا من التنبيه هنا على أنها إذا ذكرت الدين فإنما تقصد به الدين بمعناه المطلق ، لا شكلا متحجرا من أشكاله التى لا تدخل تحت حصر .

وقد تبين لنا مما تسجله الفلسفة على نفسها أن الدين باق لا تعدو عليه العوادى ، لأنه لازم معنوى من لوازم الفطرة الانسانية (فطرة الله التى فطر الناس عليها) ، ولأن ينبوعه من غرائز النفس ، لا يفتأ يزداد اتساعا وعمقا على مدى الأيام تحت تأثير الفكر الفلسفى والتجارب الحيوية .

ولكن الذى يراه الناقدون بأعينهم ، أن الدين يلاقى من الناس عنتا اليوم ، فهم يتهافتون على الشهوات ، ويطرحون وصاياه وتعاليمه ظهريا ، بل يتجاهرون بمنابذته ، ومناهضة حفظته الى أبعد الحدود الممكنة .

نعم : لا نكران لهذه الظواهر ، ولكنها لا تنافى الحكم الفلسفى بأن الدين مطلوب الفطرة الانسانية ، وأنه يزداد سلطانا وصولة عليها يوما بعد يوم . فلو سألت مستهترا فى إباحته : هل تكره الدين ؟ لأجابك بقوله : معاذ الله ، ولكن أين هو ؟ أنا أتوقعه جمالا معنويا باهرا ، وروحا علويا فاتنا ، يخلعنى بقوته القاهرة من خسة الشئون الأرضية خلعا ، وينقلنى ولو برهة الى عالم الكمال الأقدس ، لأشعر بلذة السمو على هذه المادة ،

والخلاص من نيرها . وإن صحبته عقائد فأريد أن تكون حقائق أولية مطلقة ، لا تتناقض وما أحصله من ثمرات التفكير الحر ، والنظر المستقل ، وما يفتح على به من أسرار العلم ، وما أكتشفه من مساتير الوجود ، لأستطيع أن أمضى تحت نورها قدُما الى تحقيق أسمى أغراض الحياة الانسانية ، والوصول الى أبعد غايات المدنية .

هذا ما تسمعه من كل مفكر فى هذا العصر ، فإن ألفيته شاكا ، فليس هو بشاك فى سمو الدين الذى يتطلبه ، وفى ضرورته له ، ولكنه شاك فى وجوده ، بل وفى إمكان وجوده على الأرض .

لسنا بسبيل الإفاضة فى هذه المواطن ، ولا فى التوفيق بين ما يبدو متناقضا فى سيرة الانسان المعاصر ، وإنما نحن بسبيل التدليل على أن الذات الانسانية فى حاجة ماسة الى مقومات روحانية ، تجعل الصلة بينها وبين عالم الروح مستمرة ، باعتبار أن هذه الصلة من ضرورياتها الأولية ، وإن أعتى العقول فى هذا العصر لتعترف بسلطان هذه الحاجة عليها ، فهل الاسلام وهو خاتمة الوحى الإلهى هو المثل الأعلى الذى تتطلبه النفوس البشرية ، وحاصل على المقومات الروحانية ؟

قد تم لنا التدليل على كل ما مر من هذه المسائل إلا المسألة الأخيرة الخاصة بالاسلام ، وإنها لموضوع هذه المقالة .

ألا يكون أوقع فى النفس ، وأثلج للصدر ، وأبعد عن الظن ، أن نستشهد بعالم أجنبي فى صحة نظرنا الى الاسلام من هذه الناحية ؟

نعم ، فاليك :

كتب الأستاذ الجليل سِنِكْس فى المجلة الروحية التى تصدر بباريس[1] مقالات متتابعة عن الأديان ، نقد كلا منها نقداً صريحا ، فلما انتهى الى الاسلام كتب عنه مقالا فيما ختمه بقوله :

(1) Sénex, La Revue Spirite .

« الاسلام الخالص من كل التعاليم الخاصة بالشعوب الطفلة ، ومن كل الشروح الضالة لأقوال النبي ، يظهر لنا أنه أعلى ما يمكن أن يعرف من الصلات التى يجب أن توجد بين الانسان وخالقه ، وأكثرها انطباقا على الطبيعة والمنطق » .

هذه أصح وأعدل شهادة قالها عالم عارف بالنفسية الانسانية ، فإن الاسلام الخالص يمثل أرفع صلة يمكن أن توجد بين الانسان وقيوم السموات والأرض ، بعد سحق جميع القواطع بينها وبينه ، بحيث يكون معها متعرضا لإشراقاتها بدون حجاب من عقيدة تقليدية ، أوحالة نفسية وراثية . فقال الله تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا (أى مائلا عن العقائد الباطلة) ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وقد شرح النبي صلى الله عليه وسلم هذه الفطرة فقال : « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » . أى أن المراد بإقامة دين الفطرة أن يكون الانسان على الحالة التى ولدته أمه عليها ، خالصا من كل صورة ذهنية ، ومن كل شائبة نفسية .

فالاسلام تحت ضوء هذه النصوص الصريحة يقتضيك أن تبرأ الى الله قبل الدخول فيه من علمك وحولك وموروثاتك ، ومما علمت ، وما تخيلت ، وما أملت ، مسلما نفسك اليه ، مجردا روحك له ، تاركا العلوم ومماضلها ، والفلسفة ومسائلها ، والعادات وتناقضها ، والأديان وتخالفها ، والأمم وتناحرها ، والأهواء ومواطنها ، والوجود المادى ومافيه ، ثم تتوجه بقلب خالص من الشوائب ، وضمير خال من الأدناس ، ونفس صافية من الرعونات ، الى قيوم السموات والأرض ، فارّا اليه من الأغيار ، لاجئا اليه من دعوى الأنانية والاستقلال ، معتصما به من التلونات البشرية ، راغبا اليه أن يهديك لمراشده فى هذه الحياة وما بعد هذه الحياة .

هذا ما يقتضيه منك الاسلام أول ماتدخل فيه ، فلو نظرت فيه نظرا علميا

لرأيت أنه المطلب الذى رمت اليه جهود جميع الفلاسفة والمصلحين ، وسائر فرق الصوفية الأولين والمحدثين ، وعجزت مجتمعة عن تدعيمه هذا التدعيم العلمى العملى على الفطرة الانسانية ، وعن إقامته أصلا أوليا للدين ، وتعميمه بين الناس أجمعين .

فلو اعتبرت كل ما كان يتواصى به العباقرة والعلماء من أصول التمحيص ، وقواعد التحليل ، لإقامة الدستور العلمى على قرار ثابت ركين ، وما كان يتناقله المتصوفون من أسرار تصفية النفس من الأغيار ، وتخلية القلب من جميع الآثار ، للوصول الى الحق من وراء كل ستار ، لو اعتبرت كل هذا ونظرت الى معنى الاسلام الذى قدمناه لم تعد تحار فى تعليل حدوث ذلك الأثر المدهش بواسطته من انتقال أمة برمتها من دور الجاهلية الجهلاء ، الى دور الحياة الصالحة التى بلغت بالسير عليها الى الزعامة العالمية فى أقل من قرن من الزمان .

نعم : لم تعد العقول تحار فى تعليل الأثر العالمى الضخم للاسلام بعد ما تبين لها أن أساس الاسلام هو الإملاس من كل ما ران على صفحة القلب من الأضاليل والأوهام ، والوراثات والتقاليد ، وتعريضه خالصا نقيا للحق يطبع فيه من صور الخلال الكريمة والأصول القويمة ، والمبادىء السليمة ، ما يجعله إنسانا جديدا متحليا بكل القوى المعنوية التى ترفعه الى المرتبة التى يستحقها على قدر استعداده جسدا وروحا .

وهل نال الأفذاذ من كرام هذا النوع ما وصلوا اليه من المراتب الروحية العالية ، إلا بواسطة ما هُدوا اليه من هذه التخلية ، فلما جاء الاسلام جعل هذه التخلية التى أفنى العباقرة قواهم فى الوصول اليها أساسا أوليا للدخول فيه . فإن تعجب من انقلاب وحوش الجاهلية الضارية الى أتقياء زَهَدَة ، ومصلحين بررة ، ومن تطور خُشُبها المسندة الى هِيم منهومين(١) يتصيدون كل علم ، ويتلمسون كل حكمة ، ويقتبسون كل فضيلة ويتطلبون كل خير ، ويتحرون كل حق ، ويكافحون كل باطل ، حتى وصلوا

(١) هيم اى عطاش جم هائم . والمنهومين أى المصابين بالنهم وهو بلوغ شهوة الطعام الى أقصى حدودها

الى أعلى ما يمكن أن تصل اليه أمة من جلال وعظمة وسيادة فى سنين معدودة . إن تعجب من هذا فإن أعجب منه أن يَغْبَى الباحثون عن هذا السر العظيم ، وهو الشرط الأول للاسلام عند المسلمين .

فالاسلام بأخص معانيه يحقق لروح الانسان حاجتها من المدد الروحانى ، فإذا أقامه الآخذ به حق إقامته ولو لحظات فى صلواته ، نال من الفيض الإلهى ما يأخذ بيده الى مكانات الفاضلين ، ومراتب الأفذاذ الممتازين ، وليس بعد الحوادث برهان ، ولا فوق العيان سلطان ؟

محمد فريد وجدى

تقبيل اليد وغيرها فى الاسلام

روى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عبد الله بن عمر قال : كنا نقبل يد النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن حديث وكيع عن سفيان قال قال : قبل أبوعبيدة يد عمر بن الخطاب .

ومن حديث الشعبى قال : لقى النبى صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبى طالب فالتزمه وقبل ما بين عينيه .

وقال إياس بن دغفل : رأيت أبا نضرة يقبل خد الحسين .

وروى الشيبانى عن أبى الحسن عن مصعب قال : رأيت رجلا دخل على على بن الحسين فى المسجد فقبل يده ووضعها على عينيه فلم ينهه .

وقال العتبى : دخل رجل على عبد الملك بن مروان فقبل يده وقال : يدك يا أمير المؤمنين أحق يد بالتقبيل لعلوها فى المكارم وطهرها من المآثم ، وإنك تقل التثريب ، وتصفح عن الذنوب ، فمن أراد بك سوءا جعله الله حصيد سيفك ، وطريد خوفك .

ودخل جعفر بن يحيى فى زى العامة وكتمان النباهة على سليمان صاحب بيت الحكومة ومعه ثمامة بن أشرس . فقال ثمامة : هذا أبو الفضل . فنهض اليه سليمان فقبل يده . وقال له : بابى أنت ما دعاك الى أن تحمل عبدك هذه المنة التى لا أقوم بشكرها ولا اقدر أن أكافئ عليها ؟



سورة الرعد

– ١٢ –

بسم الله الرحمن الرحيم

(كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ) :

لقد تجلت فى الآى السابقة الآيات والنُذر، واتضحت الدلائل والحجج ؛ وتبيّن الطريق لمن ابتغى الهدى من ربه، وتميّز الخبيث من الطيب لمن استعمل عقله ورجع الى لبه، فلم يبق لمتأخر تعلل ولا لمكابر وجه ؛ وليس بعد هـذا إلا العناد يصدر من عدو نفسه فيحرمه سعادة لا شك فيها ولا ريب ولا بعد ولا حجاب . فعلى هذا الوجه المنير ، وبهذا المسلك المضىء ، أرسلناك الى أمتك ، وقد خلَت من قبلها أمم كانوا أشد شكيمة وأقوى عنادا ، فما كنت بِدْعا فى الرسل ، ولا كان قومك أول من عادى مصلحته ورفض الخير يهدى اليه صريحا ، فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، فما أنت إلا رسول جئتهم بالوحى من ربك تتلوه عليهم ، شاهدا لنفسه بنفسه أنه الحق من الملى الأعلى ، فما عليك أن يرفضوه ، ويكفيك أنك قمت بما كلفت القيام به ، فدعهم يكفرون بنعمة الرحمن أنزلها اليهم وأدناها منهم ، فما وبال الحرمان إلا على من يكفر بالرحمن .

فاسم الإشارة فى كذلك عائد على إرساله صلى الله عليه وسلم الذى تجلى فى الآيات السابقة بآياته وحججه، وتعاليمه الواضحة لذوى العقول، وإرشاده السائغ فى نظر أولى الألباب. أعاد عليه اسم الإشارة ليبرزه بصورته التى ظهرت ناصعة جميلة فيما تقدم من الآيات، وشبّه به إرساله تعالى له صلى الله عليه وسلم تنويها بشأن ذلك الإرسال، وكأنه لم يوجد ما يشبّه به إلا نفسه. وبعبارة أوضح: إنه شبّه الإرسال العام بهذه الصورة التى تجلت فى هذا المقام.

ونظير هذا فى مجرى التخاطب العادى أن تؤدى موضوعا على وجه يروقك وتصير معجبا به، فتقول مفتخرا بما كان منك: «على هذا الوجه أؤدى عملى دائما» أو «هكذا أصنع فيما عهد به الى» وأمثال ذلك، تريد من جهةٍ التنويهَ بشأن ما صدر منك، ومن جهةٍ أخرى إثباتَ أن هذه عادتك وهذا شأنك.

وقوله: «فى أمة قد خلت من قبلها أمم» من باب تهوين أمرها عليه صلى الله عليه وسلم حتى لا يشتد عليه عنادهم، فهى بمثابة أن يقال: وماذا يضيرك من خلافهم عليك، وهل هى إلا أمة وكم تقدمها من أمم كانوا أشد منها قوة وأكبر عنادا فخلوا وخلت منهم ديارهم؟ فلا يهولنك أمرهم، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، إن أنت إلا نذير تتلو عليهم الذى أوحينا اليك، وهم يكفرون بالرحمن الذى ما أرسلك إلا رحمة للعالمين، فدعهم فى غيهم يعمهون، وامض لسبيلك لا تكلف إلا نفسك، وبشر المؤمنين الذى قبلوا رحمة الرحمن المهداة اليهم.

هذا هو ما أستحسنه فى توجيه قوله: «فى أمة قد خلت من قبلها أمم».

وبعض المفسرين يرى أن المقصود من الوصف بأنها خلت من قبلها أمم أنها مرت بتجارب من قبلها: وأحرزت علومها مضمومة الى نتائج تفكيرها، فكانت أمة مكتملة العقل راجحة الميزان بتأخرها فى الزمن عن الأمم الخالية. فيكون الغرض شد أزره صلى الله عليه وسلم وتقوية اتجاهه واهتمامه بما عهد اليه به، فقد أرسل الى أمة هى

نتيجة الأمم قبلها، مرّت بها أدوار الأزمنة، وتجلت لها العبر، وقويت منها المدارك، فحقها أن يبذل قصارى الجهد فى دعوتها وتربيتها وإرشادها حسبما يليق بمنزلتها.

ويكون قوله بعد ذلك: « وهم يكفرون بالرحمن » من باب تعظيم أمر موقفهم بإبراز شناعته بعد ما أبرز منزلتهم العقلية على وجه يفيد النضوج. وكان حاصل المعنى: قد أرسلناك الى أمة خطيرة الشأن ضمت الى علومها ومعقولاتها نتائج علوم من سبق من الأمم قبلها، ثم أنت تدعوهم الى أمر خطير جد الخطر هو أن يقلعوا عما انغمسوا فيه من الكفر بنعمة المنعم، ورفض رحمة الرحمن، فشمّر عن ساقك، فما أخطر شأن المدعوين، وما أخطر شأن ما تدعو اليه! والآية لا تأبى هذا ولا الوجه الأول. ويلوح لى أن الوجه الأول أقرب. والله أعلم.

وبعضهم يرى أن اسم الإشارة فى قوله « كذلك » راجع الى إرسال الرسل السابقين المستفاد من قوله بعدُ: « قد خلت من قبلها أمم ». وبعضهم يرى رجوعه لما سبق فى قوله تعالى: « قل إن الله يضل من يشاء ويهدى إليه من أناب » أى مثل نفاذ أمره فى الإضلال والهداية أرسلناك فى أمة الخ، فهو الفعال لما يشاء، لا يخضع لاقتراح المقترحين من المعاندين والمتعنتين.

وقوله: «فى أمة» أى الى أمة. ووجه اختيار «فى» على «الى» الإشارة الى أن المرسل اليهم هم من نشأتَ بينهم وعرفوك وخبروك، فلا تخفى عليهم شمائلك التى اختارها الله لك، فالحجة عليهم بذلك أقوى « لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك » أى لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الشأن. ويستفاد عِظمه من ذكر صفته بدل ذكر اسمه، فكأن أهم شىء يسترعى النظر فيه هو أنه وحينا اليك، وكفى به عظما. وإسناد أوحينا الى ضمير المتكلم المعظم يُقوّى ذلك؛ ثم تقديم الجار فى قوله «عليهم» للبدء بالمقصود الأهم من هذا الإيحاء، وهو تحصيل مصالحهم، فمن حقهم أن يكونوا أحرص الناس عليها؛ ولتتشوف النفس الى ذكر المتلو، فإذا صرح به تلقفته النفس عن شوق، فكان أرسخ فى العقل.

ومن جمال التعبير فى الآية الكريمة أنه فى جانب الإرسال لاحظ أنها أمة تمثل كتلة واحدة ، وكذلك فى خلو الأمم قبلها أفرد الضمير العائد عليها لأنه يحضرها جملة واحدة ، فلما ذكر التلاوة عليها أتى بضمير الجمع «عليهم» وهو يحضر المرجع على وجه التفصيل ، فكأن التلاوة كانت على الأفراد كل واحد منهم قصداً قصدا ، وهذا هو الشأن فى التبليغ : أن يكون قد وُجّه الى كل مكلف ليبلغه ولتقوم عليه الحجة . وكذلك فى قوله :« وهم يكفرون بالرحمن » فإن كفر كل كافر لاحقٌ بخويّصة نفسه ، لا يلحق الأمة منه مجتمعة إلا ما يكون من تفريطها فى نهيه ، أو من باب شؤم المعصية تتفشى فلا تصيب الذين ظلموا خاصة . ولكن الأصل فيها أن لا تزر وازرة وزر أخرى . وجملة وهم يكفرون بالرحمن حال من «أمة» . وسوّغ الحال منها وصفها بجملة قد خلت من قبلها أمم ، أى أرسلناك اليهم حال كفرهم بالرحمن ؛ أو حال من الضمير فى عليهم . وقد كان يتلو عليهم ما أوحى اليه حتى فى حال كفرهم ، فقد كان لهم من العقول ومعرفة وجوه الإعجاز ما يُعدّهم لقبوله وفهمه ؛ وكثير منهم آمن لمجرد سماع تلاوته ؛ ومنهم من كان يشارف الإيمان بل يعترف بقلبه ويثنى عليه بلسانه ثم تنفخ فيه العزة القومية والحمية الجاهلية بكبريائها فإذا هو ناكص على عقبيه ، أرأيت ذلك الذى قال : «والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وما هو من كلام البشر» ثم لما قالوا له : صبوت الى محمد قال : أمهلونى ، ورجع الى غيه وضلاله : « قل إن الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب » . فيكون المعنى أرسلناك الى أمة كافرة بالرحمن لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك حال كفرهم ، فلعلهم يقلعون عن كفرهم ، ويتبعون ما تلوته عليهم .

« قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب » :

أمرٌ له صلى الله عليه وسلم من قِبل ربه بأن يقابل كفرهم بنعمة الرحمن عليهم وبرحمته وألوهيته ، بما يدل على الاعتراف بربوبيته تعالى له ، وأنه المفيض عليه من نعم الإيجاد والتربية والتكميل ما يطلق لسانه بالإقرار ، ويملأ قلبه من الإذعان والايمان ، ثم يلقمهم

الحجر بإثبات أنه الإله الواحد، لا إله إلا هو، فليس لهم من يستنصرون به فينصرهم، أو يستجيرون به فيجيرهم، فهو وحده الله الذى لا إله إلا هو. ثم فتّ من عضدهم، وأوقع الرعب فى قلوبهم بإعلانهم أنه توكل عليه واعتمد عليه، وهو القوى الغالب لا إله إلا هو، أى فهو ناصره ومؤيده عليهم، وخاذلهم ومنتقم له منهم.

وقوله: «واليه متاب» أى رجوعى فى كل أمورى، أو أتوب اليه وأستغفره مما عسى أن يكون قد فرط منى. فعلى الأول يكون «واليه متاب» من تقرير الغرض السابق وهو اعتزازه بربه القوى الغالب. وأما على الثانى وهو أن المراد أنى أتوب اليه وأرجع عما فرط منى من تقصير فأستغفره منه، فإن موقعها يكون من باب تهيئة الفرصة وفتح الطريق لمن شارفت الهداية قلبه، وتعريض بهم ليثوبوا الى رشدهم فيقبلوا على ربهم، أى أنى مع قيامى بما أمرنى به جهد استطاعتى أرجع وأتوب اليه وأستغفره من ذنبى، فكم يكون حريا بكم وهو ربكم الذى خلقكم ووهبكم النعم التى ترفلون فيها، وقد عصيتموه وتعرضتم لغضبه، أن تتوبوا اليه وتستغفروه، فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

اللهم إنا نتوب اليك ونستغفرك، فاقبل توبتنا، واغفر زلتنا، إنك غفور رحيم. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ؟

ابراهيم الجبالى

فضل الصداقة على القرابة

قيل لبزرجمهر (وهو حكيم فارسى): من أحب اليك: أخوك أم صديقك؟ فقال: ما أحب أخى إلا إذا كان لى صديقا.

وقال أكثم بن صيفى: القرابة تحتاج الى مودة، والمودة لا تحتاج الى قرابة.

وقال عبد الله بن عباس: القرابة تقطع، والمعروف يكفر، وما رأيت كتقارب القلوب.

وقالت الحكماء: رب أخ لك لم تلده أمك. وقالوا: القريب من قرب نفعه. وقالوا: رب بعيد أقرب من قريب.

سوانح ونصائح

١ — المجادلات لا توصل الى الحق، والكلام لا ينتهى ولا يفرغ مهما كان الحق واضحا لمن أراد أن يشاغب. وإنك لتعلم أن إبليس لم يخضع للأمر الإلهى، بل جادل كل المجادلة فى سجوده لآدم، ولم يقتنع بشىء مع كون خصمه هو الله. وقد قال تعالى فى حق قوم من المعاندين: « وإن يَروْا كلَّ آية لا يؤمنوا بها وإن يَروْا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا، وإن يَروْا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ». وقال: « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلُّوا فيه يَعرُجون لقالوا إنما سُكِّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ». وقال فى المتعنتين أيضا: « ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا » الى آخر ما جاء فى القرآن وهو كثير. ومن درس استعداد الانسان عرف أنه مجمع العجائب والغرائب، ومظهر المتضادات والمتناقضات.

٢ — المحبة، أو نقول العواطف والأميال، تجعلك عميا عن كل شىء إلا ما يوافق هواك ونزعاتك. وقد قال الله فى حق قوم: « وجعلنا على قلوبهم أكِنّة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا ». فاذا كان هذا فى حق القرآن الذى هو آيات بينات فكيف بغيره!

٣ — عرفتنا الحوادث السياسية بعد الحوادث التاريخية كيف تضل الأمم فى الواضحات ولا تدرك الجليات. وبهذا عرفنا مقدار الأنبياء وقوة استشعارهم بالحق حتى لم يؤثر فيهم الوسط الذى هم فيه، ولم يرعهم إجماع البيئة التى نشئوا فيها، ولم تشككهم مخالفة جميع الناس لهم، ولا أوحشهم انفرادهم فى طريق الهدى، والناس مطبقون على الضلال يسيرون على غير هدى ولا بصيرة كأنهم لا يبصرون ولا يعقلون. فانظر كيف لم تتسرب الوساوس الى نفوسهم عليهم السلام مع كونهم يرون إطباق الناس على الباطل، بل اعتقدوا بقوة نور بصيرتهم أن الناس سائرون فى الظلمات،

فهم مساكين يرثى لهم ، وجهلة يبكى عليهم ، حيث إنهم يجهلون ولا يعلمون أنهم يجهلون .

فليت شعرى مامقدار ذلك النور الذى لم تؤثر فيه تلك الظلمات ، ولا أطفأته عواصف الشكوك والشبهات ، ولا قوة المخاصمات والمجادلات ، ولا كثرة الوجدانات والاعتقادات . وكأنهم يرون الغيب شهادة ، وما وراء الطبيعة محسوسا ، حتى قبل الرسالة والوحى ، بفضل ما أوتوا من استعداد رفيع وطهارة ذاتية : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) . فحاذر أن يغرك إجماع ذوى الجهالات وإطباق ذوى الظلمات ، واعرف استعداد الانسان واعتقد أنه قابل لكل شىء من الحق والباطل والضلال والهدى الخ ، فلا تحترمهم فى السياسات ولا فى الطبيعيات ، ولا فى شىء من الأشياء إلا بالبرهان الساطع ، وسل الله التأييد والتسديد .

٤ — يمكنك أن تعيش فى عصر السلف الأول بل فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك بقصرك نفسك على كتب الدين وسيرة الصالحين . ويمكنك أن تعيش فى أى عصر من العصور بتلك الوسيلة . فإن الانسان ليس إلا عبارة عما ينقش فى نفسه ، وما يصدر منه إنما هو مقتضى تلك النقوش .

٥ — لا عبرة بغير الأشياء العملية واكتساب العلم الصحيح ، وتكوين ملكته فى النفوس لا يكون بغير العمل . ولا قيمة لتلك النظريات وإن تبعها كثير من التشدق والثرثرة . وما الانسان إلا صورة مما يحيط به وينقشه فى نفسه . فمن الغلط البين اغترار كثير من الناس بالعلوم النظرية حتى يظن ذووها أنهم اتصفوا بها وفازوا بثمرتها . مع أن هذا الصنف من الناس فى علمه هو بمنزلة من قال الله فيهم : « قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان فى قلوبكم » . وقد قالوا : العلم يهتف بالعمل ، فإن أجاب وإلا ارتحل . تذوق العلم وتكييف النفس به لا يكون إلا بالعمل ، وإلا كان شقشقة فى العلماء تشبه النفاق فى المؤمنين ، وكان ممن حق عليهم قول الله تعالى : « لِمَ تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » !

وقد أذكرنى هذا لمناسبة مّا ما يحكى من أن الشيخ محيي الدين بن العربى رأى جنازة الفيلسوف ابن رشد ومؤلفاته محملة أمامه، فسأل عنه فقيل إنه الإمام ابن رشد وهذه كتبه، فقال :

هـذا الامام وهـذه أعمـاله ياليت شعرى هل أتت آماله

يريد بذلك أن هناك فرقا كبيرا بين العلم العملى الذى يسيطر على القلوب وتكيف به الأذواق وتنصبغ به النفوس، وبين العلم النظرى الذى تؤديه الألسنة ويبرع فيه المتشدقون : « ومِن النَّاس من يعجبُك قولُه فى الحياة الدنيا ويُشهد اللهَ على ما فى قلبه وهو ألدُّ الخِصام » .

ومن ذلك الوادى ما يزعمـه كثير من الجهـلة أو من ذوى الأغـراض الخبيثة من تحبيذ السفور والاختلاط، خصوصا فى المتعلمات، اعتمادا على ما تلقنه فى تعليمهن من تلك النظريات التى لا تسمن ولا تغنى .

وهـؤلاء المغرورون كأنهم ليسوا فى الوجود، فلم يعتبروا بالتجربة والمشاهدة والنتائج السيئة التى نراها كل يوم من جراء ذلك الاختلاط، فقد جهلوا الفلسفة والدين، فإن الأمر طبيعى شديد له أكبر سلطان على النفوس بمقتضى الغريزة، والنظريات لا تقاوم الطبيعيات. ولـكن ما لهم ولتلك التحليلات الفلسفية وهم أرباب شهوات وأهواء لا دين وفلسفة : ولهذا لم يكتف الله تعالى بالعظات النيرات والزواجر البالغات، بل شرع الحدود والتعذيرات، علما منه بما جبلت عليه النفوس البشرية « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ». وقد كان عندنا وظيفة تسمى وظيفة الحسبة . ولعلنا نكتب فيها بعد .

أسأل الله أن يهـدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، وألا يكلنا الى أنفسنا طرفة عين بمنه وكرمه ؟

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

باب الأسئلة والفتاوى

حد الرشد

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الازهر ما خلاصته :

رجل مات عن أولاد ذكور وإناث ، ويراد إقامة وصى عليهم ، فما رأى علماء الشافعية والمالكية فيما يعتبر به الشخص ذكرا كان أو أنثى ، بالغا رشده ، مالكا التصرف فى ماله ؟

محمد عمر دمرداش

الجواب :

يعتبر الشخص عند الشافعية ذكرا كان أو انثى رشيدا مالكا أن يتصرف كل التصرفات المالية ، إذا كانت سنه خمس عشرة سنة ؛ أو ظهرت عليه علامة من العلامات الطبيعية للبلوغ ، بعد أن تكون سنه تسع سنين فأكثر ؛ ويجب أن يكون فى كل من الحالتين حسن التصرف فى ماله .

أما المالكية فالذى جرى عليه العمل عندهم أن الولد ذكرا كان أو أنثى تكون تصرفاته المالية ماضية ، إذا كان بالغا حسن التصرف فى ماله .

ويعتبر بالغا إذا ظهرت عليه علامة من علامات البلوغ الطبيعية ، أو كانت سنه ست عشرة سنة . والله أعلم ؟

التيمم

سيدة مسلمة شافعية المذهب مريضة بمرض مزمن « دوسنطاريا » ويتحرك هذا المرض كلما اغتسلت فى الغالب الأعظم بنسبة ٨٥ ٪ فيعاودها المرض بحالة تختلف شدة وحدة ، حتى لتستمر فى العلاج مدة تتراوح بين ثلاثة أشهر وستة .

فما رأيكم فى جنابة مثل هذه السيدة ، وكيف تتوضأ ، وهل لها أن تتيمم للطهر من الجنابة ، أو تغتسل بعد كل جنابة ، وإذا تيممت للطهر من الجنابة ، فهل تكرر هذا التيمم عند كل صلاة ، ثم تتوضأ بالماء ولو لم ينتقض وضوء الصلاة السابقة ؟

مشتركة بالمجلة

الجواب :

مذهب الشافعية أن هذه السيدة إذا عرفت بتجربة من نفسها أن المرض يعاودها إذا هى اغتسلت بالماء ، كان لها أن تتيمم للجنابة ، وعليها أن تغسل مع التيمم مالا يضرها غسله من بدنها ، ولا تصلى بهذا التيمم أكثر من فرض واحد ، ولها أن تصلى به ما شاءت من النوافل ، فاذا أرادت ان تصلى فرضا آخر ، وجب عليها إعادة التيمم ، وهى كالأصحاء فى الوضوء متى قدرت عليه .

وعند المالكية لا يجب عليها أن تتوضا فى هذه الحالة ، ولا أن تغسل ما تستطيع غسله ، بل يكفيها التيمم متى كانت غير قادرة على الاغتسال ، وعليها أن تكرر التيمم لكل صلاة مفروضة .

ولهذه السيدة أن تعمل بمذهب المالكية ، والله أعلم ؟

الرضاع

رجل يريد التزوج بابنة عمته ، وأمه تدعى أنه رضع من عمته ، وعمته تنكر ذلك ، وكل منهما يصر على قوله ، ولا شاهد هناك سوى ذلك ، فهل يجوز لهذا الرجل التزوج بابنة عمته المذكورة ؟ محمد السعيد صقر

الجواب :

لا تثبت حرمة الرضاع بين الرجل والمرأة عند الحنفية والشافعية والمالكية بقول امرأة واحدة .

وعلى ذلك يحل لهذا الرجل أن يتزوج بابنة عمته المذكورة ، والله أعلم ؟

الطلاق

رجل غضب مع زوجته ، فذهبت الى بيت أبيها ، ثم دخلت عليه جارته ، وقالت له : « مالك زعلان مع زوجتك » فقال لها : « ماهش زوجتى ولا أعاشرها ولا تدخل على البيت ولا هى على ذمتى » فسئل عما يقصده من هذه الألفاظ ، فقال : «الطلاق» . وقبل أن تنقضى عدتها خوطب فى مراجعة زوجته ، فأجاب « تكون حراما زى أمى وأختى لا أروحها الى يوم

القيامة » . وبعد سنة أشهر انقضت فيها عدتها راجع اليمين بغير عقد ، وعاشرها مدة ست سنوات رزق منها خلالها بولد وبنت ، وبعد وفاة الولد والبنت ، حصل نزاع بين الزوجين فأخرجها الزوج من بيته ، وأحضر المأذون وقال أمامه : « تروح وهى خالصة » وكانت الزوجة فى ذلك الوقت غائبة عن المجلس ، وبعد مضى أربعين يوما ، أحضر المأذون ثانية لأخذ حقها وللبراءة ، ولاثبات الطلاق ، فأرسل المأذون للزوجة شاهدين للتبرئة ، فأبرأته أمامهما ، وأخبرا المأذون بذلك ، فقال للزوج قل لها « روحى بمثل ماقلت » فقال الزوج ذلك ، وبعد ثمانية أشهر تقريبا أراد الزوج أن يراجع زوجته ، فهل يحل له ذلك أو لا يحل ؟

محمد عبد الحافظ السيد

الجواب :

يجوز لهذا الرجل أن يرجع زوجته إلى عصمته بعقد ومهر جديدين ، ويملك عليها بعد ذلك أن يطلقها مرتين عند الحنفية ، ولا يملك عليها إلا مرة واحدة عند الشافعية . والله أعلم ؟

فى الميراث

أخت توفيت عن بنتين شقيقتين ، وأخت شقيقة ، وثلاثة ذكور أولاد ابن . فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ، وما نصيب كل ؟

زينب احمد يوسف

الجواب :

المفهوم من السؤال أن المرأة توفيت عن بنتيها ، وعن أختها الشقيقة ، وعن ثلاثة ذكور ، هم أولاد ابنها ، والميراث فى هذه الحالة للبنتين ، ولأولاد الابن الذكور ، فللبنتين الثلثان ، ولأولاد الابن الباق ، ولاشىء لأختها الشقيقة ، لانها محجوبة بأولاد الابن ، والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

اللغة الادبية

واختلاف اللهجات العربية قبل الاسلام

يتمسك بعض الباحثين بنظرية اختلاف اللغات عند العرب قبل الاسلام فى صدد البحث عن صحة الأدب الجاهلى المنقول الينا على ألسنة الرواة معزوا الى العرب السابقين.

وحديث اختلاف لغات العرب قديم، تكلم فيه علماء اللغة وأئمة الأدب منذ فجر النهضة الاسلامية دون أن يفضى بهم البحث الى عدم التسليم بصحة الكثرة المطلقة من هذا الأدب، ولكنهم عرفوا أن منه مصنوعا منحولا، فبهرجوه وأرجعوا ذلك الى أسبابه العلمية بمقاييس من النقد والتحقيق.

قال محمد بن سلام الجمحى فى كتاب طبقات الشعراء: «وكان ممن هجن الشعر وأفسده وحمل منه كل غثاء، محمد بن إسحاق مولى آل مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكان من علماء الناس بالسير، فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لى بالشعر، إنما أوتى به فأحمله. ولم يكن ذلك له عذرا، فكتب فى السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط، وأشعار النساء، فضلا عن أشعار الرجال، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود، أفلا يرجع الى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ ومن أداه منذ ألوف من السنين والله يقول: «وأنه أهلك عادا الأولى وثمودَ فما أبقى» وقال فى عاد: «فهل تَرى لهم من باقية» وقال: «وعادٍ وثمودَ والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله»؟ قال يونس بن حبيب: أول من تكلم بالعربية اسماعيل بن ابراهيم، وأخبرنى مسمع بن عبد الملك أنه سمع محمد بن على يقول: قال أبو عبد الله — وأظنه قد رفعه: «أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه اسماعيل بن ابراهيم» وأخبرنى يونس عن أبى عمرو قال: العرب كلها ولد اسماعيل إلا حمير وبقايا جرهم. وكذلك يروى أن ابراهيم جاورهم وأصهر اليهم، ولكن العربية التى عنى محمد بن على هو اللسان الذى نزل به القرآن.

وقال أبو عمرو بن العلاء : « ماالسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا »

هذا كلام ابن سلام ، ومنه ترى أن العلماء الأعلام تنبهوا الى نظرية اختلاف اللغات وأثرها فى تمييز الأدب الصحيح من الزيف ، حتى جعلوها أسا من أسس نقد الأدب وتصحيح عزوه لقائليه .

وقال العلامة ابن خلدون فى مقدمته : « وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميرى وتصاريف كلماته ، تشهد بذلك الأنقال الموجودة لدينا خلافا لمن يحمله القصور على أنهما لغة واحدة ، ويلتمس إجراء اللغة الحميرية على مقاييس اللغة المضرية وقوانينها ، ولغة حمير لغة أخرى مغايرة للغة مضر فى الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها » .

هذا الاختلاف الواسع الذى تُصوره عبارة ابن خلدون يجعل لغة قبيل من العرب مستقلة تمام الاستقلال عن لغة القبيل الآخر ، مغايرة لها فى قواعد تصريفها وحركات إعرابها حتى تكون منها بمنزلة لغة أخرى أجنبية عنها ، لايصدق إلا على عهود العرب السحيقة واستقرار شعوبهم فى مواطنهم الأولى قبل حوادث الهجرة التى مزجت بينهم مزجا سوّغ للجاحظ أن يقول عنهم فى كتاب البيان والتبيين : « فأما الخواص الخلص فإنهم قالوا : العرب كلهم شىء واحد ، لأن الدار والجزيرة والأخلاق والشيم واحدة ، وبينهم من التصاهر والتشابك والاتفاق فى الأخلاق وفى الأعراق من جهة الخؤولة المرددة والعمومة المشتبكة ، ثم المناسبة التى بنيت على غريزة التربية ، وطبيعة الهواء والماء ، فهم فى ذلك شىء واحد ، فالطبيعة والهمة والشمائل واللغة كلها واحدة» .

لكن بعد هذا المزج والاختلاط بين الشعوب العربية فى الشمال والجنوب ، قد أخذ هذا الاختلاف اللغوى يخف ويتضاءل شيئا فشيئا ، حتى أشفى على الزوال ، وتوحدت اللغة العربية عند جميع القبائل فى ظل اللغة المضرية ، ولم يبق إلا هذا « الاختلاف فى لهجات القبائل اختلافا لا يخرجها عن أن تعد لسانا واحدا ، وأن يكون هذا اللسان

ذا قوانين تجرى فى هذه اللهجات بأسرها» . وقد نبه العلماء على مواطن هذا الاختلاف وسموه اختلاف لغة . قال ابن فارس فى كتاب فقه اللغة : « باب . القول فى اختلاف لغات العرب : اختلاف لغات العرب من وجوه : أحدها الاختلاف فى الحركات ، كقولنا نَستعين ، ونِستعين — بفتح النون وكسرها » . ثم ذكر ابن فارس على هذا النحو قرابة ثمانية عشر وجها ، الى أن قال : «وكل هذه اللغات مسماة منسوبة الى أصحابها ، وهى وإن كانت لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تعاورها كلّ » ويسميه ابن جنى فى كتاب الخصائص « بُعْداً » وأثبت مع هذا البعد أنها لغة عربية فقال : « ويكفى من هذا ما نعلمه من بُعْد لغة حمير من لغة نزار ... غير أنها لغة عربية قديمة » . وقول أبى عمرو بن العلاء : ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا ، يحمل فى أعطافه تأييد ما ذهبنا اليه .

على أن قوله : وأقاصى اليمن ، يشير الى أن هذا الاختلاف الذى عناه أبو عمرو إنما كان فى الأصقاع النائية قبل اختلاط العرب اختلاطا تاما برحلة اليمنيين إثر حادث السيل الى الشمال ، وتوطن كثير منهم الحجاز ، ورحلة بعض الحجازيين الى اليمن . فقد روى أبو الفرج فى الأغانى أن ربيعة — وهى قبيلة عظيمة العدد ، حجازية المنشأ ، عدنانية الأصل — استوطنت اليمن حينا من الدهر ثم خرجت منه . قال فى ترجمة « المرقش الأكبر » : وكان من خبر المرقش الأكبر أنه عشق ابنة عمه « أسماء» بنت عوف بن مالك — وهو البرك — عشقها وهو غلام ، فخطبها الى أبيها ، فقال : لا أزوجك حتى تعرف بالبأس . وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن .

وإذا رجعنا الى التاريخ وجدنا فى ثناياه ما يحقق نظرية توحّد اللغة العربية قبل الاسلام بقرون كثيرة ، ولا سيما اللغة الأدبية ، أى لغة الشعر والخطابة ، وأحاديث المجتمعات فى الأسواق وغيرها ، فابن خلدون يقول : إن العرب العاربة هم الفاعلون للعروبية والمبتدعون لها . ولا يستطيع أحد أن يزعم أنه يعرف كنه تلك اللغة التى ابتدعها

العـرب العاربة أول نشأتهم ، إذ لا يوجـد أثر أدبى صحيح من الوجهة التاريخية يدل على حقيقتها ، ولا قيمة لهذا الشعر الذى يرويه محمد بن إسحاق فى سيرته معزوا الى عاد وثمود ، وقـد عرفت شأنه فى كلام محمـد بن سلام المتقـدم ، ولـكننا نجد ابن الأثير يقول فى الجزء الأول من تاريخـه عن هؤلاء العرب العاربة : « وكانوا عربا ، لسانهم عربى ... ويتكلمون بهذا اللسان المضرى » وهو أيضا ليس فى يده دليل على هذه الدعوى إلا ذلك الشعر المزور .

بيد أن مؤرخى العرب مجمعون على أن القحطـانيين كانوا معـاصرين لإخوانهم من العرب العاربة ، ومظاهرين لهم على أمورهم . وهنا يجدر بالباحث أن يتساءل أمام هذه الحقيقة التاريخية : أفكانت المعاصرة والمظاهرة تتم دون لغة عامة تسود الشعبين جميعا ليقع بها التفاهم الذى تقضى به الحياة الاجتماعية فى قوم متعاصرين متظاهرين يضمهم وطن واحـد ؟ وهـل كانت تلك اللغة شيئا غير العربية التى صار اليهـا القحطانيون فاستحقوا التسمية بالعرب المستعربة فى رأى كثير من المؤرخين ؟

أما العدنانيون فهم فى حقيقة أمرهم قحطانيون يرجعون فى أرومتهم الى جرهم الثانية التى جاءت الى الحجاز وعمرته حتى هاجر اليه ابراهيم عليه السلام ، وأسكن من ذريته اسماعيل بين هؤلاء العرب الخلّص الذين هاجروا من أوطانهم ، ولهم جميع خصائص العـروبية من أخلاق وعادات وآداب ، ولاسيما اللغة التى هى المظهر الطبيعى لأية أمة من الناس ، ولم يقل أحد من المؤرخين إن جرهما هـذه كانت ترتضخ عجمة ، أو أن لسانها انفلت عن العربية الى غيرها بعـد أن حلت بالحجاز واتخذته نُزُلا لها ، وليس فى وجود اسماعيل بينهم ما ينزع عربيتهم ويحولهم الى حال أخرى ، لأن اسماعيل أتى به أبوه الى الحجاز رضيعا كما هو صريح حديث البخارى ، ولم يكن معه من غير العرب سـوى أمه هاجر ، فالمعقول أن يـكون وجود اسماعيل صغيرا فى خضم تلك الـكثرة الجرهمية الغامرة من العرب الصرحاء الأقحاح يجعل منه عربيا فى أخص صفاته ، وهو

اللغة التي عليها مدار التفاهم العام ، بل التفاهم الخاص الذي يقضي به مقام اسماعيل بينهم .

وليس في الحديث الذي رواه ابن سلام « أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه اسماعيل بن ابراهيم » متمسك للمخالفين ، لأنه — على تقدير صحته — « لايدل إلا على أن اسماعيل نسي لغة أبيه ابراهيم ، ومقتضاه أن العدنانية الذين هم من ذريته قد خلقوا ينطقون بالعربية ، وليسوا هم الذين محيت لغتهم الأولى من صدورهم ، وثبتت فيها هذه اللغة المستعارة » . على أن السهيلي روى في كتاب (التعريف والأعلام) من طريق ابن عبـد البر عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن أول من كتب بالعربية أبوهم اسماعيـل » قال ابن عبد البر : هذا أصح من رواية : أول من تكلم بالعربية اسماعيل .

وقد علمت فيما سبق أن ابن سلام قال : إن العربية في هذا الخبر هو اللسان الذي نزل به القرآن ، وهـذا يتفق مع ماروواه الطبراني وذكره الجاحظ في البيان والتبيين « أول من فتق لسانه بالعربية المبينة اسماعيل » لأن المراد بالعربية المبينة هذه اللهجة الفصحى ، وهي لغة القرآن الحكيم ؟

صادق ابراهيم عرجون

الاستدلال باللحظ على الضمير

قالت الحـكماء : العين باب القلب ، فما كان في القلب ظهر في العـين .

وروى أبوحاتم عن الأصمعي عن يونس عن ابن مصعب عن عثمان بن ابراهيم بن محمد أنه قال : إني لأعرف في العين إذا عرفت ، وأعرف فيها إذا أنـكرت ، وأعرف فيها إذا لم تعرف ولم تنكر . أما إذا عرفت فبحوص ، وأما إذا أنـكرت فبجحظ ، وأما إذا لم تعرف ولم تنكر فبسجو .

نقول : (الحوص) بفتحتين : ضيق مؤخر العـين . و (الجحظ) بفتحتين أيضا : اتساع المقلة وبروزها . و (السجو) بفتح فسكون : سكون العين .

وقال محمود الوراق :

إن العيون على القلوب شـواهد ... فبغيضها لك بـين وحبيبها
وإذا تلاحظت العيون تفاوضت ... وتحـدثت عمـا تجن قلوبهـا
ينـطقن والأفواه صامتـة فما ... يخـفى عليـك بريئها ومريبها

سفر بعثة «فؤاد الاول» للازهر

كلمة جامعة لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

سافرت أول بعثة أزهرية الى البلاد الأوربية للتخصص فى بعض العلوم العالية ، وهى من أجل ما ثر حضرة صاحب الفضيلة الامام الشيخ المراغى ، لأن الأزهر بعد اليوم سيحل مكانه بين الجامعات العالمية الكبرى بفضل ما يجمع أهله بين الثقافتين . وقد شيع فضيلته أول بعثة نا ثرا عليهم من نصائحه دررا غوالى ، فقال حفظه الله :

أبنائى الأعزاء :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله » .

أما الذين فكروا فى هذه الهجرة فالله سبحانه هو العليم بنياتهم ، وأسأله أن يوفر لهم أجرهم ، وأما أنتم فأرجو أن تكون هذه نياتكم ، وأن تشمروا بمقدار العبء الذى حملتموه . أريد منكم وأريد من الأزهر الشعور بالواجبات الانسانية العامة للجماعة البشرية ، فقد أدى العلم واجبه نحو هذا الجماعة ، وفكّر فى الكون وقدّر ، واهتدى الى السنن الإلهية وانتفع بها ، فأفاد الناس منه خيرا عظيما ، وقد صحب هذا الخير شرور طغت عليه وأربت ، ذلك أنّ تقدم العلم لم يسايره تقدم التأثير الدينى والروحى ، فجاءت آثار العلم والقلوب مقفرة من خشية الله ورهبته ، والعقول تنظر الى الأديان نظرها الى شىء تاريخى خال من الحياة والبهجة والأنس والسرور . ولو أن حملة الدين سايروا حماة العلم وتقدموا بقوة اليقين ، يحببونه للناس ، ويرغبونهم فى الفضيلة من حيث هى ، ويدعمون الحياة الروحية بالأساليب الجذابة ، ويؤاخون بين العلم والفضيلة ، لكان الناس اليوم فى سعادة وهناءة .

وجد شيء من الاستقرار فى نظام العالم، وضعفت هذه العداوات التى تخلقها المادة وتثيرها شهوات الاستمتاع . وإذا كان رجال السياسة لا يحجمون عن فتح البلدان وسفك الدماء بدعوى تمدين هذه البلدان ، فكيف يتوانى رجال الدين عن فتح سلمى لا يسفك فيه دم ولا يطعن فيه برمح ، وماهو إلا موعظة حسنة ، ونصح لله ولرسوله ، وإرشاد الى الفضائل والخير ، والى بيان حقوق الفرد وحقوق الجماعة ، بحيث لا يطغى الفرد على الجماعة والجماعة على الفرد . وقد كان أسلافكم خير الدعاة ، وخير الهداة ، وأفضل من ضحى بنفسه فى سبيل إسعاد الجماعة .

أنتم أيها الأبناء نواة هؤلاء الهداة ، وسيكون لكم إن شاء الله إخوان يلحقون بكم يسعد بكم وبهم الأزهر أولاً ، ثم تسعد بهم الأمم الاسلامية ، ثم تسعد بهم الجماعة البشرية .

أرسلكم الأزهر وهو ينتظر وقلبه يخفق ، وأنا واثق من أنكم ستكونون بهديكم وبقولكم وعملكم ومحبتكم أحسن الأمثلة لخريجى الأزهر الشريف ، وستكونون بجدكم فى تحصيل العلم وتفهم الأساليب ومعرفة طرق البحث ودراسة العقليات الغربية من المجاهدين الصابرين ، ولا تغفلوا عن أنكم ستجدون من العلماء وطلبة العلم وطلبة الحقيقة من يحتاج منكم الى تصحيح رأيه فى الاسلام ، وإلى عرض الاسلام عليه ونشر فضائله وبيان خصائصه ، فى هذه الحالة يكون واجبكم واجب المرشد ، وواجب المعلم الناصح لا واجب التلميذ . أنتم فى البلاد التى ستقيمون فيها مرشدون أولاً وتلاميذ ثانيا ، ولا يعفيكم واجبكم الثانى من واجبكم الأول الذى هو فى الحق المقصد الأسمى من هجرتكم . وفقكم الله !

« والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » صدق الله العظيم ؟

ترجمة القرآن الكريم

تلقى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الازهر بحثا علميا مستفيضا فى ترجمة معانى القرآن الكريم من صاحب الفضيلة السيد محمد بن الحسن الحجوى وزير المعارف فى حكومة المغرب الاقصى ، فننشره لحضرات القراء لما فيه من الفوائد العلمية .

سأل سائل : هل تجوز ترجمة القرآن العظيم الى اللغات الأخرى غير العربية ؟ وهل ترجمته تسمى قرآنا ؟ وهل تنزل منزلته فى أحكامه كالصلاة به ، والوعظ ، وأخذ الأحكام الفقهية الفرعية والأصولية ، وعدم مسه للجنب والحائض ، الى غير ذلك من الأحكام . ؟

وجوابها : أن ترجمة القرآن العظيم الى اللغات الغير العربية للعارف الماهر فى العربية وفى اللغة الأخرى التى يريد الترجمة اليها بحيث يكون عارفا بالنحو والصرف والبيان بفنونه ، وبالأصول مع أسباب النزول ، وكل الآلة التى توصله لذلك ، ويكون عارفا بما يناسب ذلك من اللغة التى يترجم اليها ، أمر جائز لا بأس به كما تقتضيه الأدلة الشرعية .

وقد استدل الامام الشاطبى فى الموافقات على جواز ترجمة القرآن باجماع الأمة على جواز تفسيره للعامة ومن ليس له من الفهم ما يقوى به على إدراك كل معانيه الدقيقة . كذلك الامام البخارى استدل فى صحيحه على جواز ترجمة القرآن الى لغات الأعاجم بعكسه ، وهو ترجمة التوراة الى العربية بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم ، ويأتى لنا نصه قريبا .

بناء عليه : تجوز ترجمته ولو كانت الترجمة مقتصرة على بيان أصل المعنى المدلول بالصراحة أو بالظاهر للجملة المترجمة ، ولو خلت عن بيان الدقائق والمعانى التى لا يتفطن لها إلا مهرة العلماء وتتعذر ترجمتها الى اللغة الدارجة العامية أو غيرها من اللغات ، بل ترجمته من الأمور المرغب فيها ، بل يصح لنا أن نقول إنها من فروض الكفاية التى يجب على الأمة القيام بها ، فاذا قام بها البعض سقط عن الباقين القيام بها ، وإن لم يقم بها أحد أثم الكل .

برهان ذلك : أن القرآن تبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فى خطبته المشهورة غداة فتح مكة ، وفى خطبته فى حجة الوداع : « فليبلغ الشاهد منكم الغائب » كما فى أصح الصحيح ، وقال : « بلغوا عنى ولو آية » ، وقد أوجب الله على رسوله التبليغ فقال : « يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » ، فالنبى صلى الله عليه وسلم بلغ

العرب بلسانهم كما قال تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » ، ويجب على العرب أن يبلغوا لغيرهم من الأمم نيابة عنه ، ولذا قال لهم : بلغوا عني ولو آية . ومن المجمع عليه أن رسالته صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الامم ، ولا يمكن التبليغ لجميع الأمم عادة إلا بالترجمة للغاتهم . فالواجب لا يتأدى إلا بترجمة القرآن العظيم لجميع اللغات ترجمة مدققة بقدر الامكان ، فمادامت أمة من الامم لم يترجم القرآن الى لغتها ففرض الكفاية لم يؤد ، ولم يحصل القيام بالتبليغ من الأمة كما ينبغي .

فالواجب على أمم الاسلام تأليف لجنة من فحول العلماء والمترجمين لترجمة القرآن الى سائر اللغات ، ونقد الترجمات الموجودة منه ، والفحص عنها وإصلاح أغلاطها . وتكون هذه اللجنة أحد فروع جمعية الدعاية الاسلامية التى يرى بعض علماء الأزهر وجوب القيام بها لتقوم الأمة بالواجب الذى فرضه القرآن عليها ، وهو التبليغ ، والدعوة الى مكارم الدين الحنيف ، والكشف لعموم الأمم عن حقائقه وشرائعه ، وما فيها من خير للبشر عامة .

ولا نريد بالترجمة إبدال كل لفظ بما يرادفه أو يقاربه فى اللغة الأخرى ، فهذا غير ممكن فى كل آياته ، وإذا أمكن فى البعض كان فى الغالب غير مصيب روح المعنى ، فهو إذن تبديل ، وربما يقال عنه تحريف ، إذ ما يظن من الترادف أو التقارب قد لا يكون كذلك ، وها نحن نرى كثيرا من الألفاظ فى لغتنا يظن ظانون أنها مترادفة فاذا هى متخالفة . وإنما نريد ترجمة المعنى الأصلى الظاهر من كل جملة مع ما يتبعه من المعاني التى تقتضيها دقائق العربية وبلاغتها بقدر الامكان ، ومتبعا فى ذلك رأى الجمهور من المفسرين ، وإن لم تمكن الاحاطة بكل المعاني العظيمة التى احتوى عليها اللفظ المنزل من حكيم حميد . كما أنه لا يمكن الاتيان بكل ما يشتمل عليه من طرق الاعجاز الراجعة لفصاحته وطلاوة لفظه ومتانة أسلوبه ولطائف إشاراته وغير ذلك مما هو مقرر فى وجوه إعجازه ، لأن ذلك لا تفى به أى ترجمة كانت ، ولا مطمع فى الوفاء به لمكان إعجازه الذى ينقضى الدهر ولا تستقصى عجائبه وغرائبه ، إذ هو تنزيل من حكيم حميد . هذا هو المراد من الترجمة التى تكلمنا آنفا على حكمها .

إذا تبين ذلك فهذه الترجمة لا نسميها قرآنا ، ولا كلام الله ، ولا نعطيها أحكامه اللفظية وحرمته الشرعية ، وإنما هى بمنزلة التفسير والشرح لبعض المعانى بقدر الامكان . وسنورد أدلة هذه الأحكام بعد .

أجوبة ملاحظات : فان ادعى مدع أن تبليغ مجمل ما جاء فى الدين الاسلامى كالايمان والاسلام ووجوب الأركان الخمسة من صلاة وصوم وزكاة الى آخرها ، كاف ، وأنه لا يتعين إبلاغ القرآن كله لكل الأمم ، فعليه بيان دليل ذلك التخصيص ، وإلا فظاهر قوله تعالى : « بلغ ما أنزل اليك من ربك » هو العموم للقرآن ، بل السنة أيضا ، ونحن نائبون عنه ، قائمون مقامه بعده فى التبليغ لسائر الأمم ، وذلك يكون بلسانها .

وإن ادعى مدع إلزام تلك الأمم بتعلم العربية حتى نتمكن نحن من تبليغها اليها بالعربية فغير خفى أن هذه الدعوى أيضا لا دليل عليها، بل عمله عليه الصلاة والسلام وعمل الصحابة والتابعين مع الأمم يردها. فما ثبت قط أنه ألزم أحداً ممن أسلم بتعلم لغة القرآن، ولا فعل ذلك أحد من بعده، بل ثبت أنه عليه الصلاة والسلام كلم أهل اليمن بلغتهم كما فى شفاء عياض وغيره، وقال عليه الصلاة والسلام كما فى أصح الصحيح: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه». كل ذلك تسهيل على الناس كى لا يلزموا بلغة خاصة، فاذا كان اليمنى والهوزانى والتميمى لا يلزمون بتعلم لغة قريش التى نزل بها مع سهولة انتقاله من عربية الى عربية فغير العربى أولى وأحرى. وقد كان عليه الصلاة والسلام يأمر أصحابه بتعلم اللغات ليبلغوا عنه، فقد أمر زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود ولغة السريان، فكان يبلغ عنه اليهم، وعنهم اليه عليه الصلاة والسلام. وهكذا كان عمر بن الخطاب: فكم فتح من أقطار أقوام لهم لغاتهم كفارس والروم وأرض السودان المصرى والبربر ببرقة وطرابلس وما كان يامر قواد جيوشه باتخاذ التراجمة مع من لم يعرف العربية من هاتيك الأمم. وكان أبو جمرة ترجمانا لابن عباس حين كان واليا على البصرة ليترجم بينه وبين الناس، بل كانت دفاتر الخراج والمالية تكتب فى كل أرض بلغتها، ويتولاها كتاب الفرس والروم والقبط وغيرهم الى زمن عبد الملك بن مروان الذى فيه نقلت الدواوين للعربية، وكل ذلك مقرر عند فقهائنا ومؤرخينا، فلا نطيل فيه.

وهل ما يفعله المفسرون فى تفاسيرهم كابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل وابن جبير إلا ترجمة للقرآن فى المعنى؟ ولذلك سمى ابن عباس ترجمان القرآن. وهذا اسماعيل حقى فى روح البيان يفسر لنا القرآن بالفارسية، وغيره فسره بغيرها، وأقرهم علماء أعلام، وارتضوه منهم ومدحوهم عليه. وكل أولئك ترجمات للقرآن العظيم.

لعمرى كيف يتصور الزاعم لمنع الترجمة إسلام أهل الهند والصين والترك والخزر والسريان والروم والبربر والزنوج وغيرهم من الامم الأعجمية والتى ما زالت متمسكة بلسانها؟ وكيف وصل الاسلام لاعماق قلوبها؟ أمع فهمها معانى القرآن ومبادئه ومكارمه، أم مع جهلها به؟ بل لا نشك أنها فهمت ذلك بقلوبها ووعته فى رءوسها، وذلك بعد ترجمة القرآن الى لغتها بقدر الامكان، إذ لا يشك مسلم أن الدين إنما انتشر بالبرهان والاقناع لا بالسيف ولا بالعنف. وأعظم برهانه هو القرآن ومكارمه وعجائبه. قال الله تعالى: «وجاهدهم به جهادا كبيرا». وقد لقيت بعض الطلبة الذين يعلمون القرآن للبربر ببلادنا فحكى لى أنهم يترجمون معناه أولا لمن يريد أن يحفظه، حتى إذا فهم معناه بقدر الامكان يسهل عليه حفظه وإلا فلا، قال: وهكذا هو عملهم منذ أزمان، وعليه وجدوا من قبلهم.

فقولنا بجواز ترجمة القرآن ليس اختراع حكم لمسألة لم تكن وقعت، نريد حدوث وقوعها،

بل هو حكم مسالة واقعة ثابتة منذ أزمان . فالذى يقول بعدم الترجمة أو بمنعها لا أظن إلا أنه غلب عليه الخيال ، إذ سبح فى بحره المحيط بجرفه . ولو أنه دقق ماضى الاسلام وحقائق التاريخ ومشاهدات الواقع ، ما خالف فى هذا الأمر الضرورى ، ولا تردد ولا احتاج الى استفتاء .

إن رسالة النبي عليه السلام عامة لجميع الامم باجماع المسلمين . قال عليه السلام : «أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي . الى ان قال : وكان النبي يبعث الى قومه خاصة و بعثت للناس عامة» الحديث . وقال تعالى : « قم فأنذر » وقال : « لأنذركم به ومن بلغ» . ويلزم من عموم الرسالة وجوب ترجمة القرآن لسائر الأمم . هذا ما لا يمترى فيه أحد فيما أظن .

روينا فى البخارى فى كتاب التوحيد : باب مايجوز من تفسير التوراة وكتب الله بالعربية وغيرها لقول الله تعالى : «قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » وقال ابن عباس أخبرنى أبو سفيان بن حرب أن هرقل دعا ترجمانه ثم دعا بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقرأه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل « ياهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » الآية . ثم أورد بسنده الى أبى هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويقرءونها بالعربية لاهل الاسلام فقال صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا : آمنا بالله وما أنزل ـ الآية . وأورد بسنده أيضا حديث ابن عمر فى يهودى ويهودية زنيا وأتى النبي صلى الله عليه وسلم بهما فقال : فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . فجاءوا (الحديث). يقول البخارى : «وغيرها» يدخل فيه ترجمة القرآن الى لغة الأعاجم أخذا بالقياس على ترجمة التوراة . فهو نص فى عين المسالة من إمام مجتهد عظيم محتج بالقياس على ترجمة التوراة من العبرانية الى العربية . وقال فى فتح البارى : قول البخارى بالعربية وغيرها : والحاصل أن الذى بالعربية مثلا يجوز التعبير عنه بالعبرانية وبالعكس ، وهل يتقيد الجواز بمن لا يفقه ذلك اللسان أو لا؟ الأول قول الأكثر اه .

وقال أيضا قوله :لقوله تعالى : « قل فاتوا بالتوراة » الآية ، وجه الدلالة أن التوراة بالعبرانية ، فقضية ذلك الأذن فى التعبير عنها بالعربية . قال بضده عفا الله عنه : وعكس ذلك يجوز أيضا بحكم قياس المساوى ، فيجوز التعبير عن القرآن العربى بالعبرانية وغيرها ، إذ لا فرق ، بل قد يقال إن القرآن أولى لا ن الرسالة عامة ، فالضرورة قاضية بترجمته ، بخلاف التوراة فترجمتها للحاجة أو للكمال لا للضرورة لعدم عموم رسالة موسى عليه السلام .

وقال فى فتح البارى أيضا على حديث ابن عباس السابق : ووجه الدلالة منه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل باللسان العربى ولسان هرقل رومى ، ففيه إشعار بانه اعتمد فى إبلاغه ما فى الكتاب على من يترجم عنه بلسان المبعوث اليه ليفهمه ، والمترجم المذكور هو الترجمان وكذا وقع ، بل الحديث واضح الدلالة فى جواز ترجمة القرآن لغير العربية حيث

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم مشتمل على آية قرآنية ، وهى : « يأهل الكتاب تعالوا » الآية ، وقد كتب بها للنجاشى ملك الحبشة أيضا ولملك الفرس ولهرقل وكلهم أعجمى لا يعرف العربية . فهو إذن منه عليه السلام فى ترجمتها للغات المذكورة كلها . وقد جاء فى الصحيح عن أبى سفيان بن حرب أن هرقل لما جاءه الكتاب أحضر ترجمانه . وما جاء فى آية واحدة جاز مثله فى بقية القرآن العظيم .

وقال فى فتح البارى أيضا على حديث أبى هريرة قال ابن بطال : استدل بهذا الحديث من قال بجواز قراءة القرآن بالفارسية . وأيد ذلك بأن الله حكى قول الانبياء كنوح عليه السلام ممن ليس بعربى بلسان القرآن وهو عربى مبين ، وبقوله تعالى : « لأنذركم به ومن بلغ » . والانذار إنما يكون بما يفهمونه من لسانهم . فقراءة أهل كل لغة بلغاتهم حتى يقع لهم الانذار به . ثم نقل جواب من منع فلا نطيل به لما فيه من التكلف .

قال ابن جزى فى القوانين الفقهية : ومن لم يحسن القراءة إن كان لم يتعلمها وجب عليه تعلمها أو الصلاة وراء من يحسنها ، فان لم يجد فقيل يذكر الله ، وقيل يسكت ، ولا يجوز ترجمتها خلافا لأبى حنيفة . فيظهر منه أن أبا حنيفة يقول بجواز ترجمتها وصحة الصلاة بتلك الترجمة . وهذه مسألة فرعية لا ينبغى لنا أن نطيل فيها هنا ، فلها موضعها من كتب الفروع لا سيما الحنفية ، وهم قاطبة متفقون فى المعنى على جواز ترجمة القرآن العظيم للعارف . ثم إذا ترجم فمن كان عاجزا عن اللفظ العربى وجب عليه القراءة بالترجمة فى القول الأقوى عندهم ، وإن كان قادرا ففى المسألة خلاف ، هل يجوز له أن يقرأ بغير العربية أم لا ؟ وللحنفية فى المسألة تفاصيل وفروع مبنية على جواز ترجمة القرآن العظيم لا داعى لجلبها . ولا يجمل بالفقيه أن يتحكم بمذهبه على مذاهب أخرى ، ولا أن يتجاهل بقية المذاهب مع أن مراعاة الخلاف هى من أصول الفقه لا سيما فى المذهب المالكى ، وليس من المفيد مناقشة المذاهب ، بل الأولى احترام آراء المذاهب الأخرى وإعطاؤها حقها من الاعتبار .

والذى يتلخص لنا من كل ما سبق جواز ترجمة القرآن للعارف الى اللغات الأخرى ، بل ندبه بل فرضيته كفاية للضرورة القصوى لذلك ، لعموم الرسالة . وهذه مسألة وإن حكى الحافظ فيها خلافا كما سبق فهى من المسائل التى لا ينبغى الخلاف فيها إلا لو كان عموم الرسالة مختلفا فيه . أما حيث وقع الاجماع على عموم الرسالة فان الأمم كلها لها حق مشاع فى القرآن ، وهم متمسكون به ، فلهم الحق فى ترجمته ليفهموه ويأتمروا بأوامره وينتهوا بنواهيه ، ويتخلقوا بأخلاقه وينتفعوا بكل مافيه من المعانى العظيمة . وكذلك قراءة هذه الترجمة خارج الصلاة مما لا ينبغى الاختلاف فيه ، كالوعظ به والتذكير والخطابة ، الى غير ذلك .

أما فى الصلاة فهل تجزئ الترجمة أم لا . . ؟ محل نظر .

ويؤخذ من كلام الحافظ أن من لم يحسن النطق باللفظ المنزل العربى تجزئه الترجمة على قول ، بل تجب عند كثير من الحنفية . والقول القوى عند غيرهم هو عدم الاجزاء حيث إن النبى صلى الله عليه وسلم سأله من لا يحسن القراءة فأمره بذكر مخصوص ، فمن قال بعموم هذا فيمن لا يحفظ وهو عربى ومن لا يحسن وهو عجمى ، قال بعدم الاجزاء . ومن خصه بالأول قال بالأجزاء .

أجوبة ملاحظات أخرى : قد تورد تشكيكات ، فيزعم زاعم أننا إن أبحنا ترجمة القرآن ترتبت على ذلك مفسدة عظيمة وهى ترك الناس تعلم العربية واقتصارهم على ترجمة القرآن ، ويلزم على ذلك الاختلاف فيه . فان الترجمات قد لا تتفق فيقع لنا كما وقع لبنى اسرائيل من اختلاف نسخ التوراة السامرية والعبرانية واليونانية . وقد يقول أيضا : إن معانى القرآن كثيرة وهو تنزيل من حكيم حميد فلا يمكن مخلوقا أن يحيط بها فيترجمها ، وأن هذا شىء لم يفعله الصحابة ولا أهل الصدر الأول ، وبسبب تركهم له انتشرت اللغة العربية وعمت الأقطار وحصل منها مصالح كثيرة اجتماعية وسياسية ، فاتحدت ممالك إسلامية كثيرة لغة ودينا ، فنشأ عن ذلك اتحادها فى المجتمع وزال تنافرها . ولو أن الممالك الداخلة فى الاسلام اشتغلت بترجمة القرآن الى لغاتها ورأت أن ذلك جائز أو واجب كما قلت ، ما كانت مصر والعراق والشام وتونس والجزائر والمغرب الأقصى مهد العروبة فى تاريخنا هذا ، وابقيت على عجمتها متفرقة لسانا وتفكيرا وأدبا وثقافة ، وآل ذلك الى الافتراق فى الدين أيضا ، لكن تركهم هذا الأمر المتيسر وارتكابهم الشاق الذى هو إبدال اللغة كان ذلك دليل عدم جواز ترجمة القرآن .

ونحن نقول فى جواب هذه الشبهات : إننا تكلمنا عن المسألة من حيث الحكم الشرعى وما يظهر من الادلة القرآنية والحديثية ، ومن فعله عليه الصلاة والسلام وفعل الخلفاء المقتدى بهم بعده ، لا من حيث علم الاجتماع والسياسة فذلك باب آخر لا ننكره ، ولكنه شىء لم يعتبره الشرع فى هذا الحكم بالخصوص ، فانه لو كلف الأمم بابدال لغاتها لكان غاية فى العسر ، والدين يسر كله والحمد لله ، ودرء المفاسد وسد الذرائع معلوم أنه من أصول الشرع الاسلامى على رأى مالك وابن حنبل . وقد بسطنا القول على هذا الأصل فى الجزء الأول ثم الثالث من الفكر السامى ، وقررنا أنه يعمل به ما لم تعارضه النصوص ، أما حيث عارضته النصوص فلم يبق محل لاعتبار تلك الذرائع . على أن تلك الذرائع عارضتها ذرائع أخرى أقوى منها ، فان ذريعة نشر الاسلام وتبليغه أقوى فى نظر الشرع من ذريعة نشر اللغة . والنبى صلى الله عليه وسلم جاء مبلغاً للدين ، وهو الذى أوجب عليه تبليغه لا اللغة . وتبليغه واجب كتابا وسنة وإجماعا . أما نشر اللغة فلم يبلغ درجة الواجب ، كما أنه ليس فى درجة الحاجة فضلا عن الضرورة . وإنما هو فى رتبة الكمال ، فكيف نقدم الكمالى على الحاجى أو الضرورى ، أم كيف نقدم المندوب على الواجب ؟

على ان ترك ترجمة القرآن لا نتيقن منها حصول نشر اللغة وإنما هو موهوم ، بل ربما كانت ترجمة القرآن وتبليغ معانيه مشوقا لتعليم العربية ، فترجمة القرآن هى التى يتسبب عنها نشر اللغة فى الواقع .

هـذا وقد كانت فى ذلك الزمن الذى كانت الأمم تترك فيه لغتها وتتمسك بلغة القرءان ، عوارض قـد ساعدت انتشار اللغـة بسبب النشاط الذى كان يبديه العرب الحضريون والبدويون . فهم بانتشارهم فى الأرض مع ما كانوا عليه من لطف الطباع ولطف لغتهم الفصحى ودقة ذوقهم فى التعبير والأدب الجم الذى حواه اللسان العربى المبين ، والامتزاج بالأمم والتآخى معها ونشر العدل والاتصاف بالورع والزهد ، مع ما كان لهم من الدولة والقوة والعزة ، ذلك كله هو الذى ساعد اللغة فى تقدمها وانتشارها الى أن عمت هذه الأقطار وغيرها ، وانتشرت الانتشار المدهش فى الهند الى اسبانيا والبرتغال حتى صارت هى لغة هذه البلاد العامة . وقد ذهب ذلك النشاط من العرب ، ووقف الانتشار عما كان عليه ، وظهر الآن بدله وهو شدة تمسك الأمم بلغاتها وقوميتها أكثر من تمسكها بدينها ، كالترك والفرس المعاصرين الذين تراهم من أشد الأمم تمكنا فى حب لغتهم ونبذ العربية . فلا شك أن الحكم يتغير بتغير الأحوال لو فرضنا أن هناك حكما بلزوم تعلم العربية وأنها فرض عين على كل من أسلم أو يسلم . ولكن الحقيقة أن هذا الحكم لا قائل به ، ولم نر من أئمة الاسلام من تفوه به ، كما أنه لا دليل عليه ولا على حرمة ترجمة القرآن أو كراهتها فيما نعلم . فان قلت : نص بعض علماء الكلام على أن معرفة الله بالبرهان واجبة ولا يتوصل اليها إلا بتعلم العربية إذ القرآن واللسان عربيان وبهما تعرف الادلة ومالا يتوصل للواجب إلا به فهو واجب ، كما قال أحمد بابا السودانى وغيره ، قلت : هذه مغالطة مبنية على مقدمة فاسدة وهى قولك : لا يتوصل لمعرفة برهان المعرفة إلا بالعربية . فكم من نبى لم يعرف العربية هو ولا أمته كنوح وكان يعرف الله عن برهان . وإنما الدليل المتعين على كل أحد هو الاجمالى على ما هو الحق ، كالاستدلال بالأثر على المؤثر وهو موجود فى كل لغة . أما الدليل المنطقى فانما هو فرض كفاية على قول . والمنطق إنما وضعه اليونان ومن لغتهم نقل الينا ، فكيف تستقيم هذه الدعوى من بابا السودانى ؟

نعم : معرفة السنة والكتاب معرفة تامة ليتوصل بهما الى علـوم الفتوى ونحوها فرض كفائى ، والعربية التى توصل اليها غايتها تكون فرض كفاية لاعين ، وكلامنا فى فرض العين . فسقط الاشكال وثبت ما قلناه . وعلى كل حال حيث فاتنا تعميم اللغة لا يفوتنا تعميم نشر الدين وإذاعة مكارمه بين من لا يعرفها ، وتبليغه والتبشير به . وذلك غير متات إلا بجواز الترجمة .

أما أن ينشا من تعدد الترجمة الاختلاف فى القران كما وقع فى التوراة فتلك مفسدة أمناها والحمـد لله « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » فالقرآن العربى المنزل انتشر بين الأمم الاسلامية فى أصقاع الأرض ، وهو الأصل الذى يرجع اليه عند اختلاف الترجمات على فرض

وقوع هذا الاختلاف . وتلك الترجمات إنما تعتبر تفسيرا لا قرآنا منزلا ، فتقابل على الأصل المنزل ، فما وافق قبل ، وما خالف أصلح أو نبذ ، ولو اعتبرنا خوف الاختلاف ذريعة تسد ومانعا من الترجمة لكان تعدد التفاسير كذلك ، حيث نشا عنه اختلاف كثير فى معانيه ، لكن عموم الأمة لم يعتبر هذه الذريعة ، فهى ملغاة .

إذا كانت الترجمة تعتبر تفسيرا فقط ولا نعتبرها عين القرآن فلا يضرنا إذا أخلت بشىء من معانيه الكثيرة التى ليس فى طوق غير العربى أن يدركها ويعبر عنها ، وعليه نحن نعتبر كل ترجمة تفسيرا فقط لبعض معانيه ، وشرحا من جملة الشروح ، وليست عينه . وذلك مما لا يمترى أحد فى جوازه ، ولا يلزم عليه شىء من تلك المحذورات كلها ، ولا نسميها قرآنا كما لا نسميها كلام الله خلافا للبيهقى(١) لأنها وإن كانت مشتملة على كثير من معانيه والمعانى هى المقصودة بالذات والألفاظ قوالب بمنزلة الثياب لا ينسلب الأصل بذهابها ، لكنا وجدنا الحق سبحانه وصف اللفظ المنزل المسمى قرآنا عربيا بأوصاف لا توجد إلا فى اللفظ العربى .

قال تعالى: «إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم» . وقال : «ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم » . وقال : «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » ، وقال:« فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا » .

ولا شك أن لسان النبى صلى الله عليه وسلم عربى . قال تعالى :« لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » . واللفظ العربى هو المعجز بلا إشكال ، لا يمترى فى ذلك أحد ، ولذا قال الله فى حقه : «قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات » الآية ، وقال : « فاتوا بسورة من مثله» . وقال: «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» . وقال :« إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن» ، وقال :«لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه » . وقال : « فاستمسك بالذى أوحى اليك إنك على صراط مستقيم . وإنه لذكر لك ولقومك» ، وقال : «قرآنا عربيا غير ذى عوج ». وكل هذه الترجمات ليست عربية ولا نامن وقوع العوج فيها إذ هى عمل مخلوق غير معصوم ، ولم يقم بها وصف من هذه الأوصاف التى وصف بها القرآن فى الآيات السابقة. وقال تعالى: «إنا أنزلناه فى ليلة مباركة». وقال:«إنا أنزلناه فى ليلة القدر » وليس شىء من تلك الترجمات منزلا فى تلك الليلة . وقال فيه أيضا :« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ». وقال : « بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ» . ولا شىء من تلك الترجمات مضمون الحفظ ، ومعلوم أن التباين فى اللوازم موجب للتباين فى الملزومات . فكل هذه الأدلة السابقة تنفى عن الترجمات التسمية بالقرآن وبكلام الله ، إذ كل منهما يطلق بازاء معنيين : الأول المعنى القديم القائم بذاته تعالى على قول الأشعرية القائلين بقيام صفات المعانى

(١) نقل ذلك عن البيهقى الحافظ والقسطلانى فى كتاب التوحيد .

بالذات الأقدس . الثانى اللفظ المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم الموصوف بالصفات المتقدمة فى القرآن ، ولا يطلق واحد منهما على الترجمات بحال .

وإذا لم تكن هذه الترجمات قرآناً ولا كلام الله فلا تصح الصلاة بها على القول الراجح ، لأن الصلاة لا يقرأ فيها إلا ما تيسر من القرآن . وأيضا لا نسميها كلام الله لأنا لا نأمن وقوع الغلط فيها للمترجم ، كما لا نأمن خطأ المفسر وخطأ المجتهد الذى يأخذ منها الأحكام . فكما لا نطلق على ما استنبطه المجتهد كلام الله ، كذلك لا نطلق على الترجمة كلام الله ، ولا نجرؤ على ذلك ، كما أننا لا نعتبرها معجزة ولا هى بمعجزة .

أما قوله : « وإنه لفى زبر الأولين » ، وقوله : « إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى » فهو حكم على بعض آيات تولى الله ترجمتها ولم يكلها لأحد غير معصوم ، بخلاف قوله تعالى : « إنا جعلناه قرآناً عربياً » وغيرها من الآيات السابقة ، فهو حكم على جميعه أو مجموعه .

هــذا ما يتعلق بالشق الأول من الأسئلة . وأما الشق الثانى وهو أخذ الأحكام الفرعية والأصلية من الترجمة واحترامها بحرمته فهو محل تفصيل . وذلك أن أخذ الأحكام الظاهرة نحو وجوب الصلاة والصوم والزكاة الخ ، التى يستوى فى معرفتها العامى وغيره ، فهذا لا إشكال فيه وهى من فائدة الترجمة ، وأما الأحكام الدقيقة المأخوذة بطرق الاجتهاد التى لا يصل اليها إلا المجتهدون كالأحكام المأخوذة بطريق عموم أو تقديم لفظ أو تأخيره أو من صيغة مبالغة أو صفة مشبهة أو بلازم أو ملزوم أو نحو ذلك مما ربما لا تفى به الترجمة ويحتاج فيه إلى بلوغ درجة عالية فى علوم اللسان وغيرها ، فكل ذلك المرجع فيه الى اللفظ العربى المنزل .

وأما الترجمات فانما هى للأمور الواضحة المأخوذة من صراحة اللفظ أو ظاهره ، فينتفع بها فى نحو الوعظ والأنذار والتبشير وتبليغ الأحكام التى تستوى فيها اللغات ، وليست هى اللفظ الذى يتلى ويتعبد بتلاوته . كلا ، معاذا الله أن يقول أحد بذلك . وعليه فلا ثواب فى قراءتها من حيث التلفظ بها ، نعم قد يقال : إن الثواب على التدبر فى المعانى وتفهم المبادىء الأخلاقية والدينية والقصص وأحوال الأمم والبعث والنشور وغير ذلك مما يكون فى الترجمة ولا يعوزها شرط النية ، فالترجمة حكمها حكم التفسير والبيان لبعض ما تضمنه اللفظ العربى المنزل المتعبد بتلاوته ، فتقاس عليه فى أحكامه . وبعبارة أخرى : الترجمة كالتيمم عند عدم الماء أو عدم القدرة عليه .

وأما احترام الترجمة كاحترام اللفظ العربى بحيث لا يمسها جنب ، ولا حائض ، فهو قول عند الحنفية لا يتابعهم المالكية ولا غيرهم عليه . فالترجمة عند غيرهم تفسير والتفسير يمسه الجنب والحائض كما هو منصوص فى كتب الفقه . هذا ماظهر لى فى المسألة ، وبالله التوفيق .

الرباط — محمد بن الحسن الحجوى الثعالبى .

الجواب الجامع لمسألة الرضاع

وما يحرم به من المصاهرة

آنس صاحب الفضيلة الأستاذ النابه الشيخ محمد عبد السلام القبانى المدرس بكلية الشريعة أن الناس يكثرون من السؤال فى مسألة الرضاع ، فرأى أن يضع لجميع ضروبه جوابا جامعا يحفظ ويرجع اليه عند الحاجة دون أن يضطر لتجديد السؤال فيه . قال فضيلته :

الحكم الشرعى : أنه يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب ، فكما لا يجوز أن يتزوج أخته من النسب لا يجوز أن يتزوج أخته من الرضاع .

وأخوة الرضاع تثبت من ناحية المرأة ومن ناحية الرجل . وذلك أن كل إنسان له أم من النسب وهى التى ولدته وله أب من النسب وهو الذى خلفه ، فاذا رضع الطفل من امرأة أخرى غير أمه صارت تلك المرأة أما له من الرضاع ، وصار زوج تلك المرأة أبا له من الرضاع لأنه صاحب اللبن الذى رضعه الطفل ، وإذا تحرم أصول هذه المرأة وفروعها ، وأصول هذا الرجل وفروعه على هذا الطفل وعلى فروعه فقط دون بقية أقاربه .

وأنواع أخوة الرضاع ستة لا غير :

١ — كل من أرضعتهم أمه النسبية قبله أو بعده أو معه .

٢ — كل من رضعوا لبن أبيه النسبى من أى زوجة أخرى قبله أو بعده أو معه .

٣ — كل من ولدتهم أمه من الرضاع .

٤ — كل من خلفهم أبوه من الرضاع .

٥ — كل من أرضعتهم أمه من الرضاع .

٦ — كل من رضعوا لبن أبيه من الرضاع .

هذا والرضاع الموجب لتحريم المصاهرة هو رضاع الطفل أو الطفلة قبل تمام السنتين .

ومقدار الرضاع المحرم عند الشافعى وأحمد خمس رضعات متفرقات فا كثر ، وعند مالك وأبى حنيفة رضعة فأ كثر ، والله أعلم ؟

محمد عبد السلام القبانى
المدرس بكلية الشريعة

الاسلام والطب الحديث

بحـوث دينيـة علمية

« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو » سورة الأنعام الآية (٥٩).

هذه الآية لا علاقة لها بالطب مباشرة، ولكن الطبيب أحيانا يتنبأ بموت المريض بعد زمن معين ويصدق فى نبوءته، فهل هذا معناه أنه يعلم شيئا من الغيب؟ كذلك يتنبأ الفلكى بحادث فيحدث كما أنبأ به تماما، والحقيقة أن معرفة الغيب عند الانسان تختلف اختلافا جوهريا عن علم الغيب عند الله، والفرق بينهما كالفرق بين الاختراع والمعجزة.

وعلم الغيب على أنواع:

١ — العلم من طريق السنن الإلهية، فالانسان يعرف ما سيأتى فى الغيب بطريق معرفة السنن الطبيعية، ولذلك كان علمه ناقصا، فاذا علم قانونا وحكم به على الأشياء وماسيحدث لها فهو كثيرا ما يخطىء، لأن هناك سننا أخرى طبيعية لم يعرفها تؤدى الى نتيجة مخالفة لما ينتظره، وهكذا يستمر فى درس هذه السنن ويعرف شيئا ويبقى جاهلا أشياء الى النهاية. وأما علم الله فهو من نوع آخر، لأنه واضع السنن كلها ولا يخفى عليه أى قانون من القوانين الطبيعية التى وضعها، ولذلك كان علمه جل وعلا وإرادته لا ينفصلان أبدا، فعلمه بالشىء معناه حدوث هذا الشىء لا محالة، بخلاف علم الانسان الناقص الذى ليس له علاقة بحدوث الشىء مطلقا، والفلكى الذى يتنبأ بالحادث لا علاقة له به ولا تأثير له فى إيجاد الحادث مطلقا، والطبيب الذى يتنبأ بالموت لا علاقة له بموت المريض. وقد بين الله لنا مقدار علمه بكل السنن الطبيعية كما قلنا بقوله: « ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » لأن لكل هذا سننا لم يتعلم الانسان إلا ما ندر منها،

وكل ما عرفه ناقص أبدا « وفوق كل ذى علم عليم » « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »

وهذا النوع من العلم هو الذى حثت الأديان على الاستزادة منه ، لأنه يفيد الانسان ، ولأنه فى متناول إدراكه الذى منحه الله إياه ، ومعناه العلوم القديمة والحديثة كلها ومعناه كل معرفة (Knowledge) .

٢ — علم الغيب الذى لا يتناوله إدراكنا لأنه ليس من السنن الطبيعية التى يحتاج لها الانسان فى نموه من النطفة الى أن يصير شخصا كاملا ، وهذا هو المقصود من الآية الكريمة « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ، إلا من ارتضى من رسول »

والرسول يعرف الغيب بما يوحيه اليه الخالق ، لأن ذلك يشبه المعجزة ، وليس له قانون يدرس ، ولذلك لا يمكن لإنسان معرفته بجده واجتهاده ، والرسول لا يعلمه إلا بالقدر الذى يعلمه الله إياه ، والذى يهيئه الله له ، وهذا هو معنى الآية « واصطنعتك لنفسى » مخاطبا به نبيه موسى عليه السلام ، أى أنه أعطاه من الإدراك ما يمكنه من فهم ما يوحى اليه « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

وعلم الغيب يشمل كل ما أمرنا القرآن بأن نؤمن به « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون »

فنؤمن بالآخرة وما فيها ، وببدء الخلق وإحياء الموتى ، وبالمعجزات الخ ، وكل ذلك بدون أن نجد له قانونا يرشدنا كما نجد قوانين السنن الطبيعية ، ويجب مع هذا التصديق به إذ التصديق به شرط أساسى للايمان الصحيح . والحقيقة أن هذا النوع من العلوم هو ما يقال له « Nelaphysis » أو ما فوق المادة أو ما وراء الطبيعة » ، وقد كتبت عنه مؤلفات فى كل الأجيال ، وكثرت التماريف الفلسفية فيه ، وأخيرا تقدمت العلوم الحقيقية (علوم السنن الطبيعية) ، وقد اقتنعت بعد الفحص والتدقيق فى كل ما كتب عنه بأن عقل الانسان لم يخلق لفهمه ، وأن السبب فى ذلك ظاهر هو أن عقل الانسان نتيجة نمو النطفة بالسنن الطبيعية ، كما ينمو النبات من البذور تماما ، فالله لم يهيء

الانسان إلا بالقدر الذى يفهم به القوانين التى تهديه الى طريقه « الذى خلق فسوّى ، والذى قدر فهدى » وقد خلق الله للانسان من الحواس ما يكفيه فقط ، والله لا يخلق شيئا عبثا وزائدا عن الحاجة أبدا ، « إنا كلّ شىء خلقناه بقدر » وهذا هو معنى الآية « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيراً » فالانسان يبحث ويتعلم كل ماله علاقة بالقوانين الإلهية التى تؤثر فيه فى النوع الأول من علوم الغيب ، وإذا حاول فهم ما فوق ذلك من قبل خلق النطفة مثل بدء الخلق وطريقة إحياء الموتى وأخبار الآخرة فإنه يحاول فهم المجهول مع أنه ليس له من الحواس ما يساعده على فهمه ، فعليه أن يمتثل ويصدق ما أنزله الله ، وإن لم يصدق فسيضيع وقته فى البحث عنه عبثا ، والله يخاطب الانسان مظهرا له ضعفه ، وأنه لا يقدر على فهم أشياء كثيرة بقوله تعالى :« هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً » . وقوله : « ألم يك نطفة من منى يمنى » أى أنه مثل بذرة النبات فى دور من أدوار حياته و نقطة فى إفرازات شخص آخر ، وهذه النطفة التى لا حول لها ولا قوة إذا تعهدتها السنن الإلهية (الطبيعية) تصير إنسانا . فهل ينسى ضعفه المتناهى ويبدأ بالبحث عن أشياء لم يخلق لأجلها ؟

والانسان لا يشذ عن باقى الحيوانات التى ليس فيها من الحواس والإدراك إلا بالقدر الذى يمكن النطفة من النمو الى النهاية ، وهذه قاعدة علمية عامة لا استثناء لها .

ولإيضاح الفرق بين النوعين من علوم الغيب نقول : إن الله تعالى وصف الانسان فى النوع الأول بأنه عالم بعض العلم : « وفوق كل ذى علم عليم » وبين له مقدار علم الله بما معناه أنه يعلم كل صغيرة وكبيرة فى الأرض والسماء .

فإذا كان الانسان يعرف أشياء من الغيب بمعرفة بعض قوانين طبيعية أفلا يكون عند الله مفاتيح الغيب كلها ، وهو الذى وضع كل السنن ؟ فالله الذى خلق آدم وخلق منه زوجه علم مقدار ذريتهما من ذكر وأنثى ، وعلم ما سيقع لهؤلاء جميعا بعلمه

بما فى نطفهم قبل ظهورهم فى الحياة ، وهو يعلم كذلك كل الظروف المحيطة بهم حتى النهاية ، فهو الذى بدأ الخلق وعلم منذ البدء كل ما سيكون ، وكما أن النطفة التى لا يزيد قدرها عن عشر المليمتر تنمو بالسنن حتى تصير إنسانا ، كذلك كل مميزات الانسان عن الحيوانات الأخرى ، ومميزاته عن غيره حتى فى أصغر الأشياء موجودة وممثلة فى هذه النطفة . وكذلك نطف بنى آدم جميعا فإنها ممثلة فى آدم وحواء ، ولكنها لا تحتاج إلا الى السنن الإلهية لتظهر أمام أعيننا ، وذلك لأن كل فرد منا ممثل فى عالم الذرة من يوم بدأ الله الخلق ، ولو أعطى الله الانسان علما لعرف الأولاد وهم أقل من النطفة فى أرحام أمهاتهم ، وعرف أولاد أولادهم فى هذا الجسم الذى هو أقل من النطفة ، وهكذا . فالخالق يعلم جميع بنى آدم ممثلين فى آدم وحواء . وسأضرب لذلك مثلا : صندوق فيه ملايين من الصور الصغيرة للسينما (فلم) فهذا الصندوق المغلق يعرف كل ما فيه الصانع الذى صنعه ، ولكن الانسان العادى لا يعرف ما فيه إلا إذا عرض بشريط سينمائى ، فالمتفرجون يعرفون ما يظهر منه أولاً فأولاً ، ويظهر لهم كأنه شىء جديد ولكنه فى الحقيقة قديم ، وكذلك عقل الانسان فإنه يقسم الزمن الى ماض وحاضر ومستقبل ، ويدفعه لأن يسمى ما يظهر له بمرور الزمن « مستقبلا وغيبا » والحقيقة أنه غيب بالنسبة له ، ولكن الله الذى خلقه وخلق السنن الطبيعية غنى عن عرض سينمائى ، لأنه هو الصانع الأكبر الذى يعلم كل ما فيه « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها » .

وهكذا يفسر القرآن بعضه بعضا . وأما النوع الثانى من الغيب فالانسان فى ظلمة تامة بالنسبة له ، وهنا يخاطبه الخالق بقوله : « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » ومعناه أنه لم يكن نطفة فقط ولكنه كان ممثلا فى نطفة آدم وحواء بشىء صغير جدا أقل من النطفة ، وإذا كان الخلق كله ممثلا فى نطفة آدم وزوجه فيكون كل فرد ممثلا فى جزء من أقل من آلاف الملايين من النطفة ، وهذا ما يسميه

الخالق سبحانه وتعالى شيئا غير مذكور (infinitismal) ويستعمل العلماء هذه اللفظة في العلوم الحديثة لكل شيء متناه في الصغر ، أو ثاني شيء للصفر أو عدم الوجود .
ورب سائل يقول : إن كل شيء يبدأ صغيرا كالمنزل ، فانه يبنى من أجزاء صغيرة حتى يعلو ويأخذ شكله ، وليس في ذلك غرابة ، والمنزل الكامل شيء آخر غير الأجزاء المكون منها ، ولكن الانسان ليس كذلك ، فهو يتكون من النطفة لا بإضافة شيء حي جديد مطلقا ، ولكن بتحويل الأجسام الميتة (الغذاء الخ) الى شيء حي كما قلنا في تفسير « يخرج الحي من الميت » . فجسم الانسان عند نموه ليس إلا النطفة مكبرة بإضافة أشياء ميتة اليها ، والنطفة تمثل الانسان بدقة مدهشة ، ومثلها مثل صورة صغيرة جدا إذا كبر حجمها بدون تغيير ، وهكذا يقول الله للانسان : « إنك في زمن من الأزمان كنت شيئا غير مذكور تافها ، ولم يطرأ عليك إلا زيادة الحجم » وليس هناك فرق بين الصورة المصغرة والصورة المكبرة إلا الحجم ، وفي هذا إظهار لقدرة الله وشدة ضعف الانسان ، وأنه لا يدرك إلا ما خلق لأجله .

وصفوة القول في هذا النوع من الغيب هو أنه يشبه المعجزات ، فكما أنه لا حول لنا ولا قوة أمام المعجزات ، كذلك نجد جهلنا كاملا بالنسبة لعلوم الغيب ، فلا نعرف منها إلا ما يخبرنا الله به على لسان الأنبياء ، ومثلنا مثل من يولد أعمى ، إذ لا يمكنه إدراك ما يقصده البصير عند الكلام على الألوان المختلفة .

« وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى » :
سبق الكلام عن النوم وأنه أقرب شيء للموت ، ولكنه يؤدي الى الحركة بالنهار ، وحركة النهار تؤدي الى النوم ، وهكذا فالنوم مثال مصغر لموت الانسان ، كما أن حركة النهار مثال لحياته ؟

دكتور عبد العزيز اسماعيل

اثبات وجود الروح

بالأدلة العلمية الجديدة

كانت الفلسفة وحدها عُدة الناس فى التدليل على وجود الروح ، ولكن لما اشتد كلب الملحدين فى القرون المتأخرة على نفى الروح والعالم الروحانى من طريق الأسلوب العلمى المعروف ، الذى مؤداه أن كل معقول لا يسنده دليل محسوس لا يفيد اليقين ، شرع العلماء الذين يغارون على الحقائق فى جمع الحوادث والمشاهدات النفسية الدالة على وجود الروح دلالة قاطعة ، وكان الحق جل وعلا قد فتح على الباحثين كثيرا من تلك الحوادث ، فلم يجد الماديون سبيلا الى دحضها ، لأنها مشاهدات علمية مقررة ، فرجع أكثرهم الى حظيرة الفلسفة الروحانية ، وجمد فريق لا يبدئ ولا يعيد ، لذلك أصبحت المادية مقصورة على آحاد يأخذون بها تقليدا ، لا على بصيرة ، ولا بعد بحث وتحقيق .

من المشاهدات العلمية التى يستند اليها العلماء المعاصرون لإثبات الروح عمل الإرادة الانسانية عن بعد بدون أى اتصال مادى . ومما لا مشاحة فيه أن الإرادة خاصة روحية غير مادية ، فإذا ثبت أن لها تأثيرا فى الخارج ثبت أن للروح الانسانية استقلالا عن الجسد ، وأنه هو نفسه أداة لها لا أكثر من ذلك .

قال الأستاذ كاميل فلامريون : « لقد وضعت مؤلفات خاصة فى مسألة التأثير بالارادة أو الايحاء العقلى ، والأدلة التى تثبت صحته لا تدخل تحت حصر . وقد شاهدت أنا بنفسى منها عدة مشاهدات فى الأيام السالفة ، من تجارب الأستاذ (شاركو) (١) فى مستشفى (السالبتريير) (٢) والدكتور (لويس) (٣) فى مستشفى (لاشاريتيه) (٤) فى باريس . ولكن أعجب ما رأيته منها تجارب الأستاذ (بيير جانيه) (٥) فى مدينة

(1) Charcot (2) La Salpétrière (3) Lewis (4) Hopital de la charité
(5) Pierre Janet .

(الهافر) بفرنسا ، أجراها على امرأة فلاحة قوية ، هى ربة أسرة وليست مصابة قط فى أعصابها . فكانت تتلقى ما يوحيه اليها بعقله وهو بعيد عنها عدة كيلو مترات ، فتطيعه بضبط مطلق دون أن تعرف ما سيلقيه اليها بأى وجه من الوجوه » انتهى.

ونحن نقول : إن الذى فتح باب هذه المسألة هو التنويم المغناطيسى الذى أصبح اليوم حقيقة علمية تدرس فى الجامعات الطبية كوسيلة من وسائل معالجة الأمراض المستعصية . وينحصر هذا العلم فى إمكان تنويم أى إنسان تنويما صناعيا بالتأثير فيه تأثيرا إراديا بواسطة من مارسوا هذه الصناعة ، فيصير قابلا للإيعاز اليه عقليا بدون الاستعانة بالكلام والإشارة ، وخاضعا لإرادة منومه حتى لو أعطاه قطعة من الفحم وقال له هذه قطعة من السكر فكلها ، أكلها متلذذا ، ولو ناوله وردة وقال له هذه روثة لرماها متقززا . ولو رسم على بعض جسمه دائرة وقال له إن هذا الجزء من جسمك ملتهب وسيعقب التهابه دمل ، لالتهب لوقته واحتقن وتكوّن فيه دمل .

وقد ذهب المجربون الى أبعد من هذا ، فقد ثبت لديهم أنهم لو أناموا شخصا وقالوا له إننا سنخلع ضرسا حَفِرا (أى مسوسا) فى فمك ، فلن تشعر بألم قط ، ولن تنزل من لثاتك قطرة دم . ثم أوقظ وسحب ضرسه ، فإنه لا يتألم ولا يدمى مكان الضرس .

وقد استفاد العلماء من هذه الخاصة للتنويم المغناطيسى فطبقوها على علم الجراحة . فإذا اضطر الجراحون لفتح بطن إنسان لا تحتمل صحته الكلوروفورم ، نُوِّم قبل العمل نوما مغناطيسيا ، وأوعز اليه بأن لا يشعر بأقل ألم من فتح بطنه ، ولا ينزف ولا قطرة من دم ، ثم يتولون فتح بطنه وقطع ما يريدون قطعه من أحشائه وهو حافظ لقواه العقلية يكلم من حوله .

هذه كلها أصبحت مقررات علمية جاء بها اكتشاف الدكتور الألمانى (مسمر) للتنويم المغناطيسى فى سنة (١٧٧٠) ، فظل ينافح عنه خصومه هو وخلفاؤه نحو مائة سنة حتى أدمج فى العلم الرسمى نهائيا . ثم ثبت للمنقبين فى العاديّات أن هذا التنويم كان معروفا لدى قدماء المصريين والهنود والصينيين ، وكانوا يمارسونه فى هياكلهم .

فالمستمدون منه أدلة الروح إنما يعتمدون على علم ثابت مقرر ، لا على أوهام خرافية ، ولا أضاليل عقلية .

ولما كنا بصدد إثبات تأثير الارادة الانسانية فى الخارج فإننا نورد أمثلة على ذلك من أصدق المصادر العلمية . فذكر الدكتور أوكورويكز (Ochorowicz) فى كتابه المسمى (بالايحاء العقلى) « De la suggestion Mentale » قال :

« كنت أعالج سيدة عمرها ٢٧ سنة مصابة بهستريا صرعية مزمنة ، ثم زاد عليها طروء نوب من الكرب والميل للانتحار . فحدث ذات ليلة بعد انتهاء النوبة أن نامت المريضة بهدوء ، ثم استيقظت فجأة ، فلما رأتنى أنا وصديقتها التى كانت معها رجتنا أن نذهب فلانتعب نفسينا من أجلها على غير طائل ، وألحت فى ذلك إلحاحا حملنا على إطاعتها تفاديا من أن يسبب لها إباؤنا نوبة جديدة ، فنزلت أنا السلم بيطء ، وكانت هى تسكن الطبقة الثالثة من الدار ، فوقفت أثناء النزول مرات متسمعا ما يأتى من قبلها ، وأنا متوقع حدوث حادث سيء . فلما انتهيت الى الحوش وقفت مترددا بين البقاء أو الانصراف ، وبينما أنا أفكر فى ذلك إذا بالنافذة قد انفتحت بعنف ، فرميت ببصرى اليها ، وإذا بجسم المريضة يميل الى الخارج بحركة مسرعة ، فأسرعت الى النقطة التى أتوقع سقوطها منها وأخذت أركز إرادتى بقصد منعها من السقوط مدفوعا الى ذلك بحركة آلية ، دون أن أعلق عليه أية قيمة لأنه جهد غير معقول . ومع هذا فان المريضة التى كانت تكاد تهوى وقفت فجأة ، ثم تقهقرت ببطء ، وبصدمات متوالية .

« ثم كررت هذا العمل خمس مرات متوالية ، فبدت على المريضة علائم الإعياء فوقفت جامدة . وكنت فى أثناء هذه الأعمال واقفا فى الظلام بحيث لا ترانى لأن الوقت كان ليلا ، وكانت صاحبتها قد أسرعت اليها وقبضت على ذراعيها ، وقد سمعتهما يتدافعان ، فأسرعت فى الصعود لأساعدها فوجدت المريضة فى حالة جنون فلم تعرفنا وحسبتنا لصوصا ، فجذبتها بعد جهد جهيد من ناحية النافذة وأضجعتها فى سريرها وأنمتها نوما مغناطيسيا ، فكان أول ما فاهت به هاتان الكلمتان : شكرا وعفوا .

« ثم حدثتنى بأنها كانت قد صممت على إلقاء نفسها من النافذة ولكنها كانت تحس فى كل دفعة بأنها كانت تمنع بقوة من جهة الدور الأسفل .

« فقلت لها : كيف كان ذلك ؟

« فقالت : لا أدرى .

« فقلت لها : أكنت تتخيلين وجودى هناك ؟

«فقالت : لا، وإنى ما أردت أن أنفذ إرادتى إلا لاعتقادى بذهابك . ومع هذا فقد كان يخيل الى من وقت لآخر بأنك كنت الى جانبى أوخلفى ، وأنك لم ترد أن أقدم » . اهـ

وقد سرد الأستاذ أوكور ويكز المذكور إحدى وأربعين تجربة من هذا النوع ، وكلها تدل دلالة قاطعة على تأثير الارادة عن بعد .

قال الأستاذ (كاميل فلامريون) العالم الفرنسى المشهور : « وقد رأيت صديق المأسوف عليه الكولونيل (دروشاس) يحدث هذه التجارب فى مدرسة الهندسة بباريز وكان مديرا لها . ورأيت كذلك الدكتور (بارتى) يعيدها فى مدينة نيس ، وشهدت مجربين غيرهما . فالتأثير بالارادة عن بعد ليس بالأمر المشكوك فيه كما يعلم الذين درسوا هذا الموضوع » .

وكتب العالم الألمانى الدكتور (فان هيلمو نت) فى كتابه (أوبرا أومنيا):Operaomnia

« إن فى الانسان قوة تستطيع أن تؤثر بمحض إرادته على ما هو خارج عنه ، وأن تطبع أثرها الثابت على شىء بعيد عنه جدا . وإن هذا السر ليفسر تفسيرا واضحا عدة حوادث يصعب فهمها تتعلق بالقوة المغناطيسية الموجودة فى جميع الأجسام ، وبالقوة المعنوية التى اختص بها الانسان وصلاحيتها لتسخير الكون » .

نقول : وقد دفع المجربون تجاربهم فى هذا الموضوع الى أبعد من هذا المدى ، فروى العالم الروسى الكبير (أكزا كوف) فى كتابه الذى رد به على إنكارات الفيلسوف الألمانى (هارتمان) : أن قرينة العالم الانجليزى (دومرجان) كانت اعتادت تنويم

امرأة وإرسال قوى من روحها الى المكان الذى تعينه لها ، فقالت لها يوما وهى تحت تأثير النوم المغناطيسى : « اذهبى الى دارى الذى كنت أسكنه قديما » ، فقالت المنومة : « قد فعلت وطرقت الباب بشدة » . فذهبت امرأة الأستاذ الى تلك الدار وسألت أهله عما حدث لهم ، فأخبروها بأنهم سمعوا قرعا شديدا على الباب ففتحوه فلم يجدوا خلفه أحدا فعزوا هذا القرع الى أشقياء الأطفال .

وروى العالم المذكور هذه الحادثة وهى : أن المنوم المشهور (لويس) أنام مرة امرأة أمام جماعة وأمرها أن تذهب الى دارها فتنظر ماذا يعمل من فيه . فقالت المنومة : قد فعلت فوجدت فيه شخصين يشتغلان بأعمال منزلية . فقال لها (لويس) المسى أحدهما بيدك . عند ذاك أخذت المنوّمة تضحك قائلة : قد فعلت ما أمرتنى به فخافتا خوفا شديدا . فطلب (لويس) الى الحاضرين أن يذهب بعضهم الى دارها ليتحققوا من صدق قولها ، فخف جماعة منهم للقيام بهذا التحقيق ، فلما انتهوا الى الدار وجدوا أهلها فى حالة ذعر شديد ، وبسؤالهم عن سببه أجابوا بأنهم رأوا شبحا فى المطبخ ، وأنه لمس إحدى اللتين كانتا فيه .

فعلق الأستاذ (اكزاكوف) على هاتين الحادثتين بقوله : « إنهما تثبت بطريقة لا تقبل الشك أن للروح وجودا مستقلا عن المادة ، وأنها تستطيع بقواها أن تعمل ما يعن لها عمله خارج جسدها »

هذه الفتوحات العلمية التى منّ الله بها على الناس من طريق الأسلوب العلمى التجريبى قد وضعت حدا لإنكارات الملحدين ، وصدمت فلسفتهم الظلمانية صدمة عنيفة أفقدتها تماسكها ، وقضت على وجودها قضاء نهائيا . وسيرى القراء فيما يلى من التجارب العلمية فى هذا الضرب من البحث أن البراهين على وجود الروح لم تعد من اختصاص المنطق وحده ، ولكنها دخلت فى دائرة العلم أيضا ، فليس لقائل بعد اليوم أن يتبجح بأن لا يؤمن إلا بما يقره العلم ، فها هو العلم يقرر فى هذا المجال مالا سبيل الى دحضه : « سأريكم آياتى فلا تستعجلون »

محمد فريد وجدى

تاريخ العلوم اللغوية (١)

فى الادب العربى

لم يكد يطلع فجر القرن الثانى من الهجرة حتى بدأ علماء العرب بالاهتمام بشئون اللغة، وكانت البصرة حاضرة العراق وقتئذ محط رجال الأدب ومركز الثقافة العربية.

وأول ما اشتغل به علماء اللغة فى هذا العهد هو تفسير القرآن، فجمعوا لذلك كثيرا من الألفاظ القديمة والمستحدثة وصنفوا المعاجم والموسوعات اللغوية، ثم انتقلوا الى المحاولات النظرية فى البحث وراء أصوات أحرف الهجاء، وتعدَّوها الى قواعد تركيب الجمل، ولم يتمكن الباحثون حتى الوقت الحاضر من كشف الغموض الذى ما فتئ مخيما على مبدأ نشأة هذه الدراسات اللغوية. وأما ما ذهب اليه بعض علماء العرب المتأخرين ومن نحا نحوهم من أن عرب البدو القدماء هم أول من بدأ الأبحاث اللغوية، فإنه رأى لا يمكن الأخذ به، إذ أن علماء البدو المسيطرين على اللغة العربية القديمة، لم يتعدوا بعملهم الرقابة على دور التعليم فى المدن حيث انتشرت لهجات العامة المتعددة، لملاحظة استعمال اللغة العربية على الوجه الصحيح. وأقوى دليل على عدم اهتمام البدو بأمر قواعد اللغة من نحو وصرف حتى بدء القرن الثالث من الهجرة، ماروى عن الجاحظ فى صدد الاشتقاق وأصول الألفاظ، فإن مثل هذه الاشتقاقات مما يسهل نسبتها الى البدو؛ ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن نعزو اليهم أى محاولات نظرية فى العلوم اللغوية على وجه العموم، أو فى قواعد اللغة على وجه الخصوص.

وأول دافع لنشأة الدراسات اللغوية هو ظهور طبقتين مختلفتين فى اللغة، مثل الاختلاف بين القرآن والشعر القديم وبين الأدب الحديث على العموم، هذا الى

---

(١) مترجمة من الالمانية نقلا عن كتاب « تاريخ الادب العربى » للمستشرق الالمانى الكبير الاستاذ الدكتور « بروكلمان ».

ضرورة تعلم المسلمين من غير العرب لكلتا اللهجتين . وأول ما اهتم به علماء العرب اللغويون من الدراسات فى القرن الثانى من الهجرة ، هو ما وضعه أرسطو من أصول المنطق ، ونقل الى الثقافة الفارسية والسورية ، فجعل منها علماء العرب أساسا لصياغة الجملة العربية بعد أن تناولوها بالتوسيع والتهذيب على نحو يستدعى الإعجاب الكبير .

ولقد كانت الصعوبات التى يلاقيها المسلمون من غير العرب فى النطق العربى الصحيح من أهم الأسباب التى دفعت علماء اللغة الى البحث عن نشأة الأصوات اللفظية ، خصوصا لحرصهم الزائد فى المحافظة على قراءة القرآن على الوجه الصحيح ، كما فعل ذلك الهنود من قبل ، محافظة على القراءة الصحيحة لكتب « الفيدا » المقدسة . ولربما كانت أوجه الشبه التى بين طريقتى العرب والهنود فى دراساتهم الصوتية مما يحملنا على الاعتقاد بأنها لم تأت عرضا وبطريق الصدفة ، بل إن هناك علاقة قوية تربط هذه بتلك ، خصوصا أننا نعلم تمام العلم أن كثيرا من كتب القصص الهندية وغيرها من كتب الرياضة والطب كانت قد نقلت الى علماء العرب فى العراق بطريق الفرس فى القرن الثانى من الهجرة ، فلا يبعد كذلك أن يكون الشبه المذكور فى العلوم اللغوية قد جاء أيضا بطريق الاستعارة .

ولقد اهتم علماء العرب كذلك كثيرا بجمع الألفاظ العربية ، مما حملهم على التعمق فى الدراسات القديمة الخاصة بأحوال معيشة البدو وطبيعة بلادهم ، وذلك لعلمهم أن هذه الدراسات القديمة لا غنى عنها فى تفهم الشعر العربى وما يوحى به أو يشير اليه ، فنشطت على أثر ذلك الحياة الفكرية الخيالية التى هى أصدق شاهد على علو حضارة هذا العصر . وفى هذه الناحية كانت تلتقى أعمال اللغويين بمجهودات المؤرخين فى الأدب العربى ، كما نرى اليوم اتحاد هذين العلمين غالبا فى الأبحاث العلمية الحديثة .

اهتم الجيل الأول من علماء العرب اللغويين كما أسلفنا بجمع المفردات اللغوية وتفسيرها . وأشهر علماء هذه الطبقة ثلاثة ، هم : عيسى الثقفى المتوفى عام ١٤٩ هـ وأبو عمرو

ابن العلاء المتوفى عام ١٥٤ هـ وتلميذه يونس بن حبيب المتوفى عام ١٨٢ هـ ، ولم يبق من أعمالهم شيء مذكور ، إلا أننا يمكننا أن نستخلص مجهودهم العلمي من أعمال من أتى بعدهم من العلماء . ولم يقتصر أولهم عيسى الثقفي على جمع الألفاظ وتفسيرها كمعاصريه السابقين ، بل إنه ترك أثرا ظاهرا في الأبحاث العلمية اللغوية والمحاولات النظرية .

توجت أعمال هذا الجيل الأول بمؤلفات الخليل وتلميذه سيبويه ، وأولهما هو أول من أتم جمع الألفاظ العربية فى معجم ضخم لم يبق منه للآن سوى جزء يسير ، وقد راعى فى وضعه قواعد النطق الفيسيولوجية دون الترتيب الهجائي المصطلح عليه للحروف الأبجدية ، ووضع طريقته المترية (القياسية) المعروفة التي بها تمكن من تحديد حلقة العلوم اللغوية . وله في علمي النحو والصرف جولات صادقة ، فكان سيبويه يرجع اليه فى كثير من أبحاثه اللغوية فى كتابه المعروف ، وسيبويه ، كما يتضح من اسمه فارسي الأصل والنشأة ، قدم الى البصرة وهو فى الثانية والثلاثين من عمره ، وذهب الى بغداد بعد أن أتم علومه ، ولكنه ترك بلاط الخليفة على أثر خلاف وقع بينه وبين منافسه اللغوى الكبير الكسائي ، أدى فيما بعد الى جدل علمي بعيد المدى ، فعاد الى موطنه ، وتوفى عقب ذلك بزمن قصير بجوار شيراز سنة ١٨١ هـ . ولقد وضع هذا المؤلف اللغوى فى كتابه المعروف بناء قواعد اللغة العربية تاما لا ينقصه شيء ، ولم يجد من جاء بعده من العلماء اللغويين عناء كبيرا فى زيادة شيء هام عليه ، بل كادت تنحصر مجهوداتهم فى تحسين وضعه وتنسيق موضوعاته ، أوفى تفسير جمله وزيادتها إيضاحا .

اكتفى علماء اللغة العربية فى الجيل التالي بجمع مفرداتها وما آثرها القديمة ، فبذلوا فى ذلك مجهودا كبيرا ، وأتوا بمحصول وافر فى هذه الناحية ، دون أن يكون لهم أثر كبير فى الأبحاث العلمية أو الدراسات اللغوية . وأول علماء هذا العهد هو الأصمعي المتوفى سنة ٢١٦ هـ فقد جمع مفردات اللغة فى عدة رسائل مرتبة حسب موضوعاتها ، كما اهتم تلميذه أبو عبيدة المتوفى سنة ٢٢٣ هـ بجمع الأمثال والحكم

العربيـة ، وتعد مجموعته أقدم ما عرف حتى الوقت الحاضر ، ووضع حاتم السجستانى المتوفى حوالى عام ٢٥٠هـ مؤلفا فى أخبار المعمرين من العصور القديمة ، مع ذكر الأشعار التى عزاها المتأخرون اليهم ، واهتم تلميذه المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ بجمع الأخبار التاريخية ونماذج من الشعر والنثر القديم فى كتابه الكامل ، وعلق على كل منها بتعليقات لغوية .

وآخر علماء هذه المدرسة المعروفين هو محمد بن دريد ، وكان أول ظهوره فى بلاط كل من الحاكم الفارسى عبد الله بن ميكال وابنه اسماعيل ، ولم يلجأ الى الخليفة المقتدر ببغداد إلا بعد زوال دولتهما سنة ٣٠٨ هـ . وتوفى ببغداد عام ٣٢١ هـ ، ووضع فى أول عهده معجما كبيرا للغة العربية ، لم يأت بفائدة عملية تذكر لعدم تنسيقه الوضعى . ووضع مؤلفا فى الأنساب العربية ، بقصد إثبات اشتقاق أسماء القبائل العربية للدفاع عن اللغة ضد محاولات فرق الشُّعَبِيَّة من الحط من قدرها .

بدأت الدراسات اللغوية بالكوفة بعد بدءها بالبصرة بزمن قصير ، ولكننّا للأسف لم يصلنا من مؤلفاتهم إلا النزر اليسير عن نشأة هـذه الأبحاث وتطورها . ولقد كان لكتاب سيبويه من المنزلة العالية ما جعل آراء مدرسة البصرة المرجع الوحيد لعلماء العرب المتأخرين ، كما كان سببا فى وضع علماء الكوفة فى المقام الأخير والتقهقر بأبحاثهم اللغوية ونظرياتهم النحوية الى الوراء ، حيث إننا لا نعرف منها اليوم إلا ما جاء ذكره فى الرسائل التى وضعها علماء البصرة فى الرد على نظرياتهم .

ويتضح لنا من هـذا الجدل العلمى أن علماء الكوفة كانوا يركنون فى نظرياتهم الى ما يتلمسونه فى الحياة العامة من مطالب لغوية أكثر من منافسيهم من علماء البصرة الذين أحكموا بناء قواعد اللغـة فى النحو والصرف دون أن يكون لمشاعر الحياة اليومية أى أثر فى تعاليمهم ، ولذلك نجد أقـدم رسائل علماء الكوفة تبحث فى الغلطات اللغوية التى تقع فيها عامة الشعب . ومؤلف هذه الرسالة زعيمهم الكسائى ، وهو فارسى الأصل ، وطلب العلم فى الكوفة على الرؤاسى ، وفى البصرة على الخليل ، ثم تولى تربية أولاد هارون ، وتوفى فى « رنبويه » بالرى عام ١٨٩ هـ .

وحذا حذوه من بعد ابن السكيت المتوفى سنة ٢٣٤ هـ فى كتابه فى تحسين اللغة ، وثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ فى كتابه فى تعليم الكلام الجيد . واشتهر ثعلب كذلك بإخراجه بعض الأشعار العربية القديمة ، ووضع أقدم رسالة لنا فى نقد الشعر لم تخرج عن آراء عامة ، وملاحظات على الشعر القديم . واهتم من بعده تلميذه محمد الأنبارى المتوفى سنة ٣٢٧ هـ بجمع الألفاظ العربية المتضادة المعانى ؛ وهذه كثيرة فى اللغة العربية بقدر غناها فى الألفاظ . ولعل السبب فى ذلك يرجع الى تركيبها من لهجات مختلفة ، خصوصا أن علماء العرب كثيرا ما كانوا يستخدمون مثل هذه الألفاظ فى عباراتهم .

بدأ النزاع بين المدرستين : مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ، يختفى فى القرن الثالث من الهجرة ، وكان قد بلغ أشده فى القرن الثانى ، حيث أخذ شكل الحزازات والعداء الشخصى بين المتنافسين ، وأخذت بغداد تحل محل البصرة والكوفة من ناحية تركيز الدراسات والأبحاث العلمية ، فقد اجتمع حول بلاط الخليفة نفر غير قليل من العلماء الذين اهتموا بتوحيد كلمتهم والأخذ بالأصلح من نظريات المدرستين السابقتين ، نابذين كل الأفكار العدائية التى قامت زمنا طويلا بينهما . ولقد كان لمدرسة البصرة النصيب الأكبر فى هذا الاتحاد ، لاعتدال آرائها ودقة تعاليمها ، ولو أن معظم علماء هذا العهد كانوا يبذلون غاية جهدهم فى جعل أبحاث العلماء الأولين تتفق مع أغراض الحياة العملية ومطالبها ، فلم يقتصر اهتمامهم على التسيطر على أساليب اللغة العربية الدقيقة ، بل كانوا يدرسون أهم الأشعار العربية وتفسيرها بما يطابق الأحوال العربية القديمة ، ويجتهدون فى جعل ذلك كله فى متناول رجال البلاط ، والادارة الحكومية ، مما أدخل على الأسلوب الدواوينى الفاتر (العقيم) كثيرا من تحسينات البلاغة اللفظية .

وأول من اهتم بوضع المؤلفات الخاصة بتحسين لغة رجال الادارة الحكومية من علماء هذا العهد هو عبد الله بن قتيبة ، ويرجع أصله الى مدينة (مرو) وأسندت

اليه وظيفة قاض بمدينة (دينور) ثم اشتغل بالتدريس ببغداد الى أن توفى بها سنة ٢٧٦هـ. وأهم مؤلفاته موسوعة فى الأدبيات تقع فى عشرة أجزاء وتشمل موضوعات قيمة فى سياسة الدولة وأنساب الأشراف، وفى الأخلاق والعلوم والتبتل والصداقة والرجاء والأطعمة والنساء، وكان يعلق على هذه الموضوعات بكثير من الأحاديث النبوية وأمثلة من التاريخ والأشعار القديمة، وإلحاقا لهذا السفر الكبير وضع كتابا فى التاريخ استهله ببدء الخليقة، ثم أتى على قصص البطارقة الى أن تدرج الى أنساب العرب، ثم تبع ذلك بالسيرة النبوية وتاريخ آل النبى والصحابة، وختمه ببيان عن الخلفاء حتى عصره وعن مشاهير رجال الاسلام، وتاريخ ملوك جنوب بلاد العرب وبلاد الفرس، ولم يقصد المؤلف بوضعه هذا الكتاب تدوين التاريخ لذاته وإنما قصد وضع توقيت ينتفع به رجال الأدب على اختلاف اتجاهاتهم فى أعمالهم العارضة، كما عالج فيه الناحية اللغوية بأسلوب خاص لأعمال الادارة الحكومية، ووضع كذلك كتابا آخر فى دراسة الشعر، يبحث فى طبقات الشعراء مراعيا فيه الترتيب حسب الموضوعات الشعرية، مع تفسير جميع العوامل المؤثرة فى الشعر القديم، ووضع علاوة على مؤلفاته اللغوية رسالتين هامتين فى العلوم الدينية، يفند فيهما نقد الفلاسفة الموجه الى ما زعموا من تناقض فى القرآن والحديث الشريف، وقد كان موفقا كل التوفيق فى آرائه التفسيرية التى جاءت فى هذين الكتابين.

وأما معاصره أبو حنيفة الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ فإنه لم يقل عنه فى غزارة المادة وتعدد الموضوعات التى طرقها بحثا وتمحيصا، وأهم مؤلفاته كتاب فى علم النبات، عالج فيه تربة بلاد العرب، وامتاز هذا الكتاب بالأسلوب الجميل، وبما به من أبحاث لغوية هامة، علاوة على الملاحظات الطبيعية. وإنه لما يؤسف له حقا ضياع هذا الكتاب الذى لم يصلنا منه إلا بعض فقرات جاء ذكرها فى مؤلفات المتأخرين، ويلى هذا الكتاب فى الأهمية من مؤلفاته المتعددة كتاب القصص الطويلة، وهو كتاب

فى التاريخ لم يقصد المؤلف أن يتمشى فيه مع الحوادث العالمية الهامة ، وإنما أراد تفصيل بعض المواضيع التاريخية وسردها بإسهاب ، ويبتدئ هذا الكتاب بالتاريخ القديم ، وما يدور حول الاسكندر والفرس من أحاديث وروايات ، ذاكرا أخبار الساسانيين على الأخص بالتفصيل ، وخص موقعة القادسية من تاريخ الغزوات العربية بالذكر . ثم يلى ذلك تاريخ المنازعات التى قامت بين على ومعاوية والخوارج ، كما فصل واقعة مقتل الحسين تفصيلا ، وكذلك ثورات الأزرقيين والمختار فى عصر الأمويين ، وختم كتابه بتاريخ مقتضب للخلفاء من عبد الملك الى الخليفة المعتصم ، مع الوصف الدقيق لزوال دولة الأمويين وفتن العلويين فى خراسان . « يتبع »

صفات الاخوان

كتب العباس بن جرير الى الحسن بن مخلد :

ارع الاخاء أبا محمـ — ـد الذى يصفو وصنه
وإذا رأيت منافسا — فى نيل مكرمة فكنه
إن الصديق هو الذى — يرعاك حيث تغيب عنه
فاذا كشفت إخاءه — أحمدت ما كشفت عنه
مثل الحسام إذا انتضا — ه ذو الحفيظة لم يخنه
يسعى لما يسعى له — كرما وإن لم تستعنه

وقال عمر أمير المؤمنين : يثبتن لك الود فى صدر أخيك أن تبدأه بالسلام ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه باحب الأسماء اليه .

وقال رجل لمطيع بن إياس : جئتك خاطبا مودتك ، فقال له : قد زوجتك على شرط أن تجعل صداقها أن لا تسمع فى مقالة الناس .

وقال شاعر :

إن كنت تبغى المرء أوأصله — وشاهدا يخبر عن غائب
فاعتبر الأرض باسمائها — واعتبر الصاحب بالصاحب

اسرار التشريع الاسلامى

تحدثنا فيما سبق الى القراء عن شروط الوقف ، فنعود الى إيضاح ذلك بما يتسع له المقام :

من المسلم به فقها وقضاء أن العين الموقوفة حين تستغرقها ديون الغرماء لا يقع وقفها صحيحا إلا إذا أجازه الغرماء . فإذا انطلقوا الى ساحة التقاضى وطلبوا من قاضى الموضوع نقض هذا الوقف كان على القاضى أن ينقضه .

ومعلوم أن مذهب الامام أبى حنيفة لا يرى صحة الوقف ولا لزومه ، وأن مذهب الصاحبين هو الذى يرى الصحة واللزوم . فالسلاطين والحكام حين منعوا القضاة فى عصر المولى أبى السعود من الحكم بلزوم الوقف وصحته إنما عدلوا عن مذهب الصاحبين الى مذهب الامام أبى حنيفة الذى لا يرى انعقاد الوقف على تلك الصورة جريا على قاعدة تخصص القضاة ومنعهم من الحكم فى حادثة معينة برأى ولو كان راجحا ، وأمرهم بالحكم فيها برأى آخر ولو كان مرجوحا مسايرة لمقتضيات المصلحة العامة .

لكن هذا التخصص الذى سبق به العمل فى بعض الأزمان الخوالى لم يرد عنه نص فى قوانين محاكمنا الشرعية الراهنة منذ تأسست المحاكم . فالقضاة مقيدون بالقول الراجح فى مذهب أبى حنيفة حين يقف مدين غير مريض وغير محجور عليه . فهم ممنوعون من الحكم بعدم لزوم الوقف إذا صدر من مدين غير محجور عليه .

من أجل ذلك قامت قيامة القضاة الشرعيين فى أنحاء الدوائر المختلفة حين كثرت الشكايات من جانب الغرماء وتجاوبت شكاياتهم أصداء الفضاء من هرب المدينين من أداء دينهم حين ينشئون وقفا فيصبح الوقف لازما ونافذا ، فطلبوا فى مذكرة رفعوها الى أولياء الكلمة فى وزارة الحقانية يقترحون فيها أن يصدر قانون بمنع لزوم

الوقف من الواقف المدين إذا اتضح أنه لا يملك عينا أخرى غير العين الموقوفة سدا للذرائع وأخذا المسألة من أقرب وجوهها وقضاء على فكرة التحايل التى تظهر عند الواقف فى معرض الخير ، وهى فى واقع أمرها ظلم صارخ واعتداء شنيع .

وجملة القول فى وقف المدين أنه إما أن يكون محجورا عليه أم لا ، وفى هاتين الحالتين إما أن يقف فى حال صحته أو يقف فى حال مرضه مرض الموت ، فالأحوال أربعة : ثلاث منها للغرماء فيها حق طلب نقض الوقف فيما شغل بالدين ، وهى وقف المحجور عليه سواء كان فى حال صحته أو مرضه ، ووقف المدين غير المحجور عليه فى مرض موته ، والحالة الرابعة وهى وقف المدين غير المحجور عليه فى حال صحته ، وحكمها أنه ليس للغرماء حق الاعتراض وطلب نقض الوقف لتعلق حقهم بذمة الواقف لا بماله ، وهذا هو صريح المذهب .

وأفتى أبو السعود بنقض الوقف فى هذه الحالة إذا طلب الغرماء ، عملا برأى أبى حنيفة الذى يرى عدم لزوم الوقف ، وإن كان مرجوحا لضرورة المحافظة على مال الدائنين . ورجح ابن عابدين أيضا هذا الرأى للضرورة ؟

عباس طه
المحامى الشرعى

سمو الفطرة

قال كسرى أنوشروان ملك الفرس للميد وهو العالم عندهم : ما كان أفضل الأشياء ؟ فقال الميد : الطبيعة النقية تكتفى من الادب بالرائحة ، ومن العلم بالاشارة ، وكما يموت البذر فى السباخ كذلك تموت الحكمة بموت الطبيعة .

فقال له كسرى : صدقت ونحن لهذا قلدناك ما قلدناك .

وقيل لازدشير : الأدب أغلب أم الطبيعة ؟ فقال : الادب زيادة فى العقل ، ومنبهة للرأى ، ومكسبة للصواب . والطبيعة املك لأن بها الاعتقاد ، وبها الفراسة ، وتمام الغذاء .

نظرة جامعة الى تاريخ الاسلام فى بولونيا

وأحـوال المسلمين فيها

فى القرن السادس عشر كتب أحد المسلمين فى بولونيا رسالة عنوانها « الاسـلام فى بولونيا » قدمها الى رستم باشا صهر السلطان سليمان ، والى كبار العلماء فى تركيا ، وجه فيها اللوم واستحث الهمم أن يتعهدوا جذوة الاسـلام التى أخذ سناها يضىء فى تلك الأصقاع النائية المتعطشة لقبول مبادئ الاسـلام وتعاليمه القويمة ، ونبّه الى أن عاقبة إهمال المسلمين البولونيين وانقطاع الصلة بينهم وبين العالم الاسـلامى ستقضى عليهم وتذهب بريحهم ، واقترح لذلك أن يقـدم المسلمون على بناء المساجد ، وإرسال البعثات التبشيرية لتعليم مسلمى بولونيا أصول الدين ، ومدّهم بالمؤلفات الدينية .

ومما شجعه على كتابة تلك الرسالة وإذاعتها خصوصاً فى الوقت الذى اشـتد فيه عداء أغلب الدول الأوربية نحو الاسلام ، تسامح الحكومة البولونية وكرم رجالها ، لأنها لم تتدخل فى شئون المسلمين ، بل كانت تـكفل لهم الحرية الدينيـة والمدنية وتعاملهم كمعاملتها لأبناء الوطن الأصليين .

وقد بدأت الدعوة عن المسلمين البولونيين فى الانتشار فى جميع أنحاء العالم ، ولـكن سوء الطالع قضى أن تقع بولونيا فى أواخر القرن الثامن عشر فى حروب عديدة قضت على استقلالها ، وانتهت بتقسيمها بين الروسيا والنمسا وألمانيا ، وكان من سوء الحظ أن تقع المنطقة التى يكثر فيها المسلمون تحت الحكم الروسى الذى اشتهر بعدائه للاسلام ، فأذاق المسلمين سوء العذاب ، وأضاع حقوقهم ، وازداد اضطهاد الروس للمسلمين ، فتناقص عددهم كثيراً وانقطعت صلتهم بالخارج ، واستمرت حالتهم تتطور من سيىء الى أسوأ حتى سـنة ١٩١٨ حين استقلت بولونيا ، فـكان هـذا التاريخ بداية عهد جديد للاسلام

فى تلك البلاد عادت فيه الطمأنينة الى النفوس ، وتحسنت حال المسلمين ، وبدأت صلتهم بالخارج تزداد ، فأرسلت بعثة دينية من خيرة شباب المسلمين فى بولونيا الى الأزهر الشريف ، وتبودلت الزيارات ، فأتاحت هذه الفرصة كتابة هذا الموضوع لتسجل فيه حالة الاسلام والمسلمين منذ بدأ الاسلام أن ينفذ الى بولونيا حتى العصر الحاضر .

انتشرت المبادئ الاسلامية فى طول الأرض وعرضها بهمة رجال الاسلام العاملين ، فوصلت الصين وأسبانيا والروسيا وأفريقيا ، وما زالت تتسع وتنتشر حتى عمت دولا كثيرة ، ودخل الناس فى الاسلام أفواجا ، وصادفت الدعوة رواجا عظيما بين الشعوب التركية والتتارية التى عرفت فيما بعد بغيرتها على الاسلام ودفاعها عنه ، وقد لعبت هذه الشعوب دورا كبيرا فى تاريخ الاسلام فى بولونيا والروسيا .

كانت هذه الشعوب التركية والتتارية تميل بطبيعتها الى الفتح والغزو ، فلما دخلت فى الاسلام بقيت على نزعتها الحربية مضطرة بما تتوقعه من غارات جيرانها وتهديدها إياها فى أرضها ، فاشتبكت فى حروب كثيرة مع جيرانها من الدول الروسية والبولونية وغيرها ، وكانت تنتصر تارة وتنهزم تارة أخرى ، ولكن هذا الاحتكاك بين الأتراك والشعوب الشمالية أدى الى نفاذ بعض المسلمين الى بولونيا واستوطنوا بها . هذا وفى عام ١٣٩٧ ميلادية انتصر الملك فيتولت (أحد ملوك مقاطعات شمال شرق بولونيا) على بعض الدول التتارية ، وأسر بعض المسلمين الذين استقروا فى البلاد محتفظين بمبادئهم الدينية وتقاليدهم الاسلامية ، فكوّنوا بذلك جالية إسلامية صغيرة بالقرب من مدينة فيلنو أصبحت نواة الاسلام فى بولونيا . وقد امتازت الشعوب التتارية بشجاعة أفرادهم ومهارتهم الحربية ، إذ كان من عاداتهم التغنى بالفروسية والفخر بالنصر أو الموت فى ساحات القتال دفاعا عن الدين والوطن . هذه الطبيعة متأصلة فى نفوسهم من القدم ، ولم يشنوا غارة إلا انتصروا ، وإذا انضمت القبائل التتارية الى فريق من المتحاربين فقد رجحت كفة القتال فى صفهم . لهذا كثيرا ما كانت بولونيا تلجأ الى التحالف مع بعض

ملوكهم ليمدوها بالمال والرجال أثناء حروبها مع الدول المعادية . وقد حدث فى عام ١٤١٠ ميلادية أن قامت فرقة تتارية مكونة من بضعة آلاف من المسلمين تحت قيادة الأمير جلال الدين (أمير أحد الولايات الاسلامية الواقعة على ضفاف نهر الفلجا) لمساعدة بولونيا ضد بروسيا ، واستطاعت بولونيا بذلك أن تحرز النصر فى موقعة جرونوالد، ثم رجع الامير الى بلاده . وفى عام ١٤٣٢ ميلادية عقدت معاهدة بين بولونيا والأمير أحمد والى كيبشاك (الواقعة فى شمال بحر القزوين) على أن يقوم هذا الأخير بمساعدة بولونيا ومدها بالرجال الفرسان نظير ماتقدم له من مال وامتيازات لرعاية المسلمين فى بلادهم .

استقر عدد كبير من الجند والمهاجرين من التتار فى بولونيا، ولم تكن الحكومة تعارض فى ذلك ، بل كانت تعمل دائما على تشجيع إقامتهم فى البلاد ، فسهلت لهم سبل الإقامة ، وسوت بينهم وبين أهل البلاد فى الحقوق والواجبات ، ولم تتدخل فى مسائلهم الدينية ، كما أنها سمحت لهم بالزواج من البولونيات غير المسلمات ، وتركت لذريتهم الحرية فى اختيار ما يشاءون من الأديان ، ولم تكن عنايتها بهم تقل عن عنايتها بأبناء الوطن الأصليين ، ومنحتهم فوق ذلك أراضى كثيرة صالحة للزراعة فى الشمال الشرقى من بولونيا أصبحت فيما بعد مقر الاسلام والمسلمين ، ولما كانت مدينة فيلنو أهم مدن هذه المقاطعة أو قل إنها عاصمة تلك الجهة ، أصبحت هذه المدينة عاصمة الاسلام ومقر المسلمين، ولم يفقد هؤلاء القوم شجاعتهم وإقدامهم وحبهم للحرب والقتال ، واستفادت بولونيا من هذه الصفات ، فهيأت لهم أن يكونوا فرقا خاصة فى الجيش ، وتمتاز هذه الفرق بزى خاص وإشارات خاصة ، أخص ما فيها هذا الهلال الذى يعلن عن الاسلام ، وقد بلغ عدد هذه الفرق فى عام ١٤٣٢ من أربع إلى ست فرق ، بينما بلغ عددها فى عام ١٦٥٤ سبع فرق ، وقد لعبت هذه الفرق دورا هاما مجيدا فى الدفاع عن حدود بولونيا الشرقية ضد غارات الروس ، وقد أبلى المسلمون بلاء حسنا فى هذه الحروب لاسيما الحرب التى وقعت بين عام ١٥٠٨ وعام ١٥١١

أشار المسلم البولونى فى رسالته إلى رستم باشا أن حالة المسلمين طيبة، وأن ما بها من المساجد كذلك، وأنه يوجد عدد كبير من حفظة القرآن الكريم، وأن معظم الكتب الدينية والتفاسير مكتوبة بأحرف عربية ولكن ألفاظها بولونية. وفى وصفه لحالة المسلمين الاجتماعية قال: إن مستوى معيشتهم مرتفع إذا قيس بمستوى معيشة المسلمين فى الروسيا وغيرها من الدول المسيحية. هذا من الوجهة المعيشية، أما من الوجهة العلمية والثقافية فيندر بينهم من لا يجيد الكتابة والقراءة. ثم إن كفاءتهم فى فن الترجمة ودراسة اللغات الأجنبية أفسحت لهم المجال للاشتغال فى السفارات خصوصاً فى البلاد الشرقية. واختتمت الرسالة بدعوة عامة لجميع المسلمين للمحافظة على تلك الجذوة من نور الاسلام، والعمل على إذكائها وتنميتها.

أثرت هذه الرسالة فى نفس رستم باشا، وأوجدت فى الجو التركى ميلا شديدا وانعطافا نحو مسلمى بولونيا، ومن ثم بدأت صلتهم بالخارج تتزايد، وكثرت المبادلات والمراسلات، وانهالت عليهم الرسائل والمؤلفات الدينية من كل حدب وصوب، فتحسنت حالهم كثيرا، وكثر عددهم حتى تراوح ما بين ١٣ و ١٤ ألف نفس فى القرن السابع عشر، ولم يكن الاتصال قاصرا على الأمم الاسلامية المجاورة مثل تركيا والقرم، بل تعداها الى الشام والعراق ومصر، وزادت معرفتهم بالاسلام.

بقيت الرسالة المقدمة الى رستم باشا المصدر الوحيد عن حالة الاسلام فى بولونيا الى أن جمع الله بين موسى كاد هودى أحد المسلمين البولونيين وبيتشفى المؤرخ التركى الشهير، فوجّه هذا الأخير عدة أسئلة الى موسى كاد هودى يستفسر فيها عن حالة الاسلام فى بولونيا، وأبدى رغبته الشديدة فى الكتابة عن هذا الموضوع فلم يتأخر موسى كاد هودى عن مده بالمعلومات الكافية، وقد خصص هذا المؤرخ التركى لهذا الموضوع بعض الفصول فى الجزء الأول من كتابه المسمى « تاريخ » وقد تناول بحثه وصفاً مسهبا عن حالة الاسلام والمسلمين فى بولونيا ومستواهم الخلقى والعلمى والأدبى،

وعن طهارة روحهم الاسلامية وتمسكهم بأصول الدين واتباعهم لمذهب أبي حنيفة، ورجوعهم فى حال خلافاتهم الدينية الى علماء كرمان وغيرها من البلاد الاسلامية المجاورة.

تلك هى حالة مسلمى بولونيا حتى القرن الثامن عشر عند ما انقسمت بولونيا الى ثلاثة أقسام بين الروسيا والنمسا وألمانيا. « يتبع »

على اسماعيل فورونوفتش ، محمد سيد الحموى

ذم الغيبة

قال الله تعالى : « ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا » ؟.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا قلت فى الرجل ما فيه فقد اغتبته ، وإذا قلت ماليس فيه فقد بهته » فى هذا رد على الذين يقولون إننا لا نذكر فلانا إلا بما فيه فلا إثم علينا.

مر محمد بن سيرين المحدث المشهور بقوم فقام اليه رجل منهم فقال : أبا بكر إنا قد نلنا منك فحللنا . فقال إني لا أحل ماحرم الله .

وكان رقبة بن مصقلة جالسا مع أصحابه فذكروا رجلا بشيء ، فطلع ذلك الرجل ، فقال بعض أصحاب مصقلة : ألا أخبره بما قلنا فيه لئلا يكون غيبة . قال أخبره حتى يكون نميمة .

واغتاب رجل رجلا عند قتيبة بن مسلم، فقال له : أمسك عليك أيها الرجل فوالله لقد تلمظت بمضغة طالما لفظتها الكرام .

قال محمد بن مسلم الطائفى : جاء رجل الى ابن سيرين فقال له : بلغنى أنك نلت منى . فقال له : نفسى أعز من ذلك .

وقال رجل لبكر بن محمد بن عصمة : بلغنى أنك تقع فى . قال أنت إذن على أكرم من نفسى .

وعاب رجل رجلا عند بعض الفضلاء فقال له : قد استدللت على كثرة عيوبك بما تكثر من عيوب الناس ، لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها .

فلسفة الاخـــلاق

وصلتها بالنفس البشرية

أسلفنا فى بحوثنا السابقة أن أولى القـوى التى تظهر فى الانسان وتكون من مقوماته هى القوة التى يشتاق بها الى الغـذاء ، وهى تعرض له فى أولى مراحل الحياة لا تفتأ تستحدث من الحوافز والدوافع لديه ما ينهض بآلاته وأسبابه أن يصل الى ما فى متناوله ، إبقاء على نفسه وحرصا عليها من الضياع ، فيتحرك مثلا بطبيعته الى اللبن يلتمسه من ثدى أمه الذى أُلهم به من غير تعليم ولا توقيف ، فيحدث له مع ذلك قوة على التماسه بالصوت المتهدج الذى يدل به على اللذة أحيانا وعلى الأذى أحيانا . ثم تتزايد فيه هذه القوة ويتشوق بها أبدا الى الازدياد والتصرف بها فى أنواع الشهوات . ثم تحـدث فيه قوة على التحرك نحـوها بالآلات التى تخلق له الشوق الى الأفعال التى تحصـل له هذه . ثم يحدث له من الحـواس قدرة على تخيـل الأمور وترسم معانيها . فيرسم فى قوته الخيالية صـورا ومقادير وأبعادا يتشـوق اليها ويسمو الى التزود منها . ثم تبرز فيه القوة الغضبية التى يشتاق بها الى اتقاء ما يؤذيه ومقاومة ما يصده عن انتفاعه بها ، فإن أطاق بنفسـه أن ينتقم بواسـطة شهوته الغضبية من مؤذياته تغلب عليها وإلا التمس معـونة غيره وانتصر بوالديه بالتصويت والبكاء . ثم يحـدث له فى خاتمة مراحله الشوق الى تمييز الأفعال الانسانية بنوع خاص أولا فأولا حتى يصير فى كماله فى هذا التمييز فيسمى حينئذ عاقلا .

وتلك القوى كثيرة متآخذة الأسباب والعلل بعضها ضرورى فى وجود الأخرى وبعضها متصل بالبعض الآخر الى أن ينتهى الى الغاية الأخيرة وهى التى لا تراد لغاية أخرى وهى الخير المطلق الذى يتطلبه الانسان من حيث كونه إنسانا .

وتلك المراتب التى حددناها بتلك الرسوم إنما هى خاصة من خواص الأحـداث الصبية . والأحداث الصبية كما قال جالينوس : نواة هذا المجتمع الذى تقوم عليه نواميس

الوجود . فالأناسي في أدوار وجودهم لابد أن يجتازوا أول دور من أدواره وهو عهد الحداثة والصبا . فذلك العهد هو مغرس الفضائل أو عش الرذائل ، وهو منبت السوء أو منبع الحكمة والنور ، وهو الشيء أو نقيضه بالقياس الى ما بذل في سبيل تأديبه من تعاليم ، وما ركز فيه من خلق كريم .

فأول ما يحدث في الصبي من هذه القوة الحياء ، وهو الخوف من ظهور شيء قبيح من جانبه . ولذلك يقول أرسطو : إن أول ما ينبغي أن ينغرس في الصبي ويستدل به على عقله الحياء ، فإنه يدل على أنه قد أحس بالقبيح ، وهو مع إحساسه بالقبيح يفرق منه ويتجنبه ويحذر أن يظهر عليه أو يبدو له فيه أثر . فإذا نظر الى الصبي فوجد مستحييا مطرقا بطرفه الى الأرض غير وقح الوجه ولا محدق الى محاذيه ، كان من أبرز الأدلة على نجابته وسلامة ذوقه وسعة عقله ، وكان شاهد عدل على أن نفسه قد أحست بالجميل والقبيح ، وعرفت الفرق بينهما ، فرضيت أن تعتنق الجميل مذهبا ، وأن تتنكب القبيح لها مسلكا ، وأيقنت بالفرق العظيم بينهما وأيهما يجب أن يفعل وأيهما يجب أن يهمل ، وتلك النفس التي يحملها بلا مراء دليل على صلاحيته للتأديب وتلقي مبادئ التهذيب .

فالأخلق بمثل هذه النفس أن تنبه أبدا على حب الكرامة ، ولا سيما ما يحصل له منها بالدين دون المال وبلزوم سننه ووظائفه . هذه النفس التي يحملها الأحداث والصبية بين جوانبهم يجب أن تمرن في أولى مراحلها على الحذر من الأشرار ومخالطة الأخيار ، وتجنب ما من شأنه أن يورث في النفوس زهوا أو يحدث غرورا ومرحا ، أو ينشيء إمعانا في المتاع وأثرة فيما يضر وفيما ينفع ، حتى تنساق سنن الوجود وتتلاقى أسبابه وتنعدم تلك الفوارق التي ما بقيت في أمة إلا كانت سبيل حتفها .

أما آراء الأخلاقيين فيما يجب أن يكون عليه الصبية والأحداث من أخلاق وما تتأثر به نفوسهم من أعراض هذه الحياة ، وما جد من خلاف بين بعض الأخلاقيين من المتأخرين وبين المتقدمين منهم ، فموعدنا بالكشف عن ذلك العدد التالي إن شاء الله .

عباس طه

التربية فى المدارس الالمانية والانجليزية

توجد أحوال يعرفها الآباء والمربون لا تغنى فيها جميع وسائل التربية من زجر وتأنيب وحبس وحرمان من الدرس أياما وأسابيع الخ ، بل قد يزداد التلميذ قحة وبلادة ويكون مثل سوء لغيره . فهذه المشكلة قد حلها الانجليز والألمان فابقوا على عقوبة الضرب فى المدارس .

أمامنا الآن كتاب لحضرة صاحب العزة حسن نبيه بك المصرى الذى كان مستشارا بمحكمة الاستئناف ،دعاه (التربيب) ألم فى بعض بحوثه بهذه المسألة . ونحن نلخص ماجاء به منها :

من النظام المدرسى استعمال عصية من الخيزران فى عقاب التلاميذ ، ولكن توقيع هذه العقوبة مقيد بتوافر أحوال تجوز للعلم الحق فى المجازاة بها ، وهذه الأحوال هى : الكذب ، والاصرار على التمرد ، والكسل ، والفاحشة ، والهرب .

وليس المعلم بمطلق اليد فى اختيار العصية التى يضرب بها ، ولا فى عدد الضربات ، ولكن المدرسة هى التى تعطى للمعلم تلك العصية وتحدد له عدد الضربات من ثلاث الى ست . ولا يوقع العقاب أمام التلاميذ حفظا لكرامة المذنب . ويحضر هذا العقاب مدرس ثان ومدير المدرسة .

والضرب مستعمل فى مدارس انجلترة . ولا يثير الضرب سخط التلاميذ لأنهم يعتبرونه جزاء وفاقا لبعض الذنوب . ومتى تم توقيع الجزاء تصافح التلميذ والمؤدب . وقد يكون الطالب موضع هزؤ وسخرية عند بقية الطلبة بل مرميا بالجبن وقلة الحياء إن هو وجد على مؤدبه ، ويصبح جميع إخوانه نافرين منه إن أبى العقوبة أو تحملها مكرها .

وقد حبذ صاحب كتاب اعراف باريس مذهب الانجليز فى استخدام العصا لمتمردى التلاميذ ، واستدل على نفعها بخصب انجلترا فى اتباع الرجال الأقوياء الأحرار . فالرجال الكبار (بت) و (فكس) و (اكنيل) و (غلادستون) ذاقوا طعم هذه العقوبة . قال : ولا ينكر أحد أن انجلترة كانت فى كل أدوارها بعيدة عن نقيصة العبودية للأقوياء . ولا ينكر أنها أنجبت رجالا عظماء .

التربيب

هذا الكتاب الذى لخصنا منه الكلمات المتقدمة يقع فى نحو ٤٥٠ صفحة ، مطبوع أجمل طبع على أجود ورق ، أما موضوعه فاخص المواضيع بالحياة الاجتماعية وهى التربية . وقد سلك فيها مؤلفه حضرة صاحب العزة حسن نبيه بك المصرى مسلك رب الأسرة اليقظ الحصيف ، فلم يدع صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بتقويم الأخلاق وتربية الملكات ، وتنبيه

النحائز الكريمة فى الأطفال إلا أحصاها على ما تنص عليه أقوم مذاهب التربيـة ، ولكن الصفة المميزة لهذا الكتاب هى أنه موضوع للحياة المصرية ومراعى فيه عاداتها وتقاليدها ، وما طرأ على تلك التقاليـد والعادات من التغير . فدرس أطوار هـذا التحول دراسة الخبير بنفسية الناس ، وعالجها علاج المطلع على وسع النفوس وطاقتها . كل ذلك فى لهجة عربية صحيحة وبيان خلاب .

فان لاحظنا عليه شيئا فهو استعماله لالفاظ غريبة أحيانا ولكنها ألفاظ عربية فصيحة ، وهو يتدارك القارىء بشرحها فى أذيال الصحف . وقد ختمه بفهرس للأعلام هو وحده جامع لتراجم أشهر الرجال والمؤلفين والحكماء . وفق الله مؤلفنا الكريم لا تحاف أبناء هذه اللغة بأمثاله ، وجزاه عن عمله خير ما يجزى به المصلحين .

أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم

هـذا اسم كتاب يقـع فى نحو ٣٦٠ صفحة نشره الأستاذ (ج هيورث . دن) المدرس بمعهد الدراسات الشرقية بلندن . ساعده على نشره أوصياء ذكرى (ا . ج . و . جب) وهو مقتبس من كتاب الأوراق لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى .

إن مجرد ذكر مؤلف هذا الكتاب وهو الصولى يغنى عن تقريظه ، فهو صفحة من الأدب العربى كانت مطوية فنشرت ، سيجد مطالعوها من مكنونات الشعر الأرسطوقراطى ما لا يمكن العثور عليه مجموعا فى غير هذا الكتاب . وهى عناية عظيمة من حضرة الأستاذ (ج . هيورث دن) نشكره عليها كل الشكر ، ونرجو لكتابه ما هو خليق به من الذيوع والانتشار .

وقد أهداه لصاحب العزة طه حسين بك أستاذ الأدب بكلية الآداب بالجامعة المصرية .

الفتح الربانى

تم طبع الجزء الرابع من كتاب (الفتح الربانى لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيبانى) تاليف حضرة الأستاذ الشيخ احمد عبد الرحمن البنا الساعاتى . وعنوانه عطفة الرسام رقم ٩ بالغورية بالقاهرة .

حياة الخليل ابراهيم

هى سلسلة محاضرات ألقاها حضرة الوجيه مصطفى افندى محمد الراعى تتضمن ترجمة حياة رسول الله ابراهيم الخليل عليه السلام يقع فى مائة وستين صفحة لم يترك شاردة من تاريخ

أبي الأنبياء إلا أوردها ، فهو أجمع رسالة لسيرة هذا النبي الكريم . جزى الله مؤلفه خير الجزاء ، وأثابه على صنيعه بما هو به خليق .

منهج الادب العربى الحديث

هو كتيب يقع فى مائة صفحة لحضرة مؤلفه الفاضل الاستاذ المربى محمد رزق الدهشان المدرس بالمدارس الثانوية . وضعه طباقا لآخر ما قررته وزارة المعارف للسنة الثالثة الثانوية من منهج الأدب العربى ، وهو يتناول تعريف الأدب وتاريخه فى العصور المختلفة : العصر الجاهلى . والعصر الاسلامى . والعصر العباسى . وعصر المماليك . وعصر الدولة العثمانية . والنهضة الحديثة . أتى المؤلف على تاريخ الأدب فى هذه العصور بإيجاز غير مخل بحيث يلم قارئه فى جلسة واحدة يطالع فيها هذا الكتيب بفذلكة عن الأدب يعجز أن يخرج بمثلها بعد دراسات طويلة ، ومكابدات شاقة . فنشكره على هذا العمل الجليل راجين له دوام التوفيق .

جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالقاهرة

بشارع الملكة نازلى بدار جمعية الشبان المسلمين

ستعقد الجمعية الامتحان السنوى فى حفظ القرآن الكريم وتجويده فى يوم السبت ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ (١٥ أغسطس سنة ١٩٣٦) وآخر موعد للطلبات ٢٠ يوليه بجمعية الشبان المسلمين — بالشروط الآتية :

١ — لا يجوز أن تكون سن الطالب زائدة عن ١٤ سنة لغاية أول أغسطس بموجب شهادة رسمية

٢ — لا يجوز أن يكون ممن أخذوا مكافآت مالية فى مسابقات السنين الماضية .

٣ — سيعطى للعشرين الأول من الفائزين مكافآت مالية أرقاها ستة جنيهات .

رئيس الجمعية : على حسن احمد

الى حضرات المشتركين

نرجو كل مشترك أن يتفضل بذكر رقم اشتراكه الموجود فوق عنوانه فى كل كتاب يرسله الينا حتى يسوغ لقلم الكتاب أن يوافوه بمطلوبه يوم وصول كتابه . أما إغفال هذا الرقم فيفضى الى تأخير جوابه تأخيرا غير مقصود . لأن البحث عن اسمه بالسجلات يقتضى إنفاق وقت ليس بالقليل هم أحوج اليه لانجاز أعمال أخرى .

man in whose face the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) sprayed water from his mouth; Mahmûd was then a boy, and the water was taken from a well belonging to his family."

ᶜUrwah related through Al-Miswar and another witness (1), who confirmed each other's narration : "..... and when the Prophet (Allâh bless him and give him peace) performed his wudûᵓ, the Faithful nearly fought onean other for the water *left over* from his wudûᵓ."

3. We are informed by Abdu-r-Rahmân b. Yûnus, who had it from Hâtim b. Ismâᶜil, through Al-Jaᶜd, who heard As-Sâᵓib b. Yazîd say :

"My maternal aunt once took me to the Prophet (Allâh bless him and give him peace) and said : 'O Messenger of Allâh, my nephew is ailing'. (2), The prophet then stroked my head, and called down a blessing upon me. After that he performed his wudûᵓ, and I drank of the water left over. I then stood up behind him, and observed the seal of prophethhood between his shoulders, like a partridge's egg. (3)"

الذى مَجَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى وَجْهِهِ وَهُوَ غُلامٌ مِنْ بِئْرِهِمْ .

وقال عروةُ عن المِسْوَرِ وَغيرِه يُصَدِّقُ كُلٌّ وَاحدٍ مِنْهُمَا صاحِبَهُ « .... وَإِذا تَوضَّأ النبيُّ صلى الله عليه وسلم كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلى وَضُوئِه »

٣ ـ حدثنا عبد الرحمن بن يونس قال حدثنا حاتم بن اسماعيل عن الجعد قال سمعت السائب بن يزيد يقول :

« ذَهَبَتْ بى خَالَتِى إلى النبىِّ صلى الله عليه وسلم فقالَتْ : يارسولَ الله انَّ ابْنَ أُخْتى وَجِعٌ ، فَمَسَحَ رَأْسى وَدَعَا لى بالْبَرَكَة ، ثُمَّ تَوضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِه ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِه فَنَظَرْتُ إلى خَاتَمِ النُّبُوَّة ، بين كَتِفَيْهِ مِثْلَ زِرِّ الْحَجَلَةِ . »

---

(1) Marwân b. Al-Hakam.

(2) Or — وقع having sore feet from walking bavefoot on rough ground.

(3) Or — like a button used in upholstery, since حجلة may have the meaning of an upholstered bower. The rendering "partridge's egg" is borne out by the parallel version in Muslim, where بيضة الحمامة (pigeon's egg) is given. Other versions give تفاحة (apple) and بندقة (nut).

As regards "the seal of prophethood", according to Abu Nuᶜaim's "Ad-Dalâᵓil", when the Prophet was born, he was immersed by the Angel three times in a miraculous spring, whereupon there appeared a seal wrapped in white silk, with which the Angel stamped his shoulder, the shape of the mark left being similar to that of an egg, apple, nut or fig. It is also stated that the Prophet was born with it. The seal was a visible proof of the Prophet's mission as foretold in the sacred books. Also he is spoken of in the Qurᵓân as the "Seal of the Prophets", — there being no prophet after him.

and on Jarir b. ᶜAbdullâh's injunction to his wife to use for her wuḍû' the water left over after he had dipped his tooth-stick in it.

1. We are informed by Adam, who had it from Shuᶜbah, who received it from Al-Hakam, who heard Abu Juhaifah say :

" The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) once came out to us in the noonday heat. He was brought water and performed his wuḍû'. Then the Faithful proceeded to take some of the water left over from his wuḍû', and to rub themselves with it. Afterwards the Prophet (Allâh bless him and give him peace) performed the noon-prayer rand the afternoon-prayer with two rak'ahs each, having an iron-tipped staff *stuck in the ground* in front of him."

Abu Mûsa said : " The Prophet (Allâh bless him and give him peace) sent for a bowl of water, in which he washed his hands and face, and then rinsing his mouth and ejecting the water into the bowl, he said to his two companions (1): 'Drink from this water and pour it over your faces and throats.' "

2. We are informed by 'Ali b. ᶜAbdullâh, who had it from Yaᶜqûb b. Ibrâhîm b. Saᶜd, who received it from his father through Sâlih, through Ibn Shihâb, who said :

"I was told a hadith (2) by Mahmûd b. Ar-Rabiᶜ - who was the very

وَأَمَرَ جَرِيرُ بنُ عبد الله أَهْلَهُ أَنْ يَتَوَضَّئُوا بِفَضْلِ سِوَاكِهِ .

١ ـ حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال : حدثنا الحَكَمُ قال سمعت أبا جحيفة يقول :

« خَرَجَ عَلَيْنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بِالهَاجِرَةِ ، فأُتِيَ بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ من فَضْلِ وَضُوئِهِ فَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ ، فَصَلَّى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ وَالعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ » .

وقال أبو موسى ، دَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ وَمَجَّ فِيهِ ثُمَّ قَالَ لَهُمَا : اشْرَبَا مِنْهُ وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا » .

٢ ـ حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد قال حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب قال :

أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ بنُ الرَّبِيعِ قال وهو

(1) i.e. Abu Mûsa and Bilâl

(2) Namely, the hadith cited in the Book of Knowledge : "I remember of the Prophet how he sprayed my face through his mouth with water taken from a bucket, when I was five years old."

حدثنا موسى قال حدثنا وهيب عن عمرو عن أبيه :

شهدت عمرو بن أبي حسن سأل عبد الله بن زيد عن وضوء النبي صلى الله عليه وسلم ، فدعا بتور من ماء فتوضأ لهم وضوء النبي صلى الله عليه وسلم ، فأكفأ على يده من التور فغسل يديه ثلاثاً ، ثم أدخل يده في التور فمضمض واستنشق واستنثر ثلاث غرفات ، ثم أدخل يده فغسل وجهه ثلاثاً ، ثم غسل يديه مرتين إلى المرفقين ، ثم أدخل يده فمسح رأسه فأقبل بهما وأدبر مرة واحدة ، ثم غسل رجليه إلى الكعبين .

We are informed by Mûsa, who had it from Wuhaib, through ᶜAmr, through his father, who said :

"I was present when ᶜAmr b. Abu Hasan asked ᶜAbdullâh b. Zaid about the wudûᵓ as *performed* by the Prophet (Allâh bless him and give him peace). He called for a vessel of water and performed the wudûᶜ for them just as the prophet (Allâh bless him and give him peace) used to perform it. He poured some *water* out of the vessel on to his hand and washed both hands three times. (1) After that he immersed his hand in the vessel, and with three scoops he rinsed his mouth, snuffed water up his nostrils and ejected it. (2) He further immersed his hand and washed his face three times, after which he washed his hands twice as far as the elbows. Next he immersed his hand and stroked his head *with both wet hands*, passing them from front to back and from back to front once only. Finally he washed his feet as far as the ankles."

— ٤٠ —

باب استعمال فضل وضوء الناس :

Chapter 40

On the use of water left over (3) from other people's wudûᵓ ;

(1) i.e. he poured water into the hollow of one hand with which he washed both hands, repeating the process three times. This made sure the ritual cleanness of the hand before its subsequent immersion into the vessel. (Ibn Hajar)

(2) Al-ᶜAini states that Ash-Shâfiᶜî used to take three scoops for each process, while some doctors interpret the hadith as indicating three scoops for both. Ash-Shâfiᶜî's practice, however, has become general.

(3) فضل الوضوء is not the water expended on the wudûᵓ but the clean water left in the vessel after the completion of the wudûᵓ, with which washed hands have come in contact.

head ; (1) and on the fact that when Mâlik was asked whether it was sufficient to stroke a part of the head, he appealed to the hadîth transmitted by ᶜAbdullâh b. Zaid. (2)

We are informed by ᶜAbdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, throught ᶜAmr b. Yahyâ Al - Mâzini, through his father that:

A man once said to ᶜAbdullâh b. Zaid the grandfather of ᶜAmr b. Yahyâ: "Canst thou show me how the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) used to perform his wudû'?" ᶜAbdullâh b. Zaid replied in the affirmative and called for water, *some of which* he poured upon his hands washing them twice. He then rinsed his mouth and cleansed his nostrils, three times. After that he washed his face three times, and next each hand twice as far as the elbows. He then stroked his head with his *wet* hands, passing them from front to back and from back to front - that is to say, beginning at the front of his head and passing them as far as the nape of his neck, and then bringing them back to the place where he had started. Finally he washed his feet.

CHAPTER 39.

On the washing of the feet as far as the ankles.

وَسُئِلَ مَالِكٌ، أَيُجْزِىءُ أَنْ يَمْسَحَ بَعْضَ الرَّأْسِ؟ فَاحْتَجَّ بِحَدِيثِ عبد الله بن زَيْدٍ.

حدثنا عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك عن عمرو بن يحيى المازنى عن أبيه:

أَنَّ رَجُلاً قَالَ لعبد الله بن زيد وَهُوَ جَدُّ عمرو بن يحيى، أَتَسْتَطِيعُ أن تُرِيَنِى كَيْفَ كَانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَتَوَضَّأُ؟ فقال عبدُ الله ابن زيد نعم، فَدَعَا بِمَاءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ ثَلاَثاً، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاثاً، ثم غَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ إلى الْمِرْفَقَيْنِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ - بَدَأَ بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ حَتَّى ذَهَبَ بِهِمَا إلى قَفَاهُ ثُمَّ رَدَّهُمَا إلى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ.

— ٣٩ —

بَابُ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ إلى الْكَعْبَيْنِ:

(1) Al - Karmâni, commenting on Al - Bukhâri, considers that it is a woman's duty to pass her wet hands over the entire head ; but Al-ᶜAini considers that this athar (أثر) does not bear out Al-Bukhâri's heading, but rather shows that a woman's equal duty with a man does not comprise more than the mere stroking ot the head, and not necessarily the whole head.

(2) The controversy as to the whole or partial stroking of the head depends on the interpretation of the (ب) in (برؤوسكم) which some doctors take to be redundant and so to imply the whole of the head ; while others take it to partitive (تبعيضية) and so to imply partial stroking. (See Ibn Hajar)

same way — or nearly — (I [1] do not know which expression Asmâ' used) as ye shall be tried *in the days* of the Antichrist.

أَوْ قَرِيبَ - مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ (لا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ)

They [2] shall come unto each one of you and say: 'What dost thou know of this man [3] ?' As for the true believer - or the faithful man - (I do not know which expression Asmâ' used), he shall say: 'It is Muhammad the Messenger of Allâh who came unto us with the proofs *of his mission* and with the true Guidance. We accepted his message and believed him and followed him!' It shall be said unto him: 'Sleep in peace, for we know that thou art indeed a true believer'. As for the hypocrite - or the doubter-(I do not know which word Asmâ' used) he shall say: 'I do not know *what to say*; I heard people say something and I repeated it'."

يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيُقَالُ لَهُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ - أَوِ الْمُوقِنُ - (لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ) فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى. فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا ، فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحاً فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُؤْمِناً ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ - أَوِ الْمُرْتَابُ - (لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ) فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي ، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُهُ ».

CHAPTER 38.

— ٣٨ —

On stroking the whole head *with the wet hands*, - based on the word of Allâh (be He exalted): "and stroke your heads [4] *with your wet hands*;" [5]

بَابُ مَسْحِ الرَّأْسِ كُلِّهِ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: « وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ »

and on Ibn Al-Musayyab's statement: "A woman equally with a man must pass *her wet hands* over her

وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ : « الْمَرْأَةُ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ تَمْسَحُ عَلَى رَأْسِهَا

(1) Fâtimah - the narrator of the hadith.

(2) i. e. the Angels of death, Munkar and Nakîr.

(3) i. e. the Prophet — the Angels do not refer to him as such, because they do not wish to prompt the dead man.

(4) Al - Bukhâri, like Mâlik, holds that the (ب) in (برءوسكم) is redundant.

(5) Surah 5 : 6.

Chapter 37.

On one who doth not perform *a fresh* wudû' except after a deep swoon. (1)

We are informed by Ismâ'il, who had it from Mâlik, through Hishâm b. 'Urwah, through his wife Fâtimah, through her grandmother Asmâ', Abu Bakr's daughter, who said:

"I once went to 'A'ishah, the wife of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) when the sun was being eclipsed, and lo! the Faithful were standing in prayer, while she was also standing in prayer. 'What is the matter with the people?' said I. She pointed with her hand to the sky and muttered: 'Allâh be praised.' (2) 'Is it a sign *of Allâh's wrath*?' said I. She made a sign in the affirmative. I then stood up in prayer *behind the Faithful* until I felt faint, and I began to pour water on my head.

When the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) had finished *the prayer*, he praised and extolled Allâh, and then said: 'There is nothing that I have not seen *hitherto*, but I have seen here and now, even Paradise and Hell. It hath verily been revealed to me that ye shall be tried in your graves in the

— ٣٧ —

بابُ مَنْ لَمْ يَتَوَضَّأْ إلاَّ مِنَ الغَشْيِ المُثْقِلِ :

حدثنا اسماعيل قال حدثني مالك عن هشام بن عروة عن امْرَأَتِهِ فاطمةَ عن جدَّتِهَا أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِى بكر أَنَّهَا قَالَتْ :

«أَتَيْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حين خَسَفَتِ الشَّمْسُ فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ يُصَلُّونَ ، وإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ تُصَلِّي ، فقلت : مَا لِلنَّاسِ ؟ فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا نَحْوَ السَّمَاءِ وقَالَتْ : سُبْحَانَ اللهِ ! فَقُلْتُ : آيَةٌ ؟ فَأَشَارَتْ أَيْ نَعَمْ ، فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلاَّنِي الغَشْيُ ، وَجَعَلْتُ أَصُبُّ فَوْقَ رَأْسِي مَاءً ،

فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إلاَّ قَدْ رَأَيْتُهُ فِى مَقَامِى هَذَا حَتَّى الجَنَّةَ والنَّارَ ، ولَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِى القُبُورِ مِثْلَ -

(1) i.e. one who does not consider a fresh wudû' necessary after a swoon, unless it be a deep one.

(2) سبحان الله Is not used here with any reference to the eclipse, but is a formula muttered by one praying if his prayer is interrupted. It is intended to show that he cannot reply until the prayer is completed.

He lay crosswise on the mattress, [1] while the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) and his wife lay on it lengthwise. The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) went to sleep until shortly before or after midnight, when he awoke. Sitting up, he rubbed sleep from his eyes with his hand, and then recited the ten concluding verses of the Surah entitled "The Family of ʿImrân." Next he rose *and took* an old water-skin that was hanging there and performed a thorough wuḍûʾ from it, after which he stood up to prayer.

Ibn ʿAbbâs added: "I then rose and did as the Prophet had done. After that I went and stood by his side, when he placed his right hand on my head, and took me by the right ear which he twisted. [2] He performed a two-rakʿah prayer six times in succession, followed by a witr-prayer. [3] He then lay down until the muezzin came to him, when he rose and performed a light two-rakʿah prayer, after which he went out and performed the morning-prayer."

خالَتُهُ ، فاضْطَجَعْتُ في عَرْضِ الوِسادَةِ واضْطَجَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَأَهْلُهُ في طُولِها ، فَنامَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم حَتَّى إذا انْتَصَفَ اللَّيْلُ أو قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ اسْتَيْقَظَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَرَأَ العَشْرَ الآياتِ الخَواتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرانَ ، ثُمَّ قامَ إلى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْها فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ قامَ يُصَلِّي

قالَ ابنُ عباسٍ ، فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ ما صَنَعَ ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إلى جَنْبِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى عَلَى رَأْسِي وَأَخَذَ بِأُذُنِي اليُمْنَى يَفْتِلُها ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَوْتَرَ ، ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى أَتاهُ المُؤَذِّنُ فَقامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ .

---

(1) Or — "pillow". Abu-l-Walid prefers "mattress" on which the child ʿAbdullâh may have lain at the head or the foot.

(2) i.e. rubbing it gently — either playfully, or in order to lead him to his other side — since prayer must be performed on the right side of the Imâm, if he is alone.

(3) Witr = an odd number. A prayer containing an odd number of rakʿahs, either one or three, is usually performed after the last prayer at night.

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخاري

للأستاذ ابراهيم حسن الموجي

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS
Translated into English
by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

OF RITUAL ABLUTION

(continued)

CHAPTER 36.

On reciting the Qur'ân and *performing* other *religious* acts (1) after accidental pollution;

and on Mansûr's statement through Ibrâhîm that there is no harm in reciting *the Qur'ân* in the bath — or in writing a letter without a previous wudû';

and on Hammâd's statement through Ibrâhîm: "If those in the bath are wrapped up, greet them; and if not, greet them not".

We are informed by Ismâ'îl, who had it from Mâlik, through Makhramah b. Sulaimân, through Kuraib the freedman of Ibn 'Abbâs, that 'Abdullâh b. 'Abbâs informed him that:

'*Abdullâh* once spent the night in the house of his maternal aunt Maimûnah, the wife of the Prophet (Allâh bless him and give him peace).

كتاب الوضوء (تابع ما قبله)

— ٣٦ —

بَابُ قِرَاءَةِ القُرْآنِ بَعْدَ الحَدَثِ وَغَيْرِهِ ، وقالَ منصور عن ابراهيمَ: «لا بَأسَ بالقِرَاءَةِ فى الحَمَّامِ وَبِكَتْبِ الرِّسالَةِ علَى غَيْرِ وُضُوءٍ» ، وقال حَمَّادٌ عن ابراهيمَ ، «إنْ كانَ عَلَيْهِمْ إزَارٌ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَإلاَّ فَلاَ تُسَلِّمْ» .

حدثنا اسماعيل قال حدثنى مالك عن مخرمة بن سليمان عن كريب مولى ابن عباس أن عبد الله بن عباس أخبره:

أنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ زوجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وَهِىَ

---

(1) e.g. writing the Qur'ân, or a letter containing the Basmalah, or other religious formulas.

الروح الاسلامية ومدى تأثيرها

فى النفس البشرية

— ٤ —

المقومات النفسية للفرد والجماعة

الروح والنفس لفظان مترادفان يدلان على شىء واحد، وهو النفحة الإلهية التى تحل بالجسم الحى وتظهر فيه بمظاهر الحركة والحس والتعقل والإرادة، ولكن الفلسفة فرقت بينهما تفرقة صناعية، فجعلت الروح خاصة بتلك النفحة الإلهية فى سمو جوهرها وصفائها من كدور الطبيعة المادية، وتنزهها عن التلونات العرضية؛ وجعلت النفس اسما للشخصية التى تنشأ من تعلق الروح بالجسد، حيث تكون فيها محجوبة به ولا تتصل بالوجود إلا من طريق حواسه الخمس. وفى هذه الحالة تكون تلك الشخصية التى تنشأ عنها ملتاثة بأقذاء الطبيعة المادية، تشبه من جميع الوجوه الشخصية الحيوانية (١) بل تكون بما تستمده من حيل العقل، أشد تطرفا منها فى الشهوات البهيمية والميول الوحشية.

وقد أعجز ترويض هذه النفس الهداة والمربين فى كل زمان ومكان، واستعصى علاجها حتى على العلم نفسه مع ما أوتيه من وسائل التأديب، وذرائع التأثير، وما كشفه فى سويدائها من مواطن الاقتناع، وعوامل الرُّعْوَى. فذهبت كل هذه المحاولات سدى، وبقيت النفس وهى فى أزهر البيئات مدنية، أشد ما تكون تهافتا على ما يفسد كيانها، ويعطل إصلاحها، ضاربة عرض الحائط بكل ما يقيم من أودها، ويرد من جماحها، حتى كأن العلم يزيدها كلبا على السفاسف، وشغفا بالخسائس.

---

(١) ويقول أصحاب المباحث النفسية من علماء أوربا إن الروح نفحة إلهية لا يدرك احد كنهها، حالة فى جسم اثيرى يشبه جسد صاحبها. وهذا الجثمان اللطيف هو النفس وهو قابل للتطور تحت تأثير الروح، وهما معا ثاويان فى الجسد الانسانى ولا ينفصلان عنه إلا عند الموت، فاذا أودع الجسد القبر استحال فيه الى تراب، وصعدت الروح وظرفها الاثيرى لتعيش مع الارواح فى عالم أرق من هذا العالم وتكابد فيه تطورات جديدة ترق بها الى آفاق أعلى.

لو كان كمال الانسانية ، حتى من الناحية المادية ، يقوم والنفس على ما هى عليه من تماد فى الغى ، وإمعان فى البغى ، لكان لدعاة الأهـواء عذر فى معاصاة حكمة الحكماء وأدب الفضلاء ، ولكن الكمال الانسانى ، حتى من تلك الناحية ، يتوقف بقدرٍ ما على الكمال النفسانى . ولذلك أجمع أهل العلم ، حتى الملحدون منهم ، على النعى على الإباحة ، والتشنيع على أهلها .

فإذا قال معترض : إذا كان ما تقوله حقا فكيف بلغت الانسانية الى هذه الدرجة من الرقى المادى والأدبى ، وكيف ينعم المتمدنون بوجود حافل بالمتع الحسية والعقلية ، على حين أن النفوس لا تزال ملتاثة بالصفات الحيوانية ، ومستنة بسنة الجاهلية ؟

نقول : إن الذين يضعون أصول هـذا الرقى ويبنون صرحه ، رجال أفذاذ ليسوا من ذوى النفوس المريضة الذين نذكرهم ، فهم أفراد ممتازون وقفوا وجودهم على ترقية العلوم والفنون ، وانصرفوا اليها حتى أصبحوا كأنهم أجانب عن مواطنيهم ، وكان أكثرهم مرضى بأعصابهم وفى عزلة من الناس ، كما هو حال العباقرة فى كل زمان ومكان ، حتى قيل إن الاضطراب العصبى والعبقرية توأمان متلازمان . ومن دون هؤلاء طبقة وسطى تأخذ عنهم وتستفيد منهم ، لم تستنفد الشهوات قواها المعنوية ، وهى التى تقوم بنشر هذه الثمرات وتطبيقها على العمل .

فلو حذفت من العالم هذه الطبقة الممتازة من الناس ومن يليها ممن ذكرنا ، بقى الدهماء الذين تعنيهم منصرفين الى إشباع شهواتهم ، وهؤلاء لو تركوا وشأنهم لما أوجدوا علما ، ولا أحدثوا عملا ، ولبادوا كما يبيد العاطلون ، أو لبقوا على ما عليه المتوحشون .

ولو تأملت فى أسباب تدهور المدنيات التى كانت قائمة فى الأرض لرأيتها تنحصر فى العقم الذى يصيب الجماعات عن توليـد الأفذاذ الممتازين ، ومن يليهم من الذين يأخذون عنهم ، وفى خلو الجو لذوى النفوس الجامحة تجرى الى حيث تدفعها اليه ميولها الخسيسة دون رادع يردعها ، أو مدد صالح يمنع تحللها .

ألم تتصوح زهرة المدنية اليونانية وقد ملأت طباق الأرض، قبل نحو ألفين وخمسمائة سنة، علما وحكمة؟ وبادت المدنية الرومانيـة التى خلفتها وكانت من قوة السلطان، وتوفر وسائل البقاء، بحيث كانت تلقب نفسها بالدولة الخالدة؟

لا ألفت نظرك لغيرهاتين، فإن آثار مدنيتيهما لا تزال ماثلة أمام أعيننا، بل لا تزال أصولها العلمية، ومبادئهما الفنية أصولا ومبادئ للمدنيـة الراهنة. فانظر كيف لم تغن هـذه الأصول والمبادىء عن ذويها شيئا حين طغت نفوس أهلها، ولم تصادف شكيمة تردها عن غيها؟.

وأمامنا اليوم شكل من المدنية افتتن به الشرقيون، وعـدوه غاية ليس وراءها مذهب، واعتبره كثير منهم حجة على الذين لا يزالون منا يذكرون أمراض النفوس وعلاجها، والآداب والوسائل الموصلة لها، على حين أنهم يرون بأعينهم أن كثيرا من أهل تلك المدنية لا يبالون بأمثال هـذه البحوث، ولا يقيمون لها وزنا. وهـذه من أولئك نظرة خاطئة تصور لهم الأحوال على غير حقيقتها. فى المدنية الراهنة كما كان فى كل مدنية رجال يحاولون تقويم أود النفوس، ويعملون على إصلاحها، ويبدون غاية التشاؤم من تماديها فى غيها، بل ينذرون بتلاشى هذه المدنية إن لم ترعو هذه النفوس عن بغيها.

قال العلامة الكبير كاميل فلامريون فى كتابه (تعرف قدرة الله فى الطبيعة) (١):

« لا يجوز لنا أن نخجل من الاعتراف بما انتهينا اليه من الانحطاط لأننا رضينا به وأصبحت عقولنا المتشبعة بالأثرة لا هم لها إلا أغراضها الذاتيـة. أليس حظنا اليوم من الحياة قد استحال الى جمع الثروة بلا مبالاة بوجوه جمعها، والى الحصول على المجد من طريق الغصب لا الكسب، والى الجمود وعدم الاهتمام بالدستور والواجبات؟

(١) هـذا الكتاب اسمه بالفرنسية (الله فى الطبيعة) وهو عبارة موجزة الغرض منها تعرف قدرة الله فى الطبيعة: (Dieu dans la nature, Par Camille Flammarion).

« إن من التناقض البين المؤلم للنفس أن نرى أن الرقى الباهر الذى حدث فى العلوم مما لا مثيل له فى التاريخ ، وأن هذه الفتوحات المتوالية التى تمت للانسان فى الطبيعة ، بينما رفعت عقولنا الى المدركات العالية ، أهبطت إنسانيتنا الى أخس الدركات ؟ ومن المحزن أن نحس بأنه بينما نشعر بنماء قوتنا يوما بعد يوم ، تنطفئ حرارة قلوبنا ، وتتصوح زهرة نفوسنا ، بتأثير غلبة المطامع المادية ، والشهوات الجسدية علينا » اهـ

وقال الأستاذ (فيرنس جيافرت) فى كتابه (الغمة الحاضرة) [1] :

« إن التحاقد والتعادى يزدادان يوما فيوما فى نفوس أهل البأساء المحكوم عليهم بالفاقة المؤبدة . وإن جنون البذخ والكبر لينمو على قدر ذلك لدى أهل اليسار والترف . وهذا الإلحاد الآخذ فى النمو يسوق جماعاتنا بعاطفة حب المساواة الى حالة ثورية دائمة . الى أن قال :

« لقد رجونا أن نداوى مصائب النوع الانسانى بالكنوز المادية التى ألقيت بين أيدينا من منذ قرن من الزمان ، كما تكاتف العلماء والمهندسون والصناع والميكانيكيون على زيادة متع الحياة الدنيا زيادة عظيمة . ولكن لم يكن من ثمرة كل تلك المكتشفات إلا نشر حمى حب المال فى الطبقات السحيقة جدا .

« فأى قانون أدبى يكفى لكبح جماح أهوائنا وإدخالها الى مجاريها الطبيعية المعتدلة ؟ لقد نزح عنا الكمال المعنوى ، ولم يبق فينا إلا خوف مبهم من شىء غير مدرك ، لأن العقيدة بالله لا يمكن زوالها من النفس ، فترى الذين لا إحساس لهم يستفيدون من وراء ما وقعنا فيه من الظلمات ، وترى العقول المستنيرة بالعلم المحرومة من الدين تعذرهم فى ارتكاب الجرائم . وبهذا فقد أصبحت الشهوات غير واقفة عند حد » انتهى .

إن الذى يتأمل فى هذين القولين اللذين سقناهما ، ونستطيع أن نأتى على عشرات من مثلهما ، يدلان على أن مسألة إصلاح النفسية البشرية لا تزال فى المقام الأول من عناية

(1) La tristesse contemporaine, par Fierens Geavert .

قادة العقول فى الأمم المتمدنة ، وأن الإباحة الشهوانية لا تزال تعتبر العلة الرئيسية فى تدهور الجماعات وانحلالها . فما يظنه السطحيون من أن الكلام فى إصلاح النفوس خاص بالشرقيين ، وأن الاشتغال به مظهر من مظاهر إخلادهم الى القديم ، ضلال محض لا يصح الإبقاء عليه ، وبخاصة فى هذا العصر الذى فيه يخلط الناس بين الاباحة الحيوانية وبين الحرية .

ففساد النفوس ، بناء على ما تقدم ، هو مثار كل خطر على حياة الجماعات الانسانية ، ومصدر كل انقلاب يهدد كيانها بالانحلال والتلاشى .

هنا تظهر حكمة الاسلام فى جعل أساس الأمة العالمية التى دعا لتأليفها ، إصلاح النفوس وتخليصها من أمراضها ، وفى التحتيم بأن يكون هذا الأساس من السمو العلمى بحيث لا تقوى أية فلسفة على توهينه ، بل بحيث يظهر كل دستور علمى ناقصا إذا قيس به ، مهما ارتقت المعارف ، وقويت العقول ، وبعدت غايات الفلسفة .

لقد أوصلت المدنية الأوربية أهلها الى غايات من الارتقاء الصناعى ما كان يحلم بها أعلى الخياليين كعبا فى القرنين الماضيين ، وهى على وشك أن تفتح للعقول آفاقا جديدة من العلوم والفنون ، ولكنها مع حصولها على هذه الدرجة تشكو الفاقة فى الناحية الأدبية ، فيصيح مثل الفيلسوف (فيرنس جيافرت) بقوله : « أى قانون أدبى يكفى لكبح جماح أهوائنا وإدخالها الى مجاريها الطبيعية المعتدلة ؟ » .

ويشكو زميله العلامة (كاميل فلامريون) قائلا : « إن الفتوحات المتوالية التى تمت للانسان فى الطبيعة بينما رفعت عقولنا الى المدركات العالية أهبطت إنسانيتنا الى أخس الدركات » !

وقد أعلن جمهور كبير من الفلاسفة والاجتماعيين بأن ما هو حادث من التناقض بين العلم والعمل فى المدنية الحديثة ، إنذار بقرب انحلالها ، وفى انحلالها قيام عهد من الوحشية لا يعلم إلا الله مآل الانسان فيه . لقد ارتكست مدنيات كثيرة

الى وحشيات منكرة ، فلعبت أدوات الفتك أشنع ما ينتظر أن تلعبه فى مثل هذه الأدوار ، فلا ندرى إذا انقلبت هـذه المدنية الى وحشية أى دور تقوم به المهلكات الراهنة بين غازات سامة ، وقنابل محـرقة ، وألغـام ناسفة ، وبنـادق رشاشة تقذف فى الدقيقة ألف قذيفة فتحاق الصفوف المتراصة حلقا .

وهنا أيضا ظهرت خفة عقول الذين كانوا ينتقدون الاسلام قائلين إنه لم يصب فى جعـل أساس الاجتماع فى أمته دينيا . وقد سحرت هـذه الشبهة عقولا من التى تعلمت على الطراز الغربى من أهل هذا الدين نفسه فجنحت اليها . فماذا يقولون الآن وهؤلاء أهل المـدنية العالية لا يخشون على تحطم مدنيتهم إلا من قبل تجرد النفوس من قاعـدة أدبية تردها عن غيها ، وتدخلها الى دائرة الاعتـدال فى مطالبها المـادية ؟ وهل يتخيل وجـود قوة فى الأرض تستطيع إيتاءها بهذه القاعدة الأدبية غير دين يقوم على دستور أقوى مما تقوم عليه معارفها الـكونية ، ومبادئها الفلسفية ؟ وهل تجد فيما بين يديك من الأديان ما هو حاصل على هذه الميزة غير الاسلام ، وعلى حال لا تدع لصاحب شك شبهة ؟

كان بعض المتعلمين من المسلمين يقرءون قوله تعالى : « وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا ، فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا » ، كانوا يقرءون هذه الآية ويتساءلون : ما للدين ولأصول الاجتماع ، وما دخل القيام بأوامر الله فى شئون الحياة الدنيوية ؟ ولـكنهم اليوم يرون بأعينهم أن المدنية الحـاضرة على ما بنيت عليه من عـلم وفن يخشى عقلاؤها من مجىء يوم تطغى فيه جاهلية النفوس على حكمة الحـكماء فتصبح كأن لم تغن بالأمس .

ذلك لأن الاجتماع كما يحتاج فى قيامه الى الشـعور بالحاجة المعيشية المـاسة اليه ، كذلك يحتاج فى بقائه واستمراره قويا متماسكا الى قوى أدبية تحفظ للنفوس مكانتها المعنوية ، وتزيدها ارتقاء فى خصائصها الذاتية .

فإذا اقتضت أحوال الوجود، وتقلبات الحوادث، أن تمنى الجماعات ذات الأساس الدينى الحق، بتقهقر لا تقوى على تلافيه، فلا ترتكس من حالتها المدنية الى حالة وحشية، فتقع فى التناحر الذى لا يتفق وكرامة الانسانية، ولكن يعتريها فتور قد ينقلب الى جمود، ولكنك تجدها وهى فى تبهور من تدهورها، لا تنى بالصفات الوحشية، ولا تحطم بيدها ما شيدته من صروح المدنية. ولكن تصبر على ما منيت به مع تلمس المخرج منه، ولا تزال تتحسس منه حتى تجده، فتعود سيرتها الأولى.

هذه حكمة الاسلام فى جعل أساس الاجتماع سلامة النفوس من أمراضها، ليكون قيامه رحمة للانسانية ولها، بدل أن يكون وبالاً عليهما. ولذلك كان أثر قيام الاجتماع الاسلامى خيرا وبركة على جميع شعوب الأرض، خلافا لقيام غيره من الجماعات، فقد كانت تنساح فى الأرض فتثخن فى الأمم قتلا، وتوسعها نهبا، وتجوس خلال الديار فتأتى عليها حرقا وهدما، فتدعها قاعا صفصفا، عادّة ذلك من علامات بطولتها، غير مبالية بما يكتبه التاريخ من سيرتها، غير مؤمنة بأن ثمرة عدوانها عدوان مثله أو أشد منه، يقع عليها من جماعة أقوى منها.

فالروح الاسلامية أجمع روح للمقومات الاجتماعية، فهى تعنى بمصلحة الفرد والاجتماع من كل النواحى عناية عادلة. وما دام الانسان جسما وروحا فمن العبث أن يهمل المصلحون واحدا منهما، ويقفون عنايتهم كلها على الثانى. فالأمم لا تصلح أجسادا لا روح فيها، ولا أرواحا لا أجساد لها. فإن طغت إحدى طبيعتى الانسان على الأخرى محّضته لها، فلا يستطيع البقاء على الأرض، ولا القيام بخلافة الله فيها. ومن الصعب التوفيق بين هاتين الطبيعتين فى حد يجعل التبادل بينهما ممكنا، والقيام بحقهما معا مستطاعا. وقد حل الاسلام بتعاليمه هذه العقدة، وقد درسنا كل ذلك درسا دقيقا فى مقالاتنا السابقة تحت عنوان مهمة الدين الاسلامى فى العالم فليراجعها من أراد ؟

محمد فريد وجدى

أسئلة متنوعة

وردت على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ يوسف الدجوى خاصة فاجاب عنها ، ونحن ننشرها تعميما لفائدتها

١ — إذا بنيت دار فى أرض غير مملوكة وأراد آخر أن يبنى بجوارها، أو بنيت فى أرض مملوكة بإذن صاحبها، أوكانت فى وسط القرية، أوحفرت بئر كذلك، أوغرست شجرة كذلك ، فما حريم كل من الدار والبئر والشجرة المستحق من الجهات الأربعة فى الصور الثلاثة ؟

٢ — إذا وهبت هبة الثواب لأحد وأراد الموهوب له أن يثيب عليها، فهل يجوز أن يثيب عليها من جنسها أو يتعين أن يثيب عليها من غير جنسها ؟ وهل هبة العرس كذلك إذا جرى العرف بالمعاوضة عليها ؟

نرجوكم كل الرجاء الفتوى فيما ذكر لأن أهل السودان يختصمون كثيرا فى العرصة التى بين الدور ونحوها ؟

احمد أبو بكر مدنى الأنصارى
بالبجهرية بالسودان

الجواب :

وبعد : فالجواب عما سألت عنه أيدك الله :

١ — أن هذه الأرض إن كانت مملوكة وقد اشتراها صاحب الدار من مالكها، فالشأن فيها للمالك ، فإن شرط أن يكون لها حريم كان لصاحب الدار ما شرط ، وإن لم يشترط فلا شىء له ، ولكن لابد أن يكون له بقدر ما قضت به الضرورة من طريق يوصل الى الدار . وفى مسألة الشجرة والبئر لابد أن يكون له ما يمكنه من سقى الشجرة وأخذ ثمرها واستخراج الماء من البئر . وإن لم تكن الأرض مملوكة فإن كان لأهل القرية انتفاع

بها كأن كانت ناديا لجلوس القوم وحديثهم ، أوملعبا للصبيان أومناخا للإبل ، أومراحا للغنم ، أونحو ذلك ، فهى من مرافق البلد ومنافعه ، ولا يجوز لأحد أن يحدث فيها شيئا مما ذكر ، سواء أكانت هذه الأرض وسط القرية أم حولها أم بعيدة عنها .

وإن لم يكن لأهل القرية منافع بها أصلا وكانت غير مملوكة لأحد ، فهى الموات . فمن أحدث فى ذلك الموات شيئا مما ذكر ، ملكه وملك حريمه . وحريم الدار ما ينتفع به صاحبها من طريق يوصل اليها ومحل لرمى الأتربة والكناسة ونحو ذلك . ولا حريم لدار محفوفة بملك الغير من كل جانب . وحريم الشجرة قدر مد أغصانها ولو كانت قريبة من البلد على الصحيح . وقال بعضهم : لا بد أن تكون بعيدة من القرية ، ولا يجوز إحياء القريب منها وحريم البئر أربعون ذراعا من كل جانب على ما رجحه بعضهم

* * *

٢ — أما هبة الثواب فيصح أن يكون الثواب من جنسها ، لا فرق فى ذلك بين هبة العرس وغيرها . لكن إذا كان الثواب ربويا وشرط صحيحا فى عقد الهبة بأن قال : وهبتك هذا على أن تعوضنى ذاك ، وجب حينئذ تساوى العوضين فى متحد الجنس ، والتقابض فى المجلس ، لأن الهبة إذا شرط فيها العوض صارت بيعا ، فتجرى فيها أحكام البيع كلها : من الرد بالعيب ، وأخذها بالشفعة ، والتساوى فى العوضين ، والتقابض قبل التفرق فى الربوى المتحد الجنسى . أما إذا لم يشترط العوض ولم يجر بذلك عرف فيما بينهم ، فالموهوب له أن يثيب عليها بما شاء من غير وجوب عليه . هذا هو الظاهر الذى ينبغى التعويل عليه ، خلافا لمن لا يعتبر جريان العرف ويقول لا بد من الاشتراط الصحيح .

هذا ما استخلصناه من أقوال العلماء ورأينا أن نسطره فى هذا الموضوع . والله يتولى هدى الجميع .

* * *

٣ — ماحكم صلاة الشفع والوتر جماعة عقب صلاة تراويح رمضان عند السادة المالكية ؟

الجواب :

الحكم فى مذهب مالك أنه تكره الجماعة فى النفل إذا كانت كثيرة أو بمكان مشتهر .

قال الخرشى : «يكره اجتماع الجمع الكثير فى النافلة خشية الرياء ولو فى مسجده صلى الله عليه وسلم ، وهذا فى غير التراويح والعيدين والاستسقاء والكسوف . وكذلك يكره اجتماع الجمع القليل كالثلاثة لكن بمكان مشتهر . أما بمكان غير مشتهر فلا كراهة إلا أن يكون من الأوقات التى صرح العلماء ببدعة الجمع فيها كليلة النصف من شعبان وليلة عاشوراء» . والمراد بالنفل فى عبارة الفقهاء ما عدا الفرض بدليل استثناء الخرشى للعيدين والكسوف والاستسقاء ، فالشفع والوتر داخلان فى هذه الأحكام الثلاثة ، فتكره صلاتهما جماعة عقب التراويح إذا اشتهر المكان ولو قل العدد ، كما تكره الجماعة فيهما أيضا إذا كثر الجمع ولو لم يشتهر المكان . أما إذا قل العدد ولم يشتهر المكان فلا كراهة كما إذا صلاهما ثلاثة فى البيت جماعة . والله أعلم ؟

* * *

٤ — نرجو أن تفيدونا عن حكم علو الامام على المأمومين والعكس ، أو علو بعض المأمومين على بعض ، وإذا أمكن أن تكون الفتوى على المذاهب الأربعة كان لكم منا الثناء المستطاب ، ومن الله الأجر والثواب . أحد أساتذة المدارس

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد : فمن صلى مع آخرين خلف إمام واضطره ازدحام المكان بالمصلين الى أن يصلى محاذيا لهم مرتفعا عن غيره بقليل ، فصلاته صحيحة ولا كراهة فيها . ولنذكر لك بعض نصوص المذاهب فى ذلك إجابة لطلبك ، فنقول :

قالت الحنفية : يكره ارتفاع مكان الامام عن سائر المقتدين بقدر ذراع فأكثر ، فإن

كان أقل من ذلك فلا كراهة ، كما يكره ارتفاع المقتدين عن مكانه بهذا القدر . والكراهة مقيدة بأن لا يكون مع الامام أحد منهم ، فإن كان معه بعضهم ولو واحدا فلا كراهة .

وقالت الشافعية : يكره ارتفاع مكان الامام عن مكان المأموم وعكسه من غير حاجة كأن كان وضع المسجد يقتضى ذلك ، فإنه لا يكره الارتفاع حينئذ .

وقالت المالكية : يجوز علو المأموم على إمامه ولو كان المأموم بسطح المسجد . (وهذا فى غير الجمعة) وأما علو الامام على مأمومه فهو مكروه إلا أن يكون بشىء يسير كالشبر والذراع ، أو كان لضرورة كتعليم الناس كيفية الصلاة أو ضيق المكان .

وقالت الحنابلة : يكره ارتفاع مكان الامام عن المأموم ذراعا فأكثر ، أما المأموم فلا كراهة فى ارتفاع مكانه .

والخلاصة : أنه لا شىء فى ارتفاع بعض المأمومين دون بعض عند الحنفية ، ولا فى ارتفاع المأمومين ولو جميعا عند المالكية والحنابلة ، وأن الحكم الكراهة عند عدم العذر فى مذهب الشافعية . فقد اتفقت المذاهب على كراهة ارتفاع مكان الامام ، واختلفت فى كراهة ارتفاع المأموم ، وذلك لأن الأول ثابت بالنص ، وأما الثانى فكان محل نظر . فالشافعية قالوا فيه بالقياس دون فقهاء المذاهب الأخرى .

والنص هو ما ورد أن حذيفة رضى الله عنه صلى على دكان والناس أسفل منه فجذبه أبو مسعود البدرى الأنصارى رضى الله عنه حتى أقامه . فلما انصرف قال : أما علمت أن أصحابك يكرهون أن يصلى الإمام على شىء وهم أسفل منه ؟ قال حذيفة : بلى قد ذكرت حين جذبتنى .

قال الامام النووى رضى الله عنه فى شرح المهذب : هكذا رواه الشافعى وأبو داود والبيهقى ومن لا يحصى من كبار المحدثين ومصنفيهم وإسناده صحيح ، والله أعلم ؟

يوسف الدجوى
من جماعة كبار العلماء

نظرة جامعة الى تاريخ الاسلام فى بولونيا

وأحوال المسلمين فيها

حدث فى أواخر القرن الثامن عشر أن انقسمت بولونيا بين النمسا والمانيا والروسيا، وكان من شر الحوادث أن تقع المناطق التى يكثر فيها المسلمون تحت حكم الروسيين، فساموهم سوء العذاب، وسلبوهم حقوقهم الدينية وغير الدينية، وتدخلوا فى شئونهم الدينية الى درجة أن أجبروهم على الخروج عن دين الاسلام والدخول فى الدين المسيحى.

بقى المسلمون على هذه الحالة حتى سنة ١٩٠٥ حين سمح قيصر الروسيا لهم بالعودة الى دينهم ورد اليهم بعض الحقوق الدينية القديمة.

ويرجع السبب فى اضطهاد الروسيا للمسلمين خصوصا البولونيين الى عدة عوامل، أهمها تعصبهم دائما ضدها للعمل على الإضرار بها. ومن أشهر الثورات التى قام بها مسلمو بولونيا ضد الروسيا ثورة سنة ١٧٩٤ تحت قيادة القائد البولونى كوستوشكو، وثورة سنة ١٨١٣ حين انضم كثير من المسلمين البولونيين الى جيش نابليون وساعدوه فى حروبه ضد الروسيا، وتلا ذلك ثورات أخرى فى سنة ١٨٣١ وسنة ١٨٦٣ وسنة ١٩٠٥ عند ما ثارت بولونيا بأجمعها مطالبة بالاستقلال التام.

ولم تكن مؤامرات المسلمين ضد الروسيا تنحصر فى بولونيا فقط، بل كثيرا ما امتدت الى روسيا نفسها والى البلاد الواقعة تحت الحكم الروسى، وذلك بتحريض المسلمين فى تلك الجهات على الثورة ضد نظام الحكم القائم، ولذلك ما كانت الحكومة تشك فى أى حركة بسيطة من جانبهم حتى تعمل على إخمادها بسرعة، فتقتل زعماءها أو تنفيهم وأولادهم ونساءهم الى سيبريا حيث يموتون من شدة البرد والجوع.

لما ضاقت الحالة بالمسلمين سنة ١٨٦٣ عند ما كان عداء الروسيا للبولونيين جميعا

بالغا أشده ، هاجر كثير منهم الى الخارج ، وكذلك فعل بعض المسيحيين ، وأغلب هؤلاء الذين هاجروا توجهوا الى تركيا التى كانت تفتح لهم أبوابها ، وتسهل عليهم سبل الاقامة فى بلادها ، فاستقر المسيحيون منهم فى أدمبول بجوار استامبول ، بينما نزل المسلمون أناضوليا ، وقد هاجر بعض منهم الى الشام وفلسطين ومصر ، وقد وظفت حكومة تركيا كثيرا منهم فى أعمال الجيش ، واشتهر من بين هؤلاء الجنرال بم ، والجنرال تشيكوفسكى ، وقد خدم بعضهم فى جيش إسماعيل باشا ، وقد كان منهم المهندس والزارع ، ونذكر بهذه المناسبة المهندس المسيحى الشهير زابلوتسكى الذى اشترك فى بناء سكة حديد المدينة المنورة ، وهو من أنجال أحد المهاجرين البولونيين الذين قدموا مصر . وعند ما شبت الثورة فى الروسيا سنة ١٩١٧ انهز كثير من المسلمين البولونيين هذه الفرصة واتصلوا مع البولونيين ، وانتهت الثورة البولونية بخروج الجزء البولونى من تحت الحكم الروسى وانضمامه الى حكم كل من المانيا والنمسا ، إلا أنه ما كادت تهل سنة ١٩١٨ حتى انفجرت الثورة فى كل من هاتين الأخيرتين ، وظهر رجل بولونيا العظيم المرحوم المارشال بلسودسكى فنادى باستقلالها ، وجاهد فى ذلك جهادا عظيما هو وأعوانه الذين اشتهر من بينهم مصطفى بيلك واسكندر سولكيفتش ، وهؤلاء من المسلمين البولونيين ، وقد تكللت جهودهم بالنصر والتوفيق وحقق الله أمانيهم . وقبيل انتهاء عام ١٩١٨ أعلن استقلال بولونيا ، واعترفت به جميع الدول ، واسترجعت حدودها القديمة التى كانت لها قبل تقسيمها بين الروسيا والنمسا والمانيا ، وباستقلالها استقل الاسلام فيها .

لما استقلت بولونيا سنة ١٩١٨ هاجمها البلاشفة فى عدة مواقع ، وحاولوا الاستيلاء عليها ، إلا أن دفاع البولونيين تحت زعامة رئيسهم العظيم المارشال بلسودسكى خيب آمال المعتدين وردهم خاسرين ، ومن ثم بدأت بولونيا تحس بالخطر الذى يهددها من كل جانب ، فقامت تعد الجيوش وتزودها بأحدث الأسلحة وأقوى آلات الدفاع ، وأنشأت فرقا من فرسان المسلمين لترابط على الحدود الشرقية ، كذلك سافر بعض الضباط المسلمين

الى البلاد الاسلامية البولونية للدعوة الى الجهاد والدفاع عن البلاد ، فأصدروا نداء الى المسلمين ، نأتى بترجمته عن اللغة البولونية :

«الى مسلمى بولونيا جميعا : إن تاريخ وجودكم فى بولونيا يرجع الى عهد بعيد وقرون عديدة ، مما كان له أثر كبير فى طباعكم وأخلاقكم وذريتكم الذين أصبحوا بولونيين بالطبع لحما ودما ، فاليوم لا فارق بينكم وبين غيركم ، فأنتم بولونيون حسبا ونسبا ، لكم من الحقوق وعليكم من الالتزامات مثل غيركم من الوطنيين الأصليين ، وقد اعترفت الحكومة بهذا الحق الشرعى منذ سنين ، فكفلت لكم حريتكم الدينية كما تفعل للمسيحيين ، وأقطعتكم الأراضى ، واستخدمت الكثير منكم فى وظائفها ، وقد كانت غيرتكم على الوطن والذود عن حقوقه لا تقل عن غيركم ، فأنتم الذين دافعتم عن حدود البلاد ضد غارات الروسيا والسويد ، وعاونتم كل من انتصر لكم ضد أعدائكم ، عاونتم الملك سوبيسكى والأمبراطور نابليون ، واشتهر من بينكم أزوليفتش وبارانوفسكى وبيلاك وقورسكى وغيرهم ممن كانوا فخر بولونيا ومحل تقديرها ، فاليوم الوطن يناديكم ، فهلموا جميعا الى السلام ، ووحدوا صفوفكم ، واذهبوا لمحاربة البلاشفة ، واستعينوا بالله والرسول صلى الله عليه وسلم ، بارك الله فى جهادكم وسعيكم » .

كان لهذا النداء أثره فى قلوب المسلمين البولونيين ، فوحدوا صفوفهم ، وكوّنوا فرقهم من الفرسان ، ونشروا أعلامهم التى كانت تمتاز بلونها الأخضر ويتوسطها الهلال ، وظلوا رهن إشارة مركز القيادة العليا حتى أعطيت لهم الأوامر ، فاشتركوا فى عدة مواقع حربية فى أطراف مدينة مينسك وفى مقاطعة بوليسيا سنة ١٩٢٠ تحت قيادة المغفور له المرحوم الجنرال اسكندر رومانوفتش ، وقد اشتهرت هذه الفرقة بشجاعة رجالها ومهارتهم الحربية التى ظهرت فى موقعة كييوف وعند دفاعهم عن مدينة بلوسك .

فى ٢٣ بوليه سنة ١٩٢٣ وقّعت كل من بولونيا وتركيا على معاهدة الصداقة الدائمة التى فرح لها المسلمون البولونيون جميعاً ، وإظهاراً لذلك الشعور أرسلوا الى رئيس الجمهورية

رسالة عبّرت عن مقدار ولائهم له وحبهم للوطن وفى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٣ تلا هـذه الرسالة أمام مجلس النـواب أحـد الأعضاء المسمى دمبسكى من المسيحيين ، فـكان لتلاوتها تأثير حسن فى الدوائر الرسميـة البولونية زاد عطف الحكومة على المسلمين ، فقدمت لهم مساعدات مالية وغير مالية ، واعترفت بالاسلام ديناً محترماً فى البلاد ، وسمحت بتـكوين الجمعية الاسلامية البولونية التى دعت المؤتمر الاسلامى سنة ١٩٢٥ فى مدينـة فيلنو حيث أجرى انتخاب الدكتور يعقوب شينـكيبتش مفتيا أكبر للمسلمين فى بولونيا ، وأقرت الحـكومة انتخابه ، وقرر مجلس نواب بولونيا اعتماد المبالغ اللازمة للانفاق على إدارة المفتى وإصـلاح المساجد وصرف الرواتب لأئمـة المساجد والمؤذنين .

انقطعت صلة المسلمين البولونيين بالخارج على أثر وقوعهم تحت الحـكم الروسى كما سبق أن قدمنا ، وعند ما استقلت بولونيا استقل المسلمون فيها ، ومن ثم أخذوا فى الدعاية لإعادة مجد الاسلام فى البلاد ، وإعادة صلتهم بالأمم الاسلامية . وفى سنة ١٩٢٥ ندبت الحـكومة من بينهم أولجرت أكريتشينسكى ليمثل بولونيا فى المؤتمر الجغرافى المنعقد فى القاهرة ، وقد كانت هـذه فرصة سانحة للتعرف ببعض المسلمين فى مصر ، وعند مقابلته لصاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ملك مصر أنعم عليه بنيشان النيل ، وقد زار فى طريقه الى بولونيا فلسطين وسوريا وتركيا ، ونزل ضيفا على سماحة أمين الحسينى مفتى فلسطين ، ولقد قام مفتى بولونيا نفسه بزيارات عديدة للأقطار الاسلامية المختلفة ، ففى سنة ١٩٢٦ قدم مصر واشترك فى المؤتمر العالمى الاسلامى المنعقد فى القاهرة ، وحظى هو أيضا حينئذ بمقابلة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ، وكان من عطف جلالته على مسلمى بولونيا أن أكرم وفادة المفتى ومنحه أحـد نياشين الشرف ومساعدة ماليـة قـدرها ٥٠٠ جنيه مصرى لإصـلاح بعض المساجد البولونية التى كانت قد خربتها الحرب العظمى ، فـكان لهذه المبرة أثر طيب فى نفوس المسلمين البولونيين ، وازداد حبهم

لمصر ولملكها المعظم، وإظهارا لذلك الشعور الكامن فى نفوسهم كلفوا المفتى الحاج دكتور يعقوب شينكيفيتش بالقيام نيابة عنهم لتبليغ جلالة ملك مصر عظيم شكرهم، فحضر سماحته مصر فى أغسطس سنة ١٩٣٢ وقدم لصاحب الجلالة الملك فؤاد الأول مجموعة من الصور لجميع مساجد بولونيا، وخطاب شكر مكتوبا باللغة الفرنسية نأتى بترجمته:

« يا صاحب الجلالة: إن عطفكم السامى ومبرتكم الغالية الى مسلمى بولونيا تلك الفئة من الناس الذين يسكنون بقاعا نائية فى شمال أوربا بعيداً عن العالم الاسلامى، والذين ظلوا طول هذه العصور محافظين على القواعد الدينية والتقاليد الاسلامية فى وسط المدنية الغربية البحتة، هذه المبرة لم تساعد فقط على إصلاح ستة عشر مسجدا، بل أثرت تأثيرا عميقا سيبقى أمد الدهر فى أعماق قلوبهم يذكرهم بأن هناك ملكا كريما وشعبا إسلاميا ينظران اليهم بعين ملؤها العطف والحنان، وفى عام ١٩٣٠ كلفونى أن أقوم بتبليغ جلالتكم عظيم شكرهم وشديد ولائهم لشخصكم الكريم وشعبكم المخلص الأمين، وإنا ندعو الله جميعا أن يجعلكم لنا ذخرا وللاسلام سراجا منيرا » إمضاءات ...

ولقد قام المفتى بزيارات أخرى فى يوجوسلافيا وتركيا وفلسطين والشام. وفى عام ١٩٢٨ توجه الى الحجاز لأداء فريضة الحج وزيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام، ولما أرادت بولونيا أن تعترف باستقلال المملكة السعودية سنة ١٩٣٠ أوفدت الفيكونت راتشينسكى الى الحجاز للقيام بهذه المهمة، وكان بعض المسلمين البولونيين كلما سنحت لهم الفرصة توجهوا الى بعض الأقطار الاسلامية لزيارتها والتعرف بأهلها.

كان من أثر هذه الدعوة أن عرف الناس خصوصا فى الأمم الشرقية الشىء الكثير عن بلاد بولونيا وعن حالة المسلمين فيها، كما أن مسلمى بولونيا أنفسهم زادت معرفتهم بالعالم الاسلامى وببعض الشئون الدينية التى كانوا يجهلونها تماما، فقويت فيهم

الروح الاسلامية، وأرسلوا يطلبون الكتب الدينية من كل مكان، وبدءوا فى ترجمتها من جديد الى اللغة البولونية. وفى سنة ١٩٣٣ أرسلت أول بعثة بولونية الى مصر لتلقى العلوم الدينية فى جامعة الأزهر الشريف، وجل أعضاء تلك البعثة من حملة الشهادات العالية، وتقوم الحكومة البولونية بمساعدة عضوين منهم، ويلاقى أفراد هذه البعثة لدى صاحب الفضيلة الشيخ الأكبر وحضرات الأساتذة وجميع طلبة الأزهر الشريف كل عطف وتعضيد، وتمنحهم إدارة الأزهر جنيهين مصريين شهريا، هذا بجانب المساكن المجانية الخاصة بالطلبة الأجانب، وقد خصصت لهم فصولا تتناسب مع معارفهم اللغوية والدينية، وذلك تشجيعاً لهم على تعلم العلم ونشر الدعوة الاسلامية فى بلادهم.

كان من أثر هـذه الدعوة أيضاً أن رغب بعض المصريين فى زيارة تلك البلاد، ولقـد أتاحت الفرصة الى ممثلى المملكة المصرية فى المؤتمر الجغرافى الدولى المنعقد فى وارسو سنة ١٩٣٤ أن يزوروا بعض المدن الاسلامية البولونية والتعرف بأهلها، وفى نفس العام طلب اتحاد الطلبة فى مدينة وارسو عن طريق السفارة البولونية فى القاهرة تحقيق تبادل الطلبة بين أبناء البلدين لتدعيم الصداقة بين مصر وبولونية، وتحقيقا لهذا الغرض سافرت أول بعثة مصرية من طلبة الدبلوم فى مدرسة التجارة العليا، وعند قـدومهم مدينة وارسـو احتفل بهم أعضاء اتحاد الطلبة البولونيين والجمعية الاسلامية فى وارسو، وعند ما عادوا الى مصر احتفلت السفارة البولونية بقدومهم ودعتهم لتناول الشاى فى دارها بالزمالك، وهناك تم تعارفهم بطلبة البعثة البولونية فى الأزهر الشريف.

وقد اتفق كل من محمد سيد الحوى عضو البعثة المصرية وعلى اسماعيل فوروونوفتش عضو البعثة البولونية على أن يتعاونا فى وضع هذا الموضوع مفصحا عن تاريخ المسلمين فى بولونيا وحالتهم الدينية والاجتماعية.

يبلغ عدد المسلمين فى بولونيا ١٢٠٠٠ نفس، وليس هذا العدد بالقليل إذا نحن وازنا

بينه وبين عدد المسلمين فى دول غرب وشمال أوربا ، وحالتهم المعيشية على جانب عظيم من التحسن ، وهذا التحسن آخذ فى الزيادة لا هتمام الدولة بهم ، ومحافظتهم على مصالحهم الدينية وغير الدينية ، وهم يعترفون بفضل الحكومة القائمة وكرمها، ويعتبرون هذه الأيام العصر الذهبي للاسلام فى تلك البلاد ، وهم ينعمون فى بحبوحة من العيش ، وقد توطدت صلاتهم بالخارج ،وزادت معارفهم الدينية ،وسافر بعضهم لطلب العلم فى الخارج وخصوصا العلوم الدينية وحج بيت الله الحرام وزيارة الأماكن المقدسة .

يقيم المسلمون البولونيون فى البلاد الواقعة فى الجهة الشرقية الشمالية من بولونيا خصوصا فى ولايات فيلنو ، ونوفاجرودك ، وبيالوصتك ، وفولين ، وفى غيرها من المدن والقرى المختلفة مثل أسلونيم ووارسو ، ولاخوفيجى ، وأكلاسك ، وأسمولو ، وموراقتشزنا الخ . ويبلغ مجموع البلاد التى يسكنها مسلمون نحو ثلاثين بلدة وقرية يحتوى أغلبها على مساجد تكفى حاجتهم ، وتعتبر مدينة فيلنو مركزا لمسلمى بولونيا ، وبها توجد دار الإفتاء ، ويليها فى الأهمية نوفاجرودك وأسلونيم ووارسو حيث يوجد مجلس الشورى المركزى للجمعية الاسلامية البولونية .

صلة المسلمين بالمسيحيين فى بولونيا طيبة ، وليس أدل على هذا من أن يساهم بعض المسيحيين بقسط وافر فى بناء المساجد للمسلمين ، فقد وهب الفيكونت زامويسكى فى منتصف القرن التاسع عشر الأموال اللازمة لبناء مسجد للمسلمين فى موراقتشزنا ، وقام الفيكونت بوسلوفسكى بتوريد الخشب مجانا لبناء مسجد جديد فى أسلونيم بدل الذى كان قد احترق سنة ١٨٨١ ولم ينس المسلمون هذه المبرة فقام المغفور له المرحوم الجنرال اسكندر رومانوفتش المسلم البولونى بتوريد الخشب مجانا لبناء الكنيسة المسيحية فى قرية نكرا شونسا سنة ١٩٣٠ ولا يزال التآلف بين الملتين شديدا ، وتمنح الحكومة إعانة مالية لادارة الأوقاف والمنشآت الإسلامية فى بولونيا .

يعد المسلمون البولونيون أسعد حالا من المسلمين فى البلاد الأوربية الأخرى من عدة

وجوه، إذ يندر فيهم العاطلون ، ويشتغل معظمهم بزراعة الأرض وفلاحة البساتين والأعمال الحربية ، فنهم رؤساء الجيش ، ومنهم القضاة وكبار الموظفين الحكوميين فى مختلف الوزارات والمكاتب الأهلية وغيرها من المحاصيل الزراعية . أما من الناحية العلمية والأدبية فيندر أن تجد بينهم من لا يجيد القراءة والكتابة ، كما أن منهم المهندسين والأطباء والمحامين والمدرسين فى الجوامع .

وتشبه عاداتهم عادات الأهالى من المسيحيين خصوصا فى الشئون الدنيوية ، أما فى الشئون الدينية فهم شديدو الاحتفاظ بتقاليدهم الاسلامية لا يرضون عنها بديلا . وتمتاز المرأة البولونية المسلمة عن غيرها فى البلاد الاسلامية الشرقية بحريتها التى تستمتع بها ، وهى عماد الأسرة ، لأنها تقوم بتربية الأطفال وإدارة البيت ، كما أنها تساعد زوجها إذا اقتضت الحال ، مثلها فى ذلك مثل المرأة الأوربية المتمدينة ، والحجاب بالمعنى المفهوم فى أكثر البلاد الاسلامية الشرقية غير مفهوم لها ، إذ تعتقد أن ما نزل فى الكتاب بخصوصه يقصد به منع اختلاط المرأة بالرجل اختلاطا يشجع على الفساد . ويعتنى المسلمون هناك بتربية أبنائهم ، فيرسلونهم فى طفولتهم الى مدارس الروضة ، ثم المدارس الابتدائية ثم الثانوية ، وحينئذ يصبح الابن حرا ، إما استئناف دراسة العالية أو الاشتغال بما يروق له ، وكما تقتضيه الظروف من المهن والوظائف . ويكره المسلمون البولونيون تعدد الزوجات . وبالرغم من أن دستور بولونيا لا يمنعهم من ذلك إلا أنه لا يوجد من يرغب فى الزواج من أكثر من واحدة .

« يتبع » على اسماعيل فوروونوفتش ، محمد سيد الحموى

فضل التحبب الى الناس

فى الحديث المرفوع عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أحب الناس الى الله أكثرهم تحببا الى الناس » .

وفيه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا أحب الله عبدا حببه الى الناس » .



سورة الرعد

— ١٣ —

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا. أَفَلَمْ يَيْأَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا. وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ، إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ. وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ):

سبب النزول : روى أن المشركين اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات ، فقالوا له : سير لنا جبال مكة حتى يتفسح المكان علينا ، واجعل لنا فيها أنهارا نزرع فيها ، أو أحى لنا بعض أمواتنا لنسألهم أحق ما تقول أم باطل ؟ فقد كان عيسى يحيي الموتى ، أو سخر لنا الريح حتى نركبها ونسير عليها ، فقد كانت الريح مسخرة لسليمان ، ولست بأهون على ربك من سليمان ؛ وأن جماعة من المؤمنين ودّوا لو تجاب هذه المطالب حتى تنقطع تعللاتهم ولا يبقى لهم متعلل ، فنزلت هذه الآية .

لقد رأيت كيف بنيت هذه السورة الشريفة من أولها على محاجة الذين يجادلون في الله وهو شديد المحال ، فبيّنت الآيات واضحة ، وقررت الحجج شاهدة بعظمة قدرة

الله ، وشارحة آثارها المتنوعة حتى تكاد تلمسها اليد ، بعد أن ملأت العيون نورا ، والقلوب اقتناعا ، والنفوس المستعدة لقبول الهدى اطمئنانا ، فلم يبق إلا تلكؤ المعاندين ، وتمحل المشاغبين ، وتعنت المكابرين ، أولئك الذين وضعوا أنفسهم فى موضع من يستجدى منه أمر لا صلاح للعالم بدونه وهو عنه جِدّ غنى ، فقام أولئك الحمق يتعنتون ويتدللون ويقترحون ، وما هم بمؤمنين ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم .

ولقد حكى القرآن الكريم عنهم تلك التعنتات والمقترحات فى غير ما آية ، كقوله عز وجل : «وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُرَ لنا من الأرض يَنْبوعا ، أو تكونَ لك جنة من نخيل وعنب فتفجّرَ الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تُسقط السماء كما زعمت علينا كِسَفاً أو تأتىَ بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزّل علينا كتابا نقرؤه » بل كان منهم ما هو أدخل فى باب الحمق والجهالة المطلقة والغباوة التى ما بعدها غباوة كما حكاه عز وجل عنهم فى قوله : «وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم»

هكذا كان شأن أولئك المشركين الذى تغلغل الشرك فى عقائدهم ، وجَمَدوا على ما كان عليه آباؤهم من إخضاع عقولهم لحجارة نحتوها بأيديهم ، وتغميض عيونهم خشية أن يأخذ نور الهدى بأبصارهم فيحولهم عما يعبدون ، ووضع أصابعهم فى آذانهم رعبا من صيحة الحق أن تدخل من آذانهم الى أذهانهم فلا يستطيعوا الهرب من سلطان الحجة ولا التحول عن واضح الحجة . إذ كان شأن القوم التصميم على الشرك والكفر ، فلا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم .

لا جرم كان من مقتضى الحكمة فى جواب هؤلاء ، هو تبيين شأن ما نزل اليهم ، وأنه قد احتوى على آيات بينات كافيات شافيات لمن ابتغى الهدى حقا ، وأراد أن يعلم الأمر على وجهه ، فبين يديكم من الآيات التى جلاها عليكم القرءان من أول السورة الى الآن ما لو قستموه بتسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى ما نزل عنها دلالة

ووضوحا، بل زاد عليها قوة وإقناعا . ذلك أنه يخاطب العقول الثابتة التى ليست عرضة لتأثير السحر الذى يعرض ساعة ثم ينقطع، فليست تلك الآيات قابلة لأن يقال فيها كما يقال فى غيرها : إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون، لا بل هى آيات راسخة ثابتة تعطى ما سألتم وتزيد عليه، فلو أن قرءانا وكلاما يتلى سيرت به الجبال عن أماكنها أوقطعت به الأرض سيرا، أوالمعنى أوقطعت به الأرض أنهارا، أوكلم به الموتى بإحيائهم لكان هو هـذا القرآن الذى يتلى عليكم وأنتم عنه معرضون مع اشتماله على الكفاية فى كل ما تطلبون، ألم يتل عليكم من آياته ما لايستطيع أحد منكم إنكار أنه أثر من آثاره وحده؟ « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله » فهل دعاكم الى شىء أكثر من الاعتراف بأنه هو وحده الذى يجب أن يتوجه اليه بالعبادة، وأن يطاع أمره وتبتغى مرضاته؟ فهل بقى فى هذه الدعوة خفاء بعد هـذا الجلاء؟ وعلى هذا ترى المعنى هكذا : لقد طلبتم تلك الآيات تعنتا وأوهمتم أنكم طلبتموها استرشادا، ولو أنكم كنتم تطلبون الهدى حقا لكفاكم مايتلى عليكم، فلو أن قرءانا تسير به الجبال أو تقطع به الأرض أو تكلم به الموتى لكان هو هـذا القرءان الذى تسمعون، فأعملوا عقولكم فى الاهتداء بنوره إن كنتم تعقلون .

ورأى بعض المفسرين وجها آخر فى تقدير جواب لوالمحذوف، وهو أن المعنى : ولو أن قرآنا نزل اليكم فسيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أوكلم به الموتى ما آمنتم به ولا اقتنعتم، فالمعاند المصر على ضلاله مهما قامت فى وجهه الحجة لا ينتظر منه إذعان ولا إيمان. أما على الوجه الأول فجواب لوالمقدرهو : لكان هوهذا القرآن، لما احتوى عليه من واضح البيان وساطع البرهان .

وعلى كل فجواب لو محذوف، وحكمة حذفه أنه يدعو النفس للتفكير فى تقديره، فتذهب كل مذهب ممكن، فيتجلى من المعانى المستفادة من الآية ما لا يستفاد منها إذا صرح بالجواب .

«بل لله الأمر جميعا» فهو العليم الحكيم، لا يصدر عنه إلا ما يريد مما يعلم فيه المصلحة والهداية، لا يخضع لرأى متعنت ولا لاقتراح مكابر، والله غنى عن العالمين، فليس به حاجة الى أن يؤمن هذا أو يكفر ذاك، فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، وإنما رحمته فى أن يرسل إليهم رسله بالبينات التى يعلمها كافية وافية، فلا تأبهْ لما يقولون ولا تكترث بمن يتمنتون، بل امض فى سبيلك، فقد أيدت بما فيه المقنع. ثم التفت الى ما كان من بعض المؤمنين من تعلق نفوسهم بإجابة مقترحات أولئك المشركين، فوجّه نظرهم الى ما علموه واستيقنوه من أن قدرة الله شاملة لكل ما يشاء، مبرزة لكل ما أراد، وأنه لو شاء لهدى الناس جميعا، ولو شاء لجعلهم أمة واحدة، ولكن إرادته وفق الحكمة اقتضت أن يكون منهم الكافر ومنهم المؤمن، اقتضت أن يكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير، فمهما أوتوا من آية ومهما أجيبوا الى اقتراح فلا يزال الذين قضى عليهم بالكفر فى غيهم يعمهون وعن الصراط السوى يعدلون. هكذا اقتضت إرادة الله، فما معنى طماعية أولئك المؤمنين فى إجابتهم وقطع حجتهم؟ أفيغيرون حكم الله فى عالمه ومشيئته فى خلقه؟ أفلم يعلموا ويتبينوا تبينا حاسما أن هذه إرادة الله فييأسوا من أن يفيدهم إجابة مقترحات أو الإتيان بآيات ملجئات؟ وعلى هذا يكون ييأس بمعنى يعلم، إما على أنه لغة لبعض العرب فيكون استعمالا حقيقيا، وإما على وجه التجوز لأن من علم شيئا علما يقينيا فقد يئس من أن يحصل خلافه. وليس ببعيد أن يقال أن الحكمة اقتضت عدم إجابتهم لمقترحاتهم لأن العادة الإلهية أن الآية إذا كانت مبنية على اقتراح المدعوين وكانت من الوضوح بحيث لا تحتمل مفرا ثم كذبوا بها، أخذهم العذاب فاستأصلهم، فكان من رحمة الله بهم أن يوجه نظرهم لما ألقى عليهم، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولكل جزاؤه الذى أعده الله له. ولعل فى الإملاء لهم تمكينا لبعضهم ليرجع النظر، أو لعله يجىء من ذريته من يؤمن بالله. وعلى كل حال ففى الإملاء توسيع للفرصة، وتمكين للعقول من إعادة النظر وإجادة التفكير.

« ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد » :

لقد كان لأولئك المشركين المكابرين صولة تجعل أمرهم فى نظر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه خطيراً، وكان لديهم من العز والمنعة ما لا يصح أن يستهان به، ووراءهم من المستضعفين الخاضعين لنفوذهم بحكم الجوار أو الخلطة فى المعيشة خلق كثير حيل بينهم وبين الاهتداء بنور الاسلام، فكان أمرهم من كل ناحية جللا، وكان مثلهم مما يشغل بال المصلحين، فهوّن المولى عز وجل على رسوله وعلى المؤمنين أمرهم، ووعدهم بأن هذه الشكيمة وهذه العزة القعساء متداعية للفناء، ولا يزالون معرضين للمصائب تقرع قلوبهم وتغشى رءوسهم متتالية عليهم، بما صنعوا من عتو وعناد، وبما عثوا فى الأرض من الفساد، وبما حجبوا رحمة الله وهدايته أن تصل الى العباد، وبما كذبوا من آيات الله بعد وضوح الهدى والرشاد . نعم لا تزال القوارع تغشاهم فى بلادهم أو تحل قريبا من دارهم فتملؤهم رعبا وفزعا وهلعا، فيفت ذلك من عضدهم، ويخضد من شكوتهم، فيرون بنيانهم ينهار شيئا فشيئا، وينجلى الحق للناس رويداً رويدا حتى يأتى وعد الله الذى وعدك : من النصر عليهم، ودخول بلدهم الذى أخرجوك منه ظلما وعتواً، فتزلزل بهم الأرض زلزالها، وتقتلع عزتهم من أساسها، ويصدق الله رسوله وعده، وترى الناس يدخلون فى دين الله أفواجا، وتذهب ريحهم لا الى رجعة، إن الله لا يخلف الميعاد .
والقارعة : المصيبة تقرع قلب المصاب أى تصطدمه صدما عنيفا، ومنه قول الشاعر :

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدانه أن تكسرا

والمراد بها هنا ما كان يصيب المشركين من السرايا التى كان يوجهها صلى الله عليه وسلم اليهم، وبيان ما كان يلحق القوم من الهلع من جرائها، تثبيتا لقلب المصطفى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، حتى تشتد عزيمتهم ولا يكبروا من شأن أولئك الطغاة . وقوله : «أو تحل قريبا من دارهم» لبيان ما كان يلحقهم من الهلع والحزن للسرايا التى كانت توجه الى مجاوريهم

فير تقبوا أن ينزل بهم مثلها . وقوله : «حتى يأتى وعد الله» هو ما وعد به رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فى قوله عز وجل : « لتدخلن المسجد الحرام »

« إن الله لا يخلف الميعاد » :

كلمة عامة لوعد الخير ووعيد الشر ، ولكن خص عمومها فى الوعيد بآيات المغفرة لمن شاء ، لمن شاء ، فلا يتكان امرؤ عليها فيغتر بربه الكريم « إن بطش ربك لشديد »

هذا وقد رأى بعض المفسرين أن ضمير (تحل) راجع للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، أى أو تحل أنت قريبا من دارهم ، إشارة الى وقعة الحديبية حيث جاء صلى الله عليه وسلم معتمرا مع بعض الصحابة ، فخشيت قريش أنه إذا دخل تسامعت العرب بدخول المسلمين مكة فتقل هيبتهم ، ففاوضوه صلى الله عليه وسلم أن يجىء فى عام آخر ، وانتهى الأمر بصلحها المعروف . وما كان ذلك إلا خشية من استفحال تلك القوة التى رأوها كل يوم فى ازدياد ، فرهبوا ما يلحقهم منها فتفاوضوا حتى تم الصلح على تلك الشروط المعروفة فى الحديبية ، والتى كان من ورائها إعزاز للاسلام وأهله . وهو وجه لا بأس به . وكذلك فسر بعضهم «حتى يأتى وعد الله» أى موتهم ، أو القيامة . ولعل ماسبق أظهر . والله أعلم .

« ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب » :

هذا تثبيت إثر تثبيت لقلب النبى صلى الله عليه وسلم ببيان أن هذا دائما شأن الحق والباطل : صراع وغلاب ، ومكابرة وعناد ، واستهزاء واستطالة ، وعلى الله للذين كفروا أى يمهلهم ويعطيهم ملاوة من الزمن ، ومنه الملوان لليل والنهار ، لتقوم الحجة عليهم ، وليتمكن من يريد منهم من مراجعة نفسه ومعاودة النظر ، حتى إذا لم يبق إلا المكابرة والعناد ، أخذتهم الصيحة فأهلكتهم ، ولقد قصصنا عليك من نبأ عاد وثمود وفرعون وغيرهم ، فكيف كان عقاب ، فهل قومك أعظم شكيمة وأعز نفرا ؟ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، وتأس بمن سبقك منهم ، وثق بوعد ربك إنه ناصرك عليهم ، ويحق الله الحق ، والله متم نوره . والله أعلم .

ابراهيم الجبالى

الادب بين الحضارة والبداوة

أثر البيئة فى الأدب

كنت أريد أن أجعل كلمة هذا العدد بحثا فى عوامل فقدان أدب الحضارة العربية قبل الاسلام، فى مواطنها من اليمن، والحيرة، والشام، ولكن بدا لى أن أقدم على ذلك بحثا فى أثر البيئة على الأدب، وأسلوبه، ومعانيه، وأخيلته، وروحه، وقالبه حتى تتبين لنا الخصائص المميزة لأدب البداوة عن أدب الحضارة، ولنعرف إن كانت تلك الخصائص تنطبق على ما وصلنا من أدب العرب باعتباره أدب بداوة، أو أدب حضارة.

وسأحاول عرض صور من الأدبين، وأتناولها بالتحليل، لنقف مع القارئ على تحديد الخصائص، ثم نعبر الى الكلام على العوامل التى يمكن أن تكون ذات أثر قوى فى ضياع الأدب الحضرى وعدم وصوله الينا كما وصلنا الأدب البدوى.

الأدب — كما قلنا: صورة صادقة لحياة الأمة فى بداوتها وحضارتها، وهو أصدق تعبيرا عنها، وأوضح منزعا لتصوير حالتها الفكرية والاجتماعية. فأدب البداوة صورة لحياة أمة تعيش مع الطبيعة التى لم تستحوذ عليها يد الانسان، بل ظلت كما خلقها الله تعالى بين الأودية والجبال، والمفاوز والقفار، تظلها سماء يصفو أديمها وتستهوى النفوس بجمالها، قد ازدانت بلوامع النجوم تأتلق فى صفحتها، ويسطع فيها البدر فيزيدها جمالا، ثم تشرق فيها الشمس بأشعتها الملتهبة المضيئة، فكأنما كسيت السماء ثوبا وهاجا، وكأنما حصباء البادية جمار يلمعن اتقادا.

جمال طبيعى لا يكدره إلا ما تتحفز له الطبيعة من الثورات فى البوادى، فالبدوى الذى يشهد هذا الجمال الهادئ، لا يلبث أن يرى جو صحرائه قد تلبد بالغيوم، ودوّى

فى أفقها الرعد، وومض البرق ، وهبت الريح إعصاراً تستك لصريرها الأسماع ، وجرت زعزعا لا تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، وهمى الغيث مدراراً فأفعم الأودية ، وفاضت به الغدران ، وإذا بالصمت قد خيم على تلك الطبيعة الهائجة حتى لا تسمع لها ركزا .

هـذه الطبيعة القاسية المتقلبة التى يعيش البدوى بين أحضانها لها أثر قـوى بالغ فى تكوين الأمة التى تنشأ فيها خلقيا واجتماعيا ، فـكما أن الطبيعة ثائرة ، عابسة ، كزة جافية ، واجمة ، غاضبة ، منيرة مظلمة ، ضاحـكة باكية ، فالأمة تكون حادة الطبع ، يستخفها الطيش ، وتغلب عليها الجفـوة والـكزازة ، وتستفزها الصيحة ، وتهتاجها أتفه الأسباب ، لا تألف الرزانة طبيعة وخلقا ، وإن اعتزت بها تخلقا وكسبا ، تحركها الـكلمة الى الشر فتجرى من ورائها الدماء .

لا نظام لها ولا قانون ، ولا دين ولا عقيـدة ، اللهم إلا عادات وتقاليد موروثة ، تجـرى مع العرف فى ذرى الرغبة والرهبـة ، مع حرية لا غاية لها ، بل تتسع باتساع الفضاء الذى تعيش فيه ، وهى من أعظم مظاهر البداوة وأقدس مقدساتها .

للبداوة جمال ، ولـكنه جمال الطبيعة الساذجة التى لم تعبث بها يد الانسان ، جمال السماء فى صـفاء أديمها ، والنجوم فى تلألئها ، والشمس فى وهجها ، والريح فى قصفها والأطيار فى شـدوها ، والأشجار فى حفيفها ، والأزهـار فى نضارتهـا ، والصحراء فى سكونها ، والجبال الشم فى جلالها ، والقمر فى بهائه ، والليل فى رهبته .

جمال عميق فى حقيقته ، بسيط فى ظاهره ، لا يجذبك اليه إلا إذا فتشته ، ونقبت فى زواياه ، وأنى للبدوى أن يكشف عن هذا الجمال وقد ألهاه الطرد ليأكل ، وشغلته الحروب والغارات ليعيش ؟ !

فهو إذا تحدث عن مظاهر الـكون جاء حديثه وليد النظرة العجلى واللمحة العائمة على سطح الحياة ، فلا يحاول التعمق ليـكشف عن أسرار الوجـود التى تمثلت أمامه فى مجالى الطبيعة وهى سافرة ، وإن هو أراد التعمق فلن يستطيع شيئا غير ما تأتى به

طبيعته المادية المحدودة ، لأنه ليس فى استعداده ، وهو فى بيئته البدوية ، النزوع الى مثل أعلى وراء تلك المظاهر التى تأخذ عليه مسارب الإحساس والشعور .

يصف السحاب والأمطار ويفتن فى هذا الوصف ، لأنه يرى فيها الوسيلة لبقائه فى باديته يمرح ويرتع .

يهتز سرورا إذا شام فى السماء السحائب حفّلا ، ويتقبض إذا عرضت له جهاما ، لأنه يريد الماء الذى تقوم عليه حياته وحياة ماشيته ، وهى عماد معيشته ، ولا يعنيه ما فى تلك المناظر الطبيعية من صور وراء المادة ، هى ملاعب الخيال الخصب لو صادفت مصورا ماهرا ، حبته الحضارة بذوق أدبى ، وفكر عبقرى ، يمعن فيتقصى ويذهب مذاهب التفصيل والتحليل والتزيد والابتكار فى تشبيهاته بما يجد عنده فى أفق الخيال ومسارح العقول . ألا تسمع الى ابن الرومى الشاعر الحضرى المصور وهو يصف السحاب فيقول :

متهلل زَجِل تُحَل رواعـــد من حُجزتيه وتستطير بروق
ســدت أوائله سبيل أواخر لم يدر سائقهن كيف يسوق
فسخا وأسعد حالبيه بدرة منه سواعـد ثَرة وعروق
وتنفست فيه الصبا فتبجّست منه الكُلى فأديمه معقوق
حتى إذا قُضيت لقيعان الملا عنه حقوق بعدهن حقوق
طفقت رواياه تجـر مزادها فوق الربى ومزادها مشقوق
وتضاحك الروض الكئيب بصوبه حتى تفتق نَوره المـرتوق
وتبســمت نفحاته فكأنه مسك تضوع فأره مفتوق
وتغــرد المكاء فيه كأنه طرب تعلل بالغناء مشوق

فانظر الى هذا الافتتان فى التشبيه البديع ، والجرى مع الخيال الضافى ، والفكر العميق ، وما فيه من براعة التصوير ، ودقة الوصف . وأنت إذا تأملت قوله : متهلل

زجل ، واجهتك منه صورة حية متحركة ، فيها بشاشة وبهجة ، لأن هذين الوصفين من خصائص الحياة الممزوجة بالحس والشعور ، ولكن الشاعر المصور لا يريد أن يدعي لموصوفه حياة تصرفك عنه ، بل هو يريدك على أن تفهم أن هذه الحياة مع ما فيها من حس وشعور هي حياة الطبيعة في مظاهرها ، فهو يقول : وتنفست فيه الصبا ، وتضاحك الروض الكئيب ، ليقرب لك ما كنت تستبعده لو وقف بك عند الصورة الأولى . ثم انظر الى تلك الصورة البديعة التي تصور طائر المكاء غردا طروبا ، فقد ترى أنها صورة قريبة يستطيع كثير من الشعراء رسمها ، ولكن لا تغفل عن قوله : طرب تعلل بالغناء مشوق ، فان فيه إحساسا إنسانيا جاوز به الشاعر الطائر الى نفسه ، وهذا شيء يجده كل إنسان ، ويحس به بين جوانحه ، وأي مشوق لا يتعلل بالغناء والتطريب ؟

ثم وازن بين هذا التصوير ، وتصوير البدوي الذي يستمد فنيه ألوانه من مظاهر البداوة واقفا عند سفح الحياة يلتقط منها صورا طائرة قصارا كاللمحة الخاطفة يتناولها الحس المادي المحدود .

هذه ريشة امرئ القيس ترسم منظرا لا يختلف في وقائعه عن منظر ابن الرومي كثيرا ، وهو مختلف في تخريجه عنه أشد الاختلاف ، وامرؤ القيس أبرع شعراء البداوة وأميرهم ، يقول في مذهبته :

أصاح ترى برقا أريك وميضه ... كلمع اليدين في حبي مكلل
يضيء سناه أو مصابيح راهب ... أمال السليط بالذبال المفتل
قعدت وأصحابي له بين ضارج ... وبين العُذيب بعدما متأمل
على قطن بالشيم أيمن صوبه ... وأيسره على الستار فيذبل
فأضحى يسح الماء حول كتيفة ... يكب على الأذقان دوح الكنهبل
ومر على القنان من نفيانه ... فأنزل منه العصم في كل منزل

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ... ولا أطما إلا مشيدا بجندل
كأن ثبيرا فى عرانين وبله ... كبير أناس فى بجاد مزمل
كأن ذرى رأس المجيمر غدوة ... من السيل والغثاء فلكة مغزل
وألقى بصحراء الغبيط بعاعه ... نزول اليمانى ذى العياب المحمل
كأن مكاكىّ الجواء غدية ... صبحن سلافا من رحيق مفلفل
كأن السباع فيه غرقى عشية ... بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

فهذا الشاعر المصور البدوى لم يقصر فى تصوير مناظره ، بل سما الى الكمال وأبدع فى إخراج صوره إبداع العبقرى الحاذق ، ولكنها عبقرية البداوة التى لا تجاوز المحس المشهود ، ففى تصوير وميض البرق بلمع اليدين ، وحركتهما السريعة فى الحبى المكلل ، أى السحاب المستدير المثقل بالماء ، براعة فى التصوير لا تبلغ الدقة الغائصة الى الأعماق ، بل هى صورة مما تأخذه العين لأول نظرة ، وتقف بك عند هذه النظرة الخاطفة التى امتاز بها ذكاء البدوى . وفى تصوير سنا البرق وضوئه بمصابيح الراهب التى أمال زيتها بالذبال المحكم الفتل ليكون أروى له وأضوأ ، جمالٌ خافت لا يدركه إلا من عرف وحشة الديورة وساكنيها ، تلك الوحشة التى لا تشابهها إلا وحشة خيمة البدوى فى جوف الصحراء .

لنتخط هذه الأسماء التى يكثر منها الشاعر ، فهى وإن لم تقع منا موقع اللذة والإمتاع لكنها عند الشاعر ترمز الى معان فى نفسه يحسها ويلتذ بذكرها ، ولنتابع سيرنا مع الشاعر ، فإذا به يتنقل بنا من صورة الى صورة أخرى مسرعا فى حركته ، فهو يقول : إن هذا السيل شديد عنيف يكتسح أمامه كل شىء حتى الدوح المتعاظم الذى يسميه الشاعر باسمه الغريب (الكنهبل) المتغلغل فى البداوة ، يكبه على الأذقان ، وكلمة الأذقان هنا جميلة جدا ، لما فيها من الاستعارة اللطيفة ، وهذا السيل أيّد يستنزل العصم من قنن الشامخات ويهدم الحصون المشيدة ، وهو مستبحر أغرق ثبيرا ذلك الجبل

العظيم ، فصار فيه أشبه بزعيم قبيلة تلفف فى عباءته ، وصارت ذرى رأس المجيمر كأنها فلكة مغزل ، وهـذا السيل يذهب فى طريقه جادا حيث يلقى أثقاله كما يلقى التاجر اليمانى عيابه وينشر سلعه ، ومن شأن التجار أن يجمعوا فى عيابهم مختلف الأشكال والألوان ، فكذلك هـذا المطر كسا صحراء الغبيط نباتا وزهورا مختلفة الألوان والأشكال .

هكذا يستوحى الشاعر البدوى بيئته فى مرائيها ومشاهدها حتى يقف عند تلك الصورة التى رسمها ابن الرومى أيضا :

كأن مكاكىّ الجـواء غدية　　صبحن سلافا من رحيق مفلفل

فامرؤ القيس ينصرف عن نفسه الى مكاكيه ، فيصور فرحها بهذه المناظر ، ويكتفى أن يقول كأنها شربت فى الصباح سلافا من رحيق مفلفل ، فهى متفززة ثملة سريعة الحركة ، لا تقر ولا تسكن . وقد عرفت أن اتجاه ابن الرومى اتجاه مركب ، فيه عمق ، وفيه إحساس إنسانى ، وشاعر البداوة لا يجب أن يقف عند هـذا اللون فى تصويره الذى قـد تشاركه فيه شعراء الحضارة ، فهو يرجع سريعا الى باديته مكتملا منفردا فيصف السباع وهى غرقى فى هذا السيل الطاغى :

كأن السباع فيه غرقى عشية　　بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

فهو تشبيه غريب ساذج ، فيه حلاوة البـداوة ، وصـدق تصويرها ، انتهى اليه الشاعر ليدل به على مكانه من بيئته ؟

صادق ابراهيم عرجون

الوصايا النبوية

قال النبى صلى الله عليه وسلم : «أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها : أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية ، والعـدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكرا ، ونطقى ذكرا ، ونظرى عبرا .

باب الأسئلة والفتاوى

إسعاف المريض بالخمر

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الأسئلة الآتية :

هل يجوز شرعا تعاطى الخمر بكمية بسيطة كفنجان قهوة مثلا كعلاج وقتى سريع فى حالات الإغماء والإصابات الشديدة ، لما لها من السرعة فى إسعاف المريض ، وحسن الأثر الى أن يتمكن الطبيب من القيام بالإسعافات الأخرى الواجبة التى هى فى طبيعتها أبطأ فى الفائدة من الخمر لدرجة قد تؤثر على حالة بعض المرضى تأثيرا قد يسيء اليهم ؟

دكتور محمد عبد العظيم سرور

الجواب :

إذا قرر الطبيب الحاذق الثقة أن الخمر تعيّنت طريقا لإنقاذ المريض فى حالات الإغماء أو الإصابات الشديدة بحيث لا يقوم غيرها مقامها فى هذا ، جاز إعطاؤه مقدار مايدفع الخطر عنه ، والله أعلم .

فى الميراث

توفيت سيدة عن زوجها ، وبنتين من أخيها الشقيق المتوفى ، وولدين من أختها الشقيقة المتوفاة ، فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ، وما نصيب كل ؟

حسين الشيال

الجواب :

كل هؤلاء المذكورين وارثون ، وتقسم التركة اثنى عشر جزءاً ، ستة منها للزوج ،

وأربعة لبنتي الأخ: لكل واحدة منهما جزءان، والجزءان الباقيان لابني الأخت، لكل واحد منهما جزء. والله أعلم.

* * *

رجل مات عن أم، وأخت شقيقة، وإخوة لأب، وإخوة لأم، فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث، وما نصيب كل؟ والفتوى تكون على مذهب الحنفية.

أحمد الصباغ

الجواب:

الوارث من المذكورين الأم والأخت الشقيقة والإخوة لأم.

فللأم سدس التركة، وللأخت الشقيقة نصفها، وللإخوة لأم ثلثها، يقسم بينهم على السوية.

أما الإخوة لأب، فلا يستحقون شيئا من هذه التركة، لأنهم عصبته، ولم يبق بعد توزيع التركة على أصحاب الفرائض شيء يأخذونه، والله أعلم.

* * *

رجل مات عن زوجته، ووالدته، وبنتين، وأخ شقيق، وثلاث أخوات شقيقات، ثم ماتت إحدى بنتيه عن والدتها وأختها الشقيقة، وعمها وعماتها الثلاث، وجدتها من أبيها.

فمن يرث، ومن لا يرث في المسألتين، وما نصيب كل؟

عبد الله عيد عرابي

الجواب:

الميراث في المسألة الأولى لجميع من ذكروا فيها، فللزوجة الثمن، وللوالدة السدس، وللبنتين الثلثان، والباقي للأخ والأخوات، للذكر مثل حظ الأنثيين.

والميراث فى المسألة الثانية للوالدة والأخت الشقيقة ، والعم ، ولا شىء للعمات ، ولا للجدة . أما الوالدة ، فلها الثلث ، وأما الأخت فلها النصف ، وأما العم فله الباقى ، والله أعلم .

صلاة الجمعة

يوجد ببلدنا مسجد قديم مؤسس من نحو خمسين سنة ، وتقام به صلاة الجمعة ، وقد أنشىء بهذا البلد مسجد جديد فى جهة أخرى ، وقد أفتانا بعض أهل العلم بعدم جواز إقامة الجمعة فى المسجد الجديد ، فهل تجوز إقامة الجمعة به على مذهب الامام مالك ، مع العلم بأن هذا المسجد غير تابع لوزارة الأوقاف ، وينفق عليه الأهالى كالأول ؟

مرسى خليل

الجواب :

الذى جرى عليه العمل من مذهب المالكية أنه إذا أقام أهل هذا البلد صلاة الجمعة فى القديم والجديد معا ، صحت فى القديم دون الجديد ، إلا إذا كان القديم لا يتّسع لصلاة من يغلب حضورهم ، أو يخشى حدوث فتنة من اجتماع أهل البلد فى القديم ، فإنه حينئذ تصح الصلاة فيهما معا ، فإن صلّوا فى الجديد وحده وتركوا القديم ، صحت جمعتهم .

وتوسّع بعض علماء المالكية فى الأسباب المبيحة لتعدد الجمعة فى البلد الواحد ، فجعل منها بُعد ما بين طرفى البلد ، ومشقة الانتقال الى المسجد العتيق بحيث يخشى من تكليفهم بالانتقال اليه ترك الجمعة ، وأيّد هذا بأنه المناسب ليُسر الدين الاسلامى ، ولقواعده العامة ، كتقديم درء المفاسد على جلب المصالح .

وذهب بعض الأئمة الى أن صلاة الجمعة كبقية الصلوات تصح فى كل مسجد . والله أعلم .

الرضاع

بنت أجنبية رضعت مع أختى الصغيرة من والدتى ، فهل يصح أن أتزوجها ؟

محمد محمد سليمان

الجواب :

حرمة الرضاع ليس من شرطها أن ترضع البنت مع الولد ، بل يكفى فى تحريم الرضاع أن يكون الولد والبنت قد أرضعتهما أم واحدة ، سواء أ كان رضاع البنت مع الولد أو مع أحد إخوته أو أخواته . وهذا باتفاق الأئمة الأربعة . والله أعلم

* * *

رجل تزوج ابنة عمه ، وبعد عامين من هذا الزواج اتضح أن أخت زوجته أرضعته ، وبسؤالها عن ذلك أجابت بأنها أرضعته ، ولكنها لم تفتكر كم مرة أرضعته . فهل هذا الزواج صحيح ؟

هجرسى أحمد

الجواب :

مذهب الشافعية والحنابلة أن تحريم الرضاع لا يثبت إلا بخمس رضعات متفرقات ، وأن يعلم ذلك من طريق اليقين . وعلى هذا فعقد الزواج المسئول عنه صحيح عند الشافعية والحنابلة . والله أعلم

ذكاة الصيد

ما الحكم فى الصيد بالبندقية فى جميع المذاهب إذا لم يدرك حيا ؟

العزب سليمان هيبه

الجواب :

الأصل عند الحنفية أن الصيد إذا قتل بآلة حادة يقطع بها عادة كالسهم ونصل

الرمح والمدية وما الى ذلك ، يحل أكله . وما قتل بآلة مثقلة لا يقطع بها عادة كالحجر والزلط والخشبة الغليظة لا يحل أكله . وبنى بعضهم على هذا الأصل أن الصيد بالبندقية لا يحل المصيد به ، لأن الرصاصة التى تخرج من البندقية ليست محددة ، ولا مما يقطع به عادة ، وأن القتل بها ناتج من ضغطها على المصيد بواسطة قوة الدفع . فهى من هذه الناحية كالحجر والعصا الغليظة فى أن موت المصيد كان بسبب ثقل ما ألقى عليه ، إما ثقلا ذاتيا كما فى الحجر ، وإما ثقلا آتيا من قوة الدفع كما فى رصاصة البندقية ، وإذاً يكون المصطاد بها من قبيل الموقوذة التى حرمها القرآن بنص صريح . وقالوا : إذا حددت الرصاصة بحيث تصبح كنصل الرمح واصطيد بها حل المصيد . ولكن بعض محققى الحنفية كالسندى وغيره ، رأوا أن الرصاصة وإن كانت لا يقطع بها عادة إذا أمرّت على الجسد إمرارا عاديا فهى بقوة الدفع التى فى البندقية تقطع وتفرى الجسم ، وتنهر الدم . فقتل المصيد فى الواقع ليس مضافا الى الضغط الناشئ من قوة الدفع كما فى الحجر ، وإنما هو ناشىء من الجرح الذى أحدثه تمزيق الرصاصة للجسد ، ويستوى فى ذلك الرصاصة المحددة وغيرها من الرصاص المعتاد ، فإنها على كل حال تمزق الجسد ، وتنفذ الى ما وراء الجلد ، وتسبب النزيف ، وعند ذلك يكون الموت . وليس صحيحا أن الموت بها آت من ثقلها بقوة الدفع ، وإنما هو آت من الجرح الذى أحدثته . وهذا معلوم من طريق المشاهدات التى لا يستطيع أحد إنكارها . وعليه فالمصيد بالبندقية حلال أكله إذا لم يدركه الصائد حيا ، فإن أدركه حيا وجب ذبحه بالطريقة الاعتيادية .

وكذلك ذهب المالكية الى حل المصيد بالبندقية . وكلا المذهبين يشترط أن يكون الصائد مميزاً ، غير تارك التسمية عمداً عند إطلاق الرصاصة ، وأن يضاف القتل الى الرمى دون سبب آخر كالغرق . وزادت المالكية شرطين آخرين ، هما أن يكون الصائد مسلما ، وأن ينوى التذكية . والحنفية يرون حل المصيد من المسلم والكتابى سواء .

أما الشافعية والحنابلة فلا يرون حل الصيد فى هذه الحادثة المسئول عنها . والله أعلم .

تصرف الابن

رجل ملك ابنه التصرف فى منزله ، وعاهده على الصدق والإخلاص فى السير ، ومشاورته فى كل شىء قبل فعله ، سواء كان بيعاً أو شراء أو أى معاملة ، ثم نكث الولد العهد ، واشترى أشياء لنفسه خاصة ، ولم يشرك فيما اشتراه أباه ولا إخوته ، وادعى أن هذا بسعيه وحده . فهل هذا حلال أم حرام خصوصا إذا لم يرض عنه الأب ؟

مصطفى عوده

الجواب :

المفهوم من السؤال أن الرجل فوض الى ابنه التصرف فى أمواله بالبيع والشراء وغيرهما ، واشترط عليه أن يطلعه على كل تصرف يريده قبل أن يفعله ، ولكن الولد لم يعمل بما تعهد به ، بل استبد بالتصرف دون أن يطلع والده عليه ، واشترى أشياء اختص بها نفسه وادعى أنها من سعيه وعمله . فإذا كان السؤال هكذا فالجواب أن عمل هذا الولد حرام .

الرهن

هل يكون شىء من الإثم فى رهن الأطيان الحيازى بشرط أن ينتفع الراهن بالعين المرهونة ؟ بكر سعد أبو شوشه

الجواب :

يقع بين الناس معاملات تتعلق بالرهن ، فقد يقترض الرجل من آخر مالا ، ويسلم اليه أرضه رهناً فى دينه ، على أن يكون لصاحب الدين الانتفاع بالعين المرهونة

زراعة وتأجيراً أوغيرهما . فإذا كان السائل يشير بسؤاله الى مثل هذه الحادثة ، ويطلب حكم انتفاع صاحب الدين بالعين المرهونة فى يده ، فالحكم أنه حرام ، لأنه قرض جر نفعاً .

وهناك تعامل آخر بين الناس ، أساسه عقد إيجار أو عقد بيع ، فقد يشترى الرجل أحياناً عقاراً أو غيره ، ويبقى من ثمن المبيع فى ذمته مقدار ما ، فيرهن المشترى للبائع بما بقى فى ذمته من ثمن المبيع أرضاً زراعية ، ويذكر فى صلب العقد أن هذه العين رهن فى باقى الثمن ، وأن للبائع حق الانتفاع بها مدة معينة . فانتفاع صاحب الدين فى هذه الحادثة حرام عند الحنفية ، حلال عند المالكية والشافعية . وكذلك حلال فى رواية عند الحنابلة . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى
محمد عبد اللطيف الفحام

من طرائف الحكمة

قيل لقس بن ساعدة : ما أفضل المعرفة ؟ قال معرفة الرجل نفسه . فقيل له : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف الانسان عند علمه . فقيل له فما أفضل المروءة ؟ قال استبقاء الرجل ماء وجهه .

وقال الحسن : التقدير نصف الكسب ، والتودد نصف العقل ، وحسن طلب الحاجة نصف العلم .

وقالوا : لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق ، ولا غنى كرضا عن الله ، وأحق ما صبر عليه ما ليس الى تغييره سبيل .

وقالوا : أفضل البر الرحمة ، ورأس المودة الاسترسال ، ورأس العقوق مكاتمة الأدنين ، وراس العقل الاصابة بالظن .

وقالوا : التفكر نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ، والعلم حياة ، والأول سابق ، والآخر لاحق ، والسعيد من وعظ بغيره .

وقالوا : ظن العالم كهانة .

وقال الحسن البصرى : لو كان للناس كلهم عقول خربت الدنيا .

دحض شبهات عن الاسلام

يذكر القراء أننا لخصنا بحثا للكاتب الفرنسى المسيو أندريه هرفيه حمل فيه على الاسلام ، وحصرنا شبهاته التى أوردها فى اثنتى عشرة شبهة . وقد دحضنا أربعا منها وبقيت ثمان شبهات ، فنأتى اليوم على دحض خامستها ومؤداها :

« إن الحضارة التى يزعم المؤرخون أنها عربية هى فى الحقيقة حضارة الشعوب التى وقعت تحت نير العرب ، فتابعت سيرها على الرغم من العقائد الاسلامية الجامدة »

دحض هذه الشبهة :

يلوح لى أن المسيو أندريه هرفيه لا يكتب ليصل الى حقائق تاريخية ، ولكنه يكتب ليطعن فى الاسلام . وتراه لأجل الوصول الى هذه الغاية يسير على أسلوب لم يسر عليه كاتب قبله ، فهو لا يحترم المقررات التاريخية حتى التى دوّنها أبناء جلدته ، ويخالف الإجماع بغير دليل يقيمه غير رأيه الشخصى . مع أن مخالفة الإجماع على مقتضى الدستور العلمى لا يجوز إلا إذا وجدت أدلة محسوسة تنقضه ، ولا يجوز الاعتماد على تلك الأدلة إلا إذا اشترك فى تقديرها عدد من أهل البصر يعلنون بأنها كفء لذلك النقض .

أجمع المؤرخون على أنه كانت للمسلمين حضارة زاهرة كسفت كل ما سبقها من الحضارات العالمية ، وأنها بلغت حدا لم تبلغه نظائرها فى أقدم الأمم علما ومدنية ، وعلى أن هذه الحضارة دعا اليها الاسلام نفسه وساعد زعماؤه على إبلاغها الى كمالها بما بذلوه من جاههم وجهودهم وأموالهم ، وبما نشّطوا العاملين عليها على المثابرة بكل ضروب التنشيط والتحضيض ؛ فخَرَق المسيو أندريه هرفيه هذا الإجماع ، وقرر بأن ما تخيله المؤرخون من أمر الحضارة الاسلامية ، هو ما كانت عليه الشعوب التى دوخها

المسلمون وأخضعوها لسلطانهم من آثار الحضارة الخاصة بهم ، أما الاسلام نفسه فلا يعرف الحضارة ولا يدعو اليها ، ولكنه يقتلها حيث صادفها ، ويقضى على أهله وأهلها بالجمود والاستكانة .

هذا عجيب وأكبر من عجيب : فإن مدنية تقوم فى أمة من الأمم وتدوى أخبارها فى العالم كله دويا قاصفا ، وتصبح بلادها كعبة تحج اليها الشعوب من أقصى الأرض لتقتبس من نورها ، ويُجمع على إكبارشأنها مؤرخو العالم أجمع ، ولا تزال آثارها ظاهرة فى أربعة أرجاء المعمورة ، تشهد لأهلها بالنبوغ الخارق للعادة ، والعبقرية البالغة ، يجرؤ على إنكارها كاتب بغير دليل ولا شبه دليل ، ولكن بجرة قلم ، كأن هذا القلم يستطيع أن يمحو ما انتقش فى لوح الوجود نفسه ، غير حاسب أن هذه الجرأة تكفى وحدها لدحض كل ما قاله ولو لم يتعرض له أحد بنقد .

لا ندرى كيف يغيب عن مثل المسيو أندريه هرفيه أنه لو كان المسلمون الأولون من الطراز الذى يتوهمه من الجمود والتوحش ، لبادت تحت نيرهم الثقيل تلك الحثالة من المدنية التى كانت للشعوب التى أخضعوها لسلطانهم ، ولم تعش إلا ريثما تودع الوجود ذابلة متداعية ، كما كان شأن المدنية الرومانية العظيمة تحت نير الفاتحين من قبائل الفنداليين والهونيين وقدماء البلغاريين ، لا أن تنتعش تلك المدنية وتزدهر تحت حكم المسلمين حتى تظهر على سائر مدنيات العالم ، وتبقى قرونا طويلة ناقلة العالم كله من الظلمات الى النور فى تلك القرون الحالكة .

إذا كان الأمر كما يدعى المسيو أندريه هرفيه من أن المسلمين كانوا أهل جمود وجاهلية ، وأنهم لم يعبأوا بالعلوم ولم يكترثوا لها ، وأن ما حملوه للعالم من أصول دينهم يطفىء نور كل مدنية فى العالم ، وأن الحضارة التى يصادفها المؤرخون تحت سلطانهم لم تكن إلا حضارة الأمم التى أخضعوها لسلطانهم ، إذا كان الأمر كما يدعيه من هذا الخبط فهل يستطيع أن ينكر أن المسلمين نقلوا العلوم الى لغتهم العربية ، وأن أئمتهم وزعماءهم بذلوا فى نقلها مالاً جما ، وجهدا جهيدا ؟

فلم يعقل أن يتكلف هَدَمَة الحضارة هذه المشاق والتكاليف كلها فى نقل العلوم الى لغتهم ماداموا هم مفطورين على كراهتها، وعلى تثبيط همة أهلها، وما دامت المدنية كما يقول كانت مقصورة على الأقوام المغلوبين لهم ؟

إن كان لما قاله المسيو أندريه هرفيه حظ من الصحة لأبقى المسلمون العلوم بلغاتها الأعجمية، ولما تجشموا المتاعب فى الحصول على كتبها المهملة فى زوايا المكتبات الأوربية، ولما بذلوا ملايين الدنانير لنقلها الى لغتهم، ولما عُنوا بأن يجعلوا كتبها فى أرفع مكان من مكتباتهم وجامعاتهم. فهل تتخيل عبثا بالعقول أشد من هذا العبث ؟ وإنى لمتعجب كيف تقبل الجريدة التى نشرت هذه المباحث أن تنشرها مع هذا الخطل ؟!

هذه الملاحظات تكفى للرد على شبهة المسيو أندريه هرفيه، ولكنا نأتى هنا بفذلكة عن تاريخ العلم فى الاسلام لنثبت بدليل محسوس أن أول من كتب فيه بالعربية وأمر بنقل ما يوجد منه فى البلاد الأجنبية هم المسلمون أنفسهم فنقول :

اشتغل المسلمون بطلب العلم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم، فكانوا يحفظون القرآن كله أو بعضه، ويتتبعون الأحاديث النبوية ويتذاكرونها. فلما لحق رسول الله بالرفيق الأعلى انقطع منهم قوم لدراسة التفسير والحديث، وآخرون لتحرير اللغة وضبط قواعدها، وجماعة لجمع التاريخ، وأخرى للتبسط فى الفقه، فكان هذا أول مادعتهم الضرورة اليه .

فلما نالوا حظا من هذا كله، مدوا بأبصارهم الى ما بعده من المعارف التى تقتضيها حالة التحضر التى دخلوا فيها، ولم يمض عليهم فى الاسلام أكثر من خمسين سنة .

فكان أول من اشتغل بنقل العلوم الكونية الى الأمة الاسلامية هو خالد بن يزيد بن معاوية أحد أمراء بنى أمية المرشحين للخلافة، فقد استقدم جماعة من علماء جامعة الاسكندرية اليونانيين وأخذ عنهم علم الكيمياء، ثم أمر بنقله الى اللغة العربية، فترجمه له رجل اسمه اصطفان القديم، فكان هذا أول ما نقل الى هذه اللغة من العلوم الطبيعية .

واشتغل هذا الأمير أيضا بالعلوم الفلكية على علماء من اليونانيين ، منفقا فى هذا السبيل مالا جما ، وحصل على الآلات الضرورية له ، ويرجح أنه قد ترجم له منه . وقد جاء فى كتاب تراجم الحكماء أنه قد وجدت فى نحو منتصف القرن الرابع الهجرى فى مكتبة القاهرة كرة أرضية من النحاس عملها الفلكى المشهور بطليموس اليونانى ، وكان عائشا قبل المسيح بنحو مائة وخمسين سنة ، وجدت مكتوبا عليها هذه العبارة : « حُملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية » .

فانظر كيف انبعث المسلمون من أنفسهم بداعية الدين نفسه ، وضرورة العمران ، لأن يستكملوا وجودهم المدنى بالعلوم التى تؤيده وتبلغه الى أبعد ما يصل اليه علما وعملا .

توفى الأمير خالد بن يزيد فى سنة (٨٥) للهجرة ، وتولى عبد الملك بن مروان ، وكانت الآراء قد اختلفت فيمن هو أحق بالخلافة من المرشحين لها ، وانقسمت الأقطار الاسلامية مشايعة لهم ، فكان هوى مكة والمدينة والعراق ومصر مع عبد الله ابن الزبير ، وكان قد تولى الخلافة ونفذت كلمته فى هذه الأقطار الشاسعة . فلما تولى عبد الملك بالشام رأى أن أول ما يجب عليه لتثبيت خلافته ، أن يقاتل عبد الله بن الزبير ، فأرسل اليه الحجاج بن يوسف الثقفى على رأس جيش ، فأخذ يقاتله ، وفى الوقت نفسه بعث بجيش الى العراق لطرد عامله منها ، فاتفق أن القائدين الأمويين تمكنا من القضاء على خصميهما ، فخلص الملك لعبد الملك ، ثم لبنيه الأربعة حتى نهاية القرن الأول ، فحدثت فتنة كان الغرض منها إسقاط الأمويين واستبدال العباسيين بهم ، فكانت حروب وقلاقل حتى استقرت الأسرة العباسية فى الملك ، فلم تطل أيام عميدها أبى العباس السفاح غير سنتين ، ثم خلفه أخوه المنصور سنة (١٣٦) ، وكانت نيران الفتن قد خمدت ، فدفعته هداية القرآن وضرورات العمران الى البحث عن خزائن العلوم الكونية . فأول ما اتجه اليه بصره منها علم الفلك فاستحضر جمهورا من أعلامه الفرس ، منهم نوبخت ، وكان ذا براعة فى العلم باقترانات الكواكب وحوادثها . ولما

كبر خلفه ولده أبو سهل بن نوبخت . ثم توالت أعقابه فى خدمة العباسيين وترجموا لهم كتبا كثيرة .

وقد اشتهر أمر اهتمام المنصور بعلم الفلك ، فقصده أعلامه من البلاد الأجنبية كبلاد الهند واليونان .

وفى عهد المنصور ترجم الى العربية أشهر كتاب للهند فى الفلك ، ونشر تحت اسم السندهند الكبير ، وجعل أصلا يرجع اليه فى علم حركات الكواكب .

ولما كان علم الفلك يحتاج الى العلوم الرياضية كتب المنصور الى ملك الروم أن يبعث اليه بكتبها ليترجمها ، فبعث اليه بكتب أقليدس وبعض الكتب الطبيعية فأمر بترجمتها .

واهتم أمير المؤمنين المنصور أيضا بالطب ، واشتد كلفه بنشره ، وذلك أنه كان قد أصابه مرض ، فلما أعجز أمره الأطباء جمعهم وسألهم : هل يعرفون طبيبا ماهرا فى بعض الأقطار ؟ فدلوه على جورجيس بن بختيشوع ، فاستقدمه ، ولما سر من علمه وخبرته ونجاح معالجته أمره بالاقامة فى بغداد ونقل كتب الطب الى العربية ، وكان ملما باليونانية والسريانية والفارسية ، فنقل له كتبا قيمة منها .

فلما أفضت الخلافة الى حفيده هرون الرشيد من سنة (١٧٠ — ١٩٣) كانت ضرورة الحياة المدنية قد أعدت النفوس للاستكثار من العلوم الكونية ، وشعر العلماء فى الأقطار البعيدة بشغف المسلمين بها ، فأهرعوا الى بلادهم يتلمسون نشر ثقافتهم فيها . فجاء عدد كبير منهم الى بغداد من سريان وفرس وهنود واستقبلوا فيها بالترحاب ، وقربهم الخليفة وأغدق عليهم العطايا ، وأمرهم بترجمة أمهات الكتب اليونانية ، فشرعوا فى العمل تحت رعايتهم ورعاية الأمراء .

ولما أفضت الخلافة الى المأمون بن هرون الرشيد ، نشطت حركة الترجمة والتأليف نشاطا عظيما ، وجارى الوزراء والأعيان الخلفاء والأمراء ، فكان لكثير منهم محلات

خاصة للمترجمين يجرون عليهم الأرزاق من أموالهم الخاصة، لينقلوا لهم عيون الكتب الأجنبية التى حصلوا عليها من بلادها الأصلية.

هنا أمر يجب أن لا يفوت القارئين، وهو أن العلوم الكونية والمذاهب الفلسفية كانت قد كسدت كسادا تاما فى أوطانها من البلاد الأوربية. وكان رجال الدين هنالك يعاقبون بالقتل كل من يشتغل بها، وقاموا بجمع كتبها وحشروها فى خزائن مؤصدة لا يصل اليها إنسان. فكانت الحشرات تعبث بها عبثا شنيعا، حتى إن الذى يقترب منها كان يسمع صرير أسنانها تعمل فى قرض صحائفها!

فلما نهض المسلمون نهضتهم التى حيرت العقول فى سرعتها وضخامتها وبُعد آثارها، لم يقتصروا على ما كان محفوظا منها لدى العلماء الذين هاجروا من تلك البلاد هربا من الاضطهاد، وتاقوا لأن يحصلوا على ما فى تلك الخزائن من الذخائر العلمية. فكتب المأمون الى ملك الرومان يطلب اليه أن يسمح له بإرسال بعثة علمية الى بلاده للبحث فى الكتب القديمة المهجورة، وأخذ ما يقع عليه اختيارهم منها لنقله الى العربية، فتردد الملك أولا ثم سمح بذلك، فأوفد المأمون جماعة من علماء النساطرة الى تلك البلاد، فاختاروا طائفة من تلك الكتب وأحضروها الى بغداد وشرعوا فى ترجمتها.

فكانت اللغات المؤلفة بها الكتب التى شرع المسلمون فى نقلها هى اليونانية والفارسية والسريانية والسنسكريتية الهندية والنبطية واللاتينية وغيرها.

وإنما أراد المسلمون من الاستكثار من اللغات التى تترجم الكتب عنها، أن يجمعوا بين محاسنها كلها، وأن يعرضوا جميع ما فتح الله به على الناس من العلوم، استخلاصا لأحقها بالعناية، وأولاها بالدراسة. لذلك جاءت معارف المسلمين أرفع المعارف كلها، وفلسفتهم أجمع الفلسفات للحقائق. ولا يوجد فى تاريخ الأمم نهضة فكرية تشبه هذه النهضة أو تقرب منها. ولهذا السبب لم يمض على المسلمين قرنان حتى كانوا زعماء العالم فى كل مجال من مجالات العلوم والفنون والصنائع، وكان من آثار زعامتهم أن انتشر العلم

بواسطتهم فى أوربا على رغم الاضطهادات التى كانت تنال علماءهم ، ولم ينتصر العلم على الجهل فيها إلا فى القرن السادس عشر .

فهل يرى المسيو أندريه هرفيه أن هذه الحركة الاسلامية فى سبيل الحضارة ، وترجمة العلوم وحفظها يمكن إنكارها ؟ إن من العبث محاولة ذلك ، فالتسليم بالأمر الوقع أولى ، ولكن التسليم به يعلى من قيمة الاسلام ، ويغرى الناس بتعرف أصوله المحيية ، وهو ما يريد المسيو أندريه هرفيه ضده ، وهيهات !

يقول المسيو أندريه هرفيه : إن الحضارة التى يدعونها عربية هى فى الواقع حضارة الأمم التى دوخها المسلمون ، أما هم فكانوا فى حالة جمود وتوحش خنقوا معهما كل حضارة وكل مدنية . فإذا رضى لنفسه أن يخرق الإجماع التاريخى وأن يرمى عرض الحائط بكل رأى مخالف لرأيه ، أفيستطيع أن ينكر الواقع الذى لا يقبل الطمس ؟ أيستطيع أن ينكر أن بغداد مدينة عربية ، بناها أبو العباس السفاح لتكون مقرا للامامة الاسلامية ؟

لا يمكن إنكار ذلك ، كما لا يمكن إنكار أن مقر الملك فى كل أمة يكون مرآة صادقة لنفسية الأمة التى تمثلها .

كذلك لا يمكن إنكار أن بغداد هذه كانت موطن المدنية الاسلامية ، ومركزها الذى أشعت منه على العالم كله .

فكيف يمكن التوفيق بين هذه المحسوسات وبين ما يدعيه المسيو أندريه هرفيه أن مدنية المسلمين لم تكن مدنيتهم ، لأنهم غير أهل لتوليد مدنية ولا المحافظة عليها ، ولكنها مدنية الذين كانوا خاضعين لهم من الأمم الأجنبية ؟ فهل كان لسان تلك الأمم عربيا ؟ وهل كانوا هم الذين سكنوا بغداد وعمروها ؟ وهل هم الذين قاموا بترجمة كتب العلم بأموالهم وأسسوا منها مئات من المكتبات العمومية ، فى جميع الأمصار الاسلامية ؟ اللهم إن الصمت حيال أمثال هذه المفتريات أبلغ من التكلم فيها !

محمد فريد وجدى

جعفر بن أبي طالب

إسلام نجاشي الحبشة على يديه

نشأته — اسلامه :

ولد رضى الله عنه بمكة المكرمة فى أشرف بيت وأكرم عشيرة ، وكان أسنّ من علىّ أخيه بعشر سنين ، وأسلم بعده بقليل .

روى أن أبا طالب رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وعلىّ عن يمينه فقال لجعفر : صِلْ جناح ابن عمك وصَلِّ على يساره .

وناهيك بموقف واحد من مواقفه المشرفة تتبين منه مقدار شجاعته ورسوخ إيمانه — روى أنه لما تولى إمارة الجيش فى غزوة مؤتة بعد قتل زيد كان أول ما بدأ به ، وهو أول شىء فعل فى الاسلام ، أن نزل عن فرسه واقتحم صفوف القوم ، فحمل عليهم حملة شديدة ، وظل يقاتل حتى قتل ، فوجد به بضع وسبعون جرحا كلها من القدم ، وكان ذلك سنة ثمان من الهجرة .

هجرته الى الحبشة :

هاجر رضى الله عنه مع من هاجروا فى الدفعة الثانية الى بلاد الحبشة سنة خمس من البعثة بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فنزلنا على خير دار وجار آمنين على ديننا وأنفسنا ، ولما بلغ المشركين من قريش ذلك بعثوا وراءه رجلين جلدين : عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ، وبعثوا معهما هدايا ثمينة الى النجاشى أصحمة سنة ست من البعثة ، فلما دخلا عليه قالا له : أيها الملك : إن نفرا من بنى عمنا نزلوا أرضك راغبين عنا وعن آلهتنا ، ولم يدخلوا فى دينك بل دخلوا فى دين آخر مبتدع ، جاء به رجل كذاب يزعم أنه رسول الله ، أتباعه جميعا من الفقراء والسفهاء ، وقد بعثنا اليكم

أشراف قومنا لتردهم اليهم . فقال النجاشي وقد غضب : وكيف أسلمكم قوما جاورونى واستجاروا بى ؟ لا يكون هذا حتى أسألهم

موقفه بين يدى النجاشي :

وقبل أن يبعث النجاشي الى جعفر ومن معه ، أمر بضرب الناقوس لإحضار جميع القسس ، ثم أرسل الى جعفر ومن معه ، فلما وقفوا بين يديه قال جعفر : فاستأذنته فى الكلام عنى وعن جماعتى ، ثم قلت : أيها الملك : سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار ؟ فإن كنا عبيدا فارددنا اليهم . فقالا له : إنهم أحرار كرام . فقلت : سلهما هل أخذنا مالا بغير حق أو قتلنا نفسا بغير حق ؟ فقالا له : لا . فقال النجاشي عند ذلك : فما تطلبان منهم بعد هذا ؟ فقالا له : إنا كنا جميعا على دين واحد فخالفونا الى دين مبتدع ، فنريد أن نردهم اليه ، وقد بعثنا قومنا لذلك لما بيننا و بينك من المودة . فقال جعفر : أيها الملك قد كنا نحن وهم على دين الشيطان ، وكنا أهل جاهلية نقطع الأرحام ونعبد الأصنام ، وأما الدين الذى تحولنا اليه فهو دين الرحمن ، بعث الله به نبيا منا نعرف نسبه وأمانته ، وأنزل عليه كتابا مثل الذى أنزل على نبيكم فصدقناه وآمنا به ، وقد أمرنا بعبادة الله وحده ، وبصلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى ، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ـ وذلك قبل فرض الصلوات الخمس وصيام رمضان ـ وأمرنا بصدق الحديث وصلة الرحم وحسن الجوار وكف الأذى . فبغى علينا قومنا وأبوا إلا أن نرجع الى دينهم ، ولما اشتد أذاهم وتكرر ، هاجرنا الى بلادك بعد أن اخترناك على من سواك . قال ابن دحلان فى كتابه السيرة النبوية : « وكان النجاشي أصحمة أعلم النصارى فى وقته بكل ما أنزل على عيسى ، حتى إن قيصر ملك الروم كان يبعث اليه علماء الروم ليأخذوا عنه العلم » .
من أجل ذلك فكّر فيما قاله جعفر وصحبه بعقل كبير وفهم عميق ، ثم قال للقسس وقد سمعوا ما سمع : أنشدكم بالله هل تجدون بين عيسى و بين يوم القيامة نبيا هذه صفته ؟ فقالوا : اللهم نعم وقد بشر به عيسى فى الانجيل فقال : « من آمن به فقد آمن بى ومن كفر به

فقد كفر بى » فقال النجاشى عند ذلك : أشهد بالله إنه لهو النبى المنتظر . ثم إنه طلب من جعفر أن يقرأ عليهم شيئا من كتاب الله . قال جعفر : فقرأت عليهم سورتى العنكبوت والروم ، فاستزادونى فقرأت عليهم سورتى الكهف ومريم حتى بكوا وابتلت لحاهم . ثم التفت الينا وقال : ما أحب أن لى جبلا من ذهب على أن أوذى واحدا منكم ، انزلوا حيث شئتم من بلادى . وأجرى لنا من الرزق ما يصلح شأننا . ثم أمر برد هدايا الكفار ، وقال : إنها رشوة لا أقبلها ، وإن الله لم يأخذ منى الرشوة حين رد الىّ ملك أبى حتى آخذ الرشوة فيه ، ولم يطع الناس فىّ حتى أطيعهم فيه .

روى أن أصحمة كان وحيد أبيه المسمى (أبجر) وكان أبجر ملكا على الأحباش فقتلوه وولوا أخاه ، وكان ابنه أصحمة يتيما فى حجر عمه ، وكان كلما كبر فى السن كبر فى العقل حتى خاف قتلةُ أبيه أن ينتقم منهم فى المستقبل ، فخيّروا عمه بين قتله أو نفيه ، فاختار نفيه مكرها ، فباعوه الى رجل من بنى ضمرة بين مكة والمدينة ، فكان أصحمة يرعى له الإبل والغنم هناك ، فلما مات عمه ولم يجدوا فى بنيه على كثرتهم من يصلح للملك ، اضطروا الى إعادة أصحمة ، فجاءوا به وأجلسوه على عرش أبيه ، فشكر النعمة وتعرّف الى الله فى الرخاء كما تعرف الله اليه فى الشدة .

على أن كفار العرب ما فتئوا يكيدون للمسلمين ويتربصون بهم الدوائر ، حتى دارت الدائرة عليهم ، وأدال الله منهم ، ومكن المسلمين من رقابهم يوم بدر ، فعمدوا الى أخذ الثأر من مهاجرة الحبشة ، فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة بهدايا الى النجاشى أصحمة ، فلما وقفوا بين يديه وطلبوا منه أن يسلم القوم إليهم لقتلهم بمن قتلوا من عظمائهم يوم بدر ، غضب النجاشى عليهما وردهما خائبين ، ثم بعث الى جعفر ومن معه ، فلما جاءوا إليه وجدوه جالسا على التراب ولابسا ثيابا خلقة بالية ، فسألوه فى ذلك ، فقال : شكرا لله على نعمة انتصار محمد صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر ، لأنا نجد فيما أنزل على عيسى : « إن حقا على عباد الله أن يحدثوا تواضعا عند ما يحدث الله لهم

نعمة» وإنما بَعثت اليكم لأُبشركم بانتصاره على أعدائه. فانصرفوا من عنده شاكرين له هذا البر العظيم والعطف الكريم.

اسلام النجاشي على يديه:

قال صاحب كتاب الطراز المنقوش: إن النبي صلى الله عليه وسلم بَعث سنة ست من الهجرة عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى أصحمة بكتاب يدعوه فيه الى الاسلام، فلما وصل اليه الكتاب وقرئ عليه نزل عن سريره وكان جالسا عليه، تواضعا وأدبا مع كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم أخذه وقبّله ووضعه فوق عينيه وقال: لا تزال الحبشة بخير ما بقى فيهم هذا الكتاب الكريم. ثم إنه كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ردا على كتابه وفى آخره يقول: «قد عرفنا ما بعثت به الينا وشهدنا بأنك رسول الله حقا وصدقا، وقد بايعتك بواسطة ابن عمك جعفر وأسلمت على يديه لله رب العالمين»!

ولا يخفى على القارئ الكريم أن هذا النجاشى غير النجاشى الذى كتب اليه الرسول سنة تسع من الهجرة. قال العلامة القسطلانى فى المواهب اللدنية: «وقد خلط بعض العلماء فلم يميز بين النجاشيين» اهـ

عودته الى بلاده:

عاد رضى الله عنه الى بلاده بعد أن مكث فى الحبشة ما لا يقل عن أربع عشرة سنة، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية الضمرى سنة سبع من الهجرة بكتاب الى النجاشى أصحمة يطلب منه أن يرسل مَن عنده من المهاجرين، فجهزهم النجاشى فى سفينتين، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ورأى جعفرا، قام اليه وعانقه وقبّله بين عينيه، ثم قال: ما أدرى أنا بأيهما أشد سرورا: بقدوم جعفر أم بفتح خيبر! وكان

الرسول هذا اليوم فى خيبر لفتحها، ولما تم لهم النصر كلم الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه ففرضوا لجعفر ومن معه فى الغنيمة .

الخلاصة :

إنك لتلمح نور الفطرة السليمة يتألق فى وجهى هذين السيدين : أصحمة وجعفر، فقد جمعت بينهما عاطفة ربانية أسفرت عن لطف المجير وأمن المستجير، وألفت بين قلبيهما فجعلتهما سيان فى الحق الذى نحا كما اليه واصطلحا عليه، على بعد ما كان بينهما من البيئة واللغة والجنس . وهكذا يؤلف الاسلام بين الناس على الهدى، ويجمع بينهم على الرشد . « لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .

سيد احمد متولى الشيخ
من علماء الأزهر برشيد

أحسن ما قيل فى ثلاث خصال

قال عمرو بن العاص : ثلاث لا أناة فيهن : المبادرة بالعمل الصالح ، ودفن الميت ، وتزويج الكفء .

وقالوا : ثلاثة لا يندم على ما أسلف اليهم : الله فى عمل له ، والمولى الشكر فيما أسدى اليه ، والأرض الكريمة فيما يذر فيها .

وقالوا : ثلاثة لا بقاء لها : ظل الغمام ، وصحبة الأشرار ، والثناء الكاذب .

وقالوا : ثلاثة لا تكون إلا فى ثلاثة : الغنى فى النفس ، والشرف فى التواضع ، والكرم فى التقوى .

وقالوا : ثلاثة لا تعرف إلا فى ثلاثة : ذو الباس لايعرف إلاعند اللقاء، وذو الامانة لايعرف إلا عند الأخذ والعطاء ، والاخوان لا يعرفون إلا عند النوائب .

وقالوا : من طلب ثلاثة لم يسلم من ثلاثة : من طلب المال بالكيمياء لم يسلم من الافلاس ، ومن طلب الدين بالفلسفة لم يسلم من الزندقة ، ومن طلب الفقه بغرائب الحديث لم يسلم من الكذب .

الاسلام والطب الحديث

بحـوث دينية علمية

« وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه الى بلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات ، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » :

هذه الآية تفسر ما سبق تفسيره «وجعلنا من الماء كل شىء حى» الخ، ومعناه أن الحياة لا توجد فى شىء إلا إذا كان فيه نسبة مخصوصة من الماء تختلف بحسب أجزاء الأجسام ، ولا يمكن الحياة أن توجد فى شىء جاف مطلقا، لأن الجفاف يوقف التغيرات الكيماوية التى هى الشرط الأساسى لتغيرات الجسم الحى وقوفا تاما ، وذلك يؤدى الى الموت حتما . والله تعالى يضرب لنا مثلا ويقول إن الأرض الميتة تحيا بالماء ، أوليس الله قادرا على أن يحيي الموتى بطريقة مثل هذه الطريقة ولو أننا لا نعرفها ولا تدخل فى متناول إدراكنا ؟

***

« ولوطا إذ قال لقومه أتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . إنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون » :

والمهم فى هذه الآية من الوجهة العلمية قوله تعالى : «ما سبقكم بها من أحد من العالمين» ، لأن الآية تفسر ما قلناه سابقا من أن الله خلق آدم كاملا ، وما يطرأ من النقص فى ذريته جسما وعقلا هو نتيجة السنن الالهية ، وهذه الفاحشة المشار اليها فى الآية هى نتيجة تغييرات فى إفرازات الغدد الصماء ، وهذه الأمراض لم تصب الانسان لأول مرة إلا فى مدة لوط . وهذا يفسر لنا التاريخ الطبي للأمراض من أن لكل مرض بداية لم يعرف قبلها ، وإذا عرفنا أن الغدد الصماء تؤثر فى أخلاق الشخص وعقله ، بل هى أساس كل ما هو مهم فى شخصيته ، جاز لنا أن نقول إن اختلاف الامم فى أخلاقها وعاداتها هو نتيجة تغييرات فى الغدد ، وذلك تابع لما يصيبها من جراثيم أوحوادث طبيعية ، والجراثيم أمم أمثالنا تصيب الانسان فى أزمان مختلفة .

ولهذا كان الفرق بين كمال اول المخلوقات وبين النقص الشديد فى بعض الأفراد هو نتيجة للسنن الطبيعية ، والله الذى لايخفى عليه شىء ، قدرها من أول خلقه آدم وخلقه الجراثيم الخ ، وعلم تاثير التغييرات فى عقول الأفراد وأخلاقهم ، وعلم ابتداء ظهور الأمراض الاجتماعية « ولو شاء لهدا كم أجمعين » . ولله فى ذلك حكمة نرجو أن نوفق للكلام عليها فى المستقبل .

والمهم أن الانسان الأول خلق كاملا طاهراً من كل عيب ، وكل ما ظهر من عيوب

فى ذريته هو نتيجة تصادم بين مخلوقات وعوامل مختلفة ، وفى هذا رد معقول على الذين يقولون : « كيف يخلق الله الانسان مع أن فيه عيوبا كثيرة والمخلوق منسوب للصانع ؟ » .

***

« ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين » :

هذه الآية تفسير ما قلناه سابقا من أن الانسان تنقصه الحواس التى بها يرى الله جل وعلا ، ولذلك أمر الله سيدنا موسى بأن يرى تأثير القدرة الالهية فى دك الجبل ، وهذا طريق للايمان أقرب لعقول بنى آدم من رؤية الخالق ، ولوشاء الله لأعطاه من الحواس مايمكنه من رؤيته ، ولكن الله يقول له : إنى أعطيتك من الحواس أكثر مما أعطيت باقى المخلوقات مما يمكنك به أن تكلمنى لا أن ترانى . وهذا هو معنى قوله تعالى : « قال يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين » . وهكذا يفسر القرآن بعضه بعضا ويفسر ما قلناه عن علوم الغيب . فالانسان الذى لا يعرف من الغيب إلا بقدر ما يعرف من سنن طبيعية يسمى جاهلا مهما عرف ، لأن قوانين السنن الطبيعية لاحد لها . كذلك الأنبياء عليهم السلام بالنسبة لعلوم الغيب ، فهم من النوع الثانى الخارج عن السنن الطبيعية وعن إدراك الانسان ، لأن الله يصطفيهم ويعطيهم من الحواس والادراك ما يؤهلهم لما يريده من المعجزات على أيديهم فقط ، وأما باقى علم الله الذى لاحد له فلا يعلمه إلا الله . وهذا هو معنى قوله تعالى لسيدنا موسى ما معناه : إنك لا يمكنك أن ترانى وإنك ستكلمنى بما أعطيتك من مميزات لم أعطها لغيرك . وهذا هو معنى الآية الكريمة على لسان النبى صلى الله عليه وسلم : « ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب » ، وقوله تعالى : « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » والفرق بين وجود دراهم معدودات عند النبى وبين خزائن الله مثل الفرق بين معرفة النبى لبعض الغيب وبين مفاتيح الغيب كلها التى لا يعلمها إلا الله ؟

دكتور عبد العزيز اسماعيل

اذا سألت فاسأل الله

قال النبى صلى الله عليه وسلم : ليأخذن أحدكم أحبله فيحتطب بها على ظهره أهون عليه من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه .

تاريخ العلوم اللغوية (١)

تقدمت بعد ذلك العلوم اللغوية خطوة جريئة الى الأمام على يد عثمان بن جنى ، وهو ابن أحد الموالى الاغريق ، ولد بالموصل عام ٣٣٠ هـ وطلب العلم ببغداد ، واشتغل بالتدريس بها الى أن توفى سنة ٣٩٢ هـ ، وقد ظهر فى مؤلفاته أثر الدراسات الفلسفية وكانت قد بلغت فى هذا العصر ذروة مجدها ، ولقد كان موفقا الى أبعد حد فى الانتفاع منها وتطبيقها فى أبحاثه اللغوية .

وقد كان ختام المجهودات اللغوية التى بذلها علماء العرب فى هذا العصر ، فى جمع المفردات وتفسير الألفاظ العربية فى المعجم الكبير الذى اهتم بتصنيفه اسماعيل الجوهرى ، وهو فارسى الأصل ، طلب العلم فى أول الأمر بمسقط رأسه « فاراب » ثم ببغداد ، وجاب بلاد العرب وزار قبائل البدو فى الصحراء العربية إتماما لدراساته اللغوية ، ثم عاد الى موطنه وأقام فى نيسابور حاضرة خراسان الى أن توفى عام ٣٩٢ هـ ، ويعتبر معجم اللغة الذى وضعه من أهم المؤلفات العربية التى اتخذها المؤلفون من بعده قاعدة لأبحاثهم ومرجعا لآرائهم .

وكما نقلت العلوم اللغوية الى أقاصى شرق البلاد الاسلامية بواسطة تلاميذ علماء البصرة ، فإنها انتقلت كذلك بواسطتهم الى ممتلكات العرب فى الغرب ، وكان أول من اهتم بأمرها وتعهد نشأتها فى بلاد الأندلس هو اسماعيل القالى ، ولد بأرمينية وطلب العلم ببغداد ، واشتغل بالتدريس بقرطبة منذ عام ٣٣٠ هـ ، وقام بإملاء كتابه فى العلوم اللغوية على تلاميذه بجامع الزهراء ، وتوفى عام ٣٥٦ هـ .

بقيت العلوم اللغوية فى العصر القالى حافظة لمكانتها الأولى من الذيوع والانتشار ، إلا أن هذا العصر لم يأت بجديد فى أبواب النحو والصرف بالرغم من المؤلفات العديدة

(١) بقية المنشور فى العدد السابق بهذا العنوان .

التى وضعت فى هذه العلوم، فإنها كانت لا يختلف بعضها عن البعض الآخر إلا بمقدار التفصيل أو الايجاز، أما من ناحية الدراسات العامة فى أدبيات اللغة، فإن هذا العصر كان يمتاز عما سبقه بكثرة الاطلاع ودقة البحث ووفرة المؤلفات. ولقد تمكن علماء الأدب من التغلب على الاعتقاد السائد بتفوق شعراء العصر الجاهلى الوثنى فى جميع نواحى الشعر، وكشفوا عن ناحية الجمال فى اللغة والمعنى فى الشعر الجديد.

وبابتداء هذا العصر الجديد، أخذت مكانة البصرة والكوفة كمركز للأبحاث اللغوية فى الزوال، واحتلت بغداد محلهما، فأصبحت المدرسة النظامية التى أسسها الوزير السلجوقى نظام الملك لدراسة العلوم الدينية مثوى يلجأ اليه علماء اللغة أيضا، فأينعت علومها فى ظلال هذه المدرسة، وأول من ظهر من علماء اللغة فى هذه المدرسة يحيى التبريزى، وهو أشهر العلماء اللغويين فى القرن الخامس الهجرى، ولقد اشتهر بما وضعه من التفسيرات الموفقة لأغلب الشعراء، فهو واضع تفسير ديوان الحماسة والمعلقات وديوان أبى تمام، كما وضع تفسيرا لأشعار أبى العلاء المعرى الأولى، وولد يحيى التبريزى بمدينة تبريز سنة ٤٢١ هـ وبها كانت أيضا أول نشأته العلمية، ورحل الى مصر، ثم عاد الى بغداد واشتغل بالتدريس فى المدرسة النظامية المذكورة، وتوفى عام ٥٠٢ هـ

وظهر بعده موهوب الجواليقى المتوفى ببغداد سنة ٥٣٩ هـ، وهو أشهر من تخرج على التبريزى، ووضع كتابا فى قواعد اللغة العربية من نحو وصرف، كما أكمل كتاب الحريرى فى الغلطات اللغوية، ووضع أول معجم فى اللغة العربية للألفاظ الأجنبية فصل فيه الكلمات المستعارة من اللغات الآرامية والفارسية.

وجاء بعده تلميذه عبد الرحمن الانبارى المتوفى سنة ٥٧٧ هـ فوضع كتابا فى قواعد اللغة، وآخر فى تاريخ العلوم اللغوية منذ نشأتها الأولى، ووضع رسالة خاصة بالجدل

العلمى بين مدرستى البصرة والكوفة فى بعض مواضيع النحو والصرف ، وذلك بناء على الرغبة التى أبداها كثيرون من تلاميذه بالمدرسة النظامية .

وفى شرق البلاد الاسلامية كانت مدينتا نيسابور وخوارزم مركز الأبحاث اللغوية ومحط رجال العلم ، فكانت الأولى موطن العالم الكبير عبد الملك الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، وكان كاتبا مثقفا موهوبا ، له مؤلفات عديدة فى نواح أدبية مختلفة ، فوضع معجما لغويا كبيرا ، كما ألف كتابا فى التاريخ العام ، ووضع رسائل علمية متعددة كان الغرض الأول منها خدمة أدبيات اللغة العربية ، وأهم مؤلفاته السفر الضخم الذى وضعه عن الشعراء المعاصرين وشعراء الجيل المتقدم ، وراعى فى ترتيبهم أن يكون بحسب مواطنهم ، جاء فيه باختصار على تراجمهم وتاريخ أعمالهم ، كما سرد لكل منهم منتخبات من مقطوعاتهم الشعرية ، وواصل عمله هذا كل من مواطنه الباخرزى أبو الحسن المتوفى سنة ٤٦٧ هـ ومحمد الأصفهانى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

وأما خوارزم فكانت موطنا لأكبر علماء اللغة فى هذا العصر وهو محمود الزمخشرى ، ولد عام ٤٦٧ هـ وقام برحلات دراسية واسعة النطاق ، وأقام طويلا بمكة المكرمة ، ومات بالجرجانية سنة ٥٣٨ هـ ، وأهم مؤلفاته السفر العظيم الذى وضعه فى تفسير القرآن ، الذى يعد من أهم المراجع الدينية حتى الوقت الحاضر ، ولو أن الزمخشرى لم يجار تعاليم علماء السنة ، بل كان يتبع المعتزلة فى آرائهم . ولقد قام بعض العلماء بعد ذلك بما يقرب من مائة عام بتنقيح هذا التفسير وجعله متفقا وتعاليم السنية ، واشتهر كذلك من مؤلفاته كتابه فى قواعد اللغة العربية الذى امتاز عما سبقه من المؤلفات اللغوية بدقة عبارته ، ولو أنه لم يصادف ذيوعا واسعا فى الشرق كغيره من الكتب النحوية الأخرى السهلة الفهم ، وقام كذلك بوضع رسائل قيمة جمع فيها كثيرا من المفردات والألفاظ العربية مع التعليق على الغريب منها بتفسيرات هامة ،

كما وضع ستة مؤلفات تجمع الكثير من الحكم والأمثال لاقت ذيوعا واسعا فى الشرق والغرب ، ونقلت الى لغات أوربية عديدة ، حيث حازت إحداها إعجابا زائدا .

وكانت خوارزم أيضا موطن يوسف السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ ﻫ ، وهو مؤلف كتاب الصرف وقواعد تركيب الجمل والبلاغة ، وقد لاقى هذا الكتاب نجاحا كبيرا واتخذه كثير من العلماء المتأخرين قاعدة لأعمالهم ومرجعا لأبحاثهم .

وأما فى بلاد الشام فقد اشتهر من علمائها فى اللغة فى هذا العصر محمد بن مالك المتوفى سنة ٦٧٢ ﻫ ، وهو صاحب الألفية الشعرية المشهورة ، وقد وضع فيها كل قواعد النحو والصرف فى أشعار سهلة الحفظ ، وله رسائل لغوية أخرى عديدة لم يكن لها نصيب كبير فى الانتشار .

وفى جنوب بلاد العرب نشأ كثير من علماء اللغة العربية ، إلا أن أبحاثهم كانت تتجه على الأخص حول نقط وطنية محلية ، للذود عن الشعوب القديمة التى عرفت فى الماضى بحضارة عالية ، وأشهر علمائهم محمد الهمدانى المتوفى بصنعاء عام ٣٣٤ ﻫ . (وقد جاء ذكره فى الحديث عن تاريخ العلوم الجغرافية فى الأدب العربى) (١) ، والعالم اللغوى الكبير نشوان بن سعيد الحميرى المتوفى سنة ٥٧٣ ﻫ ، وقد وضع معجما ضخما فى تفسير الألفاظ العربية ، وكتب قصيدة شعرية عصماء فى التمدح بحضارة الحميريين ، وعلق عليها بتفسير طويل .

وأما علماء اللغة العربية من المصريين ، فإن أشهرهم فى هذا العصر هو عثمان بن الحاجب المتوفى بالاسكندرية عام ٦٤٦ ﻫ ، وانتشرت كتبه فى علوم الصرف وتركيب الجمل انتشارا كبيرا حتى عمت المدارس فى جميع الممالك الاسلامية .

وفى شمال أفريقية اشتهر حسن بن رشيق ، وهو ابن أحد الموالى الاغريق وكان يعيش بالقيروان فى بلاط الأمير معز بن باديس ، وفر هاربا الى صقلية عند ما اشتبك

(١) راجع المقال المنشور فى شهر شعبان سنة ١٣٥٣ فى الجزء الثامن من المجلد الخامس من هذه المجلة

سيده فى حرب مع الخليفة الفاطمى بمصر ، ومات بها سنة ٤٦٣ هـ وله كتاب فى نقد الشعر يرجع اليه الفضل فى كشف جمال العبارة عند الشعراء الحديثين ، كما أنه ساعد على القضاء على الفكرة القديمة السائدة بأفضلية الشعراء الجاهليين على الشعراء المحدثين .

وأما فى الأندلس فإن العلوم اللغوية كانت زاهية فى هذا العصر بقدر زهاء الشعر ، وأهم ما اشتغل به علماء هذه البلاد دراسة الشعر القديم ، فبز فى هذه الناحية الأدبية كلا من أبى الحجاج يوسف العلم السنتمارى المتوفى بأشبيلية عام ٤٧٦ هـ ، وأبو بكر البطليوسى المتوفى سنة ٥٢١ هـ . وأما ابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، فإنه اهتم على الأخص بجمع الألفاظ العربية وتفسيرها ، فوضع لذلك معجما هاما لم يبق منه للآن سوى جزء يسير ، وقد أخذ منه كثيرا من المعلومات ابن منظور فى موسوعته المعروفة التى وضعها فى القرن الثامن الهجرى ، وجمع فيها كل أعمال العلماء اللغويين الماضين ؟

الامثال الحكيمة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعلى جنبى الصراط أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخية ، وعلى رأس الصراط داع يقول : ادخلوا الصراط ولا تعوجوا . فالصراط الاسلام ، والستور حدود الله ، والابواب محارم الله ، والداعى القرآن.

وقال صلى الله عليه وسلم حين ذكر الغلو فى العبادة : إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى.

يعنى أن المغذ فى السير إذا أفرط فى الغذ عطبت راحلته من قبل أن يبلغ حاجته ، أو يقضى سفره ، فشبه بذلك من أفرط فى العبادة حتى يبقى حسيرا .

وذكر الربا فى آخر الزمان ، وافتتان الناس به فقال : من لم يأكله أصابه غباره .

أراد بذلك أن المصالح تتشابك حتى لا يسلم إنسان من أن يصيبه الربا ببعض آثاره كما هو الحال فى هذا الزمان .

فلسفة الاخلاق

أثر ذلك فى المجتمع الانسانى

تحدثنا الى القارئ عما يجب أن يكون عليه الصبي فى حداثة سنه ، وأنه فى نشأته الأولى ودور طفولته ينبغى أن يؤخذ بالتدريب على الفضائل حتى يسمو الى مستوى رفيع من الرشاد . ونقصد الآن أن نوفى هذا البحث بما يتسع له المقام :

من المشاهد أن الصبي كثيرا ما يصدر عنه القبيح من الأفعال ، فقد يكون كذوبا مخترعا الأقاصيص لما لم يسمعه ولم يره ، وقد يكون نماما ذا فضول فى القول وما الى ذلك . وعلى الجملة قد يكون أضر بنفسه من أى شىء آخر . هذا النوع من مجموعة الطفولة هو المعنى للأخلاقيين بالهداية والارشاد والتأديب والتدريب . من أجل ذلك كان ضروريا أن يؤخذ الطفل مادام طفلا بأصلح النظم الاجتماعية لتكوين نفسه وخلقه ، وأمكنها فى تركيز الفضيلة .

ولا بأس أن يذهب ملقن الطفل مذهبا جديدا فى تلقينه وتدريبه على تفهم المبادئ الأخلاقية دون أن يتقحم به الملقن سبيلا وعرة يضل فى منعرجاتها ، فتصاغ له الحكم والمواعظ الحسنة فى قالب طريف مشوق يجذب الطفل اليها ويرغبه فيها . فإذا بلغ به الملقن منزلة من الخلق حميدة فليس عليه بأس أن يوجه اليه من الثناء ما يشجعه على المثابرة على المنهج الحسن ، فيقال له مثلا : أحسنت نحو ذلك . فإن حاد الطفل عما وجهه اليه الملقن من الفضائل فلا يبالغ فى تأديبه ، بل من الحصافة أن ينبهه الى خطئه ، ويوجه اليه النقد برفق حتى يفىء الى رشده ويتبين أنه كان فيما سلك على غير هدى . فإن عاد ، قرعه ولكن فى غير علانية . ثم ما يزال به يتعهده رويدا رويدا حتى يرده الى مصدر من الخير منيع لا يستباح فيه حمى الأخلاق ، ولا تطغى فيه عوامل الشر .

ومما يجب أن ينبه اليه الطفل نظام التغذية وآداب المطاعم ، فيبين له ملقنه أن الأطعمة إنما تراد للصحة لا للاستمراء والتمتع ، وأن الأطعمة إنما أعدت لتقويم

الأبدان . فإذا عرف الصبي ذلك ، هان عليه أمر الطعام وأدرك أنه لا يراد إلا ليحفظ مادة الوجود ، فيحقر قدر الأطعمة الذى يستعظمه أهل الشره ويطلبون منه المزيد كلما لاحت لهم الفرصة ، فلا يرغب فى الألوان الكثيرة مبالغة فى حسن القصد ، لأن متابعة الألوان الكثيرة تهيج فى نفسه شهوات مختلفة بقدرها ، وذلك يؤديه الى البطنة التى هى شر من المسغبة .

وينبه الطفل الى أنه إذا جلس مع غيره لا يسبقه الى الطعام ، ولا يديم النظر الى ألوانه ولا يحدق اليه شديدا ، ويقتصر على ما يليه دون أن يسرع فى المضغ ، ولا يعظم اللقمة ، ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها ، ولا يدخل عليها مثلها حتى لا يتعذر عليه ازدرادها . ولا يلطخ ثوبه ولا يده ، ولا يلحظ من يؤاكله أو يسارقه النظرة بعد النظرة ، ولا يتبع بنظره مواقع يده من الطعام . ويعوّد الصبي على أن يؤثر غيره بما يليه إن كان أفضل ما عنده ، لأن فى ذلك قضاء على الأثرة وشهوة البطن المذلة . ثم يعوّد أكل ما خشن من الطعام حتى لا يضطرب نظامه حين يفقد الأدم وحين لا يجد الى خفض العيش سبيلا .

وغنى عن البيان أن الاستمساك بآداب المطاعم من مَعاون الكمال وأنبل الخصال ، وأهدى السبل الى حياة صحيحة راقية نافعة للفرد والمجتمع .

فخليق بالآباء والمربين أن يتعهدوا أولادهم فى هذه الناحية التى تتنازع فيها العاطفة والواجب ، وكثيرا ما تتلاشى فيها المصلحة أمام عاطفة الأمومة الجاهلة ، وتتلاشى شجاعة الرجل أمام عطف الأمومة ورغبة الولد البهيمية .

وخليق بأولئك أن ينشئوا أولادهم على الآداب الروحية كما نشئوهم على الآداب المادية ، فذلك هو الأجدر بالعقلاء والأليق برحمة الآباء .

وسنضع إن شاء الله بين يدى القارئ نماذج صالحة من آداب عامة متفرقة فى الأعداد المقبلة .

عباس طه

الاسطورة الداروينية(١)

كان لمذهب دارون أول ظهوره روعة انخلعت لها قلوب وارتاحت لها أخرى ، وقوبل من جمهور العلماء بعاصفة هوجاء من الردود ، ولكنه ما عتم أن أثر فى العقول تأثير السحر، فكلف الناس به كلفا عظيما، لأنه يتصدى لتفسير خلق الأنواع الحية بعلل ميكانيكية محضة . وقد أسس ذلك التفسير على مقدمات بدهية ، فأخذ الناس فى تطبيقها حتى على الشئون الأدبية والاشتراعية ، ووقر فى عقول الكافة أن مسألة خلق الأنواع قد حلت حلا نهائيا . ولكن لم يهل القرن العشرون حتى اكتشفت أمور طبيعية أثبتت أن مذهب دارون كسائر المذاهب التى تقدمته لا يفسر وجود الأنواع الحية . وقد نقلنا بعض تلك المكتشفات فى المجلد الخامس من هذه المجلة . واليوم ننشر بحثا طريفا كتبه الدكتور فان هوفنسفلت عن الألمانية فى تفنيد مذهب داروين ، قال :

كان بعض فلاسفة العصور الأولى يعتقدون أن أنواعا من النبات والحيوان ليست من صنع الله ، فكان أرسطو يرى أن الضفادع تنشأ شتاء من وحل المقابر ، وجاء فى « القاموس العام للعقاقير البسيطة » طبعة سنة ١٧٥٩ من تأليف ليارى أن الناس كانوا فى العصور القديمة يعتقدون أن النمل ينشأ من جثث الثيران والسباع ، ويقول المؤلف : إنه تحقق بواسطة تجارب قام بها من فساد هذا الاعتقاد ، وأن لا وجود له إلا فى خيال الشعراء .

وأول من عالج هذا الموضوع من الكتاب الحديثين « بوفون » ولكنه كثيرا

---

(١) مترجمة من الالمانية نقلا عن كتاب العالم الجليل الاستاذ « س . فان هوفنسفلت » فى نقد وتفنيد نظرية داروين .

ما كان يغير ويبدل من آرائه ، ولم يقطع برأى فى العلة الأولى لنشأة الأجناس ، ولذا لم يبرز اسمه فى تاريخ مذهب التطور .

وأما « لامارك » فإنه يعد بحق أول من نشر أفكاره عن نظرية التطور فى رسائله فى فلسفة علم الحيوان ، وفى مقدمته فى التاريخ الطبيعى للحيوانات اللافقرية ، وكان ذلك سببا فى ثورة فكرية كبيرة ، فهو أول من جرؤ على القول بأن جميع الأجناس ومنها الجنس البشرى مشتقة من أجناس أخرى سابقة لها ، زاعما أن الأسباب التى يرجع اليها التغيرات بين الأجناس المختلفة هى : إما تأثير مقتضيات الحياة ، وإما التزاوج بين الأجناس الموجودة ، ويذهب فى دعواه الى أن بعض أسباب التغيرات المذكورة مرجعها استعمال أو إهمال بعض الأعضاء ، وكذلك بسبب قوة العادة . والى هذه القوة التى تتمكن فى المخلوقات بسبب العادة يريد لامارك أن يعزو أمورا لا يسوغها العقل السليم ، يراها فى أمثلة كثيرة ، منها طول رقبة الظرافة التى تمكنها من الحصول على غذائها من أطراف الأشجار ، وبنى على معتقداته هذه قوانين للنشوء والتطور بعيدة المدى ، واعتقد بمذهب التطور الذاتى (Generatio spontanea) .

وعلى ذلك تكون كل خصائص الحيوانات الجديدة إنما نشأت للضرورة التى تقتضيها ، وكل تطور إنما ينشأ من تكون خصائص أكثر ملاءمة لمقتضيات الحياة .

وهذا كله ذهاب مع الافتراضات الى حد بعيد ، ولا يحتمل تحققها جميعها .

وقع لامارك فى نفس الخطأ الذى وقع فيه داروين من بعده ، وذلك أنه حسب أن وجود أنواع متوسطة دليل على قيام التسلسل بين الأنواع المختلفة .

لم يظهر كتاب لامارك فى فلسفة علم الحيوان إلا فى عام ١٨٠١ ، وكان قد سبقه « جوته » بتدوين آرائه فى التطور فى سنة ١٧٩٤ — ١٧٩٥ ، ولكنها لم تظهر إلا عند نشر رسائله فى العلوم الطبيعية بعد هذا التاريخ بعشر سنوات .

وجاء من بعد لامارك من الكتاب وعلماء الطبيعة أمثال سانت هيلير وولف وفون بوخ ودوماليوس ودى هالوى وسبنسر وفان بير وغيرهم ممن كتبوا فى نظرية التطور، الى أن جاء داروين وألقى بأقوى قنبلة فى هذا الموضوع بنشر كتابه « نشأة الأجناس » فى سنة ١٨٥٩ فأحدث رجة عنيفة فى الأوساط العلمية، وذهب بنظرية التطور الى أبعد مدى.

أطلق داروين على كتابه اسم « نشأة الأجناس بواسطة الانتخاب الطبيعى أو بقاء الأصلح فى تنازع البقاء». فإن صحت هذه التسمية من الوجهة اللغوية فإن خطأها واضح لعدم مطابقتها للمدلول، لأنه كان يحق له أن يطلق على كتابه هذا الاسم لو أنه تمكن من إقامة دليل واحد على أن الانتخاب الطبيعى أوجد أجناسا جديدة، إلا أنه كما هو معلوم لنا لم يستطع أن يأتى بمثل واحد يؤيد هذا الزعم.

لا تتعدى مزاعم داروين مجرد الافتراض بأن أنواعا جديدة من النبات والحيوان تنشأ بواسطة الانتخاب الطبيعى، والافتراضات وحدها لا تكفى لأن تعطى كتابا جديدا قيمة علمية، ولا تخدع مثل هذه التسمية سوى البسطاء من الناس.

إن الانتخاب الطبيعى يحدث تغييرا فى النوع، ولكن هذا التغيير بين أنواع النبات أو الحيوان لا يقوى على إحداث نوع جديد.

ويلاحظ فى اسم الكتاب أن النصف الأخير منه لا يتفق فى المعنى مع النصف الأول، إذ ما من أحد يشك اليوم فى حقيقة بقاء المخلوقات القوية للياقتها فى معترك الحياة وتنازع البقاء بالنسبة الى المخلوقات التى هى أقل منها صلاحية وتلاؤما لمقتضيات الحياة وضرورة المعيشة؛ فلو أن المؤلف أراد الاحتفاظ بالنصف الأول من اسم كتابه رغم الشكوك القوية التى تعترض تفسيره لكان الأولى به أن يعطف النصف الأول بالأخير بأن كان يطلق عليه مثلا « نشأة الأجناس بواسطة الانتخاب الطبيعى وبقاء الأنسب فى تنازع البقاء ». فإن لفظة (أو) لا محل لإطلاقها هنا محل العطف بالواو لعدم وجود تساو بالمرة.

تصدى للرد على هذه المزاعم الكاذبة حين ظهورها كثير من الكتاب والعلماء ورجال الدين من معاصرى داروين، أخص منهم بالذكر الدكتور كويبر أستاذ علم فلسفة الأديان وعميد الجامعة الحرة بهولندة، وهو الذى ناقش آراء داروين ومذاهبه فى نظرية الانتخاب الطبيعى فى كتابه المسمى « التطور » حيث قال :

« لم يكن داروين أول من فكر فى حل مشكلة التطور، بل قد سبقه من العلماء لامارك وجوته، ولو أن داروين كان أسبقهم الى الاستناد على التجربة Emperialism لم يقتصر على مجرد التأمل والنظر Speculation ذاكرا أمثلة لذلك فى عالمى النبات والحيوان بقصد الاهتداء بها للخوض فى ظلمات هذا الموضوع الخفى، وكان يتجنب بادىء ذى بدء أن يجعل الانسان ضمن دائرة أبحاثه، مظهرا دائما احترامه للأديان. وقد بدأ أول تفكيره فى التطور عندما لاحظ التغيرات التى تنشأ فى النبات أو الحيوان بسبب التلاقح الصناعى، خصوصا فى الحمام.

«ولكن هذا التغيير لم يتعد كونه تغييرا أو تحسينا فى الظواهر من حيث اللون أو الشكل الخارجى، دون أن يكون له أى مساس فى جوهر النوع أو الجنس أو الرتبة . . . وحتى إذا سلمنا بحدوث هذا التغير بواسطة التلقيح الصناعى فإننا لا زلنا نقصر عن إدراك القوة الخفية التى تقوم به فى الطبيعة الحرة الطليقة بدون حاجة الى مساعدة يد الانسان !

«فإذا أراد الدارونيون تفسير هذه الظاهرة بأنها ترجع الى الأصل الحيوى الذى يتجه من نفسه دائما أبدا نحو الكمال، فانهم يرجعون بذلك الى نظرية الأنسبية وتنهار عليهم دعواهم وافتراضاتهم، أو أنهم يعترفون بأن هناك قوة خفية تسيطر على نظام هذا التغيير، وذلك ما لا يريدون الأخذ به. وهنا فقط ظهر داروين على إخوانه باكتشافه المزعوم بأنه تمكن من استنباط أنواع مناسبة من أنواع لا طاقة لها على الاستمرار فى الوجود لعدم ملاءمتها.

« استند داروين فى أقواله الى ما افترضه « روبرت مالتوس » من أن مضاعفات أسباب المعيشة لا تتناسب مع تكاثر النسل ، ولذلك فإن تنازع البقاء ينتهى حتما بانقراض الأضعف وبقاء الأقوى بعد تزويده بما يجعله أكثر صلاحية للحياة وأهلية بها بواسطة توارث العناصر القوية وملاءمتها للزمان والمكان الى غير ذلك . وذهب داروين بقانون تنازع البقاء الى حد بعيد جعله يعتقد أنه وحده هو الدافع الوحيد الذى يبنى عليه نظام الوجود .

« صادف هذا البيان الذى وضعه داروين فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر إعجابا بالغا من جماهير العامة الذين ملوا تعسف رجال الدين فى السنين السابقة ، وتمنتهم فى تفسير بعض الحقائق العلمية ، واسترسالهم فى الغموض الكنسى ، فأخذتهم سلامة الحجة فى قانون تنازع البقاء ، وبهرهم جمال تنسيقه كما وضعه داروين ، واعتقدوا ضمنا بصحة ما أدخله عليه من مزاعم واهية عن نشأة الأجناس .

«ومن المعلوم لنا أن داروين نفسه جاء أخيرا واقتنع بفساد مذهبه فى نشأة الأجناس بواسطة الانتخاب الطبيعى حيث ذكر فى الفصل العاشر من كتابه أن نظرية نشأة الأجناس بواسطة الانتخاب الطبيعى إنما بنيت على مجرد الظن بأن كل نوع جديد وأخيرا كل جنس جديد إنما ينشأ ويبقى بسبب ماله من المزايا بالنسبة الى مزاحميه ، وينتج عن ذلك تبعا انقراض الأنواع والأجناس القليلة المزايا » .

ومن ذلك يرى أن العالم فى القرن التاسع عشر اعتقد بصحة مذهب التطور ونشأة الأجناس لمجرد أن داروين بنى أسطورة الانتخاب الطبيعى على مجرد الظن . والظاهر أن الظن والثقة الحسنة كانا يلعبان دورا هاما فى علوم القرن الماضى .

أسرار التشريع الاسلامى وفلسفته

نظام الوقف فى الاسلام أيضا

أسلفنا فى بحوثنا السابقة ما يجب توافره فى الواقف من شروط وشطرا من الكلام عن محترزات تلك الشروط. والآن نحاول أن نعرض لما يجب أن يتوافر فى الموقوف من شروط، نفيا لكل جهالة ولبس، وتعفية على آثار من الخلط والعماية وقع فيها كثير من الواقفين فى كتب وقفهم.

فيشترط فى الموقوف أربعة شروط على ما ذهب اليه صاحب الفتح.

أولها — أن يكون مالا متقوما عقارا كان أو منقولا، وإن اشترط الفقهاء فى وقف المنقول استقلالا أن يكون متعارفا مميزا. والعقار يشمل الأرض القائمة عليها أبنية، والخالية منها.

ثانيها — أن يكون الموقوف معلوما للواقف وقت وقفه، فلو وقف شيئا من أرضه دون أن يميزه وقت الوقف، أو قال: وقفت هذه الأرض أو تلك الأرض على المساكين لا يقع الوقف صحيحا لجهالة ما وقف. فلو تبيّن ما وقفه مجهولا بعد إنشاء صيغة الوقف فإن كانت العبارة اللاحقة التى يتأدى بها المعنى المراد صالحة لإنشاء وقف بها، رافعة للبس، محددة لمقاصد الواقف، كأن قال: إن العقار الذى جعلته موقوفا من أرضى بجهة كذا هو ثلثها، صح الوقف بالعبارة الأخيرة. وإن كانت غير صالحة لذلك لم يقع صحيحا، إذ لابد فى الوقف من بيان المعنى المراد، ليتمكن الموقوف عليهم من الانتفاع بغلته، وليستمر على وجه الزمن يؤدى الى الانسانية نوعا من أنواع البر بها والإبقاء عليها، من أجل ذلك قالوا: لو وقف الواقف أرضا فيها أشجار ثم استثناها من وقفه، لا يصح ذلك، لأنه استثنى الأشجار من مواضعها، وهى مجهولة، فيكون

الداخل فى الوقف مجهولا . ولو قال : وقفت جميع حصتى من هذه الأرض من غير أن يبين سهامه ، صح استحسانا ، لأنها معلومة فى الواقع وإن كان قد أطلق فى صيغة وقفه ، فلو زاد بعد ذلك عبارة وهى الثلث ، فتبين أنها النصف ، وقع النصف كله وقفا ، لأن قوله : وهى الثلث لمخالفته للواقع صار لغوا ، فكأن الواقف لم ينطق به .

ولا يشترط لوقف العقار ذكر معالمه وحدوده ، ولا كونه مشهورا ، وإن كان صاحب الفتح قد انتحى فى ذلك ناحية أخرى . فلو قال الواقف : وقفت أرضى الكائنة بجهة كذا ، وقع وقفه صحيحا ، لأنه وإن لم يبين الحدود والمعالم لأرضه الموقوفة ، فهى معلومة حين يتبين صدقه فى أن له أرضا بجهة كذا .

ثالثها — أن يكون المراد وقفه عقارا كان أم منقولا ، مملوكا للواقف ملكا خالصا لا شية فيه حتى ولو كانت الملكية بسبب فاسد ، فقد صحح علماء الفروع وقف ما اشتراه الواقف شراء فاسدا بعد قبضه ، وضربوا لتلك الصورة مثلا فيما لو اشترى دارا بثمن معين على أن يدفع المشترى الثمن متى وجد عنده ثم وقفه بعد قبض المبيع ، فإن هذا الوقف يكون صحيحا ضرورة أن المبيع بيعا فاسدا يملك بمجرد القبض . وفى هذه الحالة العارضة يجب على المشترى دفع قيمة المبيع للبائع لا دفع الثمن بعينه . ومثل ذلك ما إذا وقف الموهوب له هبة فاسدة بعد قبض الموهوب ، فإن الهبة تفيد الملك بالقبض كما يفيدها البيع ، فلو كان الوقف قبل القبض فيهما ، لم يقع صحيحا لانتفاء ثبوت الملكية فيهما قبله ، وينبنى على ذلك أن البيع لو وقع صحيحا فوقف المشترى العقار المبيع مثلا قبل قبضه وقع الوقف صحيحا بالأولى ، وإن كان قبل دفع الثمن فى حالة ما إذا لم يدفع الثمن واتضح أنه لا يوجد لديه مال آخر يمكن استيفاء الثمن منه كان للبائع فى هذه الحالة طلب نقض إشهاد الوقف واستيفاء الثمن من المبيع الذى فى يده فإن وفى المبيع ثمنه فيها وإلا ضاع عليه ما زاد عن الثمن وإن كان لديه ما يفى بالثمن من غير المبيع كأن يكون له عقار آخر لم يجر عليه حكم الوقف فليس للبائع حق طلب

نقض الوقف البتة ، وفى هذه الحالة يرجع عليه بالثمن فى ماله الآخر إذا شاء ، وتكون هذه الحالة مشابهة كل المشابهة لوقف المرهون ، فإن للبائع فى حالة ما إذا كان المبيع مرهونا حق حبس المبيع فى يده وتحت حيازته حتى يستوفى ثمنه الذى حل أجله .

وإذاً فيكون من تفاريع هذا الشرط عدم صحة الوقف فى حالة ما إذا وقف واقف مغصوبا لم يصل الى يده من طريق عقد من العقود الصحيحة شرعا ثم اشتراه من صاحبه أو صالحه على مقابله ، وعدم صحته أيضا فى حالة ما إذا وقف الموصى له عقارا موصى به قبل موت الموصى وقبل نفاذ وصيته ، ضرورة أن الوصية لا تنفذ إلا بعد موت الموصى ، وفى حالة ما إذا وقف الموهوب له الموهوب قبل قبضه ودخوله تحت حيازته ، وما إذا وقف المشترى المبيع وكان الخيار فى هذه الصفقة للبائع ، فلو كان الخيار للمشترى فوقف المبيع أو كان الخيار للبائع فوقفه فالوقف صحيح فى الحالتين ويكون إسقاطا للخيار فى الحالة الأولى وإبطالا للبيع فى الحالة الثانية .

ويكون من تفاريع هذا الشرط نقض الموقوف حتى ولو شيد مسجدا أو مدرسة أو معهدا للعلم إذا استحق بالملك أو أخذ بشفعة وقد تبين أنه لم يكن مملوكا للواقف وقت وقفه ، فلو ضمن الواقف لمستحق العين قيمتها صح وقفه لاستناد الملكية الى زمن الاستيلاء والحيازة .

فإذا بطل الوقف فى هذه الصورة فليس الواقف ملزما بالثمن مقدارا الذى يرجع به على بائعه أو يأخذه من الشفيع عقارا ليجعله وقفا فى محل الأول كما ذهب اليه صاحب الاسعاف وحققه الشيخ الزيلعى خلافا لما زعمه صاحب الحميدية .

عباس طه
المحامى الشرعى

« يتبع »

الأثرة والإيثار (١)

وهل هما ضدان ؟

هناك نوع من الأثرة لا يكون من الشطط أن يحث الناس على العمل به هو الإيثار .

ولما كان هذا اللفظ « الايثار » الغريب لحد ما يستعمل كثيرا لإفادة معنى البر والإحسان فقد قال أحد رعاة البر وتستانت فى معرض التهكم القاسى على أصحاب مذهب العقليات : « إن الإيثار هو الأثرة على أكمل معانيها » ، ولم يكن ذلك الراعى يظن أنه يقول حقا أو يرى الى أى حد يبلغ قوله من الصدق وانطباق ذلك التعريف على البر نفسه ، إذ أننا فى الواقع لا نستطيع أن نتجرد من نفوسنا ، حيث إن كل شيء يرجع فى النهاية الى إنياتنا . فهم المرء الأكبر هو نفسه ، ويجد فى اهتمامه هذا لذة حقيقية تؤدى به الى التضحية .

وهناك القول الذائع : « إن العطاء أشهى الى النفس من الأخذ » وما أكثر ما يدل هذا القول على مبلغ فهم العامة لفكرة اللذة فى فعل الخير . !

ولقد قال أحد الفلاسفة : « إنه لجميل جدا أن يكون المرء أمينا » حقا إنه لجميل ، ومن أجل هذا لايزال يوجد فى جميع الطبقات أناس أمناء ولاسيما فى طبقة الشعب العاملة المحبة .

ولم يخل مقام من تمجيد فكرة الاحسان حتى مقام المزح إذ يعزى الى بجيل قوله : « إن الإحسان لذة يجب العمل على التخلص منها » لا ! لا يجوز التخلص منها ، بل يجب التمتع بها ، ويلزمنا أن نشرب كأسها حتى آخرها ، تلك الكأس التى لا ثمالة لها .

ومن الخلط الغريب أن يعتبر معنى الأثرة مناقضا لمعنى الإيثار . لقد سلق أحد كبار المحسنين الأثرة بلسان حاد ، ولكنه بالغ كثيرا بأن عزاها الى أصلح الأعمال

(١) ملخص عن الفرنسية من كتاب تربية النفس بالنفس للدكتور بول دوبوا الاستاذ بجامعة برن بسويسرا .

وخيرها ، حقا إنه من السهل أن نصادف شدة اهتمام المرء بنفسه والعناية بملذاتها في جميع بقاع الأرض فمن الخطأ أن نرى في هذا حبا للذات من نوع زائف بغيض . إن حب النفس بالمعنى المبتذل هو أن لا يحب المرء سوى نفسه ، أما الايثار فيدفعنا الى التفكير في غيرنا ، في جميع بني الانسان ونحن من بينهم ، فنحن لا نستطيع أن نسعى لخير جميع الناس دون أن نهيئ أسباب السعادة لأنفسنا ، نعم قد يخالط هذا المسعى بعض الآلام ، ولكن هذه الآلام تكون هناء وراحة لأنياتنا .

ويصادفنا في حياتنا اليومية كثير من الظروف نستطيع أن نستسلم فيها بدون أدنى تردد للأثرة الى أبعد حد ، وذلك عند ما يكون العمل الذي نقوم به مقصورا علينا ولا يخص سوانا وليس له أي شأن ولا أي أثر في هناءة الغير هناءة مادية كانت أم معنوية . ولكننا عند ما نتكلم عن الأثرة المسموحة غير المحظورة يضطرنا الأمر أن نتخلى عن بعض ملذاتنا لأنها تعوق حرية بني جنسنا . ففي الأسرة يراعي كل فرد منها جانب الآخر ويعمل له حسابه ، ومن هنا تتسع دائرة مشاغلنا وتشمل عدداً ما ممن نعطف عليهم ونحبهم ، ففي هذا الشعور إيثار ، لكنه في الغالب يكون إيثارا متبادلا بين اثنين . أو بعبارة أخرى هي أثرة الأسرة التي لا تكاد تمتاز عن حب النفس . فالدائرة مع ذلك مازالت صغيرة ، وإننا إذا سرنا على تهذيب أفكارنا ومداركنا نصل الى الاهتمام بشئون أقاربنا الأبعدين ثم بأصدقائنا ثم بطبقتنا الاجتماعية ثم بالمدينة التي نسكنها ثم ببلادنا جميعا ، وبواسطة هذه الدوائر ذات المركز الواحد تمتد فكرة الايثار شيئا فشيئا فينشأ عنها روح التكافل بين جميع بني الانسان ، فهذه الفكرة تبقى محسوسة ملموسة بالرغم عن امتدادها ، وتنطبق على العالم المادي الذي نعرفه ونلمسه ، وفي النهاية ترتقي الى عالم التجريد ، وتنتهي الى فكرة الخير والى فكرة الشر .

فالخير هو ما يفعله كل الناس فيؤدي الى هناءة الجميع ، والشر هو ما يعمله الكل فيؤدي الى هدم تلك السعادة .

ويخيل الىّ أن لهذا التعريف قيمته مهما كانت الفكرة التى يكوّنها المرء لمعنى هذه السعادة، سواء أبحثنا عنها فى عالمنا الدنيوى أم فى الحياة الأخرى .

فعواطفنا مهما كانت طبيعية وعادلة ليست دائما نبيلة كما يخيل إلينا، والحب الذى يتغنى به الشعراء هو أبعد ما يكون عن المثل الأعلى، ولقد صدق أحد شعراء الألمان إذ قال : « إن الحب إن هو إلا شعر الأثرة » . وإنه لبعيد عن ذهنى الطعن فى هذا الشعور، ولكن لا ينبغى أن يخطئ المرء فى أصله الحيوانى ولا فى صفة القبح التى تنم عنها تدللاته، ولا يجب أن نجعل منه فضيلة، فالحب بعيد عن الفضيلة حتى إننا لنراه فى حالات الإفراط، وهى حالات مرضية، يؤدى الى الإجرام وقتل المحبوب .

والحب الأموى هو أخلص حب تنم عنه التضحية ونسيان النفس نسيانا تاما، ولا يقلل من أهميته أن يكون غريزيا وآليا، وأن يكون ناشئا عن شعور مشترك بين الحيوانات والانسان، وكذلك نراه عند أناس مجردين من كل شعور الإيثار، ولكن هذا الحب الأموى الآخذ بالقلوب لم يكف لتحسين خلق الانسان، وكذلك قد بقى الحب البنوى الذى يعادله دون أن ينشأ عنه فكرة التكافل التى تستطيع وحدها أن تنشر السعادة بين الناس .

ومن العجيب أن نرى كثيرا من الناس يخطئون فى إدراك كنه العواطف التى يشعرون بها نحو غيرهم ويجهلون تماما الأثرة التى هى منشأ تلك العواطف .

ومن الناس من يفاخرون بالدموع التى يذرفونها، وبالبكاء والنحيب عند وفاة عزيز لديهم، إنهم يتباهون بأحزانهم، أنا لا أقول إنه يجب أن تبقى عيونهم جامدة، ولكن لا بد لهم من أن يعترفوا بأن هذا الألم منشؤه الأثرة البحتة، إذ أنه ليس على الأموات نشفق ونتوجع، ولكن على أنفسنا، على الوحشة التى نقع فيها . إنه من الطبيعى ومن المعقول أن نتأوه عند ما نشعر بألم، ولكن ليس لنا أن نجعل من هذا الشعور فضيلة، ذلك الشعور الذى ليس فيه أى جلد ولا شجاعة ولا إيثار ولا إحسان .

والأمر كذلك فى الشفقة ، إذ لا تكون صادقة إلا إذا كانت نافعة ، بأن تسمو بنا وتوحى الينا الوسائل السريعة لإغاثة الملهوفين ، أما الشفقة التى تخور معها عزائمنا وتغرقنا فى بحر عميق من الاضطراب الباطل وتصدنا عن العمل ، فهى ليست شفقة بل هى ضعف وخور ، إنها هى الصغار المحزن الذى كثيرا ما نشاهده عند ضعاف الأعصاب الذين لا يكادون يقرءون قصة حادثة حتى يأخذهم الذعر بشكل صبيانى ، ومن الناس من يجدون فى هذه العاطفة فخارا لهم كما لو كانت تنم عن حبهم للغير .

وإننا إذا سبرنا غور عواطف الشفقة التى نظهرها بمسبار العقل والتفكير وجدنا الأثرة الشديدة فى وسط آلامنا التى تظهر لنا بمظهر الإيثار ، وليس معنى هذا أننا نستطيع دائما مقاومة تلك الانزعاجات مهما كانت فى حد ذاتها مبتذلة ، إنه من حقنا أن نبكى من نفقدهم من أعزائنا وأن نتألم لألم الغير ، ولا نستطيع دائما أن نمنع الرعب من أن يستحوذ على نفوسنا ، ولكن لابد لنا من الاعتراف بأن ليس فى هذا الانزعاج أى تخفيف للألم ، وأنه ما دامت انقضت ساعة المفاجأة فلا بد لنا من الاهتمام بالغرض الوحيد الواجب الوصول اليه ألا وهو تخفيف آلام المصابين بدلا عن أن نعرض عليهم منظر انزعاجنا واضطرابنا .

ويقع نفس هذا الخلط فى فهم معنى الواجب ، ففى أغلب الأحيان نؤدى هذا الواجب مع كثير من الملل والغضاضة كالطفل الذى يؤدى واجباته المدرسية كرها

لكن إذا أدرك المرء المعنى الصحيح للواجب الأسمى ، أداه عن طيب خاطر ، فهو يبعث فى نفسنا السرور والغبطة ، وهذه اللذة هى التى تدفعنا الى تأديته بالرغم عما قد ينالنا فى سبيل ذلك من التضحيات .

وتأدية الواجب مهما كانت مؤلمة ، والتضحية مهما كانت قاسية فى سبيل القيام به ، فإنه لا بد من تأديته طيبة به أنفسنا ، فبمجرد الشعور بالقيام به يزول كل ألم وينقشع ، كالطفل الذى نأخذ منه ألعوبة كان يفرح بها لنعطيه أخرى تبعث فى نفسه

فرحا أعظم وسرورا أدوم ، ولا شـك أننا نرى فى مدى حياة المرء الذى راض نفسه وهيأها للقيام دائما بالواجب ، نرى أن بعض التردد يحصل ويستوقف المرء عن تأدية الواجب ويوقظ فى نفسه ما قد يصادفه من آلام التضحية ، وهنا يقوم فى النفس عراك بين الإقـدام على أداء الواجب وبين الإحجام عن تأديتـه ، ولـكن متى وقع الخيار وانتصر الإقدام على الإحجام ، فلابد للنفس من أن تهدأ وتهنأ من تأدية الواجب .

ففكرة الواجب ليست محققـة تمـاما ولا مفهومة فهما صحيحا ما دامت ممزوجة بفكرة السخرة ، فنحن لا نستطيع أن نلذ بتضحية نقوم بها لأنفسنا ما دمنا نشعر أننا لم نؤدها عن طيب نفس .

وإنه من الغريب حقا أن تـكون فـكرة « الواجب السار » قليلة الانتشار ، وأن معظم الناس يؤدون الواجب مع شىء عظيم من الملل الظاهر وبدرجـة من الغضاضة تجعل الذى تحمل له التضحية أن يتنازل عن هذا المظهر من العطف والإشفاق .

ومن هنا نرى قصر نظر المرء الذى لا يتعمق فى تفكيره ويدفعه الى حدود المثـل الأعلى ، فهو يقف فى اعتباراته عنـد حد ذاته ، وأحيانا يمتد حبه فقط الى الأقربين منه ، ولا يعرف أن يسمو بعقله المفكر الذى ينشأ عنه الشعور والرغبة الشديدة الى ذروة الإيثار الذى يشمل جميع المخلوقات الحية بحب عام .

فالشعور الدائم بالسعادة والهناءة لا يكون مبعثه الإيثار إلا إذا كان المرء يسعى لتحقيق أمانيه فى حبه الأكيد لغيره حتى تشمل دائرة حبه جميع بنى الانسان ، وهو لايمكن أن يخرج عن هذه الدائرة إذ أنه بطبيعة الحال جزء منها ، وليس فى هذا أية أثرة .

فالإيثار المحبوب لا بد أن يكون ذا فائدة ، وهذا مايجعله مرغوبا فيه ، ولكن هذه الفائدة ليست خاصة بفرد على حدته أو بمجموعة صغيرة من ذوى الأثرة ، وإنما تشمل جميع الناس وتصبح فضيلة التكافل وتستحيل الى المبدأين المعقولين القائلين : « لا تعامل الناس بما لا تحب أن يعاملوك به » و« عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به » .

CHAPTER 48.

On passing the wet hands over the boots.

1. We are informed by Asbagh b. Al-Faraj Al-Misri, through Ibn Wahb, who had it from ᶜAmr, who was told it by Abu-n-Nadr, through Abu-Salamah b. ᶜAbdu-r-Rahmân, through ᶜAbdullâh b. ᶜUmar, through Saᶜd b. Abu Waqqâs, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) that:

The Prophet passed *his wet hands* over his boots. When ᶜAbdullâh b. ᶜUmar questioned his father about this, he replied: "Yes, it is true; for if Saᶜd relateth to thee any tradition about the Prophet (Allâh bless him and give him peace), do not question any other man about it."

Mûsa b. ᶜUqbah stated that he was informed by Abu-n-Nadr, who had it from Abu Salamah, who told him that Saᶜd related the tradition to him, and that ᶜUmar said words to that effect to ᶜAbdullâh.

2. We are informed by ᶜAmr b. Khâlid Al-Harrâni, who had it from Al-Laith, through Yahyâ b. Saᶜid b. Ibrâhîm, through Nâfiᶜ b. Jubair, through ᶜUrwah b. Al-Mughîrah, through his father Al-Mughîrah b. Shuᶜbah, from the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) that:

The Prophet once went out for a natural necessity, and Al-Mughîrah, followed him with a small skin of water. When the Prophet had finished relieving his necessity, he poured out water for him while he performed his wudûᵓ, passing his *wet hands* over his boots.

— ٤٨ —

بَابُ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ :

١ ـ حدثنا أصبغ بن الفرج المصرى عن ابن وهب قال حدثنى عمرو حدثنى أبو النضر عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمر عن سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم :

أَنَّهُ مَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ وَأَنَّ عَبْدَ الله بن عمر سَأَلَ عُمَرَ عَنْ ذَلِكَ فقال : « نَعَمْ إِذَا حَدَّثَكَ شَيْئاً سَعْدٌ عن النبى صلى الله عليه وسلم فَلَا تَسْأَلْ عَنْهُ غَيْرَهُ » .

وقال موسى بن عقبة أخبرنى أبو النضر أن أبا سلمة أخبره أن سعداً حَدَّثَهُ فقال عُمَرُ لعبدِ الله نَحْوَهُ .

٢ ـ حدثنا عمرو بن خالد الحرانى قال حدثنا الليث عن يحيى بن سعيد عن سعد ابن اراهيم عن نافع بن جبير عن عروة ابن المغيرة عن أبيه المغيرة بن شعبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أَنَّهُ خَرَجَ لِحَاجَتِهِ فَاتَّبَعَهُ الْمُغِيرَةُ بِإِدَاوَةٍ فِيهَا مَاءٌ فَصَبَّ عَلَيْهِ حِينَ فَرَغَ مِنْ حَاجَتِهِ فَتَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ .

stroked his head from back to front and from front to back. (1) Lastly he washed his feet.

'This is the way', said ʿAbdullâh, 'I have seen the Prophet (Allâh bless him and give him peace) perform his wuḍûʾ."

فَمَسَحَ رَأْسَهُ فَأَدْبَرَ بِهِ وَأَقْبَلَ ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ فَقَالَ :

« هَكَذَا رَأَيْتُ النبي صلى الله عليه وسلم يَتَوَضَّأُ » .

2. We are informed by Musaddad, who had it from Hammâd, through Thâbit, through Anas that :

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) once called for a vessel of water, and was brought a shallow bowl containing a little water into which he dipped his fingers.

"Immediately," added Anas, " I watched the water spurting out from between his fingers, and have estimated the number of those performing their wuḍûʾ at between seventy and eighty."

٢ ـ حدثنا مسدد قال حدثنا حماد عن ثابت عن أنس :

« أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم دَعَا بإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَأُتِيَ بِقَدَحٍ رَحْرَاحٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِيهِ ، قَالَ أَنَس فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى المَاءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، قَالَ أَنَس فَحَزَرْتُ مَنْ تَوَضَّأَ مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ الى الثَّمَانِينَ » .

CHAPTER 47.

On wuḍûʾ with a mudd (2) *of water*.

— ٤٧ —

بَابُ الوُضُوءِ بِالمُدِّ :

We are informed by Abu Nuʿaim, who had it from Misʿar, who received it from Ibn Jabr, who heard Anas say :

"The Prophet (Allâh bleas him and give him peace) used to perform his ghusl (3) with a sâʿ (4) up to five mudds *of water*, while he performed his wuḍûʾ with *a single* mudd."

حدثنا أبو نعيم قال حدثنا مسعر قال حدثني ابن جبر قال سمعت أنساً يقول :

« كانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَغْسِلُ ـ أَوْ كانَ يَغْتَسِلُ ـ بالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ وَيَتَوَضَّأُ بالمُدِّ » .

---

(1) Thus reversing the usual order, with the object of showing that either is permissible.

(2) المد is a measure of capacity equal to two rotls.

(3) يغسل and يغتسل in the text are given as alternatives, and merely express narrator's doubt as to the actual word used — either giving the required meaning of ritual bathing.

(4) الصاع is a measure of capacity equal to four mudds or eight rotls.

ings have not been loosed, so that I may give the Faithful my last exhortations.' He was then placed in a basin belonging to Hafsah the wife of the Prophet (Allâh bless him and give him peace), and we proceeded to pour water from the waterskins over him, until he began to make signs to us that we had done enough. He then went out to the Faithful."(1)

أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ ، وَأُجْلِسَ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عليه مِنْ تِلْكَ الْقِرَبِ حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ ».

CHAPTER 46.

On wudû' from a ewer. (2)

— ٤٦ —

بَابُ الْوُضُوءِ مِنَ التَّوْرِ :

1. We are informed by Khâlid b. Makhlad, who had it from Sulaimân, who received it from ʿAmr b. Yahyâ, through his father, who said :

" My paternal uncle used to be very assiduous in his wudû'. Once he said to ʿAbdullâh b. Zaid : 'Tell me how thou hast seen the Prophet (Allâh bless him and give him peace) perform his wudû'.' ʿAbdullâh called for a ewer of *water*, and pouring out some on his hands, he washed them three times. Then immersing his *right* hand in the ewer, he rinsed his mouth and cleansed his nostrils three times with one scoop. Again immersing his *right* hand, he took another scoop and washed his face three times. After that he washed his hands as far as the elbows twice severally. He next took some water in his hand and

١ ـ حدثنا خالد بن مخلد قال حدثنا سليمان قال حدثني عمرو بن يحيى عن أبيه قال:

« كَانَ عَمِّي يُكْثِرُ مِنَ الْوُضُوءِ ، قَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ : أَخْبِرْنِي كَيْفَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وسلم يَتَوَضَّأُ ، فَدَعَا بِتَوْرٍ مِنْ مَاءٍ فَكَفَأَ عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَهُمَا ثَلَاثَ مِرَارٍ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي التَّوْرِ فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ غَرْفَةٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاغْتَرَفَ بِهَا فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ مَاءً

(1) He went to the Mosque, led the prayers, and preached a sermon to the Faithful.
(2) Al-Bukhâri's object here is to show that the Prophet did not object to the use of copper or brass vessels, in spite of the prevailing prejudice against them, based perhaps on the danger from corrosion, or perhaps their resemblance to gold which is condemned as luxurious. (Al-ʿAini)

"Once when the Prophet (Allâh bless him and give him peace) came *to us*, we brought out to him water in a brass (1) vessel. He performed his wudû', washing his face three times and his hands twice severally, and then stroking his head *with his wet hands* from front to back and from back to front, and finally washing his feet."

4. We are informed by Abu-l-Yamân, who had it from Shu'aib through Az-Zuhri, who received it from 'Ubaidullâh b. 'Abdullâh b. 'Utbah that 'A'ishah said:

"When the Prophet (Allâh bless him and give him peace) was sinking, and his agony became more intense, he asked permission of his wives to be nursed in my apartments. When they gave him permission, the Prophet (Allâh bless him and give him peace) went out (2) *to my quarters* with his feet dragging along the grouned *supported* between two men — 'Abbâs and another."

"When", added 'Ubaiduallâh, "I told this to 'Abdullâh b. 'Abbâs, he asked me if I knew who the other man was, I replied that I did not." "It was 'Ali," said he.

'A'ishah (Allâh be well plessed with her) used to relate that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) after he had entered the house and his agony became *still* more intense, said: 'Drench me with water from seven skins whose fasten-

« أَتَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَأَخْرَجْنَا لَهُ مَاءً فِى تَوْرٍ مِنْ صُفْرٍ فَتَوَضَّأَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاثاً وَيَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ فَأَقْبَلَ بِهِ وَأَدْبَرَ ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ »

٤ ـ حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى عبيد الله بن عبدالله ابن عتبة أن عائشة قالت :

« لَمَّا ثَقُلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم واشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ فى أنْ يُمَرَّضَ فى بَيْتِى ، فَأَذِنَّ لَهُ ، فَخَرَجَ النبى صلى الله عليه وسلم بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلاهُ فى الأرْضِ : بَيْنَ عَبَّاسٍ وَرَجُلٍ آخَرَ .

قال عبيد الله فأخبرتُ عبدَ الله بنَ عبـــاسٍ فقال : أتَدْرِى مَنِ الرَّجُلُ الآخَرُ ؟ قلتُ لا ، قالَ هُوَ عَلِيٌّ .

وَكانَتْ عائشةُ رضى اللهُ عنهـــا تحدِّثُ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ بَعْدَ مَا دَخَلَ بَيْتَهُ واشْتَدَّ وَجَعُهُ : هَرِيقُوا عَلَىَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أوْكِيَتُهُنَّ لَعَلِّى

(1) Or — a kind of stone. (Al-'Aini).
(2) Probably from Maimûnah's apartments.

CHAPTER 45.

On ghusl(1) and wuḍû' in basins, bowls, and vessels of wood or stone.

1. We are informed by ʿAbdullâh b. Munîr, who heard it from ʿAbdullâh b. Bakr, who had it from Humaid, through Anas, who said :

" Once when the hour of prayer had come, those *Companions* whose houses were near went home, while a certain number remained. Then the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) was brought a stone basin containing water, the basin being too small for him to extend his hand in it. The company *of the Faithful* all peformed their wuḍû'." When Humaid asked Anas how many there were, he said : "Eighty and more."

2. We are informed by Mahammad b. Al-ʿAlâ', who had it from Abu Usâmah, through Buraid, through Abu Burdah, through Abu Mûsa that:

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) called for a bowl containing water, in which he washed his hands and face, and into which he ejected water from his mouth.

3. We are informed by Ahmad b. Yûnus, who had it from ʿAbd-ul-ʿAzîz b. Abu Salamah, who received it from ʿAmr b. Yahyâ, through his father, through ʿAbdullâh b. Zaid, who said :

— ٤٥ —

بَاب الغُسْلِ وَالوُضوءِ فِي المِخْضَبِ والقَدَحِ والخَشَبِ والحِجَارَةِ :

١ ـ حدثنا عبد الله بن منير سمع عبد الله بن بكر قال حدثنا حميد عن أنس قال :

« حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَقَامَ مَنْ كانَ قَرِيبَ الدَّارِ الى أهْلِهِ وبَقِيَ قَوْم ، فَأُتِيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بمِخْضَبٍ مِنْ حِجَارَةٍ فِيهِ ماءٌ فَصَغُرَ المِخْضَبُ أنْ يَبْسُطَ فِيهِ كَفَّهُ فَتَوَضَّأ القَوْمُ كُلُّهُمْ ، فَقُلْنَا كَمْ كُنْتُمْ ؟ قال : ثَمَانِينَ وَزِيَادَةً » .

٢ ـ حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبي بردة عن أبي موسى :

أن النبي صلى الله عليه وسلم دَعَا بقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَغَسَلَ يديه ووَجْهَهُ فِيهِ وَمَجَّ فِيهِ .

٣ ـ حدثنا احمد بن يونس قال حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة قال حدثنا عمرو ابن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن زيد قال :

(1) Or — simple ablution (الغسل)

and on the water left over after a woman's wuḍû';

and on ʿUmar having performed his wuḍû' with hot water from the house of a Christian woman. (1)

وَتَوَضَّأَ عُمَرُ بِالْحَمِيمِ مِنْ بَيْتِ نَصْرَانِيَّةٍ :

We are informed by ʿAbdullâh b. Yûsuf, who was told it by Mâlik, through Nâfiʿ, through ʿAbdullâh b. ʿUmar, who said :

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه قال :

"In the time of the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) men and women used to perform their wuḍû' together. (2)"

« كَانَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَتَوَضَّئُونَ فِي زَمَانِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم جَمِيعًا ».

CHAPTER 44.

— ٤٤ —

On the Prophet (Allâh bless him and give him peace) having poured some of his wuḍû' - water on a man who had fainted.

بَابُ صَبِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وَضُوءَهُ عَلَى الْمُغْمَى عَلَيْهِ :

We are informed by Abu-l-Walîd, who had it from Shuʿbah, through Muhammad b. al-Munkadir, who heard Jâbir say :

حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة عن محمد بن المنكدر قال سمعت جابرا يقول :

" The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) came to visit me while I was sick and unconscious. He performed his wuḍû' and then poured upon me some of the water *he had left unused*. (3) Thereupon I regained consciousness and then said : ' O Messenger of Allâh, to whom doth my inheritance fall, since I have neither father nor child, and my heirs are other relatives ?' It was then that the verse on inheritances was sent down." (4)

« جَاءَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَعْقِلُ ، فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ ، فَعَقَلْتُ فَقُلْتُ يَا رسولَ اللهِ لِمَنِ الْمِيرَاثُ ، إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلَالَةٌ ؟ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْفَرَائِضِ ».

---

(1) This athar has been traced back to the Prophet by Ash-Shâfiʿi and others, who state that the water was not only taken from the house of a Christian woman, but was taken from a jar used by her. Al-Bukhâri's purpose here is to show that if water associated with a Christian woman is ritually clean, that associated with a Muslim woman must be still more so. In fact all the Imâms, with the exception of Ahmad b. Hanbal, permit the use of unused water left over by Christians after washing. (Al-ʿAini).

(2) — both using the same vessel.

(3) وضوء here may also be taken to mean the water he had actually used. (Al-Qastallâni)

(4) By فرائض is meant the shares due to each inheritor.

CHAPTER 42.

On stroking the head *with the wet hands* once only.

We are informed by Sulaimân b. Harb, who had it from Wuhaib, who received it from ʿAmr b. Yahyâ, through his father, who said :

"I was witness when ʿAmr b. Abu Hasan questioned ʿAbdullâh b. Zaid on the Prophet's wudûʾ (Allâh bless him and give him peace). He called for a vessel of water, and performed the wudûʾ before them — pouring the water upon both his hands and washing them three times, after wich he immersed his *right* hand in the vessel. Then with three scoops of water he rinsed his mouth and cleansed his nostrils, snuffing the water up and ejecting it three times. Next he immersed his *right* hand in the vessel and washed his face three times. Again immersing his *right* hand in the vessel, he washed both his hands as far as the elbows twice for each. After that he again immersed his *right* hand in the vessel and stroked his head with both his *wet* hands, passing them from front to back and from back to front. Lastly he immersed his *right* hand in the vessel and washed his feet."

We are *also* informed by Mûsa, who had it from Wuhaib, who said : "He stroked his head once only."

— ٤٢ —

بَاب مَسْحِ الرَّأْسِ مَرَّةً وَاحِدَةً:

حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا وهيب قال حدثنا عمرو بن يحيى عن أبيه قال:

« شَهِدْتُ عَمْرَو بْنَ أَبِي حَسَنٍ سَأَلَ عبدَ اللهِ بنَ زَيْدٍ عَنْ وُضُوءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَدَعَا بِتَوْرٍ من مَاءٍ فَتَوَضَّأَ لَهُمْ (فَكَفَأَهُ عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَهُمَا ثَلَاثًا ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ) فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرَ ثَلَاثًا بِثَلَاثِ غَرَفَاتٍ مِنْ مَاءٍ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ فَغَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ فَمَسَحَ بِرَأْسِهِ فَأَقْبَلَ بِيَدَيْهِ وَأَدْبَرَ بِهِمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ فَغَسَلَ رِجْلَيْهِ ».

وحدثنا موسى قال حدثنا وهيب قال: « مَسَحَ رَأْسَهُ مَرَّةً ».

CHAPTER 43.

On a man's performing the wudûʾ in company with his wife (1) ;

— ٤٣ —

بَابُ وُضُوءِ الرَّجُلِ مَعَ امْرَأَتِهِ، وَفَضْلِ وَضُوءِ الْمَرْأَةِ،

---

(1) — both using the same vessel.

AL-AZHAR REVIEW
PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للأستاذ ابراهيم حسن الموجى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS
Translated into English
by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

OF RITUAL ABLUTION

(continued)

CHAPTER 41.

On one who rinseth his mouth and cleanseth his nostrils with one handful of water.

We are informed by Musaddad, who had it from Khâlid b. ʿAbdullâh, who received it from ʿAmr b. Yahyâ, through his father, through ʿAbdullâh b. Zaid that :

He (ʿAbdullâh) poured water out of the vessel upon his hands and washed them. He then washed – or rinsed – his mouth and cleansed his nostrils with a single handful of water. He did this thrice, after which he washed his face three times and then his hands as far as the elbows twice severally. Next he stroked his head *with his wet hands*, passing them from front to back and from back to front. Lastly he washed his feet as far as the ankles, saying : "Such was the wudûʾ performed by the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace)."

كتاب الوضوء (تابع ما قبله)

– ٤١ –

بَابُ مَن مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ مِن غَرْفَةٍ وَاحِدَةٍ :

حدثنا مسدد قال حدثنا خالد بن عبد الله قال حدثنا عمرو بن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن زيد :

أَنَّهُ أَفْرَغَ مِنَ الإِنَاءِ عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَهُمَا ، ثُمَّ غَسَلَ – أَوْ مَضْمَضَ – وَاسْتَنْشَقَ مِنْ كَفَّةٍ وَاحِدَةٍ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ ، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ مَا أَقْبَلَ وَمَا أَدْبَرَ ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : «هَكَذَا وُضُوءُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم» .

المؤتمر العالمى للاديان فى لندن

رسالة لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر

يقام كل سنة مؤتمر عالمى للاديان فى عاصمة من كبريات عواصم الغرب الغرض منه دراسة مختلف الوسائل للتقريب بين الشعوب لحسم مادة الخلافات بينها تذرعا لابطال الحروب والمخاصمات . وقد دعا المؤتمر فى هذه الدفعة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر لالقاء خطابة فيه فى موضوع كيف تتقرر زمالة عالمية بين الأفراد المختلفى الأديان والنحل . وقد أجاب فضيلته الدعوة فارسل للمؤتمر ببحث طريف جامع فى هذا الباب ، وأناب عنه فضيلة الشيخ عبد العزيز مصطفى المراغى شقيقه فى إلقائه ، واعتذر هو عن الحضور بنفسه لكثرة أعماله ، فقبل المؤتمر عذره ، وقابل خطابته بما هى أهل له من الاطراء والاكبار . وها هو نص تلك الخطبة :

كلمة التحية للمؤتمر :

١ — تشرفت بالدعوة الى حضور هذا المؤتمر من حضرات السادة القائمين بأمره ، وكنت شديد الرغبة فى شهوده وفى لقاء حضرات السادة ممثلى الأديان والمذاهب ، لكنّ أسبابا قوية حالت دون بلوغى هذه الأمنية ، فبعثت بكلمتى هذه وأنبت عنى فى إلقائها الشيخ عبد العزيز المراغى المدرس بكلية الشريعة وعضو بعثة فؤاد الأول بلندن ، وأنا راج منكم أن تتقبلوا أصدق عبارات التحية والاجلال ، وأصدق الأمانى لتحقيق الغرض السامى الذى تسعون اليه .

فكرة الزمالة طبيعية :

٢ — إن فكرة الزمالة تولدت فى الجماعات الساذجة ، وكان مظهرها تذليل عقبات الحياة فى أشكالها البسيطة ، ونمت الفكرة بنمو الجماعات ، وامتد سلطانها فشملت القبائل ، ثم نمت حتى وسعت الشعب والأمة .

واليوم وقد نشأ الشعور بحاجة الأمم بعضها الى بعض ، ونشأ الشعور بوجوب جعل الحياة العامة فى البشرية كلها بمأمن من الغوائل ، ونشأت الحاجة الى تحقيق مطالب اقتصادية ومدنية وعلمية وروحية لا تستقل بها أمة ، بل تحتاج الى مشاركة عامة ، أخذت فكرة الزمالة تتسع وتمتد لتشمل النوع الانسانى كله . ففكرة الزمالة ليست نظرية فلسفية ، بل هى حاجة طبيعية تولدت فى النوع البشرى منذ دور الطفولة ، ومنذ أدرك أن ارتباط الأفراد بعضهم ببعض يساعده على قطع مفاوز الحياة بأمان ، ويعود عليه بالخير .

أسباب التفرق طبيعية :

٣ — ومع شعور الانسان بالحاجة الى الزمالة ، ومع أن العقل يقتضيها ، فقد كانت عوامل التفرق دائما ملازمة لهذا الشعور ، لأن الانسان لا يسيره العقل وحده ، ولكن تسيره أيضا غرائز حيوانية ركبت فيه ، ومن هذه الغرائز حب الأثرة والغيرة ، والخوف والشك ، وقد أضيف الى ذلك اختلاف الأديان والمذاهب ، فوجد عامل آخر للتفرق ، حتى إنه عندما يلوح للباحث أن الإخاء الانسانى المنشود تدافعه كل تلك النوازع فى الانسان ، يبدو له أنه مطلب لا ينال فى هذه الحياة ، إذ يهوله ما يحتكم فيها من شرور تصرفها تصريفا جائرا شرسا لا قلب له ولا وجدان .

التمرين هو الدواء :

٤ — ولا أعتقد أن التقدم العلمى والفلسفى بقادر على التغلب على هذه العوامل وإزالة آثارها ، فقد شاهدنا أن الحروب تزيد هولا ووحشية كلما ازداد تقدم العلم ، وأنه أمضى أسلحتها . بل فى الحق إنى لا أعتقد أنه سيجىء اليوم الذى تتحقق فيه المثل العليا للبشرية ، لأنه وإن أمكن بعامل من العوامل أن تخبو جذوة تلك النار المنبعثة من قوى الطبيعة فى الانسان فانه لا يمكن أن تنطفئ تلك النار .

٥ — لكن هذه العقيدة لا يصح أن تقفنا عن البحث عن الوسائل الملطفة لتلك الغرائز والكابحة لجماحها ، بل من الخير أن نبحث عن تلك الوسائل .

والمتدين حين يعالج هذه المشكلة يجب أن يذكر أن الأديان كلها قد اعتمدت فى الانسان على أصل راسخ من غريزة التدين ، ودفعته الى الثقة بأن العالم مجموعة متناسقة تسودها قوة مدبرة حكيمة عادلة ترقب النيات وتحكم الضمائر ، وأن هذه الحياة صائرة الى غاية من المسئولية والمجازاة ، ففى التدين من هذا التأليه والخضوع ومراقبة الإله وتوقع محاكمته عوامل ليست أقل خطرا ولا أضعف أثرا فى دفع الانسان الى الخير والبر من تلك العوامل الأخرى الداعية الى الشرور ، والدافعة الى الحرب والحرص ، وإفساد شأن الجماعة الانسانية .

وليس من شك فى أن اعتقاد حياة أخرى أطول مدى من هذه الحياة ، واعتقاد أنها خير خالص يصل اليه الانسان بالعمل الصالح ، أو شر محض يكون نتيجة حتمية لأعمال الشر ، يجعل قلب الانسان مطمئنا راضيا إذا ساء حظه فى الحياة الدنيا ، ويغير نظره الى هذه الحياة تغييرا تاما . ثم اعتقاد أن الخير والشر ينزلان بمقدار بعد وزنهما بميزان عادل هو ميزان القادر الحكيم ، يحفز الانسان الى الإكثار من عمل الخير ويبعده عن عمل الشر .

٦ — يجب أن يكون المهيمن على عمل الانسان من داخل الانسان ، وهو خوف الله . وقد يقول علماء الأخلاق إنهم إذا وصلوا الى جعل الانسان يحب الخير لذاته ويكره الشر لذاته ، ونبّهوا الضمير الانسانى بواسطة التهذيب والتربية ، أغنى ذلك عن التدين . لكن أنّى لهم ذلك ، وكيف يستطاع تهذيب الدهماء ومن تلهيهم من أول أدوار الحياة الحاجةُ الى القوت ؟ فالرجوع الى غريزة التدين أسهل . وهذا الشعور الدينى إذا عمق وصلح أقوى — أو على الأقل ليس أضعف — من الخوف والطمع والمنافسة المثيرة للحروب . وهذا الشعور يرفع الانسان الى ما فوق الاعتزاز باللون والدم والجاه والطبقة والثروة ، وهو صالح لأن يغلب الحقد والحسد والأنانية ، وفيه من تطمين النفس ما يقلل بطرها بالغنى ، ويهوّن عليها الفقر ، ويخفف ثورتها عليه .

وهذا الشعور يكرم النفس الانسانية ويحدوها الى المعرفة والحكمة، ويكره اليها الجهل والحمق. كل تلك الآثار قد ثبت تحقيق التدين لها فعلا لولا طوارئ أخرى. ومن هنا تقوى طماعية المتدين فى قبول تلك الغاية المرجوة من الأخوة الانسانية مهما عز ذلك أو بعد، ولكن بقدر ما تحتمل ذلك طبيعة الانسان.

٧ — نعم إن الإنسانية لتطيف بخيالها ذكريات من جلاد قاس مخيف، أدار رحاه الخلاف الدينى، وكان فيه الشعور الدينى الحاد الجاهل قوة طائشة دفعت الى عنف وتدمير رهيب مروع. وإن الإنسانية لترنو فى خيبة الى آلاف من الأجيال المتمدينة لم تدنها كثيرا من تلك الأخوة الإنسانية، بل لا تزال الى اليوم يائسة منها، لكن المتدين مع ذلك كله يعاوده أمله القوى، ويدرك أن تلك الذكريات المروعة وذلك البعد عن الغاية النبيلة ليسا أثرين لنقص فى طبيعة التدين أحدث ذلك كله، بل إن ذلك فى الحق إنما سببته غلبة واقعية الحياة على مثالية التدين، فتحكمت الحياة فى التدين، حين كان ينبغى أن يحكم التدين فى الحياة؛ وسببته محاولات أشخاص خالين من الضمائر استغلوا الشعور الدينى استغلالا ماديا فى سبيل مآرب لا نثير دفين مخزياتها. وحسبنا أن نقول: إن ما نال الإنسانية فى عصور التدين من شر، وما قعدبها عن بلوغ الأمل المرجو فى السلام الروحى، ليس لشىء فى طبيعة التدين، بل لانحراف فى اتجاه الشعور الدينى. على أن ناموس التدريج الطبيعى يفسر هذا الذى كان من ألم وخيبة بأنه حال اقتضتها درجة رقى الحياة فى تلك العهود، وأن ما صارت وتصير اليه تلك الحياة من رقى، يؤهلها للانتفاع بالشعور الدينى فى إدنائها من الغاية المرجوة آمنة من أخطار انحرافه أو فساده. وها هو ذا الرقى العقلى والنفسى قد حسم فعلا غير قليل من أسباب الخلاف بين الناس لاعتبارات يسمونها دينية، ووجه الشعور الدينى توجيها أصلح نوعا مما كان قديما. ومن آثار ذلك هذا المؤتمر للأديان، ومحاولة أهل الدين تنمية الزمالة العالمية.

٨ — وهذا ما جعل اغتباطى بهذا المؤتمر عظيما، فإنه فضلا عن سعيه للبحث عن

الوسائل الموصلة لتحقيق المثل العليا للإنسانية ، وهى الزمالة العالمية بين أفراد النوع الإنسانى وأممه ، فانه بهذا السعى يحقق غرضا أساسيا من الأغراض التى سعت اليها الأديان وعُنى بها الاسلام الذى أدين به ، فقد نبه القرآن الى وحدة الأبوين الموجبة للتعارف والتعاون والتناصر ، والمبعدة عن التناكر والاختلاف والتخاذل ، ولم يقم وزنا لشرف المولد وكرم الجنس ، ووضع معيارا للتفاضل لم يعرفه الناس من قبل وهو تقوى الله ، وفى القرآن الكريم : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لِتَعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم » . وطلب القرآن الى المسلمين إحسان معاشرة غيرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا فى حالة العدوان ؛ وفى القرآن الكريم : «لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتُقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهَرُوا على إخراجكم أنْ تَوَلّوْهم ومن يتَوَلّهم فأولئك هم الظالمون» .

وقد عمل الرسول الأكرم محمد صلوات الله عليه وخلفاؤه الراشدون من بعده على وفق هذه المبادئ السامية ، حتى أبيح الإصهار الى أهل الكتاب مع ترك الحرية للزوجة وعدم منعها من شعائر دينها .

الزمالة بين رجال الدين يجب أن تسبق الزمالة العالمية :

٩ — وإذا ما كانت تلك الزمالة أملاً مرجو التحقيق يتداعى لتنميته رجال الدين ويحتفلون بذلك فى جد وحزم ، فمن الحزم إذاً أن نعود الى هذا الشعور الدينى نستفيد من سيطرته على النفوس وسعة مداه وفطريته فى البشرية ، لنبدأ منه خطتنا فى تنمية الزمالة ؛ وأن يتعاون أهل الأديان جميعهم بما فى الأديان من الشعور الدينى المشترك بينها ، وبما فيها من الفضائل العملية والغايات الاجتماعية الصالحة ، على تحقيق الغرض المرجو من تحقيق الزمالة وتنميتها . وكل ما فى الأديان مما يتعلق بالمجتمع البشرى أسس صالحة ترمى الى الخير ، والى أن يكون الفرد عضوا نافعا فى المجتمع ، يعاشر أخاه بالمعروف ، ويدفع

عنه النوائب ، وتجعل أواصر المودة بين أفراد الانسان واقعة تحت الرغبات الإلهية ، مطلوبة للخالق الحكيم الذى يحيي ويميت ويرزق ، ويغيث الملهوف والمضطر ، ويعد بعد الموت حياة هنيئة لمن يعمل الصالحات .

والدعوة الى تنمية الشعور الدينى المشترك يجب أن تسبقها الزمالة بين رؤساء الأديان أنفسهم ، فهم أقدر من غيرهم على إدراك هذه المعانى السامية ، وأولى الناس بأن يفهموا أن الخطر الذى يداهم الانسانية لايجىء من أديان المخالفين ، وإنمايجىء من الإلحاد ومن المذاهب التى تقدس المادة وتعبدها ، وتستهين بتعاليم الأديان وتعدها هزؤا ولعبا .

الأغراض التى يسعى لها أهل الأديان :

١٠ — والأغراض التى أرى أن يسعى لها أهل الأديان قسمان : معنوية ، وعملية .

الأغراض المعنوية هى فى الإجمال إزاحة العلل التى حالت دون تأثير الشعور الدينى فى تقريب ما بين الناس ، وهى إما تلوثه بالشوائب المفرقة ، وإما ضعفه وتحلله .

فإن الناس بين رجلين : رجل مؤمن قوى الإيمان يصلح إيمانه لمقاومة شرور الحياة ، لكنه منحرف عن الجادة تثور فيه عناصر الحقد على المخالف والكره له والتربص به ، فهو فى حاجة الى توجيه إيمانه توجيها نافعا ، والى تنقية ذلك الايمان من الشوائب ، والى فهم معنى التدين فهما صحيحا خاليا من الأغراض البشرية المادية . ورجل ضعف إيمانه أوأقفر قلبه منه ، وأكثر ما نرى هذا بين الطبقات التى تسمى مستنيرة ويدعوها الناس مثقفة . وسبب ذلك اصطدام الدين بالعلم التجريبى ، وما ثار بينهما من خلاف ، أو جنوح الفلسفة الأدبية الى آراء فى الخير والفضائل العملية وقفت بعض الأديان فى سبيل الموافقة عليها ؛ أو اتجاه الأبحاث الاجتماعية عن غايات الحياة الى نواح لم يوافق الدين على ترسمها ، فكانت صلة العلم المادى والعمل الخلقى والغايات الاجتماعية بالحياة الفعلية قوة لأصحاب هذه الفروع على الدين وعلى انتهاك حرماته ؛ وكانت مقاومة رجال الدين لهؤلاء مقاومة غير رشيدة سببا فى اتساع الهوة وجرأة المخالفة جرأة عصفت بالشعور الدينى فى قلوب أولئك المتعلمين، بل وأضعفت هذا الشعور عند غيرهم .

وإذا كان الأمر هكذا فمن الواجب أن يتعاون أهل الأديان على تقوية الشعور الدينى، وإعادته يعمر القلوب ويملأ النفوس هيبة ورهبة من الله، ورحمة ورفقا بعباد الله، وعلى إعزاز مركز الأديان أمام العلم وأمام الفلسفة الأدبية والفلسفة الاجتماعية، وأمام تيارات التقدم العقلى والتحرير الفكرى. ولا شك فى أن تقوية هذا الشعور وإعزاز مركز الأديان يقى الحياة الانسانية من خطر هؤلاء المستنيرين وقدرتهم حين تتحكم المادة وتقوى فيهم الرغبات غير الشريفة. ثم إذا استطاع أهل الأديان كسب هؤلاء وإيجاد الشعور الدينى فى قلوبهم، فإنهم يكونون قوة فعالة فى تنمية وسائط الإخاء البشرى، ذلك بقوة إحساسهم ودقة إدراكهم، واستطاعتهم فهم ما فى الأديان من معان روحية سامية مجردة عن المادة يصعب فهمها على أكثر العامة ممن لم يهذبهم العلم وتنر طريقهم الفلسفة.

الأغراض العملية هى على الإجمال جعل التدين أداة فعالة فى تهذيب الجماعة، وتمكين العوامل المعنوية التى تشترك فيها الأديان، من التأثير فى الحياة الانسانية الواقعية، وتصيير الفضائل العملية التى تدعو اليها الأديان كلها نظما عملية. بذلك يقل فتك الشرور بالانسانية فى الأمم، وتتقارب أنظارها، وتدنو من الإخاء الانسانى بتقارب غاياتها وسلامة نفوسها.

١١ — ومما يثير العجب ويضاعف الألم، أن أهل الأديان يحشدون جنودهم ويعدون عدتهم لمقاتلة بعضهم بعضا مقاتلة أسرفوا فيها، وجعلتهم ضعفاء أمام عدوهم المشترك، وسلكوا طرقا فى التناحر مخالفة لأبسط قواعد المنطق، مما جعلهم سخرية أمام العلماء وأمام الفلاسفة، وجعل كل جهودهم عقيمة النتائج، فقد تركوا التأثير على الانسان من ناحية عقله الذى هو موضع الشرف وموطن العزة والكرامة، واستعملوا طرق الإكراه والإغراء بالمال وغيره من الوسائل، وركن بعضهم الى القوى المادية للدول، ونسوا أن الايمان لا يحل القلب بالإكراه، وأن العلم لاينال إلا بالدليل، ونسوا أن العدو جاد

فى إنزالهم من مكانهم اللائق بهم، وأن شرور العالم تغمر الانسانية وتطغى على ما بقى فى النفوس من هيبة واحترام للنظم الإلهية. وكان عليهم بدل هذا كله أن يتعاونوا على درء الخطر، وأن يحاربوا هذه الشهوات الجامحة، وهذه الاباحية التى يئن منها العقلاء، وهذه المادة المستحكمة التى تجر الويلات على الآمنين بين حين وآخر، وتستعار لها أسماء كاذبة من المدنية والنظام والحرية.

لكن ما الذى كان ينتظر غير هذا وعوامل التفريق تعمل فى أهل الأديان كما تعمل فى غيرهم، وتغريهم زخارف الحياة الدنيا كما تغرى غيرهم، ويحافظون على الجاه والرتب كما يحافظ عليها غيرهم، ويفترى بعضهم على بعض فى الدين كما يفترى غيرهم؟

لكنّ قبسا من النور لايزال باقيا للمتقين، وهو أن الله أرحم بعباده من أن يتركهم فى هذه الشرور المتلاطمة أمواجها، وأقدر على ايجاد الوسائل التى ترد الانسان الى مواطن الشرف والفضيلة. وأنتم موطن الأمل ومعقد الرجاء.

الوسائل التى تتحقق بها الأغراض:

١٢ — وسأعرض هنا لبعض الوسائل التى تساعد على تحقيق الغرض، مكتفيا بالإجمال، تاركا التفصيل لحضرات السادة أعضاء المؤتمر، وللابتكارات المتجددة التى ينتجها التعاون الصادق بين الأعضاء وبين محبى الانسانية:

(ا) إيجاد هيئة تعمل على تنقية الشعور الدينى من الضغائن والأحقاد، ولذلك وسائل، منها:

١ — توجيه الوعظ الدينى فى الأديان المختلفة الى هذا الاتجاه الانسانى، بالأساليب التى يقررها أهل كل دين لوعاظه.

٢ — جمع كل ما فى دين من المعانى الانسانية السامية العامة، من الرفق بالبشر والبر بهم، من حيث هم أفراد من نوع الانسان، دون نظر الى الفوارق الأخرى، وإذاعةُ ذلك بمختلف الوسائل فى مختلف اللغات.

٣ — جعل الدعاية للأديان والتبشير بها قائما على أساس عقلى محض ، وحب للحقيقة ورغبة صادقة فى الوصول اليها ، مع البعد عن الاحتيال لذلك والاعتماد على وسائل غير بريئة فى توجيه الاعتقاد والإغراء به ، وقصر الجهد على إبراز ما فى الدين المدعو اليه من محاسن .

وهذه الهيئة تقوم بحسم كل إشكال أو نزاع ينشأ عن اعتداء الدعاة حسما شريفا نزيها صادق الرغبة فى المسالمة .

(ب) ايجاد هيئة تقوم بتقوية الشعور الدينى ، وبخاصة فى الطبقات المستنيرة ، فتعنى بتأييد مركز التدين أمام البحث العلمى والتفكير الحر ، تأييدا يقوم على احترام العقل وإعطائه حقه الكامل فى البحث النزيه التماسا للمعرفة ، فيعتمد هذا التأييد على مقابلة الدليل بالدليل ، وعلى الإقناع بطرق الإقناع الصحيحة ، مع البعد عن الوسائل الإرهابية والتضليل ، وعن الارتكان على السلطة الروحية المستبدة ، وبالجملة يبتعد عن الأخطاء الماضية التى دفعت الانسانيةُ ثمنها باهظا مرهقا .

ويكون لهذه الهيئة شُعَب ، شعبة تحدد ما بين العلم التجريبى والدين من خلاف قائم أو خلاف يجدّ ، وتتبع ذلك فى الدوائر العلمية المختلفة ، وتتصدى لحسمه على أساس ما أسلفناه من حب للحقيقة وحرص عليها ، فى لباقة لاتدع الدين يجهر بما يخالف المحسوس المشاهد . وشعبة تحتفى بالآراء الخلقية وبيان الفضائل ، وما يكون من ذلك جائرا على الحياة المعنوية ، متأثرا بأغراض نهمة ومطامع شريرة ، فتبحث ذلك فى عمق ودقة ، ويذاع منه الآراء المقنعة التى تنال تأييد المفكرين المخلصين ، وتحفظ على الحياة غاياتها النبيلة . وشعبة تتبع الدراسات الاجتماعية وما ترسمها مذاهبها من غايات للحياة وأساليب فيها ، كالاشتراكية والشيوعية وما الى ذلك ، تبين منها موضع الخير وناحية الحق ، وتكشف عن موضع الهوى الجامح والرغبة النهمة المفسدة لشرف الغرض من الحياة . كل ذلك يذاع فى الأسلوب الصحيح ، ليسمع الناس الرأى الصالح مؤيدا بالبرهان ، موفقا بينه وبين التدين ، مراعى فى كل هذا وجه الله ، ووجه الحق ، ووجه الخير للإنسانية .

١٣ — ونظراً لأن الانسانية قد نالها عسف كثير نرى (بحق أو بغير حق) أن سببه السلطة الروحية وأصحابها .

فمن الحق أن تظفر بالطمأنينة الكاملة من هذا الخطر لتدع للتدين ورجال الدين أن يعملوا على إسعادها . وأرى أن تؤكد الوحدة الدينية قولا وعملا ، وأن تجد فى إقناع الأجيال الحاضرة بأن رجال الدين لا يطمحون الى رغبات مادية ولا الى سيطرة الحكم والجاه والنفوذ ، وأنهم إنما يشاركون فى الحياة بمقدار ما يتمكنون من أداء رسالتهم الكريمة لإسعاد الانسانية وترفيهها ، وصيانة معنوياتها الملائمة لشرفها ، وأنهم قوّام على تفسير الناموس الإلهى بالحق والدعوة اليه ليس لهم من الأمر شىء ، ثم تحافظ على ذلك أشد المحافظة ، وتقوّم من يندّ عن هذا المبدأ ويخالفه .

إذ ذاك تستفيد الأجيال الحاضرة والأجيال المقبلة ، وتفسح الطريق للقوة الدينية تعمل على الإخاء الإنسانى ، وتكتسب المبادئ الدينية والفضائل الخلقية والمعانى الاجتماعية السامية بوحدة الأساليب العملية التى تنصرها المذاهب والآراء الصالحة ، سلطة عملية تمكن من السعى الى حماية النظم والقوانين ، ووضعها بحيث تحمل تلك الأصول الصالحة .

وكما يعمل أصحاب المذاهب الاجتماعية على توجيه التشريع الى تأييد مبادئهم وقواعدهم ، يجب أن يعمل أهل الأديان على توجيه التشريع الى تأييد الأصول العامة المشتركة فى الأديان ، فيقاوم الزنا ، ويحمى الأسرة ، ويعاقب على الكذب والغيبة والنميمة والدس والوقيعة ولو لم تصور فى جرائم مادية ، ويحد الحرية فى التمتع وأسباب الشهوات ، ويحرم المنافسة غير الشريفة ، ويراقب المكاسب المادية ، ويحرم الخبيث منها ، ويعاقب على الجشع والخداع والتغرير ، الى غير ذلك مما جاءت الأديان لاستئصال شروره وتطهير الانسانية من أدناسه ، فساء التطبيق ، وانحرفت وجهة التدين أو ضعفت ، بحيث لم تستطع مقاومة الذين لا ضمائر لهم ، والذين خلت قلوبهم من رهبة الله ورحمة عباده .

١٤ — وما من شك فى أن وحدة رجال الدين وفروعها المختلفة ستبتكر على يد رجالها الذين يزين الايمان قلوبهم ، وتطمئن نفوسهم روحانية الدين الصادقة ، وسائلَ ناضجة

فعالة لهذه الأغراض ، ولكن يجب ألاّ ننسى أن تلك الوسائل ينبغى أن تكون بعيدة عن التدخل فى أصول السياسة والاصطدام بها ، وأن تعتمد على تأييد الجماعات وتنمية الشعور الدينى والشعور بالفضيلة ، وعلى إنماء روح الكره لما يغمر العالم الآن من المفاسد والشرور التى نزلت بالانسانية الى مستوى منحط لا يفكر فى غير قضاء الشهوات وسد حاجة الغرائز البهيمية ، وإشباع نهم القوى الشرسة ، وصفات العدوان .

١٥ — ذلك ما رأيته لتنمية الزمالة العالمية ، وقد قام على أساسين صحيحين ، وهذه الوسائل وإن كانت دقيقة فهى ممكنة وفعالة ، وإن كانت تحتاج الى جهد ودأب طويلين ، لكن المطلب نبيل والخطب جليل . وإن الاسلام ليمنحها تأييده القوى .

وفى أصول الاسلام أقوى الدعائم التى ترتكز عليها الفكرة ، فهو يقرر أنه لا إكراه فى الدين ، ويقول للرسول صلوات الله عليه : «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» . ويقرر أن الدعوة الى الله تكون بالحكمة والموعظة « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن» . ويخاطب العقل وينبه الى التفكير فيما خلق الله ، ويرفع العلم والعلماء . ويقول نبى الاسلام : «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ، ويقول له الله تعالى : « ولو كنت فظا غليظَ القلب لانفضّوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر» ، ويحث على البر والرحمة ، وعلى مواساة الضعفاء والفقراء ، بل وعلى الرفق بالبهائم ، حتى جعل نفقة البهيمة الضالة واجبة فى بيت المال ، وجعل للفقراء حقا لازما مفروضا فى أموال الأغنياء ، وجعل الجناية على نفس واحدة جناية على الانسانية ، ووضع قواعد صارمة للعبث بالنظام .

ولا أطيل عليكم أيها السادة ، فليس من غرضى ولا من غرضكم شرح أصول الاسلام وعرض مبادئه ، ولكنى بما ذكرته أردت لفت نظر حضراتكم الى أن الغرض الشريف الذى تسعون اليه لا ينافى قواعد الاسلام العامة .

١٦ — وإنى أيها السادة فى ختام كلمتى هذه أبتهل الى الله أن يؤيدكم فيما تسعون اليه من خير للانسانية ، وأن ينير لكم الطريق ويهديكم سواء السبيل ! محمد مصطفى المراغى

لماذا يصادف أكثر الشاكين فى المتعلمين (١)

من الشبهات التى تكدر على بعض أذكياء العامة صفاءهم الاعتقادى، أنهم يصادفون كثيرا من المتعلمين شاكّين، مستهينين بالدين، وبعضهم مجاهرين بالزندقة، زارين بالاعتقاديين. وقد كثر أمثال هؤلاء فى طلبة المدارس وبخاصة الذين يتلقون العلم منهم فى أوربا، حتى لا يخجل الواحد منهم أن يهاجم معتقدات أبويه، مثيرا عليهما من الشبهات ما لم يصلا اليه. فتسرب الى عقول العامة أن العلم يفسد العقائد، ويغرى بالزندقة، ويُبعِد القلوب للإلحاد، وهو حكم خاطئ لا يقول به عارف بما هنالك.

ونحن لأجل تبديد هذا الوهم نتولى هذا الموضوع بالتحليل للوقوف على العلة الأولية لهذا الانحراف الاعتقادى فنقول:

الانسان لا يطيق بحكم تركيبه المعنوى أن يقف جامدا أمام أى مجهول كان، فهو مضطر، ولو كان فى حضيض الجهل، الى تَعَرُّف كل ما يؤثر على حسه وعقله، والى تعاليله على قدر ما تسمح له به وسائله.

فلما قُذِف به الى هذا العالم شرع فى تَعَرُّفه مقهورا بفطرته، فنظر الى سمائه وأرضه، وتأمل فى حوادثهما، معملا جميع خصائصه العقلية، فآب من هذا الجهاد بمدركات تناسب حالته من السذاجة، فأسند جميع الحوادث الى علل روحانية، مغفلا جميع عللها الطبيعية القريبة منها.

ولكن الانسان ليس بالكائن الذى يقف عند حد يصل اليه، فما زال دائبا وراء استكناه المجاهيل حتى هدى الى كثير من العلل الطبيعية المباشرة، فكان كلما أدرك علة ربط بها معلولها، ورفع العلة الروحانية عنها مع الاحتفاظ بها كعلة أولية.

---

(١) لم نستطع بسبب كثرة الاعمال أن نتابع حلقات بحثنا الجديد فى الروح الاسلامية، فنعتذر لحضرات القراء ونعدهم بمتابعتها بعد اليوم.

فلما نشأت الفلسفة ، كانت العلوم النظرية قد كشفت كثيرا من العلل الطبيعية ، وأظهرت وجوه تسلسلها ، فلم يبق أمام العقل الانسانى غير العلة الأولية أو علة العلل ، وهو كما قلنا لا يطيق بحكم تركيبه أن يقف جامدا حيال أى مجهول كان ، فوقف لإدراك تلك العلة الأولية جل وسائله الفكرية ، غير قانع بأن يعتقد بوجودها مقرا بالعجز عن فهم حقيقتها ، فأراد أن يعرف كيف هى أزلية أبدية ، وماذا كانت تعمل قبل أن تخلق الكون ، وعلى أى حال تحيط بكل شىء علما ، وعلى أى حال تطبع إرادتها فى القوى الكونية ، غير مقدّر وسائله على كل هذه البحوث التجريدية ، فكان كلما اصطدم بمسألة من هذه المسائل استعصى عليه تحليلها ، وترفعت عن الانطباق على دستوره المادى المحدود ، فكان يحس بحيرة لا تتفق وسكينته القلبية . بل ربما أدته تلك الحيرة الى الإلحاد فى صفاتها ، والخبط فى شئونها ، وإعلان أنه لا يعتقد بوجودها .

فلو كان تولاه ، وهو فى هذا الدور ، عقل ناضج يريه رأى العين أن دستوره العلمى إنما هو منتزع من العالم المادى ، وهو محدود محسوس ، وأن ما يبحث عنه فى عالم الاطلاق الصرف ، لا يتقيد بقيود هذه المادة القاصرة ، ولا تسرى عليه أحكامها ، لربأ بنفسه عن التهور الذى ظهر به ، ولأدرك أن البحث فى ذلك العالم العالى يقتضى وسائل تناسبه ، ومحاولات تتفق وسموه عن جميع الملابسات المادية ، ولتحقق أن ترفّع ماهو بصدده عن الخضوع لأدوات بحثه ، لا يدل على أنه غير موجود أصلا ، كما لم يدل عجزه عن معرفة الكهرباء والمغناطيس والإشعاعات المادية على عدم وجودها قبل اكتشافه لها من طريق الاتفاق ، وكم فى الوجود موجودات مثل هذه وأرفع منها لم يصل الى اكتشافها أحد بعد ، ولايدل عدم اكتشاف أحد لها على عدم وجودها .

إن هذا العقل الناضج لم يحصله الانسان إلا حديثا ، بعد أن كثر تكذيبه بوجود أشياء ، ثم ثبت وجودها بعد ذلك ، وإن له فى هذا الاسراع الى التكذيب تاريخا حافلا بالعجائب ، إذا عرضه على نفسه أعتى متمردة العلم اليوم لخجل منه ، وضن بنفسه عليه .

لقد سرد العلامة الكبير كاميل فلامريون الفرنسى فى كتابه (المجهول) بعض ما كان العلماء يتشددون فى نفيه، وثبت وجوده بعد ذلك، فقال :

« إن العلامة (غاليليه) أُمِر به فأحرق بالنار لأنه تجارأ أن يقول إن الأرض كرة صغيرة سابحة فى الفضاء كما هو الواقع .

ثم قال ما ترجمته الحرفية :

« وقد حضرت فى ١١ مارس من سنة ١٨٧٨ تقديم الفونوغراف الذى اخترعه (إديسون) الى مجمع العلماء الفرنسى . فلما أدار مقدمة الآلة وتكلم الفونوغراف، هب أحد العلماء الكبار وهو المسيو (بويو) من مكانه، وأمسك بخناق الرجل، وصاح فى وجهه قائلا : تعسا لك، إننا لا ننخدع لمشعوذ مثلك يتكلم من بطنه ! والذى هو أعجب من هذا أن هذا العالم أعلن بعد هذه الحادثة بستة أشهر، أى فى جلسة ٣٠ من شهر سبتمبر لمجمع العلماء، بأنه درس مسألة الفونوغراف درسا مدققا . . . فرأى أن مسألتها مسألة تدليس، وأن الصوت الذى يرن منه ليس منبعثا من الفونوغراف نفسه، ولكن من بطن مقدمه . ثم قال (أى العلامة بويو) : « ولا يعقل أن المعدن يستطيع محاكاة الجهاز الصوتى الشريف للانسان » . فلم يكن الفونوغراف فى نظره إلا من الأوهام .

قال الأستاذ كاميل فلامريون متابعا سرد أمثال هذه الحوادث :

« لما حلل الكيماوى الكبير (لافوازنيه) الهواء الى عنصريه المعروفين الأوكسيجين والأزوت، ثار عليه أكثر من عالم عظيم، وانبرى له الكيماوى الأشهر (بوميه) أحد أعضاء المجمع العلمى، ومخترع الأريومتر ورد عليه بقوله : « إن العناصر والأصول المكونة للأجسام قد اعترف بها وتحقق منها الطبيعيون فى جميع العصور وفى كل الأمم . وليس من المحتمل أن توضع هذه العناصر التى عرفت منذ ألفى سنة بأنها بسيطة، فى عداد الأجسام المركبة، كما أنه ليس من المحتمل أيضا أن تعتبر حقيقية، تلك الوسائل التى تقدم لنا لتحليل الماء والهواء، ولا تلك الأدلة المستحيلة ! !

(ولا نقول أكثر من ذلك) ، الداعية الى إنكار وجود عنصرى النار والتراب . فإن الخواص المعترف بها لهذه العناصر تتعلق بجميع المعارف الطبيعية والكيماوية التى تحصلنا عليها الى الآن . وقد صارت هذه العناصر قواعد لعدد لا يحصى من مكتشفات ونظريات تتبارى كلها فى الوضوح والجلاء . وهذه المكتشفات والنظريات يجب أن ترفع منها كل ثقة إذا اعتبر أن النار والهواء والماء والتراب غير عناصر أصلية » .

ثم عقب كاميل فلامريون على هذا بقوله :

« كل الناس يعلمون اليوم بأن هذه الأربعة العناصر التى دوفع عنها بهذه الروح العظيمة من التقوى ، لا وجود لها ، وأن الحق فى جانب الكيماويين المصريين بتحليلهم الهواء والماء . أما عنصر النار الذى كان يقول عنه (بوميسه) ومعاصروه بأنه الأصل المولد للطبيعة والحياة ، فلم يوجد إلا فى خيال أولئك الأساتذة » . انتهى ما أخذناه عن الأستاذ كاميل .

بعد هذا نقول : إذا كان العقل البشرى ، حتى فى عهده الراهن ، لا يزال على هذا النحو من الجمود على الأساليب التى أنس بها وألفها فيما يختص بعالم المحسوسات ، فما ظنك حيال العالم العلوى الذى يعلو بطبيعته السامية عن أن يُتَنَاول بوسائلنا العادية فى الحكم على الأشياء ؟

ليس العلم هو الذى يولد الشكوك فى العقول ، وإنما هى النزعة الباطلة التى تخيل للانسان أنه يستطيع أن يدرك كل شىء بوسائله الكليلة ، وأن ما لا يدركه منها فليس له وجود على الإطلاق .

إن الانسان مُنِيَ من جراء تمسكه بهذه النزعة فى مدى تاريخه العقلى بما كان يكفى لأن يقفه إزاء ما يجهله موقفا أقرب الى الحكمة ، وأجدر بطالب التثبت ، ولكن العلم الناقص هو الذى يمسكه فى دائرة الجمود على ما تعلمه ، فلا يستطيع أن يتعداها

قِيد شعرة ، فهو يتلقى العلم معتقدا أن جميع المعلومات التى يُفْضَى بها اليه مقررات لا تقبل النقص ، وأنها نابتة الى حد أنها تعد والمحسوسات فى مستوى واحد . والحقيقة أن العلماء الراسخين قد علموا أن جميع هذه المقررات يجب أن توضع فى الميزان ، وأن تعرض دائما على محك النقد الدقيق حتى ما كان يتعلق منها بأصول الرياضيات والميكانيكا . وقد نقلنا فى مقالات سابقة بعض تصريحات أقطاب العلم فى ذلك فلا نعود اليه .

لهذا السبب تجد أكثر المتخرجين فى العلوم يتوهمون أن ما حصلوه هو نهاية ما يبلغه الانسان من العلم ، وأن الموازين والمقاييس التى تحت أيديهم تكفى لأن يدركوا بواسطتها ما هو موجود وما ليس بموجود ، وما هو ممكن وما هو محال . فمتى دُعوا لينظروا فى أمر من الأمور العلوية ، وزنوه بتلك الموازين ، فإن لم تتأثر به حكموا بعدم وجوده !

هنا لعل قائلا منهم يقول : هذه موازيننا فإن كان لديكم غيرها فآتونا بها ، فإن لفتمونا الى الموازين العقلية والذوقية ، فلا يخفى عليكم ما مُنيت به من النقد فى العصور المتأخرة ، وهى إن كانت قد أقنعت أهل القرون الخالية ، فإنها اليوم لا تقنع أمثالنا ممن أدركوا الفرق بينها وبين الدستور العلمى العملى .

فنجيبه بأن الحق سبحانه وتعالى قد آتى هذه النزعة العلمية الحديثة بما يوفى بحاجتها ، فقد فتح على أقطاب العلم ، تحت اسم البحوث النفسية ، أبوابا من المشاهدات المحسوسة خرت أعناقهم لها خاضعين . ولكنهم لا يعيرون هذه البحوث التفاتا ، فإن ذُكِّرُوا بها قالوا إنها أوهام قوم مخدوعين ، وهى فى الواقع تجارب ومشاهدات قام بها أقطاب العلم المقدمين من أعضاء الأكاذيميات ، وعمداء الجامعات ، فإن كان خصومنا يصرون بعد هذا على موقفهم فالتبعة عليهم لا على نقص الموازين .

هذا هو السبب الرئيسى فيما يصادفه الرائى من تظاهر بعض المتعلمين بعدم الأَبْهِ

بغير المسائل المادية . وقد تبينتَ أنهم فى هـذا الشذوذ هم المقصرون ، وأن الحق جل شأنه آتى العقول فى كل زمان بما أحست بالحاجة اليه من وسائل البحث والتمحيص ، والسمو الى أرقى مراتب العلم بعالمى الشهادة والغيب ؟

محمد فريد وجدى

فائدة اتخاذ الاخوان

فى الحديث المرفوع : « المرء كثير بأخيه »

مما يجب على الصديق للصديق ، النصيحة جهده . فقد قالوا : صديق الرجل مرآته ، يريه حسناته وسيآته .

وقالوا : الصديق من صدقك وده ، وبذل لك رفده .

وقالوا : خير الاخوان من أقبل عليك إذا أدبر الزمان عنك .

وقال الشاعر :

فان أولى الموالى من تواليه عند السرور لمن واساك فى الحزن
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وأنشد المبرد لعبد الصمد بن المعدل فى ابراهيم بن الحسن :

يامن فدت نفسه نفسى ومن جعلت له وقاء لما يخشى وأخشاه
أبلغ أخاك وإن شط المزار به أني وإن كنت لا ألقاه ألقاه
وأن طرفى موصول برؤيته وإن تباعد عن مثواى مثواه
الله يعلم أنى لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه
عدوا فهل حسن لم يحوه حسن وهل فتى عدلت جدواه جدواه
فالدهر يفنى ولا تفنى مكارمه والقطر يحصى ولا تحصى عطاياه

وقيل لبعض الولاة : كم صديقا لك ؟ قال : لا أدرى ، الدنيا مقبلة على ، والناس كلهم أصدقائى ، وإنما أعرف ذلك إذا ادبرت عنى .



قال تعالى : (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ، قُلْ سَمُّوهُمْ ، أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ ، بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ، وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ . مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ، تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) :

لقد نُصبت الأدلة ، وقامت الحجة ، وسطعت الآيات ، ووضح الصبح لذى عينين . وإذ قد بقى منهم من بقى متمسكا بعناده ، ولم يفتح عينيه لهدى الله الذى جلاه عليه ، فلنعرض لما أصر عليه : فما هى تلك العقيدة التى ملكت عليهم جوانحهم فلم يستطيعوا الحياد عنها ولا الفكاك منها ؟ أهى أن يجعلوا لله شريكا ويسوّوه بما خلق ؟ إن هذا لهو العجب العجاب ، وأعجب منه أن يصدر من ذوى الألباب ! أفيسوّى من وهب كل نفس قدرتها ، ومكّنها مما تأتى وما تذر ، وأحصى عليها كل ما فعلت وما تركت ، وأخذ عليها ما اجترحت وما اقترفت ، بل علم ما خطر ببالها وما أخفت فى صدرها ، وعلى

الجملة مَن هـو قائم عليها بما كسبت ، يعلمه ويحصيه ، ويفيضه عليها بخلقه فيها حسبما اتجهت اليه إرادتها وتعلقت به رغبتها ، أفهذا الفاعل لكل شيء ، والعالم بكل شيء ، والقادر على كل شيء ، والمحصى كل شيء ، أهذا يماثله شيء ؟ أهذا يساويه شيء ؟ أهذا يشرك به شيء ؟ وأين العقل الذى يتسع لهذا ؟ وأين اللسان الذى ينطق بهـذا ؟ وأين الجوارح التى تسترسل فى العمل على مقتضى هذا ؟

اعلم أن كل هذا الإطناب تأخذه من حذف الخبر فى قوله جل شأنه : « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » . واعلم أن هذا الأسلوب لإفادة مثل هذا الغرض مألوف معروف حتى فى تخاطب الناس فى محاوراتهم ومجادلاتهم فيما تشهده بينهم ـ ترى الاثنين يتجادلان فى شيء ، أحدهما فيه جد محق ، والثانى مكابر معاند ، فترى المحقَّ فى إفحام مخاطبه يعمِد الى موضع قيام حجته ومظهر الضعف فى رأى خصمه ، فيقول له كالمتعجب : « أفترى صاحب تلك الآثار ، ومَن جمع تلك المواهب ، وتجلّت عليه صفة كيت كيت ؟ » ثم يسكت كالمستغنى عن التصريح بالباقى اكتفاء بما جلاه عليه مما يقيم الحجة ولا يدع للمكابرة سبيلا . وربما أردف سكوته بقوله مثلا : « عجبا لك » أو « إن تفكيرك لمحير » أو « إن عقلك لعجيب التكوين ! » وهكذا مما لو رجعت بنفسك الى تخاطب الناس فى محاوراتهم ومجادلاتهم لوجدت هذا الأسلوب مما يعين أصدق الإعانة على الإبانة . وكم من حذف هو أبين من ذكر ، وكم من سكوت بلغ ما لم يبلغه الكلام الطويل .

وعلى هـذا النسق جاء قوله تعالى : « أفمن شرح الله صدره للإسـلام فهو على نور من ربه » فإنك تـكاد تنطق بما حذف وتقول : أى يكون كمن جعل الله صدره ضيقا حرجا ، أو يكون كمن أضله الله وأعمى قلبه وجعل على بصره غشاوة ؟ ولقد جاء الإرشاد الى هذا المحذوف على فرض أن يذهل عنه ذاهل فيما يلى ، ولـكن بأسلوب النعى عليهم ، والتسفيه لرأيهم ، فى قوله تعالى : « وجعلوا لله شركاء » ، أى مع ظهور الأمر ووضوحه قد عمى عليهم فلم يفقهوا هذا الشأن الجلى ، فجعلوا لله الذى قام على كل نفس بما كسبت

ذلك القيام الظاهر الباهر ، جعلوا لله شركاء ؟ ! فمن هم ، وما هم ؟ قل سموهم ، دُلُّوا عليهم ، أظهروهم ، إنهم لأخفى من أن يعرفوا ، وأحقر من أن يوصفوا ، بل إنهم لأحقر من أن يكون لهم اسم يدل عليهم ، أو أثر يُعرفون به ، فمن هم هؤلاء ؟ سموهم ، أشيروا اليهم ، دُلوا عليهم !

لعلك تمثلت هذا الموقف يكون بين المتجادلين ، فيخسأ المبطل ، وتعلو كلمة الحق ، ويصول على الباطل الذى يتوارى ويضمحل حتى لا يكون شيئا . على هذا النسق العجيب العظيم يأتى جدل القرآن ، ولله الحجة البالغة .

ولقد كر عليهم بعد ذلك بما يخزيهم ويجعل الأرض تسوخ بهم فى أعمق هاوية مطأطئى الرءوس منكسى النفوس ، ذلك قوله عز من قائل : « أم تنبئونه بما لا يعلم فى الأرض » أى بلغ بكم الجهل بأنفسكم والغباوة والبلاهة أن زعمتم أنكم تنبئون الله العليم الخبير الذى خلقكم ولم تكونوا شيئا ، والذى تعترفون بأن كل ما أنتم فيه من نعم إنما هو من هباته ـ وما كانوا لينكروا ذلك : ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ـ تنبئونه بشىء علمتموه وما يعلمه ، تنبئونه بشىء اهتديتم اليه وخفى عليه ؟ قولوا ما شئتم إن استطعتم أن تفوه به ألسنتكم ، افضحوا أنفسكم وأفصحوا عما يجول فى خواطركم إن وجدتم فى ماء وجوهكم ما يتحمل ما تجلبون على أنفسكم من خزى ، فهل ترى مَن حاله مثلهم إلا أن يغص بريقه وتزوغ عينه جائلة حواليه لا يهتدى لما يقول سبيلا ؟ أما إن كل هذا ليتجلى فى أسلوب الجدل القرآنى العجيب ، ولله الحجة البالغة .

ثم كلمة « فى الأرض » فى الآية الكريمة تفيد معانى عدة :

أولا — تلميح بأن مبلغ علمهم مهما تطاولوا لا يعدو ما فى الأرض .

ثانيا — التهويل عليهم بأنهم لا يستطيعون أن يزعموا الإحاطة بكل ما فى الأرض على سعتها ، فإذا علموا شيئا فإنه لا يتجاوز بقعة الأرض التى يسكنونها

أو يترددون فيها ، وأنهم إذا علموا شيئا فيها فقد خفى عليهم أضعاف أضعافه مما خبأته الأرض ، فأين علمهم من علم مَن خلق الأرض وكل ما فى الأرض ؟

ثالثا — وهو ما قاله المفسرون فيما رأيت : أن الأصنام التى زعموها شركاء لله كانت فى الأرض ، وأنها أحط قدرا من أن تسمو عن الكينونة فى الأرض ، فأين هى وأين منزلتها من بارئ السموات والأرض ؟

هذا ولما ضيق عليهم مسالك القول بما تفهمه العقول ، انتقل بهم الى أسلوب آخر فقال : « أم بظاهر من القول » . أى أم تنبئونه بكلام لا يقصد به معنى معقول ، وإنما هو من الكلام الظاهر الذى إن ذهبت تتفحصه وتبحث عن حقيقته لا تجده شيئا ولا يحوى شيئا . وهذا شرح ما قاله المفسرون أن معنى ظاهر أى باطل .

يشبه هذا الأسلوب — ولكلام الله المنزلة العليا — قولك وقد بان بطلان كلام من يحاجّك : « كأنك تمزح » أى إن كلامك لا يمكن أن يجد مجالا من الجد يسير فيه ، ولا مأوى من المعنى الصحيح يركن اليه ، فلم يبق إلا أنك فى هذا القول تقول هراء أو تمزح مزحا . وفى تنوين ظاهر معنى التحقير المستفاد من التنكير ، أى بشىء لا يؤبه له ولا يلتفت اليه ، ولا يهتم أحد بأن يعرفه . واختيار كلمة « القول » دون الكلام مثلا للإشارة الى أن هذا الذى تتفوهون به لا يعدو أنه شىء تتحرك به الألسنة وليس مما يقصد به الإفادة . قال ابن جنى فى خصائصه فى بيان الفرق بين الكلام والقول ما معناه : إن الكلام هو اللفظ من حيث يعطى الإفادة التامة ، والقول هو اللفظ من حيث يتحرك به اللسان . واستشهد على ذلك بتصاريف الحروف فى مادة — كلم ، ومادة — قول ، فإن الأول فى تقلبات حروفها تعطى معنى القوة ، كملك وكمل ولكم ، بينما الثانى يعطى معنى الحركة كقولهم : ولق إذا أسرع والولق الجنون وفيه من الحركة والاضطراب ما لا يخفى ، ويقال القلو لحمار الوحش السريع الحركة ، وقلا البسر يقلوه ، فإنه يخف حينئذ أو يحرك على النار ، واللوق : الحمق ، ومنه الألوق ، ولا تخفى حركته . وقد أطال

فى ذلك صاحب الخصائص بما جعله بينا واضحا . فترى أن قوله : « بظاهر من القول » يفيد من تحقير ما تحركت به ألسنتهم ما لا يفيده التعبير « بظاهر من الكلام » مثلا ، إذ لا يليق هذا فى مقام الحط من شأن ما يقولون .

لعلك لا تستطيل الكلام فى بيان سر البلاغة فى أسلوب القرآن الكريم حتى فى اختيار الكلمة ، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام ، فقد أردنا أن نرشدك ببارقة الى نموذج من عجائب أسرار القرآن الكريم الذى لا تنفد عجائبه .

أما قوله عز وجل : « بل زُين للذين كفروا مكرُهم وصدوا عن السبيل » فهو من باب التسجيل عليهم والتعرض لهم أنفسهم ، بعد ما كمل الشرح واستبان الأمر فى شأن مقالتهم ، فكأنه يقول : دع كلامهم ولا تعنى به ، فقد تبينت قيمته وارجع الى فحص حالهم تجدهم ممن زين لهم سوء عملهم فرأوه حسنا ، فكيف ينتظر منهم أن يهتدوا وقد انحرفت عقولهم وانعكست أفكارهم فحسبوا السوء حسنا ؟ إن من وصل به فساد الطبع الى أن يظن الحسن قبيحا والقبيح حسنا ، لا يرجى له هدى ، ولا يتوقع منه إقلاع ، ولا يؤمل فيه فلاح :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم !

فوقع هذه مما قبلها موقع التسجيل عليهم والتيئيس منهم ، على حد قولك : دع فلانا فقد فسد طبعه فلا أمل فيه . والتعبير عنهم بالاسم الموصول (الذين كفروا) بدل الضمير الذى هو مقتضى الظاهر ، بأن يقال : زين لهم ، لمزيد التشنيع عليهم وإبرازهم فى الثوب اللائق . والمكر : الكيد والخديعة ، كانوا يكيدون للاسلام حتى يشوهوه فى نظر الراغب فيه فيصرفوه عنه ، ويرون هذا من المهارة فى المغالبة ، فيفرحون ويسترسلون ظانين أن قد ظفروا بطائل ، وهذا من تزيين مكرهم لهم ؛ وكانوا يخادعون فيموهون على البسطاء بخيالات يبرزونها فى صورة الحقائق ، فإذا ما انطلت على فئة ضعيفة العقل فرحوا بها ورأوا ذلك حسنا فتمادوا فيه . فالمكر إما فى الكيد للاسلام ، وإما فى التحايل على تصوير ما لا أصل له بصورة المحقق ، وكلاهما مما يروق فى نظر المخذول بخذلان من الله ،

وقانا الله شر الخـذلان ؛ ومَن زين له سوء عمله فرآه حسنا لا ينتظر منه إلا أن يدوم ارتـكاسه فيه ، ولا يفكر فى التماس سبيل للخلاص منه ، فهم ألبتة قد صدوا عن السبيل . فقوله : وصدوا عن السبيل ، تدرج من الشىء الى مايتبعه ويأتى بعده . وقد قرئ وصُدوا بالبنـاء للمفعول ، أى صدهم الله بخـذلانه إياهم ، أو صدهم الشيطان بمـا وسوس لهم ، كقوله تعالى : « وزين لهم الشيطان أعمالهم » وقرئ وصدوا بالبناء للفاعل ، إما بمعنى أعرضوا ، من قولهم : صد عن كذا أعرض عنه ، أو صدوا غيرهم لأنهم كانوا يصدون عن سبيل الله من أراد أن يؤمن . وتعريف السبيل بالألف واللام المراد منه سبيل الله ودين الحق ، وكأنه للإشارة الى أنه هو الجدير أن يسمى السبيل ، إذ يوصل الى الغاية العظمى ، وهى السعادة الأبدية ، وأما غيره فلا يوصل الى مقصد ، فلا يستحق اسم السبيل .

قال تعالى : « ومن يضلل الله فما له من هاد » :

حـكم حاسم فى أمرهم ، مؤيس من صلاح حالهم ، أى فـلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ولا تبـال بهم ، فهكذا إرادة الله فى شأنهم . وما أشبه هـذا بأن يكون التسجيلَ الأخير فى شأنهم ، فليس لمـا أراد الله راد .

هذا ومعنى من يضلل الله ، أى يختم على قلبه ويقض عليه بالشقاء . والتعبير بيضلل كأنه لأن المرء فى حياته مقصدا يسعى اليه ويتجه نحوه ، وهو إحراز السعادة والنعيم المقيم ، فإذا سلك فى عمله مسلـكا لا يصل به الى هذه الغاية كان كمن ضل الطريق فى سيره ، فكلما ازداد سعيا ازداد عن مقصده بُعدا . هذا هو شأن الضال الذى يسير على غير هدى ، والمرء قـد يضل ثم يهتدى ، ولـكن هل من كان إضـلاله من الله وبختم الله على قلبه ينتظر أن يتخلص من ضـلاله ؟ كلا ، لا سبيل الى هـذا ، فلا يغلب الله غالب ، ولا يعارض إرادته معـارض .

« لهم عذاب فى الحياة الدنيا ولَعذابُ الآخرة أشق وما لهم من الله من واق » :

بعد أن تم القول فى صفاتهم ، وسجلت عليهم الضلالة الدائمة التى لا ينتظر مفارقتها

لهم ولا مفارقتهم لها ، لم يبق إلا التطلع لجزائهم الذى يستحقونه ، ونتيجة تلك الحالة السوءى ، وبيان عقباهم وما يستحقون ، وهذا مابينه تعالى بقوله : «لهم عذاب فى الحياة الدنيا » أى عذاب شاق . وهذا مستفاد من قوله : « ولعذاب الآخرة أشق » فإنه يفيد اشتراك العذابين فى أصل المشقة وزيادة عذاب الآخرة فيها ، كما هو شأن اسم التفضيل . وعذاب الدنيا الشاق منه التعرض للقتل والسبى ، ومنه حرمانه مما يترتب على مصائب الدنيا من أجر الصابرين إذا كانوا مؤمنين ، ومنه ما يلحق الكافرين من ألم الحيرة وعدم طمأنينة النفس لبرد اليقين الذى منّ الله به على المؤمنين . وأما كون عذاب الآخرة أشق ، فلشدته ، ولتعدد أنواعه ، ولخلوه من مخالطات النعم التى توجب نوعا من الراحة ، بخلاف مصائب الدنيا فإنها مشوبة بنعم تخفف وقعها ، ثم لدوامه وخلوده وعدم انتظار فرج ومخلص منه . وكفى بهذا الأخير موجبا للمشقة .

وقوله تعالى : « وما لهم من الله من واق » تحتيم للدوام ، وقطع لأمل انقطاعه عنهم ، وكأنه فى مقابل انقطاع الأمل من رجوعهم عن غيهم وإقلاعهم عن ضلالهم . ومن الجارة فى قوله : « من الله » متعلق بواق ، ومن فى « من واق » زائدة لتأكيد عموم النفى ، أى ليس لهم واق يقيهم من عذاب الله .

« مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها ، تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار » :

جرت عادة القرآن الكريم أن يردف آيات العذاب والوعيد بآيات الرحمة والوعد ، ليكون المرء بين عامل الرغبة وعامل الرهبة ، فبعد أن يزعجه بوعيد العذاب حتى يصير من الهول متلفتا ذات اليمين وذات الشمال يبتغى المهرب والفرار مما أزعجه وملأ بالرعب جوانحه ، يلوح له بالمرغب ، وهو ما أعد الله من دار الكرامة والنعيم لعباده المؤمنين ، وهذا ما ذكره عز وجل هنا .

والمثل معناه الصفة ، وأكثر ما يستعمل فى الصفة التى تجلو الموصوف واضحا

وتصوره كأنه ماثل أمامك ، أو الصفة العظيمة العجيبة التى تجعل الموصوف كأنه مثل يتمثل به لغرابته وعظمه الذى يتعجب منه ، فكأنه مضرب الأمثال . وإذ كانت (مثل) بمعنى صفة فهى مبتدأ ، والخبر قوله : « تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها » ، ولا يحتاج هذا الخبر الى ضمير يعود الى المبتدأ ، لأن ما فى جملة الخبر هو عين الصفة المخبر عنها . وقد وصفت الجنة بصفات ثلاث :

١ — تجرى من تحتها الأنهار ، وهذا مع مايعطيه بحسب العادة من ضمان استمرار النضرة والازدهار فى أشجارها وثمارها ، يعطى معنى الابتهاج والمسرة والغبطة المقيم فيها المشاهد لها .

٢ — أكلها دائم ، وهذا مع ما فيه من ضمان دوام النعيم ، يعطى راحة النفس بأمنها من الانقطاع ، فليست النعمة فيها عرضة للزوال ، ولا النفوس قلقلة من الخوف عليها من ذلك .

٣ — وظلها ، أى دائم أيضا . والمعنى لا شمس فيها ولا زمهرير ، ولا ظلمة تقبض النفس ، فإن حالة الظلام لا تسمى ظلا ، وإنما يقال الظل للحالة التى فيها ضوء خال من ضح الشمس المحرقة والظلام القابض . وأما قولهم : فى ظل الليل ، فمن باب التجوز كما يقولون : فى كنف الليل ، كأن الليل بستره عما يتهدده قد آواه الى ظله ، وذلك كما يقال : عاش فلان فى ظل فلان . والظل إنما يمتن به إذا لم يلابسه البرد القارس والزمهرير . وهذه الصفات ترى فيها المقابلة لما أشير اليه فى جانب عذاب الآخرة للكافرين بقوله : « أشق » على ما سبق بيانه .

هذا ولا معارضة بين قوله تعالى : « أكلها دائم وظلها » وبين قوله جل شأنه : « كل شىء هالك إلا وجهه » فإن دوام الأكل معناه دوام نوعه بتجدد أشخاص متتالية ، وكل شخص فانٍ وهالك ، ويتجدد غيره من نوعه . ويرى بعضهم أن معنى فانٍ أى قابل للفناء ، لأنه لما كان ممكنا لا وجود له من نفسه فوجوده عرضة للزوال ، فيصح إطلاق الهلاك عليه نظرا لهذا المعنى .

« تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار » :

التصريح بهذا مع علمه من سياق حال الفريق الأول ووعيده بنزول العذاب فى الدنيا والآخرة ، لأن فى التصريح فى مقام الترغيب والترهيب ما ليس للدلالة الضمنية والإشارية . كيف والغرض هو ملء القلوب بالرغبة والرهبة ، وهذا يستدعى أجلى ما يكون من الإيضاح والتصوير ؟ وعقبى الشىء آخره ومنتهى أمره ، مأخوذ من عقب الرجل وهو آخر ما يرى من أثره . « واتقَوا » من الوقاية وهى الحفظ . والاتقاء منه اتقاء الكفر بالإيمان ، واتقاء المعصية بالطاعة ، واتقاء الاسترسال فى المباحات والشبهات بالورع والزهد . ويصح أن يكون المراد اتقوا عذاب الله وغضبه ، كما فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم نارا » أى احفظوها منها . فمعنى اتقوا على هذا تحفظوا من أن يصيبهم عذاب الدنيا وعذاب الآخرة الذى هو أشق .

وقوله : « وعقبى الكافرين النار » تصريح لزيادة التقرير لما علم من قوله : « لهم عذاب فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق » وليكون عرض الفئتين معا فى صعيد واحد أبينَ لحال كل منهما ، فأبينُ ما تكون النعمة إذا قورنت بالنقمة ، وأبين ما تكون النقمة إذا قورنت بالنعمة .

اللهم إنا نرجو رحمتك ونخاف عذابك ، فوفقنا لطاعتك ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ؟

ابراهيم الجبالى

من آداب المجالسة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا جلس اليك أحد فلا تقم حتى تستاذنه .

جلس رجل الى الحسن بن على عليهما الرضوان فقال له : إنك جلست الينا ونحن نريد القيام أفتاذن ؟

قال سعيد بن العاص : ما مددت رجلى قط بين يدى جليسى ولا قمت حتى يقوم .

أسئلة متنوعة

وردت على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ يوسف الدجوى خاصة فاجاب عنها ، ونحن ننشرها تعميما لفائدتها

التصوير :

ما حكم الصورة الفوتوغرافية أو الفنية لإنسان أو حيوان أو غيرهما كالأشجار من حيث النظر والاستصناع ؟

الجواب :

يباح التصوير إن كان لصورة غير حيوان كالأشجار والبناء ، ويباح النظر للصورة سواء أكانت كاملة أم ناقصة ، لها ظل بأن كانت جسمية أم لا كالفوتوغرافية .

أما إن كان التصوير لحيوان سواء أكان إنسانا أم لا ففيه تفصيل : فإن كانت الصورة لا ظل لها كالفوتوغرافية كره عملها والنظر اليها ، وإن كان لها ظل فاستصناعها والنظر اليها حرام إن كانت تامة الأعضاء ، وإلا فعملها والنظر اليها مكروهان أو خلاف الأولى .

هذا كله مقتضى مذهب مالك ، والله أعلم .

الصلاة خلف مرتكب الكبيرة :

هل تصح الصلاة خلف مرتكب الكبيرة أو لا ، وعلى الصحة فهل مع الجواز أو الكراهة ؟

الجواب :

لا تشترط العدالة فى الإمامة على الصحيح ، وإنما هى شرط كمال فقط . فالصلاة خلف

مرتكب الكبيرة صحيحة مع الكراهة . ونص المتون عندنا معشر المالكية أنه يكره إمامة فاسق بجارحة ولو لمثله على الصحيح ، أى وتحرم خاف فاسق العقيدة ، والله أعلم .

حلق اللحية :

هل يجوز حلق اللحية أو يحرم ؟

الجواب :

حلق اللحية حرام لما ورد « قصوا الشوارب واعفوا اللحى » . والأمر يحمل على الوجوب ما لم يصرفه صارف عن ذلك .

نعم إذا طالت كثيرا يستحب تقصيرها لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم « كان يأخذ من عرض لحيته وطولها » . وهل المطلوب التقصير بقدر ما تحسن به الهيئة أو تقصير ما زاد على القبضة ؟ قولان ، الظاهر منهما الأول .

ومن أرباب المذاهب من يقول بالكراهة فقط . فعلى من ابتلى بذلك وكان يشق عليه الخلوص منه كالمسكر مثلا ، أن يقلد المشهور من مذهب الشافعى مثلا ، والله أعلم .

ثبوت رمضان بالراديو :

وجاءنا من البحرين من حضرات الأفاضل أصحاب التوقيع ما نصه :

حضرة الأجل الفاضل علم الفضائل الشيخ يوسف الدجوى المحترم ، حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : فنفيد فضيلتكم أنه فى دخول شهر رمضان السنة الماضية فى أول ليلة منه وردتنا أنباء من مصر بواسطة الرادبو برؤية هلال رمضان وثبوته الثبوت الشرعى بمصر ، والحال أنه فى تلك الليلة لم ير الهلال عندنا بالبحرين . وبسبب أننا لا نعرف المذيع لهذه الأخبار ولا من تصدر عن أمره توقفنا عن تبييت الصيام تلك الليلة اعتماداً على هذه الأنباء . وقد كتبنا لمجلة الأزهر إذ ذاك فلم تكتب شيئا فى الموضوع . فرجانا من فضيلتكم الإفادة الشافية عن ذلك .

الداعون لكم بخير قضاة محكمة الشرع بالبحرين

محمود عبد اللطيف ، عبد اللطيف سيد محمد ، عبد اللطيف على

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد فقد نص فى مذهب مالك رضى الله عنه على أنه إذا ثبت شهر الصوم لدى حاكم وإن لم يحكم به ونقل ذلك الثبوت الى جهة أخرى بواسطة رجلين عدلين أوجماعة كثيرة يفيد خبرهم العلم بمضمونه أوالظن القريب منه ، أو بواسطة رجل عدل ، فإن الشهر يثبت فى حق أهل الجهة المنقول اليها ، ويجب عليهم الصوم بناء على ذلك الخبر ، فإن المسألة من باب الرواية التى يكفى فيها خبر العدل الواحد ، وإن كان ثبوت الشهر عند مالك لا بد فيه من عدلين رأيا الهلال أو جماعة مستفيضة .

ونص المالكية أيضا على أنه يعتمد فى الصوم والفطر على القرائن الدالة عادة على ثبوت شهر رمضان أو شوال ، كصوت المدافع وإضاءة المآذن ، كما يعتمد على صوت المؤذن فى معرفة وقت الصلاة ، لجرى العادة بتوجيه الإنكار الشديد اليه من جماعة المسلمين لو كذب .

ونص مولانا الشيخ عليش فى فتاويه على أنه يعمل بالإشارات التلغرافية فى الصوم لأن التلغراف أداة معتبرة للتخاطب من المسافات البعيدة والقريبة بين ملوك العالم وحكامهم والناس أجمعين ؛ وعلى أن من أفطر فى رمضان بعد وصول خبر الصوم له بواسطة السلك متأولا بأن هذا الخبر مبناه أقوال المنجمين التى لا تعتبر فى ثبوت الشهر شرعا ، فإنه تجب عليه الكفارة (فضلا عن القضاء) لأنه متأول تأويلا بعيدا لجهله وسوء ظنه فلا عبرة بتأويله . (وألفت نظرك لجعله ذلك جهلا وسوء ظن) . والراديو بتلك المنزلة . ولا يتصور أن يذاع مثل ذلك الخبر فى المذياع الذى يخترق الآفاق شرقا وغربا من غير أن يكون له حقيقة ، فإن فى ذلك كذبا على الحكمة الشرعية التى أخبر أنها أثبتت رؤية الهلال ، وفيه تعريض الحكومة والأمة لما لا ينبغى لدى الأمم الأخرى . ومن ذا يعرض نفسه لتبعة ذلك وما يترتب عليه فى مثل تلك الفريضة

التى يهتم بها المسلمون غاية الاهتمام ؟ وأكبر ظنى أن القانون يعد ذلك من الجرائم ويعاقب عليه . فالجناية إذاً مضاعفة وماسة بشرف الأمة والحكومة جميعا ، وذلك كله موجب لتصديق الخبر والاعتماد عليه . على أن الظن كاف فى هذه المسائل الفرعية ، ولا عبرة بتلك الاحتمالات العقلية .

الخلاصة :

والخلاصة أن مدار وجوب الصوم فى رمضان والفطر أول شوال على الظن الغالب بثبوت شهر الصوم أو الفطر .

وحيث إن الغالب فى الأخبار التى ترسل بواسطة التليفونات أو التلغرافات السلكية واللاسلكية أو المذياع إنما هو الصدق بعد تحرى الحقيقة ، وإن كان المذيع أو عامل التليفون والتلغراف قد يكون غير عدل شرعا أو اختلفت حكومة الجهتين المنقول منها وإليها ، فذلك لا يمنع غلبة الظن التى هى مناط العمل بالأحكام الشرعية العملية كأحكام الصوم والصلاة وما اليهما من المعاملات ، فإن الشارع جلّت حكمته لم يكلفنا فى العمل بالقطع واليقين دفعا للحرج (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) .

ومعلوم أن الأحكام العملية يكفى فيها الظن وأنه لا يجب فيها اليقين . وقد قالوا : إن غلبة الظن فى دخول وقت الصلاة كافية ، وقالوا : إن المجتهد يجب عليه العمل بما أداه اليه اجتهاده ، وإن المسائل القطعية ليست من مباحث الفقه . ولا يعقل فى الملة الحنيفية السمحة التى تقول : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وتقول : « إن هذا الدين يسر » إلا هذا .

ولو قلنا إن أخبار المذياع والبرقيات السلكية واللاسلكية لا يعول عليها بناء على هذه الاحتمالات ، لوصمنا الدين الاسلامى البعيد النظر الواسع الحكمة بالجمود الذى يبرأ منه وينعاه على أهله ، ولصيرناه مضغة فى أفواه أعداء الدين ، وسخرية بين الزنادقة والملحدين ، ولكان غير صالح لكل عصر من العصور ، وحاشاه من ذلك .

ولو فرضنا أن المذيع أو عامل التليفون غير عدل أو غير مسلم لم يضر ذلك شيئا، لأن الخبر ليس منه، وإنما هو مأمور بتوصيله الى الجهة المعينة. فهو كالبريد الذى يحمل الوسائل.

وعلى كل حال فليس هناك معنى لأن يغلب على ظن الانسان ثبوت رمضان بأى وسيلة من الوسائل التى تحتف بها القرائن الموجبة لغلبة الظن ثم يصبح مفطرا بعد ذلك.

ولا شك أنه قد وجدت وسائل كثيرة فى هذا العصر لم تكن معروفة فى العصور الأولى.

والمدار فى كل ذلك على حصول المقصود الذى هو الظن الغالب. والحكم يدور مع علته وجودا وعدما. (وإلا لم تكن الوسيلة وسيلة، بل كانت مقصدا وقد فرضناها وسيلة). والشارع لم ينط الأحكام إلا بحصول الظن الغالب.

فهذا هو اللائق بنظر الاسلام الواسع حتى يكون دين العصور كلها والأمم كلها، وتكون حجته قائمة على المخالفين فى كل زمان ومكان. نعم بعض الأحكام العملية لا يثبت عند الاحتمال وقيام الشبهة كوجوب القصاص فى الجناية على النفس، ولكن ذلك لدليل خاص كقوله صلى الله عليه وسلم: « ادرءوا الحدود بالشبهات » وذلك لخطر القصاص. هذا ما نقول به ولا نفتى بشىء سواه.

نسأل الله أن يعصمنا من الزلل، ويمنعنا من الخطل، وأن يلهمنا الرشد فى العلم والعمل، ولا يكلنا لأنفسنا طرفة عين بمنه وكرمه؟

يوسف الدجوى
من جماعة كبار العلماء

علامات الجهال والحمقى

قال أبو الدرداء: علامة الجاهل ثلاث: العجب، وكثرة المنطق، وأن ينهى عن شىء ويأتيه.

وقال ازدشير بحسبكم دلالة على عيب الجاهل أن كل الناس تنفر منه ويغضب من أن ينسب اليه.

نظرة جامعة فى تاريخ الاسلام فى بولونيا

وأحوال المسلمين فيها

كان المسلمون بعد أن انقسمت بولونيا بين الروسيا والمانيا والنمسا يرجعون فى كثير من شئونهم الدينية الى مفتى بلاد القرم، ونظرا للاضطرابات السياسية فى ذلك الوقت لم يكن اتصال المسلمين البولونيين بهذا المفتى ميسورا فى جميع الأحايين، وظلت الحالة على ذلك الى أن استقلت بولونيا سنة ١٩١٨، وبدأ المسلمون البولونيون يفكرون فى تكوين جمعية إسلامية، فتم لهم ذلك سنة ١٩٢٥، ودعت هذه الجمعية المؤتمر الاسلامى البولونى للانعقاد فى مدينة فيلنو حيث انتخب الحاج دكتور يعقوب شينكيفتش مفتيا أكبر لمسلمى بولونيا، وقرر مجلس النواب البولونى انتخابه، واعتمد المبالغ اللازمة للإنفاق على إدارة الإفتاء، وصرف رواتب الأئمة والمؤذنين ونفقات تشييد المساجد وإصلاحها، ويبلغ ما تعتمده الحكومة فى هذه الشئون حوالى ٦٦٠٠٠ زلتى (يساوى ٢٤٤٤ جنيها مصريا و٤٤٤ مليما) بما فيها ٢٠٠٠٠ زلتى تخصص لإصلاح وتشييد المساجد. ويلاحظ أن هذا المبلغ ليس بالقليل بالنسبة لعدد المسلمين فى بولونيا.

ومركز إدارة الإفتاء يوجد فى إحدى دور الحكومة الكبرى فى مدينة فيلنو، وبذلك فهى لا تتحمل مصاريف إيجار، وتتألف تلك الإدارة من المفتى الأكبر وقاضى المسلمين والسكرتير العام، ويشرف المفتى على أعمال الأئمة والأوقاف، وله وحده حق الإفتاء فى شئون المسلمين الدينية، ويتولى صرف الاعتمادات حسب مايتراءى له ومباشرة حركة الوعظ والإرشاد، ويتولى القاضى الفصل فى الأحوال الشخصية للمسلمين كالزواج والطلاق والنفقة والميراث، ويقوم المفتى بالإشراف بجانب ذلك على تفتيش المساجد.

بجانب تلك الهيئة المركزية فى مدينة فيلنو توجد جميات أخرى منتشرة فى الأقاليم التى يقطنها المسلمون . وتتكون كل جمية إقليمية من خمسة أعضاء برأسهم إمام الدائرة التابعة لها هذه الجمية وأربعة أشخاص آخرون ينتخبون لمدة سنة كاملة من مسلمى تلك الدائرة ، ولا يتم إقرار انتخابهم إلا بعد موافقة المفتى الأكبر ، وتتولى هذه الهيئات تنظيم المقادير الاسلامية وإصلاح المساجد ومباشرة الأوقاف داخل الأقاليم .

عندما يراد انتخاب إمام أو مؤذن فى بلد ما يجتمع مسلمو هذا البلد فى جمية عمومية ويجرى الانتخاب كالمعتاد ، إلا أنه لا يحصل إقرار المنتخبين إلا بموافقة المفتى الأكبر ، وليس للحكومة أن تتدخل بعد ذلك فى هذه الشئون ، بل تترك للمسلمين أنفسهم حرية التصرف فى أعمالهم الدينية وانتخاب ما يشاءون للإفتاء والإمامة وغيرها من الوظائف الدينية المختلفة .

تشبه المساجد فى بولونيا المساجد القروية فى مصر فى بساطتها ، إلا أنها تختلف عنها فى بنائها ، فأغلبها من الخشب ، وهى خالية من كل زخرف وزينة ، صغيرة الحجم نسبيا ، ويبلغ عددها ستة عشر مسجدا موزعة بين البلاد التى يكثر فيها المسلمون ، وأهم هذه البلاد مدينة فيلنو ونوفاجرودك وأسلونيم كما أسلفنا ، ويحتوى كل مسجد على مئذنة ومنبر يبلغ عادة من ثلاث الى سبع درجات كما كانت عليه الحال فى صدر الاسلام ، ويوجد قسم مخصوص للسيدات فى خلف المسجد مفصول عن قسم الرجال بحاجز من الخشب به نوافذ ذات ستائر من القماش الخفيف يسمح لهن بسماع القرآن والخطبة ، ولهذا القسم مدخل خاص منعاً لاختلاط الرجال بالنساء فى مكان واحد وقت العبادة .

ينتمى أغلب المسلمين البولونيين الى مذهب أبى حنيفة النعمان ، ومعظم كتبهم الدينية منقولة عن الكتب الموجودة فى تركستان وغيرها من البلاد الاسلامية الواقعة على ضفاف نهر الفلجا وشبه جزيرة القرم ، وتنقسم تلك الكتب من الوجهة الشكلية الى قسمين :

أولا — كتب مكتوبة بحروف عربية .

ثانيا — كتب مكتوبة بحروف لاتينية .

وتنقسم الأولى الى ثلاثة أقسام ، وهى :

(أ) كتب مكتوبة بحروف عربية ولغتها عربية أيضا .

(ب) كتب مكتوبة بحروف عربية ولكن لغتها جغاتائية (إحدى اللغات التركية التى كانت منتشرة فى القرن الرابع عشر ميلادية فى بلاد التركستان) .

(ج) كتب مكتوبة بحروف عربية ولكن لغتها بولونية .

وأهم هذه الكتب هى :

١ — القرآن الكريم وهو مكتوب باللغة العربية .

٢ — كتب التفسير وهى مكتوبة بأحرف عربية ولكن اللغة البولونية ، وتوجد بعض النسخ مكتوبة باللغة الجاغاتائية وبهامشها ترجمة باللغة البولونية مكتوبة بحروف عربية .

٣ — كتب التجويد مكتوبة باللغة الجاغاتائية وبهامشها ترجمة باللغة البولونية مكتوبة بحروف عربية .

٤ — كتب الورد ، ويطلق عليها فى بولونيا «حمائل» ، وهى كتب تحتوى على أدعية بعضها مكتوب بلغة عربية والبعض الآخر باللغة الجاغاتائية ، وتحتوى غالبا على مقدمة باللغة البولونية ، وتشمل علاوة على ذلك بعض الخطب الدينية وقواعد الوضوء والغسل والفروض الدينية .

٥ — بعض كتب التاريخ ، ويشتهر من بينها كتاب اسمه « الكتاب » وهو يحتوى على تاريخ الأنبياء والقصة النبوية والحديث وبعض بيانات عن قواعد الدين الاسلامى وعن الأدب العربى الاسلامى وبعض القصص الأخلاقية مكتوبة بحروف عربية ولكن لغتها بولونية .

٦ — بعض الكتب الدينية مترجمة الى اللغة البولونية ، ويشمل أغلبها بيانا عن قواعد الاسلام وتفسير القرآن وتاريخ بعض الأنبياء .

ويجتهد مفتى بولونيا الأكبر فى ترجمة بعض الكتب الدينية الى اللغة البولونية .

يتلقى أبناء المسلمين علومهم فى مدارس أهلية حيث لا فرق بين المسلم وغير المسلم . والنظام المتبع لتعليم الديانة فى هذه المدارس هو أن يخصص للطالب ساعتان من كل أسبوع يحضر فيها على معلم دينى من ملته ، وتوظف الحكومة فى مدارسها بعض رجال الدين من كل ملة ، فيحضر الطلاب المسلمون على أئمتهم والمسيحيون على قساوستهم وهكذا ، وتهتم الإدارة الدينية الاسلامية فى نشر الثقافة الاسلامية بين أبناء المسلمين وحثهم على أداء فرائض الله عز وجل ، وتهتم بعض جامعات بولونيا بدراسة اللغات الشرقية وأصولها وخصوصا اللغة العربية ، وتوجد مؤلفات مختلفة عن حضارة الاسلام . وللمسلمين الآن بعثتان تدرسان الدين فى الخارج ، إحداهما بالجامعة الأزهرية فى مصر ، والثانية بالمدرسة الاسلامية فى سارائيفو بيوجوسلافيا ، وهم يأملون أن يكون لهم معهد خاص فى بولونيا لدراسة الدين الاسلامى .

فى عام ١٩٢٥ تكونت الجمعية الاسلامية وأسست لها فروعا فى كل الجهات التى يسكنها المسلمون ، وأهم أغراض هذه الجمعية نشر الثقافة الاسلامية والتعاليم الدينية وجمع المعلومات عن تاريخ الاسلام ونفى الشبهات والتهم التى ينشرها المفسدون ليسيئوا سمعة الدين وتعاليمه القويمة ، ومن أغراضها العمل على تقوية أواصر الصلة بين مسلمى بولونيا والمسلمين فى الخارج ، وللجمعية الاسلامية مجلس شورى مركزى مقره مدينة وارسو يقوم بدعوة المؤتمر الاسلامى البولونى كلما دعت الحالة للنظر فى بعض شئون المسلمين ، ويرأس هذا المجلس فى الوقت الحاضر أولجرت كريتشيتسكى وكيل النائب العمومى فى محكمة بولونيا العليا ، ويمثل هذا المجلس صوت مسلمى بولونيا جميعا ، ويشترك النساء فى انتخاب أعضاء المجلس ، وذلك عملا بالحرية الممنوحة لهن كما أسلفنا .

عند ما قامت الثورة فى بولونيا كوّن البولونيون جمعية عسكرية للدفاع عن استقلال البلاد تحت رئاسة المرحوم المارشال بلسودسكى ، وانتشرت فروع الجمعية فى أغلب الأقاليم البولونية ، تقوم بنشر الدعوة الى الاتحاد والعمل على خلاص البلاد من أيدى المغتصبين ، وقد حققت هذه الجمعية استقلال بولونيا عام ١٩١٨ فكان هذا داعيا الى تقوية مركزها وكثرة أعضائها فى كل مكان .

كان يمثل المسلمين فى هذه الجمعية فرقتان ، إحداهما فى أسلونيم ، والأخرى فى نوفاجرودك ، تمتازان عن الفرق البولونية الأخرى التابعة لهذه الجمعية بزى أفرادها وقبعاتهم التى تحمل عادة إشارة مكونة من الهلال يتوسطها نسر أبيض ، وقائد هاتين الفرقتين الكولونيل مصطفى بيراشفسكى ، وللنساء حق الاشتراك فى عضوية هذه الفرق ، فيتاح لهن بذلك التمرين على أعمال الجندية والشئون الحربية ، وهذا مظهر من أرقى مظاهر الاتحاد للقيام بالواجب نحو الوطن ، ولا فرق هنا بين المرأة المسلمة وغير المسلمة ، فكلهن سواء فى الحقوق والواجبات .

« يتبع » على اسماعيل فوروتوفتش ، محمد سيد الحوى

فضيلة العلم

قيل للمهلب بن أبى صفرة : بم أدركت ما أدركت ؟ قال : بالعلم . قيل له : فان غيرك قد علم أكثر مما علمت ولم يدرك ما أدركت . قال المهلب : ذلك علم حمل ، وهذا علم استعمل .

وقال بعض الحكماء : العلم قائد ، والعقل سائق ، والنفس ذود (أى جماعة من الابل) ، فان كان قائد بلا سائق هلكت ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا ، وإذا اجتمعا أنابت طوعا أو كرها .

وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة : من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ، ومن أراد أن يكون أديبا فليتفنن فى العلوم .

وقال ابن عباس رضى الله عنه : كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسع جهله ، وكفاك من علم الآدب أن تروى الشاهد والمثل .

المنبوذون فى الهند

كتاب السير محمد إقبال الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

لما ظهرت مسألة المنبوذين واقتضت الحال أن يعنى الازهر بشأنهم من الناحية الدينية رأى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر أن يتعرف آراء بعض كبار الهنود المسلمين فيما يجب اتخاذه من الاهب لذلك ، فكتب لحضرة السير محمد إقبال وهو من أعرف الناس بتلك الشئون هناك يطلب رأيه فيما نحن بصدده . فوصل جوابه الى فضيلة الاستاذ الاكبر ، ونحن ننشره لاطلاع القراء عليه :

يا صاحب الفضيلة : تسلمت كتابكم الكريم ، وأرجوكم العذر فى تأخير الجواب عليه ، فقد كان لا بد لى من القيام ببعض الاستعلامات قبل الكتابة . لقد رجعت الى بعض الجمعيات الاسلامية والجمعيات التعليمية الكبرى بالهند ، وأستطيع الآن الاجابة عن النقط التى سألتم عليها .

لقد وفقتم بلا شك الى فكرة جليلة باقتراحكم إرسال بعثة مصرية الى بلاد الهند . فإن الاسلام فى الهند يسير سيرا حثيثا على مر الأيام . ولا شك عندى أن اعتناق المنبوذين الاسلام سيكون فرصة نادرة المثال فى تاريخ الهند ، وينتظر أن يكون له أثر عظيم فى مستقبل الاسلام بآسيا جميعها . إن الدخول فى الاسلام ليس مقصورا على المنبوذين وحدهم ، ولكنه يجد طريقه أيضا ، وإن يكن ببطء ، الى البيئات الهندية العالية . ولا بد أنكم قرأتم فى الجرائد الهندية أن نجل المهاتما غاندى قد دخل فى الاسلام فعلا . ثم إنه لا يمضى أسبوع إلا ويدخل فى الاسلام واحد من الطبقة العليا من الهنود فى مساجد الهند .

إنه ليبدو لى أن قد حانت للاسلام بالهند فرصة الفرص . ومن العجيب أن هذه الفرصة قد أوجدتها قوة عظيمة لم يستطع أحد من قبل التنبؤ بها .

أما فيما يتعلق بالمنبوذين فتقوم عقبة واحدة يكاد يكون التغلب عليها مستحيلا ،

لأن معظم المنبوذين يعيشون فى جنوب الهند ، ويتكلمون ست لغات مختلفة ليس فى إمكان إحداها التعبير عن سمو الأفكار الدينية ، ومن هنا يتضح لفضيلتكم صعوبة إيجاد مترجمين ينقلون خطب بعثتكم الى لغات المنبوذين . إن جمعياتنا الاسلامية لم تجد الى الآن حلا لهذه المعضلة . وعلى ذلك ليس محتملا أن تلاقوا نجاحا فعليا فيما يتعلق بأعمال التبشير حتى بمساعدة الجمعيات الاسلامية الهندية .

لقد استشرت جمعيتين من أكبر الجمعيات الاسلامية بالهند فأكدتا لى أنهما ستقومان بمساعدة البعثة المصرية بكل الوسائل الممكنة ، إلا أن هذا لا يذهب مخاوفى مما أبديته لكم .

وإنى على الرغم من ذلك أشعر أن ستكون زيارة البعثة المصرية للهند ذات أثر طيب فى الحركة الاسلامية ، كما سيكون لها أثر فى نشاط الجمعيات الاسلامية فى هذه البلاد ، وستكشف للطبقة العليا بالهند أهمية الإخاء الروحى بين المسلمين وانتشاره فى جميع أنحاء العالم . فإذا كنتم على الرغم من الصعوبة التى ذكرت ترون إرسال بعثة الى الهند ، فإنى أود أن أتقدم اليكم بالاقتراحات الآتية :

١ — ينبغى أن تتكون البعثة من علماء عليهم سيما الوجاهة ، ويستطيعون عرض الدين الاسلامى فى ضوء الأفكار والتجارب الحديثة . وينبغى أن يكونوا ملمين بالحقائق والأرقام الدالة على كيفية رفع الاسلام للوثنيين بأفريقيا الى مستوى المتمدينين .

٢ — ينبغى لهم فى إقامتهم بالهند أو طوافهم بها أن يعيشوا على نمط يليق بسمعة المسلمين بمصر .

٣ — يجب أن يكون للبعثة سكرتير يقوم بالدعاية لأعمالها فى مختلف بلاد الاسلام .

٤ — ينبغى أن تأخذ البعثة عند عودتها عدداً من شباب المنبوذين الذين اعتنقوا

الاسلام ليتعلموا بالأزهر، ويجب أن يظلوا به زمنا يكفى لتحويلهم تحويلا تاما الى الاسلام، من حيث المعيشة والأفكار. وهذا وحده يجعلهم فى حل من أن يقولوا: «أمسيت كرديا فأصبحت عربيا».

وهؤلاء كما لايخفى عليكم سيكوّنون جمعيات إسلامية دائمة بعد عودتهم الى أهلهم كما هو شأن الجمعيات غير الاسلامية.

٥ — أرى أنه من المستحسن قبل قيام البعثة من مصر الاتصال بالمولوى سيد غلام بهيج المحامى بمدينة أمبالا. فهو عضو فى البرلمان الهندى وسكرتير أكبر جمعية إسلامية فى الهند. ولقد كتب الى يقول إنه سيساعد البعثة بكل الوسائل الممكنة.

وإنى لنى غنى عن أن أقول لكم إنه إذا قررتم ايفاد بعثة الى الهند فإن المسلمين الهنود سيرحبون بها ويلاقونها بكل حماس. إن جمهرة المسلمين كما تعلم فضيلتكم متيقظون فى كل مكان، يراعون الإخاء الروحى الذى يتميز به الاسلام. وإن المسلمين فى الهند مهتمون كل الاهتمام بفكرة اعتناق المنبوذين الاسلام. وهؤلاء وحدهم هم المعنيون بأمور الدين. أما الأغنياء من المسلمين فهم لسوء الحظ، ولأسباب لاداعى لتفصيلها هنا، لا يعنون بشئون الاسلام.

وأرجو أن تتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟ المخلص محمد إقبال

رئيس جمعية انجومان — حماية الاسلام بلاهور

التوبة النصوح

قال الله تعالى: «يايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا» قال المفسرون: هى أن يتوب العبد عن الذنب ناويا عدم العود اليه.

قال ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد:

يا ويلنا من موقف مابه أخوف من أن يعدل الحاكم
أبارز الله بعصيانه وليس لى من دونه راحم

المنبوذون والدين الاسلامى

كتاب من الزعيم الهندى الكبير خالد لطيف جابا

المطالبة بإصدار فتوى شرعية عن الحجاب والختان

حقيقة حال المنبوذين والشياز فى الهند (١)

ما يزال المصريون يذكرون الزعيم الهندى الكبير الأستاذ خالد لطيف جابا نقيب المحامين فى مقاطعة « لاهور »، فقد زار مصر فى العام الماضى وألقى فى دار الشبان المسلمين بالقاهرة خطابا جامعا عن الحركة الاسلامية فى الهند، وموقف المنبوذين من أهلها، وواجب العالم الاسلامى عامة، والمسلمين فى مصر خاصة نحو هؤلاء المستضعفين من أهل الهند، وهم يؤلفون أكثر من ثمانين مليونا من النفوس .

وقد علم القراء أن الزعيم خالد لطيف جابا من ثراة الهند وكبار البارزين فيها من العلماء المفكرين، وقد كان الى ما قبل أربع سنوات تقريبا « هندوكيا » قوى الشكيمة فى الدفاع عن دين توارثه عن آبائه وأجداده، وبرزت أسرته كحامية له، فاستتشرت فى ذلك، وساعدها المال الذى بين أيديها على الاحتفاظ بمركزها بين الهندوكيين، فكان والده السرى الكبير وزيراً للداخلية ثم للأشغال ثم للمالية فى كثير من الأوقات، ثم مديراً لبنك أنشأه بماله الخاص فأربى ما فيه على ثلاثة ملايين من الجنيهات .

وفيما كان هذا الزعيم الهندى (خالد لطيف جابا) يطوف ذات يوم فى شوارع بور سعيد وهو قادم اليها فى طريقه الى الهند عائداً من لندن، سمع رجلا يؤذن لصلاة العشاء فى صوت عذب فوق مئذنة مسجد هناك، فتملكت الزعيم خالد نفسية أخذت

---

(١) نقلا عن جريدة البلاغ الصادرة فى ٣٠ ربيع الثانى سنة ١٣٥٥ .

تدفعه الى التفكير فى الاسـلام ، ثم فى الإقبال على دراسته والمقارنة بينه وبين غيره من الديانات ، حتى انتهى به الأمر الى نبذ « الهندوكية » واعتناق الدين الاسلامى .

وقد أقدم خالد لطيف جابا على هذا مضحيا بمقامه ومقام أسرته بين الهندوكيين ، ثم بما سيصيبه من ثروة والده الطائلة ، ولكن الرجل المؤمن — كما قال خالد لطيف جابا فى أحاديثه بمصر قبل عام — يؤثر راحة الضمير على أن يصير اليه ملك هذه الدنيا ، وهكذا اشترى السيد جابا راحة ضميره ، وهو من أرقى المتعلمين وأكثرهم وزنا للحقائق ، فاعتنق الاسـلام الحنيف ، ولم ترجعه عنه ضخامة الثروة التى تنتظره ولاسعة الجاه أو النفوذ الذى يتمتع به بين الهندوكيين ويشار اليه بالبنان بينهم .

نقول هذا لمناسبة كتاب تلقاه اليوم الأستاذ حامد المليجى المحرر بالبلاغ من هذا الزعيم الهندى الكبير رداً على كتاب كان قد بعث به اليه من مصر فى شأن المنبوذين وماذا يراه الزعيم واجبا على المسلمين فى مصر إزاء رغبة هؤلاء المستضعفين فى التحول عن دينهم الذى جعلهم فى أسفل طبقات الهنود . والى القراء ترجمة كتاب هذا الزعيم الهندى :

« إننى سعيد جداً إذ أسمع صوت صديقى الحميم الأستاذ حامد المليجى محرر جريدة البلاغ الشهيرة ، يدوى فى مصر والهند ، بدعوة المسلمين للاهتمام برغبة المنبوذين فى التحول عن دينهم ، فرسائل هذا الصديق لى ولإخوانى المشتغلين بالمسائل الاسلامية عامة والهندية خاصة توحى الىّ وإليهم الفكرة الصالحة والأمل القوى ، فى أن يتعاون المسلمون ليحققوا ما وصفهم الله به فى قوله : « إنما المؤمنون إخوة » .

إن كتاب السيد حامد المليجى أعاد الى ذاكرتى ما صادفته فى مصر قبل عام من حسن استقبال وتكريم ، وقد أثبتا لى حقيقة ما كان قد ملأ سمعى من أخبار إكرام المصريين لضيوفهم ، زيادة عما عرف فيهم من عراقة الأصل وكرم الأرومة .

إن السنة التى انقضت بعد زيارتى لمصر عادت عليها وعلى الهند بفوائد كثيرة . وإنى

لأرجو أن يكون من وراء استعادة المصريين لدستورهم ، وتعديل الدستور الهندى ، الخير العميم لهذين الشعبين الكريمين ، وأقصد بهذا الخير أن تكمل حريتهما ، فتتحقق سعادتهما .

وإنه ليسرنى كذلك أن أسمع أن الشعب المصرى مهتم بحركة المنبوذين فى الهند . والواقع أن القرار الذى أصدره المنبوذون فى مؤتمرهم فى « نازيك » كان من أهم حوادث السنة ، فقد انتهوا فى هذا القرار الى ترك ديانتهم الهندوسية واعتناق أى دين آخر يحقق لهم المساواة فى الحقوق الاجتماعية .

وقد أثار قرارهم اهتمام شعوب الهند وزعماء طوائفها ، وجرت على أثر ذلك مقابلات كثيرة بين هؤلاء الزعماء ورؤساء المنبوذين ، ثم بينهم وبين الزعماء الآخرين من المنبوذين والهندوسيين والسيخ . ولست أخفى أن زعماء كل طائفة من هذه الطوائف حاولوا أن يضموا اليهم المنبوذين . وأهم ما حدث فى الاجتماعات فى هذا الصدد المؤتمر الكبير الذى عقد فى مدينة « شانجابا شارى » خلال شهر مايو الماضى لاختيار المنبوذين إحدى الديانتين الاسلامية والمسيحية ، وقد كان لى شرف رياسة الوفد الاسلامى الذى أرسل الى هذا المؤتمر .

إن عدة الملايين من المنبوذين ، نصفهم يقيم فى جنوبى الهند ، حيث تجرى المعارك هناك الآن بشأن الديانات ، وحيث يبذل المهاتما غاندى والباندت مالفيا وزعماء آخرون من الهندوس غاية جهدهم فى سبيل التصريح للمنبوذين بحق التعبد داخل معابد الهندوس والحصول على الحقوق الاجتماعية الأخرى.

إن حركة المنبوذين اليوم تبدو كمسألة اجتماعية ، ولكنها فى الحقيقة مسألة سياسية من الطراز الأول ، فالهندوكيون لا يهمهم فى الواقع أن يخرج عن ديانتهم هؤلاء المنبوذون والأنجاس ، وذلك لأن التقاليد المحددة التى يسيرون عليها تجعلهم غير قادرين على أن يتنازلوا عن امتيازات لهم على هؤلاء ، فليس يخفى على أحد منهم أن تنازلهم هذا — إذا وقع — يؤدى الى قلب كل تعاليم الديانة الهندوكية .

ثم إن هناك أمرا آخر ذا أهمية عظيمة ، وهو أن الطبقة الراقية بين الهندوكيين لاترى لخروج المنبوذين الأهمية التى يفرضها الكثيرون ، وذلك لأن هذه الطبقة تعتبر المنبوذين «نجسا» فى عقد النظام الاجتماعى ، وهم لهذا لايهمهم خروج هذا العدد الكبير من الناس عن ديانتهم ليتحولوا الى الديانة المسيحية أو ديانة السيخ أو البوذية ، ولكنهم يخشون أن يتحول المنبوذون ـ وهم ٦٠ مليونا ـ الى مسلمين ، فتتألف منهم ومن الوحدات الاسلامية الأخرى الكبيرة فى البلاد الهندية كتلة عظيمة متجانسة يكون لها تأثير قوى فى العالم الاسلامى قاطبة .

ولاشك أن الزعماء الهندوكيين يقدرون هذه الحقيقة ، ولكن مستر غاندى سياسى عظيم يشعر بخطورة الأمر ، ولكن يتعمد إخفاء شعوره .

ولقد كان من أهم الحوادث وأخطرها أن هؤلاء المنبوذين بعد أن انتهوا الى قرارهم الذى أصدروه بنية صادقة وعزم أكيد وحزم بالغ بترك ديانتهم الهندوكية ، أخذوا يخربون معابدهم ، ويحطمون أصنامهم ، ولم يكتفوا بذلك بل حرقوا كتبهم الدينية ومخلفاتهم المقدسة فى الميادين العامة على مشهد من الناس تأييدا منهم لما انتهى اليه مؤتمرهم من قرار الخروج عن الديانة الهندوكية .

لقد كانت حركة ترك المنبوذين والأنجاس لدينهم الهندوكى نتيجة للجهود التى بذلها زعيمهم الدكتور « البيدكارز » . ثم جاءت حركة أخرى قام بها الزعيم الدكتور . ك . ب ثابيل . اف كوشين ، أرشدت هؤلاء المنبوذين الى الديانة الاسلامية .

ولقد أعلن الدكتور ك . ب ثابيل جهرة أنه بالدين الاسلامى فحسب يمكن لطائفته المنبوذة أن تجد لنفسها الحرية الكاملة ، والحقوق السياسية والاجتماعية .

إن الديانة المسيحية هى فى الواقع الخطر المخيف للاسلام فى حركة المنبوذين والأنجاس ، ولا يتأتى هذا الخطر من ناحية الحقوق والامتيازات التى يمكن أن تقدمها الديانة المسيحية لهؤلاء ، ولكنه يتأتى من رجال التبشير والأموال التى تغدقها عليهم الهيئات التبشيرية فى العالم .

ولست أخفى أن « المسيحية » لها فى جنوبى الهند قدم ثابتة ، فكنائسها منتشرة فى كل أنحاء البلاد ، وقد استطاعت الهيئات التبشيرية أن تجد لها أتباعا فى جنوبى الهند فقط ، وليس من الصعب أن تجد أسباب هذا النجاح ، فإنه ماثل فى وجود عدد كبير جدا من المنبوذين فى هذه المنطقة ، وقد يكون ماثلا أيضاً فى الطريقة السياسية « الحكيمة » التى سار عليها المبشرون فى نشر دعوتهم ، وتتلخص هذه الطريقة فى عدم التضييق على المنبوذين الحديثى العهد بالمسيحية بالتقيد بتعاليمها الشديدة ، بل لقد ترك المبشرون الحرية لهؤلاء فى اتباع ما لديهم من عادات وتقاليد قومية يقدسونها وإن تكن المسيحية لا تقرها وتستهجنها ، وقد ترتب على هذا استمرار قيام نظام الطوائف بين المنبوذين ، فمنهم منبوذون مسيحيون ، ومنبوذون هندوكيون ، ومنهم أنجاس مسيحيون ، وأنجاس هندوكيون ، وكل هؤلاء المسيحيون الجدد لا يتعبدون إلا فى كنائسهم الخاصة ، ولا يجوز لهم التعبد فى كنائس الطبقات الأخرى ، كما لا يجوز لهم التزوج من أبناء أو بنات الطبقات المسيحية الراقية هناك .

ولم يحقق اعتناق الديانة المسيحية للمنبوذين الأمل الذى كان يساور نفوسهم بتقرير مساواتهم مع الطبقة المسيحية الراقية ، بل بقوا على حالتهم التى وجدتهم فيها الديانة الهندوكية الشديدة الحرص على قيام نظام الطبقات بين أتباعها .

إن الحوادث الأخيرة التى وقعت فى الأمبراطورية الحبشية والتى تحاول فيها أمة مسيحية القضاء بكل وسائل الهلاك على أمة مسيحية أخرى ذات كيان قديم ، قد ألقت علينا درساً بالغاً فى لغتى السياسة والدين ، وهذا الذى يجب أن يستفيد منه الراغب فى البحث عن ديانة جديدة له .

لقد فهم المنبوذون هذا الدرس فهما صحيحا ، وعلموا منه أنهم يجدون فى الاسلام تبادل الأخوة الدينية بينهم وبين غيرهم من الشعوب الاسلامية الأخرى ، كما يجدون قواعد المساواة بينهم جميعا فى كل الحقوق الاجتماعية والسياسية وغيرها .

وفى ولاية ترافانكور - مثلا - يوجد نحو مليونين ونصف مليون من المنبوذين، ثم نصف مليون فقط من المسلمين، ولقد عهد الىّ هؤلاء المسلمون بالإجماع بطريق زعمائهم أن أبلغ رسالتهم الى مؤتمر شانجان شرى الذى عقده المنبوذون فى شهر مايو الماضى، وكان مضمون هذه الرسالة أنهم - أعنى النصف مليون مسلم - يرحبون « بالشياز » أعنى « بالنصف مليون منبوذ » ويعتبرونهم إخوة لهم، وقد تسلمت منهم إقرارا بهذه الأخوة من مسلمى جنوبى الهند.

وعلى هذا يعمل الدكتور نابيل زعيم المنبوذين، كما يعمل رفقاؤه من الزعماء، على إقناع أتباعهم العديدين بضرورة اعتناقهم الديانة الاسلامية، وليس هناك ريب كما أرى - فى أن هذه الفرصة عديمة النظير فى تاريخ الاسلام، ويجب على المسلمين اعتناقها بكل الوسائل الشريفة التى يعرفها دينهم المتين.

إن أعداء الاسلام يشيرون بأمرين على الذين هم على أبواب الاسلام ليلقوا الرعب فى قلوبهم. وهذان الأمران هما (Sircumscion, Purdah) الطهارة [1] والحجاب

ومن طرق التبشير المسيحى المنتشرة فى الهند اليوم استخدام عدد كبير من المبشرات ليدخلن الى المنازل ويوزعن على أهلها الكتب الدينية، وكنت وما أزال أرجو أن يكون بيننا عدد من المبشرات المسلمات ليقمن بتعليم نساء المنبوذين حقائق الاسلام.

ولهذه المناسبة أستطيع أن أصرح بأنه توجد بين هؤلاء الذين يسمونهم « المنبوذين » نسبة مئوية عالية من المتعلمين نساء ورجالا، وأن هؤلاء المتعلمين يسدون كل فراغ لحاجاتهم الاقتصادية، فالذى نراه أن يكون المرشدون والمرشدات الذين يراد إرسالهم لإرشاد منبوذى الهند، من المتعلمين الأكفاء قويى الحجة لكى يزيلوا كل أثر للمخاوف التى نشرها المبشرون والمبشرات من الإرساليات المسيحية عن الطهارة والحجاب.

ولو أتيح لكم أن تحصلوا لنا على فتوى شرعية من صاحب الفضيلة شيخ الجامع

(١) يريد بالطهارة الختان.

الأزهر بشأن هاتين المسألتين (الطهارة والحجاب)، وأن تعجلوا بإرسالها الى طائفة «الثياز» خاصة والمنبوذين عامة، على أن تكون هذه الفتوى بشكل رسالة تبين فيها الأسباب الدينيـة الصحيحة الملزمة باتباع الطهارة والحجاب، فانكم تقدمون بذلك خدمة جليلة أعتقد أن سيكون لها بين المنبوذين «والثياز» أعظم الأثر.

ولو أتيح لكم نشر الدعوة بين المسلمين فى مصر وغيرها فى الأقطار فى سبيل جمع المال لهـذا الغرض الشريف، فسيذكر لكم مسلمو الهند هـذا الصنيع الحسن بكل خير.

وفى الختام أود أن ترفعوا نيابة عنى وعن مسلمى بنجاب أبلغ التحيات والاحترامات الى صاحب السمو الأمير الخطير عمر طوسون، والى صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا، والى فضيلة شيخ الاسلام الأستاذ المراغى، والى الدكتور عبد الحميد سعيد، والى الأستاذ عبد القادر حمزه صاحب البلاغ (الصحيفة الاسلامية الكبرى) والى الشعب المصرى الكريم.

خالد لطيف جابا
عضو المجلس التشريعى

(مجـــلة الأزهر): عندما اطلعت مشيخة الأزهر على هذا الاستفتاء بادرت فأرسلت الى المستفتى بيانا شافيا فى هاتين المسألتين، وإليك نصه، وهو:

الحجاب والختان فى الاسلام

كُتب الينا من البلاد الهندية أن طوائف من أهلها الهندوكيين يريدون أن يتخذوا الاسلام دينا لهم ، ولكن عادتى حجاب النساء والختان تثبطانهم عنه بعض التثبيط . وقد طلب الينا أن نبدى رأينا فى هاتين العادتين ، وعن مبلغ علاقتهما بالدين الاسلامى ، فلم نر بدا من تلبية هذا الطلب راجين أن يكون فيه هدى المسترشدين ، وبيان للمتثبتين .

شرع الله تعالى الدين الاسلامى ليكون دينا عاما للبشر كافة فى كل زمان ومكان . فجاءت شريعته مراعية لجميع الحاجات المادية والمرافق العمرانية للأفراد والجماعات ، وضامنة كل ضروب الحريات الضرورية لهم فى حدود الناموس الأدبى العام ، بحيث لا تتعاكس هذه الحريات ومصالح الاجتماع ، ولا تتضارب والأخلاق التى هى أساس العمران . فليس يوجد بين النظم الدينية والاجتماعية ما يوفق بين مطالب الأرواح والأجساد ، ويربطها برباط وحدة وثيقة غير النظام الذى جاء به الاسلام .

لست بصدد تفصيل هذا الإجمال ، فلا أتعرض له إلا لبيان أمرين فيه هما مسألة الحجاب والختان ، وهما اللتان طلب الينا بيانهما .

الحجاب :

إن حجاب النساء كان معروفا ومعمولا به قبل مجىء الاسلام بقرون كثيرة فى جميع الأمم المعرقة فى المدنية . وقد أخذه عنهم اليونانيون والرومانيون على أقصى ما يعرف عنه من التشديد قبل الاسلام بأكثر من ألف سنة . وكان الاسرائيليون جارين عليه أيضا على عادة معاصريهم .

فلما شرع الله الاسلام راعى فى هذه المسألة ما راعاه فى جميع المسائل الاجتماعية

من الاعتداد بالمصلحة العامة فى حدود الناموس الأدبى العام، فأنزل قوله تعالى: « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أوما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن، وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ».

هذه الآية هى أطول آيات الحجاب، وهى تنص على وجوب اتباع الجنسين على السواء للآداب الواجبة لأحدهما حيال الآخر.

ولما كان النساء محلا للفتنة خصوا بالأمر بضرورة التصون فى مخالطة الرجال وعدم إبداء زينتهن لهم إلا مالا يمكن إخفاؤه منها أثناء مزاولتهن أعمالهن من خاتم وسوار.

وقد أجمع الأئمة على أن الوجه والكفين ليسا بعورة، وأن ليس على المرأة من بأس أن تزاول أعمالها خارج بيتها، وأن تمارس مهنا لكسب قوتها على شرط ألا تظهر ما يثير العاطفة من جسمها كشعرها وجيدها وزينتها.

وما حدا بالاسلام الى وضع هذه القيود إلا المحافظة على النفوس أن تفسدها الشهوات، والمجتمعات أن تحل روابطها الموبقات. وليس بخاف ما جرّته هذه الشهوات على الأمم الخالية من الانحلال والزوال.

فالاسلام لم يفرض على المرأة أن تعيش كما تعيش الأنعام، أو أن تسجن كما يسجن المجرمون، ولكنه على العكس أمر أن تحضر الصلوات فى المساجد فى صفوف خلف الرجال، وأن تشهد اجتماعات المسلمين العامة فى الأمور الهامة، ولم تمنع قط من إبداء رأيها فيها، ومن أن تتعلم كما يتعلم الرجال، وأن تتصرف فى أموالها بكل وجوه

التصرفات بدون توقف نفاذها على زوجها أو والدها أو أى أحد غيرهما، وأن تتعاطى ما تشاء من الأعمال الحرة.

هذه حقوق منحتها الديانة الاسلامية للمرأة منذ نحو أربعة عشر قرنا، فلم تصل اليها أية امرأة سواها فى العالم الى اليوم.

والاسلام إزاء هذا كله لم يشرط عليها إلا حفظ كرامتها كامرأة شريفة غير متبذلة ولا متبرجة، لتكون عضوا صالحا فى المجتمع بدل أن تكون عاملة فتنة فيه.

هذه نزعة تقر الاسلامَ عليها كلُّ نفس شريفة، ولا تصادف معارضة من أى فريق حتى أصحاب المذاهب المتطرفة.

الختان:

أما مسألة الختان فلا تصح أن تكون عقبة أمام الذين يريدون الاسلام، فإن الختان كان معروفا عند بنى إسرائيل قبل مجىء الاسلام، وقد اقتبسه عنهم العرب الجاهليون. فلما جاء الاسلام أقره، شأنه إزاء كل عادة نافعة أو عمل صالح.

وقد قرر الأطباء أن الختان من أنفع العادات وأحفظها من الأمراض التناسلية. فإن القلفة بتغطيتها لرأس العضو تختزن فى طيها الأقذاء، وتكون موطنا للجراثيم الضارة. وغسلها من باطنها مرات فى اليوم من الأمور المتعذرة. فإزالة هذه القلفة مما يندب اليه قانون الصحة. وقد علم أن بقاءها فى الأمم التى لم تعتد إزالتها قد كان سببا فى انتشار الأمراض السرية. وهذه الأمراض لم تعرف فى بلاد المسلمين إلا بعد اختلاطهم بجاليات الأمم من طريق العدوى.

على أن الاسلام لم يوجب على أهله الاختتان إيجابا كما هو مذهب الإمامين أبى حنيفة ومالك، ولم يجعله شرطا للاسلام. فهو فى نظرهما سنة للرجال إن شاءوا أخذوا به تصونا وتطهرا، وإن شاءوا تركوه.

أما للنساء فلم يصل الى درجة السنة فى مذهب الامامين السابقين، ولكنه عندهما

كرامة لهن فقط . لذلك تجد أكثر المسلمين لا يختنون نساءهم . فالأتراك كافة والمغاربة والايرانيون والهنود وغيرهم لا يعملون بهذه العادة فيما يتعلق بنسائهم .

والعادة أن الاختتان يكون فى السنين الأولى من الطفولة بين ثلاث وعشر غالبا . وليس فيه كبير مشقة ولا يتوقع من ورائه خطر ، إذ أنه لا يتعدى قطع الجلدة الزائدة المغطية للعضو مع عـدم المساس بالعضو نفسه . ناهيك أنه يعمل بواسطة العارفـين . واختتان الـكبار كاختتان الصغار ليس فيه أقل ضرر .

بقيت مسألة ربما تهم الذين يريدون الدخـول فى الاسلام جماعات غفيرة وهم كبار فى السن ، وهى أن يعرفوا ماحكم الاسلام فيهم ؟ فإلى هؤلاء نوجه قول الحسن البصرى رضى الله عنه ، وهو إمام الأئمة المجتهدين . قال العلامة ابن قدامة الحنبلى فى المجلد الأول من كتابه (المغنى) فى الصفحة السبعين عن الختان ما يأتى :

« والحسن يرخص فيه ويقول : « إذا أسلم لا يبالى أن لا يختتن . ويقول : أسلم الناس الأسود والأبيض لم يفتش أحد منهم ولم يختتنوا » .

هـذا ما رأينا أن نأتى به من حكم الدين الاسلامى فى أمر الختـان والحجاب . وقد تبين أن واحدا منهما لا يتأتى أن يكون عقبة فى سبيله .

والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

تعظيم العلماء للعلم وحده

قال محمد بن شهاب الزهرى وهو من أئمة السنة الذى كلفه عمر بن عبد العزيز جمع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وكتابتها ، قال : دخلت على عبد الملك بن مروان فى رجال من أهل المدينة ، فرآنى أحدثهم سنا . فقال : من أنت ؟ فانتسبت اليه . فعرفنى . فقال : لقد كان أبوك وعمك نعاقين فى فتنة عبد الله بن الزبير . قلت : يا أميرالمؤمنين مثلك إذا عفا لم يعدد ، وإذا صفح لم يثرب . قال لى : أين نشأت ؟ قلت : بالمدينة . قال : عند من طلبت ؟ قلت : عند ابن يسار وابن أبى ذئب وسعيد بن المسيب . قال لى : وأين كنت من عروة بن الزبير فانه بحر لا تكدره الدلاء .

مع ان عروة هذا هو اخو عبد الله بن الزبير خصمه ، ولـكنه عظم فيه العلم .

تاريخ حياة محمد

بقلم المستر فرانك ﻫ . فوستر

شبهات داحضة وحمـــلة فاشلة

نُبهنا الى مقالة نشرت فى مجلة العالم الاسلامى التى تصدر بالولايات المتحدة بأمريكا (the Moslem World) اشتملت على مطاعن فى خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فرأينا أن نلخصها تباعا ، ونرد على ما جاء فيها من الأخطاء التاريخية والأضاليل المتعمدة . قال المستر فرانك ﻫ . فوستر كاتبها ما ملخصه :

« إن الكتابة الوحيدة التى وصلتنا من محمد فى تاريخ حياته هى ما جمع منها فى القرآن ، وهى وإن كانت غير مستوعبة لجميع ما يجب معرفته عنه فقد جمعت الكثير من حوادثه . والقرآن هو المصدر الوحيد الذى يصح الاعتماد عليه فيما نحن بصدده . أما التواريخ العديدة التى كتبت بعده بقرون كثيرة بأقلام كتاب متحيزين فليست لها قيمة فى نظرنا .

ثم شرع يورد حياة محمد صلى الله عليه وسلم على أسلوبه فقال :

« قبل ألف وخمسمائة سنة (كذا) ، ظهر فى مكة رجل اسمه محمد ادعى أنه نبى ، فكان يجمع حوله جماهير من الناس فى مسجد مكة المعظم أو فى الطرقات ويخطبهم قائلا : إن الله أوحى اليه قوله : « اقرأ باسم ربك » .

« فلم يصدقه سامعوه ، إذ لم يتصف بصفات الرسل ، ولم يكن شخصا غير عادى ، محتجين بأنه يسير فى الشوارع ويأكل الطعام ، فهلا أنزل معه ملك يؤيده ؟ ولم يتساءلوا ما هى الصفات التى تجعله رسولا ، فكذبوه ولم يحفلوا برسالته .

« ولقد تركنا محمد فى جهل من ناحيته ، فلم يخبرنا بشىء عن مولده ، ولا عن أسرته ، ولا عن حياته فى صغره ، غير ما قاله من أنه كان يتيما ، وأن الله عصمه من الزلل ، وأغناه

بعد عيلته . ولا شك فى أن هذا الغنى الذى ناله ولم يبينه كان يستمد المعونة منه وهو نبى أيام إقامته بمكة .

« وفى الجملة قد أثار محمد على نفسه الازدراء بدعواه الرسالة عند ظهوره . وقد دعا نفسه النبى الأمى ، وهذا مالا يمكن قبوله لأنه كان فى حاجة لأن يكرر قراءة كتابه أحيانا ليستظهره . ومع ذلك فلسنا نستنتج من عدم أميته أنه كان ذا اطلاع واسع ، فإنه لم يظهر شيئا من سمات المتعلمين الأدبية .

« ولم يذكر لنا شيئا عن زواجه ، ولكن المعروف أنه كانت له زوجات ، لأنه كان يذكرهن ، ولكنه لم يعين لنا أسماءهن . كذلك لم ينوه بشىء عن أسرته وعشيرته ، ولكن يمكننا أن نقول إنه كان من بيت ماجد ، فقد كانت أبهة السؤدد تبدو فى كلامه منذ الساعة الأولى ، دالة على أنه كان ناشئا من بيئة ذات سلطان .

« ولا يوجد فى القرآن مايدل على صناعته أو تجارته فى السنين التى سبقت رسالته . ولكن المعروف أنه كان يزاول التجارة ، بدليل أنه أمر فيما بعد أن يمتنع عنها . وأن ملاحظاته الدقيقة فى الطبيعة ، والأمور الجارية فى المناطق البعيدة عن مكة ، تدل على أنه لا بد أن يكون قد سافر الى خارج البلاد العربية .

« ولا مناص من القول بأنه اتصل باليهود والنصارى فى وقت ما ، لأنه أرانا أنه يعرف قصص كتبهم التاريخية ، ويعرف التحريفات الشائعة فى الانجيل .

« هذا ملخص المعلومات الضئيلة التى أعطاناها محمد عن حياته قبل أن يبعث رسولا » .

هذه مقدمة بَحْث المستر فرانك هـ . فوستر ، وقد وضعها تحت رقم ١ ، ونحن قبل مجاوزتها الى ما كتبه تحت رقم ٢ نرى أن لا بد من مناقشته فيها :

ردنا على ماورد فى هذه المقدمة :

لا يدهشنا أن يكون فى الناس من لايزال يكذّب برسالة النبى صلى الله عليه وسلم ،

ولكن يدهشنا أن نقرأ عن رجال ينزلون أنفسهم منازل الهداة والمرشدين أنهم يعتدون على أبسط قواعد الدستور العلمى فى بحوث فلسفية على أعظم جانب من الخطورة . ذلك أن المستر فرنك يخوض فى نفسية أعظم رجل فى التاريخ ، بشهادة الأجانب أنفسهم ، معتمدا على أصل اعتقادى موروث ، وهو أنه كان نبيا كاذبا . ولكن هذا الأصل الموروث لا يصلح أن يكون أساسا لبحث فلسفى خطير كالذى هو بصدده . فقد كان يجب عليه أولا أن يقيم الدليل القاطع على أنه كان كاذبا فى دعواه النبوة . فإنْ أنجح فى ذلك من طريق علمى مستقل لا أثر للوراثة الاعتقادية فيه ، ساغ له أن يبحث فى نفسيته من ذلك الطريق العلمى نفسه . أما وهو لم يفعل ، فقد ارتكب خطأ فاضحا ، وصار كل ما قاله بعد ذلك فى عرف المعاصرين مبنيا على عقيدة سابقة . وإنى سأبين فى هذه العجالة جميع ما طوحت به فيه تلك العقيدة من المضالّ ، وما أوقعته فيه من الأخطاء الفاحشة ، والنظرات المضللة فنقول :

يظهر لنا أن المستر فرانك لم يقرأ سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد قال إنه كان فى مبدأ ظهوره يجمع الناس حوله فى مسجد مكة أو فى الطرقات ويخطبهم بأنه نبى ، فكذبه الناس ولم يؤمنوا به .

وكان الذى وقع أنه فى أول ظهوره دعا الناس سرا ، فآمن به عشرات منهم رجالا ونساء ، ثم أمره الله أن يجمع عشيرته الأقربين ويدعوهم للاسلام مجاهرا بالدعوة ، ثم أمره أن يدعو الناس جميعا واعدا إياه بأنه يعصمه منهم ، ففعل ، ثم كان ما كان من انتشار الاسلام حتى عم جزيرة العرب كلها ، ثم تجاوزها حتى وصل الى أقصى حدود الصين شرقا ، وأقصى حدود أوربا غربا ، فى عشرات معدودة من السنين ، مما لم يحدث مثله لدين من الأديان . فأعفى المستر فرانك نفسه من ذكر هذه النتيجة التى تعتبر من أجلّ الآيات الإلهية ، وا كتفى بأن قال : فكذبه الناس ولم يؤمنوا به . ثم انتقل الى سرد تاريخه من الكتاب الذى أنزل اليه ، باعتبار أنه هو الذى كتبه محمد بيده ، وشرع

يعيب عليه أنه أغفل فيه ذكر تاريخ مولده ، وحالة أسرته ، غير ما قاله من أنه كان يتيما وأن الله عصمه من الخطأ ، وأنه أغناه ولم يبين مبلغ هذا الغنى الخ الخ .

هذا طراز طريف فى بحث النبوات ، ولكنها طرافة لا يُغبط عليها المستر فرانك ، لأن القرآن قُدِّم الى الناس باعتبار أنه كتاب جامع لتعاليم الاسلام ، لا باعتبار أنه كتاب تاريخ لحياة محمد ، حتى يسوغ للمستر فرانك أن يحصى عليه إغفالات ليست من موضوعه .

وإذا كان القرآن لم يذكر تفصيل حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهل ذكر موسى عليه السلام تفصيل تاريخه فى توراته ، غير ما كتبه خلفاؤه بعد وفاته ؟ وهل ذكر عيسى عليه السلام مثل ذلك فى كل ما قاله لبنى إسرائيل من تعاليمه ؟ وهل يستطيع المستر فرانك أن يأتينا بكتاب دينى واحد يذكر حياة الرسول الذى جاء به بتفصيل يوفى بشروطه ؟

وإذا كان هـذا لا وجود له ، فكيف يطالب به القرآن الكريم ويسجل عليه خلوه منه ؟

إن الذى حـدا المستر فرانك لأن يرتكب هـذا الشطط هو مضيه مع عقيدته الموروثة ، وهى أن محمدا كان مدعيا ولم يكن نبيا . فإذا سلمنا له هذا جدلا ، فلا يكون لما أحصاه على القرآن محل أيضا ، فإن الادعاء يقتضى المحاكاة لا الشذوذ . فلا ندرى بعد هذا حكمة ما سجله المستر فرانك على القرآن من هذه الناحية !

وقد حاول المستر فرانك تشكيك قرائه فى أمية محمد صلى الله عليه وسلم ، وكل ما استطاع أن يستند اليه من الشبهات قوله : ليس من الممكن أن يكون محمد عاجزا عن القراءة لاضطراره اليها من أجل استظهار كتابه بتكرار تلاوته .

أما التشكيك فى أمية النبي صلى الله عليه وسلم فمحاولة محكوم عليها بالفشل من أول صدمة ، لأن هذه الأمية كانت إحدى الآيات التى تحدى الله بها الشاكّين فى صدق نبوته ، فلو كان غير أمى فى الواقع ، لأصبح تأثيرها معكوسا ، كما هو الحال فى كل معلوم يُتَحدى الناس بضده .

هب أن محمدا كان قارئًا كاتبا ، أفكان بهذه الميزة وحدها يرتفع عن مستوى معاصريه ، فيأتى بكتاب يعتبرونه معجزة ، ويصلح أن يكون دستورا لملك لا تغرب عن ولاياته الشمس قرونا كثيرة ، وأساسا لتطورات اجتماعية ومدنية للشعوب الآخذة به توصلهم الى زعامة العالم كله فى العلم والفلسفة والفنون والصنائع والسياسة فى سنين قليلة ؟

هـذه أعمال لا أقول إنها تشرف متخرجا فى أكبر جامعة علمية ، ولكنى أقول إنها أعجزت جميع عباقرة العالم مجتمعين .

ولكن المستر فرانك يتجاهل كل هـذه الحوادث التى لا يوجـد فى تاريخ البشر ما يماثلها ، ويقفنا أمام موضوع تافه عقيم قال فيه الدهر قوله الفصل ، رجاء أن يكون فى إثارة الشك فى أمية محمد ، باب يُفتح الى التكذيب بنبوته ، متذرعا بذلك الى إثبات أنه ما دام يقرأ ويكتب فيكون هو الذى وضع القرآن ونسبه الى الله .

إذا كانت القراءة والكتابة وسيلة للتشكيك فى كتب الله وصدق رسله ، فهذان موسى وعيسى كانا يقرءان ويكتبان ، فهل قوّلا الله ما لم يقل ، وهل قالا إنهما رسولان وهما كاذبان ؟

ولكن أمية محمد صلى الله عليه وسلم ثبتت بإجماع أمة برمتها كانت مطلعة على أحواله وأطواره ، من يوم ميلاده الى يوم وفاته ، فهل من المعقول أن يُخرق هـذا الإجماع لا لشىء غير أنه لا يلائم هوى بعض أعدائه ممن أتى بعده بنحو أربعة عشر قرنا ؟

قال المستر فرانك عقب التشكيك فى أمية النبى صلى الله عليه وسلم : « ومع ذلك فلسنا نستنتج من عدم أميته أنه كان ذا اطلاع واسع ، فإنه لم يظهر شيئا من سمات المتعلمين الأدبية » .

لم يقل محمد صلى الله عليه وسلم عن نفسه ولا قال أحد من المسلمين عنه إنه كان ذا اطلاع واسع ، وإنه فعل ما فعل بعلمه ، وغزارة مادته ، ولكنه قال ، وردده المسلمون معه ، بأن كل ما أتى به وحى من ربه . وهذا لا ينافى سمو فطرته ، ووفور عقله ، وصفاء ذهنه ، فإن الله لا يصطفى لرسالته إلا أكمل خلقه .

فإن كان المستر فرانك يستدل من القرآن على ما يقوله باعتبار أنه من كلام محمد، وأنه فى جملته لا يدل على سعة اطلاع كاتبه، فهو لم يقرأ القرآن، وإن كان قرأه فقد سدل على عقله حجابا من تعصبه.

لقد تبين للذين درسوا القرآن تحت ضوء الفلسفة الحديثة، أنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يُقَوِّم عوج النفوس، ويعدِّل أَوَد العقول، ويوقظ أشرف غرائز الشخصية الانسانية، ويدفعها فى طريق السمو الروحانى، إلا أحصاها على أكمل الوجوه، راسما لها أقوم الطرق، ومتخيرا لها أقرب الوسائل.

وقد اتضح لأولئك الناظرين أن كل ما جاء به كبار العباقرة من الأصول الأصيلة، والمبادئ النبيلة، وما قرره المصلحون من الأسس الركينة، والوطائد المكينة للاجتماع والسياسة والشريعة، قد سبقهم القرآن اليها فى بيان لا يدع محلا للتردد، ولا موضعا للتشكك. وقد حَفِيت أقلامنا فى سرد هذه الآيات الكبر وتطبيقها على الحوادث، ولم نَبلُ بعدُ منها أُواما، ولم نبلغ مراما، وقد شهد بهذا كله رجال من الأقطاب ليسوا من أهل هذه الملة، لا يحصون كثرة، من أمثال جوت الالمانى ولامرتين الفرنسى وبرنارد شو الانجليزى، وليس فى هؤلاء إلا عبقرى طبقت الأرضَ شهرتُه، وعمت الأقطار فلسفته.

فإذا لم يكن محمد أميا، ولكنه كان أستاذا جامعيا، وافترِض أنه كتب هذا القرآن، لَعُدَّ بهذا وحده آية من آيات الله فى خلقه، ولبُحِث له عن درجة عقلية فوق العبقرية، لأن العبقرية إنما تظهر فى الفرع الواحد من العلم أو الفن، لا فى كل ما يختص بإصلاح الانسانية جملة.

ومما هو بليغ الأثر فى التدليل الحسى، أن هذا القرآن أوجد أمة عالمية من العدم، لم تلبث إلا سنين معدودة حتى سادت العالم كله علما وعملا، وسموا روحانيا وكمالا ماديا. فمن يجرؤ بعد هذا أن يقول إن ما نَصِف به القرآن شعر حملت عليه العقيدة الوراثية، أو خيالٌ قضت به العصبية الدينية؟

يقول المستر فرانك : « وفى الجملة فقد أثار محمد على نفسه الازدراء بدعواه الرسالة عند ظهوره » ، كرر هذه العبارة مرتين فى موضعين ، ظنا منه أنها تقدح فى رسالته ، كأن الرسالة لا تكون صحيحة إلا إذا قوبلت بالإيمان من أول وهلة . فهل نسى أن موسى وعيسى قوبلا بمثل هذا الازدراء عينه ، وأحدهما لازمه هذا الازدراء الى يوم وفاته ، وعومل معاملة اللصوص وقطاع الطرق فى زعمه ؟

وقال المستر فرانك متابعا طريقته : « ولم يذكر لنا محمد شيئا عن زواجه ، ولكن المعروف أنه كانت له زوجات ، فلم يعين لنا أسماءهن ، ولم ينوه كذلك بشىء عن أسرته وعشيرته الخ » .

هذه الإغفالات إن اعتبرت عيوبا فهى كذلك بالنسبة لكتاب وضعه صاحبه لبيان تاريخه الشخصى ، ولكنها لا تعيب كتابا وضع للناس كافة كما قدمنا ، أفلا تعجب من إلحاح المستر فرانك عليها ، حتى جعلها موضوع فصله الأول كله . وقد أشبعنا الكلام فى هذا فلا نعود اليه .

فى العدد المقبل ننشر ملخص فصله الثانى ونرد عليه كما فعلناه مع الفصل الأول إن شاء الله ؟

محمد فريد وجدى

جود عبيد الله بن عباس

كان عبيد الله بن عباس من أجواد الناس وأسخيائهم . قيل إنه جاءه رجل من الأنصار فقال : يا ابن عم رسول الله إنه ولدلى فى هذه الليلة مولود ، وإنى سميته باسمك تبركا منى به ، وإن أمه ماتت ، فقال عبيد الله : بارك الله لك فى الهبة ، وأجزل لك الأجر على المصيبة . ثم دعا بوكيله فقال : انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه ، وادفع اليه مائتى دينار للنفقة على تربيته . ثم قال للأنصارى : عد الينا بعد أيام ، فانك جئتنا وفى العيش يبس ، وفى المال قلة . قال الأنصارى : لو سبقت حاتما بيوم واحد ما ذكرته العرب أبدا ، ولكنه سبقك فصرت له تاليا ، وأنا أشهد أن عفوك (أى قليلك) أكثر من مجهوده ، وطل كرمك أكثر من وابله !

بابُ الأسئلةِ والفتاوى

الطلاق

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الأسئلة الآتية :

تشاجر رجل مع صهره ، وفى أثناء المشاجرة قال أحدهما : « علىّ الحرام لا تدخل أنت ولا زوجتك بيتى » فما الذى يلزمه فى هـذه اليمين أهو طلاق أم لا . وإذا كان طلاقا فهل هو رجعى أو بائن ؟

محمد محمد العنبرى

الجواب :

اختلفت الأئمة فى مثل هذه الصيغة : فمذهب الشافعية أن قائل هذه العبارة إذا نوى بها طلاقا كانت من قبيل الطلاق المعلق ، وأنه يقع به طلاق رجعى إذا حصل المعلق عليه وهو دخول المخاطب أو زوجته بيت الحالف . ويوافقهم بعض الحنفية على أنه من قبيل الطلاق المعلق إلا أنه يقع به عندهم طلاق بائن إذا حصل المعلق عليه .

ويرى بعض الحنفية عدم وقوع الطلاق بمثل هـذه الصيغة . ويروى عن بعض السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم أن تعليق الطلاق إذا قصد به الحمل على فعل شىء أو تركه لا غير ، لا يقع به طلاق . وجرى على هذا المرسوم بقانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩ كما قضت بذلك المادة الثانية منه .

وظاهر أن هذه العبارة لا يقصد منها الحالف إلا منع المخاطب وزوجته من دخول بيته ، فلا تستوجب طلاقا مطلقا على هذا . والله أعلم .

***

تشاجر رجل مع ابنه فأدت المشاجرة الى أن قال الرجل : « علىّ الطلاق لا آكل من لبن الجاموسة ولا من سمنها فى سنة تاريخه » فهل هذه يمين منعقدة ؟

محمد حسن أبو شاهين

الجواب :

مذهب الشافعيــة وبعض الحنفية أن مثل هــذه الصيغة من قبيل التعليق ، فإذا حصل المعلق عليه وهو الأكل من لبن الجاموسة أوسمنها ، يقع به طلاق رجعى .

ويرى بعض الحنفية عدم وقوع الطلاق بمثل هذه الصيغة إذا وجد المعلق عليه .

ويروى عن بعض السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم أن تعليق الطلاق إذا قصد به الحمل على فعل شىء أوتركه لا غير ، لايقع به طلاق . وجرى على هذا المرسوم بقانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩ أفرنكية ، كما قضت بذلك المادة الثانية منه .

وظاهر أن هــذه العبارة لا يقصــد منها الحالف إلا منــع نفسه من أكل لبن الجاموسة وسمنها ، فلا يستوجب طلاقا مطلقا على هذا .

* * *

إذا وكّلت المرأة غير وليها الخاص فى عقــد زواجها ، فهل يعتبر تسجيل المأذون للعقد رافعا للخلاف ، حتى إذا وقع عليها طلاق يلحقها على جميع المذاهب ولو عند الشافعية ، أو لا يرفع الخلاف ، ويكون هذا العقد باطلا عند الشافعية ، فلا يلحقها طلاق ، ولا يحسب عليها ما دامت كذلك ؟

احمد محمد ابراهيم الشريف

الجواب :

تسجيل عقود الزواج لدى المأذون ليس بحكم ولا رافع للخلاف ، غير أنه يقع كثيرا أن يحصل عقــد زواج مستوف جميــع الشروط اللازمة لصحته عنــد بعض الأئمــة كالحنفية ، ويتعاشر الزوجان على مقتضاه زمنا ما ، ثم يقع بينهما خلاف وتسوء عشرتهما ، فيستنفد الزوج ما يملكه على الزوجة من طلاق ، وحينذاك يبحث الزوجان أو أحدهما عما يخلصهما من الطلقات التى وقعت ، فيميدان النظر فى العقــد السابق يتلمسان فيــه ما يجعله باطلا عند الشافعية .

فإذا عثر على شيء من ذلك اعتبر عقد الزواج باطلا لعدم استيفائه شرط كذا عند الإمام الشافعي، واعتبرا جميع الطلقات التي صدرت ملغاة لا أثر لها، فيجددان عقد زواجهما على مذهب الشافعي، ويعتقدان أنهما استأنفا زوجية جديدة يملك فيها الزوج على زوجته طلقات ثلاثا أخرى.

ولكن مثل هذا العمل في نظر أئمة الشافعية تحايل لا يقران عليه، ويجب على الحاكم أن يفرق بينهما متى علم به.

وممن نص على ذلك ابن حجر في شرح المنهاج، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري في المنهج، وهو قول أبي إسحاق المروزي، وأبي على بن أبي هريرة، وأبي سعيد الإصطخري، وأبي حامد المروزي.

وإذا كانت الشريعة الغراء تحترم عقود غير المسلمين التي لم تستوف شروط الصحة عندنا فتقر الزوجين بعد إسلامهما عليها ولا تطالبهما بتجديد العقد، فكيف لا تحترم عقدا وقع صحيحا على مذهب من مذاهب المسلمين؟ والله أعلم.

في الميراث

امرأة توفيت عن أخوين لأم، وبنت أخ شقيق، وعم لأب. فمن يرث، ومن لا يرث، وما مقدار أنصبة الوارثين؟ «سائل»

الجواب:

الميراث في هذه المسألة للأخوين لأم، وللعم لأب، ولا شيء لبنت الأخ الشقيق.

أما الأخوان لأم، فلهما ثلث التركة يقسم بينهما بالسوية، وأما العم لأب فله الباقي، والله أعلم.

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

أثر البيئة

فى أسلوب الأدب وأخيلته

عرضنا على القارئ الكريم فى المقال السابق صورتين من صور الأدب فى بيئتى البداوة والحضارة ، لشاعرين من أشهر شعرائهما مثّلتا بعض الخصائص التى كانت أثرا من آثار البيئة فى الأدب . ونسوق الآن صورتين لشاعرين امتازا بلون خاص من الشعر التصويرى . فالصورة الأولى للشاعر المترف الحضرى « عبد الله بن المعتز » وهو شاعر يقول عنه النقاد : إنه أشهر طبقته بهذا النوع من التشبيه الذى يعتمد فى بنائه على الحس قال عبد القاهر الجرجانى فى « أسرار البلاغة » : « نقول : ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها ، لأنك تعنى تشبيه المبصرات بعضها ببعض ، وذلك أن إحسانه فيها أكثر ، وهو به أشهر » . وابن المعتز معاصر لابن الرومى ، وكان أدباء عصرهما يرون بينهما شيئا من التشابه فى هذا اللون من الشعر التصويرى ، وهو أوضح ألوان الشعر فى تبيين أثر البيئة العامة ، فكما وازنا بين امرىء القيس ، وابن الرومى ، فى تصويرهما لمشهد من مشاهد الطبيعة يتمثل فى السحاب والمطر ، فلنوازن بين ابن المعتز ، وشاعر جاهلى بدوى يظهر فى شعره الفن التصويرى واضحا قويا ، وهو « أوس بن حَجَر » . ولتكن هذه الموازنة فى لون يدخل فى تمثيل بعض المناظر الطبيعية ، ولتكن من نفس اللون الذى أثبتناه للشاعرين السابقين .

قال ابن المعتز يصف سحابا ماطرا :

وسارية لا تمل البكا ... جرى دمعها فى خدود الثرى
سرت تقدح الصبح فى ليلها ... ببرق كهندية تنتضى
فلما دنت جلجلت فى السما ... ء رعدا أجش كجرش الرحى

ضمان عليها ارتداء اليفا ع بأنوارها واعتجار الربى

فما زال مدمعها باكيا على الترب حتى اكتسى ما اكتسى

فأضحت سواء وجوه البلاد وُجِن النبات بها والتقى

هذا تصوير شذبت معانى الحضارة حواشيه ، وهذبت أخيلته ، فرقت معانيه ، ولطفت مبانيه ، وأدار الشاعر ريشة بيئته المترفة الفينانة التى نهد بين أحضانها ، وترعرعت أفكاره فى ظلالها . ففى كل بيت صورة من ديباجة الحضر ، ورونق الحياة ، وبراعة التصوير يكسوها الجمال الفنى شاعرية صَنَاع تتهادى فى أعطاف هذه التشبيهات البديعة .

تأمل قوله : وسارية لا تمل البكا ، فإنك ستلمح فيه هدوءا حزينا يمثل حال هذا الأمير الشاعر المدفوع عن آماله دفعا ، وكأنما هى مرآة انعكست فيها نفس الشاعر الحزين ، فاختيار لفظة « سارية » من بين ألفاظ كثيرة يمكن أن تؤدى المعنى الذى يخص السحاب ، اختيار موفق فيه صورة للوقار الواجم ، أغلب الظن أن الشاعر أرادها من وراء تصوير السحاب . والتعبير عن هطل السحاب بالمطر ، بقوله : لا تمل البكا ، آية من آيات الشاعرية الممثلة للحزن الحبيس . والشاعر الأمير ، يمعن فى معانيه ، فيؤكدها تأكيدا قويا فى قالب جميل : جرى دمعها فى خدود الثرى ، وهى صورة بديعة الصنعة ، حضرية الأسلوب .

وانظر الى قوله : تقدح الصبح فى ليلها ، ففى كل لفظة منه دقة تصويرية تدل على أن الشاعر احتفل بصورته ، واختار لها ألوانها من بيئته . فالتعبير عن ظهور ضوء البرق بالقدح ، وإضافة القدح الى الصبح ، وجعله فى ليلها ، كل ذلك أعطى للألفاظ قوة وتناسقا تؤدى بهما للعين منظرا تفقده الصورة لو لم يكن ذلك اللفظ موجودا . ثم هذا التشبيه للبرق فى هيئته ولمعانه بالسيوف وقد شيمت من أغمادها ، لا يخلو من جمال وتفكير .

يطول بنا القول لو جرينا فى تحليل القطعة كلها على هذا النهج ، وإنما الغرض أن نظهر مميزات الحياة الحضرية فى بعض صور الأدب الحضرى لنجملها فى حذو خصائص حياة البداوة فى صور الأدب البدوى ، وأن نفتح للقارئ بابا يمشى منه الى ساحة النقد الأدبى والتحليل الذى يظهره على موضع الجمال الرصين فى أدبنا العربى القويم .

أما « أوس بن حجر » الذى اخترناه من شعراء البداوة ليكون مع عبد الله بن المعتز فهو شاعر لا نتحرج أن نعده من مدرسة ابن المعتز الشعرية لولا الفواصل الزمنية ، وتأثير البيئة المختلفة . فكلاهما شاعر مصور ، يُعنى أشد العناية بإبراز صورته محكمة الصنعة ، تأخذ بالأنظار أكثر مما تأخذ بالفكر والخيال ، قال أوس (١) :

يا من لبرق أبيت الليل أرقبه ... فى عارض كمضئ الصبح لمّاح

دانٍ مسفّ فويق الأرض هَيْدَبُه ... يكاد يدفعه من قام بالراح

كأن رَيّقه لما علا شطبا ... أقراب أبلق ينفى الخيل رماح

ينزع جلد الحصى أجش مبترك ... كأنه فاحص أو لاعب داحى

فمن بنجوته كمن بمحفله ... والمستكن كمن يمشى بقرواح

كأن فيه عشارا جلة شُرفا ... شعثا لهاميم قد همت بإرشاح

هُدْلا مشافرها بحاً حناجرها ... تزجى مرابعها فى صحصح ضاحى

فهذا كلام جزل ، يملأ الأسماع بقعقعته ، وصور منتزعة من قلب البادية فى تشبيهاتها وأخيلتها ، فومض البرق — عنده — كلمع ضوء الصبح فى الظلام : تشبيه سريع لم يكتمل

(١) اختلف الرواة فى نسبة هذه القصيدة ، فابو على القالى فى أماليه عن أبى عبيدة ينسبها الى عبيد ابن الابرص ، وكذلك صنع ابن الشجرى فى أماليه ، ورددها أبو العلاء المعرى فى رسالة الغفران بين أوس وعبيد ، وهى مذكورة فى ديوان أوس ، وأشبه بشعره ، وفيها عند أولئك الرواة اختلاف شديد ، فبعضهم يؤخر ، وبعضهم يقدم ، وبعضهم يزيد ، وبعضهم ينقص فى أبياتها ، ولعل هذا الصنيع من الرواة هو الذى سول لبعض الباحثين من المعاصرين القول بان هناك قصيدتين على هذا الوضع ، إحداهما لاوس بن حجر خلط بينهما الرواة .

وجهه دقة فى الخيال ، لأن ومض البرق ليس من وادى ضوء الصبح إلا باعتبار اللمحة الطائرة فى خيال البدوى كما يشهدها فى جوب الصحراء عند انفتاق ضوء الصباح.

ثم يصف السحاب بأنه دان شديد الدنو ، يكاد يأخذ هيدبه بوجه الأرض ، حتى أن القائم يدفعه براحته لشدة قربه ، وكأن التشبيه الأول لومض البرق لم يأت على ما فى نفس الشاعر ، فراح يحدث له تشبيها آخر بدويا مكتمل البداوة . وماذا يعرف البدوى بعد الطبيعة غير فرسه وجمله ؟ فلمع البرق ، كخاصرة الفرس الأبلق السابق للخيل ، وهو أبعد فى تحقيق التشبيه من سابقه ، ولكنه طريف . وقد أبدع الشاعر فى تصوير شدة اندفاع السيل فى أودية الصحراء وحصبائها ، وإحداث هذا الصوت الداوى الصاخب ، ولكن التشبيه خلا من التعرض للصوت الذى أدخله الشاعر فى التصوير ، وأحكم هذه الصورة المبصرة بالعين .

وتشبيه آخر يصور استبحار هذا السيل وإفعامه الأودية ، فهو قد عم وطم ، فلا نجاء منه ، فمن بنجوته كمن بمحفله ، والمتحصن المستتر كالمتكشف البارز فى مستوى الأرض . بعد هذه الصورة القوية الغامرة حنّ الشاعر الى بيئته فعاد اليها طفرة فى بيتيه الأخيرين بهذه الصورة الساذجة ، وأدار التشبيه فيها على الإبل وصفاتها ، غير أنها صورة جامعة تمثل مناظر متعددة فى مسارح البادية .

هذا الشاعر مثّال ينحت من الواقع الملموس تماثيله الشعرية ، وليس للخيال العميق عنده وجود ظاهر ، ولا للفكر الباحث كبير أثر ، فهو أكمل مثل على البداوة الصادقة .

على هذا السنن يجرى أديب البداوة متأثرا ببيئته محجوبا بها عن التفكير فى مناحى الوجود التى تحتاج الى غوص وتفكير . فوصفه للنجوم والكواكب فى حدود حاجته لها : يهتدى بها فى دلجه ، وترشده فى سراه وتأويبه ، وحديثه عن الليل والنهار ، والشمس والقمر ، والطير والشجر ، والحيوان ، لا يجاوز اتصالها بشخصه المادى ، وأفق المادة ضيق محدود ، فاذا تعداه قليلا فالى ما يتصل به ويقرب منه ، فوصفه

للشجاعة ، والنجدة ، والكرم ، والوفاء ، والمروءة ، وما الى ذلك من الفضائل المعنوية ، لا يفصلها عن حدود المادة كثيرا .

أتراه يعنى بالشجاعة الفكرية والتدبير العقلى على نحو ما تقول الفلسفة بلسان أفلاطون : « إياك وقت الحرب أن تستعمل النجدة وتدع العقل ، فإن للعقل مواقف قد تتم بلا حاجة الى النجدة ، ولا ترى للنجدة غنى عن العقل » . هذا هو الجبن والخور فى نظر البدوى ، فالشجاعة عنده هى الإقدام فى حومة الوغى ، واستقبال الموت بجنان ثابت ، فهو ينشد مزهوا :

هل الجود إلا أن تجود بأنفس ... على كل ماضى الشفرتين قضيب
ومن هزّ أطراف القناخشية الردى ... فليس لمجد صالح بكسوب
وما هى إلا رقدة تورث العلى ... لرهطك ماحنت روائم نيب

روى ابن سلام فى طبقات الشعراء : أن كثيراً الشاعر دخل على عبد الملك ابن مروان فأنشده مدحته فيه ، وفيها يقول :

على ابن أبى العاصى دلاص حصينة ... أجاد المسدى سردها وأذالها

فقال له عبد الملك : أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس بن معدى كرب :

وإذا تجىء كتيبة ملمومة ... شهباء يخشى الذائدون نهالها
كنت المقدم غير لابس جنة ... بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقال كثير : يا أمير المؤمنين ، وصفه بالخرق ، ووصفتك بالحزم . فأنت ترى أن الأعشى ذهب فى مدح صاحبه مذهب البداوة ، وكُثيرا ذهب فى مدح عبد الملك بن مروان مذهب الحضارة ، ولكن عبد الملك أرادها من كثير أعرابية ، لأن عصر بنى أمية كان قريبا الى البداوة وكثير التصنع لها .

لست أزعم أن أدب البداوة كله أدب مادى لا يجاوز الحس فى تصويراته ، ولست أزعم أن أدب الحضارة كله أدب سام يرتفع عن حضيض المادة الى التحليق فى سماء

الخيال والعواطف ، والتصوير النفسى ، ولكن الذى أقوله : أن أظهر ظواهر أدب البداوة وأقواها اعتماده على الحس ، واستيحاؤه الطبيعية فى مناظرها المشهورة ، وأخذ ألوانه منها فى الأغلب الأكثر ، وأن مظاهر الحضارة تساعد الأدب الحضرى على أن يكون فى دائرة أوسع من جهة معانيه وأفكاره وصوره وأخيلته ، وأسلس فى صياغته وأسلوبه .

صادق ابراهيم عرجون

صفة العقل وفضله

قال سحبان وائل وهو الخطيب المفوه الذى يضرب بفصاحته المثل : العقل بالتجارب . وعقب ابن عبد ربه صاحب العقد على هذا بقوله : لأن عقل الغريزة سلم الى عقل التجربة ، ولذلك قال على بن أبى طالب رضوان الله عليه : رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .

وقال الحسن البصرى : لسان العاقل من وراء قلبه ، فاذا أراد الكلام تفكر ، فان كان له قال ، وإن كان عليه سكت . وقلب الأحمق من وراء لسانه فاذا أراد أن يقول قال .

وسئل المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه . فقال: كان والله أفضل من أن يخدع ، وأعقل من أن يخدع . وهو القائل : لست بخب والخب لايخدعنى (والخب المخادع) .

وقيل لعمرو بن العاص : ما العقل ؟ قال : الاصابة بالظن ، ومعرفة ما يكون بما قد كان .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من لم ينفعه ظنه لم تنفعه عينه .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وذكر ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال : لقد كان ينظر الى الغيب من ستر رقيق .

وقالوا : العاقل فطن متغافل .

وقال معاوية : العقل مكيال ، ثلثه فطنة ، وثلثاه تغافل .

وقال المغيرة بن شعبة لعمر بن الخطاب إذ عزله عن كتابة الى أبى موسى الأشعرى : أعن عجز عزلتنى أم عن خيانة يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لا عن واحد منهما ، ولكنى كرهت أن أحمل على العامة فضل عقلك .

فلسفة الاخـلاق

وصلتها بالنفس الناطقة — أثر ذلك فى المجتمع الانسانى العام

مضينا بالقارئ فى شطر غير قليل من البحوث السابقة عن الانسان فى شتى أطواره ومختلف مراحله وأدواره من حيث نفسه التى تنفعل بالخير والشر ، ومبلغ ما لديها من قابلية لهما ، واستعدادها للتخلق بالأخلاق المرذولة أو المحمودة ، بالقياس الى مبلغ تهذيبها وقوة ما تحاط به وما تعود عليه من وسائل التهذيب ، والدعوة الى أهدى السبل وأجداها . ولأن علماء الأخـلاق أفاضوا فى حقائق الموجـودات إفاضة بعيـدة المدى مترامية المناحى ، فارتقوا فى بحوثهم الى أعلى هذه الموجودات وهو الانسان ، فخالوه فى مختلف صـوره وأشكاله وسائر وجـوداته ؛ ثم انحدروا من بحوثهم عن الانسان الى بحوثهم عن الحيوان من حيث هو كذلك ، وعن مراتبه الموضحة لأنواعه وأجناسه ، ثم الى الأجسام الطبيعية لتلك الموجـودات ، ليكون بحثهم عن الجواهر والأعراض لتلك العوالم قائما على البحث والاستقصاء .

ونريد الآن أن نتابعهم فى صنيعهم ، ونتحدث فى شىء من الإفاضة عن الأجسام الطبيعية من حيث كونها كذلك ، ثم عن مراتب الحيوان ، لأن للبحثين شبها قويا وصلة وثيقة بالانسان الذى هـو أعلى الموجودات ، والذى سخر له ما فى الأرض جميعا من حيوان ونبات وجماد . فإن الأجسام الطبيعية تشترك فى الحـد الذى يعمها من حيث كونها جوهرا ذا أبعاد ثلاثة ، ومن حيث تحيز ذلك الجوهر وشغله فراغا ، ومن حيث مادته وهيولته ، غير أن تلك الأجسام الطبيعية تتفاضل بتفاضل ما هى مستعـدة له من الصور الشريفة التى تميزها عما دونها فى المرتبة ، ضرورة أن الجماد منها إذا قبـل صورة شهية الى النفوس محببة الى القلوب ، صار بتلك الصورة أفضل من تلك الطينة التى لا تقبلها فالجسم الطبيعى الذى يقبل صورة من الصور التى تميل اليها النفوس طبعا

كان أكثر تمييزا من ذلك الجسم الذى لا يقبل نوعا من تلك الصور هكذا صعودا وهبوطا فى القابلية وعدمها . فإذا بلغ الجسم الطبيعى من القابلية حدا يصيره مستعدا لقبول صورة نباتية كان أفضل من الجماد الذى لم ترتق به قابليته الى تلك الصور . وتلك القابلية للصورة النباتية تتألف عناصرها من الاغتذاء والنمو والامتداد فى الأصقاع واجتذاب ما يوافق ذلك الجسم من الأرض والماء وترك ما لا يوافقه ، ونفض الفضلات التى تتولد فيه من غذائه عن جسمه بالصموغ ، وهذه هى المميزات التى يفضل بها النبات عن الجماد ، وهى حال زائدة على الجسمية المبحوث عنها عند الطبيعيين .

وغنى عن البيان أن تلك الحالة الزائدة عن الجماد التى شرف بها النبات تتفاضل بالقياس الى قوة ما يعرض لها من المميزات التى تباعد بينها وبين الجماد ، فكلما كان الجسم النباتى أبعد بمميزاته عن الجسم الجمادى ، كلما كان أكثر شرفا من الجسم الذى يكون أقرب الى الجمادية منه ، ذلك أن بعض الأجسام النباتية يفارق الجماد مفارقة يسيرة كالمرجان وأشباهه من الأجسام الصلبة الملساء . ثم يتدرج فى تلك الزيادة فيحدث له من تلك الزيادة مميز بعد مميز ، فبعضه ينبت من غير زرع ولا بذر ، ولا يحفظ نوعه الى القدر الذى يوجد مكانه خلفا عنه . فيكفى فى حدوثه امتزاج العناصر وطلوع الشمس وهبوب الرياح اللواقح ، فهو عند هذه المرتبة فى أفق الجمادات وقريب الحال منها . ثم تزداد تلك الفضيلة فى النبات بازدياد عناصرها ، فيفضل بعضه بعضا بنظام وترتيب أبدعه مبدع السموات ومدبر الكائنات . فهو ما يزال يرق وينمو بعوامله المحيطة به حتى تظهر فيه قوة الإثمار وحفظ النوع بالبذر الذى يخلف به مثله ، فتستحيل هذه الحالة زائدة فيه ، ومميزة له عن حال ما تحته من المراتب الأخرى .

ولم تزل تقوى فيه هذه الفضيلة وتنمو بخصائصها حتى يصير فضل الثالث على الثانى مثلا كفضل الثانى على الأول . وهكذا دواليك صعودا وهبوطا ، فلا يزال يشرف

ويفضل بعضه على بعض حتى يبلغ أفقه ، ويصير فى أفق الحيوان ككرام الشجر كالزيتون والرمان والكرم وما إليها من الفواكه الحلوة النضرة . ثم هى بعد ذلك مختلطة القوى ، على معنى أن قوى الذكورة والأنوثة فيها غير متميزة ، فهى تحمل وتلد المثل ، غير أنها لم تبلغ غاية أفقها الذى يتصل بأفق الحيوان . ثم تزداد وتمعن فى هذا الأفق الى أن تصير فى أفق الحيوان فلا تحتمل بعد هذا الحد الذى بلغته زيادة لمستزيد ، ضرورة أنها إذا قبلت زيادة يسيرة استحالت حيوانا ، وخرجت بذلك عن أفق النبات ، وإذا تتميز قواها وتحدث فيها الذكورة والأنوثة ، وتقبل من مقومات الحيوان أمورا تتميز بها عن سائر النبات والشجر ، كالنخل الذى طالع أفق الحيوان بخواصه العشر التى فضلها علماء النبات فى كتبهم حتى قالوا إنه لم يبق بينه وبين الحيوان إلا مرتبة واحدة ، تلك المرتبة هى الانقلاع من الأرض ، والسعى الى الغذاء كما يسعى الحيوان مختارا الى تناول ما يقوم به حياته من غذائه الخاص به ، كما روى فى الأثر ما هو كالإشارة أو كالرمز الى هذا المعنى ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : «أكرموا عماتكم النخل فإنها خلقت من بقية طينة آدم »

وجملة القول أن بعض النباتات وبعض الأشجار وصل بمميزاته الى أفق الحيوان ، وليس بينه وبين عالم الحيوان إلا أن يكون له اختيار وإرادة . فهذا النوع من النبات أشرف من الجماد فى عالمه ، وأميز وجودا بعد وجود الحيوان .

وسنورد فى العدد القادم بقية آراء الباحثين من علماء الأخلاق فى عالم الجماد وعالم النبات ، ثم بحثا مستفيضا فى مراتب الحيوان . ولاشك أن لتلك البحوث اتصالا بفلسفة الأخلاق من حيث ارتباطها بحقائق الموجودات . فإلى العدد القادم ، إن شاء الله .

عباس طه
المحامى الشرعى

أسرار التشريع الاسلامى وفلسفته

نظام الوقف فى الاسلام

أسلفنا لحضرات القراء شطرا عن الكلام فى الشروط المصححة للموقوف ليصير بهذه الشروط موقوفا وقفا شرعيا تنتفع بغلته الفقراء إذا كان وقفا خيريا ، ويصل به المستحقون الى حقوقهم إن كان وقفا أهليا . وقد أفاض علماء الفروع فى بيان شروط الموقوف بما لا يدع مأخذا عليه ولا مطعنا فيه . من أجل ذلك نحب أن نتوخى آراءهم قدر الجهد بما يجلو الحقيقة ويرفع ذلك اللبس الذى وقع فيه كثير من الواقفين مستسلما لأصحاب الغايات ورواد الشهوات ، والذى تعج به المحاكم الشرعية عجيجا ، مما لا تزال آثاره عالقة بأذهاننا حتى اليوم .

شرط الفقهاء لنفاذ الوقف أن تكون العين الموقوفة مثلا مملوكة للواقف وقت الوقف ملكا خاصا لا شية فيه حتى ولو كانت الملكية بسبب فاسد ، ولذلك صح وقف ما اشتراه الواقف شراء فاسدا بعد قبضه ، كما إذا اشترى دارا بثمن معين على أن يدفع المشترى الثمن الى البائع متى وصل الى يده فلما قبض المشترى المبيع وقفه ، فإن هذا الوقف يقع صحيحا لاتفاق علماء الفروع على أن المبيع بيعا فاسدا يملك بمجرد القبض ، وفى هذه الحالة يجب على المشترى دفع قيمة المبيع الى البائع لا دفع ثمنه ، وقد ضرب الفقهاء لهذه الصورة مثلا بما لو وقف الموهوب له هبة فاسدة بعد قبض الموهوب ، فإن الهبة تفيد الملك بالقبض كذلك ، فلو كان الوقف فيهما قبل القبض ، لم يقع صحيحا ، لعدم تحقق الملك فيهما قبل القبض ، ويتفرع على ذلك أنه لو كان البيع صحيحا ثم وقف المشترى العقار المبيع قبل قبضه ، وقع وقف الواقف على هذه الصورة صحيحا . فإن وقف الواقف المبيع قبل دفع الثمن الى البائع فلم يدفع الثمن الى البائع

بعد الوقف ، ولم يكن عنده حال آخر يمكن أن يدفع منه ثمن المبيع ، جاز للبائع حق طلب نقض الوقف واستيفاء الثمن من المبيع الذى فى يده ، فإذا وجد عند الواقف بوصف كونه مشتريا ما بقى بالثمن من غير المبيع كأن تكون له عين أخرى تضمن حق البائع فى الثمن لم يجز للبائع فى هذه الحالة حق طلب نقض الوقف ، ورجع عليه بالثمن فى تلك العين الأخرى .

وهذه الحالة تشبه حالة وقف العين المرهونة ، فإن للبائع شرعا حق حبس المبيع فى يده حتى يستوفى ثمنه الذى حل بحلول أجله المضروب بينهما . وتتفرع على الشرط فروع ، منها أنه لا يصح الوقف فى حالة ما إذا وقف الواقف عينا مغصوبة ثم اشتراها من صاحبها أو صالحه على شيء فى نظيرها . ومنها ما إذا وقف الموصى له العقار الموصى به قبل موت الموصى ، أو وقف الموهوب له الموهوب قبل قبضه ، أو وقف المشترى المبيع وكان الخيار للبائع ثم أجاز البائع بعد ذلك البيع ، لعدم استناد الموقوف وقت وقفه الى ملكية الواقف فى جميع هذه الصور . ولو كان الخيار للمشترى أو كان للبائع فوقف العين المشترى أو وقفها البائع والخيار لهما فالوقف صحيح فى الصورتين ، ويكون الوقف إسقاطا للخيار فى الصورة الأولى ، وإبطالا للبيع فى الصورة الثانية .

ويكون من تفاريع هذا الشرط أن ينقض الوقف فى جميع صوره . فلو بنى الواقف مسجدا يستحقه الغير بملكية أو بشفعة لوقع الوقف باطلا لتحقق عدم ملكية الواقف له وقت وقفه . فاذا ضمن الواقف لمستحق العقار قيمته صح وقفه لاستناد الملك الى زمن الحيازة .

وفى حالة بطلان الوقف لم يكن من الضرورى للواقف أن يشترى بالثمن الذى يرجع به على بائعه أو يسترده من الشفيع عقارا ليجعله وقفا بدل الأول ، على ما حققه صاحب البحر ، وتابعه فى ذلك كثير من العلماء المتأخرين .

ومن تفاريع ذلك ما نقله الرافعى أنه لا يصح لمن فى يده الاقطاعات أن يحبسها وقفا ، ولا للامام أن يقف أرض الحوز .

وعرف علماء الفروع الاقطاعات بأنها هى أراضى بيت المال التى تمنح الى من لهم فيه استحقاق كالعلماء والقضاة ونحوهم لينتفعوا بغلتها جزاء لهم على قيامهم بأعباء رفع منارة الشريعة المطهرة فى البلاد وإعلاء كلمة الله فيها . وهذه الاقطاعات التى استحقوا من أجلها كفايتهم فى بيت المال تبقى فيه رقبتها .

وقد كان عهد الاقطاعيات عهدا طويلا استمر أجيالا من الزمن كانت الأمة تشعر فيه بنوع من الظلم . وكان الحكام فى العهد الأخير لا يتحرون من يستحقها تحريا يرفع عنهم ألسنة الناقدين . وقد ظل عهد الاقطاعيات جاثما فى البلاد الاسلامية حتى أواخر القرن التاسع عشر ، فلما أضاءت المدنية عقول الشعوب ، وآمن كل من دافعى الضرائب بحقه فى الخزانة العامة من المراقبة ، أفاق الحكام من غشيتهم واجتاحوا ذلك التقليد الأثيم من ربوع البلاد .

وموعدنا بإتمام هذا البحث العدد القادم .

عباس طه
المحامى الشرعى

استدراك

جاء خطأ فى السطر الرابع من صفحة ٣٠٨ من هذا الجزء :

وهذه العادة المستحكمة .

والصواب :

وهذه المادة المستحكمة .

CHAPTER 67.

What is to be done if washing seminal stains or other forms of pollution does not obliterate the traces.

1. We are informed by Mûsa, who had it from ᶜAbdu-l-Wâhid, who received it from ᶜAmr b. Maimûn, who said :

"When I asked Sulaimân b. Yasâr about garments polluted by seminal stains, he replied that ᶜA'ishah had said : 'I used to wash the stains off the garment of the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) and he often went out to prayer with the wet mark of the washing showing on it.' "

2. We are informed by ᶜAmr b. Khâlid, who had it from Zuhair, who was told it by ᶜAmr b. Maimûn b. Mihrân, through Sulaimân b. Yasâr, through ᶜA'ishah that :

She used to wash the seminal stains off the garment of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) and that she could still see a mark[1] showing on it. [2]

— ٦٧ —

بابٌ: إذَا غَسَلَ الْجَنَابَةَ أوْ غَيْرَهَا فَلَمْ يَذْهَبْ أثَرُهُ:

١ ــ حدثنا موسى قال حدثنا عبد الواحد قال حدثنا عمرو بن ميمون قال :

« سَألْتُ سليمانَ بنَ يَسارٍ في الثوب تُصِيبُهُ الْجَنَابَةُ، قال قالت عَائِشَةُ : كُنْتُ أغْسِلُهُ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ثم يَخْرُجُ إلى الصَّلاَةِ وأثَرُ الْغَسْلِ فِيهِ بُقَعُ الْمَاءِ ».

٢ ــ حدثنا عمرو بن خالد قال حدثنا زهير قال حدثنا عمرو بن ميمون بن مِهران عن سليمان بن يسار عن عائشة :

أنَّهَا كَانَتْ تَغْسِلُ الْمَنِيَّ مِنْ ثَوْبِ النبي صلى الله عليه وسلم ثُمَّ أرَاهُ فِيه بُقْعَةً أوْ بُقَعاً.

---

(1) — or marks — the narrator being in doubt as to which.

(2) Al-Bukhâri's object in recording these last two hadiths which are similar to the two preceding ones is to show that the washing of such stains was ritual in purpose, and need not be too meticulous.

1. We are informed by ᶜAbdân, who had it from ᶜAbdullâh, who received it from ᶜAmr b. Maimûn Al-Jazari, through Sulaimân b. Yasâr, through ᶜA'ishah, who said:

"I used to wash away seminal stains (1) from the garment of the Prophet (Allâh bless him and give him peace), and he often went out to prayer with the marks of water showing on his garment."

2. We are informed by Qutaibah, who had it from Yazid, who received it from ᶜAmr, through Sulaimân b. Yasâr, who heard it from ᶜA'ishah ; — we are also informed by Musaddad, who had it from ᶜAbdul-Wâhid, who received it from ᶜAmr b. Maimûn, through Sulaimân b. Yasâr, who said :

"When I asked ᶜA'ishah about semen staining a garment, she replied: 'I used to wash it off the garment of the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace), and he often went out to prayer with the wet mark of the washing showing on his garment.'"

١ — حدثنا عبدان قال أخبرنا عبدالله قال أخبرنا عمرو بن ميمون الجزرى عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت :

« كُنْتُ أَغْسِلُ الْجَنَابَةَ مِنْ ثَوْبِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَيَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ وَإِنَّ بُقَعَ الْمَاءِ فِى ثَوْبِهِ » .

٢ — حدثنا قتيبة قال حدثنا يزيد قال حدثنا عمرو عن سليمان بن يسار قال سمعت عائشة (ح) وحدثنا مسدد قال حدثنا عبد الواحد قال حدثنا عمرو ابن ميمون عن سليمان بن يسار قال :

« سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنِ الْمَنِيِّ يُصِيبُ الثَّوْبَ فَقَالَتْ : كُنْتُ أَغْسِلُهُ مِنْ ثَوْبِ رَسول الله صلى عليه الله وسلم فَيَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَثَرُ الغَسْلِ فِى ثَوْبِهِ بُقَعُ المَاءِ » .

(1) — due to sexual contact.

2. We are informed by Muhammad, who had it from Abuᵉ Muʿâwiyah, who received it from Hishâm b. ʿUrwah, through his father, through ʿAᵉishah, who said :

" Fâtimah Bint Abu Hubaish once came to the Prophet (Allâh bless him and give him peace) and said: 'O Messenger of Allâh, I am a woman subject to constant menstrual discharge, and consequently I am never in a state of ritual purity. Am I then to give up prayer ?' 'No,' replied the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace), 'it is only blood oozing from a vein, and not menstruation. When the period cometh, give up prayer, and when it passeth, wash away the blood (1) and perform thy prayer' "

Hishâm stated that his father added : " . . . . and then perform a wudûᵉ for each prayer, until thy period returneth. "

٢ – حدثنا محمد قال حدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت:

« جَاءَتْ فَاطِمَةُ ابْنَةُ أَبِي حُبَيْشٍ إِلَى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقالت : يَارسولَ الله إِنِّي امْرَأَةٌ أُسْتَحَاضُ فَلاَ أَطْهُرُ أَفَأَدَعُ الصَّلاَةَ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاَ ، إِنَّمَا ذَلِكِ عِرْقٌ وَلَيْسَ بِحَيْضٍ، فإذا أَقْبَلَتْ حَيْضَتُكِ فَدَعِي الصَّلاَةَ وإِذَا أَدْبَرَتْ فَاغْسِلِي عنكِ الدَّمَ ثُمَّ صَلِّي » .

قَالَ وقالَ أبي ، ثُمَّ تَوَضَّئِي لِكُلِّ صَلاَةٍ حَتَّى يَجِيءَ ذَلِكِ الوَقْتُ .

CHAPTER 66.

On washing away semen *when it is wet* and rubbing it off *when dry*; and on washing away the stains from women's emanations *resulting from intercourse*.

– ٦٦ –

بَابُ غَسْلِ المَنِيِّ وَفَرْكِه ، وَغَسْلِ مَا يُصِيبُ مِنَ المَرْأَةِ :

(1) Or — according to another version فاغتسل = take a ritual bath. This version expounds the idea in the text, since ritual bathing is always necessary after menstruation before prayer is admissible.

We are informed by Muhammad b. ᶜArᶜarah, who had it from Shuᶜbah, through Mansûr, through Abu Wâᶜil, who said:

"Abu Mûsa Al-Ashᶜari used to be very particular in the matter of urine, and used to say that it was the practice among the Israelites, that if it soiled the garment of any one of them, he cut off the part affected."

Hudhaifah added: "Would that Abu Mûsa had been less strict, for the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) once went to a public refuse-heap, and urinated standing."

حدثنا محمد بن عَرعرة قال حدثنا شعبة عن منصور عن أبي وائل قال:

«كانَ أبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ يُشَدِّدُ فِي البَوْلِ وَيَقُولُ إنَّ بَنِي إسْرَائِيلَ كَانَ إذا أصابَ ثَوْبَ أحدِهِمْ قَرَضَهُ».

فَقَالَ حُذَيْفَةُ، لَيْتَهُ أمْسَكَ، أتَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سُباطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قائِماً».

Chapter 65.

On washing away traces of blood.

1. We are informed by Muhammad b. Al-Muthannâ, who had it from Yahyâ, through Hishâm, who received it from Fâtimah, through Asmâᶜ, who said:

"A woman [1] once came to the Prophet (Allâh bless him and give him peace) and said: 'When one of us soileth her garment with menstrual blood, what dost thou consider she should do?' '*First* she must rub the place dry,' replied he, 'and then wet it with water and rub it *between her knuckles*, and rinse it, after which she may pray in it."

— ٦٥ —

بَابُ غَسْلِ الدَّمِ:

١ — حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا يحيى عن هشام قال حدثتني فاطمة عن أسماء قالت:

«جاءَتِ امْرَأةٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فقالَتْ: أرَأيْتَ إحْدَانَا تَحِيضُ في الثَّوبِ كَيْفَ تَصْنَعُ؟ قال: تَحُتُّهُ ثُمَّ تَقْرُصُهُ بالْماءِ وَتَنْضَحُهُ وَتُصَلِّي فِيهِ».

(1) i.e. Asmâᶜ herself, who seems to be prevented by a sense of delicacy from saying so. (Al-ᶜAini, vol. III, p. 140)

"The Prophet (Allâh bless him and give him peace) once went to a refuse-heap belonging to a certain family *of Ansâr* and passed water on it standing. He then called for water, and when I brought it he performed his wudû'."

«أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم سُباطةَ قومٍ فبالَ قائماً، ثمّ دعا بماءٍ فجئتُه بماءٍ فتوضّأ».

CHAPTER 63.

— ٦٣ —

On micturating in the company of a friend and taking shelter behind a wall.

بابُ البولِ عندَ صاحبِه والتَّستُّرِ بالحائطِ :

We are informed by ʿUthmân b. Abu Shaibah, who had it from Jarîr, through Mansûr, through Abu Wâ'il, through Hudhaifah, who said:

حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن حذيفة قال :

"I remember when once I was walking in company with the Prophet (Allâh bless him and give him peace), he went to a refuse-heap, belonging to a certain family *of Ansâr*, behind a wall and stood up to pass water as any one of you might do. I kept away from him until he signed to me to come nearer. I did so, and stood close behind him (1) until he had finished.

«رأيتُني أنا والنبيّ صلى الله عليه وسلم نتماشى، فأتى سُباطةَ قومٍ خلفَ حائطٍ فقامَ كما يقوم أحدُكم فبالَ فانتبذتُ منه فأشارَ إليّ فجئتُه فقمتُ عند عقبِه حتى فرغ».

CHAPTER 64.

— ٦٤ —

On urinating by a public refuse-heap. (2)

بابُ البولِ عندَ سُباطةِ قومٍ :

(1) — with the object of screening him.

(2) This, and the two preceding hadiths, though transmitted by Hudhaifah, were received by Al-Bukhâri from three different authorities — the titles differing to suit Al-Bukhâri's deductions.

Mâlik, through Hishâm b. ʿUrwah, through his father, through ʿAʾishah the Mother of the Faithful, who said:

"The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) was brought an infant who urinated on his gown. He called for water and simply poured it over the place."(1)

2. We are informed by ʿAbdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Ibn Shihâb, through ʿUbaidullâh b. ʿAbdullâh b. ʿUtbah, through Umm Qais Bint Mihsan that:

She brought a baby son of hers, who was still a suckling, to the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace). He set him on his lap, when he wetted his gown. He called for water and simply sprinkled it on the place without washing it.

أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :

« أُتِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بصَبِيٍّ فَبالَ عَلَى ثَوْبِهِ فَدَعَا بِماءٍ فَأَتْبَعَهُ إِيّاهُ » .

٢ ــ حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة عن أم قيس بنت مِحْصَن :

أَنَّهَا أَتَتْ بِابْنٍ لَهَا صَغِيرٍ لَمْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ الى رسول الله صلى الله عَليه وسلم فَأَجْلَسَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى حِجْرِهِ فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ فَدَعَا بِمَاءٍ فَنَضَحَهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ .

Chapter 62.

— ٦٢ —

On making water standing or squatting.

بَاب البَوْلِ قَائِماً وَقَاعِداً :

We are informed by Adam, who had it from Shuʿbah, through Al-Aʿmash, through Abu Wâʾil, through Hudhaifah, who said:

حدثنا آدم قال حدثنا شعبة عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال :

(1) The inoffensiveness of the urine of infants, whose diet is nothing but milk does not necessitate ceremonial washing, hence more pouring of water over the place is sufficient.

pour a bucket (1) of water on the urine. Surely your mission is to make things easy and not to make them difficult.'

بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ — أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ — فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ.»

(We are also informed by ᶜAbdân, who had it from ᶜAbdullâh, who received it from Yahyâ b. Saᶜid, who heard it from Anas b. Mâlik, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) to this effect.)

(حدثنا عبدان قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا يحي بن سعيد قال سمعت أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم بِهَذَا).

CHAPTER 60.

— ٦٠ —

Water to be poured over urine.

بَابٌ: يُهَرِيقُ الْمَاءَ عَلَى الْبَوْلِ:

We are informed by Khâlid and also by Sulaimân, through Yahyâ b. Saᶜid, who heard it from Anas b. Mâlik, who said:

حدثنا خالد قال وحدثنا سليمان عن يحي بن سعيد قال سمعت أنس بن مالك قال:

"A certain Bedouin came and started to micturate in a part of the Mosque. So the Faithful rebuked him, but the Prophet (Allâh bless him and give him peace) forbade them. When the Bedouin had finished, the Prophet (Allâh bless him and give him peace) ordered a bucket of water to be brought and poured over the place."

«جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي طَائِفَةِ الْمَسْجِدِ فَزَجَرَهُ النَّاسُ فَنَهَاهُمُ النبي صَلى الله عليه وسلم فَلَمَّا قَضَى بَوْلَهُ أَمَرَ النبي صلى الله عليه وسلم بِذَنُوبٍ مِنْ مَاءٍ فَأُهْرِيقَ عَلَيْهِ.»

CHAPTER 61.

— ٦١ —

On the urine of infants.

بَابُ بَوْلِ الصِّبْيَانِ:

1. We are informed by ᶜAbdullâh b. Yûsuf, who had it from

١ — حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن

(1) The narrator gives ذنوباً as an alternative for سجلا (bucket).

CHAPTER 58.

On the Prophet (Allâh bless him and give him peace) and the Faithful having left a certain Bedouin to finish micturating in the Mosque. (1)

We are informed by Mûsa b. Ismâ'il, who had it from Hammâm, who received it from Ishâq, through Anas b. Mâlik that:

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) when once he saw a Bedouin micturating in the Mosque, said:

"Leave him alone." Then when the Bedouin had finished, he called for water, which was poured over the place.

— ٥٨ —

بَابُ تَرْكِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم والنَّاسِ الأعْرابِيَّ حتى فَرَغَ مِنْ بَوْلِهِ فِي الْمَسْجِدِ :

حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا همام أخبرنا اسحاق عن أنس بن مالك :

أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم رأى أعْرابِيًّا يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فقَالَ : « دَعُوهُ » حَتَّى إِذَا فَرَغَ دَعَا بِمَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ .

CHAPTER 59.

On pouring water on urine in the Mosque.

We are informed by Abu-l-Yamân, who had it from Shu'aib, through Az-Zuhri, who received it from 'Ubaidullâh b. 'Abdullâh b. 'Utbah b. Mas'ûd that Abu Hurairah said:

"A certain Bedouin stood up and started to micturate in the Mosque. So the Faithful shouted, at him, but the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said: 'Leave him alone and

— ٥٩ —

بَابُ صَبِّ الْمَاءِ عَلَى الْبَوْلِ فِي الْمَسْجِدِ :

حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شُعَيْبٌ عن الزهري قال أخبرني عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة قال :

«قَامَ أعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ فقال لَهُمُ النبي صلى الله عليه وسلم : دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى

(1) i.e. the Prophet's Mosque at Al-Madînah.

We are informed by Ya'qûb b. Ibrâhîm, who had it from Ismâ'îl b. Ibrâhîm, who received it from Rawh b. Al-Qâsim, who was told it by 'Atâ' b. Abu Maimûnah, through Anas b. Mâlik, who said :

" Whenever the Prophet (Allâh bless him and give him peace) went out to relieve his necessity, I used to bring him water, with which he washed himself."

حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثني اسماعيل بن ابراهيم قال حدثني روح بن القاسم قال حدثني عطاء بن أبي ميمونة عن أنس بن مالك قال :

« كَانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا تَبرَّزَ لِحَاجَتِهِ أَتَيْتُهُ بِماءٍ فَيَغْسِلُ بِهِ » .

Chapter 57. (1)

— ٥٧ —

بَابٌ

We are informed by Muhammad b. Al-Muthannâ, who had it from Muhammad b. Khâzim, who was told it by Al-A'mash, through Mujâhid, through Tâwûs, through Ibn 'Abbâs, who said :

"The Prophet (Allâh bless him and give him peace) was once passing by two graves, when he remarked: ' The two men *in these graves* are being tormented, though not for a major sin. One of them used not to guard against defilement from urine, and the other used to go about backbiting.' After that he took a green palm-branch, which he broke into two halves, planting one upon each grave. When he was asked : 'O Messenger of Allâh, why hast thou done his?' he replied : 'Haply it may lighten their punishment, so long as the branches are not withered.' "

(Ibn Al-Muthannâ stated that he also had it from Waki', who received it from Al-A'mash, who heard it from Mujâhid to the same effect - but using "guarding against *his* urine" instead of "against urine".

حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن خازم قال حدثنا الأعمش عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال :

« مَرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بِقَبرَيْنِ فقال: إنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فى كَبِيرٍ ، أمَّا أحدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ من البَوْلِ ، وأمّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، ثمَّ أخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ فَغَرَزَ فى كُلِّ قبرٍ واحدةً . قالوا : يا رسولَ الله لِمَ فَعَلْتَ هذا ؟ قال : لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عنهما مَا لَمْ يَيْبَسَا »

(قال ابن المثنى : وحدثنا وكيع قال حدثنا الأعمش قال سمعت مجاهدا مِثْلَهُ : « يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ »)

(1) Al-Bukhâri gives this chapter without a heading, as he considers that the hadith in question is almost identical with the one given under Chapter 55, and so is covered by the same heading. His object is to indicate the different channel of isnâd which substantiates the authenticity of the hadith, although the text here is slightly different. (Al-'Aini)

of two men being tormented in their graves. Then the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said : 'These two men are being tormented, though not for a major sin.'

He then added : 'Nay, not so ! (1) One of them used not to guard against defilement from his urine, (2) and the other used to go about backbiting.' (3) After that he called for a palm-branch, which he broke into two pieces, placing one on the grave of each of the two men. When he was asked: 'O Messenger of Allâh, why hast thou done this?' he replied: 'Haply it may lighten their punishment so long as the branches are not withered -- or until they wither. (4)'"

مَكَّةَ ـ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، ثُمَّ قال :

بَلَى! كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ يا رسولَ الله لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قال : لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا ـ أَوْ إِلَى أَنْ يَيْبَسَا.

Chapter 56.

On what hath been related *in the Traditions* on washing away *the defilement* of urine ;

and on the words of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) about the man in the grave: "He used not to guard against defilement from his urine" - referring only to human urine. (5)

— ٥٦ —

بَابُ مَا جَاءَ فِي غَسْلِ الْبَوْلِ،

وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِصَاحِبِ الْقَبْرِ : «كَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ» ـ وَلَمْ يَذْكُرْ سِوَى بَوْلِ النَّاسِ.

---

(1) The apparent contradiction is explained by Al-Qastallâni by supposing — either that the sin in question was not too difficult to avoid, or that it might appear a small thing in the eyes of man, but a serious one in the eyes of God. It is also suggested that the Prophet's change of mind was due to the immediate inspiration of the Angel Gabriel.

(2) The seriousness of this sin lies in the fact that it makes prayer impossible as defilement debars a man from prayer, "the main pillar of Islâm." (Al-Qastallâni)

(3) Similarly the sin of backbiting may lead to murder.

(4) The two readings are alternatives according to different narrators. Fresh plants are considered to be praising God in common with all living things, and so to convey a blessing to the dead. (Ibn Hajar).

(5) Al-Bukhâri's object here is to refute Al-Khattâbi's inference from the last hadith that all urine is defiling. He wishes to add a rider that the urine of animals not fit for food is, like human urine, defiling; while that of animals fit for food is not.

2. We are informed by Khâlid b. Makhlad, who had it from Sulaimân, who received it from Yahyâ b. Sa'îd, who was told it by Bushair b. Yasâr, to whom it was related by Suwaid b. An-Nu'mân, who said :

٢ - حدثنا خالد بن مخلد قال حدثنا سليمان قال حدثني يحيى بن سعيد قال أخبرني بشير بن يسار قال أخبرني سويد بن النعمان قال :

"We once went out with the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) in the year of Khaibar. When we reached As-Sahbâ', the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) led us in the afternoon-payer. When he had finished the prayer, he called for provisions, but nothing was brought but corn-gruel. After we had eaten and drunk, the Prophet (Allâh bless him and give him peace) stood up to the sunset-prayer. Having only rinsed his mouth, he led us in the prayer without *a fresh* wudû'."

« خَرَجْنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عَامَ خَيْبَرَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالصَّهْبَاءِ صَلَّى لَنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العَصْرَ، فَلَمَّا صَلَّى دَعَا بِالأَطْعِمَةِ فَلَمْ يُؤْتَ إِلاَّ بِالسَّوِيقِ، فَأَكَلْنَا وَشَرِبْنَا ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسلم إِلَى المَغْرِبِ فَمَضْمَضَ ثُمَّ صَلَّى لَنَا المَغْرِبَ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ ».

CHAPTER 55.

— ٥٥ —

It is one of the major sins not to guard against ([1]) defilement from one's urine.

بَابٌ : مِنَ الكَبَائِرِ أَنْ لاَ يَسْتَتِرَ مِنْ بَوْلِهِ :

"We are informed by 'Uthmân, who had it from Jarir, through Mansûr, through Mujâhid, through Ibn 'Abbâs, who said :

حدثنا عثمان قال حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس قال :

"The Prophet was once passing a walled garden in Al-Madinah—or Makkah - ([2])when he heard the shouts

« مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ – أَوْ

---

(1) Muslim's reading of يستنزه (to keep away from) for يستتر (to conceal oneself) is more probable from the sense. Some commentators have connected يستتر with عورة (pudenda), and explained it as meaning "exposure of the parts" ; but this is not borne out by the meaning of (من البول) which determines "urine" and not "pudenda". (Ibn Hajar)

(2) The narrator (Jarir) is doubtful as to which, but Al-Bukhâri himself mentions Al-Madînah as certain in the book of "Adab." The garden was known to belong to Umm Mubashshir, a woman of Al-Madînah. (Al-Qastallâni)

"If any one of you is overcome by slumber while he is performing his prayer, let him lie down until sleep have passed from him; for if any one of you performeth his prayer while he is overcome by slumber, he knoweth not that haply he may wish to ask pardon of Allâh, but call down a curse upon his soul."

« إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ » .

2. We are informed by Abu Mamar, who had it from ʿAbdu-l-Wârith, who was told it by Ayyûb, through Abu Qilâbah, through Anas, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said:

"If any one of you is overcome by slumber during his prayer, let him sleep out until he is able to know what he reciteth."

٢ ـ حدثنا أبو معمر قال حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَنَمْ حَتَّى يَعْلَمَ مَا يَقْرَأُ » .

CHAPTER 54.

— ٥٤ —

On the performance of *a fresh* wudûʾ when no accidental impurity hath taken place.

بَابُ الْوُضُوءِ مِنْ غَيْرِ حَدَثٍ :

1. We are informed by Muhammad b. Yûsuf, who had it from Sufyân, through ʿAmr b. ʿAmir, who heard it from Anas; also we are informed by Musaddad, who had it from Yahyâ, through Sufyân, who received it from ʿAmr b. ʿAmir, through Anas, who said:

"The Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to perform a wudûʾ with every prayer."

When ʿAmr b. ʿAmir asked the Companions what they themselves used to do, Anas replied: "Each one of us was content with *a single* wudûʾ, so long as there had not been an accidental impurity."

١ ـ حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا سفيان عن عمرو بن عامر قال سمعت أنسا (ح) قال وحدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن سفيان قال حدثني عمرو بن عامر عن أنس قال :

« كَانَ النبي صلى الله عليه وسلم يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ » .

قُلْتُ : كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ ؟ قَالَ : يُجْزِئُ أَحَدَنَا الْوُضُوءُ مَا لَمْ يُحْدِثْ » .

2. We are informed by Asbagh, who had it from Ibn Wahb, who received it from ᶜAmr, through Bukair, through Kuraib, through Maimûnah that:

٢ ـ حدثنا أصبَغُ قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو عن بكير عن كريب عن ميمونة :

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) ate shoulder *of mutton* at her house, and then performed his prayer without *a fresh* wudû'.

أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم أَكَلَ عِنْدَهَا كَتِفاً ثُمَّ صَلىَّ وَلَمْ يَتَوَضأْ .

Chapter 52.

— ٥٢ —

Should the mouth be rinsed after drinking milk?

بَابٌ : هَلْ يُمَضْمِضُ مِنَ اللَّبَنِ ؟

We are informed by Yahyâ b. Bukair and Qutaibah, who both had it from Al-Laith, through ᶜUqail, through Ibn Shihâb, through ᶜUbaidullâh b. ᶜAbdullâh b. ᶜUtbah, through Ibn ᶜAbbâs that:

حدثنا يحي بن بكير وقتيبة قالا حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس :

The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) drank milk and then rinsed his mouth saying: " Milk containeth fat. "

أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم شَرِبَ لَبَناً فَمَضْمَضَ وَقَالَ : « إنَّ لَهُ دَسَماً » .

(This narration is confirmed as fellow-witnesses to ᶜUqail by Yûnus and Sâlih b. Kaisân, through Az-Zuhri.)

(تَابعَهُ يونس وصالح بن كيسان عن الزهرى .)

Chapter 53.

— ٥٣ —

On wudû' after sleep; and on one who doth not see the necessity for *a fresh* wudû' after being overcome once or twice by slumber, or once nodding with drowsiness.

بَابُ الوُضُوءِ مِنَ النَّوْمِ ، وَمَنْ لَمْ يَرَ مِنَ النَّعْسَةِ والنَّعْسَتَيْنِ أوِ الخَفْقَةِ وُضُوءاً :

1. We are informed by ᶜAbdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Hishâm, through his father, through ᶜA'ishah that the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said:

١ ـ حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

2. We are informed by Yahyâ b. Bukair, who had it from Al-Laith, through ᶜUqail, through Ibn Shihâb, who received it from Ja'far b. ᶜAmr b. Umayyah, who was told by his father that :

He saw the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) cutting *a slice* off a shoulder of mutton (1) when he was called to prayer. He threw down the knife, and performed his prayer without *a fresh* wudûᵓ.

٢ ـ حدثنا يحي بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني جعفر بن عمرو بن أمية أنَّ أبَاهُ أخبرهُ:

أنَّهُ رَأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَحْتَزُّ مِنْ كَتِفِ شاةٍ فَدُعِيَ إلى الصَّلاةِ فألْقَى السِّكِّينَ فصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأ .

CHAPTER 51.

On one who rinseth his mouth after eating corn-gruel, without performing *a fresh* wudûᵓ.

— ٥١ —

بابُ مَنْ مَضْمَضَ من السويق وَلَمْ يَتَوَضَّأْ :

1. We are informed by ᶜAbdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Yahyâ b. Saᶜîd, through Bushair b. Yasâr the freedman of Bani Hârithah, who was told by Suwaid b. An-Nuᶜmân that :

He once went out with the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) in the year of Khaibar. When they reached As-Sahbâᵓ, which is the nearest approach to Khaibar, (2) he performed the afternoon prayer, and then called for provisions. As nothing but roast corn was brought, he commanded it to be made into gruel, of which he partook, as we also did. He then stood up to the sunset-prayer, and having only rinsed his mouth, as we also did, he performed the prayer without *a fresh* wudûᵓ.

١ ـ حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن يحي بن سعيد عن بُشير بن يسار مَوْلَى بَنِي حارِثة أن سُوَيدَ بن النعمان أخبره:

أنَّهُ خَرَجَ مَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ خيبرَ حتَّى إذَا كانُوا بالصَّهْباءِ ـ وَهْيَ أدْنَى خَيْبَرَ ـ فصَلَّى العَصْرَ ثُمَّ دَعا بالأزْوَادِ فلَمْ يُؤْتَ إلاَّ بالسَّويق ، فأمَرَ بِهِ فَثُرِّيَ فأكَلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وأكَلْنَا ثُمَّ قامَ إلى المَغْرِبِ فمَضْمَضَ وَمَضْمَضْنَا ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ .

(1) In another version — "and eating it."
(2) — from Al-Madînah.

that he saw the Prophet (Allâh bless him and give him peace) pass *his wet hands* over his turban and his boots.)

اللهُ عليه وسلم يَمْسَحُ عَلَى عِمَامَتِهِ وَخُفَّيْهِ .)

CHAPTER 49.

— ٤٩ —

When a Muslim putteth on his shoes having his feet ritually clean.

بَاب : إِذَا أَدْخَلَ رِجْلَيْهِ وَهُمَا طَاهِرَتَانِ :

We are informed by Abu Nu'aim, who had it from Zakariyyâ, through 'Amir, through 'Urwah b. Al-Mughirah, through his father, who said :

حدثنا أبو نعيم قال حدثنا زكرياء عن عامر عن عروة بن المغيرة عن أبيه قال :

" I was once with the Prophet (Allâh bless him and give him peace) on a journey, and as I was proceeding to take off his shoes, he said:

' Leave them on, for I put them on having my feet ritually clean'. He then passed *his wet hands* over them."

«كنت مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم فى سفر فأَهْوَيْتُ لِأَنْزِعَ خُفَّيْهِ فقال : دَعْهُمَا فإنِّى أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ ، فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا»

CHAPTER 50.

— ٥٠ —

On him who doth not see the necessity for *a fresh* wudû' after eating mutton or corn-gruel; (1)

and on Abu Bakr, 'Umar and 'Uthmân (Allâh be well-pleased with them) having eaten meat without performing *a fresh* wudû'.

بَابُ مَنْ لَمْ يَتَوَضَّأْ مِنْ لَحْمِ الشَّاةِ وَالسَّوِيقِ ،

وَأَكَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ رضيَ اللهُ عَنْهُمْ فَلَمْ يَتَوَضَّئُوا :

1. We are informed by 'Abdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Zaid b. Aslam, through 'Atâ' b. Yasâr, through 'Abdullâh b. 'Abbâs that :

١ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن عبد الله بن عباس:

The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) ate shoulder of mutton, and then performed his prayer without *a fresh* wudû'.

أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَكَلَ كَتِفَ شَاةٍ ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ .

---

(1) السويق = roast barley or wheat, ground ready for mixing with water, milk or broth. The point of the hadîth is that if the wudû' is not necessary after eating greasy food such as mutton, it is still less so after other kinds of food such as sawiq (corn-gruel).

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للأستاذ ابراهيم حسن الموجى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

OF RITUAL ABLUTION

CHAPTER 48 *(continued)*

3. We are informed by Abu Nu-ᶜaim, who had it from Shaibân, through Yahyâ, through Abu Salamah through Jaᶜfar b. ᶜAmr b. Umayyah Ad-Damri, whose father told him that:

He had seen the Prophet (Allâh bless him and give him peace) pass *his wet hands* over his boots.

(Harb b. Shaddâd and Abân confirm this narration as fellow-witnesses with Shaibân, through Yahyâ etc.)

4. We are informed by ᶜAbdân, who had it from ᶜAbdullâh, who received it from Al-Awzâᶜi, through Yahyâ, through Abu Salamah, through Jaᶜfar b. ᶜAmr, through his father, who said :

"I saw the Prophet (Allâh bless him and give him peace) pass *his wet hands* over his turban and his boots."

(Maᶜmar as fellow-witness with Al-Awzâᶜi confirms this narration through Yahyâ, through Abu Salamah, through ᶜAmr, who stated

كتاب الوضوء

باب ٤٨ (تابع ما قبله)

٣ - حدثنا أبو نعيم قال حدثنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة عن جعفر بن عمرو ابن أمية الضمرى أن أباه أخبره :

أَنَّهُ رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم يَمْسَحُ عَلَى الخُفَّيْنِ .

(وتَابَعَهُ حرب بن شداد وأبان عن يحيى .)

٤ - حدثنا عبدان قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا الأوزاعى عن يحيى عن أبي سلمة عن جعفر بن عمرو عن أبيه قال :

« رَأَيْتُ النبي صلى الله عليه وسلم يَمْسَحُ عَلَى عِمَامَتِهِ وَخُفَّيْهِ »

(وَتَابَعَهُ معمر عن يحيى عن أبي سلمة عن عمرو قال : رَأَيْتُ النبي صلى

بسم الله الرحمن الرحيم

الروح الاسلامية ومدى تأثيرها

فى النفس البشرية

— ٥ —

مقومات النظر والتعقل والتفكير

الانسان مفطور على النظر والتعقل والتفكير، لا يستثنى من آحاد نوعه فرد واحد. وهذا سر ترقيه فى العلم والعمل، والصنائع والفنون، ولولا هذه الخصائص فيه لبقى كما بقيت جميع الأنواع الحيوانية على ما كان عليه لم يبرحه قيد خطوة.

ولكن الذى يجيل نظره فى أفراده وجماعاته يرى تفاوتا كبيرا بين ثمرات هذه القوى فيهم. فالساعة التى يراها الرجل المتمدن مجموعة من آلات دقيقة ركبت تركيبا خاصا لتدير ثلاث إبر دورات معينة: أولاها تشير الى الساعات، وثانيتها الى الدقائق، والثالثة الى الثوانى، لمعرفة أوقات الليل والنهار، يتخيلها الرجل المتوحش كائنا حيا مستدلا على حياتها بدقاتها المتوالية.

فالنظر والتعقل يحتاجان لعلم يغذيهما، وإلا وقعا فى أخطاء فاحشة، وتأديا الى نتائج وهمية. وهذا العلم يجب أن يكون دائم الترقى، وإلا وقفت هذه النتائج عند حد، ووقف ارتقاء الانسان عنده. ومن يتأمل فى تاريخ الفلسفة الطبيعية يجد عجبا عجابا من ثمرات علمية باطلة، نتجت من استدلالات فاسدة.

إن صحة الثمرات الفكرية لا تتوقف على العلم وحده، ولكن على الأصول الأدبية، والمبادئ الخلقية أيضا. فقد تشاهد أمة بلغت من العلم مدى بعيدا، ومن الصنائع

والفنون غاية قاصية ، ولكن ثمراتها الفكرية فيما يختص بالشئون العالمية قاصرة قصورا فاضحا . فهى ترى أن الحق للقوة ، وأن العدل يتلون بألوان شتى ، على حسب المصلحة ، وعلى حسب حال من يطبق عليه ، إن كان أبيض أو أسود ، غنيا أو فقيرا ، مواطنا أو أجنبيا . وترى أن الصفات النبيلة من الرحمة والعطف والإيثار ضروب من الضعف النفسانى ، لا يجوز أن تمثل بين صفات الرجولة التى تتخيلها ، حتى ذهب بعض غلاة الاشتراكيين الى وجوب إبادة كل ضعيف وذى عاهة فى المجتمعات حتى لا يبقى إلا الأقوياء وحدهم ، بحجة أن وجود هؤلاء الضعفاء والزَّمْنَى يضعف المجتمعات ، ولو من طريق إعالتهم .

فهذه الجماعات العليمة الى أقصى حد ، تنحط كما ترى من ناحية إنسانيتها الى أسفل دركة ، ويعدو تشددها فى الأثرة على كيانها ، فلا تلبث أن تعركها الفتن الأهلية عرك الأديم ، وتمخضها مخض السقاء ، لتوقظ منها إنسانيتها النائمة .

أفلا يكون من أعجب العجب أن الاسلام الذى نشأ فى أبعد بلاد الله عن النظام والاجتماع والمدنية والعلم ، يحتاط للثمرات العقلية كل الاحتياط ، ويتخذ لها جميع المعدلات ، لتأتى سديدة محكمة ، تنفع الجماعة التى تُقَدَّم اليهم ، وتقوّم عوج الجماعات التى تحتك بهم فى ممارستها لحياتها الاجتماعية ، وليضربوا مثلا عالميا أعلى لما يجب أن يكون عليه النظر والتعقل والتفكير فى جميع الأحوال التى تنتاب الانسانية ، من ضعف وقوة ، وفشل وفوز ، وتقهقر أو تقدم .

قلنا إن الانسان مفطور على النظر والتعقل والتفكير ، فجاء الاسلام وهو دين الفطرة يفرضها على أهله فرضا ، مناقضا بذلك الأديانَ التى تحرمها على أهلها تحريما باتا خشية أن تُوَصل بعض أفرادها الى اليقظة فيثوروا على قادتها ويحاسبوهم على ما يقترفون . فاتفق الاسلام من هذه الناحية وما يرمى اليه العلم والفلسفة ، ولكنه بزهما باشتراطه على أهله أصولا يقومون بحقها ، وآدابا يراعونها ، تكفل لهم الوصول

الى الحق ، أو بالقليل لا تطوّح بهم عنه الى مكان سحيق ، لذلك جاءت ثمرات تفكير أهله واستنتاجاتهم ، حتى فى العهود التى لم تكن العلوم فيها قد وصلت الى درجاتها الراهنة ، بالغة أقصى ما يمكن أن تصل اليه من الصحة وحسن التقدير .

فالأمور الشرعية التى دوّنها الفقهاء المسلمون قبل نحو أحد عشر قرنا تبز فى عدالة أصولها ، وسمو مستواها ، واتفاقها والحق الطبيعى ، جميعَ القوانين الوضعية حتى التى سُنت فى القرن العشرين . فهل يمكن أن يقال إن الفقهاء المسلمين كانوا أعلم من فقهاء العصر الراهن بجميع فروع المعارف البشرية ، فتوصلوا الى استنباط شريعة من كتابهم وسنة رسولهم أرقى من قوانين العصر الحاضر بحكم تفوقهم فى العلم على المعاصرين ؟ هـذا غير معقول ، ولـكن الذى يمكن أن يقال أن الأصول التى كانوا يدينون بها ، والآداب التى أمروا أن يراعوها ، كانت أرقى مما لأهل العصر الحاضر ، فجاءت ثمرات تعقلهم وتفكيرهم أرفع درجات من ثمرات تفكير المعاصرين .

إن من يتأمل فى التشريع الذى استنبطه علماء المسلمين فى الرق والأرقاء ، وفى المرأة وما يتعلق بها من حقوق طبيعية وروحية ، وفى الأيتام والفقراء ، وفى حقوق المحاربين والمعاهدين والأجانب والذميين ، وفى الشئون المدنية والجنائية ، وفى العقوبات والتعزيرات الخ ، من يتأمل فى هـذا كله يجد تفوقا ظاهرا فى التشريع الاسلامى على التشريع الأوروبى فى القرن العشرين ، وهذا خلاف ما كان ينتظر ، فإن التقدم مطرد فى كل فرع من فروع المعارف البشرية ، ومنها تقنين القوانين ، فتفوّق السابق منها على اللاحق بنحو ثلاثة عشر قرنا يعتبر أعجوبة الأعاجيب لمن يريد أن يفهم المسألة على أسلوب الأمور العادية ، وهو مصداق لما قلناه من أن للأصول الأدبية والحالات النفسية ، تأثيرا كبيرا فى تقويم النظر والتعقل والتفكير .

هذا فى الناحية الأدبية البحت ، وهو فى الناحية العلمية ظاهر أيضا لكل من يعنى بدراسته من الباحثين . فإن المعروف أن المسلمين الأولين انصرفوا الى تحصيل العلوم

بعـد وفاة النبي صلى الله عليه وسـلم بست سنين كما يعترف بذلك الأستاذ (دريبر) فى كتابه المنـازعة بين العـلم والدين . فبدءوا بتدارس الفقه واللغة والتفسير والحديث والتـاريخ ، ولما اختلطوا بالأمم شرعوا فى نقـل علومها الى اللغة العربيـة ، وأمعنوا فى تفهمها وتدبرها ، ولم يمض عليهم ردح من الزمن حتى برعوا فيهـا ، ولم يقفوا عند هذا الحـد ، بل زادوا فى مادتها ، وا كتشفوا علوما جديدة أضافوها اليها ، وما مضى على حركتهم هذه قرنان حتى أصبحوا أئمة لها فى الأرض .

فإذا أردت أن تعرف هذه السرعة التى هضموا بها المعلومات وانتفعوا بها الى أقصى حد ، وجدتها ترجع الى الأصول الأدبية ، والمبادئ الخلقية التى أقامهم الاسلام عليها .

وبيان ذلك أن الاسلام بث فى أهله حب الحقيقة وإكبارها الى أقصى حد ، باعتبار أنها هى الغاية المرجوة من الحياة ، وأن ما عداها هو الضلال المحض : « فماذا بعد الحق إلا الضلال » .

وبيّن لهم من ناحية أخرى أن الحقيقة بنت البحث ، وأنها ليست بوقف على طائفة من الطوائف ، ولا فرد من الأفراد ، وأنه لا يُوصل اليها بالجمود على الموروثات القديمة ، والتعصب للآراء المقررة ، وأن على المسلم أن يتناولها ولو من ألد أعـدائه ، فهى ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها ، وأنه ليس بعاب أن يقول الانسان اليوم بقول ثم ينتقل عنه الى غيره متى بدا له وجه الصواب فيه ، وأن العلم إذا لم يقرن بالعمل فلا خير فيه ، وأن كل علم لا يقام عليه دليل فلا يصح أن يسمى علما ، وأن التقليد مذموم ، فان كان لا بد من الاتباع فى العلم وجب أن يكون اتباعا على بصيرة ، لا على تسليم مجـرد من البينة . وأن العلم لا حد له ، وأن الانسان أهل لأن يبلغ منه مالا يتخيله تخيلا .

هذه الأصول القيمة التى أشربها الاسلام لأتباعه ، دفعتهم لتلمس الحقيقة فى كل شيء : فى الأرض وفى السماء ، وفى أنفسهم ، وفيما بين أيديهم وما خلفهم ، وفى بلادهم وخارج بلادهم ، غير متعصبين لمذهب ، ولا جامدين على رأى ، ولا واقفين عند حد .

فبهذه الروح المتوثبة درسوا كل فلسفة، وحللوا كل مذهب، فلم يقفهم عن الأخذ بأحسنها أصل من كتاب، ولا مبدأ من سنة، بل قد تحروا الأحسن منها مدفوعين بأصول كتابهم، ومبادئ سنتهم، فإذا اعترضهم نص منهما تخيلوا فيه نقضا لما قامت لهم الأدلة العقلية والطبيعية على صحته، صرفوا ذلك النص عن ظاهره بحكم أصولهم الأولية، لا تلاعبا منهم بمقرراتهم الدينية. لذلك ذهب المسلمون الأولون مذهب العلوم فى كل ما قررته، غير مقيدين بقيد، ولا مرتبطين بشرط، فتأدوا الى أبعد مما وصل اليه الذين كانوا قبلهم بمراحل لا تكاد تحصى. وقد أثبت مؤرخو الغرب أنهم وصلوا الى نظرية تحول الأنواع بعضها من بعض، وقتلوها بحثا وتفلية، وسرّوها حتى على المعادن، أى زادوا على ماذهب اليه الغربيون من وقفها عند حد الأحياء. وقد ثبت رأى المسلمين أخيرا، فقد ظهر أن العناصر المعدنية المعروفة اليوم متحولة بعضها عن بعض، وأن الفلزات أجسام مركبة لا بسيطة.

أين هذه الحرية العلمية المطلقة، من القيود الحديدية التى كبل بها رجال الدين فى أوربا الباحثين أيام كانت لهم السلطة العليا فيها. فقد اختاروا أولا مذهب أفلاطون وتعصبوا له كل التعصب، وأوقعوا بالذين يفضلون عليه مذهبا آخر أشد العقوبات. ثم غيّروا وبدلوا فى مذهب أرسطو، واتخذوه قاعدة لبحوثهم، وتشيعوا له تشيعا عظيما حتى كانوا يسومون الذين يناهضونه أشد العذاب.

أما المسلمون الأولون فإنهم لما درسوا هذين المذهبين تخيروا أولاهما بالتعويل عليه، غير مقيدين بقيد، ولا مأخوذين بشرط، فوقع اختيارهم على مذهب أرسطو لأنه يعول على التجربة، ويؤدى الى نتائج عملية، دون الأول، فإنه عقلى محض، وربما تخطاه الى الخيال وما اليه.

يتبين مما مر كله أن للأصول القويمة، والمبادىء الأدبية، تأثيرا كبيرا على صحة النظر والتعقل والتفكير، وقد رأيت أنها أدت المسلمين الى درجة من التفوق لم تنلها

أمة قبلهم ولا بعدهم، على قلة المادة العلمية فى عهدهم، بالنسبة الى الموجود منها فى العصر الحاضر.

إن نظرية التفاضل بين القوميات، وبين أصحاب الألوان والأديان، وبين أصحاب الألقاب، لا تزال سائدة فى العالم المتمدين ومعمولاً بها فى التقنين والتشريع، وقد هدمها المسلمون وعفّوا على آثارها وعدوها من بقايا الجاهلية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا. عملا بأصول كتابهم وسنة رسولهم. فتأمل الى أى مستوى من السمو تصل صحة النظر والتعقل والتفكير رغما عن قلة المادة العلمية، تبعا لسمو الأصول، ورفعة المبادىء الأدبية.

يجب أن يعرف المسلمون هذه الخصائص لدينهم، وأن يشبعوها شرحا، ويوفوها بحثا، وينوهوا بها فى مشارق الأرض ومغاربها، فهى على طرافتها حقائق فلسفية لا يجوز أن يغفلها الباحثون فى تاريخ العقلية الانسانية وتاريخ المبادئ والأصول.

وبعد: فهذا وجه من وجوه الروح الاسلامية ومدى تأثيرها فى النفس البشرية، وهو تأثير لو وصفته بأنه عظيم لهضمته حقه، فإنه إن كان الانجليز يفخرون بأنهم شعروا بالروح الدستورية من لدن القرن الثالث عشر الميلادى، وشرعوا يطبقون نظمهم عليها فى خلال العصور، حتى أتموا دستورهم فى القرن السابع عشر، وإنه إن كان الفرنسيون يتيهون بأنهم قرروا الحقوق الطبيعية للانسان فى أواخر القرن الثامن عشر، فماذا يفعل المسلمون وقد بلغوا الى أوج المبادئ الدستورية، وانتهوا الى أبعد غايات الحقوق الانسانية قبل غيرهم بنحو ألف ومائتى سنة؟

نعم إنهم لم يصلوا الى ما وصلوا اليه اجتهادا منهم، ولكن بواسطة الوحى الإلهى، فإن كان ليس لهم أن يتيهوا ويفخروا بالوضع والابتكار، فلهم أن يتيهوا ويعجبوا بأنهم أول من عملوا بهذه المبادىء فى الأرض؟

محمد فريد وجدى

سوانح ومقتبسات

قرأت للدكتور الفاضل صاحب العزة عبد العزيز بك اسماعيل مقالا نشر بهذه المجلة يقول فيه : « فالانسان الذى لا يعرف من الغيب إلا بقدر ما يعرف من سنن طبيعية يسمى جاهلا مهما عرف ، لأن قوانين السنن الطبيعية لا حد لها » . فهيج من قلبي شعورا بتلك السوانح ، فكان مبدأ الإلهام بها، والاستمداد لها .

ولا يفوتني فى هذا المقام أن أشكر ذلك الدكتور الذى جمع من نواحى الكمال ما لا يكاد يوجد إلا فى أفذاذ الرجال . فأبان لنا من أسرار القرآن الطبية ما يعد آية الآيات ومعجزة المعجزات .

وقد أذكرنى ذلك ما كان يفعله المرحوم الدكتور « توفيق صدقى » فى آيات القرآن الفلكية وما فيها من الأسرار . (وهكذا لا يزال القرآن معجزة المعجزات وآية الآيات على مر العصور والأوقات) .

أسأل الله أن يديم عليه هذا التوفيق فى دينه القويم وعلمه الواسع وفضله الكبير ، وأن يطيل حياته للعلم والدين ، وأن يكثر من أمثاله بمنه وكرمه ! وهذه هى السوانح :

١ — الفضيلة تستحيل رذيلة فى النفوس الخبيثة كما تستحيل الأغذية الطيبة الى فساد فى المعدة الضعيفة . (ومعدن الكبريت يقلب ما يحل فيه من الماء الزلال الى طبعه) .

٢ — إن النواميس كثيرة لا تكاد تحصى ، فللأبدان نواميس ، وللأرواح نواميس ، وللعوالم الغيبية نواميس ، فى كل واحد منها ما لا يعلمه إلا الله تعالى . بل فى عالمنا هذا من النواميس ما لا يأتى عليه العد . وإن شئت فانظر الى ما لا يحصى من أنواع الحيوان تجد نواميس الحيوانات الدنيا غير نواميس الحيوانات العليا ، ونواميس حيوانات الهواء

غير نواميس حيوانات الماء الخ . فسبحان من خلق فسوّى وقدّر فهدى . ولا يمكن مخلوقا من المخلوقات أن يسلك غير ما رسم له من الطرق ، ولا أن يعرف ما هو مستعد له من المعلومات . فليعلم الانسان أنه لا يمكنه أن يتكلم فى علم من العلوم ولا صنعة من الصنائع ولا حرفة من الحرف إلا إذا كان راسخا فيها تمام الرسوخ .

وبودى لو عرف الناس تلك الحقيقة وعرفوا أن الرسوخ لازم فى كل شىء ، وأن بين التعلم السطحى والرسوخ فى الأشياء مابين السماء والأرض ، وأن هناك أشياء لم تخطر لنا على بال وهى ذات نواميس واسعة وأحكام كبيرة . ولو عرف الناس سعة العلم وجهل النفوس وضعف البشرية لاستراح العالم من منازعة بعضهم بعضا . وقد أذكرنى هذا قول الرئيس ابن سينا : « إن البلاهة (أو الغباوة) خير من الفطنة البتراء » .

٣ — قال بعض المحققين : « إن معرفة الله ضرورية من حيث العقل دون الحس ، والتذكير بها كالتذكير بالضروريات كالموت » .

لكن ضرورة الحس ليست كضرورة العقل ، فإن ضرورة الحس فيها جذب وقسر وإكراه . وأما ضرورة العقل فهى لطيفة جدا والحس ينازعه فيما لا يعرفه . وقد تقع الشبهة فى ذلك للعقل ، فيختلط عليه الحال ولا يدرى التفرقة بين ما علم وما جهل فإن شئت فقل هو مستدل عليه . وإن شئت فقل هو بديهى ، على حسب غلبة العقل أو الحس .

من يستدل يترقى من الجزئيات الى الكليات ، ومن الأدنى الى الأعلى ، وهناك من تنقدح فى نفسه الكليات فينحدر منها الى الجزئيات ، وقليل ماهم .

٤ — لا بد من تقليد الأنبياء فى بعض ما جاءوا به ، لقصور الأفهام عن مغزى كثير من الشرائع . والطفل الذى يعطَى الحرية فى الكلام عن الحقائق ولا يكون عنده مبدأ التقليد ، يستحيل تكميله ، لأنه بمقتضى قصوره الطبيعى لا يمكنه إدراك الحقائق على ما هى عليه ، وبمقتضى حريته المفروضة لا يقتنع إلا بما عرف ، ولا يمتثل

إلا لما أدرك. والناس بجانب الأنبياء، أو نقول بجانب ما أودع في العوالم من القوانين الروحانية والجسمانية والنواميس التي لا يحيط بها محيط، والعلوم التي لا يحصى عددها إلا الله، والأسرار التي اعترف الفلاسفة الحديثون والسابقون بقصورهم أمامها — أقل من الطفل بجانب الرجل. وإذا كان الناس لا يصدقون إلا بالبرهان في كل مسألة دينية لم يمكن أن يكونوا متدينين، إذ يستحيل الوصول الى برهان تام في كل مسائله إذا كان التصديق موقوفا على البحث في كل مسألة، كما هو شأن المتفيهقين اليوم. والانسان لايمكنه أن يصل الى مدنية تامة مالم يكن هناك أسس صالحة لذلك.

أما إذا كان محتاجا الى الملبس الضروري والمسكن الضروري والمأكل الضروري ولا يرجع ذلك كله إلا الى نفسه ولا يقبل من أحد شيئا، فما أجدر هذا أن يموت قبل أن يستنبت ما يأكله وما يلبسه، وقبل أن يصنع الآلات اللازمة لذلك!

وما أعجز الانسان أن يشيد دنيا طويلة عريضة من العدم! فكذلك لا يمكنك أن تشيد لإنسان غير مسلم لك ولا واثق بك ولا مقلد إياك ولا عنده شيء من أصول الخير، دينا ينازعك في الصغير منه والكبير، ويريد على جهله وسذاجته أن يكون رسولا من الرسل أو نبيا من الأنبياء. (وإلا فأنت بمنزلة من أراد أن ينشيء دينا من العدم).

٥ — ينبغي أن يكون الانسان مجتهدا ومقلدا، فيكون مجتهدا فيما هو راسخ فيه متمكن منه، ويكون مقلدا غيره فيما عداه، ولابد من ذلك، وإلا لم ينتظم العالم، ولم يصل أحد الى سعادته. وليعلم أنه لا يوثق بعلمه ما لم يصل الى ذلك الرسوخ، ولايمكنه أن يصل الى تلك الدرجة إلا في بعض الأشياء فقط، وهو في حجاب عما عدا ذلك لا يكاد يعرف حقيقته وروحه. فيجب عليه أن يكون مقلدا في غير هذا الذي رسخ فيه، مسلما لأهل الرسوخ من ذويه، لأنه لا يمكنه الرسوخ في كل شيء كما قلنا.

ومن طلب غير ذلك فقد سعى فى إفساد النظام، وادعى معرفة كل شئ، وذلك من خصائص الألوهية .

٦ — فلسفة القرآن فوق كل فلسفة . وليست هذه الأشياء الروحانية والحقائق العالية التى فيه إلا فلسفة علت عن كل فلسفة ، حتى إن كثيرا من الناس عدها خرافة لبُعد ما بينه وبينها، وما عرف حقائقها إلا الراسخون فى العلم (وانظر الى مثل قوله : « فإنهم لا يكذّبونك ولكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون » وقوله : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسُهم» وقوله : « بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه» الى غير ذلك، واستجل ما فيها من أسرار وأنوار) .

أما سياسته فى مخاطبة الخلق وذكر تلك الحقائق العالية بما يناسب ظاهرُه العامةَ وباطنه الخاصة ، فهو محل الإعجاز . ولا يمكن الفيلسوف أن يقف أمام ذلك إلا باهتا مدهوشا لا يستطيع سلوك تلك المسالك . وغاية ما يمكنه إن كان راسخا فى فلسفته ذا بصيرة تامة أن يعرف فلسفة القرآن ويصل الى مراميه .

أما انتهاجه نهج القرآن فخارج عن طوق البشر .

٧ — نبغ الناس الآن فى الأمور العملية والمخترعات المادية، ونشهد لهم بهذا . ولكن ما أجهلهم فى النظريات ومعرفة البراهين والملازمات : فكثيرا ما يشتبه عليهم المصاحب بالملازم والمعد بالفاعل والشرط بالمفيض .

وعلى الجملة فهم بريئون من الفلسفة والمنطق . وما أكثر غلطهم فى الاستدلال غلطا كان يضحك من مثله الأولون !

فلئن جهل الأقدمون كثيرا مما أوصل اليه العمل ، فما أجهل هؤلاء بطرق الاستدلال وشروط البرهان ، وما أبعدهم عما يقوى العقول ويمتع الأرواح ويزج بالانسان فى عالم الروحانيات ، ويبعده عن عالم الظلمات والآفات : فما أضعف دولة العقل وحظ الفلسفة اليوم على الرغم من دعاوى المدعين وفيهقة المتفيهقين !

٨ — قال فى الأسفار : إن المادة لا تفعل فى شىء إلا إذا كانت على وضع خاص منه . فلا يمكن أن تفعل فى نفسها ولا فى قواها الطبيعية ، لأنها ليست ذات وضع بالنسبة الى ما فيها من القوى . فلا يمكن أن تخرج الكامن فيها من القوة الى الفعل ، بل لا بد له من شىء آخر يخرجه ، لأن ما بالقوة لا وجود له ، وما لا وجود له لا يعطى الوجود . فمفيض الوجود هو بارئ الصور المصور القادر .

وأما هذه الأشياء فهى معدات وشروط ، لا فاعلة ومفيضة ، ولا معنى لأن تهب الصور ، ولا لأن تكون فاعلة . فإن كيفيات المادة هى من جنس الحرارة والبرودة ، فلا تفعل إلا ما تفعله الحرارة والبرودة الخ .

وأما إفاضة الصور وحفظ الأجزاء بالإمداد عليها وتعويضها كل ما فقدت من أجزائها وحفظ الاتصال بين أجزائها على الصورة الخاصة مع ما فيه من دقائق الصنع ، فحال أن يكون من فعل المادة . ثم نقول إنها لا تفعل إلا بما فيها من القوى الطبيعية ، ولا يمكن أن توجد فى نفسها تلك القوى الطبيعية ، لأنها بدونها خالية من كل قوة ، فكيف توجدها فى نفسها وهى لا تكون هى هى إلا بوجودها فيها ، الى آخر ما لعلنا نفيض فيه بعد ، إن شاء الله م؟

يوسف الدجوى
من جماعة كبار العلماء

للحلم بوادر تحمى صفوه

وفد النابغة الجعدى على النبي صلى الله عليه وسلم فأنشده فيه قصيدته الرائية حتى انتهى الى قوله منها :

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

قال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا يفضض الله فاك ! فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية .

الاسلام والطب الحديث

بحـوث دينية علميـة

« وإذ أخذ ربُّك من بنِي آدم مِن ظُهورهم ذريتَهم وأشهَدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلَى شَهِدنا » الآية ١٧٢ سورة الأعراف .

هذه الآية الـكريمة تنص على أن الله أخذ ذرية بنى آدم من ظهورهم . والمعروف أن الخصى موضوعة فى الجزء الأسفل لا فى الظهر ، ولـكن الله تعالى يتـكلم عن خلق الانسان وذريته ونشأته ، ولذا هو يتكلم عن علم Empryology أو « علم الأجنة » ، ويتكلم عن الجزء الذى يخصص للنطفة فى جسم الجنين ، وهذا الجزء فى الظهر عند أسفل الكليتين تماما ، ومن هنا تنمو الأعضاء التى تكوّن الخصيتين ، وتبقى فى الظهر تحت الـكليتين حتى الأشهر الأخيرة من حياة الجنين فى بطن أمه ، ثم تنحدر الى أسفل ، وعند الولادة تـكون فى مركزها الطبيعى المعتاد . وقد يتأخر الانحـدار أحيانا ويولد الشخص وخصيتاه فى البطن ، ويسمى هذا فى الطب الخصية غير النازلة .

فالآية الـكريمة تشير والحالة هذه الى النقطة الأصلية فى جسم الجنين التى تؤخذ منها النطفة ، وهذه هى الظهر بلا شك . ولما كان علم تشريح الجنين لم يتقدم إلا فى مائة السنة الأخيرة ، فإن هذه الآية تعد فى حـكم المعجزات ، وتثبت أن القرآن لا يأتيه الباطل أبدا .

وكذلك مركز المبيض فى أنثى الجنين ، فإنه فى الظهر تحت الـكلية تماما ، وسواء أكان الانسان ذكرا أم أنثى فإن الذرية تؤخذ من الظهر .

أما باقى الآية الـكريمة « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم » الآية ، فمعناه ظاهر مما سبق لنا ذكره فى علوم الغيب والسنن الطبيعية ، لأن كلا من المبيض والخصية مكون من نطف عديدة تنمو بالسنن الطبيعية وتصير إنسانا ، ولا يعرف الانسان هذه النطف

إلا إذا تعهدتها القوانين الإلهية ونمت الى درجة الأجنة على الأقل . وكذلك لا يعرف الانسان شيئا من مستقبلها أو كنهها إلا بمرور الزمن ، ولكن صانعها يعلم كل ما ستئول اليه فى المستقبل ، ويعلم كذلك الانسان الكامل فى النطفة ، التى هى صورة مصغرة له كما قلنا ، وتمثل كل صفات الشخص ، وكل ما يرثه تماما ، ولهذا نجد الخالق سبحانه وتعالى يخاطب ذرية بنى آدم وقت خلقهم وهم فى عالم الذر ويعلمون خالقهم وهو يشهدهم على أنفسهم .

وأما الصورة المكبرة لهم — فى شكل الانسان — فكثيرا ما تنسى خالقها الأول بسبب ما يطرأ عليها من حوادث طبيعية تؤثر بمرور الزمن فى الجسم والعقل والأخلاق ، وقد يكون التأثير شديداً فتصدق عليهم هذه الآية « إنّ شرَّ الدوابِّ عند الله الصُّمُّ البُكْمُ الذين لا يعقلون » .

* * *

« وألّفَ بين قلوبهم لو أنفقتَ ما فى الأرض جميعا ما ألّفتَ بين قلوبهم ولكنّ الله ألّفَ بينهم إنه عزيز حكيم » :

تظهر هذه الآية الكريمة فى الأول صعبة الفهم ، لأن الشخص الذى يكره آخر ويقال له إن كراهتك إذا انقلبت محبة فستعطى جزاء كبيرا يعوض عليك كل ما يكون سببا فى هذه الكراهة ، إن هذا الشخص قد ينسى كراهته ، وقد يستبدل بها ألفة ، ولاسيما إذا كان الجزاء كبيرا ، والله يقول : «لو أنفقت ما فى الأرض جميعا» . فالحقيقة أن الكراهة والألفة قد تكون نتيجة لأسباب ظاهرية بسيطة لا تصل الى العواطف القلبية ، ومتى كانت كذلك أمكن الاستعاضة عنها ، بل استبدالها بسهولة ، فإن السائل الذى يطلب إحسانا ثم لا يعطاه يكره المسئول ، ولكنه ينقلب الى شكره وحمده إذا أجاب سؤله .

وقد تكون الكراهية والألفة من « العواطف » أو القوى الحيوانية المنفعلة التى

تنتج عن أسباب ظاهرية تتكرر فتحدث تغييرات عضوية فى أعضاء الجسم ، وخصوصا المخ والغدد الصماء ، وقد لا يكون للكراهة سبب ظاهر . على أنه فى كل من هاتين الحالتين تكون الكراهة أشبه شىء بالغرائز الطبيعية ، ويكون أساسها تغييرات كيماوية فى المواد العضوية الحية ، وتحدث هذه التغييرات مع التكرار أمراضا عضوية فى الأعضاء لا يمكن الشفاء منها ، وكثيرا ما تكون ذكرى العاطفة أكبر محرك لزيادة المرض ، وقد كثرت الأدلة على تأثير العواطف فى أعضاء الجسم ، وقد بحث هذا كثير من علماء السكولوجيا ، مثل (ادلر وينج) وغيرهما .

ومهما جاهد الشخص فى أن يغير من عاطفته فلن يفلح . والأم التى ترى ابنها يعذب يوميا بيد إنسان ما حتى ترى نهايته ، لا يمكن أن ينقلب كرهها محبة قلبية مهما عوضت من ذلك ، لأن التغييرات العضوية التى تحدث فى الأعضاء تمنعها من محبة هذا الشخص ، وتحتاج الى تغييرات عضوية أخرى لتبدل بشعورها آخر . ومثلها فى ذلك مثل الذى فقد حاسة ، فإنه لا يستطيع الإدراك إلا إذا استردها .

وهذا هو المقصود من الآية الكريمة ، لأن خلق عضو جديد أو استرداد حاسة ما ، هو من المعجزات التى لو أنفق النبي ما فى الأرض جميعا ما أمكنه أن يأتى بها ، وهى جميعا من صنع الله وحده .

وتعتبر هذه الآية الكريمة أيضا فى حكم المعجزات إذا علمنا أن (دارون) الذى كتب عن العواطف فى العهد القريب قبل أن يكتب عنها « ينج » لم يفطن الى التغيرات العضوية فى الأعضاء ، وأن هذه النظرية آخذة فى ازدياد خلال الخمسين سنة الأخيرة . وإذا علمنا كل ذلك ظهرت لنا حكمة القرآن وعظمته ، وأنه لا يأتيه الباطل أبدا .

ولزيادة الإيضاح للقارئ الذى ليس طبيبا سأضرب له أمثالا بسيطة على تأثير العواطف فى الجسم : فالخوف الشديد الذى يأتى فجأة قد يحدث منه تغيير فى الشعر

ويصير أبيض اللون ، وكذا يحدث البهق فى الجلد والاضطراب والعناء المستمر ، كذلك يحدث البول السكرى ، وأحيانا لايكون هذا قابلا للشفاء ، ويؤدى بالاستمرار الى هلاك غدة البانكرياس . وكذلك الكراهة المستمرة قد تحدث تغيرات عضوية فى الأعضاء لا تشفى بعد زوال السبب ، وتكون عودتها الى الحالة الطبيعية فوق طاقة الانسان ؟

دكتور عبد العزيز اسماعيل

واعظ الشيب

حدث عبد الله بن الحكم الواسطى عن بعض أشياخ الشام قال : قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب ، ووجه راشد بن عبد الله أميرا على القضاء والمظالم . قال راشد بن عبد الله :

صحا القلب عن سلمى وأقصر شأوه ... وردت عليه ما نفته تماضر
وحكمه شيب القذال عن الصبا ... وللشيب عن بعض الغواية زاجر
فأقصر جهلى اليوم وارتد باطلى ... عن الجهل لما ابيض منى الغدائر
على أنه قد هاجه بعض صحوة ... به فرض ذى الآجام عيس بواكر
ولما دنت من جانب الفرض أخضبت ... وحلت ولاقاها سليم وعامر
وخبرها الركبان أن ليس بينها ... وبين قرى بصرى ونجران كافر
فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالاياب المسافر

نظرة جامعة الى تاريخ الاسلام فى بولونيا

واحوال المسلمين فيها

منذ أن استقلت بولونيا والمسلمون دائبون لإصلاح حالتهم وتيسير معيشتهم ، ولقد كان من أهم ما عملوه إنشاؤهم دار الآثار والكتب الاسلامية فى مدينة فيلنو ، جمعوا فيها مالديهم من التحف الاسلامية والكتب الدينية القديمة ، هذا بخلاف المكتبات الاسلامية المنتشرة فى أنحاء الجهات التى يكثر فيها المسلمون ، والتى تحتوى على بعض الكتب الدينية الحديثة ، وبعض التراجم العربية ، وكتب التفسير والحديث ، وبعض كتب فى الأدب والتاريخ البولونى . وللمسلمين البولونيين ثلاث مجلات خصوصية ، وهى :

١ — مجلة (التقويم السنوى) التى يصدرها مجلس الشورى المركزى سنويا والتى يرأس تحريرها أرسلان كريتشينسكى ، وتتناول الكلام على تاريخ المسلمين البولونيين العام .

٢ — مجلة (نظرات إسلامية) التى تصدرها جمعية المسلمين فى وارسو كل ثلاثة شهور ، ويرأس تحريرها وسان جيراى جيباجى ، وتتناول غالبا البحث فى بعض المواضيع الاسلامية .

٣ — مجلة (الحياة التتارية) التى تصدرها الجمعية الاسلامية فى فيلنو شهريا ، ويرأس تحريرها مصطفى طوهان برانوفسكى ، وتتناول بحث موضوعات خاصة بالمسلمين البولونيين أنفسهم ، وتصدر تلك المجلات الثلاث باللغة البولونية .

وللمهاجرين المسلمين فى بولونيا ثلاث مجلات :

١ — مجلة (قوقاسيا الشمالية) وتصدر باللغة التركية والروسية .

٢ — مجلة (الاستقلال) وتصدر باللغة الأذربيجانية .

٣ — مجلة (الطريق القومى الجديد) وتصدر باللغة التتارية .

وتتناول هذه المجلات الكلام على كل ما يختص بالهجرة والمهاجرين المسلمين .

ومما تقدم يمكننا معرفة مقدار تسامح الحكومة البولونية إزاء المسلمين ، وما تقدمه لهم من الخدمات والمساعدات فى سبيل تيسير حياتهم وضمان حريتهم .

منذ أن استقلت بولونيا والمسلمون من أهلها يفكرون فى تشييد المساجد فى مدن بولونيا المختلفة وإصلاح ما تهدّم منها ، ولقد اهتموا كثيراً بفكرة تشييد مسجد وارسو (عاصمة بولونيا) فتكونت لهذا الغرض جمعية من بعض المسلمين والمسيحيين البولونيين تحت رياسة كل من الحاج دكتور يعقوب شينكيفتش مفتى بولونيا الأكبر ، وعبد الحميد خوروموفتش رئيس الادارة الدينية فى العاصمة ، وقد واصلت الجمعية سعيها داعية الأقطار الاسلامية جميعها للاشتراك فى إقامة مسجد وارسو . وفى عام ١٩٣٤ أقرت حكومة بولونيا سعيها وتبرعت بقطعة أرض لبناء هذا المسجد ، وزيادة فى التعضيد أطلقت بلدية وارسو على الشارعين الموصلين الى هذه القطعة اسمى مكة والمدينة . وفى عام ١٩٣٥ عرض مفتى بولونيا الأكبر هذا المشروع على أعضاء المؤتمر الاسلامى الأوربى المنعقد فى جنيف فوافقوا عليه بالإجماع ، وقد أصدرت جمعية بناء المسجد نداء للمسلمين فى كل البلاد تحثهم فيه على المساعدة فى بناء هذا المسجد ، وترجمة هذا النداء كما يلى :

نداء جمعية بناء مسجد وارسو :

« أيها المؤمنون : هل تعلمون أنه يعيش فى بولونيا هذا البلد الذى يبعد عنكم آلاف الأميال شعب صغير يعتنق الاسلام ؟ أولئك هم مسلمو بولونيا ، وهم يقطنونها منذ خمسمائة عام ، وقد قذفت بهم الأقدار فى بلد جعلت منه توالى الأيام وطناً لهم حتى فى الزمن الذى وصلت فيه قبائل الهون والجيوش التركية قلب أوربا .

« وقد مضت منذ ذلك الحين مئات السنين ولا يزال مسلمو بولونيا محتفظين حتى

اليـوم ، رغم إحاطتهم من كل جانب بشعوب مسيحية ، بميزاتهم الوطنية وأخلاقهم الاسلامية ، إلا أنه لا بد للزمن من أثر ، فإن عزلة مسلمى بولونيا عن العالم الاسلامى تُضعف فيهم شيئا فشيئا عقيدة آبائهم . ويمكن معالجة هذا الضرر بتشييد المساجد ، وهى تلك الشعائر القائمة منذ أجيال ، والرمز الدال على اتحاد المؤمنين ، والتى من أعلى ما ذنها يُدعَى المؤمنون الى الصلاة مع إخوانهم فى الدين ، وقد راعى مسلمو مدينة وارسو هذه الحقيقة تمام المراعاة وأقدموا على بناء مسجد رئيسى فى عاصمة البلاد .

« وأنشئت لهذا الغرض جمعية أطلق عليها اسم (جمعية مسجد وارسو) . ولما كانت الجمعية تملك أرضا قامت بإعداد تصميم بناء المسجد ، ولـكن للأسف فإننا نفتقر إلى رءوس أموال ، لأنها فى بلادنا قليلة جدا ، وشعبنا يعجز إذا اعتمد على وسائله وحدها فى إقامة مسجد العاصمة .

« وعلى هذا لا يسعنا إلا الاعتماد على البلاد الأخرى فى مساعدتنا . وإنا لنشعر بجسامة المهمة الملقاة على عاتقنا ، ونحن وطيدو الثقة بأنه سيكون لمشروعنا صدى فى قلوب إخواننا فى الشرق ، وأن كلا منهم شاعر باتحاد العائلة الاسلامية الكبيرة ، ولن يتردد فى الاشتراك فى مشروع بناء مسجدنا كل بمقتضى وسائله . وإنا لا نشك فى أن كل مسلم سيجد فى قلبه قليلا من العطف نحو إخوانه الناشئين ، وسيساعدهم فى بناء مسجدهم .

« لـكل الأديان الأخرى كنائس تساهم فى تجميل العاصمة ، ولا ينقص إلا المعبد الاسلامى ، وهذا ما يسترعى الانتباه العام ، ويملأ قلوبنا حزنا وألما ، ولذلك نتوجه اليكم بندائنا الحار » .

عن إدارة جمعية بناء مسجد وارسو

مفتى بولونيا الأكبر الحاج دكتور يعقوب سليمان شينكيفتش ، عبد الحميد خورامو فتش

عنوان الجمعية : (Pologne. Wilno, Mufti de Pologne)

ويأمل المسلمون البولونيون كثيرا فى أن يلقى هذا النداء كل تعضيد من إخواننا المسلمين فى جميع الأقطار الاسلامية الكبرى ، ويقوموا بقسطهم فى مد المعونة لإتمام بناء هذا المسجد ، فيرتفع صوت الاسلام فى هذه الأقطار النائية .

علی اسماعیل فورونوفتش ، محمد سيد الحموى

ضرر مدح الانسان نفسه

دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ، فقال له : من أنت ؟ وتجهم له كأنه لا يعرفه . فقال له الفرزدق : وما تعرفنى يا أمير المؤمنين ؟ قال لا . قال الفرزدق : أنا من قوم منهم أوفى العرب ، وأسود العرب ، وأجود العرب ، وأحلم العرب ، وأفرس العرب ، وأشعر العرب .

قال أمير المؤمنين : والله لتبينن ما قلت أو لأوجعن ظهرك ، ولأهدمن دارك !

قال نعم يا أمير المؤمنين : أما أوفى العرب فحاجب بن زرارة الذى رهن قوسه عن جميع العرب فوفى بها . وأما أسود العرب فقيس بن عاصم الذى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه وقال : هذا سيد الوبر . وأما أحلم العرب فعتاب بن ورقاء الرياحى . وأما أفرس العرب فالحريش بن عبد الله السعدى . وأما أشعر العرب فها أنا ذا بين يديك يا أمير المؤمنين !

فكدر الخليفة ما سمع من فخره . وقال له ارجع على عقبيك فما لك عندنا شىء من خير .

تاريخ حياة محمد

بقلم فرانك هـ . فوستر

شبهات واهنة ، وحملة فاشـــلة

— ٢ —

نأتى اليوم على ترجمة الفصل الثانى من مقالة المستر فرانك هـ . فوستر التى نشرها فى مجـلة العالم الاسـلامى (The Moslem World) التى تطبع فى الولايات المتحدة بأمريكا ، ثم نناقشها الحساب كما فعلنا بفصلها الأول . قال الـكاتب :

« ومع كل ما مر فإن القرآن قد بين بجـلاء شخصية محمد ولو أن ذلك قد حدث من غير قصد ، فإن مجرد وجود القرآن يستدل منـه على نشاطه العقلى العظيم ، وهو أول خطوة فى سبيل إيجاد نثر فى الأدب العربى . وبذلك يمكن اعتباره عملا جليلا . كما يتضح من سوره ولا سيما الأوائل منها .

« وقد كان محمد داعيا قديرا تتدفق العبارات من فمه كالسيل الجارف حتى يغص بها ولا يبقى منها غير كلمات مفردة أو مزدوجة . واستشهد على ما يقوله بسورة التكاثر وقال إنها لا معنى لها :

« ولقد كان رجلا صعب المراس ، قد يندفع فى خطابه كما ورد فى السورة السادسة والتسعين من الآية الثالثة عشرة الى السادسة عشرة ، وقد يقطع المناقشة بسكون مدهش مقررا أن من الناس من خلقوا للجحيم ، أو يرمى خصمه بوصف مهين متوحش . ولـكنه رغما عن هذا كان ذا عزيمة هادئة وإن كانت مصممة .

« تابع عمـله فى مكة سنين دون أن يصادف نجاحا ، ولـكن عزيمته لم تفل . فقد كان يتحمل المثبطات ولا يشكو منها ، ويظهر صبرا عظيما حيالها ، ثم يعاود دعوته

مرة بعـد أخرى من غير أن يظهر اضطرابا ، استمر على ذلك سنين دون أن يقبل دعوته أحد .

« ولقد يأخذ الانسان العجب من شدة تواضعه على قوة إيمانه برسالته وبسلطانه الديني .

« كان محمد رجلا عاديا مهمته قاصرة على الدعوة ، فلم يدّع أن له قوة غير طبيعية ، أو أنه قادر على إحداث الخوارق ، ولم يتبجح بأنه منزه عن الذنوب ، بل إنه اعترف في بعض الأحوال بلوم الله له . راجع السورة التاسعة والعشرين .

« وقد أكثر محمـد من التنويه بعطفه على بني الانسان وحـدبه على قومه . ومن مزاياه العقلية عدم تأثره بالبيئة التي نشأ فيها ، ورفعه نفسه عنها .

« ولقـد كان على جانب من قوة الخيال الشرقيـة ، يتضح ذلك من وصفه للنعيم والجحيم ، ومن السور الشعرية التي قالها في أوائل أيامه .

« وكان يقظ الفكر على الدوام ، شديد الملاحظة للأمور . وكان أكبر مايعاب به عدم قدرته على المناقشة والمحاجة ، وإنه لعيب عظيم . فلم تكن له طريقة منتظمة ولا تعاليم مرتبة في المجادلة ، يشبهه في ذلك جميع العرب الذين كانوا معاصرين له . لذلك كان يعمد للتكرار الذي لاينتهي للتدليل على مايريد . فكان يعجز أحيانا عن صوغ الحجة لمناقشته خصمه بعيدا عن الموضوع الذي هو بصدده (انظر السورة السادسة والعشرين) .

« لم يسلم محمد من العقائد الخرافية والمبادئ الإباحية بتأثير بيئته كما هو متوقع ، فقد اعتقد في الجن ، وأباح لنفسه ولغيره رذيلة تعدد الزوجات واتخاذ السراري ، وترى هذه الإباحة حتى في وصفه للفردوس » انتهى الفصل الثاني .

ردنا على هذا الفصل :

إن المستر فوستر بعد أن ثلج صدره ، بلا دليل كما رأيت ، على أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن نبيا ، وأنه جاء بهذا القرآن من عنده ونسبه الى الله تعالى ، شرع يحاكمه على كل ماجاء فيه مما لا يرتضيه ذوقه ، غير معتد بالأحوال التي أحاطت بالدعوة

الاسـلامية ، ولا بالأقوام الجاهليين الذين دُعوا للدين وهم فى وثنيـة منحطة ، ولا بالمناسبات والملابسات التى يمكن أن يوجـد فيها داع فى تلك البيئة الشديدة الوطأة .

فنحن نتجاوز عن كل ما قاله فى نسبة القرآن للنبى ، وفى أنه كان أول من أوجـد النـثر فى الأدب العربى ، وفى نشاطه العقلى العظيم ، وفى قدرته الخطابيـة ، ولـكننا نؤاخذه على ما حاول فيه أن يطمس الحقيقة أو يضلل القارئ عن الواقع .

من ذلك ما زعمه من أن سـورة التكاثر من العبارات التى كانت تأتى عقب تدفق السيول الخطابية الجارفة من فم النبى صلى الله عليه وسلم ، فتضيق عباراته حتى تنتهى الى كلمات مفردة أو مزدوجة ، وزعم أن تلك السورة لا معنى لها .

نوجه ذهن القارئ قبل كل شىء الى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يلقى خطبا على قومه ، ولـكنه كان يدعوهم الى الاسلام ويتلو عليهم القرآن . وكثير من آيات القرآن كانت تنزل بمقتضى الحـوادث . فالسورة التى يذكرها المستر فرانك سبب نزول ، وهو أن بنى عبد مناف وبنى سهم تباهوا بالـكثرة فكثرهم الأولون . فقال بنو سهم : فاخرونا بالأحياء والأموات . فعدوا الأموات فغلب بنو سهم . فنزلت هذه السورة تبكيتا لهم ، وهى فى أسمى درجات البلاغة ، فلا هى خالية من المعنى ، ولا هى ذيل خطبة حارت ألفاظها فى فم ملقيها فنثرها أزواجا وفرادى . فإليك سورة التكاثر : « أَلْهَـاكُمُ التَّـكَاثُرُ حتى زُرتم المقابر (أى حتى زرتموها لتعدوا الأموات) ، كَلاَّ سوف تعلمون ، ثم كَلاَّ سوف تعلمون ، (كرر الجملة للتهويل والتأكيد) ، كَلاَّ لو تعلمون علم اليقين ، لَتَرَوُنَّ الجحيم ، ثم لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اليقين ، ثم لَتُسْأَلُنَّ يومئذ عن النعيم » .

فمن الذى يستطيع أن يرى فى هذه السورة مغمزا من أى نوع كان غير متعنت يريد أن يصد عن سبيل الله ويبغيها عوجا ؟ !

يقول المستر فرانك : كان محمد رجلا شـديد الشكيمة قد كان يندفع فى الـكلام ، كما فعل فى سورة العلق ، وقد يقطع المحاجة بنداء مدهش وينوه بخلق خُلقوا للجحيم ،

كما فعل فى الآية الثامنة والسبعين بعد المائة من سورة الأعراف ، أو ينهيها بكنية قارصة متوحشة .

بحثنا فى سورة الأعراف عن الآية الثامنة والسبعين فإذا بها قوله تعالى : « ولقد ذَرَأْنا لجهنّم كثيرا من الجن والإنس لَهُم قلوب لايَفقَهون بها ، ولهم أعين لا يُبْصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضَلُّ ، أولئك هم الغافلون » . أما الكنية القارصة المتوحشة فلم يذكر مثالا لها .

والقارئ لا يحس بذلك الدهش الذى يذكره المستر فرانك عند قراءته لهذه الآية ، فإن الله يقول : إنه خلق لجهنم كثيرا من الانس والجن ، ووصفهم بأنهم الذين يعطلون مواهبهم عن القيام بما خلقت له ، فلهم قلوب ولكنهم لا يستفيدون منها فى التمييز بين الحق والباطل ، ولهم أعين ولكنهم لا يستخدمونها فى رؤية ما خلق الله من شيء للاعتبار به ، ولهم آذان ولكنهم لا يصغون الى الهداة للانتفاع بالعمل بما يُفضون به اليهم ، أفترى أن هذه الكائنات المتحجرة يوقظ إنسانيتها النائمة أقل من أن يقال لهم إن الله خلق لجهنم خلقا كثيرا أنتم منهم أيها الغافلون ؟

يظهر لنا أن المستر فرانك يجهل كثيرا من مقررات علم النفس ، وكثيرا من ضروب العلاجات التى تؤثر فيها . فالنفوس الخامدة الهامدة التى أماتتها المادة لا يوقظها من سباتها إلا عبارات قوية الفعل ، شديدة التأثير ، من قبيل هذه الآية الكريمة . وفى الكتاب الكريم من ألوان التعبيرات ما يصلح لعلاج كل نفس ، لذلك كان تأثيره فى تلك القلوب الجاهلية المتحجرة أبلغ تأثير لم يُرَ له مثيل فى حياة جماعة من الجماعات .

هـذا ما ذكره فيما يتعلق بالآية الثامنة والسبعين بعد المائة من سورة البقرة ، وقد رأيت أن ليس فيها ما يدهش ، إلا إذا أراد ما يدهش ، من شدة الروعة ، وعمق التأثير ، وسمو التعبير .

أما ما ذكره من الكنية القارصة المتوحشة ولم يضرب له مثلا ، فنتركه حتى يبينه .

ثم ألمّ المستر فرانك بشيء من شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر ما كان عليه من قوة العزيمة ، وشدة الارادة ، وحسن الاحتمال للمكاره ، وعدم الاكتراث بالمثبطات ، والتجرد عن الاضطراب والخور ، ووفور تواضعه على رسوخ إيمانه برسالته ، وثقته بسمو مهمته ، ولم يغفل ذكر عطفه على بنى الانسان ، وحدبه على قومه ، وعدم تأثره بالعوامل التى كانت سائدة فى بيئته ، واستطاعته التخلص من شرها ورفع نفسه عن مستواها ، ويقظة فكره ، وقوة ملاحظته .

ألم المستر فرانك بكل هذا ولم يسائل نفسه هل يمكن أن تكون هذه الصفات الجليلة كلها لغير رسول أو نبى ، وهل يتأتى أن تجتمع كلها لأفاك مدع ؟

اعترف المستر فرانك بأن محمدا صلى الله عليه وسلم أمضى فى مكة على هذه الحالة سنين كثيرة ، ناله فيها من الاضطهادات ما لا يستطاع الصبر عليه . فهل يعقل أن يصبر على هذه الشدائد الهائلة منتحل لأكبر المهام العلوية ، دون أن تخونه قواه ، وتغدر به عزيمته ، ويفتضح أمره ، ويتشتت أنصاره ، ويصيبه ما أصاب كل كذاب أشر ؟

إذا كان هذا معقولا فأى فرق يكون بين أرقى درجات الفضيلة وأخس دركات الرذيلة ، وأى قسطاس يمكن أن توزن به مواهب رسول إلهى ، وأحابيل دجال ظلمانى ؟ وكيف يتأتى للبشر بعد هذا أن يستدلوا على مظهر الروح الالهى ، وأثر النفث الشيطانى ، وبخاصة إذا تكللت دعوة المحتالين بالنجاح التام ، وأثمرت أعظم الثمرات الأدبية ، لأمة كانت فى أخريات الأمم ، فأورثها الله خلافة الأرض قرونا كثيرة ، وتعددت الأصول الاصلاحية التى نفثها فى روعها الى العالم أجمع ، فأدت الى إصلاح عام لم تر الانسانية له مثيلا من قبل ؟

أما اطلع المستر فرانك هـ . فوستر على مبادئ علم النفس ليعرف أن النفوس الكاذبة الخاطئة ، التى تستسيغ الغش والتزوير ، لا يتأتى أن تصدر عنها إلا مبادئ ساقطة من جنس ما جبلت عليه من الخبث وفساد الطوية ؟

وقال المستر فرانك أيضا: « إن أكبر عيب فى محمد كان عجزه عن متابعة المحاجة، وإنه لعيب عظيم، فلم تكن له طريقة منتظمة، ولا أصول مرتبة مثله فى ذلك كمثل جميع العرب على عهده الخ ».

فى هذه الشبهة لا يزال المستر فرانك يجرى على وهمه الأول، وهو أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الذى وضع القرآن، فيعيب عليه ما يعيبه الناقد على مؤلف. فأين المستر فرانك من الواقع حيال هذه الشبهة ؟

إن هذا القرآن الذى يعيبه بما يعيب به محمدا، كان أثره أن أحال أمة برمتها من وثنية منحطة الى توحيد سام، ومن جاهلية جهلاء لا تعرف أصلا كريما، ولا مبدأ شريفا غير القوة الغاشمة وحكم الحديد والنار، الى حالة من السمو الأدبى والروحانى لم تعهد فى أمة منذ خلق الله العالم الى اليوم.

فهل هذا كله نتيجة الحَصَر عن مواصلة المحاجة، والعِىّ عن الإفصاح بالحجة، والانقطاع عن متابعة الجدل ؟

إن صح هذا فقد حبب المستر فرانك هذه العيوب الكلامية الى الناس، وجعلهم يُشكّون فى هل هى عيوب فى الواقع ؟

إن المستر فرانك قرأ القرآن أو بعضه لا قراءة باحث منزه عن الغرض، غير مختزن فى نفسه فكرة موروثة عن الاسلام وما يتعلق به، ولكن قراءة متعنت مدخر على القرآن والرسول الذى أتى به، أسوأ ما يدخره رجل متعصب على غيره، فلم ير فى القرآن غير ما يرى المحصور فى دائرة ضيقة من وهمه.

أما بلغ المستر فرانك أن رجالا عباقرة قد شهدوا لهذا الدين بالسمو، حتى حكموا بأن له العاقبة لا شك فيها، فهل قرروا ذلك لقصور حجته، وقلة مادته، أم لعمايتهم عما رآه هو بثقوب نظره، ورجوح عقله ؟!

وقال المستر فرانك : إن محمداً لم يسلم من العقائد الخرافية والمبادئ الإباحية ، فقد اعتقد بوجود الجن ، وأباح لنفسه ولغيره رذيلة تعدد الزوجات واتخاذ السرارى .

ونحن لا ندرى لم يكون القول بوجود الجن من العقائد الخرافية ؟ ألدينا دليل قاطع على أن العالم ليس فيه إلا العوالم التى تقع تحت الحس مباشرة ؟ أما رأى أن العالم اليوم ، وبخاصة فى الولايات المتحدة ، قد غص بالبحوث النفسية الدالة على وجود العالم الروحانى ، وعلى أنه يموج بالكائنات المتجرد عن المادة ، وقد جعل الباحثون شعارهم الأسلوب العلمى الدقيق المؤيد بالتجارب الحسية ؟

أما قرأ التوراة والانجيل ورأى فيهما أن موسى وعيسى كانا يعتقدان بوجود الجن ، وأن الأخير عليه السلام كان يخرجها من أجساد المرضى ويطردها بعيداً عنهم ؟

أمّا قوله إن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يسلم من المبادئ الاباحية لسماحه بتعدد الزوجات ، فهو خلط بين الاباحة والشريعة . فالاباحة هى إطلاق الحرية للنفوس ترتكب باسم الحرية كل ما يبدو لها من الانحرافات الخلقية ، كشرب الخمر والمقامرة والفسق الخ ، والشريعة تحدد تلك الحرية فى دائرة الآداب الكريمة ، والأخلاق القويمة .

وقد أباح الاسلام تعدد الزوجات لتعذر كَبْت الطبيعة البشرية ، وقصر الرجال على زوجة واحدة . والدليل على ذلك أن المسيحية لم تستطع أن تحمى المجتمع هذا الشر ، فانتشرت المخادنات فى البلاد التى تسود فيها ، والمخادنة شر اجتماعى خطير نتائجه لا تقف عند حد .

وقد أحل موسى عليه السلام تعدد الزوجات ، فهل يتهمه المستر فرانك هـ. فوستر بهذه النقيصة أيضاً ؟

اللهم إنه لا يستطيع ذلك ، فلم إذن يكيل بكيلين ، ويحاكم بقانونين ؟ !

محمد فريد وجدى

العلاقة بين المادة المخية والعقل (١)

يفترض الناس منذ القدم أن لكمية المخ فى المخلوقات علاقة كبيرة بمقدار ذكائها ، ويزعمون أن جهلاءهم لا يستحوذون إلا على كمية ضئيلة من هذه المادة الثمينة ، وقد يجد هذا الاعتقاد مبررا ولكن الى حد ليس بعيداً ، إذ أن كمية المخ فى بعض الحيتان قد تربو على خمسة كيلو جرامات ، ولا تتعدى فى النملة جزءا من خمسة وعشرين ألفا من الجرام ، ولا يكاد يصدق إنسان أن الحوت أذكى من النملة بما يبلغ ١٢٥ مليون ضعف ، فلو أن ما افترضه الناس منذ القدم من العلاقة المطلقة بين كمية المخ ومقدار الذكاء كان صحيحا لكان مركز الانسان وهو تاج المخلوقات من حيث الذكاء مما لا يشرفه كثيرا ، فإنه توجد حيوانات عديدة مثل الفيلة والحيتان وكثير من الحيوانات المنقرضة تبلغ كمية المخ فيها أضعافا مضاعفة للقدر الذى يملكه الانسان ، وهو يبلغ فى المتوسط ١٣٤٣ جراما .

من ذلك يتضح أن الوزن المطلق للمخ لا يصلح بأى حال أن يكون ميزانا للعقل ، ولو أن نصيب الانسان منه يفوق فى بعض الأحوال كثيرا من المخلوقات التى تزيد عنه جسما .

وقد لا تتغير الحال كثيرا إذا نحن جعلنا المقارنة بين المخلوقات من حيث نسبة وزنها كاملا الى وزن المخ ، فإن الانسان الكامل النمو فى هذه الحالة لا يأخذ المرتبة الأولى أيضا ، ويسبقه الطفل الحديث الميلاد ويكون أرقى المخلوقات جميعا وأكثرها ذكاء ، إذ يقرب مخه من جزء من سبعة أجزاء من وزن جسمه بأكمله ، ويعقبه مباشرة بعض الطيور والحيوانات الثديية الصغيرة ، ويأخذ الانسان الكامل فى هذه الحالة

(١) مترجمة من الالمانية نقلا عن مقال للاستاذ الدكتور « فنسمو » فى مجلة « كوسموس » الالمانية .

أيضا مركزا ممتازا بالنسبة للأحياء الأخرى التي تعادله وزنا، إذ يبلغ مخه جزءا من أربعين جزءا من وزن جسمه، بينما لا تزيد النسبة فى الأحياء الأخرى المعادلة له وزنا عن جزء من أربعمائة.

وقد استخلص العالم الألمانى « هالر » من هذه المقارنة النسبية القانون المعروف باسمه، وهو أن الأحياء تتناسب تناسبا عكسيا مع وزن مخها، أو بعبارة أخرى كلما قل وزن الجسم كلما زادت نسبة وزن المخ الى الوزن العمومى.

ولربما كانت المقارنة النسبية أقرب الى إيضاح العلاقة الدائمة بين المخ والذكاء، وقد تكون مملكة النمل أسطع برهان على صحة هذا القانون.

ولو أننا أخذنا لذلك أمثلة متعددة فى الحيوانات المتساوية وزنا مثل القنفد والفنك الاسترالى وهرة البحر وهى إحدى أنواع القردة الصغيرة، وتزن جميعها حوالى ٧٥٠ جراما، لوجدنا أن وزن مخ القنفد ثلاثة جرامات ونصف والفنك ستة جرامات وهرة البحر ٤٠ جراما، أوأننا أخذنا « الأوبوسوم الأمريكى » وهرة المنزل والجيبون وهو نوع أكبر من القردة وتزن جميعها حوالى ثلاثة كيلوجرامات وثلث، لوجدنا أن وزن مخ أولها ستة جرامات ونصف، وثانيها واحد وثلاثون جراما ونصفا والأخير تسعون جراما، أو أننا أخيرا أخذنا الانسان والغوريلا وكلب لبو نبرجر لوجدنا أن مخ الانسان يزن حوالى ١٤٠٠ جرام بينما لايزيد وزن مخ الغوريلا عن ٤٥٠ جراما ومخ كلاب لبو نبرجر عن ١٢٥ جراما مع تساوى الثلاث فى وزن الجسم بأجمعه، وفى ذلك دلالة واضحة على أن كمية المخ تتمشى جنبا الى جنب مع مقدار الذكاء.

وعلى ذلك لنا أن نجيز احتمال ضرورة الزيادة فى كمية المخ، وهو مركز التفكير، وذلك كلما تقدمنا خطوة نحو الرقى فى الأحياء على العموم. إلا أنه يجب ألا نغفل أن عقل الانسان كباقى الأجهزة التى لايقام لها وزن من حيث حجمها فقط، فقد تكون ساعة الحائط كبيرة وضخمة ولا تبين سوى الساعات والدقائق، وقد تكون ساعة الجيب

صغيرة ودقيقة وتبين الساعات والدقائق والثوانى وأيام الأسبوع وأسماء الشهور والأرباع القمرية وما عدا ذلك من المواقيت ، ولا يتم ذلك بالطبع إلا بتعقيد تركيبها وإحكام صنعتها وجودة معدنها ، ولا يختلف المخ عن ذلك كثيرا ، فإنه وإن لم يصل فى الأحياء الراقية الى الحجم الذى قد يبلغه فى الحيوانات الضخمة فإنه يزيد عنه تعقيدا ويفوقه تركيبا . وقد دلت الأبحاث الميكروسكوبية والماكروسكوبية على أن مخ الأحياء الراقية يختلف فى تركيبه وتكوينه الداخلى اختلافا كبيرا عن نظيره فى الأحياء الدنيئة .

وتذهب العلوم الحديثة الى أن القشرة الخارجية فى المخ هى مركز القوى العقلية ، ويزداد مسطحها اتساعا كلما تقدمت الأحياء نحو التقدم والارتقاء . وبما أن الفراغ فى داخل الجمجمة محدود بعوامل أخرى ولا يمكن للمخ أن يشغل حيزا أكبر منه فإن القشرة الخارجية فى مثل هذه الأحوال تعتريها تلافيف وتجعدات تختلف أيضا قلة وكثرة باختلاف القوى العقلية . ولا يقل سطح القشرة المخية فى الانسان عن ٢٢٠٠ سنتيمترمربع ، بينما لا تزيد فى القردة عن ٥٠٠ سنتيمترمربع ، وهكذا فإننا كلما انحدرنا الى الأحياء الأقل رقيا فإن المسطحات تتناقص تدريجيا ، أو بعبارة أخرى نجد أن التجعدات تقل تبعا لها .

وليست هذه التجعدات الظاهرة هى التى تميز درجات الذكاء فحسب ، بل إنه قد اتضح لنا بواسطة الميكرسكوب أشياء أخرى على جانب عظيم من الأهمية فى قياس القوى العقلية ، فإنه ثبت أن عدد الخلايا فى هذه القشرة الخارجية يختلف أيضا اختلافا كبيرا باختلاف القوى العقلية ، وقد قدر عددها فى قشرة مخ الانسان بحوالى ٥٠ ألفا فى كل مليمتر مكعب ، بينما لا يزيد عددها عن ١٠ آلاف فى كثير من الحيوانات الثديية الأخرى .

يستخلص مما تقدم أن حجم المخ ليس هو العامل الوحيد الذى به يمكن تقدير

درجة الذكاء ، بل إن هناك عوامل أخرى عديدة على جانب عظيم من الأهمية فى رفع القوى العقلية ، مثل نسبة وزن المخ الى وزن الجسم ، ومساحة مسطح القشرة المخية ومقدار تجعداتها وعدد الخلايا بها ، وتكوين المخ وتركيبه الداخلى . وقد دلت الإحصاءات التى عملت أخيرا عند تشريح الجثث الآدمية أن وزن المخ يختلف باختلاف نوع العمل الذى كان يزاوله الانسان أثناء حياته ، فيزداد بقدر اشتراك القوى العقلية فى الحياة ، كما دلت أعمال الحفائر والتنقيب أن حجم الجمجمة كان دائما يختلف فى الأحقاب والعصور باختلاف الحضارة والمدنية المعروفة حينذاك ، واتضح أخيرا أن معظم وفيات المصابين بالأمراض العقلية التى تنتهى بالبله تدل على أن المخ كان آخذا فى التناقص حجما والانبساط سطحا .

على أن كل هذه الملاحظات لا يمكن أن تدل على أنها قانون صالح فى كل الأحوال ، فإن أكبر مخ عرف حتى الآن كان لأبله ، وأن بعضا من المفكرين الذين كانوا يوما قادة للعالم فى مختلف العلوم والآداب كان حجم مخهم دون المتوسط ، وهكذا فإن العلاقة التى تربط كمية المخ بمقدار الذكاء ما زالت يخيم عليها الظلام ويحيط بها الجهل ، ولا تقوى الوسائل التى نسيطر عليها الآن بأن تميز بين مخ عبقرى وآخر من العامة البله ، وإنما نكتفى اليوم بأن كمية المخ والعوامل الأخرى المذكورة تساعدنا على وجه العموم على معرفة درجة التقدم والذكاء ، ولا يمكن الرجوع اليها بأى حال من الأحوال للقياس والمقارنة فى جميع الحالات الفردية ، ونرجو من المستقبل أن يكشف لنا يوما عن أسرار العلاقات بين القوى العقلية وتركيب المخ .

فضل العقل على المنطق

قال سليمان بن عبد الملك : فضل العقل على المنطق حكمة ، وفضل المنطق على العقل هجنة .

وما المرء إلا الأصغران لسانه ... ومعقوله والجسم خلق مصور
فان تر منه ما يروق فربما ... أمر مذاق العود والعود أخضر

ثلاثة زعماء هندوكيون

يعلنون إسلامهم

جاء فى جريدة البلاغ تحت هذا العنوان ما يأتى :

علم القراء من الكتاب الذى نشرناه قبل بضعة أيام للزعيم الهندى الكبير الأستاذ خالد لطيف جابا عضو المجلس التشريعى خاصا بالمنبوذين فى الهند أن الهيئات الاسلامية هناك ألفت وفدا كبيرا برياسة هذا الزعيم لدعوة المنبوذين وغيرهم من الطوائف الهندية المضطهدة بسبب اعتقاداتها الدينية ، الى اعتناق الديانة الاسلامية ، ولحضور المؤتمرات التى يعقدها هؤلاء للنظر فى اختيار دين لهم يحقق المساواة بينهم وبين الطوائف الهندية الأخرى .

وقد استطاع هذا الوفد الاسلامى أن يثير فى المنبوذين والثيازيين والأنجاس الرغبة فى اعتناق الدين الاسلامى ، بما أوضحه لهم من مزاياه التى تكفل لهم المساواة التامة التى يطلبونها من الهندوكيين وغيرهم من أمم العالم .

ونزيد على هذا أننا تلقينا اليوم كتابا خاصا من الهند جاء فيه أن الزعيم الكبير خالد لطيف جابا رئيس وفد الدعوة الاسلامية بين المنبوذين والثيازيين والأنجاس اجتمع هو ونفر من العلماء بأحد كبار الزعماء الهندوكيين (المستر كيمبلى) ، ودارت بينهما مناقشات ومباحثات طويلة انتهت باعلان المستر كيمبلى رغبته فى اعتناق الدين الاسلامى ، وفى أن يتولى الدعوة للاسلام بين المنبوذين وغيرهم بدل الدعوة للديانة الهندوكية .

وقد احتفلت جمعية « تبليغ إسلام » فى بونا بهذا المسلم الجديد احتفالا كبيرا .

وتلقينا من مراسل البلاغ فى منتوجمرى « البنجاب » ما يأتى :

تزداد الحركة الاسلامية فى جنوبى الهند قوة وانتشارا بنجاح الوفد الاسلامى

الهندى برياسة الزعيم خالد لطيف جابا فى إقناع زعماء المنبوذين ورؤساء الثيازيين وغيرهم من الطبقات المضطهدة Dpreessed classes بسبب عقائدها الدينيـة ، بأن الدين الاسلامى يحقق المساواة المطلقة بين جميع الطبقات والشعوب والأجناس .

وقد نجح المسـلمون فى منتوجمرى نجاحا جديدا ، إذ اقتنعوا بهذا الزعيم الهندوكى الـكبير بنديت لاله كاشى رام ، فأعلن إسلامه ، وقد كان هذا الزعيم من أشد الزعماء الهنـدوكيين بأسا فى مناهضة الحركة التى يقوم بها الوفد الاسـلامى الهندى لإقناع المنبوذين والثيازيين باعتناق الاسلام .

ومن أهم مايذكر فى نجاح المسلمين استطاعة خطيب مسجد منتوجمرى الـكبير مولانا الشيخ محمد عبد الله التأثير على المستر جهندا سكى أحد زعماء طائفة السيخ حتى اعتنق الاسلام ، وقد كان هذا الزعيم موفدا من مجلس السيخ الشرعى لدعوة المنبوذين لاختيار العقيدة السيخية بدل العقيدة الهندوكية .

جرأة الواعظ

روى أن محمد بن كعب القرظى كان حاضرا فى مجلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأثنى عليه مثن ، فتهلل وجهه ، فنظر اليه محمـد بن كعب فقال له : يا أمير المؤمنين ، لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك ، فان قوما خـدعهم الثناء وغرهم الشكر ، فزلت أقدامهم فهووا فى النار ، أعاذك الله أن تكون منهم ، وألحقك بسالف هذه الأمة !

فبكى عمر حتى خيف عليه . وقال : اللهم لا تخلنا من واعظ .

التفسير

سورة الرعد

— ١٥ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ، قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ، إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ . وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) :

قد انتهى القول فى جدال أولئك المكابرين الى حد أن سجل عليهم أن زين لهم سوء عملهم فرأوه حسنا فلا مطمع فى تنازلهم عنه ، وأنهم صدوا عن السبيل القويم ، والصراط المستقيم ، فطبع الله على قلوبهم فأضلهم ، ومن يضلل الله فما له من هاد ؛ وحكم عليهم بالوعيد الشديد إذ يحل بهم عذاب الدنيا الشاق ، وما ينتظرهم من عذاب الآخرة أشق حيث لا يقيهم من عذاب الله واق . وزاد فى حسرتهم ببيان صفة الجنة التى وُعد المتقون ، وأن هذه عقباهم ، حيث يقابلها عقبى الكافرين وهى النار ، فلم يبق فى دائرة مجادلتهم ومكابرتهم ووصف حالهم وعاقبة أمرهم مستزاد لمستزيد .

فحسن الانتقال الى تفصيل حال جماعة آخرين لهم صلة مّا بالدين والرسل والشرائع الإلهية ، فلم يشاركوا أولئك المكابرين فى كل سخافاتهم وتعنتهم وعنادهم ، أولئك هم أهل الكتاب ، ومَن عسى أن يكونوا أقرب الى الاستجابة ، وأسلس فى القيادة ، وآلف للشرائع السماوية ، أولئك هم الذين شرع الله فى تفصيل أحوالهم بأوضح أسلوب وأبينه مع الإيجاز المستوفى ، فقال جل شأنه : «والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أُنزل اليك ومِن الأحزاب مَن ينكر بعضَه» أى أن الذين عرف الرشاد الى قلوبهم سبيلا ، وحلت الهداية قلوبهم نوعا من الحلول ، وأكرمهم الله بنعمته وآتاهم الكتاب ، تبتهج قلوبهم ، وتسر نفوسهم ، ويفرحون بما أنزل الله اليك ، لما يرون فيه من الهدى الكامل الذى تذوقوا طعمه فى جنس التشريع الإلهى ، فيجدون فى هذا ما يشبع نفوسهم من هدى يطلبون فيه المزيد . وهل يعرف قدر النعمة إلا من ذاقها وله عهدٌ بها ؟

أجل : الذين آتيناهم الكتاب يجدون فيما أنزل اليك ما يوافق ما كانوا يترقبون بما اطلعوا عليه فى كتبهم ، من بَعْث نبى هو خاتم الأنبياء ، ينزل عليه شرع هو ختام الشرائع ، فهو الكامل الذى ليس بعده للنفوس مرتقب ، فيفرحون إذ ظفروا بإدراك أكمل أنواع الهداية التى أنعم الله بها على العالمين .

ولكن هل هذا شأن أهل الكتاب جميعا ؟ لا ، بل لا يزال منهم من أعمى التحزب بصائرهم ، فأصروا على أن يبقوا متماسكين بعزة كانوا استأثروا بها على قومهم ، إذ كانوا قد جعلوا ما حباهم الله من نعمة الهداية وسيلةً للتعالى على سائر الأقوام ؛ وبدل أن يجعلوا همهم توصيل هدى الله لعباد الله فيكتسبوا مرضاة الله ، استخدموا ذلك وسيلة لنيل عرض الحياة الدنيا من مال وجاه وعزة مرجعها كلها للفناء والاضمحلال .

ولكن أنّى يبصرون وخامة عاقبتهم واعوجاج منهجهم وقد أعمتهم لذائذ الجاه الذى أحرزوا ، والمال الذى جمعوا ، والنفوذ والسلطان وبهما استمتعوا ، فلم يبصروا منفعتهم الحقيقية الخالدة ، وركنوا الى تلك المتع العاجلة الزائلة ، فتحزبوا فيما بينهم ألا يفرّطوا

فى ذرة مما كسبوا . بيد أنهم لم يستطيعوا أن ينكروا كل ما جاء به وهو الهدى والنور مصدقا لما معهم ، فعمدوا الى بعض يستطيعون إنكاره ، إما مما حرفوه بأيديهم وقالوا هو من عند الله ، وما هو من عند الله ؛ وإما من أحكام فرعية اقتضت الحكمة الإلهية نسخ حكم منها بحكم خير منه أو مثله ، فأنكروا ذلك متحز بين متعنتين .

والأحزاب جمع حزب ، وهو الجماعة يتماسكون يؤيد بعضهم بعضا فى غرض يخصهم . وكأنه من قوله : حزبه الأمر إذا وقع به وأهمه ، فإن المرء عادة إذا نزل به نازل شديد عمد الى أقرب الناس اليه وأشبههم به ومن يشاركه فى تلك النازلة فتناصر هو وهو ، حتى ينهضوا بالدفاع عما نزل بهم . فكأن التعبير بالأحزاب ليدل على أنهم ما دفعهم الى إنكار البعض إلا الحرص على استبقاء مجدٍ هم فيه مشتركون يخافون أن يزول من أيديهم ، فيتحزبون ليدفعوا عن أنفسهم ما نزل بهم . إذاً ليس إنكارهم سوى أنانية يخدمون بها أغراضهم لا يخدمون الحق ، ولا ينظرون الى مصلحة البشر أو إحقاق الحق . وما كان تخصيصهم الإنكار ببعضه دون بعض تبعا لعقيدة حكمت عليهم ، وإنما هو لأنهم لا يستطيعون إنكار جملته ، وهو الحق الواضح مصدقا لما بين يديهم ، ومقررا لكثير مما معهم من الكتاب مما لم ينله تحريفهم .

ولقد هجم عليهم الإفحام من حيث لا يجدون منه مخلصا ، فيما أمر الله نبيه أن يوجهه اليهم ، من البيان الناجع ، والبرهان القاطع ، فى قوله عز وجل : « قل إنما أُمِرتُ أن أعبدَ الله ولا أُشركَ به » أى أَخرسْ ألسنتهم ، وبيّنْ لهم سفاهة أحلامهم ، وقل لهم : أىّ شىء تنكرونه علينا أو تنقمونه منا وأنا ما أمرت إلا أن أعبد الله وأن أوحده ؟! أفتنكرون عبادة الله وأنتم تزعمون أن مهمتكم الدعوة الى عبادته ، أم تنكرون توحيده وأنتم على ما تزعمون دعاة توحيده ، وإن كانت حقيقتكم أنكم ما عبدتم إلا مصلحتكم ، وما ألّهتم إلا أهواءكم ؟ فترى فى هذا من فَضْح حالهم ، وإخراس ألسنتهم ، وقطع حجتهم ، وسد الطريق فى وجوههم ، ما لا يستطيعون معه أن ينبسوا ببنت شفة ، أو أن يجدوا فى ريقهم بلة .

ثم تمم الكلام بما يدل على أنه قد ثبت فى وجههم ، وصمد لهم صمد من لا يطمع طامع فى زلزلته ، وأنه لا يقتصر على أنه قام بنفسه بما أُمر به ، بل هو يدعو اليه لا الى غيره مما يدعون اليه من نزعات الأهواء ونزغات الشياطين . هذا قوله : «اليه أدعو» بتقديم الجار على أدعو . وأما قوله : « واليه مآب » فإنها زيادة فى تقرير ثباته من وجهين : من جهة أن مرجعى فى التأييد اليه ، واعتمادى فى مغالبتكم عليه ، فأنا معتمد على قوة لا قِبل لأحد بمغالبتها ؛ ومن جهة أن مرجعى فى آخرتى اليه ، فلا أرهب إلا جنابه ، ولا أقصد إلا مرضاته ، فلا يهمنى أرَضيتم أم سخطتم إذا أنا امتثلت أمره ، وقمت بما كلفنى القيام به . والمآب المرجع ، من آب المسافر رجع ، فرجعه اليه فى دنياه وآخرته .

ولعل فى اختيار لفظ « ولا أشرك به » على أوحده مثلا ، التعريض بهم إذ عبدوا أهواءهم ، واتخذوها آلهة لهم ، مع ما فى لفظ الإشراك من مزيد التشنيع الواضح على من وقع فى حمأته ومنه هم . وعدم ذكر « شيئا » ونحوه بعد لفظ أشرك ، لأن المقصود نفى الإشراك فى نفسه ، بقطع النظر عن المشرَك به .

ولا يقال : كيف حصر المأمور به فى العبادة ونفى الإشراك وقد اشتمل ما أنزل عليه على أكثر من هذا ، مثل القصص والجدل ، وتشريع المعاملات وغيرها ، لأنا نقول : إن كل ما أُنزل إما عبادة أو ما هو بسبب منها ، كالمحاجة لقطع دابر الشبه ، والقصص للعبرة والعظة ، فيُقبل المتعظ على العبادة ؛ والتشريع فى المعاملات لإقامة العدل ، وهو نعم العبادة ، فما أمر إلا ليعبد الله وحده .

« وكذلك أنزلناه حكما عربيا » :

قررنا جلة مرات أن اسم الإشارة فى مثل هذا يعود على مصدر الفعل المذكور بعده ، والمعنى هنا : مثل هذا الإنزال العجيب الذى يتجلى لك وافيا شافيا ، واضحا صريحا ، جامعا لأصول الدين المجمع عليها بين الشرائع وفروع الأحكام التى تختلف بحسب المصالح طبق ما تقتضيه حكمة الحكيم العليم ، أنزلنا القرآن . ويقرب من هذا

التعبير ما يجرى على ألسنة بعض الناس حين التنويه بفعل صدر منه « هكذا أجرى فى شئونى » و «هكذا عادتى فى أعمالى » وأمثال ذلك . وضمير أنزلناه للقرآن .

وقوله : « حكما » للإشارة الى أنه يجب الإذعان لما فيه والتسليم به ، وليس لأحد فيه تغيير ولا تبديل ، فهو حاكم غير محكوم ، سواء فيما خالف فيه الكتب السابقة وما وافق فيه ، فهو مهيمن عليها جميعا . وقيل «حكما » أى حكمة ، كقوله تعالى : « وآتيناه الحكم والنبوة » .

وقوله : « عربيا » لبيان وضوحه من ناحية ، وللإشارة الى أحد مواضع مخالفته للكتب السابقة من ناحية أخرى . أى لقد اقتضت حكمتنا أن ننزله عربيا بلسان القوم الذين اخترنا منهم رسولنا ، ليدعوهم إليه بادئ ذى بدء ، ثم يدعو العالم بواسطتهم بعد أن يحملوا عبء التبليغ على كواهلهم ، وهم جديرون بما عهد الله به إليهم بما وهبهم من قوة عزيمة وشدة شكيمة ، وأنهم لا تلين قناتهم ولا يداهنون فيما يعتقدون . والله أعلم حيث يجعل رسالته .

ولعل من أوجه الحكمة فى اختيار إنزاله عربيا أن كان ذلك تهيئة لاحتوائه على المعجزة الباقية بقاء الدهر ، فقد كانت أمة العرب بلغت فى التنافس فى البلاغة والبراعة اللسانية ما لم تبلغه أمة سواها ، فكانت أعرف الناس بوجوه التفاوت فى أساليب القول حتى يصل الى حد الإعجاز ، وليس أعرف بدقائق صنعة ما من أمة عكفت عليها وضمّنتها مفاخرها ، وجعلتها عنوان مجدها ، وتوالت عليها القرون وهى تترقى فيها ، حتى بلغ من تقديسها لها أنها إذا ظفرت بفارعة بزت غيرها كتبتها بالذهب على الديباج وعلقتها فى أما كنها المقدسة . فهل يوجد شعب هو أليق أن يبعث فيه نبي ذو معجزة خالدة من ذلك الشعب الذى حصر الفخار والمجد فى الكلام وبراعته ، والقول وبلاغته ؟

« ولئن اتّبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لَكَ مِن الله مِن وَلِىٍّ ولا واقٍ » : لقد بلغت الحجة مبلغها ، ولم يبق بعد اتضاح الحق إلا غلبة الهوى وحكم الشهوات ،

فمن أصر بعد ذلك فقد اتخذ إلهه هواه ، ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض . فالمقام أصبح لا يقبل إلا تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وشد أزره ، وتقوية عزيمته على المضي في مهمته ، وألا يفكر فيهم ولا في استصلاحهم . ولقد عبر عن ذلك بعبارة فيها إلهاب حميته وإيقاظ روح الانتباه فيه ، حتى لا تحدثه نفسه بالتفكير فيهم بعد ما أصروا على ما هم فيه ، وقد تبين الرشد من الغي ، فقال تعالى : « ولئن اتبعتَ أهواءهم » الآية . وفيه مع إلهاب حميته صلى الله عليه وسلم تقوية عزائم المؤمنين على الثبات والاستمساك بالحق ، وتحذيرهم أن تلين قناتهم في دين الله ، كيلا يخذلهم الله ، وإذاً لا يجدون من دون الله من ولي ولا واق . وإذا كان خير الخلق صلى الله عليه وسلم قد حُذر هذا التحذير وهو المأمون على الوحي ، المختار للرسالة ، المعصوم بأمر الله من معصية الله ، فكيف حال المؤمنين ؟

والولي : الناصر ، والواقي : الحافظ . وكأنه في الأول نفى أن يكون له ناصر أمام القادر القاهر ، وفي الثاني ترقى فنفى من يحميه بعد نفي من ينصره . وتعرف أنه قد يعز الناصر ، ولكن يوجد الحامي الحافظ الواقي ولو بطريق إخفائه أو تهريبه مثلا . فنفي الواقي بعد نفي الولي زيادة في تقرير ألاّ ملجأ ولا منجى من الله .

وقوله : « بعد ما جاءك من العلم » كأنه سد لباب التعللات ، وقطع للمعاذير ، وليس معنى هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان عرضة للمخالفة متعللا أو معتذرا ، وإنما هو التسجيل وإيفاء المقام حقه مما يناسب ما سيق له ، ولبيان أن هذا الثبات في نصرة الحق وعدم ممالأة الكافرين ، أمر له في نظر الشارع الحكيم ما له من الاهتمام العظيم ، وأنه في إثبات المطلوب منه على علم وبينة .

« ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية » :

هذا انتقال الى دحض شبه كانوا يوجهونها الى شخصه صلى الله عليه وسلم يطعنون بها في صحة رسالته ، فتعود الطعنات الى قلوبهم ، ويلقمون فيه الحجر بملء أفواههم

ويصك أفئدتهم ، فقد قالوا : كيف يكون رسولا وهو يتزوج النساء وتولد له الذرية ؟ قاتلهم الله ! وهل كان إلا بشرا رسولا ، وهل كان بدعا فى الرسل أيها المتكلمون فى أحكام الرسل أن يكون لهم زوجات وذرية ؟ لقد أرسل الله من قبل محمد رسلا ، وجعل لهم أزواجا وجعل لهم ذرية ، وهل يستمدون التأييد إلا من عند ربهم الذى وعدهم نصره وتأييده ؟ لقد كان يصح لكم أن تزعموا هذا الزعم لو أن الرسل من قبيل أولئك الزعماء الذين يثورون على البشر يحاولون قهرهم وبسط سلطانهم عليهم معتمدين على قوتهم ومقدرتهم وشدة كفاحهم ، فهم لذلك يبتعدون عن النساء حتى تبقى وتنمو لديهم قوة البطش يتسلطون بها ، كما يروى عن ملوك وقواد وطلاب ثأر وأشباههم . أما النبى يرسله الله الى عباده برحمته لتبليغ رسالته وإقامة حجته ونشر شريعته ، يجمع عليها القلوب بالحكمة والموعظة الحسنة ، فماله ولهذا المظهر العنيف الذى يتجلى فى رجال الجبروت ؟

أجل : قد يضطر النبى الى كبح جماح المعاندين وإزالة كبريائهم وعتوهم من طريق دعوته حتى لا يصدوا عباد الله عن الاستجابة الى رسل الله ، وحتى لا يحولوا بين الناس وسماع هدى الله الذى أرسل به رسله اليهم ، ولكن هذا الجهاد المعتدل بقدر ما تسير الدعوة سيرها الحر ، والمضمون فيه التأييد من قبل القادر القاهر ، لا يحتاج الى اعتزال النساء والانزواء عما أحل الله من متاع الحياة الدنيا .

ولقد درجت السنة الإلهية على إرسال الرسل ، وأن يجعل لهم أزواجا وذرية ، كداود وسليمان عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء والمرسلين .

ولقد يكون من مقتضى الحكمة فى كثرة أزواج النبى أن يكون ذلك سبيلا لتوسيع العلم بالشرائع الخفية التى لا تعلم إلا بالمعاشرة الزوجية ، فتحمل كل واحدة من الأزواج من أحكام الشريعة ما علمته بما اتفق لها من ظروف وملابسات ، وقد يكون من حكمة ذلك أن يعلم أن أحوال النبى صلى الله عليه وسلم فى الخفاء توافق فى الخير

والطهر والاستقامة أحواله فى العلن ، فقلّما يستطيع من يبطن غـير مايظهر أن يخفى ذلك عن معاشِرات كثيرات إذا استطاعت إحـداهن كتمان مارأت أو شعرت به مما عسى أن يكون منكرا ، لا تستطيع الأخريات . ومعلوم أن طبع النساء غالبا أنهن لا يستطعن أن يكتمن ، فكيف إذا نظرتَ الى ماترتب على كثرتهن من تمكين الأواصر بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قبائل كان لها حظ فى نصرة الاسلام ، أو ماترتب على ذلك من هـداية قبائل بأسرها فرحا بشرف صهره صلى الله عليه وسلم ، أوتشريع أحـكام تخالف ما ألفوه مما لم يرضه الله دينا لهم ، مثل تهجينهم تزوج زوج المتبنَّى إلحاقا له بالابن ، كما فى قصة زينب زوج زيد . وليس أبلغ فى القضاء على هـذا الاستهجان من أن يفعله صلى الله عليه وسلم .

وأما الذرية فحسبك منها أن المدعوين جلهم كانوا من ذرية خليل الله ابراهيم ، بل قل كانوا كلهم من ذرية نوح صلى الله عليه وعلى نبينا وعلى جميـع الأنبياء وسلم ، فهل كان ابراهيم ونوح فى نظرهم ليسا برسولين ؟ فقد سقطت هذه الشبهة .

وزعموا أنه لا يكون الرسول رسولا حقا حتى يقتدر على الإتيان بالمعجزات التى تُطلَب على وفق رغبة الطالبين ، فردّ جل جلاله عليهم بأن هـذا لن يكون لرسول ، وما كان الرسول إلها شريكا ، وإنما هو عبد ورسول ، فليس له التصرف فى الـكائنات ، وما كان له أن يأتى بآية إلا بإذن الله ، على وفق ما علم من حكمه ، وبقدر ما يؤيد رسوله ، حتى يتضح الحق ، ويتبـين الرشـد من الغى ، ويظهر الفرق بين المدعى صادقا وبين المفترى الـكذاب .

ولقـد أيد الله رسوله صلى الله عليه وسـلم بالآيات تلو الآيات ، من محسوسات ومعقولات . وحسبك بالقرآن آية ، بل كل مقدار سورة منه آية ومعجزة ، فهو آيات بينات لا تنتهى عجائبه ، ووجوه إعجازه لا تدع متعللا لمتعلل ، فلم تقتصر على البلاغة ونحوها مما يخص الأمة العربية ، بل فيه من وجوه الإعجاز غير البلاغة ما يملأ القلوب اقتناعا متى طلبت الحق فى غير عناد ولا مكابرة .

وزعموا أنه لو كان رسولا ما خالف شرائع الرسل قبله فى بعض الأحكام، كالتوجه فى الصلاة الى الكعبة بعد ما كانت الصلاة الى بيت المقدس مثلا، فجاء قوله تعالى: « لكل أجل كتاب » لإزاحة تلك الشبهة، وبيان أن الأحكام ينزلها الملك العلام مراعى فيها الصالح الكامل العام، وذلك مما يختلف باختلاف الأمم والأزمان، فرب تشريع هو أوفق بأمة فى زمن بينما ضده أوفق بغيرها من الأمم التى وجدت فى زمن آخر.

وانظر إن شئت لهذا المثل الذى نجلوه لك:

لقد رزح بنو إسرائيل قرونا طويلة تحت نير الذل والظلم الذى أرهقهم به الفراعنة، حتى خنعوا وألفوا الخنوع والاستكانة والمذلة، وضعفت نفوسهم، فكان من الحكمة فى تربيتهم أن يؤمروا بالاستمساك بحقهم، وأن ينهوا عن التراخى فى حقوقهم، وجعل استيفاء المرء حقه الذى له أمرا واجبا عليه ليس له أن يتسامح فيه، فكانت شريعتهم عدلا خاليا من الفضل. فلما استقر ذلك فيهم وتمكن من نفوسهم وأصبح ديدنا راسخا، وأريد استلاله من نفوسهم، جاءت المسيحية تدعو الى الفضل والتسامح كل الدعاء، وما كان هذا ولا ذاك بالتشريع الصالح للاستقرار، وإنما هو علاج لمرض اعترى أمما فى بعض أحوالها، فلما اعتدل مزاج الإنسانية، وأصبحت صالحة لتلقى الشريعة السرمدية، جاء الاسلام يعطى الحق فى إقامة العدل، بينما يرغب فى الفضل، حتى يكون التسامح إذا جاء من صاحبه جاء من القادر على استيفاء حقه، وينطبق عليه أن حقيقة العفو ما كان عن مقدرة فى القصاص، وإلا فهو ذلة ومهانة.

أرأيت كيف لاق بكل حالة حكم لا يليق بغيرها؟ فهذا سر أن تكون المصلحة فى أن يكون لكل أجل كتاب، أى لكل مدة أو لكل جيل كتاب تشريع يليق به، ويصلح له، وتقتضيه الحكمة الإلهية.

فالمراد بالكتاب الشريعة ينزلها الله على عباده رحمة بهم وموافقة لمصلحتهم.

ولما زعموا أنه لا يليق أن يحكم الله بحكم فى وقت ويحكم بغيره فى غيره، رد عليهم

جل جلاله بأن هـذا وفق مشيئته ، وهـو أعلم بوجه الحـكمة ، فهو يمحو ما يشاء من الأحكام بعد أن انتهت دواعيها ، ويُثبت ما يشاء مما هو حقيق بالإثبات والتثبيت . قرئ ويثْبت بإسكان الثاء ، من أثبت ؛ وقرئ ويثّبت بتشديد الباء ، من التثبيت .

قال تعالى : « وعنده أم الـكتاب » :

أُمّ الشيء : أصله الذى عنه ينشأ . فقيل المراد به هنا علم الله إذ هو أصل الشرائع والأحكام وغيرها من إيجاد وإعدام . وقيل هو اللوح المحفوظ ، وهو مخلوق ، هو سجل الـكائنات أودع فيه ما كان وما يكون .

هذا ولا نرى بأسا من أن نعرض لما درج عليه بعض الناس من بدء دعاء خاص فى زمن خاص بهذه الآية الـكريمة ، كما يرى ذلك عند الجمهور فى ليلة نصف شعبان ، حتى يتجلى الحق والصواب بقدر ما نرى ، وبالله التوفيق ، فنقول :

الـكلام فى هذا الموضوع فى مقامين :

(١) مقام أهذا يصح فى نظر العقل وينطبق على روح الدين ، أم هو مما يأباه العقل وينكره الدين ؟

(٢) مقام هل صحت الرواية به فيؤخذ على هذا الوجه على أنه مما نقل عنه صلى الله عليه وسلم فنتعبد به ؟

أما المقام الأول فإن المحو والاثبات فى التشريع وفى التـكوين حاصل لا محالة .

أما فى التشريع فبالنسخ ، لا يستطيع أحد أن ينكره ، إن لم يكن فى أحـكام شريعة واحدة فهو فى أحكام شريعة مع شريعة كالاسلام مع اليهودية مثلا . وناهيك بقوله تعالى : « حرّمنا عليهم شُحومَهما » مثـلا ، وهى حل لنا ، وكقوله تعالى : « ربنـا ولا تَحْمِل علينا إصْراً كما حَمَلته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تُحمّلنا مالا طاقة لنا به » وقد كتب على بنى إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم لتقبل توبتهم ، ولم يكن من ذلك شىء فى شريعتنا . وقد يلتحق بذلك أن الله يمحو أثر الذنب بالتوبة ، وأثر الـكفر بالاسـلام ، والعقوبة المستحقة لمعصية بالشفاعة بإذنه .

وأما فى التـكوين فإن الله يمحو الحياة بالموت ، ويمحو الظلمة بالضياء « فمحَوْنا آية الليل وجعلنا آية النهار مُبْصِرة » وليس المحو عبارة عن تبـديل الشىء مع قيام سببه ، بل تبديل سـبب له أثر بسبب له أثر يضاده ، فيمحى الأثر الأول ويحل الأثر الثانى محله . فقل على هذا متوسعا : يمحو الظمأ بالرى ، ويمحو الجوع بالشبع ، ويمحو الفقر بالغنى ، وهكذا مما لا يحصى ، فـكل هذا فيه محو وإثبات ، وليس فيه تغيير ما فى علم الله ، وإنما هو إبراز معلوم له خفى عنا ، وإخفاء معلوم آخر كان ظاهرا لنا .

وإذا كان الحـكيم العليم قد ربط المسببات بأسبابها ، ولم يترك الأمر فرطا ، فليس بيدع فى نظر العقل أن يبدل سببا بسبب فيتبدل مسبب بمسبب ، وهو خالق السبب والمسبب ، وجاعل الربط بينهما بقدرته وإرادته . وكما نعقل السببية والمسببية فى العاديات كقطع السـكين وإحراق النار وإطفاء الظمأ بشرب المـاء ، وفى الشرعيات كثواب المصلى وعقاب السارق والظالم ، وأن أثر كل من ذلك ترتب عليه يوجد حيث يوجد ويعدم حيث يعدم ، فلا ضير على العقل أن يقول : ومن هذا القبيل الانتفاع بالدعاء واستجابة الله لمن دعاه « ادعونى أستجبْ لـكم » .

فإذا قال قائل : هل لو لم يدع كان يحصل له ما دعا به ؟ قلنا : وهل لو لم يصلّ كان يثاب ؟ وهل لو لم يؤمن كان ينجو من النار ؟ وهـل لو لم تقطع عنقه كان يبقى حيا ؟ إن كلا من السبب والمسبب معلوم حصولهما وعدم حصولهما لله من الأزل ، ولـكن هذا غير داخل فى دائرة تصرفاتنا ، فكما ليس لنا أن نقول : لا نسعى لرزقنا ، ولا نتناول غذاءنا ، فإنه إن علم الله لنا سعة الرزق اتسع ، سَعَينا أو لم نسع ، وإن علم الله لنا الشبع شبعنا سواء أكلنا أم لم نأكل ، كذلك ليس لنا أن نرتاب فى أمر الدعاء ونقول : إن علـم الله حصول المدعو به حصل ، دعونا أو لم ندع . فعلينا أن ندعو كما علّمنا الله أن ندعو ، ونطمئن للإجابة كما وعـدنا الله أن يستجيب « ادعونى أستجب لـكم » فهذا المقام لا نرى فيه شبهة ، وليس محلا لوقفة . وغاية الأمر روع المتذمرين منه كلمات

تثير فى النفس اشمئزازاً مثل كلمة « إن كنتَ كتبتنى فى أم الكتاب » فإن المتبادر أنه ما فى علم الله ، ولكن ليس هـذا بلازم ، فقد يكون معنى أم الكتاب اللوح المحفوظ وما فيه مما يطلع عليه الملائكة المقربون ، وقد استأثر الله بعلم أشياء اختص بها لم يطلع عليها ملكا ولا مقربا ، وهو ما يسمى بالقضاء المعلق ، وهو ما يصح أن يحمل عليه ما ورد — والمدار على صحة الرواية — من أنه لا يزال القضاء والدعاء يعتلجان حتى يغلب الدعاء القضاء ، فحال أن يكون معنى القضاء فى مثل هذا ، القضاء المبرم أو ما فى علم الله ، فإنه لا تبديل لما علم الله قطعا وإنما هو ظهور ما علم الله . ولعل من حكمة هـذا الاستئثار أن يبقى كل عبد من عباد الله مهما اطلع على اللوح المحفوظ أو غيره دائراً بين الرجاء والخوف ، فلا يأمن مكر الله ولا ييأس من روح الله .

أما المقام الثانى وهو صحة الرواية ، فأشهد أنى لم أطلع على هذا الدعاء فى كتاب من كتب السنة الصحيحة التى يعول على رواياتها ويعمل بمروياتها ، وإنما رأيت ذلك فى بعض كتب التفسير ، وقـد عرف المفسرون بعـدم العناية بالتحرى فى مروياتهم وفحص أسانيدهم عناية المحدثين .

أما أن تقول إنه لم يخرج الأمر فيه عن أنه دعاء والدعاء مطلوب على العموم ، أو أنه من فضائل الأعمال فيكفى فيه الروايات الضعيفة ، فنقول : حقا لو لم يكن قد دخله ذلك التخصيص بحالة وكيفية ووقت خاص ألحقه بالتشريع للكيفية المخصوصة ، والشىء قد يكون مقبولا فى عمومه ولكن ما يحيط به من مخصصات بكيفية أو زمان أو مكان يجعلنا كأنا شرّعنا وأدخلنا فى ديننا ما ليس منه ، وهو رد بمقتضى الحديث الصحيح . فالذى ينقدح فى نفسى أن الدعاء وإن طلب فى عمومه فهذه الخصوصيات تتطلب سندا من السنة الصحيحة ، ولم أقف على ما يثبتها مما يعول عليه ، وفوق كل ذى علم عليم . والله أعلم .

ابراهيم الجبالى

الفكرة والاسلوب

فى أدب البداوة

الأدب البدوى يصف ما يرى ويسمع ، وصفا صادقا قويا ، منبعثا عن إحساس وشعور ، لا أثر فيه للتكلف والتعمل ، ولكنه قريب الغور ، قليل العمق ، على أن فيه جمالا ، وفيه براعة ، وفيه لذة للعين ، ومتعة للسمع ، وليس من النصفة فى شىء أن نطلب اليه وصف أفكارنا ووجداناتنا ، والحديث عن عواطفنا وإحساساتنا ، وغذاء النفوس الحضرية التى ارتضعت أفاويق المعارف الانسانية ، وتذوقت ثمار الأفكار ، واطلعت على نتائج القرائح الحديثة . وبحسبه أن يشعرنا عند قراءته أو سماعه أنه يتصل بنفوسنا ، ويبعث فيها التشوق الى ما فيه من صور وأخيلة قريبة ساذجة .

ألسنا نتأثر كل التأثر ، ونحس أريحية تهزنا هزة ارتياح إذا سمعنا ذلك الأعرابى وهو ملتف فى شملته قد حرك حنينُ المطايا كامن شوقه يرتجز فى قلب البادية بقوله :

دع المطايا تنسم الجنوبا إن لها لنبأ عجيبا
حنينها — وما اشتكت لغوبا يشهد أن قد فارقت حبيبا
ما حملت إلا فتى كئيبا يسر مما أعلنت نصيبا
لو ترك الشوق لنا قلوبا إذا لآثرن بهن النيبا

إن الغريب يسعد الغريبا

هذه صورة ساذجة لعاطفة نبيلة ، فيها جمال نفسى محبب ، وفيها شعور صادق ، وإحساس بديع ، أذاب الأثرة من النفس الانسانية ، وخلق فيها الايثار ، نعم ولكنها لا تمثل مظهرا من مظاهر الحضارة ، بل هى بدوية خالصة من نسج البداوة ، وإنما مكان السمو منها المشاركة فى الاحساس والصدق فى الشعور .

والشعر الجيد هو الذى يعمل فى النفس الحساسة عمل الفنى فى الدمية التى توحى بها العبقرية الفنية ، أى هو الذى يبرز الخصائص النفسية ، ثم يلائم بينها ملاءمة تجعل منها صورة حية .

أما أسلوب هذا النحو من الأدب ، فسبيله سبيل أغراضه ومعانيه وصوره يتأثر مثلها بالطبيعة التى أوحت به والبيئة التى عاش فيها ، ومن ثم غلبت عليه الجزالة والفعقعة ، وارتضاخ الغريب الوحشى من الألفاظ مع قوة الأسر ، ومتانة العبارة ، لأن أديب البداوة لا يعرف التحبير والتنوق ، ولا يصطنع الروية فى تخير العبارة ، وإنما شأنه إرسال نفسه على سجيتها إرسالا ، وترك سليقته تنثال عليه بما أراد من المقاصد انثيالا ، فهو يرى ويسمع ، ثم يعبر على البديهة والارتجال .

قال أبو عثمان الجاحظ فى (البيان والتبيين) : « وكل شىء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال ، وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا إجالة فكرة ، ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وهمه الى الكلام ، والى رجز يوم الخصام ، أو حين يمتح على رأس بئر ، أو يحدو ببعير ، أو عند المقارعة والمناقلة ، أو عند صراع ، أو فى حرب ، فما هو إلا أن يصرف وهمه الى جملة المذهب ، والى العمود الذى اليه القصد ، فتأتيه المعانى إرسالا ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا ، لا يقيده على نفسه ، ولا يدرسه أحد من ولده ، وكانوا أميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلفون ، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر ، وأقهر وكل واحد فى نفسه أنطق ، ومكانه فى البيان أرفع ، وخطباؤهم أوجز ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا الى تحفظ ، أو يحتاجوا الى تدارس ، وليس هم كمن حفظ عن غيره ، واحتذى على كلام من كان قبله ، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتصل بعقولهم ، من غير تكلف ولا قصد ، ولا تحفظ ولا طلب » .

وإذا فكر البدوى فليس تفكيره مصروفا الى وضع لفظ مكان آخر إيثارا لرقة

حاشيته وخفة جرسه وحسن موقعه فى السمع ، ولكنه يفكر فى إصابة غرضه الذى اليه قصد ، والى الاحسان فى وصف مناظره كما رأى أو سمع ، وفى سداد منطقه كما أراد ، ولا يعنيه بعدُ كمال انسجام الموضوعات ، وتآخيها فى ذاتها ، أو بحسب مقاماتها ، ويكفيه فى إيراد المعانى متتابعة ما يتراءى فى ذهنه من المناسبات والاتصال ، فقد تكون الخطبة الواحدة ، أو القصيدة الواحدة حاوية لموضوعات لا ينظمها عقد واحد ، أى ليست لها وحدة فكرية خاصة تجمع أطرافها ، وتضم معانيها حتى يتألف منها شىء له ذاتية مقومة . ومن أوضح الشواهد فى النثر البدوى على هذا خطبة أكثم بن صيفى التميمى بين يدى كسرى فى وفد النعمان حيث قال : «إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعا ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والشر لجاجة ، والحزم مركب صعب ، والعجز مركب وطىء ، آفة الرأى الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة ، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعى ، من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء ، شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك من خافه البرىء ، المرء يعجز لا محالة ، أفضل الأولاد البررة ، خير الأعوان من لم يرأب النصيحة ، أحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته ، يكفيك من الزاد ما بلغك المحل ، حسبك من شر سماعه ، الصمت حكم وقليل فاعله ، البلاغة الايجاز ، من شدد نفّر ، ومن تراخى تألّف » .

فانظر كيف تنقل من شىء الى شىء وثبا ، ومن موضوع الى موضوع قفذا فى مقام واحد دون روية ، أو تفكير فيما يربط هذه المعانى بعضها ببعض ربطا وثيقا ، وليس يظهر فى نظر البداهة ارتباط محكم بين هذه الحقائق المسرودة سردا ، وهى على إجمالها فى صورة الحكمة والمثل ، إلا ما عساه أن يكون قد انقدح فى ذهن الخطيب مما يمكن أن يدخل تحت ما يسميه علماء النفس (تداعى المعانى) . ولعل كسرى لم يقل

له : ويحك يا أكثم ما أحكمك وأوثق كلامك لولا وضعك كلامك فى غير موضعه ! . إلا لما قام بنفسه من عدم وضوح الصلة بين تلك المعانى التى نثرها أكثم بين يديه .

ومن هنا قال بعض الباحثين : « وكان أسلوب العرب فى الخطابة مخالفا لخطباء الروم واليونان والفرس ، فكانت فقراتهم مثل الجواهر المنثورة لا ارتباط لبعضها ببعض ، ولذا كانت أكثر ما تروع مستمعيها بتبرزهم على غيرهم فى هذا الأسلوب » .

أما شواهد ذلك فى شعر البداوة فأنت واجدها فى غير عسر ولا مشقة فى أكثر تلك المطولات العربية التى قامت عليها المفضليات والجمهرة والمعلقات ، واستقلت بها دواوين شعراء البداوة عامة ، ولا نستثنى سوى شعر الشعراء المحبّرين الذين اتخذوا الشعر فنا أدبيا يعنون به عناية الفنى بفنه ، ينخلونه نخلا ، ويصفّونه تصفية ، وينقدونه نقدا يذهب ببعضه ، ويبقى على بعضه ، وفى شعر زهير وابنه كعب شىء كثير من ذلك التشذيب والتهذيب الذى يصل المعانى بعضها ببعض ، ويكشف عن الفجوات القائمة بينها ، فيعمل الشاعر على سدها حتى تلتئم وحدة إن لم تكن كاملة التنسيق والربط فهى منه بسبب قريب ، وما حوليات زهير إلا مظهر من مظاهره الجلية ، وهو فى شعر الحطيئة أكمل وأوضح .

وفيما عدا شعر هؤلاء الشعراء النقاد لا تجد للقصيدة العربية فى العصر الأول وحدة فكرية خاصة تبنى عليها وتتميز بها شخصية الشاعر وتجعل القصيدة فكرة ملتئمة لا يحيد عنها الشاعر ، ولا تقبل التبديل ، وإنما هناك وحدة لفظية هى اتحاد الوزن والقافية ، ووحدة فكرية عامة هى وحدة البيئة الشائعة ، ووحدة الرسوم الذهنية عند الشاعر البدوى ، أى خطور المعنى بباله واتصاله بنفسه ، واستلهامه مشاهده ، ولا يرى الوحدة المعنوية شيئا مهما ، وأقصى مداه فى هذا استحسانه أن يكون بين البيت والبيت نسب وقران . روى الجاحظ : أن نوفل بن سالم قال لرؤبة ابن العجاج : يا أبا الجحاف مت متى شئت ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : رأيت عقبة بن رؤبة ينشد رجزا أعجبنى ، قال : إنه يقول لو كان لقوله قران !

قد يكون لهذه الخصيصة فى أدب البداوة أثر كبير فى دراسته التاريخية ، وتمييز الصحيح من المنحول ، وقد تصلح أن تكون (صنجة) فى ميزان النقد الأدبى إذا مسكت به يد حاذق متمهر ، لأنها مظهر السذاجة التى طبع بها هذا الأدب ، وكانت عنوانا عليه ، حتى إنه ليكاد يخلو من التزويق اللفظى والمجاز الغريب والكنايات البعيدة والتشبيهات العقلية التى ترتكز على الخيال المتسلسل ، وعلى التفكير العميق الذى يربط بين المعانى ربطا منطقيا محكما ؟

صادق ابراهيم عرجون

العدل فى الاحكام

قال العتبي: إنى لقاعد عند قاضى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك إذ أقبل ابراهيم بن محمد ابن طلحة ، وصاحب حرس هشام حتى قعدا بين يديه .

فقال صاحب الحرس : إن أمير المؤمنين وكلنى فى خصومة بينه وبين ابراهيم .

فقال القاضى : شاهديك على الوكالة .

قال صاحب الحرس : أترانى قلت على أمير المؤمنين ما لم يقل وليس بينى وبينه إلا هذه الستره ؟

قال القاضى : بلى ولكنه لا يثبت الحق لك ولا عليك إلا ببينة .

قال العتبي : فقام الحرس فدخل الى هشام فاخبره . فلم نلبث أن قعقعت الأبواب ، وخرج الحرس فقالوا هذا أمير المؤمنين . فلما رآه القاضى مقبلا قام من مجلسه وبسط له مصلى فقعد عليه ، وخصمه ابراهيم بين يديه . وكنا حيث نسمع كلامهم ويخفى عنا بعضه . فتكلما وأحضرا البينة .

فقضى القاضى على أمير المؤمنين . فقبل الحكم راضيا ، ورد الى خصمه ما حكم به قاضيه .

وقال أمير المؤمنين المهدى بن أبى جعفر المنصور للربيع بن أبى الجهم والى أرض فارس : يا ربيع آثر الحق ، والزم القصد ، وابسط العدل ، وارفق بالرعية ، واعلم أن أعدل الناس من أنصف نفسه ، وأجورهم من ظلم الناس لغيره .

المنبوذون فى الهند

الوسائل الفعالة لهدايتهم الى الدين الاسلامى الحنيف

تقرير مقدم لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

علمت اليوم أن بين يدى المشيخة الاسلامية الجليلة اقتراحا بإيفاد بعثة أزهرية من بعض العلماء الى الهند، للقيام بدعوة المنبوذين الى الدين القيم، وإقناعهم بإصلاحه لنفوسهم، وإروائه لظمئهم الروحى من معين الهداية الإلهية، وتطهير نفوسهم من الرجس المعنوى الذى ألصقه بهم رؤساء التعاليم الهندوسية، وألقى بهم فى مهاوى الهلاك. فصار هذا الجيل من الناس أحط دركا من العجماوات لا فى نظر مواطنيهم الهندوس فحسب، بل أيضا فى نظر أنفسهم. فقد سرى اليهم بحكم البيئة وقوة الاستمرار أنهم خلقوا منذ الأزل منبوذين، وخرجوا الى الدنيا منبوذين، وسيبقون كذلك الى أن يجتازوا (المطهر) آحادا فى مدد مختلفة من أعمار (دهر) يقضونها فى تجارب قاسية فرضها عليهم الإله (برهم).

ولما كنت أشعر بما لهذه العقيدة الضارة من الأثر السيىء فى حياة المنبوذين وصور تفكيرهم فى الخلاص منها، أحببت أن أدلى اليكم ببعض ما لدىّ من التفصيلات فى هذا الموضوع رجاء أن أكشف بها لكم ما قد يلابسه من غموض. وحسبى من هذه الرغبة أن أكون قد شاركت الساعين فى الخير لهداية هذا القسم من سكان الهند بالنصيحة، وهى دَين علىّ لكل مسلم.

الأصل فى نشأة هذه العقيدة السيئة فى المنبوذين، أرويه لكم كما يقصه علينا التاريخ الهندى القديم: هو الطغيان السياسى من قدماء الآريين الذين استعمروا الهند، فإنهم بعد أن احتلوها بجيوشهم اللجبة فرضوا سيادتهم على السكان المقهورين، وسلبوا من أيديهم كل مصادر الثروة، واستحوذوا على الأعمال الاجتماعية «كهانة» وملكا

وجندية وزراعة وتجارة ، وكل ما الى ذلك . وجعلوا هذه الأعمال وراثية فى أعقابهم ، بعد أن أزاحوا عنها سكان البلاد . واستمر ذلك قرونا طوالا استحجرت فيها هـذه السياسة الغشوم ، واستحالت الى عقيدة دينية قسمت الهنود الى أربع طبقات ، ثلاثة منها للآريين ، وهى : طبقة الكهنة ورجال الدين ، وطبقة الملوك والجند ، وطبقة الزراع والتجار . أما الطبقة الرابعة فهم العبيد المحقرون أهل البلاد الذين دعاهم الآريون (أباريا) أو شودرا ، وهم المنبوذون الذين يجرى عليهم حكم (لا مساس) الصارم . فقد حرموا الخلطة بهم ، وعزلوهم فى مقابعهم ، وبالغوا فى مقاطعتهم ، حتى جعلوا كل شىء يلامسونه نجسا نجاسة عينية مغلظة غير قابلة للتطهير ؛ وحجروا عليهم أن يدخلوا الهياكل والمعابد، وكذلك المنازل والأسواق ؛ واستمروا يعانون ذلك الى هـذا اليوم . ومن موجعات النفس ما كنا نسمعه من حين لآخر من أفواه المنبوذات وهن سائرات فى الطريق وحين يكثر العابرون ، نسمعهم يصرخن بملء أفواههن (احذروا أيها المارة إنى نجسة) ولو مرت المسكينة ساكتة من غير إنذار أو إعلان عن نفسها واتصل بها طرف ثوب أحد الهندوس لشوى جلدها الغض ضربا .

وطبيعى أن الدين الذى يقوم على هـذا الأساس ، ويفصل الطبقات الاجتماعية بعضها عن بعض فصلا يفكك وحدة المجتمع ، ينتج فى الأمة التى تدين به أخطر النتائج وأسوأها فى الحياة . ولم لا ، وها نحن نرى كل طبقة من طبقات الهندوس تعد نفسها كيانا منفصلا عن بقية الطبقات ؟ واليكم ما هو حاصل بالفعل :

فان طبقة الكهنة من الهندوس محرم عليها أن تأكل من طعام وآنية الطبقة التى دونها ، وهى طبقة الملوك والجند . وطبقة الملوك والجند محرم عليها أيضا أن تأكل وتشرب من طعام وشراب الطبقة التى دونها : طبقة الزراع والتجار ، وهذه يحرم عليها أن تأكل طعام (أباريا) أما العكس فلا محظور فيه ، فإنه يسوغ للأدنى أن يأكل ويشرب من طعام وشراب الأعلى .

وبالرغم من هذا التعسف فى هذا التقسيم وإجرائه مجرى العقائد والتقاليد الراسخة، فقد نبغ بين الهندوس متأدبون عصريون انسمت لهم فلسفة التصوف لتوجيه هذه التقاليد المستنكرة توجيها علميا يستهوون به قلوب العامة من المتمدينين، ويستنبطون لهم من ذلك معانى روحية سامية توحى الى الناس حب الفناء فى عقيدة وحدة الوجود. وغريب أن يصمد العقل البشرى الى تعاليم الانشقاق والخلاف، فيستخرج منها فلسفة تذهب فى تخيلاتها مذهب الاتحاد والحلول، وهو اليوم مذهب العقليين من مصلحيهم.

لكن مها اتسع مصدر الفلسفة للتلفيق والترقيع والتلاعب بالألفاظ، فهو لا يتسع لإنكار الحقائق وستر الفظائع الواقعية، فإن المتعلمين من طبقة المنبوذين الذين تخرجوا فى مدارس الارساليات المسيحية والجامعات المختلفة، لم ينخدعوا بهذا التلفيق. بل شرعوا يجابهون خصوم حقهم، باستنكار فلسفة الفناء فى القبر، وتقبيح الجمود على التقاليد، وأخذوا يرفعون عقيرتهم فى المطالبة بالحقوق الانسانية التى سلبها منهم أولئك المغيرون ودرج على ذلك أعقابهم، وهم يأبون أن يتساهلوا لهم فى شىء من هذه المطالب صيانة لتقاليدهم من الانتهاك والانهيار، فقد حاول غاندى بكل ما أوتيه من نفوذ روحى فى الهند، أن يحمل الهندوس على قبول التساهل فى الاعتقاد بطهارة المنبوذين، والتغاضى عن دخولهم الى الهيا كل البرهمية لممارسة الطقوس حذرا من دخولهم فى الاسلام، فأخفق فى ذلك إخفاقا شديدا كاد يودى بحياته، وينتهى بحرمانه من الديانة الهندوسية. ولا غرابة فى ذلك إذا عرفنا أن الهندوس متعصبون متصلبون فى عقائدهم بصورة تكاد تكون خطرا دائما على البلاد، وهم لا يجهلون عواقب هذه الصلابة وما تجره خلفها من ويلات، وقد يكون من أقلها خروج سبعين مليونا عنهم ونبذ دياناتهم وترامبهم فى أحضان الديانات الأخرى، مع أن سياسة الشرق قائمة على الديانات والتكاثر بين معتنقيها، لكنهم مع ذلك يفضلون خروج هذه العشرات من الملايين من دينهم على أن يتساهلوا فى شىء يتصل بالعقيدة. وقد علمت أن الهندوس لا يجدون فى أنفسهم

غضاضة من اعتناق المنبوذين النصرانية كما يجدونها فى اعتناقهم الاسلام الذى يكافحونه أشد كفاح عرف بين الطوائف الدينية فى صور الإرهاب.

هذا هو مصدر الخلاف المستفحل بين الهندوس والمنبوذين. وهو كما رأيتم غير قابل للتلاف، لأن الهندوس يجدون فى ذلك ما يفضى بهم فى نهاية الأمر الى تقويض أركان دينهم العملية التى لم تقم إلا على مناقضات تاريخيـة لا مناعة فيها، وهى غير قابلة للتمحيص بأى وجه من الوجوه.

أجل: حاولت النصرانية فى الهند منذ قرن ونيف بكل ما أوتيته من بأس وقوة وبكل مالديها من عدد وإرساليات ومدارس ومستشفيات، وملاجئ ونواد وجمعيات ومطالع، وبكل ما لديها من جدل وحجاج وأموال ومغريات، أن تستهوى المنبوذين الى اعتناق النصرانية، فلم تفلح إلا فى اكتساب عدد قليل منهم لا يستحقون الذكر بجانب الذين يدخلون منهم فى الاسلام كل يوم بمحض الرغبة دون إغراء ولا تشويق. وقد سمعت تعليلا لذلك من فم الدكتور (كار) زعيم المنبوذين إذ يقول: « نحن لا نريد أن نخرج من دين الطبقات الى دين آخر يماثله، ذلك أن الاكليروس المسيحى يعامل المتنصرين معاملة قاسـية لا تتفق والديمقراطية التى يجب أن تكون من روحية الدين الذى نرغب فيه لخـلاص أنفسنا من ربقة العبودية للغير، والاستخذاء للتقاليد، فإن الاكليروس المسيحى يحجر عليهم الصـلاة فى كنائس البيض. ونحن لهـذا السبب لا نجد فارقا بين ما يحدث هذا المنع أو الانتجاس من سوء الأثر فى نفوسنا ».

وهناك سبب آخر يصرف المنبوذين عن اعتناق النصرانية وهو عامل الوطنية، فهم يلاحظون بحـذر ضعف الروح الوطنى فى متنصرة الهند، ويشمرون منهم بالميل الشديد الى استبقاء الهند تحت سيطرة دولة مسيحية عن أن يكون مستقلا استقلالا تاما تسود فيه كلمة الوطنيين.

ومما لاشك فيه أن للمنبوذين رغبة صادقة فى اعتناق الاسلام، وتفضيله على جميع الأديان، لمميزات يجدونها فيه وحده، منها:

تقرير مبدأ المساواة بين معتنقيه ، وهو لا يفرق فى ذلك بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون . فهم يرون كل من أسلم يصير أخا للمسلمين جميعا له مالهم وعليه ما عليهم ، يعبد الله تعالى فى أى مسجد شاء ، ويصلى الى جنب أى شخص أراد ، أميرا كان أو مأمورا ، وأن الايمان بالله الواحد الأحد كاف لتطهيره .

ومنها أن المسلم عنصر شديد الشكيمة لا تلين قناته لغامز ، ولا يدين بالطاعة إلا لله تعالى ، ولا يستخذى لسلطة غير مشروعة ، وهو منزع تلتقى فيه جميع رغبات الوطنيين .

ومنها كمال الآداب الاسلامية وطهارتها ، وكفايتها للصيانة الاجتماعية .

ومنها وضوح عقائده ومطابقتها لمنطق العلم والأبحاث العقلية .

استقر ذلك فى نفوسهم بما يقرءونه مما ينشر فى الكتب والرسائل التى لا ينقطع موردها ولا ينضب معينها ، سواء أكانت لنشر الدعوة أو لرد غارة الطاعنين فى الاسلام ، على أنهم لا يجدون غضاضة على الاسلام فيما يقوله عنه الأعداء غير مماحكات كلامية يفزع اليها الكاتبون الى الغمز واللمز فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى لا تصلح أن تكون مطعنا يصرف القلوب المؤمنة عن تفهم روح الاسلام . وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على سوء أدب كتابها وخبث طوية ناشريها .

ولا شك أن علماء الاسلام فى الهند نظرا لوجودهم فى معترك الأديان قد أصبحوا أقوى مراسا وأغزر مادة فى تفهم روح الاسلام ، وأعلم بطرق الجدل والنقاش مع مناظريهم من أهل الأديان السائرة (المناوئة وغير المناوئة) يضاف الى ذلك تعمقهم فى مباحث الفلسفتين القديمة والحديثة ، وتذوقهم لمعانى القرآن الكريم ، وتقديرهم لما فيه من سمو وقداسة ، وقد يندر العثور على رجال جدليين من طرازهم فى البلاد التى لم تنضج فيها الدراسات الجامعية نضجا علميا كافيا .

ومهما كانت صور الحقائق مستقرة فى الأذهان فقد ينبغى أن تقارن بالنظائر والأشياء المطابقة لها من الفلسفة الحديثة وتاريخ الأديان ، لتكون منيرة أخاذة بالألباب مشرفة على العلم الحديث .

ولكى نتمكن من إظهارها مسرودة مدللة مفهومة ينبغى ترويضها فى جملة من اللغات ، حتى يكمل صقالها ، وتبدو فى مطالع الإلهام الإلهى من الفطر الكريمة ، وأين نحن من هذا وشبابنا لم يزل لجا فى العربية وهى لغتنا ، فكيف به فى غيرها من اللغات التى لم تروض لتوضيح ما لدينا من عقائد وآداب .

على أن هذه الطريقة فى الإرشاد الدينى لا ينبغى أن تلقن للعامة من شاكلة المنبوذين ، بل تلقن للخاصة من كبار المتصنعين ، وهم قليل بل أقل من القليل ، فارسال وفد لإقناع هؤلاء الخاصة مع ما يجب أن يتوفر فيه من المؤهلات الكثيرة يكلف تكاليف باهظة لا قدرة لمؤسساتنا الحاضرة عليها .

يجب أن يكون للوفد استمدادات مالية واسعة للانفاق منها عن سعة ، كى يظهر بالمظهر المشرف بين الذين يقومون بدعوتهم الى الاسلام ، حتى إذا ركب فلا يركب إلا الدرجة الأولى ، وإذا ظهر للناس كان فى بزة ورواء ، وإذا نزل بلدا قصد أكبر فنادقها وأغلاها ، ليسمو بذلك فى أعين الأكابر الذين يدعوهم الى اعتناق ديننا ، ويؤثر فى حواسهم قبل قلوبهم .

وأما إذا كانت لرغبة دون ذلك غايتها إظهار شهوة محدودة فى النفس للقيام بعمل عادى لا يتعدى عرض عقائد مبسوطة فى الكتب يؤتى بها كدليل للعقائد على إثبات وجود الله تعالى ، وعلى نفى المماثلة له ، وإبطال القول بوجود الشريك والولد ، وتثبيت بعثة الرسل ، فانه لا ينتظر أن يكون لهذه البعثة أقل أثر فيما نرجوه من قلب أوضاع الهند الاجتماعية ، وإدخال سبعين مليونا فى الاسلام .

مولاى :

إن السعى فى إسلام المنبوذين ومحاولة إقناعهم اختيار ديننا القويم ليس فى حاجة ملحة الى إيفاد بعثة من الأزهر لما يستلزمه من نفقات ومؤهلات لا قبل للبلد بهما .

وإذا أمكن جمع المال فيجب أن يتوفر لشىء آخر أجدى من هذه البعثة على المشروع ، بل يحتاج الى إنشاء مؤسسات تكون خاصة بالمسلمين ، من المنبوذين وغير المنبوذين .

أما بدون ذلك فلن يتم شيء ، فان فقدان هذه المؤسسات كان عقبة كأداء فى سبيل إسلام المنبوذين ، كما صار حتى بذلك غير مرة كثيرون من زعمائهم ، فهم يقولون : نحن الآن فى حاجة ماسة لإيجاد مدارس يتعلم فيها أحداثنا ومستشفيات يعالج فيها مرضانا وملاجئ يأوى اليها عجزتنا ، وقد لا نرى شيئا من ذلك عند المسلمين فى الهند ، وأغنياؤهم أشحة على الخير ، يضنون بأموالهم على إنشاء مثل هذه المؤسسات ، فاذا نحن أسلمنا ربما فقدنا كل ما نجده من المساعدات التى تقدمها لنا الطوائف الأخرى التى توالينا بعطفها فى محبتنا الحاضرة مع الهندوس . ولا يستبعد أن يعمد الى إقفال مدارسها فى وجوه أبنائنا ومستشفياتها دون مرضانا ، وملاجئها دون عجزتنا ، وما هى إلا مدارس الإرساليات الدينية المختلفة ومستشفياتها وملاجئها .

تلك هى العقبة التى تحول دون إسلامنا ، فهل يوجد بين مسلمى الأقطار الأخرى أغنياء كرماء يخلصون لدينهم ، فيقومون بتذليلها ، ويعبدون لنا منها طريقا نسير عليه آمنين الى اعتناق الاسلام السمح الذى يجب أن يسود الهند ؟

هـذا هو الرأى الحقيقى الذى له قوته السحرية فى حل قضية المنبوذين حلا مطابقا للفكرة الاسلامية الرصينة .

فاذا كان إخواننا المصريون يرغبون فى حل هـذه القضية ، ويريدون أن يساعدوا إخوانهم مسلمى الهند مساعدة قيمة يحفظها لهم التاريخ باهداء سبعين مايونا الى الاسلام تعتز بهم جامعته الكبرى ، ويجعل الهند فى المستقبل قارة إسلامية ، فقد واتتهم الفرصة بذلك ، وما عليهم إلا أن يتقدموا الى الاكتتاب زرافات ووحدانا ، لبناء تلك المؤسسات التى لا سبيل الى انتشار الاسلام فى العالم بدونها .

أما التبشير الرخيص الأجوف الذى لا يقوم على سياسة الانشاء والبذل والتعمير ، فلن يفيد فائدة تذكر ، ولن تقوم فى المستقبل الدعوة الى دين من الأديان على مجرد الحجاج أو الأمانى .

السيد عبد العزيز الثعالبى

فلسفة الاخــلاق

وصلتها بالنفس الناطقة — أثر ذلك فى المجتمع الانسانى العام

مضينا بالقارئ فى شطر غير قليل من البحث عن الجسم الطبيعى ، و كيف أن الأجسام الطبيعية كلها تشترك فى الحد الذى يعمها ، ثم تتفاضل بقبول الشريف من الآثار التى تحدث فيها ، وأن الجماد من تلك الأجسام الطبيعية إذا قبل صورة مقبولة عند الناس صار بها أفضل من الطينة الأولى التى لا تقبل تلك الصورة .

ثم إن الحكماء من المتقدمين عرفوا الجسم الطبيعى بأنه هو الجوهر الطويل العريض العميق ، على معنى أنه جوهر يمكنك أن تفرض فيه بعدا كيف شئت ، ثم بعدا آخر مقاطعا له على زوايا قوائم وهو العرض ، ثم بعدا آخر مقاطعا للبعدين على قوائم أخرى وهو العمق . فالجوهر على هذا التعريف جنس وما بعده كالفصل .

ثم إن الجسم إما مركب من أجسام مختلفة الطبائع كالحيوان ، وإما متفقها كالجسم المركب من جزأين من الأرض متماسين . وإما مفرد ليس مركبا من أجسام ويكون الجسم المفرد قابلا للتجزىء والانقسام الى أجزاء مقدارية على نحو من أنحاء القسمة المبينة فى كتبهم ، والتى قد نعرض لها عند الكلام عن المبحث القادم .

ونعود الى ذكر مراتب الحيوان على نحو يكشف عن هذا البحث كشفا يزيل ما علق به من الاضطراب الذى وقع فيه كثير ممن اشتغلوا بعلم الأخــــلاق وعلوم النفس ، فنقول :

إن ما ألهم من هذه الأجناس خصائص ومميزات كالازدواج وابتغاء النسل وحفظ الولد وتربيته والإشفاق عليه بالكن والعش واللباس مثلا ، كما تدلنا عليه المشاهدات فيما يلد ويبيض منها ، وتغذيته إما باللبن وإما بنقل الغذاء إليه — أفضل

بكثير مما لا يلهم شيئا من تلك الخصائص والمميزات . فتلك الخصائص لا تزال تنمو فى الحيوان وتزداد حتى يدنو من أفق الإنسان . وعند بلوغه هذه المرتبة يصبح قابلا للتأديب والزجر ، وبتلك القابلية يصير ذا أفضلية يمتاز بها عن سائر الحيوان الذى فقد تلك الخصائص والمميزات . وتلك الفضائل تنمو وتزداد كذلك فى الحيوانات التى حباها الله بتلك الحبوة حتى يشرف بها ضروبا من الشرف . كالفرس والبازى المعلم ، ثم يرقى من هذه المرتبة الى مرتبة الحيوان الذى يحاكى الانسان من تلقاء نفسه ويتشبه به من غير تعليم كأنواع القردة والببغاء وما أشبهها ، حتى ليبلغ من تأديبها أن تكتفى فى التأدب بأن ترى الانسان يعمل عملا ، فتعمل مثله من غير أن تحوجه الى تعب بها ورياضة لها وتدريب على ما يريد منها . وتلك الخصائص منتهى أفق الحيوان ، بحيث إذا جاوزها وحدثت له قابلية يسيرة بعدها ، خرج بها عن أفقه وصار فى أفق الانسان الذى يقبل العقل والتمييز والنطق بواسطة الآلات التى يستعملها ، والصور التى تلائمها . فإذا بلغ هذه تحرك الى المعارف واشتاقت نفسه الى العلوم ، وحدثت له قوى وملكات ومواهب من الله عز وجل يستعين بها على الترقى والامعان فى هذه المرتبة ، كما حدث ذلك فى المراتب الأخرى المتفاوتة .

وقد حكى عبد الكريم الشهرستانى صاحب الملل والنحل أن أولى هذه المراتب من الأفق الانسانى المتصل بآخر ذلك الأفق الحيوانى ، تبدأ مراتب الناس الذين يسكنون فى أقاصى المعمورة من الشمال والجنوب كأواخر الترك من بلاد يأجوج ومأجوج ، وأواخر الزنج وأشباههم من الأمم التى لا تميز عن القردة إلا بمرتبة يسيرة ، ثم تتزايد فيهم قوة التمييز والفهم الى أن يصيروا الى وسط الأقاليم ، فيحدث فيهم الذكاء وسرعة الفهم والقبول للفضائل ، والى هذه المنزلة ينتهى فعل الطبيعة التى وكلها الله عز وجل بالمحسوسات .

ثم يتهيأ لتلك القابلية لاكتساب الفضائل واقتنائها بالإرادة والسعى والاجتهاد الى أعلى أفقه اه .

فإذا صار الى أعلى أفقه اتصل بأول أفق الملائكة، وتلك منزلة لا تتفق إلا لخواص البشر ، فهم وحدهم النسق الأعلى لبنى الانسان، وعندها تتأحد الموجودات ، ويتصل آخرها بأولها ، وهو الذى يسمى دائرة الوجود كما يقـول الجلال الدوانى فى رسالته المسماة (بالزوورة) المبحوث فيها عن وحدة الوجود .

ويذهب الامام ابن حزم الظاهرى الأندلسى الى أن المتأحدة التى جملت من الكثرة وحدة ، وهى التى تدل دلالة صادقة برهانية على مبدعها ، وعلى حكمته وقدرته ووجوده تبارك اسمه وتعالى جده وتقدس فى الوجود ذكره اه .

فإذا تصور الانسان تلك المـراتب وما بينها من تفاوت بالقياس الى ما يقع فيها من تفاضل فى البدائه واختلاف الملـكات والقوى ، استطاع أن يتبين بتلك الخصائص ذلك الأفق الذى يتصل بأفقه وتدرجه فى مرتبة بعـد مرتبة وركوبه طبقا عن طبق وما أسرع إذن أن يحدث له الايمان الصحيح ، فيشهد ما غاب عن غـيره من الدهماء والأوشاب ، وممن دونه فى المرتبة التى استأهل لها . وحينئذ يتهيأ لقبول مواهب الله عز وجـل ومنحه المتلاحقة التى لا يبـلى جدتها كر الغـداة ومر العشى ، ويستيقن فى دخيـلة نفسه بأن كل مرتبة من تلك المـراتب الداخلة فى أفق الانسان مفتقرة الى ما دونها من المراتب فى وجودها ، وأن الانسان لا يتم له كماله إلا بعد أن يكون قد استحوز على ما قبله . فإذا صار إنسانا كاملا ، وبلغ أفق الآفاق ، فقد أضحى إماما حكيما ، تهبط على قلبه الإلهامات فيما يتصرف فيه من تلك المحاولات الـكونية ، وتلك المحاولات الرشيدة مؤيدة بالمؤيدات العلوية فى التصويرات العقلية ، أو نبيا معزز الدعوة من الله يأتيه الوحى على ضروب المنـازل التى تكون له عند الله تعالى ذكره ، فتكون إذ ذاك نعمت الواسطة بين الملأ الأعلى والملأ الأسـفل ، وذلك بتصوره

حال الموجودات كلها والحال التى ينتقل اليها من حال الأنسية ومطالعة تلك الآفاق المهيأة لبنى الانسان .

وإذا بسطنا للقارئ جانبا من مراتب الحيوان المتصلة بآفاق الأفق للانسان فلا بد أن نعرض لشوق النفس الى العلوم والمعارف حتى يتم البحث فى أوسع صوره، لأن شوق النفس الى العلوم والمعارف هو نقطة الارتكاز عند علماء الأخلاق . لذلك سنعرض لها فى البحث القادم بمزيد بسط وإيضاح ؟

عباس طه

الجود مع الاقلال

قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن الانصار : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أفضل العطية ما كان من معسر الى معسر » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أفضل العطية جهد المقل » .

وقالت الحكماء : القليل من القليل أحمد من الكثير الى الكثير .

أخذ هذا المعنى حبيب (هو أبو تمام الطائى) فنظمه فى أبيات كتب بها الى الحسن ابن وهب الكاتب وأهدى اليه قلما :

قد بعثنا اليك أكرمك الله ... بشىء فكن له ذا قبول
لا تقسه الى جدا كفك الغرا ... ء ولا نيلك الكثير الجزيل
واستجز قلة الهدية منى ... إن جهد المقل غير القليل

وقالوا : جهد المقل أفضل من غنى المكثر .

وقال صريع الغوانى الشاعر :

ليس السماح لمكثر فى قومه ... لكن لمقتر قومه المتجمد

وقيل لبعض الحكماء : من أجود الناس ؟ قال : من جاد من قلة ، وصان وجه السائل عن المذلة .

تاريخ العلوم الدينية والتشريعية

فى الأدب العربى (١)

كانت جميع الدراسات الدينيـة وعلى الأخص التى ترجع الى مناهلها الأصلية (القرآن والحديث) أكثر ما اهتم به العرب والمسلمون من بين جميع العلوم والمعارف الأخرى ، ولذلك فإننا نرى أثرها فى تاريخ الثقافة الاسلامية والأدب العربى واضحا جليا ، فقد احتلت هـذه الدراسات والأبحاث الدينية المكان الأول فى التأليف بحيث لا يدانيها فيه أى فرع آخر من فروع العلوم على وجه العموم ، فأصبحت بفضل هذا النشاط الفكرى الفريد أكبر بناء فى الثقافة العربية ، وبدونها لا يمكن وضع تاريخ الأدب العربى على صورة كاملة حقيقية ، كما يحاول بعض العلماء الأوربيين الذين يريدون استقصاء المؤلفات الدينية عند تدوين تاريخ الأدب على وجه العموم .

على أننا إذا حاولنا فى هذا البحث وضع تاريخ العلوم الدينية والتشريعية فى الأدب العربى ، فإنما نقتصر على تدوين أهم ما وصلت اليه هذه العلوم بواسطة قريحة العرب وعلماء الاسلام والنقط الفاصلة فى تاريخ تطورها ، مكتفين بذلك عن البحث وراء التفاصيل الدقيقة التى لا تدخل تحت هذا الباب التاريخى ، ولا بد من تركها للدراسات الخاصة بالديانة والتشريع الاسلامى .

أقدم ماعرف من التأليف فى هذا الباب كان بداهة متصلا اتصالا وثيقا بالقرآن ، وهو أول منهل يرجع اليه علماء الدين والتشريع ، فلما أن وضع عثمان الحد الفاصل بتدوين نصه الصحيح ، انتهت به المنازعات ، وأغلقت الأبواب على الخلافات القائمة على القراءة ، إلا أن الكتابة العربية فى ذلك الحين بما فيها من نقص وعدم تقييد

(١) مترجمة من الالمانية نقلا عن كتاب (تاريخ الادب العربى) للمستشرق الالمانى الكبير الاستاذ الدكتور (بروكلمان) .

للنطق بالحروف المتحركة القصيرة ، كانت سببا فى الوقوع فى خلاف على قراءة كتاب الله [1] ، فنشأت بذلك عدة اتجاهات مختلفة فى قراءة القرآن ، ولكن حاجة المسلمين من غير العرب الماسة الى تعلم النطق الصحيح للغة العربية حتى يتيسر لهم تلاوة القرآن أدّت الى نشأة تلك الدراسات الصوتية الفسيولوجية التى سبق لنا ذكرها فى تاريخ العلوم اللغوية فى الأدب العربى ، وبذلك توثقت الصلة بين فن قراءة القرآن ونحو اللغة ، فاشتهر أغلب اللغويين المعروفين أيضا بأبحاثهم القيمة فى هذا الباب ، ولكن للأسف الشديد ضاع أغلب أبحاث هذا العصر القديم ، لأن من جاء بعدهم ممن كانوا لا يهمهم من هذا الفن سوى الناحية العملية فقط ، كانوا يكتفون بوضع مختصرات عجاف .

بدأت كذلك فى نفس الوقت المحاولات العلمية لتفسير القرآن ، وكان يرجع العلماء فى ذلك الى النبى (صلى الله عليه وسلم) لتفسير ما غمض عليهم . وأول من تصدى لهذا العمل الكبير عبد الله بن عباس الذى يعتبر من أقوى مراجع الحديث ، فوضع تفسيرا كاملا لم يصل الى أيدينا على شكله القديم ، وكان هو المرجع الأول للتفسير فى القرن الثانى والثالث من الهجرة ، ولم يبق من هذا العهد إلا مؤلفات قليلة أصبحت أهميتها ضئيلة عند المتأخرين من العلماء بالنسبة الى مؤلفات القرن السادس والسابع من الهجرة الآتى ذكرها .

ولم تقتصر دراسات القرآن فى هذا العهد على العلماء السنيين فقط ، بل لقد اهتمت بها أيضا الفرق الاسلامية المختلفة وأهمها الشيعية ، إلا أن مؤلفاتها لم تصل فى الناحية العلمية الى مرتبة الجد والاعتماد عليها والأخذ بها ، هذا فضلا عن وقوعها فى كثير من الأغلاط والأكاذيب بسبب تحيزها الظاهر .

وتفرعت بعد ذلك عن دراسات القرآن أبحاث العقائد ، فكانت بذلك أقدم العلوم الدينية التى ظهرت فى الأدب العربى ، ولقد كانت نشأتها على يد الأمويين بسبب

(١) المعروف أن الخلاف فى القراءة نشأ من اختلاف لغات العرب لا من سبب قصور الحروف العربية .

اختلاطهم بعلماء الديانة المسيحية بالشام الذين كانوا على نظم ناضجة بفضل الفلسفة الإغريقية ومرانهم الطويل خلال الأجيال العديدة ، فكان ذلك حافزا لعلماء المسلمين من العرب للبحث والتنقيب فى مكنونات القرآن بمحاولات علمية ناجحة . ولقد كانت الصراحة التى امتاز بها هذا العهد الأول ، وعدم التحيز بالنسبة الى العقائد المغايرة ، والشجاعة فى الحكم على الأشياء ، سببا فى تسرب بعض المبادئ الدينية المسيحية الى الاسلام ، مثل عقيدة العفو الإلهى الذى يضمن السعادة لجميع الناس ، ومثل مذهب حرية الإرادة فى الانسان [1] . وإننا نجد أنه بالرغم من أن أكبر علماء الدين المسلمين فى القرن الأول من الهجرة وهو حسن البصرى كان متمسكا بمذهب القدر ، كما كان يعتبر كل من اتبع تلك الآراء المعتدلة ملحدا وخارجا على الاسلام [2] ، فاننا نرى بينهم كذلك كثيراً من العلماء المعروفين وعلى رأسهم أبو حنيفة الذى أسس مدرسة دينية تشريعية انتشرت تعاليمها انتشارا واسعا فى الاسلام [3] .

ولقد نشأت فى مدرسة حسن البصرى ومن بين أحضانها مبادئ معارضة قوية خطيرة ، إذ قام من بين تلاميذه واصل بن عطاء وأسس فرقة جديدة سميت بالمعتزلة اختلفت معه اختلافا واسعا فى المسائل الدينية الأساسية ، وتطورت هذه الفرقة تطورا سريعا بفضل التعاليم الفلسفية التى أخذت منها ، ومبادئ حرية الفكر التى استندت عليها ، فوصلت الى أوج عظمتها فى عهد الخليفة المأمون ، فبلغت فى خلافها

---

(١) لم يتسرب الى الاسلام شىء من العقائد المسيحية ، فليس فيها أن العفو الالهى يشمل جميع الناس حتى المنكرين للمسيح عليه السلام . وقد نص الاسلام على ان عفو الله يشمل جميع المذنبين إلا المشركين والكافرين . أما مذهب حرية الارادة فهو مذهب إسلامى قح وعليه بنيت التكاليف وإقامة الحدود أما العقيدة بالقدر فهى من متممات الاعتقاد بالسلطان المطلق لله إذ لا يصح ان يقع فى ملكه إلا ما يشاء . ولكن الاسلام حرصا على مبدأ حرية الارادة منع البحث فى القدر .

(٢) لم يقل أحد من الائمة بالحاد من لا يقول بالقدر وإنما قالوا باعتزاله لمذهب أهل السنة .

(٣) كان ابو حنيفة سنيا بحتا ولم يكن قط معتزلا كما هو معروف ومقرر .

مع المدرسة السُّنية القديمة مبلغا كبيرا لم تنتج منه الأصول الدينية الأولية . وفى عام ٢١٢ هـ فرض الخليفة المأمون اتباع مبادئ المعتزلة وتعاليمها فرضا بحكم القانون ، بل ولقد بالغ فى موالاتها وحمايتها بأن اضطهد أصحاب العقائد القديمة (١)، ولكن سرعان ما تغيرت الحال ، إذ بتولى المتوكل الحكم ، وهو ثالث خلفاء المأمون ، رأى لأسباب سياسية عكس ما ارتآه مَن سبقه ، فبدأت الاضطهادات القاسية تتوالى ضد المعتزلة (٢) حتى انمحى أثرهم كفرقة دينية ، ولو أن آراءهم وتعاليمهم وجدت من المؤلفين من يظهرها بين الحين والآخر ، وربما كان ذلك هو السبب فى عدم بقاء مؤلفاتهم الأصلية الى الآن ، وإنما قد توصلنا الى معرفة مبادئهم من الجدل والحوار فى مؤلفات معارضيهم فى الرأى .

وهكذا قضى على جماعة المعتزلة ، ولو أن طريقتهم الفلسفية الجدلية لم تختف ، بل بالعكس فإنها صادفت حياة مزدهرة فى خدمة المسلمين السنيين ، وذلك فى ناحيتين فى وقت واحد : فى العراق ، وفى بلاد الفرس ، إذ قد تزودت علوم العقائد السنية بأسلحة المعتزلة فى فن الجدل ، ففى العراق ظهر أبو الحسن الأشعري المولود بالبصرة عام ٢٦٠ هـ وأنشأ اتجاها جديدا ، وقد كان الأشعرى فى بادئ الأمر تلميذا عند المعتزلة ، وعاد الى عقيدته القديمة فى تمام سن الأربعين ، ورحل الى بغداد فطاب العلم عليه الكثيرون ، وكان موفقا الى حد بعيد فى عالم التأليف ، وصادفت طريقته الجديدة رواجا كبيرا عند الشافعيين الذين انضم اليهم ، كما لاقت عطف المالكيين ، وانتشرت على الأخص فى أواسط البلاد الاسلامية وغربها حتى سادتها ، ولم ينبو عنها إلا متطرفو السنة من الحنابلة الذين رفضوا الأخذ بها بتاتا ، وتوفى أبو الحسن الأشعرى عام ٣٢٤ هـ .

وفى نفس الوقت ظهر فى شرق البلاد الاسلامية محمد الماتريدى الى جانب الحنفيين

(١) لم يكن المأمون معتزلا ولا مؤيدا للمعتزلة . وإنما تسربت اليه شبهة خلق القرآن فقال بها .

(٢) لم يضطهد المتوكل المعتزلة قط ولكنه اضطهد الزنادقة وأصحاب الآراء الالحادية كالاباحية والدهرية وما اليهم .

كمؤسس جديد لعلوم العقائد، ولم تختلف تعاليمه ومبادئه عن خطة معاصره أبي الحسن الأشعرى بكثير، فقد اتفق الاثنان فى جميع المسائل الأساسية اتفاقا تاما، وتوفى محمد الماتريدى بموطنه سمرقند عام ٣٣٣ هـ

ويعتبر الاسلام دراسة القانون والتشريع من العلوم الدينية، وذلك لأن الأحكام الفاصلة نظريا مستمدة من القرآن والأحاديث النبوية. ولما كانت المواد المستقاة من هذين الموردين لم تف بحاجة الحياة العملية التى كانت تتشعب بسرعة، وتتعدد نواحيها بسبب غزوات العرب وفتوحاتهم الكثيرة فى ممالك ذات حضارات قديمة مما جعل سبيلا الى ظهور مسائل جديدة لا عهد للعرب أو للاسلام بها من قبل، كان المشرعون القدماء يفصلون بلا تردد فيما يعرض عليهم بما يوحيه رأيهم الخاص بكل شجاعة وسماحة، فكانوا بداهة يراعون القواعد والتقاليد المرعية فى تلك البلاد الغريبة، وبذلك نفذت الى الاسلام بعض مبادىء القانون الرومانى[1]، كما وجدت من قبل بعض المبادئ الاغريقية طريقها الى علوم العقائد بواسطة اختلاط علماء العرب المسلمين بالمسيحيين فى الشام.

ومنذ القرن الثانى من الهجرة بدأت معارضة قوية تظهر ضد القانون الذى كان آخذا على هذا النحو طريقه فى التكوين، ففى الحجاز كانت تشتد رغبة الأهالى فى ضرورة التمسك بتعاليم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأحكامه فى جميع الأحوال، فإذا ما قصرت هذه المواد كما أسلفنا عن إدراك ما طرأ من المسائل الجديدة، لم يتردد بعضهم عن محاولة إدخال ما يلائمها على الأحاديث النبوية، فانقسم بذلك علماء التشريع من العرب الى مذاهب مختلفة بالنسبة الى مقدار تمسكهم المطلق بالحديث النبوى، أو بقدر تحرير رأيهم الخاص فيما يعرض من الحياة العامة.

(١) لم تتسرب الى الاسلام مبادئ القانون الرومانى باحتكاك المسلمين بنصارى الشام. فان مبادئ الشريعة الاسلامية وأصولها ماثلة فى القرآن وهى أرق من مبادئ اى قانون وضعى بما لا يقدر حق القوانين العصرية.

وأقدم هذه المذاهب مذهب الحنفية، وهو الذى كفل لحرية الفكر المكان الأول . ومؤسس هذا المذهب أبو حنيفة ، وولد بالكوفة عام ٨٨ هـ وكان جده من الموالى الفرس ، وكان أبو حنيفة أشد أقاربه انتصارا للعلويين الذين يرون أن عليا أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فانضم الى الحركة المعادية التى قامت ضد الأمويين، ثم ثار على العباسيين على أثر خياناتهم للعلويين فى أمر الخلافة ، وقبض عليه عام ١٤٥ هـ بالمدينة المنورة حيث قضى نحبه سجينا بعد خمس سنوات [1] ، وقد وضع أبو حنيفة بضع رسائل صغيرة ، وجمع له تلاميذه من بعده مجموعة الأحاديث النبوية التى كان يعتمد عليها فى أعماله التشريعية ، كما وضع مؤلفا فى العقائد لا يشك الكثيرون من المؤرخين فى صحته .

ولقد صادفت تعاليم أبى حنيفة عطفا كبيرا عند العباسيين بالرغم من معارضته لهم فى الحكم لأسباب سياسية ، فإننا نرى أن مذهبه قد وصل على يد تلاميذه الأول الى مرتبة الحكم واتخذ الصبغة الرسمية إبان عصرهم . وقد اشتهر من تلاميذه أبو يوسف المتوفى سنة ١٨٢ هـ ، وكان قد أسند اليه كل من المهدى وهارون وظيفة قاض ببغداد ، والى الأخير أهدى أبو يوسف كتابه فى الخراج .

وتناول تلميذه محمد الشيبانى من بعده تعديل مذهب الحنفية وتنقيحه الأخير فى رسائل عديدة ، وكان محمد الشيبانى يطلب العلم فى مبدأ الأمر على الامام الأعظم أبى حنيفة ، وأتم دراسته على أبى يوسف ، واختتمها فى المدينة المنورة على الامام مالك مؤسس المذهب المعروف بتمسكه بالحديث ، وتوفى الشيبانى عام ١٩٠ هـ وهو بصحبة الخليفة هارون فى إحدى رحلاته الى بلاد الفرس .

ولقد اهتمت الأجيال المتعاقبة بتكملة بناء مذهب أبى حنيفة وشريعته ، واختتمت

(١) المعروف أن سجن ابى حنيفة كان بسبب إبائه ولاية القضاء تورعا لا لسبب سياسى .

أعمالها بما قام به القدورى المتوفى عام ٤٢٨ هـ من وضع مؤلفه الذى لا يزال مرجعا هاما فى مذهب الحنفية حتى اليوم .

وأما المذهب التشريعى الثانى فهو ما ظهر به مالك بن أنس بالمدينة المنورة ، وولد مالك عام ٩٧ هـ . وتوفى عام ١٧٩ هـ ، واختلف مالك عن أبى حنيفة بأن جعل الحديث قبل كل شىء مرجع الأحكام والتشريع ، ولو أنه لم يجد فى مؤلفه الكبير (الموطأ) مرجعا لكل القواعد القانونية فى الأحاديث النبوية ، إلا أنه رأى الأخذ بما سار عليه أهل المدينة من قواعد وتقاليد . وكان مالك فى أول أمره أيضا من أشد أنصار العلويين ، ولكنه ما لبث أن تصافى مع العباسيين وعاونهم فى حكمهم .

انتشر مذهب المالكية فى غرب البلاد الاسلامية ، وعلى الأخص فى شمال أفريقية وبلاد الأندلس ، ولعل الفضل فى ذلك يرجع الى المؤلف الذى وضعه تلميذه عبد الرحمن ابن القاسم المتوفى بالقاهرة عام ١٩١ هـ ، وأهم مراجع هذا المذهب حتى الآن هو الرسالة التى وضعها أبو زيد القيروانى المتوفى بفاس عام ٣٩٠ هـ .

وأما المذهب الثالث من المذاهب السنية المعروفة فهو مذهب الشافعية ، أسسه محمد الشافعى ، وكان يطلب العلم على الإمام مالك بالمدينة منذ عام ١٧٠ هـ ، واتهم فى بعض المؤامرات العلوية باليمن ، فنفى على أثر ذلك الى بغداد ، حيث سنحت له الفرصة لتلقى مبادئ مذهب الحنفية وتعاليمه ، فلم يرق له أحد المذهبين السائدين وأراد التخلص من اختلافاتهما ، فوضع قواعد جديدة تقوم على نظام التحقيق فى أصول القانون ، ووجد لمذهبه الجديد أنصاراً عديدين ، وعلى الأخص بمصر حيث توفى عام ٢٠٤ هـ .

ولم يبق من مؤلفات الشافعى حتى العصر الحاضر سوى رسالة واحدة ، ولم يطبع منها إلا مجموعته فى الأحاديث النبوية مع تقرير فى وصف رحلاته الدراسية .

وبينما نرى أن هذه المذاهب الثلاثة : الحنفية والمالكية والشافعية ، قد كادت تتفق على مراعاة حرية الرأى فى الأحكام التشريعية ، ولو أنها تتفاوت فى هذا التسامح

وتختلف فى مقدار تجاوزها الحديث ، فاننا نجد أن المذهب الرابع والأخير ، وهو مادعا اليه احمد بن حنبل ، لا يعترف بأى حال من الأحوال بمثل هذا التسامح فى مراعاة حرية الرأى فى التشريع ، ولا يريد أن يأخذ بالتجاوز عن أحكام الحديث ، بل إنه يفرض سيادته الوحيدة المطلقة فى جميع الأحوال .

ولد أحمد بن حنبل ببغداد عام ١٦٤ هـ ، وقام فى مقتبل شبابه برحلة واسعة بآسيا الصغرى ليستمع الى الأحاديث النبوية على رواتها الموثوق برواياتهم ، فلما عاد الى موطنه طلب العلم على الامام الشافعى حتى رحيله الى مصر ، فاتخذ بعد ذلك التدريس مهنة له ، الى أن أعلن الخليفة المعتصم اعترافه بمبادئ المعتزلة فى العقائد ورفعها الى مرتبة العقيدة الرسمية ، فرفض ابن حنبل الأخذ بها وبقى مخلصا لعقيدته السنية القديمة طول مدة اعتقاله الذى قضى فيه سبع سنوات . ولما عادت السنية الى الصبغة الحكومية الرسمية فى عهد الخليفة المتوكل عام ٢٣٢ هـ أفرج عنه وعاد له نفوذه وسلطانه الى أن توفى عام ٢٤١ هـ .

ولم ينتشر مذهب احمد بن حنبل فى موطنه فقط ، بل لقد تمداه الى الشام والحجاز حتى القرن التاسع من الهجرة ، وامتازت مبادئه وتعاليمه عما سبقها بالتعصب الشديد حتى فى الناحية العملية ، ولكن هذا المذهب لم يلبث بعد ذلك أن أخذ فى الانكماش ، فتقلصت من سيادته بقاع عديدة ، وحلت محلها المذاهب الأخرى ، ولو أنه لم يختف حتى اليوم . وفى بدء القرن الهجرى الماضى صادف حياة جديدة ، وانتعش ببعث الفرق الوهابية له ، وانتصارهم لمبادئه وتعاليمه .

« يتبع »

أسرار التشريع الاسلامى وفلسفته

نظام الوقف فى الاسلام أيضا

أسلفنا فى البحث السابق على سبيل الاستطراد شيئا من الكلام عن الإقطاعات فى العهد البائد ، لكننا لم نعرض للفرق بينه وبين الأرصاد حتى يضطرد البحث على نسق واحد ، استيفاء لأجزائه ، وتجنبا للخوض فيما ذهب اليه كثير من علماء الفروع على غير جدوى .

فالفارق بين الإقطاعات وبين الإرصاد : أن الإقطاعات هى أراضى بيت المال التى تعطى لمن لهم استحقاق فيه كالعلماء والقضاة ونحوهم لينتفعوا بغلتها مثوبة لهم على أعمالهم العامة . وحكمها أنه يجوز لولى الأمر إبطالها ، وأخذها ممن أعطيت لهم وصرفها لغيرهم ، فيما لو مات من كانت فى يده ، أو عجز عن القيام بالأعمال العامة ، أوعلقت به شبهة لايليق أن تعلق بمثله تجعله غير صالح لاستحقاقها مع بقاء رقبتها لبيت المال . فيتفرع على هذه الصورة أنه لو كانت لولى الأمر أرض مملوكة ملكا خاصا فملكها غيره فوقفها ، أو منح أرضا من بيت المال الى من له استحقاق فيه رقبة ومنفعة فوقفها ، أو اشتريت من بيت المال شراء صحيحا فوقفها المشترى ، أو كانت الأرض مواتا فأحياها شخص بإذن ولى الأمر ثم وقفها ، فإن وقفها صحيح فى جميع هذه الصور لتحقق الملكية فيها للواقف وقت وقفه .

وأما الأرصاد فهى : أن يحبس ولى الأمر أرضا من بيت المال ، وهى المعروفة اليوم بالأراضى الأميرية ، على منفعة عامة كالمساجد والقناطر والمدارس والمستشفيات ، أو يحبسها على من لهم استحقاق فى بيت المال كالعلماء والقضاة والفقراء والمساكين إيفاء لهم ببعض حقوقهم . فهذا النوع لا يعتبر وقفا إطلاقا لعدم توفر شرط الملك فيه . ولذلك لا تجب فيه مراعاة الشروط اللازم توفرها فى الوقف بخلاف النوع الأول ،

وإن كان لا يجـوز إبطاله وإرجاعه ملـكا الى بيت المـال كما كان ، ولا صرفه لجهة غير جهته المعينة فيـه ، كما أفتى بذلك المحقق صاحب الفتاوى المهدية والعـلامة ابن عابدين فى باب العشر ، بخلاف الإقطاعات فإنه يجوز إبطالها كما أسلفنا .

ويتفرع على هـذا التحقيق وذلك الفرق أن وقف المرتد يتوقف على عودته الى الاسلام ، فإن عاد اليـه نفذ وقفه لظهور أن ملـكيته فى الموقوف كانت باقيـة وقت وقفه ، لـكنه وقد ارتد عن دين الاسلام فقد توقف النفاذ لشروط وقفه نظرا لذلك المعارض الأثيم وهو الردة . فلما عاد الى حظيرة الاســلام وجب أن يعود اليه وقفه بشروطه التى شرطها . فإن مات على ردته أو قتل فإن وقفه يبطل على الصحيح . ذلك لأن ملك المرتد عنـد الإمام يزول زوالا موقوفا . فإن عاد الى الاســلام فقد استبان حنينه اليه وعودته الى حظيرته ، وإلا فقد تبين بموته أو قتله متلبسا بالردة أنه غير مصر على العودة الى الاسلام ، فـكان من العـدل أن يزول وقفه تبعا لذلك . ولا رواية عند أبى يوسف فيه . وعند محمد يجوز من المرتد ما يجوز من القوم الذين انتقل الى دينهم لبقاء ملـكه كما كان قبل الردة عنده .

أما المرتدة فوقفها صحيح عنـد أبى حنيفة أيضا لأن ملـكها لا يزول عنده لمجرد ردتها ، إلا إذا كان الوقف على حج أو عمرة مثلا ، فهى لا تقتل بل تحبس حتى تتوب ، بخلاف المرتد فإنه يقضى بقتله شرعا إن لم يعـد الى حظيرة الاسـلام . وذلك بخـلاف المسلم فى حالة ما إذا وقف ثم ارتد ، والعياذ بالله تعـالى ، فإنه يبطل وقفه من فور ردته ويورث عنه إذا مات أو قتـل على ردته ، ولا يعود وقفا بعودته الى الاســلام إلا إذا جـدد وقفه . ذلك لأن الوقف قربة من القـربات الى الله ، وطالب المثوبة من أفضل سبلها ، والردة تحبط الأعمال .

لـكن قال العلامة (الزركشى) فى المحيط : وعندى فى هذه المسألة نظر ، ولى عليها تعقيب ، فإن حبوط عمل المرتد ينبغى أن يكون متعلقا بإبطال ثوابه فحسب ؛ لا بإبطال

ما يتعلق به حق الفقراء الذى صار إليهم ينتفعون بغلته ويدفعون به عنهم غوائل الفاقة ، لذلك ينبغى أن لا يبطل حقهم فى الموقوف لمجرد ارتداده .

وحقق الفقيه الكبير الشيخ (الرافعى) فى تقريره على رد المحتار أن الصاحبين يلتزمان القول بعدم بطلان الوقف حال الاسلام إذا ارتد الواقف عن دينه ، ضرورة أن الموقوف يخرج عن ملكه بمجرد وقفه كما قدمنا . فالقول ببطلانه فى هذه الحالة رأى لأبى حنيفة دون غيره . والصاحبان يذهبان الى أن وقف المرتد صحيح . وأبو يوسف يذهب الى نفاذ وقف المرتد نفاذا صحيحا لاشية فيه . ويذهب محمد الى أنه يجوز فيه ما يجوز من القوم الذين انتقل الى دينهم . وإذا لزم عن القول بعدم بطلان وقف المسلم حين يرتد عن دينه القول بخروج الموقوف عن ملك الواقف بمجرد وقفه وهو الراجح كما أسلفنا ، لزم رجحان ما بنى عليه وهو عدم بطلان وقف المسلم إذا ارتد عن دينه .

لكن أورد صاحب كتاب أنفع الوسائل على نظرية اشتراط الملكية حال الوقف تعقيبا بوقوع وقف الفضولى صحيحا إذا وقف مع أنه غير مالك للقدر الموقوف البتة . ثم عاد فدفع هذا التعقيب الذى فرضه بأن الفضولى فى واقع أمره ليس هو الواقف وإنما الواقف حقيقة هو المالك ، فهو الذى تجرى عليه المثوبة من الله .

ومن شروط صحة الموقوف أن يكون مفرزا إذا كان مسجدا أو مقبرة ، لأن الشيوع فيهما مبطل لوقفهما اتفاقا بين علماء الفروع ، لأنه مانع التمحض لوجه الله تعالى ، ولأن قسمة المهايأة فيهما تخرج بهما عن الغرض المقصود من الوقف . فهى تستتبع مثلا أن تقبر الموتى فى المقبرة فترة ثم تزرع فترة أخرى ، ثم يصلى فى المسجد طورا ويتخذ اصطبلا مثلا طورا آخر .

وهذا التصرف بعيد عن أصل الوقف ، لأن قسمة المهايأة تعتمد فى حقيقتها أن يشترك جميع المنتفعين فى العين المقسومة كل فيما ينوى الانتفاع به وعلى أى وجه يريد .

« يتبع »

عباس طه
المحامى الشرعى

تفسير سورة النور

رأى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى المختص بتفسير القرآن الكريم فى هذه المجلة أن يجمع ما كتبه فيها من تفسير سورة النور ، فجاء كتابا فى أكثر من مائتين وخمسين صفحة من القطع المتوسط . وكل من يعرف مكانة الأستاذ من التفسير وبلوغه من الشرح والابانة وفصاحة العبارة الدرجة العليا يسره أن يراه قد أفرد هذه السورة بالتأليف . فقد اشتملت على مسائل لها أخص مساس بحياتنا الاجتماعية ، وأمراضنا الخلقية ، وعاداتنا القومية ، وقد تبسط المؤلف فى كل هذه المناحى تبسطا ينتظر من عالم خبير مثله . فجاء كتابه حافلا بما يجب أن يطالعه كل مسلم ، وأن يتخذه ذخيرة أدبية له ولأهل بيته . فنهنئ الأستاذ العلامة بما وفق اليه من هذا العمل البار ، راجين أن يوفق لا مثاله فى حياته المباركة الطيبة .

الوعظ

اصدر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمود على احمد خطيب مسجد الرفاعى كتابا عنوانه (المجموعة الاولى من كتاب الوعظ) ضمنه خطبا منبرية أنشأها وخطب بها . وقد طالعناها فوجدناه لم يترك عادة من عوائدنا ولا حاجة اجتماعية من حاجاتنا إلا ألم بها فى خطبة بليغة مؤثرة مما نرجو أن يحتذى جميع الخطباء شا كلته فيها ، فنحث الخطباء الذين يودون أن يتخذوا هذا المثال الحسن أن يطلعوا عليها ، وأن يتدارسوها ، فانها معين غزير من أدب الوعظ الحكيم . فله الشكر على صنعه الجميل . أكثر الله من أمثاله فى المسلمين .

رابطة الشباب المصرى

أخرج المركز العام لرابطة الشباب المصرى رسالتيه الاولى والثانية عن مؤتمره الأخلاق . وقد أتت الرسالة الأولى على البحوث التى القيت فى جلستى المؤتمر .

أما الرسالة الثانية فهى حاوية لكل ما كتب بصدد هذا المؤتمر ، وفى مقدمة كتابها الامير عمر طوسون .

فنشكر لشباب الرابطة عملهم الجليل ، ونتمنى لهم المثابرة عليه والثبات فيه ، فهو من أصلح الأعمال وأدعاها للتشجيع .

بسم الله الرحمن الرحيم

أصول الاسلام المقربة بين الامم

أوحى الله الاسلام خاتما للأديان ، وعهدا خالدا للانسان ، فلم يدع أصلا من الأصول المقرّبة بين العقائد ، الموحدة بين النزعات ، الجامعة بين مختلف المقاصد والغايات ، إلا أتى به على قدر ما تسمح به الفطرة السليمة ، والطريقة القويمة ، والخطة المثلى . فدعا الى تحكيم العقل فى كل خلاف ، والرجوع الى النظر فى كل موضوع تعترك فيه الموروثات القديمة ، والميول الجديدة .

وهو لأجل أن يرفع من طريق العقل الخالص كل ما يعترضه من العواثير الوهمية ، أنحى على مبدأ التقليد فنقضه ، وعلى أصل تقديس القديم الرث فهدمه ، ونعى على الواقفين مع هاتين العقبتين جمودهم ، فقال تعالى زاريا بالمقلدين : « وإذا قيل لهم اتّبِعوا ما أنزل الله قالوا بل نَتّبِع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون »

وقد بالغ فى الزراية بالتقليد الى حد أن سماه عبادة ، وهذا نهاية ما يمكن أن توصم به نزعة من النزعات الخاطئة ، فقال تعالى : « اتخَذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » ، وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى اتخاذهم أربابا أنهم أخذوا كل ما قالوا بدون جدال ولا تعقل .

كل هذا ليتوسل الاسلام به الى تخليص العقل من العواثير القائمة فيه . وإذا تم للأمة أن لا تحترم غير حكم العقل الكامل المستضىء بنور العلم ، سهل إقامتها على الطريق السوى ، وتوجيهها الى باحات الكمال الصورى والمعنوى ، من أقرب الطرق ، وأبعدها عن القواطع ، فأصبحت أرواحها خالصة من كل شائبةِ أسر ، وأثارةِ عبودية . فإن لاح

لها أصل جديد فيه خير لها، لم تتأخر عن القيام عليه، ولم تجد فى نفسها حرجا من الاندفاع فى تياره، بل رأت أن من الدين أن تتجه الى وجهته، عادّة الاهتداء اليه فتحا إلهيا، وإلهاما ربانيا.

هذا على خلاف الأمم الجامدة على القديم البالى، المقدّسة لكل ما نقل عن أسلافها بدون نظر فيه. فهى كلما لاح لها أصل فيه حياتها لم تزنه بميزان عقلها، ولم تنظره بعين مصلحتها، ولكن تنظر اليه من خلال تقاليدها، فإن رأته ينطبق على ماورثته من أقوال أسلافها اتبعته مرتابة، ولم تحسن الاندفاع فيه، شأن المستعبد المثقل بالقيود والأغلال، وإن لم تجده ينطبق على ما عندها من هذه الأقوال ثارت عليه متأثرة بعوامل الجمود، وربما كان الأخذ به مما لا يبطل شيئا من أصولها الأولية، ولكنها لشدة كَلَفِها بالقديم والقدماء، ترتاح الى معارضة كل جديد، لا لعلة غير كونه جديدا لم يعرفه آباؤها من قبل.

هذا من أكبر عوامل انحلال الأديان، وصيرورة أهلها فى مؤخرة الأمم فى كل ضرب من ضروب مظاهر الحياة، حتى فى الأخلاق التى يفخرون بأنهم أخص القائمين بحقوقها، والمهيمنين عليها، فيكثر فيهم الخَتْل والخَتْر، والكذب والنفاق، وسوء المِلْكة واللؤم، وينتهى بهم الأمر لأن يعدهم مواطنوهم خطرا على الأخلاق والاجتماع. فانظر كيف يدهورهم جمودهم على التقليد الى عكس ما كانوا يرمون اليه بتشددهم فيه؟

من الأمور التى رمى الاسلام بها الى تقريب الأمم المختلفة، تحطيم صنم هذا التقليد الأعمى. لأن العقول متى تَفَصَّت من إساره اندفعت لقبول كل ما تراه موافقا للعقل، ملائما للحياة، فيميل بعضها الى بعض كنتيجة طبيعية لاختيار الأحق والأحسن، والعقل المطبوع فى جميع الأفراد واحد، فيكون ذلك مقدمة لاقتراب بعض الأمم من بعض، واجتماعهم جميعا على بساط واحد، من البحث الحر، والنظر الصحيح، وتكون النهاية توحدهم فى المعقولات والعقائد، لأن الحقائق لا تتعدد.

ومن الوسائل التى تذرع بها الاسلام للتقريب بين الأمم المختلفة ما نص عليه كتابه فى مسألة الايمان برسالة محمد خاصة ورسالات المرسلين عامة. فقد صرح سبحانه وتعالى أنه لم يرسل خاتم رسله بدين جديد، ولكنه أرسله بالدين الذى أنزله على جميع من تقدمه من المرسلين، فقال تعالى: «شَرَعَ لكم من الدين ما وَصى به نوحا، والذى أوحينا اليك، وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كَبُرَ على المشركين ماتدعوهم اليه، الله يجتبي اليه من يشاء ويهدى اليه من يُنيب، وما تَفرّقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم، ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم، وإن الذين أُورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب. فلذلك فادع (أى لتوحيد الدين فادع)، واستقم كما أُمرت، ولا تتّبع أهواءهم، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم، اللهُ ربنا وربكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا حجة بيننا وبينكم، اللهُ يجمع بيننا وإليه المصير».

نصت هذه الآية على أن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم كانت إعادة ما سبق به الوحى على ألسنة جميع المرسلين من الدين الحق والصراط السوى، فخرفه أتباعهم، وخرجوا به عن حقائقه.

لا مشاحة فى أن هذا التصريح يقلل من تشدد أصحاب الملل فى مناقضة الاسلام، ويلفتهم الى ما يقول رسوله، ويحملهم على النظر فيا بين أيديهم من الكتب. وكل هذا مما يقرّب بين الأمم، ويجمع بين متفرقها، لذلك جمع الاسلام فى حظيرته فى أقل من قرن بين أمم كانت على أشد ماتكون من الاختلاف والتباين. فبعد أن كان من المحال أن ترى الفارسى إلا زرادشتيا، والهندى إلا بوذيا، والصينى إلا كونفسيوسيا أو لاوتسيا، والسودانى إلا فتيشيا، أصبحت ترى حظيرة الاسلام جامعة بين جميع هذه الأمم، ولو كان وجد المسلمون الأولون دعاة باللغات الأوربية لكان له بين ربوعها اليوم شأن أى شأن.

ومما قصد به الاسلام الى التقريب بين الأمم إيجابه على الآخذين به الايمانَ بجميع رسل الله، وعدم التفرقة بينهم، والايمان بما جاءوا به من الكتب إجمالا، فقال تعالى: « قولوا آمنا بالله وما أُنزل الينا وما أُنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط، وما أوتى موسى وعيسى، وما أوتى النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدَوْا، وإن تَوَلَّوْا فإنما هم فى شقاق، فسيكفيكهم الله، وهو السميع العليم ».

فى هذه الآية نص صريح على وجوب الإيمان بجميع رسل الله وجميع كتبه التى أنزلها عليهم بلغات مختلفة. وهذا أبلغ ما يعرف من الأصول المقربة بين البشر. فإذا أجلت نظرك فى جميع الأمم لا تجد دينا لواحدة منها يُعنى بدين واحدة أخرى، فما ظنك بأديان الأمم كافة، على حين أن المسلم لا يستطيع أن يكفر برسول أرسل لواحدة منها، فقال تعالى: « إن الذين يكفرون بالله ورسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، أولئك هم الكافرون حقا، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا». فالدين فى نظر الاسلام كُلٌّ لا يتجزأ، أساسه الإيمان بالله وبجميع رسله، من بلغتنا أسماؤهم ومن لم تبلغنا « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك »، فلا أتخيل أن فى العلم أصلا عالميا يجعل الوحدة الانسانية ماثلة فى عقلية أمة ونفسيتها مثل هذا الأصل. فهو وضع إلهى محض، يكشف عن إلهيته سموُّ مقصده وبعدُ غايته، فهو من هذه الناحية ليس فى حاجة الى دليل يؤيده.

فهل بعد هذا غاية فى قطع ذرائع الخلاف بين الأمم، وحسم مادة التلاحى بينهم؟ أليس هذا بجملته وتفصيله يجعل الاسلام دينا عاما، ويهيئه لأن يكون نقطة اتصال بين الجماعات البشرية، فتسكن الأرواح منه الى حظيرة عقيدة عادلة، لا تذهب بأصحابها مذاهب الجور فى هضم حقوق الأمم، ولا تنزع بهم الى تجريدها من خصوصياتها؟

إنك بينما ترى أتباع الأديان الأخرى يتنازعون فى حقّية أديانهم فيكفر بعضهم

بأنبياء بعض ، ويهزأ الأولون بكتب الآخرين ، والآخرون بكتب الأولين ، تجد المسلمين فى مستقر من العدل مكين ، يؤمنون بجميع رسل الله وكتبه ، لا يبخسون أمة حقا ، ولا يهضمون لطائفة واجبا ، ولا يطالبون الأمم إلا بأمر واحد وهو أن يعدلوا فيؤمنوا بجميع كتب الله ورسله . فمن لم يقبل ذلك من الناس كانوا من أهل الشقاق ، المؤثرين للخصام على الوفاق ، وليس هذا من الاسلام فى شيء .

فلا مشاحة بعد هذا البيان فى أن الإسلام هو الدين العام المؤاخى بين جميع الأنام ، وكل ما حدث بعده بأكثر من ألف سنة من المذاهب التى غرضها التوفيق بين الأديان تحت أسماء مختلفة ، فلن يبلغ مبلغه فى هذا الباب .

أما الفرق بين الإسلام وهذه المذاهب ، فهو أن الإسلام عرض الكتب السماوية الموجودة بين أيدى أصحابها ، ودل على وجوه التحريف فيها ، أو على سوء تأويلهم لها ، ودعا الى الكتاب الذى جمعها جميعا ، والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو القرآن ، وأما تلك المذاهب فترمى الى توحيد الأديان بتأويل النصوص التى تختلف عليها ، تذرعا الى التوفيق بينها ، وهذا التأويل يشعر بتكلف شديد ، وعسف ظاهر بالألفاظ والعبارات ، ومثل هذا العسف الظاهر لا يبتنى عليه إيمان ، فتكون النتيجة تشكيك الناس فى جميع الأديان .

ومن هذه المذاهب محاولة توحيد الناس فى عبادة الله ، بحجة أن جميع الأديان تدعو للعبادة ، وهى فى نظرهم تؤتى ثمراتها على أية الضروب كانت . أما الكتب الموجودة بين أيدى الأمم فتترك لأهلها مع كل ما بنوه عليها من أهواء وأوهام .

فالناقد البصير يرى أن مذهب الاسلام فى توحيد الأمم هو خير المذاهب ، وهو دعوتها الى كتاب جديد شامل لجميع ما تقدمه مما لم تمسسه أيدى التحريف . ذلك لأن النقد العلمى كشف من أحوال تلك الكتب من ناحية ضعف روايتها ، وضياع أصولها ، ومناقضة ما فيها لأبسط قواعد العلم ، ما لا يستطاع معه الإيمان بها ، فتكون النتيجة الطبيعية من تقرير تركها وشأنها ، خروج أهلها عن حظيرة الأديان جملة كافية .

ثم إن المذهب الاسلامى فى هـذا الشأن أرسخ قواعد ، وأشبه بسنة الوجود ، وأقوى على حملات الشبه والشكوك ، لأنه بعد أن قرر أن الأديان كلها وحى من الله ، وأن الذين أتوا بها كلهم رسل الله ، وأن كتبهـا كلام الله ، عاد فقرر أن طول الزمان أوجب أن ينحرف الناس عن تلك الكتب ، وأن يتسامحوا فيها بالتحريف والتبديل ، والاسلام فى هذه القضية موافق للنقد العلمى كما رأيت . بعد هذا أخذ الاسلام يدعو الناس الى كتاب يجمع ما فى تلك الكتب ويزيد عليها ما اقتضاه وما يقتضيه تطور الأمم . ووعد بحفظه من التحريف والتبديل على مدى الأجيال .

كان شأن الاسلام فى هـذا كشأن عالم نبغ فى أمة كانت من علومها على مذاهب شتى ، كل طائفة منها تنابذ الأخرى باسم مذهبها العلمى ، وعالمها الرسمى ، فجاء هذا العالم النابغ فجمع ما فى الكتب الموجودة من الحقائق المقررة فى كتاب واحد ، وزاد عليها ما فتح الله عليه ، ثم دعا الناس الى تداول كتابه المنقح ، وترك ما لديهم من الكتب الأولية المطبوعة بطوابع أزمانها المختلفة .

فهل كان يستطيع هذا العالم أن يقر كل طائفة على كتابها العلمى على ما فيه مما ينافى روح العصر الحاضر ، ومما وضعه الوضاعون بين حقائقه من الأكاذيب والوساوس ؟

« أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون » ، فأما طـوعا فباستخدام العقل وإعمال الفكر ، وأما كرها فتحت ضغط الحوادث والمثلات .

محمد فريد وجدى

التفسير

سورة الرعد

- ١٦ -

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً ، يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ، وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ . وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً ، قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) :

لقد رأيت كيف تم الجدل وبلغت الحجة مبلغها ، فلم تدع لمشتبه شبهة إلا كشفتها ولا لمتمحل مجالا إلا سدته ، فلم يبق إلا إباء المكابرين ، وعناد المصرين ، الذين مهما تجلى الحق أمام أعينهم فما هم له بمبصرين ، ولا لندائه بمستمعين ، أولئك الذين قالوا قلوبنا غلف ، فهم عن الحق الواضح معرضون ، بل عنه صادون ، فما ذا ينتظر فى شأن هؤلاء وأمثالهم إلا أن يلجأ داعيهم الى رب العالمين ، يستنزل نقمته وغضبه عليهم ، حتى يبعدهم عن طريق الدعوة الى الحق الذى عنه يصدون ؟ فما أشبه الموقف الحاضر بموقف نوح عليه السلام مع قومه إذ « قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهاراً فلم يزدهم

دعائى إلا فِرارا ، وإنى كلما دعوتهم لِتغفرَ لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واسْتَغْشَوْا ثيابهم وأصَرُّوا واستكبروا استكباراً » الى أن قال فيما حكاه الله عنه : « ربِّ لا تَذَرْ على الأرض من الكافرين دَيَّاراً ، إنك إنْ تَذَرْهم يُضلوا عبادك ولا يَلِدوا إلا فاجرا كَفّاراً » .

وهكذا شأن الداعى المخلص فى دعوته ، الحريص على هداية كل قومه : أنه حين يصل بالمدعوين الى درجة أن يكابروا فى الحق وقد وضح ، وينكروا الشمس وقد طلعت ، ويقفوا حجر عثرة فى سبيل المستضعفين فيصدوهم عن هدى ربهم ، ويمنعوا عنهم رحمة الله التى أرسلها اليهم على يد عباده المرسلين ، فإنه لا يجد ملجأ بعد ذلك إلا قدرة ربه القدير القاهر فوق عباده ، فيقول بلسان حاله كما قال نوح عليه السلام : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا » فإن لم يقله بلسانه جاشت به نفسه ، وكمن فى ضميره ، وامتلأ به قلبه ، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

وعلى هذا يتجلى جمال موقع هذه الآية الكريمة مما قبلها ، وأنها هى التى تنتظر أتم انتظار دون غيرها ، بعد ما وصل الجدل والمحاجة معهم الى ما ترى ، وبقوا على إصرارهم مكابرين معاندين ، فقال تعالى جوابا على هذا الخاطر : « وإمّا نرينّك بعض الذى نَعِدُهم أو نتوفينّك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب » . والمعنى قد كُلفتَ فامتثلت ، وحُملت الرسالة فبلغت ، وهذا هو ما عليك ، فلا عليك بعد ذلك أعوقبوا على ما اقترفوا فرأيت ذلك العقاب بنفسك ، أو توفيناك الينا قبل ذلك ، فكيفما دارت الحال فما يرجع اليك قد قمت به ، فدعهم لنا فاهم بمعجزينا وما حسابهم إلا علينا ، ونحن ننزل عليهم ما أردنا من عذاب ومقت حسبما تقتضيه حكمتنا ، وما عليك إلا البلاغ ، أى لا المجازاة ، فهى علينا لا على سوانا . فالقصر المستفاد من إنما يظهر أثره فى المؤخر وهو البلاغ ، فهو المقصور عليه ، أى أن الذى تُكلفه أنت مقصور على البلاغ لا يتعداه الى المحاسبة والمعاقبة .

والقصر المستفاد من تقديم الخبر فى قوله : « وعلينا الحساب » المقصور عليه هو ضمير الحق جل وعلا ، أى الحساب منوط بنا لا يكون من غيرنا . وعلى ذلك تكون جملة « وعلينا الحساب » معطوفة على جملة « إنما عليك البلاغ » . فليست إنما مسلطة على الجملتين والعطف على عليك البلاغ ، بل مسلطة على الأولى ، فإنك لو سلطتها على الثانية لأفادت أنه ليس على الله إلا الحساب . وهذا معنى غير مراد ، فلله الأمر جميعا .

ثم فى التعبير بلفظ بعض فى قوله : « نرينك بعضَ الذى نعدهم » تلميح الى أنه تعالى سيريه بعضا مما توعدهم به ، وإلا فسائره إنما يتحقق يوم القيامة . والمراد الإراءة البصرية قبل الممات ، وإلا فهو عليم بأن وعيد الله للكفار واقع بهم لا محالة . وقولنا قبل الممات مأخوذ من قوله فى المقابلة : « أو نتوفينك » .

ووجه التلميح أنه لما قال : « نرينك بعض الذى نعدهم » بقصره على البعض دون الكل ومقابلته بقوله نتوفينك ، يتجه الذهن وتطمع النفس فى أنه سيكون هناك رؤية للبعض وإن لم يكن بطريق الجزم .

وقد قال بعض المفسرين هنا : إن فى الكلام فعلَىْ شرط هما : نرينك ، ونتوفينك ، فإن المعطوف على الشرط شرط ، وفيه جزاءان ، وهما إنما عليك البلاغ ، وعلينا الحساب . وليس منهما جزاء يصلح للترتب على أحد الشرطين ، فما وجه هذه الجملة الشرطية ؟ وأنت تعلم أن الكلام مبنى على شرط واحد ، وهو ما نبهنا عليه بقولنا : كيفما دار الأمر ، أى سواء أكان هذا أم ذاك ، لا أنهما جملتان شرطيتان كما توهّمه ذلك البعض من العطف بأو ، والمذكور فى موضع الجزاء هو دليل الجزاء لا نفس الجزاء . وأما الجزاء فهو مقدر ، أى فلا تجزع ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ونحو ذلك . ووجه دلالته أنه لما قال : « فإنما عليك البلاغ » أى وقد أديت فلا عليك ، ولما قال : « وعلينا الحساب » أى فسنجزيهم سيئات ما اكتسبوا وهم لا يفوتوننا . فالجملة شرط وجزاء واحد ، فلا محل لذلك التوهم .

ولقد طيّب الله نفسه بعد ما أزال عنها الهم بما يفيد أنهم لو كان عندهم مُسكة من عقل أو لهم أعين يبصرون بها ، ما أوقعوا أنفسهم فى تلك الورطة المهلكة ، ولكان جديرا بهم أن يعتبروا بما يرونه فى كل حين من تصرفه جل شأنه فى الأرض وما أقلّت ، فقال تعالى : « أولم يروا أنا نأتى الأرض نَنقُصُها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب » .

والاستفهام إنكارى للتعجيب من حالهم . والواو التى بعد الهمزة للعطف على محذوف معلوم من المقام ، أى أعَموا ولم يروا ، أو أجهلوا أنهم فى قبضة يدنا ولم يروا ، أو أأنكروا كل ما سقته لهم من أدلة على صحة إرسالنا لك تبلغهم تكاليفنا وعاندوا مصرين على كبريائهم ولم يروا ؟ وأمثال ذلك مما يليق بالمقام تقديره .

ومعنى نأتى الأرض تتعلق قدرتنا بها تعلق تنجيز لما اقتضته إرادتنا ، أى نوجّه اليها تصريفنا فنغيّر فيها ما نشاء . والمراد بالأرض إما أرض الكفار ، وانتقاصها عبارة عن انتزاعها شيئا فشيئا بفتح المسلمين إياها ، وإما بمعنى الأرض بجملتها ، وانتقاصها عبارة عن تبديلها خرابا بعد عمارية ، ومواتا بعد حياة ، وذلا بعد عز ، وغمرا بماء بعد ظهور وبروز ، وأمثال ذلك . ولعل هذا أدخل فى التقريع وملء القلوب رهبة وخشية ، أى فإذا كانت الأرض التى تقلكم وتحملكم لا تتعاصى عن أمر ربها التكوينى ، وهى مستعدة بجملتها فى كل آن أن يعرض لها من تصرف القدرة الإلهية ما يبدلها كما ترون فأين أنتم وأين تذهبون ، وماذا تصنعون إذا خسف بكم الأرض كما خسف بمن قبلكم ، أو غمرها بالماء كما غمرت بطوفان نوح ؟

ويجوز أن يراد نأتى الأرض ننقصها من أطرافها بإهلاك أهلها ، كما يقولون نقصت البلد وخربت ، وأمثال ذلك ، يريدون موت أهلها . ولعل خير الوجوه أوسطها . وفى التعبير بنأتى من تربية الرهبة مالا يخفى ، فهو على نسق قوله تعالى : « وقدِمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً »

ولعلك تلمح هنا بعد قوله « ننقصهامن أطرافها » ما صرح به فى الآية الأخرى « أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها أفهُم الغالبون » . فترى فيه من تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والتفريج عن نفسه بتصوير أعدائه بصورة الحمقى الذين على بصرهم غشاوة فلا يرون الهلاك وهو منهم قاب قوسين ، فيعاندون الجبار القهار الذى تملك يمينه التصرف فى كل شىء ، ولا يرون آثارقدرته وهى أمام أعينهم ، فكيف تعبأ بقوم حمقى مثلهم ، وليُغْلَبَنّ مغالب الغلاب ؟

وجاء بعد ذلك الكلمةَ الفاصلة توقف كل عبد عند حده ، سواء المحق والمبطل ، فهى فصل الخطاب ، ذلك قوله تعالى : « والله يحكم لا معقب لحكمه » فمن ذا يكون له بعد ذلك كلمة أو ينبس باقتراح أو طلب ؟ فكأنها بمثابة قوله عز وجل : « ذَرْنى ومَن خلقت وحيدا » . وهى إما اعتراضية أو حالية ، والأول أظهر ، لأن مضمونها يكون قد وجه اليه قصد الإفادة بالذات ، لا أنه داخل فى مضمون جملة أخرى كما هو شأن الحال .

ولقد زاده عليه السلام طمأنينة نفس ، وزادهم رعبا ورهبة بقوله : « وهو سريع الحساب » أى فهمًا قريب يوقع بهم من جزاء ما اقترفوا ما يستحقون من قتل وأسر وإذلال وخزى فى الحياة الدنيا ، ومن عذاب مقيم أليم فى الدار الآخرة ، ولَعذاب الآخرة أشق . وسرعة حسابه إما بمعنى سرعة مجيئه فكل آت قريب ، أو بمعنى سرعة فصله فى أمرهم فلا يحتاج لوقت يزن فيه أعمالهم ويقدر لها ما تستحق من جزاء ، فهو سريع الحساب . ويصح إرادة كلا المعنيين .

هذا ومعنى المعقب فى الأصل الآتى خلف غيره ، من العقب وهو مؤخر القدم ، تعورف فى المبطل لعمل غيره ، فهو كأنما يسير خلفه يتعقبه لإبطال أثره ، ومنه قيل للغريم معقب ، لأنه يتبع مدينه أينما ذهب يبطل محاولته الفرار والتخلص . ويقال للمماطل معقب ، لأنه يتبع كل طلب برد . ولتصرفات اللغة أفانين أصلها التجوز ، ثم تتعارف حتى تصير حقيقة عرفية .

وبعد: ففى الآية الكريمة تقوية لطمأنينة المصطفى صلى الله عليه وسلم الى أنه سيريهم بعض الذى يعدهم، فهى بمثابة تقريب ما يتوهم أنه بعيد، ببيان أن أمثاله تتوالى، فقد نزل بالأمم من الانتقاص والأخذ من الأطراف ما لا يبقى معه مجال لشك فى أنه نازل بهم ما نزل بمن هم أشد منهم بطشا وأعظم قوة.

« وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا، يعلم ما تكسب كل نفس، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار »:

المكر: الخديعة ومحاولة إيصال الأذى الى الغير بدون شعوره، كأن الماكر يدمج شيئا فى شىء. ومنه قولهم: ممكورة المرأة المدمجة الخلق الغليظة الساقين، كأن بعضها أدمج فى بعض. وضمير قبلهم راجع لكفار مكة من مشركين وأهل كتاب، وهم الذين تقدم الكلام على جدلهم فى الآيات السابقة. وفى هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه ما كان بدعا أن يلقى الرسل ممن يدعونهم تلك المعارضة والمكابرة يصحبهما المكر والاحتيال لإحباط الدعوة، ولكن الله مبطل كيدهم، ومحبط مكرهم، وناصر رسله ومؤيدهم، فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل « فلله المكر جميعا ». أليس الماكر يزعم أنه يعمل على خفاء من الممكور به وتغرير به وخديعة من حيث لا يشعر؟ فكيف يتم هذا مع من يعلم ما تكسب كل نفس، وهو الذى وهبها العلم بما علمت، والقدرة على ما كسبت، وهو الذى إن شاء أتم عمل العامل وجعله يستتبع أثره، وإن شاء أحبطه وأبطله وجعله كأن لم يكن، وإن شاء احترم العامل وأخذه أخذ عزيز مقتدر من حيث لا يحتسب؟ قد كان يخشى بأسهم لو صح أن يكون لهم علم يتصرفون به وهو خفى عنه جل شأنه، أو يستقلون بعملهم بدون إقداره، أمّا وهو تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، ويعلم خواطر النفوس وهواجسها حتى قبل أن تتحقق بل قبل أن تخطر ببالها، فهم وما مكروا فى حيز العدم أمام إرادة البارى وقدرته. ولو لم يكن فى إحباط مكرهم إلا أنه مكشوف

معلوم لله هو وكل ما كسبوا ، بل هو وما تكسب كل نفس ، لـكان جديرا أن لا يعبأ به ولا يخشى ضرره ، فلا يبطل المـكر إلا علم الممكور به ما يريده الماكر ، فـلذا اقتصر على صفة العلم فى تهوين أمرهم ، وإلا فهو كما يعلم ما تكسب كل نفس ، تحيط قدرته بكل عمل ، فيحبطه أو يتمه ، فهو القاهر فوق عباده . وهذا المعنى مستفاد من قوله : « فلله المـكر جميعا » فإن معناه أن كل ما يقع فى الـكون من سبب ومسبب وارتباط بينهما ، كل ذلك فى قبضة قدرته إن شاء أحبطه وإن شاء أتمه ، فلا تـكترث بما كانوا يمكرون ، فهو الفعال لما يريد . وقـد علمت أن تخصيص صفة العـلم بالذكر بعد ذلك لأن انكشاف المـكر وعلم حال الماكر أساس لإبطال مكره . ومن ذا الذى ينـكر إحاطة علم الله بما كان وما سيكون قبل أن يكون ؟ فهى حجة لا قِبل لأحد بردها .

هـذا ويصح أن يكون معنى قوله « فلله المـكر جميعا » أى أن هذا الذى حاولوه من المـكر بالأنبياء ليس فى الحقيقة مكرا منهم بالأنبياء ، وإنما هو مكر من الله بهم ، حيث يحيق بهم جزاء ما اكتسبوا ، ويأخذهم من حيث لم يحتسبوا ، فستكون الدائرة عليهم وهم لا يشعرون ، فالمـكر وهو الأخذ على غرة وبدون شعور واقع عليهم من الله لا واقع منهم على الأنبياء .

« وسيعلم الـكفار لمن عقبى الدار » :

كلمة جامعة للوعيد لهم ، وللوعد للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنـين ، وأن إحراز العاقبة التى تعلمونها أنتم اليوم وينكرونها ، سيعلمونها هم أيضا ، ولـكن بعـد فوات الوقت ، حيث لا ينفع النـدم ، ولا يفيـد المرء إلا ماقدّم ، فسيرون بأعينهم عاقبتهم وعاقبتكم ، فيأخذهم من الحسرة مثل ما تدركون من المسرة ، وسيتبادلون ذلك الحوار المحـكى فى قوله تعـالى : « ونادى أصحـابُ الجنة أصحابَ النار أنْ قد وَجَدْنا ما وعدَنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، قالوا نعم ، فأذّن مؤذن بينهم أنْ لعنةُ اللهِ على الظالمين » .

« ويقول الذين كفروا لستَ مرسَلا ، قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومَن عنده علم الكتاب » :

هذا تسجيل لخزى المكابرة عليهم بعد وضوح الحجة وظهور المحجة ، فأبرزهم فى صورة من ملك العناد قياده ، وأصبح وقد ختم الله على قلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فهو لا يعترف بالحق مهما بلغ وضوحه ، فقال : « ويقول الذين كفروا » أى بعد هذا الوضوح كله « لست » يا محمد « مرسَلا » من قبل ربك ، وإنما أنت تفترى . فمثل هؤلاء بعد ذلك لا ينبغى أن تقيم لكلامهم وزنا ، وإنما عليك أن تعرض عن حجاجهم، فأعرض عنهم، و « قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم » .

ومعنى شهيدا ، أى عليما ، فهو يعلم ما أنا عليه أمبلّغ رسالته أم مفترٍ عليه ، أو شهيدا شاهدا بصحة ما أقول . وشهادته جل شأنه ، بتأييده له صلى الله عليه وسلم بالمعجزات والآيات البينات ، فهى شاهدة بصدقه منزلة منزلة الشهادة اللفظية ، وناطقة بما مضمونه : صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى . فشهيدا إما بمعنى عليم ، أو بمعنى شاهد . ولعل الثانى أرجح لقوة الحجة فيه .

وأما قوله : « ومَن عنده علم الكتاب » فالمراد به إما الله عز وجل ، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ ، ويكون العطف من عطف الصفات المتواردة على موصوف واحد لبيان أن كل صفة كافية فى إثبات المقصود ، أو من باب تنزيل تعدد الصفات فى الكفاية فى المقصود منزلة تعدد الذوات . ويشبه هذا قول الشاعر :

الى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة فى المزدحم

وإما أن يراد بمَن عنده علم الكتاب من آمن من أهل الكتاب وأدّى الشهادة على وجهها ، كعبد الله بن سلام ، ويكون المراد بالكتاب التوراة والانجيل . وإما أن يراد بمن عنده علم الكتاب المؤمنون الذين فقهوا ما فى القرآن الكريم من بليغ الحجة وواضح الآيات البينة ، فالمراد بالكتاب القرآن الكريم .

ولقد تضمنت هذه السورة الكريمة من روائع الآيات وبالغ الحجج ما ينطق كل لسان بصادق الايمان ، ويخضع كل جنان لخالص الإذعان .

فاللهم وفقنا للايمان بك والإذعان لحكمك ، والاحسان فى الزلفى اليك ، إنك نعم المولى ونعم النصير . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ابراهيم الجبالى

العباس بن الحسين

كان العباس بن الحسين هذا معاصرا للمأمون ، وكان أثيرا عنده وعند أبيه الرشيد . وهو من أهل البلاغات المأثورة .

ومن ألطف ما أثر عنه ما قاله للمأمون يوما : يا أمير المؤمنين إن لسانى ينطلق بمدحك غائبا ، وقد أحببت ان يتزيد عندك حاضرا . أفتاذن يا أمير المؤمنين فى الكلام ؟

فقال له المأمون : قل فوالله إنك لتقول فتحسن ، وتحضر فتزين ، وتغيب فتؤتمن .

فقال العباس : ما بعد هذا كلام يا أمير المؤمنين . افتاذن بالسكوت ؟

قال المأمون : إذا شئت .

ومن أجوبته البليغة ما أجاب به المأمون حين سأله عن رجل فقال : رأيت له حلما واناة ، ولم أسمع لحنا ولا إحالة ، يحدثك الحديث على مطاويه ، وينشدك الشعر على مدارجه .

وكان المأمون يقول : من أراد أن يسمع لهوا بلا حرج فليسمع كلام العباس .

وسئل العباس بن الحسين عن رجل فقال لجليسه : أطرب من الابل على الحداء ، ومن الثمل على الغناء .

وذكر يوما رجلا فقال : ما الحمام على الاحرار ، وطول السقم فى الأسفار ، وعظم الدين على الاقتار ، باشد من لقائه .

الدين أنفع للعمران
من كل القوانين

كتبنا مقالا ضافيا بالأهرام بتاريخ ٢٩ ابريل سنة ١٩٢٢ تحت عنوان « صوت منبعث من قلب الشرائع جماء » طلبنا فيه من زعماء الأمة وحكومتها أن يجعلوا قانون البلد هو القانون الشرعى ، وقلنا لهم : إنكم ملكتم من أمركم مالم تكونوا تملكون ، وقد دخلتم فى دور جديد من نهضتكم المباركة ، فعليكم أن تنهضوا بها فى دينها وقوانينها أيضا ، عسى أن يرجع للأمة الاسلامية مجدها الذى كانت متمتعة به ، حينما كان يمتد سلطانها الى الصين شرقا ، وأرض فرنسا غربا ، فكانت إذ ذاك أرفع الأمم على الإطلاق ، وأعزها على الإطلاق .

وها نحن أولاء قد خطونا خطوة أخرى فى نهضتها المباركة ، فهل لحكومتنا السَّنية وزعمائنا الكرام أن يحققوا ذلك الأمل الذى يعود عليهم بالفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة ؟ « إن تنصروا الله يَنصرْكم ويثبِّتْ أقدامكم » .

وقد عاودنى الأمل فى تحقيق تلك الأمنية ، فكتبت هذه الكلمة اليوم راجيا أن يكون الوقت قد حان لاستعادة مجدنا الأول ، فى أخلاقنا وآدابنا وعاداتنا ، وتكوين نفوسنا التى ورثت الإيمان والاسلام عن آبائها وأجدادها ، فنقول وبالله التوفيق :

إن الواجب الآن على الأمة المصرية ، وقد هبّت تريد المثل الأعلى فى حياتها ، أن تعمل فى بقية النواحى الدينية والأدبية التى لعلها أجدى عليها وأنفع لها ، وقد شرعت مصر تغيّر قوانينها ، فواجب عليها أن تتبع الطريق الاجتماعى فى مثل هذه الحالة ، وهو أن يكون التقنين الجديد على أتم وضع وأعظم فائدة ، وقد أصبحوا والحمد لله أحرارا فى كل ما يعملون ويشرعون .

ولعمرى إن الأمر لأوضح من الصبح ، فإن تشريعنا الذى لم يمر عليه قرن ولا

نصف قرن قـد ظهرت عيوبه ، وقـد هبوا يطالبون له الاصلاح والتعديل ، ولـكن ذلك التشريع السماوى مكثت فيه الأمة الإسلامية ثلاثة عشر قرنا قبل ذلك ، فكانت خـير الأمم فى راحتها وهناءتها ، وما انحط شأنها وتضعضع مجدها إلا من يوم غيرت وجهتها ، واتخذت لنفسها قوانين غير قوانين ربها الحـكيم العليم .

تلك القوانين السماوية التى تسيطر على الظواهر والبواطن ، وتملأ القلوب مراقبة لله ، وخوفا من الله .

تلك القوانين التى تقول لهم : « لايؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه مايحبُّ لنفسه » « فمن يعملْ مثقالَ ذرّة خيراً يَرهُ ، ومن يعملْ مثقالَ ذرّة شرًّا يَرهُ » .

تلك القوانين التى توجب عليهم أن يكونوا أرفع الأمم على الإطلاق وأعزها على الإطلاق ، ولا تزال بهم حتى تجعلهم ملوكا فى الأرض ، ملوكا فى السماء . وإن الباحث المدقق بنظرة واحدة يتجلى له الفرق الشاسع بين أدوارها الأولى عند ما كانت متمسكة بدينها عاملة بشريعتها ، وبين أدوارها الأخـيرة عند ما نبذت شريعتها وأخذت بتلك القـوانين الأجنبية التى تباين استعداها ، ولا تلائم مزاجها ، ولا تطهر نفوسها ، ولا تُعنَى إلا بالأشباح دون الأرواح ، وبالشكليات دون الحقائق ، فانحطت عندها الآداب والأخلاق ، فتمكنت منها محبة الذات ، والانغماس فى الشهوات ، فصار الناس وحوشا ضارية يأكل قويهم ضعيفهم ، وأصبحوا كالحرباء يتلونون بكل لون ، ويلبسون لـكل حالة لبوسها ، ويعدون للمسئولية القانونية عدتها ، من الغش والتزوير ، وتنميق الألفاظ ، وتحسين الظواهر ، الى غير ذلك مما لا يأتى عليه الشرح ، ولا يبلغه البيان

فهل للأمم الاسلامية أن تتنبه ، وقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطبيين ، فترجع الى شريعتها التى جربتها فى القرون العديدة ، وبلغت بها فى أقل من قرن واحد ما لم تبلغه الرومان فى عدة قرون ؟ !

ولا غرو ، فقد كان المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها كالبنيان يشد بعضه

بعضا ، أو كالجسد الواحد إذا تألم منه عضو تألم له سائر الجسد (فما لهم عن التذكرة معرضين) .

ولا دواء لهم والله إلا الرجوع لشريعتهم ، ولا شيء أنجع في وحدتهم الحقيقية — لا وحدة الرياء والمصانعة — من رجوعهم الى الدين الصحيح . ولا دواء أنفع في استرجاع مجدهم السالف الذي كانوا به أعز الأمم على الإطلاق وأرفعها على الإطلاق من ترسم خطا نبيهم ، والاقتداء بعظماء أسلافهم .

إن الاسلام جاء بجامع السعادات كلها لجميع أفراد النوع الانساني ، فلم يأمر من يعتنقه بالعمل لإسعاد أمته فحسب ، بل لإسعاد الإنسانية عامة ، والرحمة بكل فرد وكل مخلوق .

أما الذين يرمون الدين بأن فيه أشياء لا تلائم العصر ولا تسيغها المدنية الحاضرة ، فهم جهال بحقيقة الدين وبعد نظره في علاج الناس بما يقوّم اعوجاجهم ويصلح أوَدهم . وما مثال ذلك عندي إلا كمثال مريض فسد مزاجه وضعفت قابليته ، فأصبح غير قابل للدواء ولا واثق بالأطباء . أو كمثال طفل لا يعرف من الدنيا غير شهواته ولو أتت على الأخضر واليابس ، فهو لا يعرف للحكمة معنى ولا للحكماء قدرا . فهو ينظر الى ما يشيرون به نظر الهازئ المستخف ، لأنه لا يستطيع أن يدرك مراميهم ولا بعد غاياتهم ولا أسرار حكمتهم .

ولنهجم بك على أصعب شيء في الدين الاسلامي عند هؤلاء المتفيهقين من ذوي الحضارة الجديدة :

أصعب شيء جاء به الدين الاسلامي في نظر هؤلاء هو الحدود ، وأشدها رجم الزاني المحصن ، وقطع يد السارق .

ولنبين لك من أسرارهما ما يجعلك تنطق بأن الدين الاسلامي ما جاء إلا بالحكمة البالغة التي بها رقي العمران ، وسعادة بني الانسان .

ولنشرح لك شيئا من مضار الزنا، ثم نعقبه ببيان الحكمة فى مشروعية رجم الزانى المحصن، فنقول :

إن فى الزنا مضار كثيرة، وربما أدى الى القتل، وكثيرا ما كان ذلك، لمزيد الغيرة الطبيعية، ولما يلحق أهل المرأة وزوجها من العار، وما يترتب على ذلك من إفسادها على زوجها وسوء عشرتها له، أو فراقها وفراق أولادها، وما فيه من إفساد هذا الزانى على زوجته العفيفة: فضلا عما وراء ذلك من ضياع الأنساب المؤدى الى ترك التناصر، وما فيه من غش الغير فى النسب الكاذب، وتمليك الأموال لغير مستحقيها عند التوريث، وضياع الولد لعدم من يربيه حق التربية، ولصوق العار به لعدم معرفة أبيه، وسوء الحالة فيه طول عمره، ولزوم المذلة والانكسار له فيما بين الناس، بله انتشار الأمراض الخطرة التى تنتقل منه الى غيره، وتورث عنه فى أولاده وأولاد أولاده، كالزهرى والسيلان، الى غير ذلك من المفاسد التى يطول شرحها.

وبعد: فأنت تعلم ما يترتب على فساد البيت عند تطلع المرأة لغير زوجها، واتخاذها أخدانا فى الخفاء، وما يلحق الزوج من الغيرة التى كثيرا ما تؤدى الى قتل ذلك المنتهك لحرمته أو قتله هو فى ذلك السبيل، وما يلحق أهلها من العار الذى كثيرا ما يؤدى الى قتلها، وقد كان هذا من أسباب وأد البنات فى الجاهلية، والغيرة فى هذا طبيعية حتى فى الحيوانات.

فإذا قضينا على تلك الجريمة التى تؤدى الى هذه المفاسد كلها بقتل رجل ثبت عليه الزنا وهو محصن — ولا يثبت عليه ذلك إلا بعد اللتيا والتى — نكون قد ارتكبنا أخف الضررين، وسلكنا طريق ذلك المثل العربى المعروف «القتل أنفى للقتل». مع أن ثبوت الجريمة التى توجب الرجم يكاد يكون مستحيلا عادة، ولكن حصوله مرة واحدة فى قطر من الأقطار يوجب حفظ نفوس لا عدد لها، وصيانة أعراض لا تدخل تحت الحصر، وشرف أسر لا يعلمها إلا الله عن أن تقع فى العار والفضيحة، فضلا عما

يدهور المجتمع كله عند ما تفشو فيه المنكرات ، لأن الأمم بأخلاقها وآدابها ، ولأن كل أمة تفشو فيها المعاصى تسقط من عين الله تعالى ، فيحيق بها البلاء من حيث تعلم ولا تعلم « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » .

على أن الشريعة قد أتت فى هـذا بالعجب العجاب ، فملأت قلوب المجرمين خوفا وذعرا . وفى الوقت نفسه شرطت للحـد شروطا لا تـكاد تتحقق إلا فى النادر الذى لا حكم له ، بل لا يكاد يوجد إلا فى ظرف غير عادى .

فأنت تراها أولاً تقول : « ادرءوا الحدود بالشبهات » وثانيا تشترط فى ثبوت الزنا أربعة شهود (مع أنها تكتفى فى إثبات القتل بشاهـدين) .

وثالثا توجب حد القذف على الشهود إذا لم يكونوا أربعة ، أو لم تتم شهادتهم بأى وجه من الوجوه .

ورابعا تشترط عليهم أن يكونوا رأوه كالمرود فى المـكحلة ، وأنّى لهم ذلك والحادثة مما لا يكون إلا فى أخفى الخفاء ، حتى فى الحـلال فضلا عن الحرام ؟

وهب أن واحدا رأى ذلك أو اثنين ، فـكيف يتيسر رؤية أربعة فى وقت واحد ؟ وهب أنهم رأوه معهـا أو رأوهما متجردين فى فراش واحـد ، فـكل ذلك غير كاف ولا موجب للحد ، بل على الشهود الذين شهدوا بالزنا حد القذف .

فمن يعرض نفسه لهذا المـأزق الذى لا ينتهى غالبا إلا بحـده هو ؟ وإذا وثق من نفسه فـكيف يثق بالثلاثة الباقية من الشهود ؟ وكيف يتأتى لهم جميعا أن يضبطوا هذه الرؤية ؟ الى غير ذلك مما هو غنى عن الشرح .

ومع تلك العقبات كلهـا ، فضلا عن درء الحـدود بالشبهات ، فقد استطـاع الدين أن يقضى على تلك الجريمة الشنعاء . ومنصفو الأوربيين يعترفون بالفرق الشاسع بينهم وبين المسلمين فى ذلك ، خصوصا فى عهودهم الأولى . والإحصائيات عندهم فى ذلك مدهشة مخجلة .

وقـد شرع الدين بجانب هـذه الشدة فى عقوبة الزنا إباحة تعدد الزوجات ، وسهل الأمر فى ذلك ، لما ذكرناه ، ولما فيه من الفوائد العديدة . وليس يغيب عن القراء ما قررته بعض الحكومات من المكافأة على كثرة الأولاد ، ولولا سلطان البيئة التى هى فيها لأباحت لهم تعدد الزوجات .

هـذا وقد قال بعض الأوربيين : « إننا نوجب الاقتصار على الواحدة فى الزواج الشرعى ، ولـكن نتخذ من الخليلات غير الشرعيات ما لا يقف عند حـد ، فنضيعهن وأولادهن بلا شفقة ولا رحمة » .

فأنت ترى الاسلام منع هـذه الجريمة بالخوف من تلك العقوبة الشديدة ، وأوعد عليها بأشـد العقاب فى الآخرة ، وشرع ما يغنى عنها ، ومع ذلك وضـع من الشروط التى تحول دون إثباتها ما يجعل وجود الحد بعد تلك الشروط مستحيلا أو كالمستحيل .

فأى نظر أبعد من هذا ؟ وأى حكمة أبلغ من تلك الحـكمة التى صانت الأعراض والنفوس ، ولم تسرف فى القتـل ، ولا جعلت الأمر جزافا ؟ أليس ذلك أسمى حكمة وأبلغ تشريع ؟

أما قطع يد السارق فأمره من أوضح الواضحات : فإن اللص يخرج من بيته موطنا نفسه على أن يَقتُل أو يُقتَل . وكثيرا ما قَتَل وقُتِل .

ومن جهة أخـرى تستطيع أن تتصور فظاعة الجريمة إذا تخيلت امرأة عجوزا تسعى على أيتامها بقليـل من المـال ، فيطلع عليها ذلك اللص فيسلبها رأس مالها الذى تعيش به هى وأولادها المساكين ، فهى إن لم تلق الموت السريع من أيديهم ، لقيت المـوت البطىء من جـراء ما فعلوه بها وبفلذات كبدها الذين أصبحوا فى حالة تذيب القلوب وتدمى العيون ، الى غير ذلك مما تعرفون ولا تجهلون .

وقـد انتشرت تلك الحوادث فى بلاد العالم كله انتشارا يثير الأسف الشـديد والحزن العميق .

ولو أقمنا الحد الشرعى مرة واحـدة لأخفنا الجميع خوفا تصبح به السجون خالية من أولئك اللصوص ، وتستريح به إدارة الأمن العام من تلك المزعجات المقلقات التى فشلت فيها اللوائح والقوانين ، وضجت منها رجل الشرطة وقضاة المحاكم .

على أن ذلك الحد داخل فى عموم الحدود التى تدرأ بالشبهات كما قلنا . ولعلماء الحنفية فى ذلك تفصيلات تجعـل الأمر سهلا لدى الحاكم المتبصر ، حيث قالوا : إذا صمم المسروق منه على تضمين السارق المـال المسروق ، سقط عنه الحد ، لأنه لايضمنه له إلا وقد ملـكه إياه . على تفصيل وكلام طويل .

والمقصود أن فى مذاهب الأئمة من الآراء والأنظار سعة كبيرة . ونحن راضون أن يختار بدل هذه القوانين الأوربية قانون شرعى من كل المذاهب المعول عليها فى الدين الاسلامى ، وفيها من السعة والفسحة والأنظـار الحـكيمة ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، فذلك خير من القوانين الأوربية على كل حال .

الخلاصة :

والخلاصة أن المسلمين إذا عملوا بتعاليم دينهم ، وربوا أولادهم على المبادئ الشرعية والإخلاص فى جميع الأمور ، كما تقتضيه مراقبة الله والخوف منه ، ثم أكملوا العمل بما جاء به نبيهم ، فاتحدوا جميعا ، وكانوا كالبنيان يشد بعضه بعضا ، أو كالجسد الواحد إذا تألم منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، إذا فعلوا ذلك كله ، فقد استعدوا لأن يستعيدوا مجـدهم السالف ، وعزتهم التى كانت لهم « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولـكن المنافقين لا يعلمون » .

وإياك أن تصغى لأولئك الملحدين المتفيهقين الذين لم يعرفوا من العلم الصحيح شـيئا ، ولا لهم من الوجدان الرفيع مايذوقون به أسرار الدين ، أو يتعرفون به الحق ويفقهون برهانه ، وإن كانوا من ذوى الزخرف والتشدق الذين يخيـل لك أنهم قرءوا

كثيرا ودرسوا كثيرا ، فالعلم أجلُّ من أن يصل الى حقائقه كل ناظر فيه ، أو يذوق أسراره كل من يدعيه .

وقد قرر الفلاسفة أن كل من أخذ من العلم ماليس مستعدا له كان ضرر ذلك العلم الذى أخذه أقرب من نفعه ، وكان بمنزلة ضعيف المزاج الذى لا يستطيع أن يهضم ماتناوله من الغذاء ، فلا غرو أن ينقلب الى فساد . كذلك أدعياء العلم الذين لم يخلقوا له إذا قرءوا شيئا من العلم ، لم يحسنوا فهمه ، فأوّلوه على ما يناسب استعدادهم ، ويوافق أهواءهم ، لأنه لم ينهضم عندهم . وكان خيرا لهم ألا يأخذوه . ولذلك يروى فى المأثور « ما من أحد يحدّث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان حديثه فتنة عليهم » . وذلك لأنهم لم يفهموه على وجهه .

والعقول عند كثير من الناس مسخَّرة للأهواء لا مسخِّرة لها ، فهى لا تستمد إلا منها ، ولا تصدر إلا عنها ، وكان الواجب فى حقهم الحمية مما لا يستطيعون معرفته ، كما يجب احماء المريض عما يضره من الغذاء ، وإن كان ضروريا لغيره .

وربما طرقنا هذا الموضوع مرة أخرى . والله يتولى هدى الجميع بمنه وكرمه .

يوسف الدجوى
من جماعة كبار العلماء

للحلم بوادر تحمى صفوه

وفد أبو ليلى نابغة بنى جعدة على النبى صلى الله عليه وسلم فانشده شعره الذى يقول فيه :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وإنا لنبغى فوق ذلك مظهرا

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : الى أين أبا ليلى ؟ قال : الى الجنة . فقال رسول الله : إن شاء الله تعالى . فلما انتهى النابغة الى قوله :

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه ان يكدرا

قال له النبى صلى الله عليه وسلم : لا يفضض الله فاك ، استحسانا للبيت .

زعيم المنبوذين والاسلام

قرأت فى جهاد ٢٧ سبتمبر الماضى كلمة للأستاذ الشيخ مجتبى حسن الهندى مؤداها أن الدكتور (امبيدكار) زعيم المنبوذين فى الهند قد غير رأيه فى الاسلام ، واتجه نحو ديانة (السيك) الهندية . وحجته فى تحوله هذا أن الديانة الاسلامية متعددة الفرق ، متشعبة المذاهب ، مجهولة الماهية ، توقع من يدخلها فى عنت وحيرة . فهو لذلك لا يدرى الى أى فرقة ينتسب ، أإلى المالكية أم الحنفية أم الشيعية الخ الخ .

ونحن نقول : إن هذا القول — إن كان حدث حقيقة من الدكتور امبيدكار — فهو لا يدل على دراسة صحيحة للدين الاسلامى . وإلا فكيف يكون الاسلام مجهول الماهية وهو قائم على الفطرة الانسانية والعقل ، وخال من كل ما تحرص عليه الأديان الأخرى من الرموز والمساتير التى لا سبيل الى الإيمان بها غير التقليد الأعمى : « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » .

وقد اشتهر الاسلام قديما وحديثا بأنه واضح المقاصد ، بيّن الدلائل ، ظاهر المعالم ، لا غموض فيه ولا إبهام .

ولقد كان هذا الوضوح فى ماهية الاسلام سببا فى دخول جماعات غفيرة فيه بدون دعوة ، وفى سرعة انتشاره فى الأرض بين أمم ذوات عقليات مختلفة ، وحمايته نفسه فيها رغما عن كل ما سلط عليه من ضروب التشكيك والصرف .

بل كان هذا الوضوح سلاحا فى يد بعض دعاة الملل شهروه عليه للنيل منه ، إذ قالوا إن الاسلام يخلو من الرموز والمساتير ، وإن دينا يجول الانسان فيه بعقله دون أن يرتطم بغامضة ، لا يصح أن يكون دينا تعنو له الرقاب خاضعة . وهى شبهة كما تراها لا تحتمل النقد ، فإن دينا أنزل ليكون عاما بين الأمم كافة حاضرا ومستقبلا ، لا يقبل

على هذه الصورة إلا إذا كان مسايرا للدستور العلمى الذى هو ميزة العقلية الانسانية الراهنـة .

فالاسلام الذى يحاول أن يقتحم عليه خصومه من ناحية وضوحه وخلوه من الرموز ، يتهمه زعيم المنبوذين بأنه مجهول الماهية يوقع الداخل فيه فى حيرة ودهش ، ويفضل عليه ديانة وثنية كلها مساتير ورموز وغوامض !

بخ بخ !

ويقول الدكتور أمبيدكار — فيما نسب اليـه وليست العهدة علىّ أنا : إن الديانة الاسلامية متعددة الفرق، فهو لا يدرى الى أية فرقة منها ينتسب ، أإلى المالـكية أم الحنفية أم الشيعية ؟ الخ .

وهذه الشبهة أوهى مما تقدمها ، وإذا كانت الأولى تدل على نقص فى الدراسة ، فهذه تدل على عدمها بالمرة ، لأن الذى يعتبر المذاهب الفقهية فرقا لا يكون على شىء من العـلم بها .

الاسلام دين قرر (قبـل الثورة الفرنسية بألف ومائتى سـنة) حرية البحث ، وأطلق للعقول عنان النظر ، ولم يوصد فى وجه أحد بابا من أبواب الفهم ، ليتوجه كل إنسان الوجهة التى تناسبه لإدراك الحقائق ، وأظل الجميع بحمايتـه ، وشملهم برعايته ، ما داموا محافظين على الأصول الأوليـة التى شرعها من توحيـده وتنزيهه ، وجارين على تعاليم كتابه من تحرى الحق ، واختيار الأحسن ، والاستهداء بالأعلام الإلهية . وقد بارك الله فى هذه النزعة الانسانية الـكريمة ، فلم يجد المسلمون فى جميع أدوارهم حرجا من دينهم ، ولا عنتا من أئمتهم ، واعتبروا أنفسهم على اختلاف مذاهبهم إخوانا متـكافلين ، تجمعهم كلمة الله العليا ، فـكانوا يجتمعون فى مساجـدهم وهم على آراء شتى فى المسائل الفرعية يتحاورون ويتناقشون ، فإذا أذن المؤذن قاموا الى الصلاة لا يسألون الإمام الذى يتقدم صفوفهم على أى مذهب هو من مذاهب أهل القبلة . وإذا تقدم

الى واحد منهم رجل يطلب الإصهار اليه لا يسأله أهو حنفى أم مالكى أم غير ذلك من المذاهب الفقهية .

فهل يريد الدكتور أمبيد كار أن يكون جميع المسلمين على مذهب واحد لا يتعدونه ليسوغ له أن يدخل الى ملتهم ؟ وهل يرى هـذا ممكننا وهو حامل للقب دكتور ، وله اطلاع على نزعات العقلية الانسانية ، وعلى أطوار الفطرة البشرية ؟

أليست الفلسفة نفسها بإطلاقها حرية البحث والنظر تفترق الى مذاهب شتى لكل منها أصول مقررة ، وأساليب محددة ، فلم انتسب الدكتور أمبيد كار اليها وأهلها على مثل هذه الفرقة ؟

ليقل لى الدكتور أمبيد كار فى أى مجال من مجالات النشاط العقلى والروحى لا يجد اختلافا فى الآراء وتباينا فى المذاهب ؟

إن المجامع العلمية الكبرى التى تجمع بين أعلام الأمم الراقية فى العلوم اليقينية ، المبنية على المشاهدات الحسية ، لاتخلو من خلافات ومذاهب شتى ، فهل لو دعى الدكتور أمبيد كار ليكون عضوا فى واحد منها يرى أن يرفض الدعوة الموجهة اليه بحجة أنه يحار فى اتباع مذهب من مذاهب أعضائها ؟

إن مثل الدكتور أمبيد كار كان يجب عليه أن يرفض الدخول فى أى دين لا يبيح له حرية النظر والتفكير ، واتخاذ المذهب الذى يوافقه فيه ، أو لا يسمح له أن يكون هو نفسه صاحب مذهب مستقل ، إذا كان من رجال هذه الطبقة ، لا أن يكره الدين الذى يبيح له كل ذلك ويؤثر عليه أديانا يصبح فيها آلة صماء بكماء فى أيدى القائمين على عقائدها ، والمسيطرين على ضمائر أتباعها .

وإذا كان الدكتور أمبيدكار يود دينا لا خلاف فيه فسيطول انتظاره . فالسيكية الهندية التى يميل اليها منقسمة على نفسها انقساما مريعا . وكثيرا ما أدى انقسامها الى التناحر .

واليهودية منقسمة أيضا الى صدوقية وفريسية وربانية وقرائيئية ، وقد اشتق من هذه المذاهب فرق لا يحصى لها عدد .

والمسيحية قد افترقت الى كاثوليكية وبروتستانتية ، وافترقت كلتاهما الى فرق لا تدخل تحت حصر .

فالمعول فى انتخاب دين من الأديان لا يكون إلا على كتابه المنزل ، وسنة نبيه المرسل ، ومذهب جمهور الآخذين به . فإن صادف بحثه كتابا لم يتطرق اليه التحريف ويهدى للتى هى أقوم ، وسنة حكيمة تهدى الى الرشد ، وتحمى من الضلال ، ومذهبا لجمهور الآخذين به لا يجافى العقل ، ولا يناقض العلم ، ولا يصد عن الترقى ، كان حقا على الباحث أن يعول على هذا الدين ، ولا يتعداه الى غيره ، مما لا يغنى غناءه فى تغذية الروح والعقل ، ولا يسد مكانه من تهيئة جماعته للرقى ، وإعدادها للمثل العليا ؟

محمد فريد وجدى

تقسيم الوقت

قال الحسن بن خالويه : ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون .

ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم كان قد جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزءا لله، وجزءا لأهله، وجزءا لنفسه ، ثم جزأ جزأه بينه وبين سائر الناس . فكان يستعين بالخاصة على العامة ، وكان يقول: « أبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغى ، فانه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها أمنه الله تعالى يوم الفزع الأكبر » .

إن هذه السنة الكريمة من تقسيم الوقت توجب البركة فيه ، فان الممعن فى شىء واحد لا يلبث أن يصيبه السأم فيقطعه عنه دون أن يصل منه الى غرضه ، فاذا شرع فى غيره عاوده داء التمادى وعاوده السأم أيضا ، فاما تركه لغيره كما ترك الأول ، وإما أسرع فى إكماله على غير ما يقتضيه الاتقان .

الاسراء

تثبيت وتكريم

عن عقبة بن عامر أنه قال قال صلى الله عليه وسلم : «إنى فرط لكم وأنا شهيد عليكم ، وإنى والله لأنظر الى حوضى الآن ، وإنى والله قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، وإنى والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى ، ولكنى أخاف عليكم أن تنافسوا فيها» .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أنا محمد النبى الأمى ، لا نبى بعدى ، أوتيت جوامع الكلم وخواتمه ، وعلمت خزنة النار وحملة العرش » .

وجاء فى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى : سل يا محمد ، فقلت : ما أسأل يا ربى ؟ اتخذتَ ابراهيم خليلا ، وكلّمت موسى تكليما ، واصطفيت نوحا ، وأعطيت سليمان ملكا لا ينبغى لأحد من بعده . فقال الله تعالى : ما أعطيتك خير من ذلك : أعطيتك الكوثر ، وجعلت اسمك مع اسمى ينادَى به فى جوف السماء ، وجعلت الأرض طهوراً لك ولأمتك ، وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فأنت تمشى فى الناس مغفوراً لك ، ولم أصنع ذلك لأحد قبلك ، وجعلت قلوب أمتك مصاحفها ، وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لنبى غيرك » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : « ما من نبى من الأنبياء إلا وقد أعطى من الآيات ما مثلُه آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيتُ وحيا أوحى الىّ اللهُ ، وأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : « إن الله فضّل محمدا عليه السلام على أهل السماء وعلى الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم ، قالوا : فما فضله على أهل السماء ؟ قال :

إن الله تعالى قال لأهل السماء : « ومَن يقلْ منهم إنى إله مِن دونه فذلك نَجْزيه جهنم كذلك نَجزى الظالمين » ، وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتمَّ نعمته عليك ويهديَك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصرا عزيزا » ، قالوا : فما فضله على الأنبياء ؟ قال : إن الله تعالى قال : «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم » وقال لمحمد : « وما أرسلناك إلا كافة للناس » .

هذه بعض النواحى التى فضل بها الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم على إخوانه الأنبياء والمرسلين . وإن درجات الفضل والتكريم الممكنة للإنسان لا تقف عند محيط هذه الدائرة التى ورد بها ما روينا من الأحاديث ، واستقرت فى نفوس المؤمنين بفضل الله العظيم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وما نسبة هذه المزايا الى ما وراءها من مراتب الكمال إلا كنسبة الرذاذ الى الغيث الكثير ، أو الوشل الى البحر الواسع الكبير . وإذا كانت قلوب المؤمنين مفعمة بمكانة محمد عند ربه فإن من السهل عليها أن تؤمن بما قصه الله علينا من ذلك فى حادث الإسراء « سُبْحانَ الذى أسرَى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصَى الذى باركنا حوله لنُرِيَه من آياتنا إنه هو السميع البصير » .

لم يكن حادث الإسراء إلا نوعا من أنواع التكريم ، ووسيلة من وسائل التثبيت ، تجلى به سبحانه وتعالى على نبيه الذى أرسله بالهدى ودين الحق ، ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، وليقرع قلوبهم بكلمة التوحيد الخالص من شوائب الشرك والوثنية ، وليحوّل العالم من مجرى المادة التى تطغى على سعادة الانسان الى مجرى الروح التى تنهض به الى الأفق الأعلى من مستوى الانسانية .

تجلى به سبحانه على نبيه فثبت فؤاده وشرح صدره ، ورفع ذكره ، وأسبغ عليه من بحار الفيض والإمداد ما تمكن به فى لحظات قليلة أن يكشف كثيرا من آيات

الله وعجائبه فى أرضه وسمائه . أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، وعرج به الى سدرة المنتهى الى حيث شاء رب العزة والملكوت (والأرضُ جميعاً قَبْضَتُهُ يوم القيامة والسموات مَطْوِيّات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) .

نعمة فذة لم تعرف لغيره صلى الله عليه وسلم من الأنبياء والمرسلين ، دلت على عناية الله برسوله وتكريمه إياه ، وتقريبه لجانبه ، حتى كان فى ملئه الأعلى قاب قوسين أو أدنى (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ، وسبح بحمد ربك حين تقوم ، ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم) .

نعمة لا يعزب عن القلوب جلالها ، ولا يجف من الأذهان مدادها ، فهى على الدوام شاخصة لقلوب المؤمنين ، ماثلة فى أذهانهم ، بها يعرفون أن الله أكمل تربية نبيهم ، وأعد قواه النفسية والعقلية والجسمية لتحمل أعباء الرسالة العامة ، ومتاعب الهجرة ومشاق الجهاد فى سبيل الله « أدّبنى ربى فأحسن تأديبى » (ولولا أنْ ثَبّتناك لقد كِدْتَ تَرْكَنُ إليهم شيئاً قليلا) .

الإسراء فضل وتكريم ونعمة . الاسراء شأن من شئون الله مع نبيه الذى صنعه بيده وحاكه بحكمته . فلنؤمن به كما أخبر الله ، ولا نسأل أكان بالجسم أم بالروح ، أكان فى اليقظة أم فى المنام ؟ ولا كيف انتقل ولا كيف ارتفع ، فالفيض غزير والاستعداد تام (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) (ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) .

وإذا كان للمؤمنين أن ينتفعوا بذكرى الإسراء ، فليذكروا بها فضل الله على نبيه الذى جاهد فى تثبيت هذا الدين ونشره ، والعمل على إسعاد الانسانية به ، وينتهجوا خطته فى ذلك حتى يكونوا من المؤمنين حقاً بهذا الفضل ، وحتى يحوزوا رضاء الله وإسعاده . وليذكروا بها أن الله فرض عليهم فى ليلتها على لسان نبيه ، وقد ارتفع ما بينهما من حجب ، خمس صلوات فى اليوم والليلة ، بها يناجون ربهم ، وبها يشعرون

بواجب العبودية التى خلعت على نبيهم فى تلك الليلة تكريما وتشريفا . لم يفرضها كما فرض غيرها من الواجبات والأركان ، وإنما فرضها فى كوكبة من الملأ الأعلى ، وفى جذوة من الإشراق والأنوار تنويها بشأنها ورمزا لمكانتها .

وليذكروا أن الرسول الذى نال فخر الإسراء كان يحن دائما إلى مناجاة ربه والوقوف بين يديه ، حتى كان لا يجد له لذة إلا فى تلك المناجاة « وجُعلتْ قرة عينى فى الصلاة » .

وفى الحق أن الصلاة التى أمر الله بها المؤمنين طهرة للقلوب ، ومعراج للرب وإسراء إلى ساحة الفضل والإنعام . فمن شاء أن يسرى به ربه ، وأن تعرج به ملائكة الرحمة ، فليدم مناجاة ربه ، وليحسن وقوفه بين يديه (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)

محمود شلتوت
وكيل كلية الشريعة الاسلامية

اعادة الكلام

قال محمد بن صبيح المعروف بابن السماك لجاريته : كيف ترين ما أعظ به ؟

قالت : هو حسن إلا أنك تكرره .

قال : إنما أكرره ليفهمه من لم يكن فهمه .

قالت : الى أن يفهمه البطىء يثقل على سمع الذكى .

نقول إن التكرار للتعليم واجب ليستقر العلم فى العقول ، ويصل الى مظان الاقتناع من النفوس ، أما فى الخطب وفيما يتحدث فيه بين الناس ، فهو من أشد العيوب وأثقلها على القلوب .

وقد استعيد ابن عباس حديثا فقال : لولا أنى أخاف أن أغض من بهائه ، وأريق من مائه ، وأخلق من جدة روائه ، لأعدته .

نقول : لو صحت هذه الرواية عن ابن عباس فلا نشك فى أن حديثه لم يكن تعليميا وإلا لوجبت عليه إعادته ، وخاصة إذا طلب اليه ، كما هى الحال عند الناس أجمعين فى جميع العصور .

الاسلام والفلسفة

— ٥ —

لعلك تذكر أننا تناولنا فى الفصل الأخير من هذه السلسلة الحديثَ عن فلسفة الفارابى فأتينا معك على الجزء الخاص منها بإثبات وجود واجب الوجود ، ووعدناك بأن نتمم لك الحديث عن فلسفة هذا الفيلسوف الكبير الذى بلغ من إعجاب ابن سينا به أن أطلق عليه اسم « المعلم الثانى » مقابلة لتسميته أرسطو « بالمعلم الأول » ، ولكن شواغل الحياة قد عاقتنا عن الإيفاء بوعدنا كل هذا الوقت الطويل فمعذرة .

والآن اليك نظرية العقول العشرة التى كانت منشأ شهرة الفارابى ، ومأتى ذيوع اسمه فى مشارق الأرض ومغاربها :

يرى الفارابى أن الكائنات الموجودةَ فى الكون تتفاوت فى المراتب ودرجات الكمال ، فمن أكمل الى كامل الى أقل كمالا حتى تصل هذه السلسلة الى الجرثومة أو الذرة التى لا تقبل الانقسام الفعلى . ولما كان الله مؤثرا فى السلسلة جميعها ، ولما كانت هذه السلسلة تنقسم الى قسمين : علوى وسفلى ، ولما كان تأثير الله جل شأنه فى القسم العلوى تأثيرا تنازليا ، فقد وجب علينا أن نتبين ترتيب حلقاتها بالنسبة الى هذا الاتصال التأثرى فى القسم العلوى ، وهو على النحو الآتى :

خلق واجب الوجود العقل الأول أو الموجود الثانى ، وهو جوهر محض ليس متصلا بالمادة التى من شأنها أن تحد ميزة التعقل الكامل الذى هو من شأن الجواهر المحضة . ولذا كان خلوص هذا العقل الأول أو الجوهر المحض من المادة علة فى أن يدرك ذاته وأن يعقل واجب الوجود ويتصل به اتصال استعانة واستمداد ، فمن اتصاله بواجب الوجود نشأ العقل الثانى أو الموجود الثالث ، ومن تعقله ذاته

وتجوهره فى نفسه نشأت السماء الأولى أو الفلك المحيط . والعقل الثانى هو كذلك جوهر محض مثل الأول فى جوهريته ، فهو كذلك يعقل البارى ويتصل به ويعقل ذاته . وعن إدراكه البارى واتصاله به نشأ العقل الثالث أو الموجود الرابع . وعن تعقله ذاته وتجوهره فى نفسه نشأت كرة الكواكب الثابتة . وهكذا بقية العقول لكل عقل منها جهتان مختلفتان ينشأ عن كل منهما أثر يغاير الآخر ، فكما نشأ عن العقل الأول العقل الثانى والفلك المحيط ، وعن العقل الثانى العقل الثالث وكرة الكواكب الثابتة ، كذلك نشأ عن الثالث الرابع وزحل ، وعن الرابع الخامس والمشترى ، وعن الخامس السادس والمريخ ، وعن السادس السابع والشمس ، وعن السابع الثامن والزهرة ، وعن الثامن التاسع وعطارد ، وعن التاسع العاشر والقمر . وهذا العقل العاشر وإن كان جوهرا محضا يتصل بواجب الوجود إلا أنه لا ينشأ عنه عقل آخر ، لأنه تنتهى اليه هذه الموجودات الفلكية .

وقد اعتبر الفارابى واجب الوجود على رأس هذه السلسلة وسماه الموجود الأول ، وهو لهذا سمى العقل الأول بالموجود الثانى ، والعقل الثانى بالموجود الثالث ، وهلم جرا الى أن أطلق على العقل العاشر اسم الموجود الحادى عشر . وكل هذه العقول ، على حد تعبير الفارابى المضطرب المتناقض مع مذهبه ، مخلوقة لله ، الأول بطريقة مباشرة ، والتسعة الباقية كلٌّ بوساطة ما قبله ، وهى فى مرتبة واحدة ، وتوضع فى أعلى درجات الموجودات أى فى الدرجة الثانية بعد درجة واجب الوجود . وهو يرى أنها أزلية ، وأنها صدرت عن البارى صدور المعلول عن علته ، وهذا الرأى يكفره بلا شك فى نظر الاسلام ، لأن المعلول يصدر عن علته اضطرارا دون تصرف منها ولا إرادة كما يصدر الضوء عن الشمس ، والحرارة عن النار دون أن تملك هذه أو تلك منع أثرها أو تأخيره لحظة واحدة .

وهذا الرأى فضلا عن أنه مخالف لأصول كل الديانات السماوية هو سخيف من

الناحية الفلسفية ، لأنه يستلزم إلغاء الإرادة الإلهية ، ومتى ألغيت هـذه الإرادة تبعتها الحكمة والتدبير اللذان هما عنصرا كل ما فى هذا الكون من نظام واتساق ، واللذان لولاهما لكان العالم سائراً يتخبط تبعا للمصادفات الرعناء . وهـذا لا يتصوره عقل عاقل بعد مشاهدة هذا الإبداع الحكيم فى كل جزئية من جزئيات العالم ، إلا إذا تصور أنه إذا وضع كمية من الأحرف الحديدية فى علبـة ثم أقفلها وهزها ردحا من الزمن وفتحها يجدها قد كونت من نفسها مقالة ليست منظمة الكلمات والجمل فحسب ، بل راقية الأسلوب ، عالية العبارة ، سامية المرامى والأغراض . فإذا كان فى الكون من يتصور هـذا جاز أن يكون هناك من يستسيغ عقله أن يكون هـذا العالم البديع قد صدر عن البارى صدور المعلول عن علته بلا إرادة ولا اختيار . وهذا القول بأزلية العالم ومعلوليته للبارى اضطرارا هو أهم الآراء التى رمى الإمام الغزالى من أجلها الفارابى وابن سينا بالكفر والزندقـة كما صرح بذلك فى كتابى « التهافت » « والمنقذ من الضلال » .(١)

على أنى لا أدرى كيف يسمى الفارابى البارى بالمنشئ أو الخالق أو المبدع ، وهو يعتبره علة لا إرادة له ولا اختيار فى هذا الانشاء ، بل هو لم يخلق شيئا ، لأن الخالق هو الموجد من العدم ، وهـذا الإيجاد فى رأيه لم يحدث ، فهو وكل من نحا نحوه من فلاسفة الاسلام إذاً فى هذه النقطة متناقضون مضطربون .

ويرى الامام الغزالى أن فى تصريح الفارابى وابن سينا ومن نحا نحوهما من الفلاسفة بأن العالم مخلوق لله مع قولهم بأزليته وصـدوره عنه صدور المعلول عن علته ، تلبيسا وتمويها منهم على العقول ، لأن الخلق لا يتفق مع الصدور بدون إرادة ، وهو لهذا يناقشهم فى تلك المغالطة مناقشة قيمة نحب أن نوقفكم على طرف منها تحقيقا للغاية المرجـوة . وها كم شيئا من هـذه المناقشة :

(١) راجع صفحة ٢٤ وما بعدها من الكتاب الأول ، وصفحة ١٤ من الكتاب الثانى .

« (مسألة) فى بيان تلبيسهم بقولهم : إن الله فاعل العالم وصانعه ، وإن العالم فعله وصنعه ، وبيان أن ذلك مجاز عندهم وليس بحقيقة . وقد اتفقت الفلاسفة سوى الدهرية على أن للعالم صانعا ، وأن الله تعالى هو صانع العالم وفاعله ، وأن العالم فعله وصنعه ، وهذا تلبيس على أصلهم أن يكون العالم من صنع الله تعالى من ثلاثة أوجه : وجه فى الفاعل ، ووجه فى الفعل ، ووجه فى نسبة مشتركة بين الفعل والفاعل . أما الذى فى الفاعل ، فهو أنه لا بد وأن يكون مريدا مختاراً ، عالما بما يريد حتى يكون فاعلا لما يريده ، والله تعالى ليس مريدا ، بل لاصفة له أصلا ، ومايصدر عنه فيلزم لزوماضروريا . (والثانى) أن العالم قديم ، والفعل هو الحادث . (الثالث) أن الله تعالى واحد عندهم من كل وجه ، والعالم مركب من مختلفات فكيف يصدر عنه .

ولنحقق وجه كل واحد من هذه الوجوه الثلاثة مع خيالهم فى دفعه :

أما الأول فنقول : الفاعل عبارة عمن يصدر منه الفعل مع الارادة ، مع الفعل على سبيل الاختيار ومع العلم بالمراد . وعندهم أن العالم من الله تعالى كالمعلول من علته يلزم لزوما صدوريا لا يتصور من الله تعالى دفعه ، لزوم الظل من الشخص والنور من الشمس ، وليس هذا من الفعل فى شىء ، بل من قال إن السراج يفعل الضوء ، والشخص يفعل الظل ، فقد جازف وتوسع فى التجوز توسعا خارجا عن الحد واستعار اللفظ اكتفاء بوقوع المشاركة بين المستعار له والمستعار عنه فى وصف واحد ، وهو أن الفاعل سبب على الجملة ، والسراج والشمس سبب النور ولكن الفاعل لم يسم فاعلا صانعا بمجرد كونه سببا ، بل بكونه سببا على وجه مخصوص وهو وقوع الفعل منه على وجه الإرادة والاختيار حتى لوقال القائل : الجدار ليس بفاعل ، والحجر ليس بفاعل ، والجماد ليس بفاعل ، وإنما الفعل للحيوان ، لم ينكر عليه فى ذلك ، ولم يكن فى قوله كاذبا ، وللحجر عندهم فعل وهو الهُوِىُّ بالثقل والميل الى المركز ، كما أن للنار فعلا وهو التسخين ، وللحائط فعلا وهو الميل الى المركز ووقوع الظل ، فإن كل ذلك صادر منه ، وهذا محال . فإن قيل

كل موجود ليس واجب الوجود بذاته ، بل هو موجود بغيره ، فإنا نسمى ذلك الشيء مفعولا ونسمى سببه فاعلا ولا نبالى كان السبب فاعلا بالطبع أو بالإرادة ، كما أنكم لا تبالون أنه كان فاعلا بآلة أو بغير آلة ، بل الفعل جنس ، وينقسم الى ما يقع بآلة والى مايقع بغير آلة فكذلك هو جنس ، وينقسم الى مايقع بالطبع والى مايقع بالاختيار ، بدليل أنا إذا قلنا : فعل بالطبع لم يكن ضدا لقولنا بالاختيار ولا دفعا ونقضا له ، بل كان بيانا لنوع الفعل ، كما إذا قلنا : فعل مباشرة بغير آلة لم يكن نقضا ، بل كان تنويعا وبيانا . وإذا قلنا : فعل بالاختيار لم يكن تكرارا مثل قولنا : حيوان إنسان ، بل كان بيانا لنوع الفعل ، كقولنا : فعل بآلة . ولوكان قولنا : فعل يتضمن الارادة ، وكانت الارادة ذاتية للفعل من حيث إنه فعل لكان قولنا : فعل بالطبع متناقضا ، كقولنا : فعل وما فعل ، قلنا هذه التسمية فاسدة ، فلايجوز أن يسمى كل سبب بأى وجه كان فاعلا ، ولا كل مسبب مفعولا ، ولو كان كذلك لما صح أن يقال : الجماد لا فعل له ، وإنما الفعل للحيوان . وهذه من الكلمات المشهورة الصادقة ، فان سمى الجماد فاعلا فبالاستعارة ، كما قد يسمى طالبا مريدا على سبيل المجاز ، إذ يقال : الحجر يهوى لأنه يريد المركز ويطلبه ، والطلب والارادة حقيقة لاتتصور إلا مع العلم بالمراد المطلوب ولا تتصور إلا من الحيوان . وأما قولكم : إن قولنا : فعل ، عام ، وينقسم الى ما هو بالطبع والى ما هو بالارادة ، فغير مسلم ، وهو كقول القائل قولنا : أراد ، عام ، وينقسم الى من يريد مع العلم بالمراد ، والى من يريد ولا يعلم ما يريد ، وهو فاسد ، إذ الارادة تتضمن العلم بالضرورة ، فكذلك الفعل يتضمن الارادة بالضرورة .

وأما قولكم : إن قولنا : فعل بالطبع ليس بنقض للأول ، فليس كذلك ، فإنه نقض له من حيث الحقيقة ، ولكن لايسبق إلى الفهم التناقض ولا يشتد نفور الطبع عنه ، لأنه يبقى مجازا ، فإنه لما أن كان سببا بوجه ما ، والفاعل أيضا سبب سمى فعلا مجازا . وإذا قال : فعل بالاختيار فهو تكرير على التحقيق ، كقوله : أراد وهو عالم بما

أراده ، إلا أنه لما تصور أن يقال : فعل ، وهو مجاز ، ويقال : فعل ، وهو حقيقة ، لم تنفر النفس عن قوله : فعل بالاختيار وكان معناه : فعل فعلا حقيقيا لا مجازيا كقول القائل : تكلم بلسانه ونظر بعينه ، فإنه لما جاز أن يستعمل النظر فى القلب مجازا ، والكلام فى تحريك الرأس واليد حتى يقال : قال برأسه : أى نعم ، لم يستقبح أن يقال : قال بلسانه ونظر بعينه ، ويكون معناه نفى احتمال المجاز ، فهذا مزلة القدم ، فليتنبه لمحل انخداع هؤلاء الأغبياء . فإن قيل : تسمية الفاعل فاعلا إنما تعرف من اللغة ، وإلا فقد ظهر فى العقل أن ما يكون سببا للشىء ينقسم إلى ما يكون مريدا والى ما لا يكون مريدا ، ووقع النزاع فى أن اسم الفاعل على كلا القسمين حقيقة أم لا ، ولا سبيل إلى إنكاره ، إذ العرب تقول : النار تحرق ، والسيف يقطع ، والثلج يبرد ، والسقمونيا تسهل ، والخبز يشبع ، والماء يروى . وقولنا : يضرب ، معناه يفعل الضرب وقولنا تحرق ، معناه تفعل الإحراق . وقولنا : يقطع ، معناه يفعل القطع . وإن قلتم إن كل ذلك مجاز ، كنتم متحكمين فيه من غير مستند . والجواب أن ذلك بطريق المجاز ، وإنما الفعل الحقيقى ما يكون بالإرادة . والدليل عليه أنا لو فرضنا حادثا توقف فى حصوله على أمرين أحدهما إرادى والآخرى غير إرادى ، أضاف العقل الفعل إلى الإرادى ، وكذا اللغة ، فإن من ألقى إنسانا فى نار فمات يقال : هو القاتل دون النار ، حتى إذا قيل : ما قتله إلا فلان صدق قائله . وإن كان اسم الفاعل على المريد وغير المريد على وجه واحد لا بطريق كون أحدهما أصلا وكون الآخر مستعارا منه ، فلم يضف القتل إلى المريد لغة وعرفا وعقلا مع أن النار هى العلة القريبة فى القتل ، وكأن الملقى لم يتعاط إلا الجمع بينه وبين النار ، ولكن لما كان الجمع بينه وبين النار بالارادة ، وتأثير النار بغير إرادة ، سمى قاتلا ، ولم تسم النار قاتلا إلا بنوع من الاستعارة ، فدل أن الفاعل من يصدر الفعل عن إرادته . وإذا لم يكن مريدا عندهم ولا مختار الفعل لم يكن صانعا ولا فاعلا إلا مجازا » .

أحسب أنه بعد هذا النموذج الذى قدمته لكم ، لا نزاع فى أن الامام الغزالى قد وفق إلى دمغ هذا التمويه وكشف خباياه ، أو إلى لفت الباحثين إلى ما فى هذه النقطة عند فلاسفة الاسلام من التناقض والاضطراب إن كانوا أبرياء من التمويه والتلبيس .

هـذا ، وسنعود فنتمم لك نواحى فلسفة هـذا الفيلسوف ، مناقشين ما يستحق المناقشة منها ، وموعدنا المقال المقبل ؟

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

وصف عمرو بن عبيد للبلاغة

قيل لعمرو بن عبيد الواعظ المشهور ، والخطيب المنوه : ما البلاغة ؟

قال : ما بلغك الجنة ، وعدل بك عن النار .

قال السائل : ليس هذا أريد .

قال عمرو : فما بصرك مواضع رشدك ، وعواقب غيك .

قال السائل : ليس هذا أريد .

قال عمرو : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يسمع ، ومن لم يحسن أن يسمع لم يحسن أن يسأل ، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يقول .

قال السائل : ليس هـذا أريد . قال عمرو : قال النبى صلى الله عليه وسلم إنا معشر بكا (بكسر الباء أى قليلو الكلام وهو جمع بكى بوزن ولى) .

قال السائل : ليس هذا أريد . قال عمرو : فكأنك تريد تخيير الألفاظ فى أحسن إفهام .

قال السائل : نعم .

قال عمرو : إنك إن أردت تقرير حجة الله فى عقول المتكلمين ، وتخفيف المؤنة على المستحقين ، وتزيين المعانى فى قلوب المستفهمين ، بالألفاظ الحسنة رغبة فى استجابتهم ، ونفى الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الناطقة عن الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت فصل الخطاب .

شهر الصيام

في اليوم الخامس عشر من شهر نوفمبر الراهن ينير الآفاق هلال شهر رمضان الذى أكرمه الله بأن أنزل فيه القرآن ، هذا الفيض الربانى الذى ملأ طباق الأرض علما وحكمة ، وعم العالم عدلا ومساواة ورحمة .

فرض الله على المسلمين أن يصوموا هذا الشهر الكريم فى آيات بينات من كتابه العزيز ، فقال تعالى : « يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية : طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ، ولعلكم تشكرون »

مهد الله تعالى لهذه الفريضة ، تفضلامنه وتطييبا للنفوس وترغيبا لها ، بأن الصوم قد فرض على جميع الامم من لدن آدم الى خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم . وقرن ذلك بذكر الحكمة من إيجابه ، فقال : « لعلكم تتقون » . وتقوى القلوب كما لا يخفى مطلب عزيز ، تحن النفوس اليه ، فانها رأس الحكمة ، ومشكاة الحياة الفاضلة ، وينبوع الاشراقات الالهية ، ومطمأن النفس البشرية ، من وصل اليها فقد وصل الى أصل كل خير ، وسبب كل نعمة مادية وأدبية . فاذا كان الصوم من العوامل التى تؤدى الى هذه الفضيلة السامية وهى التقوى ، وجب أن يعنى المؤمنون بشانه ، وأن يهتموا بأمره ، وأن يقوموا بحقه ، ويؤدوه على وجهه .

أما أن الصوم كان مفروضا على جميع الأمم ، فقد أظهرته البحوث الاستقرائية للأديان فى هذه العصور المتأخرة ، وقد كان الناس عند نزول القرآن لا يعرفون من تاريخ العالم إلا ما كان بينهم وبينه اتصال ، وكانت أكثر أقطار الأرض مجهولة لديهم ، فتصريح القرآن بأن الصيام كان مفروضا على الامم السابقة كافة ، فيه إعجاز علمى ظاهر ليس يخفى على أحد .

فالمصريون القدماء ، وهم والصينيون والهنود يعتبرون أقدم الأمم وجودا ، كانوا يصومون فى جميع أعيادهم ، وكان قساوستهم يصومون من سبعة أيام الى ستة أسابيع .

والصينيون كانوا يقومون بالصيام تعبدا ، ويوجبونه على أنفسهم تحفظا من شرور الفتن .

وقد علم أن البراهمة كانوا ولا يزالون من أشد الأمم مراعاة للصيام .

أما اليونانيون القدماء والرومانيون فقد كانوا كغيرهم يعتدون بأمر الصيام ، ويأتونه دفعا للنكبات الاجتماعية .

تلطيف الاسلام للشدة المتوقعة من الصوم :

إن من الناس من يتفق أن يكون مريضا فى شهر رمضان أو أن يكون على سفر ، والسفر قطعة من العذاب ، ومن الناس من يكون هرما يضره الامساك عن الطعام ، ومن النساء من تكون طامثا أو نفساء ، فاقتضت حكمة الله ورحمته أن يخفف وطأة الصيام عن هؤلاء فقال تعالى : « فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية ، طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

أى أن من كان مريضا أو مسافرا فعليه أن يفطر أيام مرضه أو سفره ، ويصوم بدلها أياما أخرى فى غير رمضان فى حال صحته .

قال العلماء هذا على سبيل الرخصة ، ولكن داود الظاهرى خالفهم وقال هذا على سبيل الوجوب . وقد تابع فى ذلك رأى أبى هريرة .

قال الله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية » ، أى على الذين يطيقون أن يصوموا وليس بهم بأس من مرض ولا هرم ولا أى عارض آخر ، أن يكفروا عن إفطارهم بفدية وهى طعام مسكين كل يوم . وقد كان ذلك فى أول فرض الصيام ، جريا على الحكمة العالية التى اتبعها الاسلام وهى عدم مفاجأة النفوس بالتكاليف ، ولكن بالتدرج فيها حتى تألفها ، ثم نسخ سبحانه وتعالى هذا الحكم وأوجب الصيام على الكافة إيجابا لا هوادة فيه ، وذلك بقوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

وقوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ، المراد أنه ابتدىء فيه إنزاله ، لأن القرآن الكريم أنزل منجما لادفعة واحدة ، هداية للناس الى أشرف غايات الحياة ، وأكمل حالات الوجود ، وتفرقة لهم بين الحق والباطل بما أودعه من مميزاتهما ، بحيث يرتفع الاشتباه فيهما ، ليعرف الانسان أنه على الحق عن بينة ، وأنه صائر حتما الى أكرم النهايات .

وقوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، أى أنه تعالى لايريد أن يعنتكم ، ولا أن يشق عليكم ، ولذلك رخص لمن كان مريضا ومن فى حكمه من هرم أو طمث أو نفاس أن يفطر .

ومن يتتبع تاريخ الصيام لدى الأمم السابقة يعرف أن الاسلام قد خفف من الصيام الى الحد الذى ليس بعده مرمى ، فانه حذف جميع ما لا فائدة فيه من التشديدات العقيمة ، وحفظ

مالابد من حفظه منه ، بحيث يكون خيرا محضا تأتيه النفوس مختارة ، وتودعه آسفة ، كما هو حال المسلمين فى جميع أقطار الأرض .

أما ما روى عن بعض الأمم من التشديد فيه ، فانه يجعل الصيام منفرا للنفوس ، ويقلبه ضارا بصحة الجسم والعقل معا . ولا نشك فى أن كل ذلك من وضع رؤساء الاديان لا وحيا من الحق سبحانه وتعالى . فقد عرف عن البراهمة أنهم لا يعفون من الصيام الشيوخ الفانين ولا المرضى أيضا .

وفى الهند طائفة تدعى باليوغيين عرفوا بقمع النفس وكسر شرتها بالأعمال الشاقة . وهؤلاء يصومون من عشرة أيام الى خمسة عشر يوما لا يذوقون فى خلالها إلا صبابات من الماء .

وأهل التبت من الصينيين يمتنعون عن الطعام أربعا وعشرين ساعة متوالية ، لا يذوقون فيها شيئا ، حتى ولا يسمح لهم بابتلاع ريقهم فيها .

وقد يمد بعضهم هذا الصوم الى ثلاثة أيام لا يفطرون فيها كل أربع وعشرين ساعة إلا على قدح من الشاى .

فهذه التشديدات لا يقرها الاسلام ولا يسمح بها ، حتى ولو أوجبها إنسان على نفسه ، لسوء أثرها عليه وعلى غيره . لذلك اقتضت حكمته عز وجل أن يجعل الاسلام يسرا كله، علما منه أن أنجع وسائل التاثير فى النفوس ما تقوم به عن رغبة واشتياق ، وأن نتيجة الشدة عليها الانتهاء الى عكس ما يراد منها . وقد أشار الله الى ذلك بقوله : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون »

ثمرة الصيام جسديا وروحيا .

الاسلام فى كل ما كلف به الانسان جمع بين فائدتى جسمه وروحه معا . فاما حظ الروح من الصيام فما لا يحتاج لبيان ، فان الصائم مكلف بمراعاة آداب عالية كغض البصر عن المذمومات والمكروهات ، ومثيرات الشهوات، وكحفظ اللسان من اللغو والغيبة والمراء، وصرف السمع عن كل ما لا يليق أن يسمع من المكروهات ، وكف سائر الجوارح عن كل ماهو حرام أو مذموم من الاحوال .

فهذه الحالة الفاضلة فى سيرة الانسان ، مدة شهر من الزمان ، تفتح للنفس منفذا الى عالم التقديس ، وتعرضه للنفحات الالهية ، فيكتسب قوة على مقاومة دواعى الشهوات ، ومكافحة عوامل المغريات . فلا يخرج من شهر رمضان إلاوقد اكتسب روحا جديدة إذا كانت لا تكفى أن تقيمه على الصراط ، دفعت به اليه ، وبتوالى السنين يستقيم عليه ، ويصبح واحدا من أهل الاتجاه الصحيح للغايات البعيدة ، التى أعدها الله لهذا الانسان .

أما فائدة الصيام الجسدية للانسان فقد أصبحت من البداهات العلمية التى لا يختلف فيها عاقلان .

ذلك أنه قد ثبت أن أكثر ما يؤتى الانسان فى صحته يكون من ناحية التسمات الغذائية . التى يعبر عنها طبيا بالتسمم الذاتى وهو يحدث من سببين أولهما الافراط فى التغذى ، وثانيهما وجود أملاح ضارة بالبنية فى بعض صنوف الطعام . فالانسان العادى يسير فى أمر تغذيه على مانشا عليه : يتعاطى كل مايقدم اليه بدون أن يعين له مقدارا أو أن ينظر فى نوعه وفى مقدار الاملاح التى فيه ، فتصيبه من جراء ذلك أمراض بنيية شديدة الوطأة قد يلتوى علاج بعضها على الأطباء .

فالمخلص من كل هذه الاخطار ينحصر فى عدم الافراط فى التغذى ، وفى إراحة المعدة مدة تستطيع فيها أن تستعيد قوتها ونشاطها فى هضم الأغذية ، وتجد البنية وقتا لتصريف ما تراكم فيها من السموم .

فاما التوسط فى الطعام ، فقد أمر به الله تعالى فى قوله : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين » .

وأما إراحة المعدة ، فاحسن ما يكون بالصوم . فان الصائم مضطر أن يبقى نحو خمس عشرة ساعة متوالية ممتنعا عن القاء شىء الى معدته . فهذه الحمية فى مدى ثلاثين يوما تكفى لتصريف سموم البنية وإيتاء المعدة بفترة من الراحة هى فى أشد الحاجة اليها . وإنما كانت أمراض القلب غير قابلة للشفاء لأنه لا سبيل له الى الوقوف عن العمل مدة تكفى لاصلاح ما فسد منه .

كل هذه الفوائد يمكن الحصول عليها على شرط أن يتبع الانسان فى صيامه تعاليم الدين ، من القيام على سمت الأتقياء فى أخلاقه وآدابه ، وعدم الاسراف فى مأكله ومشربه ، واتباع فعل النبي صلى الله عليه وسلم فيهما ، وهو من صميم قانون الصحة . فقد سن أن يعجل الافطار ، وأن يتلطف فيه ، وأن ينام فى موعد النوم ، ويؤخر السحور ما استطاع الى قبيل الفجر .

وقد هدى الأطباء أخيرا الى ما فى الصوم من فائدة عظيمة فى دفع الأمراض ، وإعادة توازن القوى الحيوية ، فقرروا التعويل عليه فى حالات لا يغنى فيها سواه ، وقد عملت فى هذا الموضوع بحوث ، ووضعت مؤلفات ، وأسست لها مصحات فى أكبر عواصم الأرض .

محمد فريد وجدى

باب الأسئلة والفتاوى

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الازهر الاسئلة الآتية :

فى الرضاع

جدة أرضعت ابنا لابنها ، وبنتا لابنها الآخر ، فى مدة الرضاع الشرعية رضعات متعددات ، والجدة المذكورة توفى عنها زوجها قبل هذه الرضاعة بنحو عشرين سنة ، وكان مع ذلك ينزل من ثديها لبن يتغذى منه الطفل .

فهل يجوز زواجهما على أى مذهب من المذاهب الأربعة مع بيان وجهة كل مذهب ؟

أحمد الحلو

الجواب :

متى رضع صبي وصبية من ثدى امرأة فى مدة الرضاع الشرعية خمس رضعات متفرقات ، حرم تزوج أحدهما الآخر باتفاق المذاهب الاربعة ، أما إن كانت الرضعات أقل من خمس ففيها خلاف المذاهب : فالشافعية والحنابلة لا يرون هذا الرضاع محرما ، والمالكية والحنفية يرون التحريم ، وإن كانت خمسا غير متفرقات بأن كان الزمن بينهما متقاربا حتى تعد الرضعة التالية فى العرف مكملة لما قبلها ، فالشافعية لا يرون التحريم ، والحنابلة يرون التحريم .

وتقادم عهد الولادة لا يجعل الرضاع غير محرم ، والله أعلم ؟

فى الميراث

ماتت امرأة عن بنتين من عمة ، وثلاث بنات وابنين من عمة أخرى ، وبنت وابنين من خالة ، فكيف توزع تركتها ؟

موسى نصار

الجواب :

الثلثان لأولاد العمتين ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، إن كانت كلتا العمتين متساويتين فى قوة القرابة للميت ، بأن كانتا عمتين لأب وأم ، أو لأب فقط ، أو لأم فقط .

أما إذا كانت إحداها أقوى قرابة للميت من الاخرى ، فالثلثان لأولاد الاقوى قرابة منهما ، للذكر مثل حظ الأنثيين كذلك ، والثلث الباقى على كل حال لأولاد الخالة ، للذكر مثل حظ الأنثيين أيضا .

وهذا كله على مذهب الحنفية . والله أعلم ؟

* * *

رجل توفى عن أمه ، وعن جده لأبيه ، وعن أختين شقيقتين ، فما نصيب كل منهم فى تركة المتوفى ؟

والفتوى تكون على المذاهب الأربعة .

مصطفى الطيب

الجواب :

للأم السدس باتفاق ، أما الباقى فهو للجد أب الأب ، ولا شىء للأختين فى هذه الحادثة عند أبى حنيفة ، ويرى أبو يوسف ومحمد ومالك والشافعى وأحمد أن يقسم الباقى بعد نصيب الأم نصفين ، نصف للجد ، والنصف الآخر للأختين الشقيقتين ، يقسم بينهما بالسوية ، والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

حكم منثورة

قال الحسن البصرى رضى الله عنه : « اقدعوا هذه النفوس فانها طلعة ، وحادثوها بالذكر فانها سريعة الدثور فانكم إلا ترعوها تنزع بكم الى شر غاية .

قال ابن عبد ربه الذى تنقل عن عقده الفريد هذه الحكمة : « يقول حادثوها بالحكمة كما يحادث السيف بالصقال ، فانها سريعة الدثور يريد الصدأ الذى يعرض للسيف ، واقدعوها من قدعت أنف الجمل إذا دفعته ، فانها طلعة يريد متطلعة الى الأشياء .

وقال ازدشير بن بابك : « إن للآذان مجة ، وللقلوب مللا ، ففرقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماما .

الاسلام والطب الحديث

بحـوث دينية علمية

١١

« أَلَا إنهم يَثْنُون صُدورَهم لِيستَخفُوا منه ، أَلَا حِين يَستَغْشُون ثيابَهم يعلم مايُسِرُّون وما يُعلنون ، إنه عليم بذات الصدور » :

هذه الآية سهلة الفهم بعد ما تقدمت علوم النفس والتنويم المغنطيسى وغيرها . وظهر جليا أن كل فكرة يقابلها تغيير كيماوى فى الخلايا المخية ، وكما أنه لا حركة فى الأرجل دون أن يحصل انقباض العضلات ، كذلك لا يمكن أن يفكر الانسان دون أن تحصل تغييرات فى خلايا المخ . وليس هذا هو الذى يحصل فقط ، بل إن هذه التغيرات تبقى مسجلة فى المخ الباطنى ، ومن الممكن أن يتذكرها الشخص بعد مدة طويلة تحت تأثيرات مخصوصة ، كالانفعالات العصبية أو التنويم المغنطيسى وغيرها ، ولو نسيها الشخص تمام النسيان .

وقد اكتشفت أخيرا أجهزة كهربائية يمكن بها معرفة حالة بعض الخلايا المخية إذا كانت فى حالة هدوء أو حالة انشغال . وقد ترتقى العلوم أكثر من ذلك . هذا حال الانسان مع جهله .

والله سبحانه وتعالى يعلم كل ما يجول فى مخ الانسان ، وكل ما جال فى مخه ، وهو تعالى أعلم بها من الانسان نفسه لأنه عرضة للنسيان .

* * *

« وَياقَومِ استغفروا ربَّكم ثم توبوا إليه يُرسلِ السماء عليكم مِدْرَاراً ويَزِدْكم قُوةً إلى قوّتكم ولا تتولَّوْا مجرِمينَ » :

سأتكلم عن هذه الآية الكريمة بإيضاح مع آيات أخر تتعلق بالدعاء ، كقوله

تعالى : « أدعونى أستجبْ لكم » و « إن الله لا يُغيّر ما بقوم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم » و « إذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أُجيبُ دعوة الداع إذا دعانِ » و « ولئن شكرتم لأزيدنّكم » وفى الحديث « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ... » الخ .

هذه الآيات الكريمة كلها من نوع واحد ، وهى تنظم علاقات العبد بالخالق ، وبما أن الدعاء فى كل الأزمان والأديان كان يستعمل لشفاء الأمراض وغيرها ، فله علاقة بالطب من قديم .

والدعاء هو من السنن الطبيعية ، ولكنه مع ذلك ليس من السنن التى يمكن تجربتها آلاف المرات ، وبدقة : مثل الأشياء المادية ، لأن له علاقة بالخالق ، ولأنه يدخل فى علم الغيب من النوع الثانى ، مثل بدء الخلق والآخرة ، كما سبق لنا تفسيره ، مما لا نعرف منه شيئا ، بل لا يمكننا معرفة شىء منه إلا بالقدر الذى يخبرنا به الخالق .

وهذه السنن مثل السنن الطبيعية المادية لا تتبدل أبدا ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ولكن المشاهَد هو أن الدعاء لا يجاب إلا نادرا ، بخلاف السنن الطبيعية المتعلقة بالمادة ، لأننا نجد النتيجة دائما كما ننتظر ، ولو اختلفت وبحثنا عن السبب لوجدنا سببه سنة أخرى مكملة للسنة الأولى ، وهكذا . وهذا هو معنى العلوم .

وعدم إجابة الدعاء قد يكون :

١ — لأن الدعاء نفسه ، وهو سنة طبيعية ، قد يكون ضد سنة طبيعية أخرى موجودة فعلا ، ولا تبديل فيها . فالشخص الذى يدعو ربه ليشفى ابنه مع أنه فارق الحياة ـ والطبيب يعرف ذلك ولكن الوالد يجهل ـ لا يقال إن دعاءه لم يستجب ، لأنه يدعو ضد سنة إلهية ، هى أن الميت لن يحيا بسنة طبيعية مثل الدعاء ، ولكنه يحيا بإذن الله فقط ، كما فسرناه فى المعجزات . والانسان بطبيعته لو عرف أن ابنه مات فعلا لا يستمر فى الدعاء . وكذلك من يدعو الله فى شىء تكون نتيجته معروفة محتمة من سنة طبيعية أخرى ولكن الداعى يجهلها ، ولو علمها لما دعا ربه ، فالتاجر الذى يدعو ربه

لرواج عمله لا ينتظر قبول دعوته مع استعماله للربا مثلا ، والأمة التى لا تغير ما بها من المنكرات لا تنتظر إجابة الدعوة « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » والسنن الطبيعية غير المادية لا حد لها ، ولكن الانسان لا يعلم إلا النادر منها ، وهذا هو السبب فى أن الله لم يجب نوحا عليه السلام حين دعا ربه لأن يكون ابنه معه ، لأن ابنه هذا « عَمَلٌ غيرُ صالح » ونوح عليه السلام لم يكن يعرف ذلك .

وكذلك فى خطاب نبينا عليه السلام « استغْفِرْ لهم أو لا تستغفِرْ لهم إنْ تستغفرْ لهم سبعين مرة فلن يغفرَ اللهُ لهم » لأن العذاب كان حقا عليهم ، ولو كان الدعاء ينفع فى استبعاد السنن الطبيعية أو تبديلها لنفع دعاء أفضل المخلوقات وأكرمها فى ذلك . والسبب فى هذا هو أن الدعاء سنة طبيعية كالسنن الأخرى لا تبدل غيرها ، ولكنها تكملها ، والرجل الذى يضع ابنه فى فوهة المدفع ويدعو له بطول العمر لا ينفع دعاؤه ، لأن السنة الطبيعية لا تلغى إلا بمعجزة على يد نبي ، وبإذن الله ، وفى ظروف خاصة .

٢ — وما نقوله هنا لا يفسر كل السبب فى أن أكثر الدعاء لا يجاب ، كما هو المشاهد . والحقيقة أننا نقيس دعاءنا الله بدعائنا للانسان ، فالشخص الذى يطلب شيئا من شخص آخر ، يطلب هذا الشيء ويقول : إن هذا لمصلحتى ، وأنا أدرى بها ، وإن لم تفعل ذلك فكأنك لم تجب دعائى وطلبي . ولكن دعاء الشخص لربه يختلف اختلافا كليا ، فان طلب شيئا معينا مثل شفاء ولده أو رواج بضاعته فانه يطلبه وهو يجهل المستقبل ، ولا يعلم إن كان هذا الطلب فى مصلحته ومصلحة ولده أم لا ، وقد يكون المال سببا فى ارتكابه ما يؤدي الى عذابه . وقد يكون موت ابنه خيرا له ، « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

فإذا أجاب الله دعاء الداعى فإن الإجابة قد لا تكون كما يريد الانسان وينتظر ، ولكن كما يعلم الخالق أنه خير للداعى . والدعاء لله هو تضرع وتذلل ، وهذا هو المهم

فى الموضوع ، والغرض ليس النتيجة الوقتية المطلوبة فى الدنيا ، بل هو رضاء الخالق ، والمتّقون يتركون لسيدهم فعل الصالح لهم ويكفيهم رضاؤه ، وسيان ظهرت نتيجة دعائهم فى الدنيا أم لم تظهر، لأن الغرض رضاء الخالق ، وهذا إن لم يظهر عاجلا فسيكون ظهوره آجلا فى الآخرة ، وهى الأهم . وقد لايجاب الدعاء فى مدة حياة الداعى : «وإما نُرِيَنّك بعض الذى نَعِدُهم أو نتوفّينّك فإلينا مرجعهم » الآية .

وهنا يظهر جليا أن الدعاء دائما يجاب ، وأنه حقيقة وسنة ثابتة مثل ولادة الانسان وموته ، وأن الله يجيب دعوة الداعى اذا دعاه ، ولكن فى الوقت الذى تقضى به حكمة الخالق، وليس كما يريد العبد . والدعاء هو فى الحقيقة طلب هداية ولو كان لشىء مخصوص، وهنا فائدته الكبرى .

والشخص الذى يدعو ربه ويعلم أنه قريب منه ، يشعر بسعادة وباطمئنان فى الدنيا، حتى لو لم يجب طلبه ، لأنه يعلم أن الله راض عنه ، وأنه هاد له ، و « من يهد الله فهو المهتد » . وهذه نتيجة عاجلة دنيوية للدعاء . فصاحب الدِّين (المتدين) يصبح فى وقت قريب مثل الفيلسوف القانع الذى لا يصل الى درجته إلا بعد التفكير العميق المضنى ، وهو لايقبل أن يستبدل بهذا الشعور كل نعيم الدنيا ، ومن هنا كانت سعادة علماء الدين حتى لو لم يجب الله طلباتهم الدنيوية ، لأنهم يعلمون أنهم مقربون حقا الى الله ، وأنهم لن يكونوا أشقياء أبدا بدعاء ربهم .

والحقيقة أن الطلبات الدنيوية الخاصة الممزوجة بالطمع مثل العلو فى الدنيا مع ما فيه من ضرر لآخرين ، تعد غير صالحة ، لأنها ضد سنة إلهية أخرى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا » الآية .

وما أحسن الدعوات العامةَ التى يتعلمها كل مسلم « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » آمين .

٣ — وكثيرا ما يقال : إذا كان كل شىء مقدرا فما فائدة الدعاء ؟ والحقيقة أن الدعاء

كما قلنا مثـل السعى للرزق ، وكل أعمـال الانسان ، وأنه سنة من السنن التى أمرنا بتصديقها ، فالانسان يسعى للرزق مع علمـه بالمقدر (وسنتكلم فى ذلك عنـد ما تجىء مناسبته) ويضع البذور فى الأرض وينتظر نتيجة نموها مع علمه بالآية الكريمة « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » . فالدعاء لايختلف أبدا عن ذلك، غير أن الانسان عرف كثيرا من القوانين الطبيعية المـادية ، وما زال يبحث فيها ، ويجرى مجدا وراء معرفتها، فإن لم ينجح الزرع بحث عن السبب ولا يمتنع عن الزراعة .

والانسان جاهل بالسنن غير المـادية ، ولم تخلق حواسه لأجلها ، ولذلك يصعب عليه فهم أسباب الفشل فى الدعاء ، وقد ييأس . ولـكن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهم أعلم الناس بهذا النوع الأخير من القوانين ، كانوا يدعون ربهم دائما مهما كانت نتيجة الدعاء .

إذا قلنا إن بذرة القمح تنتج قمحا ، فمعنى ذلك أنهـا سنة طبيعية أساسـية لإنتاج القمح ، ولـكن هناك سنن كثيرة أخرى يجب استيفاؤها قبل نجاح الزرع ، وهذه كلها مكملة للسنّة الأولى الأساسية ، وهى أن البذرة ضرورية ، فان نقص بعض هذه الشروط فان الزرع لا ينجح ، ولـكن قد يستبدل بشروط أخرى فى ظروف أخرى . وأما البذرة فانها ضرورية ، ولايمكن إلغاء هذا الشرط بأى سنة أخرى أبدا . وهكذا الحال فى السنن غير المـادية . فالدعاء شرط أساسى للإجابة ، ولـكن يجب استكمال شروط أخرى ، ولـكن الأخيرة لا يمكن أن تلغى قيمة الدعاء .

والخلاصة أنه يجب أن نستمر فى الدعاء لقضاء حاجاتنا كقانون إلهى ، وهو للمريض مثل الدواء أو الطبيب ، وسواء أظهرت فوائده أم خفيت علينا فلن يكون بدون ثمرة ؟

دكتور عبد العزيز اسماعيل

معنى الحياة وقيمتها (١)

للعلامة رودولف أوكن (Rudolf Euken) الألمانى المدرس بجامعة يينا كتاب وضعه تحت هذا العنوان ، عالج فيه فهم معنى الحياة الانسانية وتقدير قيمتها . وقد ترجم الى الفرنسية ووضع عليه نابغة هـذا العصر الفيلسوف برغسون (Bergson) الفرنسى مقدمة حافـلة بالنظرات الفلسفية العالية ، فآثرنا أن ننقله عن الفرنسية الى قراء العربية لأنه يتصل بأدق موضوع من المواضيع التى تمس فهمها الانسان ، وبذل وراءها جهدا جاهدا من يوم ولدت الفلسفة الى الآن ، غير ضانين على القراء بما يقتضيه كل مقام من شرح وبيان ومن تطبيق على أصول الاسلام .

ونحن قبل الدخول فى موضوع الكتاب ، نترجم ما كتبه الفيلسوف الكبير برغسون ، فانه فضلا عن إبانته غرض الكاتب من وضع كتابه ، أبان قيمة هذا البحث فى تقويم نفسية الانسان ، وتمييزه عن الحيوان .

مقدمة الفيلسوف برغسون :

ما معنى الحياة وما هى قيمتها ؟ يظهر لى لأول وهلة بأن الأجوبة على هذا السؤال تختلف باختلاف الناس فى قبول أو رفض وجود مثل للحياة أعلى مما ترى عليه فى الواقع . ففى الحالة الأولى يحكم بوجود نظام تجرى عليه أعمال الانسان . وفى الحالة الثانية يكتفى بمشاهدة وجود الأشياء بدون إمكان تعيين درجاتها . كما لو كان الحق يتفق والواقع .

ومع هذا فان تاريخ الفلسفة يرينا أن هذين المذهبين المتناقضين ، اللذين يعلل أحدهما وجود كل شيء بالتأثير الآلى الواقع عليه من القـوى الطبيعية وتكون نتائجه ضرورية ، ويضع ثانيهما فوق الكائنات نموذجا أو مثلا أعلى يستطاع أن يتوصل الى محاكاته يسيرا يسيرا . قلنا مع هذا فهذان المذهبان ينتهيان الى نتائج من جنس واحد . وذلك أنه من العبث الاكتفاء بالواقع ، فقد يلاحظ الانسان أن بعض الأمور الواقعية أعظم قيمة وأكمل حالا من أمور واقعية أخرى . ومن العبث كذلك الاسراف فى وضع المثل العليا ، فان هـذه المثل تبقى افتراضية محضة ما دام لا يمكن التعويل على الأمور الواقعية للوصول اليها . وقد قضت الضرورة على الانسان بأن يبحث عن أكمل الأمور الواقعية وأعلاها قـدرا لأجل أن يصبها جميعا فى القالب الجدير بها .

وبناء على هذا فأى شيء فى الأمور الواقعية أكمل من الادراك الذى هو صالح لأن يحيط بكل شيء وأن يتراجع عنه فى وقت معا ؟ إذن فالى تمجيد الحياة التاملية تنتهى جميع المدركات العقلية عن الوجود ، سواء اكتفت بالواقع أم أضافت اليه مثلا أعلى ، أو عللت كل شيء بالعمل

(1) La sens et la valeur de la vie.

الآلى للأسباب الطبيعية ، أو فسرته بالعلل الغائية . وعلى كل حال فان أى واحد من هذه التعليلات يقتضى فهما للحياة يمكن التعبير عنه . وسواء أصح هذا المذهب أم ذاك فان الحياة الانسانية لا يكون لها معنى الا على قدر ماتنفذ برنامجا تضعه هى وضعا ، أو على القليل يدركه العقل إدراكا .

ولكن ليس هذا ما يراه رودولف أوكن . فلا تصادف فى أى مكان من الكتاب الذى ستقرأه . نظرية بسيطة أو معقدة تشتمل على معنى الحياة . كذلك لا تجد نفسك فى هذا الكتاب حيال أى مثل أعلى يمكن أن ينظم الانسان سيرته على مقتضاه ، ولكن هذا الكتاب يصور لنا الجهد الذى تبذله النفس ، والنجاح الذى تصيبه فى محاولة التفوق على ما هى عليه ، موجدة أشكالا من النشاط تتدرج فى السمو ، ومرقية على الدوام المثل العليا المؤقتة باعتبار أنها أصبحت أدنى أو أضيق مما يجب أن تكون عليه .

فهذا النشاط مظهر العقل نفسه . ولم نر رجلا بلغ شاو أوكن فى فهم الحدود التى تضعها المادة فى طريقنا . كذلك لم نصادف رجلا وصل الى مداه فى معرفة الوسائل التى يستولى بها العقل على المادة ويدخلها فى دائرة سلطانه . فالرأى القائل بان العقل متدرج فى الطبيعة، وأنه هو الموجد الحقيقى للقدرة على ما يحيط به ، وانه يستمد من نفسه القوة على رفع قيمة الأشياء ورفع قيمته أيضا فى درجات متصاعدة من الروحانية ، هو الاصل الرئيسى السائد فى هذا الكتاب .

لا يمكن التفكير فى تحليل هذا الكتاب أو تلخيصه . ولكن يجب أن يتشبع الانسان تدريجيا من الآراء التى يعرضها المؤلف فيه ومن ألوان الاحساس التى تصاحبها . وفى يقينى أن القراء سيستفيدون من قراءة هذا الكتاب ، كما استفادوا من جميع كتب الأستاذ أوكن ، بسطة فى القوة الباطنية وفى الخصائص الحيوية . وأنا على ثقة أيضا من أن التاثير المباشر لهذه البسطة من القوة ستكون إظهار الصعوبات المحيطة بمسألة الحياة كما تبدو للادراك أنها وهمية باحتة ، وبان محض تقوية الحياة تكفى لتبديد جانب كبير من هذه الظلمات المحيطة بها .

جميع المفكرين الكبار قد أكثروا التساآل عن معنى الحياة ، ولكن قل من أفهمنا منهم أننا نحمل معنا ، أو بعبارة أوفى نحمل فينا ، مفتاح هذا الطلسم . وقد أشركنا بعضهم فى صميم جهودهم من هذه الناحية لذلك نحن نميل اليهم ، ولا نكتفى بالاعجاب بهم ، ولكننا نحبهم . فالى هذا القبيل الممتاز من المفكرين ينتسب رودولف أوكن .

(مجلة الأزهر) هذه مقدمة الفيلسوف الكبير برغسون وفى العدد التالى نبدأ إن شاء الله بترجمة آراء العلامة (أوكن) ونشهد القراء مجالا من أروع مجالات الفلسفة العصرية تتلاقى فيه تيارات متعاكسة من آراء ومذاهب لا نرى بدا من إيرادها تنويرا للأذهان ، وشحذا للافهام ، وترشيحا للعقول لادراك مرامى الاسلام من حقيقة معنى الحياة .؟

محمد فريد وجدى

أثر النظام الاجتماعى
فى الادب

تحدثنا فى مقالاتنا السابقة عن بيئة البداوة وأثرها فى الأدب فكرة وأسلوبا ، وهى بيئة لا تلائم فى طبيعتها الحياة الاجتماعية المنظمة ، ولا تدفع بالفكر الانسانى الى ساحات الخيال الخصب ، لأنها بيئة مادية ضيقة الحدود قصيرة الأطراف .

أما إذا أقبلت الحضارة على الأمة تخطر الى باحتها فى حلل الثقافة الفكرية لتنقلها من صحارى القفر الى حواضر الخصب والرفاهية ، ومن جَهد العيش الى ضفوته ، ومن شظف الحياة الى بلهنيتها وترفها ، فارتقب جدّة فى الأدب ، وتنظّر نوعا من القول غير الذى سمعت ، وضربا من التصوير لمظاهر الحياة وأسرارها غير الذى رأيت ، وفنا أدبيا غير ماشهدت من أدب البداوة فى معانيه ، وأغراضه ، وفنونه ، وأسلوبه ، وعباراته ، لأن الطبيعة التى تضفى على الأدب مطارف من وشيها ، والصور التى تتجلى فى مراياه ، والمثُل التى ترسم فى صحائفه ، قد أخذت مهيعا جديدا ، وسلكت سبيلا يختلف عن سالف أمرها اختلافا شديدا .

فهناك — حيث البداوة — أدب يمثل جماعات لا تطيب لها حياة الإقامة والاستقرار ، إذا هى أصبحت فى جانب من الأرض أمست فى غيره ، ألفت النجعة والارتحال ، تتبع منازل الغيث ، ومنابت الكلأ ، ومغارس الشجر ، وتعرت للطبيعة وعوارضها من الحر والبرد ، لا تخضع لقانون ، ولا تجأر الى سلطان ، ولا تسير فى حياتها على نظام اجتماعى أو سياسى ثابت ، بل هى أسيرة فطرتها ، ومنقادة لطبيعتها ، أو بالحرى هى لا تعرف قانونا سوى قانون الطبيعة .

وهنا فى مسارح الحضارة أدب يتحدث عن أمم تبوأت من الأرض موطنا ، واتخذت حياة الاستقرار ديدنا ، فمدّنت المدن ، ومصرت الأمصار ، وأمنت عوادى

الطبيعة بما أقامت من قصور شاهقة ، ودور فاخرة ، لبست الحرير ، وافترشت الوثير وطعمت طيبات ما أخرج الله لعباده من ملاذ الحياة ، مستظلة بنظام اجتماعى ينظم شئونها العامة والخاصة ، ويربط بعضها ببعض برباط وحدة الشعور والإحساس ، ليشعر كل فرد أنه عضو فى بناء المجتمع ، يقوى بقوته ويهن بوهنه ، الى جانب نهج سياسى يقوم على رعاية ذلك النظام الاجتماعى ، يتوّجه جلال الحكم ، وأبهة الملك ، وفخفخة السلطان ، ومظاهر الإمارة ، وشارات الوزارة ، وسيماء الرتب والمناصب ، من أناقة الملبس ، وفخامة المجلس ، وبهاء الأثاث وجمال الرياش ، ونعومة المأكل ، ولذاذة المشرب ، وتخير الندامى على مثال من الرقة واللطف ، وأدب النفس والظَّرف ، وحسن السمت ، الى ما يتبع ذلك من اتساع الصناعات وتنوع الزراعات ، ونظام المتاجرات ، والافتتان فى وسائلها .

هذا النظام لا يستقر فى أمة إلا وترى الى جانبه نظاما روحيا تمليه نوازع الانسان النفسية ، أودينا سماويا ، يأمر الناس بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويخذّلهم عن الفساد والشر ، ويحضهم على الاحسان والخير ، ويشرّع لهم مكارم الأخلاق ، ويشذب نفوسهم ويهذب أرواحهم ، ويصل ما بينهم و بين الله تعالى بطرق مختلفة باختلاف الأديان زمانا ومكانا وناسا .

والأمة لا تبلغ هذا المدى من الحضارة والنظام الاجتماعى إلا إذا خفقت راية العلوم والمعارف على ربوعها ، وتبوأت فيها الثقافة الفكرية مكانا عاليا ، وحلّت منها محلا زكيا ، فتكثر معاهدها ومدارسها ، وتزخر مكتباتها ومتاحفها بثمرات قرائح أبنائها ، وتتنوع فيها وسائل التربية والتهذيب ، فلا تعدم عالم الدين ، ولا تفقد الفيلسوف الطبيب ، ولايعوزها الحسابى والمهندس ، ولايندّ عنها عالم الطبيعة والمؤرخ ، ويكثر فيها الشعراء البارعون والكتاب المجيدون ، ويصبح للفنون الرفيعة : الشعر ، نثر الخيال ، الغناء ، توقيع النغم ، الرسم ، التصوير ، لديها منزلة تنم عن اكتمال ذوقها ولطف حسها ، واتساع خيالها ، ونفوذ تفكيرها الى جمال الطبيعة ولب الحياة .

هذا النظام الاجتماعى الذى يترعرع فى بيئات الحضارة الزاخرة بألوان الثقافة المختلفة ، يفتح للأدب ميدانا فسيحا ، ومن ثَمَّ نفهم أن أدب الحضارة إنما هو تصوير لهذه الحياة النظامية ، وتمثيل لجوانب الطبيعة العميقة التى صقلها الانسان وزينها ، وأبان عن جمالها ، وأكمل روعتها ، وعدد مظاهرها ، ونوّع أشكالها حتى أصبحت معترك الأفكار ، وميدان تسابق القوى الانسانية من طريق الخيال والعقل على سواء . فهو أوسع مدى ، وأرحب ذرعا ، وأنضر مرعا ، وأدق منزعا ، وأخصب مرتعا ، وأصفى منبعا ، إذ هناك ما صنعت يد الانسان من قصور وجنات ، وبدائع وآيات ، وهناك مسارح الأفكار ، ومطارح الأخيلة فى رونق الملك ، ومجالى الحضارة ، وهناك الدين والفلسفة ، وميدان الثقافة الرحب فى ساحتهما ، ومجال العقل فيهما ، ومكانه منهما ، ومقام الخير والشر لديهما ، وميزان الفضيلة والرذيلة فى أصولهما ، وهناك مغانى اللهو وما يتبعه من سرف فى اللذائذ ، وانتهاك الحرمات ، وتهتك الأخلاق ، وانحلال عناصر التماسك القومى فى الأمم الضعيفة .

وهناك النظام الحكومى فى أشكاله المنوعة ، وكلها تحد من الحرية الفردية ، وتقص أجنحتها وتحصرها فى ناحية من الحياة لا تجاوزها ، فهى بعد أن كانت مطلقة على طيتها أصبحت مقيدة بسلطان القانون ، ومنقادة لأمر الدين طوعا أو كرها ، وخاضعة لما تواضع عليه المجتمع من عادات وتقاليد ، وأسيرة لإرادة الملوك والأمراء والرؤساء ، ومسيرة بأسباب رضاهم ، متطلعة الى ما فى أيديهم من الذهب والفضة ، وما عندهم من نعيم العيش وترفه ، مفزّعة بحد السيف المصلت على الأعناق ، فلا يأتيها القول إلا لرغبة أو رهبة .

هذه كلها موضوعات جديدة يجد فيها أدب الحضارة منبعا فياضا ، وبحرا زاخرا يغذيه ويلهمه إلهاما ، يفصله عن أدب البداوة بفواصل ترجع الى صميم الحياة .

قد يتراءى بديا مما ذكرنا ، وكما يفهم كثير من الباحثين ، أن الحضارة من دواعى غزارة الأدب ونموه ، وهذا مسلم إذا نظرنا الى نوع الأدب وتمدد موضوعاته واختلاف اتجاهاته ، أما إذا نظرنا الى (كمية) الأدب بالنسبة الى مجموع الجماعة التى تتوحد بعنصرية ، أو جنسية ، أو لغة ، أو دين ، فقد لا يستقر هذا الرأى على أساس صحيح ، لأن الفوضى الاجتماعية والحياة الطليقة من قيود الأنظمة والقوانين التى تستحدثها الحضارة مما ينمى الروح الأدبى فى الجماعة ، ولكنه لا يرقّيه ، والنظام الاجتماعى وقيود الحضارة مما يرقى الروح الأدبى فى الجماعة ولا ينميه . والفرق بين الأمرين كبير . ومن هنا عسر على بعض الباحثين فهم كثرة الشعراء عند الأمة العربية فى طور بداوتها ، قال النقادة الأديب الفرنسى (لاهارب) : « إن فى عصور الاضطرابات ما يضعف الحكومات وما يقوى الشعر والخطابة » . وهذا القول أظهر تطبيقا فيما بين الحضارة والبداوة ، لأنه إذا ضعفت الحكومات سادت الفوضى ، وإذا سادت الفوضى تحلل النظام الاجتماعى ، وعادت النفوس طليقة من كل قيد اجتماعى أو خلقى ، وباحت بما تضمر فى غير حرج .

وإذا كانت الحضارة والنظم الاجتماعية قد تخلق مجالات للأدب لم تكن البداوة لتتذوقها ، أو تعرف عنها شيئا ، فإنها أيضا قد حجبت كثيرا من الحقائق التى كانت مسرحا للخيال البديع فى البداوة . وإلا فحدثنى عن نظر الحضرى للقمر يسطع بلونه الفضى فى أديم السماء الصافية مع هذه الأضواء الكهربائية الخلابة . وحدثنى عن نظر الحضرى الى المرأة وقد سفرت له وتراءت فى المحافل العامة والخاصة بزينتها الماجنة . فهل تسمع لحديث التمنع والعفاف إلا خطرة التقليد أو إباء الحياء الطائر ؟ . وحدثنى عن نظر الحضرى للمناظر الطبيعية فى الصحراء وجبالها وأوديتها ، وما يعيش فيها من حيوان ونبات .

نعم إن الحضرى قد يتناول هذه الحقائق تناولا عميقا، فيه إبداع وطرافة، وفيه خيال مهذب قوى، ولكنه قليل الى جانب تناول البدوى لها، وهو أيضا يتناولها تناول الحس الشاعر بها شعور الحاجة الصادق فى شعوره. أما الحضرى فهو فيها مقلد أو متكلف، وإنما براعة الثقافة ومنهج البحث العلمى فى أدب الحضارة يظهرانه فى ثوب المجدد المبتكر.

صادق ابراهيم عرجون

حاتم الطائى يصف الجود

حاتم الطائى يضرب به المثل فى الجود، وهو من أهل الجاهلية، وقد أسلم ابنه عدى وصحب النبي صلى الله عليه وسلم. قال حاتم يصف الجود:

أماوى قــد طال التجنب والهجر ... وقد عذرتنا فى طلابكم العــذر
أماوى إن المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماوى إما مانع فبــين ... وإما عطاء لا ينهنهه الزجر
أماوى إنى لا أقــول لسائل ... إذا جاء يوما حل فى مالى النــذر
أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
أماوى إن يصبح صداى بقــفرة ... من الأرض لا ماء لدى ولا خمر
ترى أن ما أنفقت لم يك ضرنى ... وأن يدى مما بخلت به صــفر
إذا أنا دلانى الذين يــلوننى ... بمظلمة لج جوانبها غــبر
وراحوا سراعا ينفضون أكفهم ... يقــولون قد أدمى أظافرنا الحفر
أماوى إن المال مال بذلتــه ... فاوله شــكر وآخره ذكر
وقد يعلم الاقوام لو أن حاتما ... أراد ثراء المال كان له وفـر
فانى وحــدى رب واحـد أمـة ... أخذت فلا قتــل عليه ولا أسر
ولا أظلم ابن العم إن كان إخوتى ... شهودا وقد أودى باخوته الدهر
غنينا زمانا بالتقصــد والغنى ... وكل ســقانا وهو كاسبنا الدهر
فما زادنا ماوى على ذى قرابة ... غنانا ولا أزرى بأحلامنا الفقر

فتنة العلم الطبيعي

الوجود وأسراره — وقوف الماديين مع قشوره

ليس في عامل من عوامل المعقولات ما هو أشد حملا للنفس البشرية على الكبر والزهو والعجب ، من العلم الطبيعي .

نعم : إن للثروة ونفاذ الكلمة واتساع السلطان ، تأثيراً كبيراً في إثارة هذه الصفات المذمومة ، ولكنها لا تبلغ تأثير العلم الطبيعي . فإن العوامل الأولى توجب الكبر والزهو على الناس ، ولكن العلم الناقص يوجبه على الكون وما فيه . فترى العالم المفتون بعلمه يحتقر الكون ويزدريه ، حتى ليخيل اليه أنه قد نفذ الى صميمه ، وسرى الى سرائره ، وهو في الحقيقة لم يجاوز الطبقة الأولى من قشوره .

هذا الكبر الفارغ كثيرا ما يعترى القلوب الضعيفة فيسبب لها الطمس والعماية عن الأعلام المنصوبة في الكون لهداية السالكين الى قيومه ، فيهذى بما لم يحط بعلمه ، ويفصل ويقطع في كليات الوجود فعل الواضع له ، فينفى ويثبت ما يؤديه الخيال اليه ، غير حاسب لتطورات العلوم حسابا ، فارضاً أن هذه التطورات وقفت حيث انتهى اليه علمه .

هذه فتنة دونها كل فتنة ، لأنها لا تقتصر عليه وحده ، ولكنها تعم من دونه ، فيقلدونه على غير بصيرة منهم بشيء مما يثبته أو ينفيه .

غَرِى العلماء المفتونون في كل زمان ومكان بتعليل ما يقع عليه حسهم من آيات الخليقة ، تعليلا يتفق وما يذهبون اليه من تجرده عن قدرةٍ مدبرة ، وإرادة حكيمة . وكثيرا ما تأتى تعليلاتهم مضحكةً الى أقصى حدود الإضحاك .

فإذا قلت لأحدهم : كيف يعقل أن توجد هذه الكائنات القائمة على أكمل حالات الإبداع بدون قدرة مبدعة ، متصفة بأرفع درجات العلم والحكمة ؟

قالوا : إن ما تسمونه إبداعا لم يحدث طفرة ، وإنما حدث فى مئات الملايين من السنين على طريق التطورات التدريجية .

فإن قلت لهم : هل مجرد طول الأزمان يوجب الإبداع العالى لمشاهد الكون ، فلم لا يكون محله خبط واختلال لا حدّ لهما ؟

قالوا : إن الخبط والاختلال محالان ، فإن الذى يُحدث هذه التطورات هى النواميس الطبيعية ، وهى منتظمة غاية الانتظام ، ومتلائمة غاية التلاؤم ، وإذا كانت كذلك فلا يجوز أن يجىء ما يحدث بسببها إلا منتظما .

فإن قلت لهم : وهذه النواميس ما هى ، وكيف وجدت مطبوعة على هذا النظام ، بحيث لا يتولد منها إلا ما هو مفرغ فى قالب الإبداع ؟

هنا يشعرون بثقل الوطأة ، وحرج المركز ، ويبطئون فى الجواب ، ثم بدّ كرون بعد أُمّة ، ويعتصمون بمبدأهم الأول ، وهو قول (أجوست كومت) : نحن لا نبحث فى بداءات الأشياء ، ولا مصائرها ، ولكننا نثبت الواقع تحت حواسنا فحسب .

هذا حَسَن من واضع الفلسفة الوضعية ، وفيه اعتراف بالعجز ، فما بال الذين يحومون حول مذهبه قد جعلوا ديدنهم الكلام على بداءات الأشياء ، فقرروا أن أصل الوجود المادة المقودة بنواميس منتظمة ، وأن الوجود يخلو من عامل آخر غيرهما ، حتى من عنصر عقلى يضع الأشياء مواضعها ، ويصرفها فى الوجوه الصالحة لها ؟

أليس وقوفهم هذا الموقف يوصد الطريق فى وجوه الباحثين ، ويقف بالعلم فى درجة محدودة من التطور لا يتعداها الى ما هو أرقى منها ، ويصبح العلم بسبب ذلك شكلا حجريا لا يماشى الانسان فى توثبانه نحو الحقائق التى هو مقود الى الوصول اليها بقوة قاهرة فيه ؟

من حُسن حظ العقلية الانسانية أن هؤلاء الجامدين لا يمثلون العلم فى حقيقته ،

ولا يترجمون عن قابليته للترقى ، وليسوا هم أنجب أبنائه ، ولا المتازين من أقطابه ، وإنما تعلق بأذيالهم من تعلق من المقلدين طلبا للغريب ، وميلا الى الشذوذ .

فإذا تطلبتْ العقليةُ الانسانيـة المتعطشة الى الهداية أن تقف على الرأى العلمى الناضج ، وخاصة لأعلام هذا العصر ، فى مسألة الكون والكونيات ، وجدت من كتابات أراكين العلم مجالا فسيحا لا إبلاغها ما تطمح اليه من هذا المطلب الكريم .

من أمثلة ذلك ما كتبه العلامة (بيو) الفرنسى فى كتابه (شذرات علمية وأدبية) فقال :

« بقدر ما أتدبر فى نظام هذا الوجود وسعته ، وفى جميع عجائبه ، أعجب من هذا الإبداع المدهش ، وأرانى عاجزا عن تعليله . وإنى لأتجاسر بأن أقول — لأنى خبرت ذلك بنفسى — بأن تلك التفسيرات الناقصة ، والتعليلات الخاطئة أو المبهمة ، التى يريد أن يقنعنا بها بعض الكتاب المعاصرين باعتبار أنها مدارك سامية ، لا تظهر مجحفة وتافهة إلا إذا قورنت بالطبيعة نفسها .

« إن الذين تشرفوا بمعرفة بعض جمال الطبيعة وأحسوا بها ، وجدوا أنفسهم مرغمين أن يعتبروا الذين يريدون أن يشوهوا هذا الجمال بتدليسهم القبيح ، كفارا ملحدين . فإن كل الكائنات العضوية متمتعة بوسائل حياتها الذاتية المنوعة فى اختلاف أجهزتها الجسمية ، مثل تنوع الكواكب الزاهرة فى القبة الزرقاء .

« نزيد على هذا أننا لا نشاهد إلا ما يظهر لنا من ذلك فى الخارج ، وقد حُجب عنا ما هو أعجب وأغرب . فبعيشك قل لى من ذا الذى استطاع أن يفهم سر طيران الذبابة وسر ألاعيب الفراش ؟

« إذا وصل بنا إدراكنا الى معرفة القابليات الخارجية لهذه التراكيب الجثمانية ، والى تحديد العلاقات المقصودة الموجودة بين الأجزاء التى تتألف منها ، قلنا : اذا وصل إدراكنا الى هذا ثم عَمِينا عن رؤية الحكمة التى أمرت بها ونظمتها ، وعَشِينا عن

تنوُّرها فى صميم هذا المجموع ، نكون قد ناقضنا ضمائرنا مناقضة تامة . أما أنا فأريد على القليل أن أتعلم من هذا المشهد العظيم بأنى جاهل لا أدرى شيئا »

وقال العلامة (لوجيل) فى كتابه (العلم والفلسفة) :

« كلما أمعن الانسان فى دراسة العلوم من ناحيتها المنوية ، ازداد اعتقاده بأنْ ليس فى العلم ما يمنع اتفاقه وأبعد الفلسفات مرمى .

الى أن قال : « نحن لا نلم إلا بالظواهر والقشور ، أما الحقيقة والعلة فتأبيان أن تنكشفا لنا . وإنه ليحق لفلسفة عالية أن تعتبر كل القوى الخاصة التى أفاعيلها قد حللتها العلوم المختلفة ، صادرة من قدرة أولية أبدية واجبة الوجود ، هى مصدر كل حركة ، ومركز كل عمل . اذا وجهنا أنفسنا هذه الوجهة ، تظهر لنا الحوادث الطبيعية والكائنات ذاتها صورا متغيرة لفكرة إلهية » .

وقال العلامة الكبير الاستاذ (هنرى بوانكاريه) العضو بالمجمع العلمى الفرنسى فى كتابه (العلم والافتراض) :

« المقررات العلمية فى نظر المشاهد السطحى ، تعتبر خارجة عن متناول الشكوك ، وعنده أن المنطق العلمى غير قابل للنقض ، وأن العلماء إن أخطأوا أحيانا فلا يكون ذلك إلا لأنهم لم يراعوا قواعد هذا المنطق ...

« ولكن لما تَروّى العلماء قليلا لاحظوا مكان الافتراضات من هذه العلوم (يريد أنها مبنية على الظن) ، ورأوا أن الرياضى نفسه لا يستطيع الاستغناء عن الافتراضات ، وأن التجربة لا تستغنى عنها كذلك . حينذاك سأل بعضهم بعضا : هل هذه الصروح العلمية القائمة هى على شىء من المتانة ، وتحققوا أن نفخة واحدة تكفى لجعل عاليها سافلها » .

وقال العلامة الفلكى المشهور (كاميل فلاماريون) فى كتابه (القوى الطبيعية المجهولة) :

«نرانا نفكر ، ولكن ما هو الفكر ؟ لا يستطيع أحد أن يجيب على هذا السؤال . ونرانا نمشى ، ولكن ما هو العمل العضلى ؟ لا يعرف أحد ذلك . أرى أن إرادتى قوة غير مادية ، وأن جميع خصائص نفسى غير مادية أيضا ، ومع ذلك فتى أردت أن أرفع ذراعى ، أرى أن إرادتى تحرك مادتى . فكيف يحدث ذلك ، وما هو الوسيط الذى يتوسط للقوى العقلية فى إنتاج نتيجة مادية ؟ لا يوجد من يستطيع أن يجيبنى عن هذا أيضا . بل قل لى : كيف ينقل العصب البصرى صور الأشياء الى العقل ؟ وقل لى : كيف يدرك هذا العقل ، وأين مستقره ، وما هى طبيعة العمل المخى ؟ قولوا لى أيها السادة (يريد الملحدين) ... ولكن كفى كفى : فإنى أستطيع أن أسألكم عشر سنين ولا يستطيع أكبر رأس فيكم أن يجيب على أحقر أسئلتى » .

أين هذه الأقوال الصادرة من أقطاب العلوم الطبيعية ، وأراكين فلسفتها الرسمية ، من تهوسات رجال لم ينالوا من العلم إلا رشفات لا تنقع غُلة ، ولا تشفى علة ، يتبجحون بما قشوه من هنا وهناك من حثالات الموائد العلمية ، فيتظاهرون بأنهم أدركوا ما خفى عن غيرهم من أسرار الوجود ، وانتهوا الى صميم قواه ، فلم يروا فيه غير المادة والنواميس الطبيعية ؟

لا جرم ، قد أبدع العلامة الانجليزى (بيكون) واضع الأسلوب العلمى فى قوله : « علم الطبيعة إذا رشف بأطراف الشفاه ، أبعد عن الله ، وإن شرب عبا أوصل اليه » .

محمد فريد وجدى

تاريخ العلوم الدينية والتشريعية

فى الأدب العربى (١)

رأينا فيما تقدم تاريخ نشأة المذاهب السنّية الأربعة وتطوراتها ومبلغ ما وصلت اليه الاختلافات بين مؤسسيها والداعين اليها ، ولكنها كانت ولا زالت أهم المدارس الدينية والتشريعية التى ظهرت منذ نشأة الاسلام حتى الآن .

ظهرت بعد ذلك عدة تعاليم أخرى تختلف بعض الاختلاف عما سبقها من المذاهب ، وذلك على أثر تشعب الحياة العربية الاسلامية واتساع نطاق نفوذها أو انسلاخ بعض الجهات منها بسبب التطورات السياسية أو القومية أو الثقافية ، وأقدم هذه المذاهب هو مذهب الظاهرية ، وكان أول من شيد بناءه وقام بالدعاية اليه داود بن على المولود بالكوفة حوالى عام ٢٠٠هـ والمتوفى ببغداد عام ٢٧٠ هـ وكانت تعاليمه متطرفة بالغة فى المغالاة بالأخذ بمبادئ الحديث حتى خرجت عن حدود السنيين ، فكان إذا دعا احمد بن حنبل وهو أكثر الأئمة تمسكا بالحديث بعدم اعتبار الرأى الشخصى وحرية التقدير ، ذهب داود بن على الى أبعد من ذلك تطرفا فى الأخذ بالمعنى الظاهر فقط من القرآن والحديث والتمسك به وحده دستورا لحياة المسلمين ، وكان برفضه تقليد أحد الأئمة أقرب الى ميول الصوفيين واعتقادهم فيه الإيمان الصادق الأكيد ، فوجد من بينهم فى بلاد الفرس أنصارا عديدين ، ومات ولما يصل مذهبه الى مصاف المذاهب السنية المعترف بها ، ولم يعرف له أو لأنصاره فى الشرق مؤلفات ، وأما فى بلاد الأندلس فإنه قد أتيح لمذهبه البعث ، وكانت له مكانة خاصة سنأتى على الكلام عليها فيما بعد .

(١) بقية المنشور فى الجزء السادس من المجلد السابع فى جمادى الآخرة سنة ١٣٥٥ مترجما من الالمانية نقلا عن كتاب « تاريخ الادب العربى » للمستشرق الالمانى الكبير الاستاذ الدكتور « بروكلمان » .

ونشأ كذلك فى الاسلام منذ بدئه طوائف عدة بعيدة عن المذاهب الرسمية، منها الخوارج الذين يعارضون فى الخلافة الوراثية ويؤيدون انتخاب أى مسلم كائنا من كان لزعامة القوم، ولم يظهر لهذه الفئة فى القرون الأولى أى أثر بين المؤلفات العربية لكثرة ماوقع فيها من كفاح وحروب، أو أنه لم يصلنا على الأقل من محصولهم الأدبى ما يدل عليه، ولكنهم تمكنوا بعد ذلك فى النواحى النائية من البلاد الاسلامية مثل عمان وشمال افريقية من أن يظهروا فى هدوء بثنايا خصائصهم، وبدءوا نشاطهم الأدبى الذى سنأتى على ذكره فى حينه.

أما الشيعيون وهم المعروفون فى أوربا بملحدى الاسلام، فكانوا فى أول أمرهم فرقة سياسية تشايع علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، ولم يكن لهم فى القرون الأولى صبغة دينية خاصة، إلا أن ثورة الاحتجاج التى قامت ببلاد الفرس انتصارا للنعرة القومية الايرانية ضد الديانة السامية المفروضة عليهم، اختلطت بحركة الشيعة السياسية، واندمجت بها، فجعلتها تسلك فى تطوراتها النظرية فى علوم العقائد والمبادئ التشريعية طرقا خاصة بها، ولكن مما يؤسف له حقا أن هذا المجهود الفكرى لم يصلنا من تراثه الأدبى إلا النزر اليسير، وذلك يرجع الى أن أغلب المخطوطات التى لدينا إنما وصلتنا من الأقاليم السنية. وأشهر ممثلى هذا التطور هو محمد بن بابويه المتوفى ببغداد عام ٣٨١ وقيل ٣٩١ هـ وبقيت من مؤلفاته عدة رسائل حتى الوقت الحاضر.

وكذلك تلاشت أو كادت آثار تطور حركة الشيعة وتعاليمها فى البلاد الفاطمية مثل شمال إفريقية ومصر، ويرجع السبب فى ذلك الى أن الحكام المتأخرين كانوا يهتمون كل الاهتمام بإبادة مؤلفاتهم لأغراض سياسية ودينية، ولذا فإنه لم يبق لنا منها إلا رسالة وضعها أول قاض فاطمى بمصر عن فضائل النبى والأئمة.

وأما فى جنوب بلاد العرب فكانت الأحوال أكثر ملاءمة للشيعيين حيث تمكن الزيديون من السيادة السياسية فى القرن الثانى من الهجرة، ولا زالوا حتى الوقت

الحاضر يحتفظون بشخصيتهم ، ولقد امتازت أئمة هذه الفرقة بوفرة إنتاجهم الأدبي وكثرة مؤلفاتهم .

وتعتبر الأحاديث النبوية بعد القرآن مباشرة أهم المصادر التي تستمد منها التعاليم الدينية والمبادئ التشريعية قوامها ، ومما لا ريب فيه أن جانبا كبيرا من تلك الأحاديث لا شك في صحتها بالمرة ، لما بلغه النبي صلى الله عليه وسلم من احترام أنصاره وتبجيل أتباعه ، كما أنه لاشك أيضا أنه قد نبتت حول هذه النواة الصحيحة زيادات ، وعلقت بها مستحدثات ، فدخل على الحديث في القرون الأولى ما ليس منه مما ترك لجميع المنازعات السياسية والخلافية والمشاكل الدينية والتشريعية أثرا ظاهرا فيه ، فعرفت أفراد كل فرقة كيف تصيغ الأقاويل وتنسبها للحديث للدفاع بها عن عقائدها والانتصار لتعاليمها ، هذا الى ما ابتدعه الوعاظ الشعبيون والرواة المؤرخون من مبتكراتهم البسيطة ، ولو أن علماء الدين المتأخرين كانوا يقابلون ذلك كله بالحيطة والحذر .

ولم يفكر المؤلفون في القرنين الأولين من الهجرة في البحث الأدبي في الأحاديث النبوية ، بل اقتصرت دراساتهم فيها عن طريق الرواية الشفوية ، ولم تقعد الثقات منهم الأسفار البعيدة الشاقة رغبة الاستماع لأكبر عدد ممكن من رواة الحديث ، ولم تكن الرهبة الدينيـة هي التي منعتهم في بادئ الأمر عن كتابة الأحاديث ، فاننا قد بلغنا خبر تدوين بعضها في القرن الثاني من الهجرة ، ولو أن ذلك لم يتعد وقتذاك حد كتابة المذكرات الخاصة . فلما بدأ علماء الدين يشعرون بحاجتهم الماسة الى تأييد قواعدهم التشريعية ومبادئهم القانونية بما خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام ، ظهر علماء الحديث في ميدان التأليف ، واهتموا بجمع الأحاديث النبوية .

وأقدم صـور التأليف المعروفة في هـذا المضمار الأدبي هي المسانيـد التي روعي في ترتيبها الرواة دون الموضوع ، وكانت أئمة المذاهب التشريعية وتلاميذهم من بعدهم أكثر العلماء اهتماما بجمعها .

وأما المصنفات وهي أهم من المرجع الأول فقد روعي في تبويبها الموضوع من حيث الناحية التشريعية أو الدينية أو التاريخية أو الخلقية، وأقدم المجموعات المعروفة بهذا الشكل هو صحيح البخاري، ويمتاز بما يتمتع به من احترام كامل وثقة تامة في جميع أنحاء العالم الاسلامي. وضعه محمد البخاري المولود في ١٣ شوال عام ١٩٤ في بخارى من والدين إيرانيين، وقد أنفق ستة عشر عاما متنقلا لدراسة الحديث عقب قيامه بفريضة الحج، فلما عاد الى موطنه وضع مجموعة الحديث المعروفة باسمه، وتوفي ٣٠ رمضان عام ٢٥٦، واتبع نظاما خاصا في وضع أساس مؤلفه الضخم يرجع في ترتيبه الى فصول التشريع، ثم كان يعمد على قدر الامكان الى ملء أبوابه بالأحاديث التي كانت الى هذا العهد موضع الثقة وبعيدة عن النقد. ولقد كان هـذا السفر الضخم منذ أول عهده موضع التقدير العظيم، فكانت الناس تخصه بعناية فائقة وتنزله منزلا يلي القرآن مباشرة في الاحترام والتبجيل، ولكنه ما لبث بالرغم من ذلك أن قامت في نصه الاختلافات الدقيقة بين المذاهب المتفرقة الى أن جاء محمد اليونيني المتوفى سنة ٦٥٨ هـ ووضعه في القرن السابع من الهجرة على الشكل المعروف لنا في الوقت الحاضر.

وبنفس الاسم وضع مسلم مؤلفا أحدث من صحيح البخاري عهدا بقليل، وولد مسلم بنيسابور عام ٢٠٢ أو ٢٠٦ هـ وطلب العلم ببغداد بعد رحلات عديدة، وتوفي بموطنه عام ٢٦١ هـ وكان في تأليفه أقل تحيزا من البخاري، ولو أنه سار على منهجه في ترتيب كتابه مراعيا فصول التشريع أيضا، دون أن يجعل لأبوابه رءوس عناوين تاركا بذلك للقارئ حرية تسمية الموضوع، وربما كانت هـذه الخطة العلمية هي السبب في عدم ذيوعه بقدر ما لقي صحيح البخاري من الانتشار، ولو أنه حظى من اهتمام العلماء ودراساتهم بنصيب لا يقل عن سابقه.

وإلى جانب هذين الصحيحين اللذين لقيا من جميع المسلمين تبجيلا عظيما أبعدهما عن مواضع الريبة، جاء خلال القرن الثالث من الهجرة أربعة مؤلفات أخرى وضعها بعض المتأخرين في مرتبة الكتب الدينية المقررة.

وأقدم هـذه المؤلفات الأربعة هو كتاب السنن لأبي داود السجستاني المتوفى بالبصرة سنة ٢٧٥ هـ ولم يجمع به المؤلف سوى الأحاديث التي لها أهمية تشريعية دينية، بل إنه لم يجمع به إلا ما أجمع على صحته الرواة.

وأما ثاني هـذه المؤلفات فهو الجامع الذي وضعه أبو عيسى محمد الترمذي المتوفى في ما وراء النهر عام ٢٧٩ هـ، وقـد أخذ فيـه كل الأحاديث التي يحتاج اليها المتشرع في قضاء المسائل القانونية، وكان يشرح لـكل الحالات تطبيقاتها الفقهية، وبذلك أصبح هذا الـكتاب أهم المؤلفات في تاريخ الشريعة الاسلامية.

أما كتاب السنن الذي وضعه احمد النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ فاشتهر بما احتوى عليه من التفاصيل الكاملة في ضروب الحياة الدينية المذهبية، وما جاء به بإسهاب عن نواحيها القومية.

والأخـير من هـذه المؤلفات هو كتاب السنن الذي جمعه ابن ماجة المتوفى سنة ٢٧٣ هـ وقد لاقى في أول أمره معارضة شديدة بسبب ما اشتمل عليه من أحاديث ضعيفة، ولم يأخذ به العلماء إلا في أواخر القرن السادس الهجري.

بدأت الدراسات الأدبية تتجه شطر الأحاديث النبوية بعد أن استقر فيضها الذي زخرت به المؤلفات التي جمعت في القرون الأولى، وأصبحت بفضل مجهود الجامعين قاعـدة ثابتة للـدرس والتأليف الذي وسع كل نواحيها، وأهم ما ظهر في ذلك الوقت مجموعات من أربعين حديثا، وهي أقل ماعزى الى النبي صلى الله عليه وسلم، وأقدم هذه المؤلفات هي المجموعة التي وضعها الترمذي.

ولقد كانت دراسات الحديث التي توافر عليها عدد كبير من العلمـاء سببا مباشرا للبحث وراء تاريخ حياة صحابة النبي صلى الله عليـه وسـلم، وهم أوثق الرواة لـكلماته، وذلك لأن تقدير صحة الحديث كانت تتوقف على قدرة ثقة الرواة، فنشأت عن ذلك دراسات أخرى هي أقرب الى علم التاريخ منها الى علم الحديث.

«يتبع»

افتتاح الدراسة

فى كلية أصـــــول الدين

فى مناسبة افتتاح العام الدراسى بكلية أصول الدين ، جمع فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد اللبان شيخ الكلية حضرات أساتذة الكلية وطلابها وألقى فيهم خطبة بليغة كعادته السنوية ، ولما اشتملت عليه هذه الخطبة من النصح الغالى والارشاد النافع رأينا أن ننشرها، قال حفظه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

إخوانى وأبنائى : اليكم أوجه تحيتى ، وأعلن سرورى بافتتاح هذا العام الدراسى راجيا من الله جلت قدرته أن يوفقنا جميعا لصالح العمل حتى نؤدى رسالتنا ، ونقوم بالمطلوب منا حسبما يكلفنا به الدين والواجب .

مرّ عامان كاملان والأزهر فى اضطراب يرجع بعضه كما تعلمون الى شئون داخلية ، وبعضه الى أخرى خارجية ، وقد مضى ذلكم الزمن بهناته ، وها نحن أولاء نستقبل اليوم عصرا أعتقد أنه خال من عوامل القلق . فلعلى أراكم مطمئنين فيه لأداء ما تكلفون به .

واسمحوا لى أن أقول : إن الأمر بيننا فى تلكم الحقبة القصيرة لم يكن على ما ينبغى أن يكون من عالم وطالب دينى . فأريد أن نسير فى هـذا العام وما بعده إن شاء الله على غير ما كان فى سابقه . إذا كان لنا فى الماضى بعض عذر ، فيلوح لى ولكم أيضا أنه قد زال والحمد لله ، لأن سفينة السياسة قد استقرت على جوديّها ، وشئون الأزهر تديرها يد حكيمة ، فلا عتب اليوم لمستعتب . وهناك قوانين وأوامر يجب أن تحترم ، وأن يؤدى العمل بمقتضاها كما أمر الله ورسوله ، وكما يرجوه ولاة الأمور ، وكما يدعونا اليه الصالح العام والضمير الحى .

يقول الناس عنا وينسون أنفسهم ، فاقضوا على باطلهم ولا تهنوا ، فإن الحق معكم إذا أنتم أجمعتم عليه كلمتكم ، وبرهنتم على أنكم أصحاب الكفة الراجحة والمركز الأقوى فى الوجود بين طبقات الأمة . فلتكن أعمالكم وآراؤكم سليمة حكيمة ، لأن الحكمة فى الرأى حسنة ما لم يستبح بها محظور . فكونوا حكماء عاملين للحق بإخلاص . وليس من الحكمة ترك حبل الأمور على غاربها ، حتى إذا ما حدث حدث التمستم التخلص منه ، بل من العقل توقى الخطر قبل وقوعه ، لأن الوقاية كما قيل خير من العلاج . وفى المأثور : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » .

قد هيأنا الله تعالى لمهمة خطيرة لها جلالها . وهؤلاء أبناء الأمة أمانة فى ذممنا ترجونا لتثقيفهم الدينى والخلقى . فعلينا أن نؤدى الأمانه كما اؤتمنا عليها ، فنكوّن منهم رجالا ذوى خلق ودين . قلت لكم غير مرة إن بعض الناس قد حسبوا الجديد هو كل شىء فى حياة الأمم ، فقطعوا الصلة بينه وبين القديم ، وعارضهم آخرون فبالغوا فى نصرة القديم واعتبروه كل القصد ، وذهب كل فريق بما لديه فرحا ، حتى كادت معالم الحقيقة تنطمس بينهم ، وإن الخير فى التوسط : باحترام القديم مع الترحيب بالجديد . وها هو ذا الإصلاح الجديد قد جاء على هذا الرأى ، فجمل بين الوجهتين نسبا ، فاعتبر القديم هو الأساس ، ووشاه بحلية الحديث ليخرج علماء عارفين بدينهم بصيرين بماضيهم وحاضرهم ، يعلمون أن الدين والعلم أخوان .

وليس التجديد من الاسلام بدعا بل هو غرضه الأصلى . ألم تروا أن الله تعالى أنزل القرآن مهيمنا على ما سبقه من الكتب المنزلة كى يصلح ما ألصقته الأمم بتعاليمها من عند أنفسهم ، فسارت مبادئه الاصلاحية بالمجتمع فى كل عصر سيرة مرضية ، سمت به الى علياء السعادة ، حيث رفعت عنه الإصر وأطلقت سراح الفكر ، فأفسحت أمامه مجال النظر فى ملكوت الأرض والسماء لاستخراج ما أودع فيهما من أسباب الرفاهية والتمتع بزينة الله تعالى التى أخرجها لعباده والطيبات من الرزق بشروط بيّنها فى كتابه ،

وفرض العمل بها والسير على مقتضاها حتى يسد باب الشهوة فى وجه الذين زين لهم شيطانهم زخرف الاباحية .

وعلى هذا الطريق القويم سار الأزهر ورجاله فى كل عصر ، فكان حاميا ذمار الدين ، وكان قائد النهضات الفكرية ، من بدء نشأته الى يومنا هذا .

فالأزهر لا يأبى التجديد بل يدعو اليه إذا كان من طريق المعقول ، وعلى أساس الدين الحنيف ، وهو يقابله بصدر رحب ويعمل به فى هذه النهضة الحديثة لثقافة الجيل الحاضر ، واصلاً حبل الحديث بما وصل اليه من التراث القديم عن سلفه ، وهذا ما أعمل به وأدعوكم اليه ، لنؤدى رسالتنا كما يرضى الله ورسوله ، غير ناسين نصيبنا من الحياة العامة .

ومنكم أبنائى الطلبة أرجو العناية والجد فى عملكم ، أطلب الاجتهاد فى الاستذكار والتنقيب عن مواضع العلوم فى مظان وجودها قبل جلوسكم أمام الأساتذة ، فان ذلك هو الطريق الى الفلاح .

ولايتم القصد إلا إذا كنتم مع أساتذتكم فى أدب وصلة قلبية ، وامتثال ما يرشدونكم له ، وكنتم أيضا فى أنفسكم إخوانا يحب أحدكم لأخيه ما يحب لنفسه . فلعلكم توفقون :

وأختتم كلمتى بالابتهال الى الله تعالى أن يسدد خطانا جميعا ، وأن يحوط بعين عنايته وحفظه حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المحبوب نصير العلم والعلماء فاروق الأول ، أعز الله ملكه ، وجعل أيامه أيام يمن وبركة وعز للدين والوطن ، وأرجو أن تضرعوا معى الى الله تعالى أن يعم بالرحمة والرضوان حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فؤاد الأول بما له من جليل النعمة على العلم والدين والأمة والوطن ، أسكنه الله فسيح جناته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين . آمين ؟

فلسفة الاخـلاق

مما لا يحتمل حوارا أن النفس عند الأقدمين من الحكماء : جوهر مجرد واحد ، ولهذا المجرد الواحد اتجاهان لا ثالث لهما — الأول : اتجاه الى البدن على معنى أن يكون هذا الاتجاه غير قابل لأثر من جنس مقتضى طبيعته . والثانى نزاع الى المبادئ العالية على معنى أن يكون دائم القبول عما هناك والتأثر به . فمن الأول تتولد الأخلاق التى هى ملاك الانسان وعتاده ، لأنها تؤثر فى البدن تأثيرا اختياريا ، ويسمى الحكماء ذلك الاتجاه بالاتجاه السفلى ، وتسمى عندهم قـوة عملية أو عقلا عمليا . وعن الاتجاه الثانى تتولد العلوم ، لأنها تتأثر بما فوقها بحسب استعدادها ، وتسمى عندهم قوة نظرية أوعقلا نظريا . فالقوة النظرية من شأنها أن تنطبع بالصور الكلية المجردة عن المادة .

وإيضاح ذلك — على ما حققه الشيخ فى الشفاء — أنك حين تنظر الى هذه القوى تجد العقل المستفاد رئيسا يخدمه الكلام ، ثم العقل بالفعل ، ويخدمه العقل بالملكة أيضا ، ثم العقل العملى يخدم جميع تلك ، لأنها هى العلاقة البدنية . وذلك لأجل تكميل العقل النظرى وتزكيته وتطهيره . فالعقل العملى هـو المدبر لأنحاء تلك العلاقة ، وهـو بهذه المؤهلات مرد الأخلاق ومناطها ، والوهم خادم له .

ثم إن للوهم قوتين تخدمانه : قـوة قبله وهى مصدر جميع القوى الحيوانية ، وقوة بعده وهى الحافظة . والمتخيلة تخدمها قوتان : القوة النزوعية ، والقوة الخيالية ، وهكذا حتى تنتهى منازع النفس العاقلة وقواها التى تصدر عنها .

فشوق النفس الى العلوم والمعارف قد يفضى بها الى قطع أشواط فى مدارج السمو الروحانى حتى تبلغ أقصاه . غـير أن تلك المرتبة لم تتسق لـكثير من الخلق ، فلها التزامات وحدود ، وبين ثنـاياها درجات على جانب غير قليل من الجهد والعناء وبعد الشقة . وذلك مرده فى الأعم الأغلب الى طماعية النفس وركوبها أحيانا متنا من الشطط

قلق الوضين صعب المرتقى ، وهى تحاول فى بلوغها تلك المنزلة أن تبلغ أقصى حدودها ، وقد تضل فى ثناياها ضلالا يجمح بها الى أسوأ ما كانت تحذره وشر ما كانت تخافه . ويبدو ذلك الاتجاه جليا فى النهم الذى كلما اشتاق الى تقوية جسمه الطبيعى اشتاق الى عوامل القوة فيه ، فتتزايد فيه القوة ، حتى لقد يلتمس لتقوية جسمه ما يكون سببا فى حتفه أو علته .

من أجل ذلك عُنى علماء الأخلاق وبخاصة علماء النفس منهم بتلك الضوابط التى وضعوها لشوق النفس الى العلوم والمعارف ، حتى لقد قال (جالينوس) : ينبغى أن يكون مفهوما أن كل إنسان معد نحو فضيلة من الفضائل ، فهو اليها أقرب ، وبالوصول اليها أحرى ، فلا تصير سعادة آحاد الناس غير سعادة الآخر إلا بالقياس الى ما يحمله أحدهما من نفس صافية تبلغ به الى أقصى حدود الكمال الروحى ، وتسمو به الى المستوى المعنوى الذى ليس وراءه مطمح لناظر ولا زيادة لمستزيد اه ، فعلى قدر ما يحمله كل امرئ من بيض الفعال ونوابغ الخصال يكون التفاضل بين الأناسى .

من أجل ذلك أوجب الأخلاقيون على ذوى الرياسات والمضطلعين بالأعمال العامة أن يحفزوا كل إنسان نحو سعادته المهيأ لها ، فيقسموا عنايتهم بالناس ونظرهم إليهم على قسمين : أحدهما فى تسديد الناس وتقويم نفوسهم بالعلوم الفكرية ، والآخر فى تسديدهم نحو الصناعات والحرف والأعمال اليدوية . فإذا سددوهم نحو السعادة الفكرية بدءوا بهم من الحد الأدنى ، ثم شوقوهم الى درجات النضوج الفكرى ، وأنها يجب أن يكون أعلى نسق لتلك الحياة الفكرية . وإذا سددوهم نحو السعادة العملية ابتدءوا بهم من القوة الدنيا وانتهوا بهم الى أعلى هذه القوى وأسماها . وفى كلا القسمين وبين مراتبهما يتجلى فى الانسان نبوغه الفكرى أو نبوغه الأخلاقى بالقياس الى ما يصدر عنه من المظاهر الدالة عليه « وكل ميسر لما خلق له » .

وإذ نريد العرض لآراء الفلاسفة من الأخلاقيين وما بسطوه بقدر عن شوق النفس الى العلوم والمعارف فليس ذلك إلا لنتخذه كما اتخذوه وسيلة الى الكلام عن

السعادة والخير ، وعن الفرق بينهما ، وعن بسط رأى (أرسطوطا ليس) فيهما ، وعما وقع من الخلاف البعيد المدى بين علماء الأخلاق فى ماهية السعادة وماهية الخير ، وإيراد الأدلة على كل اتجاه منهما .

فالناس مأخوذون فى هذه الحياة بالسعادة والخير ليصلوا الى الخير المطلق والسعادة المطلقة إذا نهجوا على مقتضياتهما . ولم تقم عمارة الكون إلا على ما يؤخذ به الانسان من حب الخير والإمعان فيه ليحصله قدر الجهد ، وما هيء له من الأسباب ، وليكون سعيدا بالقياس الى ما هيء له من أسباب تحصيلها ، والى القدر الذى فهمه منها . فليس الانسان فى هذه الحياة إلا طالب مجد أو علم أو جاه أو ولد أو مال أوما شئت من متاع .

والناس يتفاوتون فى فهم كل أولئك ، وهم يعتقدون فى دخيلة نفوسهم أنه خير مطلق يحقق لهم سعادة مطلقة ، وإن كان الواقع فى مستقبل حياتهم لا يواتيهم بما أرادوا .

من أجل ذلك اشتغل فريق من علماء الأخلاق بالكشف عن الفروق المنطوية فى الخير والسعادة ، وهل هى نظريات حقيقية أونظريات تقديرية ؟ وهل هى خير لقوم من ناحية وشر لهم من أخرى ؟ وهل السعادة فى حقيقتها مقصورة على الحياة الباقية أو هى تعم الحياتين جميعا ؟ مما سنوفيه حقه من البسط والايضاح فى بحوث متلاحقة

عباس طه
المحامى الشرعى

تصحيح أخطاء

وقع خطأ فى السطر الثالث عشر من صفحة ٤٠٤ من الجزء السادس :

عمر بن عبد العزيز والصواب عمر بن الخطاب

وفى السطر الثانى من صفحة ٤٣٨

جاء فيها عن (بروكلمان) أن ميلاد أبى حنيفة كان سنة ٨٨ وأورد فى كتابه المطول نقلا عن المصادر العربية أنها مختلف فيها الى حد أن قيل أنها كانت سنة ٨٠ أو ٦١

and on ʿUrwah's narration through Al-Miswar and Marwân that the Prophet(Allâh bless him and give him peace) went out on the occasion of Hudaibiyyah (1) etc . . . (2) and the Prophet (Allâh bless him and give him peace) never expectorated without the spittle being gathered in the hand of one of the men, who rubbed his face and skin with it.

وَقَالَ عُرْوَةُ عَنِ الْمِسْوَرِ وَمَرْوَانَ:
«خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم زَمَنَ حُدَيْبِيَةَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَمَا تَنَخَّمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ».

We are informed by Muhammad b. Yûsuf, who had it from Sufyân, through Humaid, through Anas, who said :

حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا سفيان عن حميد عن أنس قال :

" The Prophet (Allâh bless him and give him peace) spat in his garment. (3) "

«بَزَقَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي ثَوْبِهِ».

This hadîth is related at length by Ibn Abu Maryam, (4) who had it from Yahyâ b. Ayyûb, who received it from Humaid, who heard it from Anas, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace).

طَوَّلَهُ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ قال أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني حميد قال سمعت أنساً عن النبيّ صلى الله عليه وسلم.

---

(1) Hudaibiyyah is a village one day's journey from Makkah, the name of which was derived from the barren or bent tree under which the Companions swore allegiance to the Prophet. This is known as بيعة الرضوان (The Covenant of Ar-Radwân).

(2) The hadîth which is interrupted here is given by Al-Bukhâri complete with isnâd later on in the story of Hudaibiyyah.

(3) Al-Bukhâri's purpose in citing this hadith is to show that human saliva, nasal mucus and the like, are ritually clean.

(4) Ibn Abu Maryam is one of Al-Bukhâri's professors, and Al-Bukhâri wishes to show here that he had from him a longer version of the same hadîth, which he records later in his Book of Prayer. This version has the advantage of a higher degree of authenticity in the isnâd, since Humaid "hears" the hadîth from Anas, instead of having it "through" him, as in the former version.

him and give him peace) remained in prostration, without raising his head, until Fâtimah came and snatched the placenta off his back. He then raised his head and said :

'O Allâh, take upon thee the requital of these Quraishites,' three times. This curse cut them to the heart, for they believed that an imprecation made in that *holy* city was always answered. Then naming *each* in turn, the Prophet cried :

'O Allâh, take upon thee the requital of Abu Jahl, take upon thee the requital of ᶜUtbah b. Rabiʿah, of Shaibah b. Rabiʿah, of Al-Walid b. ᶜUtbah, of Umayyah b. Khalaf, of ᶜUqbah b. Abu Muʿait', — besides a seventh whose name is not remembered. (1)'

ʿAbdullâh added : " By Him in whose hands is my soul, I have seen the men enumerated by the Messenger of Allâh lying dead at Badr, cast into a disused well. "

CHAPTER 72.

On spittle, nasal mucus and the like, on the clothes ;

وسلم ساجدٌ لا يرفعُ رأسهُ ، حتّى جاءتْه فاطمةُ فطرحتْ عنْ ظهرِهِ فرفعَ رأسهُ ثمَّ قالَ :

« اللّهمَّ عليكَ بقريشٍ ! » ثلاثَ مرّاتٍ ، فشقَّ عليهمْ ، إذْ دعا عليهمْ ، قالَ : وكانُوا يرونَ أنَّ الدّعوةَ في ذلكَ البلدِ مستجابةٌ ، ثمّ سمّى : « اللّهمَّ عليكَ بأبي جهلٍ وعليكَ بعتبةَ بن ربيعةَ وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبةَ وأميّةَ بن خلفٍ وعقبةَ بن أبي معيطٍ ، وعدَّ السّابعَ فلمْ نحفظْهُ .

قالَ : « فوالّذي نفسي بيدِهِ لقدْ رأيتُ الّذينَ عدَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صرعى في القليبِ قليبِ بدرٍ » .

— ٧٢ —

باب البزاقِ والمخاطِ ونحوِهِ في الثّوبِ ،

---

(1) Al-Bukhâri gives his name in another hadith as ᶜUmârah b. Al-Walîd b. Al-Mughîrah.

We are informed by ʿAbdân, who had it from his father, through Shuʿbah, through Abu Ishâq, through ʿAmr b. Maimûn, through ʿAbdullâh, who said:—

" While the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) was prostrated in prayer (1) by the Kaʿbah, — Abu Jahl and some friends of his being seated near — when they said to one another: ' Which of you will go and get the placenta of the camel slaughtered by the Banu such and such, and put it on Muhammad's back when he is prostrated in prayer?'

Then the wickedest man among them (2) hurried off and brought it; and then waiting until the Prophet (Allâh bless him and give him peace) had prostrated himself, he put it on his back between his shoulders, while I – added ʿAbdullah — was looking on helplessly, though if I had had any support, *I should have snatched it off his back*. Thereupon these people began to laugh, each throwing the blame on the other. (3) Meanwhile the Messenger of Allâh (Allâh bless

حدثنا عبـــدان قال أخبرنى أبى عن
شعبة عن أبى اسحاق عن عمرو بن
ميمون عن عبد الله قال :

« بَيْنَا رسول الله صـــلى الله عليه
وسلم سَـاجِدٌ (ح) قال وحدثنى احمد
ابن عثمان قال حدثنا شريح بن مسلمة قال
حدثنا ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن
أبى اسحاق قال حدثنى عمـــرو بن
ميمون أن عبد الله بن مسعود حدثه :

أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ
يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وأَبُو جَهْلٍ
وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوس إِذْ قَالَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «أَيُّكُمْ يَجِيءُ
بِسَلاَ جَزُورِ بَنِى فُلاَنٍ فَيَضَعُهُ
عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ ؟»

فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ
بِهِ فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النبيُّ صلى الله عليه
وسلم وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ
وَأَنَا أَنْظُرُ لاَ أُغْنِى شَيْئًا لَوْ كَانَ
لِى مَنْعَةٌ . . . . . ، قال فَجَعَلُوا
يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه

---

(1) Or — according to Ahmad b. ʿUthmân, who had it from Shuraih b. Maslamah, who received it from Ibrâhîm b. Yûsuf, through his father, through Abu-Ishâq, who was told it by ʿAmr b. Maimûn, to whom it was related by ʿAbdullâh b. Masʿûd: "The Prophet (Allâh bless him and give him peace) was performing his prayer by the Kaʿbah."

(2) Namely, ʿUqbah b. Abu Muʿait.

(3) Or — according to Muslim, if يحيل is read as يميل — the meaning is "rocking with laughter".

mân b. Hurmuz Al-Aʿraj, who heard it from Abu Hurairah, who stated that he heard the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) say:

" We are the last in this world and shall be the first in the next."

With the same isnâd he said:

" Let no one of you on any account micturate in stagnant water, and then use it for his ritual ablution." (1)

Chapter 71.

If filth or any putrid carcase is thrown on the back of one performing his prayer, it is not vitiated;

and when Ibn ʿUmar used to see blood upon his garment while he was performing his prayer, he took it off and continued his prayer;

and Ibn Al-Musayyab and Ash-Shaʿbi said:

"If after anyone hath performed his prayer, he seeth blood or seminal stains upon his garment, or seeth that he hath not faced the Qiblah, or if he hath made a dry ablution and performed his prayer and then afterwards findeth water in time, — he need not repeat his prayer."

عبد الرحمن بن هرمز الأعرجَ حدثه أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

« نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ »

وَبِإسْنَادِهِ قال:

« لاَ يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لاَ يَجْرِي ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ ».

— ٧١ —

بَابٌ: إِذَا أُلْقِيَ عَلَى ظَهْرِ الْمُصَلِّي قَذَرٌ أو جِيفَةٌ لَمْ تَفْسُدْ عَلَيْهِ صَلاَتُهُ،

وَكَانَ ابن عُمَرَ إِذَا رَأَى فِي ثَوْبِهِ دَماً وَهُوَ يُصَلِّي وَضَعَهُ وَمَضَى فِي صَلاَتِهِ،

وَقَالَ ابنُ الْمُسَيَّبُ والشعبيُّ:

« إِذَا صَلَّى وَفِي ثَوْبِهِ دَمٌ أَوْ جَنَابَةٌ، أَوْ لِغَيْرِ الْقِبْلَةِ، أَوْ تَيَمَّمَ وَصَلَّى ثُمَّ أَدْرَكَ الْمَاءَ فِي وَقْتِهِ، لاَ يُعِيدُ ».

(1) Al-ʿAini gives two reasons for the combination of these two hadîths under one isnâd — first, that Abu Hurairah might have heard both on the same occasion; and second, that Abu Hurairah prefaced with the first one a number of the hadîths which he transmitted to Hammâm, as we find in Al-Bukhâri's Collection in the Books of Al-Jihâd, Al-Maghâzi, ʾImân, Nudhûr, etc.

أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عَنْ فَأرَةٍ سَقَطَتْ فى سَمْنٍ فقال: خذوها وما حولها فاطرحوه».

(قال معن حدثنا مالك ما لا أحصيه يقول عن ابن عباس عن ميمونة)

٣ ـ حدثنا احمد بن محمد قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

« كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُهُ الْمُسْلِمُ فى سَبِيلِ اللهِ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا إِذْ طُعِنَتْ تَفَجَّرُ دَماً، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ والْعَرْفُ عَرْفُ الْمِسْكِ ».

— ٧٠ —

بَابُ الْبَوْلِ فِى الْمَاءِ الدَّائِمِ.

حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب قال أخبرنا أبو الزناد أن

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) on being questioned about a rat falling into clarified butter replied: "Throw the rat away together with whatever butter hath been in contact with it."

(Maᶜn states that he was told this hadith by Mâlik an indefinite number of times, as being received through Ibn ᶜAbbâs from Maimûnah.) (1)

3. We are informed by Ahmad b. Muhammad, who had it from ᶜAbdullâh, who received it from Maᶜmar, through Hammâm b. Munabbih, through Abu Hurairah, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said:

"Every wound received by a Muslim in the cause of Allâh shall appear on the Day of Resurrection in the same form as when it was inflicted — flowing with blood of a natural colour, but having the scent of musk." (2)

Chapter 70.

On micturating in stagnant water.

We are informed by Abu-l-Yamân, who had it from Shuᶜaib, who received it from Abu-z-Zinâd who was told it by ᶜAbdu-r-Rah-

(1) Al-Bukhâri wished to establish the isnâd back to Maimûnah and to confute those traditionists who omit her and derive the hadîth from Ibn ᶜAbbâs.

(2) Al-ᶜAini's explanation for the inclusion of this hadîth under the heading of this chapter is that just as water, ritually clean, can lose its natural characteristics through contact with polluting elements, so can blood, ritually unclean, be transformed into glory through martyrdom.

and on Az-Zuhri having said: "There is no harm in *using* water so long as it hath not been affected by *extraneous* taste, smell or colour;

وقال الزهري : « لاَ بَأسَ بِالْمَاءِ مَا لَمْ يُغَيِّرْهُ طَعْمٌ أَوْ رِيحٌ أَوْ لَوْنٌ » .

and on Hammâd having said: "There is no harm in feathers of dead birds falling in water;

وَقَالَ حَمَّادٌ : « لاَ بَأسَ بِرِيشِ الْمَيْتَةِ » .

and on Az-Zuhri having said, speaking about the bones of dead animals, such as elephants and the like: "I have been contemporary with many early doctors of Islâm who used combs and pigment-boxes made of them, without seeing any harm in it;"

وقال الزهري فى عِظَامِ الْمَوْتَى نَحْوَ الْفِيلِ وَغَيْرِهِ : « أَدْرَكْتُ نَاساً مِنْ سَلَفِ الْعُلَمَاءِ يَمْتَشِطُونَ بِهَا وَيَدَّهِنُونَ فِيهَا ، لاَ يَرَوْنَ بِهِ بَأْساً » ،

and on Ibn Sîrîn and Ibrâhîm having said: "There is no harm in trading in ivory."

وَقَالَ ابن سيرينَ وابراهيمُ : « وَلاَ بَأسَ بِتِجَارَةِ الْعَاجِ » .

1. We are informed by Ismâʿil, who had it from Mâlik, through Ibn Shihâb, through ʿUbaidullâh b. ʿAbdullâh, through Ibn ʿAbbâs, through Maimûnah that:

١ ـ حدثنا اسماعيل قال حدثنى مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن ميمونة :

The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace), on being questioned about a rat falling into clarified butter replied:

أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عَنْ فَارَةٍ سَقَطَتْ فِي سَمْنٍ فَقَالَ :

"Throw away the rat together with whatever butter hath been in contact with it, and eat the rest."

« أَلْقُوهَا وَمَا حَوْلَهَا فَاطْرَحُوهُ وَكُلُوا سَمْنَكُم » .

2. We are informed by ʿAli b. ʿAbdullâh, who had it from Maʿn, who received it from Mâlik, through Ibn Shihâb, through ʿUbaidullâh b. ʿAbdullâh b. ʿUtbah b. Masʿûd, through Ibn ʿAbbâs, through Maimûnah that:

٢ ـ حدثنا على بن عبد الله قال حدثنا معن قال حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود عن ابن عباس عن ميمونة :

and to drink of their urine and milk. They did so, and when they were restored to health, they killed the herdsman of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) and carried off the herd. The news arrived in the early morning, and the Prophet immediately sent in pursuit of them, and by midday they were captured. At the Prophet's command their hands and feet were cut off and their eyes put out. They were then thrown into Al-Harrah, (1) where they begged for drink but were given none. (2)"

Abu Qilâbah added: "For these men had robbed, committed murder, renounced the Faith after embracing it, and made war upon Allâh and his Messenger."

2. We are informed by Adam, who had it from Shu'bah, who received it from Abu-t-Tayyâh, Yazid b. Humaid, through Anas who said:

"The Prophet (Allâh bless him and give him peace) before building the Mosque used to perform his prayer in sheep-folds."

Chapter 69.

On polluted matter falling into clarified butter or water;

فَانْطَلَقُوا فَلَمَّا صَحُّوا قَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَاسْتَاقُوا النَّعَمَ فَجَاءَ الْخَبَرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ جِيءَ بِهِمْ فَأَمَرَ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسُمِرَتْ أَعْيُنُهُمْ وَأُلْقُوا فِي الْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَلَا يُسْقَوْنَ».

قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: «فَهَؤُلَاءِ سَرَقُوا وَقَتَلُوا وَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَحَارَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ».

٢ ـ حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال أخبرنا أبو التياح يزيد بن حميد عن أنس قال:

«كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي قَبْلَ أَنْ يُبْنَى الْمَسْجِدُ فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ».

— ٦٩ —

بَابُ مَا يَقَعُ مِنَ النَّجَاسَاتِ فِي السَّمْنِ وَالْمَاءِ،

(1) A place behind Al-Madînah covered with black stones and scorching with heat.

(2) According to Al-Qastallâni, the punishment was a just retribution for a similar treatment inflicted by these people on the herdsman they had murdered.

According to Ibn Hajar, however, this hadith is suspended by another occuring in the Jihâd, forbidding cruelty in reprisals. The former hadith dates from before the revelation of the "sanctions verse" (آية الحدود).

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للأستاذ ابراهيم حسن الموجى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

OF RITUAL ABLUTION

(continued)

CHAPTER 68.

On the urine of camels, cattle and sheep, and on sheep-folds;

and on Abu Mûsa having performed the prayer in a post-house in which there was cattle-dung, while there was open country by the door, saying:

"To pray here or there is the same." (1)

1. We are informed by Sulaimân b. Harb, who had it from Hammâd b. Zaid, through Ayyûb, through Abu Qilâbah, through Anas, who said:

"Certain men of the tribe of ʿUkl – or ʿUrainah (2) – came to Al-Madinah where they fell ill. The Prophet (Allâh bless him and give him peace) ordered them to go out to his milch-camels,

كتاب الوضوء (تابع ما قبله)

— ٦٨ —

بَابُ أَبْوَالِ الإِبِلِ والدَّوَابِّ والغَنَمِ وَمَرَابِضِهَا ،

وَصَلَّى أَبُو مُوسَى فِى دَارِ البَرِيدِ والسِّرْقِينِ وَالبَرِّيَّةُ إِلَى جَنْبِهِ فقال، «هاهُنَا وَثَمَّ سَوَاءٌ».

١ — حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال:

«قَدِمَ أُنَاسٌ مِنْ عُكْلٍ أَوْ عُرَيْنَةَ فَاجْتَوَوُا المدينة فَأَمَرَهُمُ النبي صلى الله عليه وسلم بِلِقَاحٍ وَأَنْ يَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا ،

(1) That is to say, – on being asked why he prayed in a place strewn with cattle-dung, when the clean open place was near at hand. The purpose of the hadith is to show that the urine and dung of animals used for food is not ritually unclean.

(2) The narrator is doubtful as to which.

بسم الله الرحمن الرحيم

الروح الاسلامية ومدى تأثيرها

فى النفس البشرية

— ٦ —

مقومات علاقات الانسان بالعالم الخارجى

إذا أطلق لفظ العالَم أريد به كل ما هو موجود من الكائنات . والانسان وإن كان لا يكاد يحسب له حساب من ناحية الحيز الذى يشغله فإنه بما مُنِحه من الخصائص العقلية والروحية ، بمكانة ممتازة منه . فإذا لم يكن هو أرقى الكائنات العاقلة على الإطلاق فهو من أرقاها لا محالة . وقد أفرد كثير من علماء أوربا البحث فى مكانة الانسان من العالم بالتأليف ، حتى إن الداروينيين الذين يقولون بتحول الانسان من حيوان أدنى منه ، لايضنون عليه بهذه المكانة الممتازة ، وإن كانوا لايؤمنون بوجود روح فيه مستقلة عن المادة ، ومتنزلة من عالم أرفع منها .

وقد اعتبر العلماء الطبيعيون ثبوت علومكانة الانسان فوزا كبيرا لهم على الأديان ، فقد زعموا أنها تحقر من شأنه ، وتحط به الى ما لا يتناسب ومواهبه السامية ، وتعمل على إذلاله بضروب من التكاليف الشاقة تحت اسم العبادات ، وتحاول الاستيلاء على ضميره بما تصوره له من صور الثواب والعقاب فى دار بعد هذه الدار .

وهذا تجرّم ظاهر من خصوم الأديان ، فإنها قررت جميعا أن الانسان من روح الله ، وليس بعد هذا رفع لمكانة مخلوق فى هذا العالم . فإن آنس هؤلاء الخصوم بعد هذا تكاليف شاقة فرضت على بعض طوائفه ، وتقاليد مذلة حتم عليها القيام بها ، فذلك

من وضع زعمائها وقادتها ، إما خطأ منهم فى تقدير قدر الفطرة الانسانية ، وإما جريا وراء مطامع لهم لا تنال إلا من ناحية تسخير الشعوب لإرادتهم .

وإذا وجد هؤلاء الخصوم كلاما يقولونه من هذه الناحية فى جميع الملل ، فإنه يعز عليهم أن يجدوه فى الاسلام ، اللهم إلا بهتانا وتجنيا .

الاسلام كسائر الأديان السماوية يقرر بأن الانسان خلق من الطين ، ونفخ فيه من روح الله ، ولكنه يزيد عنها فى الإشادة بسموه ، وفى تعليل هذا السمو ، وفى تحديد مدى سلطانه على العالم الخارجى ، بما يتناسب والمعلومات العصرية الحاضرة ، ويتماشى وإياها جنبا الى جنب .

وقد ذكر الله كل ذلك فى كتابه الكريم ، فنقتبسه منه ، ونشرح منه ما يستدعى الشرح ، قال تعالى :

« وإذْ قَالَ ربُّكَ لِلملائكةِ إنّى جاعلٌ فى الأرضِ خليفة ، قالوا أتجعلُ فيها مَن يُفسد فيها ويَسفِكُ الدّماء ونحن نُسبّح بحمدكَ ونقدّسُ لك ، قال إنى أعلمُ ما لا تعلمون . وعَلّمَ آدمَ الأسماءَ كلّها ، ثم عرَضَهُم على الملائكةِ ، فقال أنبئُونى بأسماءِ هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سُبحانَكَ لا عِلمَ لنا إلا ما علّمْتنا إنك أنتَ العليمُ الحكيمُ . قال يا آدمُ أنبِئْهمْ بأسمائِهم ، فلمّا أنبأهُم بأسمائهم قَالَ ألَمْ أقلْ لكم إنّى أعلمُ غيبَ السّمَوَاتِ والأرضِ وأعلَمُ ما تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمون . وإذْ قُلْنا للملائكةِ اسْجُدوا لآدمَ فَسَجَدُوا إلّا إبْليسَ أبَىٰ وَاسْتَكْبرَ وكَانَ منَ الكافرينَ » .

هذه المحاورة تمثيل لما جاش فى صدور الملائكة عند خلق الله للانسان ، وليست هى كما يدل عليه ظاهر الألفاظ جدالا بين الله وهؤلاء الملائكة ، لأنه يقتضى ما ينافى التنزيه الذى جاء به الاسلام .

ومؤداها أن الملائكة عند ما علموا بوشك خلق الله لكائن يجمع بين طبيعتين متناقضتين إحداهما سفلية أرضية ، والأخرى علوية روحانية ، أدركوا أنه سيكون متنازَعا بين دواعيهما ، فيميل تارة الى هذه وتارة الى تلك ، وفى الميل الى السفلى الفساد على ضروبه وسفك الدماء ، ومثل هـذا الكائن كيف يصح أن يكون خليفة لله فى الأرض ، أى مكلفا بتحقيق مقاصده فيها ؟ فأجابهم مجيب من صميم معرفتهم بالله ، أنه يعلم ما لا يعلمون .

وتلا هـذا أن خلق الله آدم ، وطبع فى صميم معناه كل ما هو مستعد له النوع الانسانى من الرقى الصورى والمعنوى ، والسمو الروحى والمادى ، فلما تبين الملائكة ذلك ، قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . وأكبروا شأن الانسان ، وأدركوا أنه أهل لخلافة الله فى الأرض .

فأنت ترى من هذا مبلغ تشريف الله لقدر الانسان ، وسمو الفطرة التى فطره عليها ، وبعد الغاية التى خلقه لها . فهو معتبر فى الاسلام بأنه خليفة الله على العالم الذى وجد فيه ، يسير فيه سيرة المرشد المربى ، الممهد له طرق الترقى ، وأنه أهل لأن يبلغ شأوا يبز فيه الملائكة ، ويكون فيه أهلا لتبجيلهم وتعظيمهم باعتبار أنه أرفع درجة منهم ، وأنه قد دفع به الى ترق مادى وأدبى لا يقف عند حد ، بحيث يرى الملأ الأعلى أن النظر اليه من موجبات تسبيح الله على سمو جبلته .

وقد نبه الله فى كتابه الى أن سمو هذه الفطرة الانسانية قد اقتضى أن تسنَد اليه المهام التى تقتضيها الخلافة الإلهية فى الأرض ، فقال الله تعالى : « وسخَّر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، إن فى ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون » .

فهذه الآية الكريمة تشير الى بعد مدى سلطان الانسان على العوالم المادية ، إذ ليس بعد تسخيرها له مرمى فى تسليطه عليها ، ومثل هذا القول من المعجزات الفلسفية للكتاب الإلهى ، فلم يقل به أحد قبل القرن التاسع عشر من الناحية العلمية . فقد اعتُبر الكون

دائما مجهولا مزعجا ، وقد أله قواه المختلفة الأقدمون وعبدوها . وكان الانسان منذ زمان قريب إذا سمع جاجلة الرعد ، وهزيم الرياح ، ولمح وميض البرق ، أخذته رعدة وكاد يصعق فرقا . ولكننا آنسنا أن الانسان كما سخر الماء والنار ، وذلّل الكهرباء والبخار ، وكبح جماح الأهوية والبحار ، عاملٌ على تسخير بقية العوالم ، فما لا يصل اليه بحواسه المجردة ، صوب اليه من آلاته وأدواته ما يقتاده خاضعا مستسلما .

هذا السلطان العظيم الذى استتب للانسان فى هذا العالم ، قد كشف عنه الاسلام قبل أن تظهر بوادره ، بل قبل أن يطمئن الانسان على وجوده فى الأرض ، وهو ما كشف عنه وأحاطه بضروب من الإكبار ، إلا وهو معتبر إياه حقا صريحا للانسان ، بل مظهرَ ما غرسه فى صميم معناه من القوى المؤدية اليه . فلا نقول والحالة هذه إن الاسلام يسمح بأن يشتغل الانسان فى ترقية المحسوسات وإيصالها الى كمالها ، ولكننا نقول إنه مخلوق لذلك بحكم الفطرة التى فطره الله عليها ، وعده بسببها خليفة له فى الأرض .

فالمسلم الذى يتلو القرآن حق تلاوته ، ويتبع سبيل المؤمنين قبله ، يتأدى حتما الى مثل ما تأدوا اليه من الترقيات الصورية والمعنوية ، بالعمل المتواصل فيها ، كما عمل آباؤه حتى بلغوا غاية من الارتقاء لم يصل اليها أحد قبلهم .

كثيرا ما عجب الباحثون من شدة نهَم المسلمين فى الأخذ بكل ما وجدوه صالحا ونافعا فى الأمم التى احتكوا بها ، ومن سرعة ما هضموه وتمثلوه غير مفرقين بين مصادره ما دام خيرا محضا ، أو ما دام خيره أكثر من شره ، حتى جمعوا بين مالم يكن مجموعا قبلهم من علوم أمم كان بينها بعد المشرقين ، ومن صنائع وفنون كانت معروفة عند قوم ومجهولة عند آخرين . فلو كانت أمة تدين بالمادية الباحتة لما استطاعت أن تبلغ شأو المسلمين الأولين فيما بلغوه فى سنين معدودة ، فما ظنك وهم مع ظهورهم بهذه النهمة المفرطة للعلوم والصنائع والفنون كانوا يمثلون أرقى ضروب المتدينين الصادقين ، حتى قيل إنهم بزوا العالم أجمع فى شدة تمسكهم بالدين ، وسلوكهم طريق الزاهدين المخبتين .

حلّ هذه المسألة لا يعسر على العارف بالاسلام، ولا يستدعى الإطالة فى القول، ذلك أن القرآن صرح بأن فى الانسان من قيوم السموات والأرض نفحة روحانية، ظهرت بأجل المظاهر وأكبرها شأنا فى العقل والتفكير، وفتح آفاق بعيدة فى العلم والمعرفة، وعدم وقوفه عند حد من النظر والاستدلال، وفى شعوره الصميم بأنه أرفع من هذا العالم المادى المحسوس.

وقد نص الكتاب فوق هذا بأنه قد سُخر له مافى السموات وما فى الأرض، وأن الله قد أقامه خليفة له فى هذا العالم، فكل هذه الأصول تزيد ارتباطه بالعالم الخارجى، وتورطه فى شئونه، لا ارتباط الجزء بالكل فحسب، ولكن زائدا عليه شعورا بالهيمنة والسلطان، فلا غرو أن ينظر كل مسلم الى الكون نظر الخليفة فيما وكل اليه أمره، ليستطيع أن يضطلع بمهمته، فتراه مضطرا لسبر غور كل غامض من غوامضه، وتقدير بعد كل غاية من غاياته، وتحليل تركيب كل كائن من كائناته، متأثرا بدافع العجلة، لأن قصر مدى الحياة لا يناسبه التسويف والتلوّم.

هذا هو السبب الحقيقى الذى جعل المسلمين الأولين العاملين بالدين، يتذرعون بهذا النهم المفرط لتحصيل المعارف والعلوم، والإلمام بالصنائع والفنون، مما لم يكن معروفا لديهم، ثم الاشتغال بدرسها وتمحيصها وزيادة مادتها والتطوع لنشرها بين الناس كافة. وفيه دليل عملى على أن المقومات التى وضعها الاسلام لتنظيم العلاقات بين الآخذين به والعالم الخارجى هى أرق المقومات وأكرمها وأكثرها بركة.

نعم إن الانسان مدفوع بدواعى الحاجة الى تعرف أسرار الموجودات والاستفادة منها، فهو ليس فى حاجة لمن ينبهه الى ذلك، ولكن هناك فارقا بين من يندفع فى هذه السبيل بواسطة الحاجة المادية، ومن يسلكها محفوزا فوق هذا الدافع بدافع أرقى منه، وأعلق بالنفس، وهو أنه فى عمله فيه يقوم بخلافة مبدعه عليه، والخلافة تقتضى

الهيمنة ، والتنظيم ، والتربية ، والتكميل كما قدمنا . وكل هـذه الصفات تقتضى أن يعتصرها الانسان من غرائزه ، وأن يستثيرها من أعماق طبيعته . فهل تعجب بعد هذا من قول التاريخ إن المسلمين كانوا أشد الأمم عملا فى استغلال الطبيعة ، وتسخير قواها ، والابداع فيها ، وأنهم فى الثلاثة القرون التى كانوا عاملين فيها بدينهم قد جابوا للانسانية من الخير العام مالم تجلبه لها الأمم كلها مجتمعة .

ومما يجب لفت نظر القراء اليه أن المسلمين أسسوا علاقاتهم بالوجود الخارجى على ما ذكرنا ، وتكلموا فى كل منحى من مناحى العلم ، وجالوا فى كل مجال من مجالات الفلسفة ، ولم يصطدموا بالدين فى أية مسألة من المسائل التى تُوهِم فيها ظواهر النصوص الكتابية ، خلافَ ماتثبته المقررات العلمية ، وهى العقبة التى اضطرت الكنيسة فى أوربا الى منع البحث العلمى أكثر من ألف سنة أى من القرن الخامس الى السادس عشر . فهذه ميزة للاسلام لم يُثبت تاريخ العالم لها نظيرا لأمة من الأمم ؟

محمد فريد وجدى

اتقاء مساخط الله

شاور معاوية الاحنف بن قيس فى استخلاف ابنه يزيد ، فسكت الأحنف . فقال له معاوية : مالك لا تقول ؟ فأجابه الأحنف : إن صدقناك أسخطناك ، وإن كذبناك أسخطنا الله ، فسخط أمير المؤمنين أهون علينا من سخط الله . فقال أمير المؤمنين : صدقت .

وكتبت عائشة رضى الله عنها الى معاوية : أما بعد فان من يعمل بمساخط الله يصير حامده من الناس ذاما له والسلام .

وكتب أبو الدرداء الى معاوية أيضا : أما بعد فانه من يلتمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله الى الناس .

أرسل أبو جعفر المنصور الى سفيان الثورى ، فلما دخل عليه قال عظنى أبا عبد الله . فقال له سفيان : وما عملت فيما علمت فاعظك فيما جهلت ؟

فما وجد له المنصور جوابا .



هى السورة الحادية والثلاثون ، وآيها أربع وثلاثون ، وقيل ثلاث وثلاثون ، وهى مكية كلها ، واستثنى بعضهم ثلاث آيات ، هن قوله تعالى : « ولو أنّ ما فى الأرض مِن شَجَرَةٍ أقلامٌ والبحرُ يَمُدُّه من بعده سبعةُ أبحرٍ ما نَفِدت كلماتُ الله » الى قوله عزوجل : « وأنّ الله بما تعملون خبير » رووا أنها نزلت بالمدينة ، ورووا فى سبب نزولهن أن أحبار اليهود بالمدينة قالوا له صلى الله عليه وسلم : بلغنا أنك تقول : «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » أعنيتنا أم عنيت قومك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : كلاً عنيت ، فقالوا : إنك تعلم أنا أوتينا التوراة وفيها بيان كل شىء ، فقال صلى الله عليه وسلم : ذلك فى علم الله قليل ، فأنزل الله عليه هذه الآيات الثلاث ، وقيل بل آية « ولو أن ما فى الأرض» والتى بعدها .

وقال بعضهم : السورة مكية كلها إلا آية « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة » فإن فرضية الصلاة والزكاة كانت بالمدينة . وهذا مردود ، فإن الصلاة فرضت ليلة الإسراء بالإجماع ، والإسراء كان قبل الهجرة ، على أن الصلاة كانت مشروعة قبلها : ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى على ما روى ، والزكاة أيضا شرعت فى مكة ، وإن كان تحديد الأنصباء على هذا الوجه المعروف كان بالمدينة ، فهى داخلة فى البر المطلوب شرعا المرغب فيه على كل حال ، بل هى من الشرائع القديمة كما يدل عليه قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه

وعلى نبينا الصلاة والسلام: «وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا». فإذا كان إيجابها على هذا الوجه المفصل ببيان الأنواع والأنصباء بالمدينة فلا ينافى مشروعيتها والترغيب فيها ولو ندبا قبل ذلك، فلا يدل اشتمال الآية على الزكاة وامتداح فاعليها على أنها مدنية.

قال تعالى: «بسم الله الرحمن الرحيم. الٓمٓ تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْحَكِيمِ»:

سبق لنا الكلام فى تفسير البسملة بما يناسب مشربنا فى هذه المجلة من الاقتصار على زبدة ما يفيد ويناسب جمهرة القارئين. ونجتزئ هنا بإعادة ملخص وجيز نرجو منه إفادة ما لا بد منه، ونأمن به الوقوع فى صريح التكرار.

وكذلك نسلك هذا المسلك الموجز بتلخيص ما سبق لنا تقريره فى تفسير الحروف فى فواتح السور، والله المستعان:

«بسم الله الرحمن الرحيم»:

الباء للاستعانة، والاستعانة تطلق على معنيين، أحدهما غير مراد هنا، وهو ما يدل عليه الباء الداخلة على الآلة كقولك: كتبت بالقلم وقطعت بالسكين. فمعنى الاستعانة فى هذه الباء أن مدخولها مساعد للفاعل فى تحصيل فعله، مستخدَم استخدام المسخَّر فى يد المسخِّر. والثانى وهو المراد هنا وهو ما يدل عليه الباء الداخلة على من يستمد منه القوة على الفعل، فكأن المستعين يبرأ من قوته بنفسه، ويظهر أن إمداده بالقوة التى بها يباشر هذا الفعل هو من مدخول الباء، وعليه يكون المستعين كالفرع فى العمل للمعين، وموهبة القوة والاقتدار على العمل آتية من ناحية المعين بالأصالة، وسرت الى المستعين بطريق الفرعية، وهذا يتجلى واضحا فيما تسمعه من ألسنة الناس حين يقولون: فلان يجمع التبرعات باسم الجمعيات الخيرية، أى أنه استمد منها مقدرة على مطالبة الناس بما ليس له حق فى المطالبة به إذا رجع الى ذاته هو، وكذلك يقول القائل: أنا أقبض على فلان باسم القانون، ومعنى ذلك أنى أستمد السلطة التى تمكننى من القبض عليه وتقييد حريته من سلطة القانون، ولولا استنادى اليها ما كان لى عليه

حق . ويقول القائل : أنا أنهاكم عن هذا العمل باسم الدين ، أى أنى مستند فى منعكم ومصادرتكم فى هذا العمل الذى ترتكبون الى قوة الدين التى لا قبل لكم بمخالفتها والخروج عليها .

ويقول المبتدىء فى عمل يحتاج فيه الى حفز قوة ومضاء عزيمة واستمداد معونة عظيمة ، يقول : باسم الله ، أى أنى أستمد العون على هذا العمل العظيم من الله القوى القدير ، وحسبي استنادى الى تلك القوة القادرة التى لا يقف فى طريقها عرقلة لأمضى فى طريقى مساعدا مسددا ، فتجد فيها فوق سؤال المعونة من الله تقوية العزيمة ، وحفز الهمة ليمضى فى عمله غير وانٍ ولا كسل ، وهو مع هذا سائل ربه أن يفيض عليه من معونته ما به يتم عمله على وجهه الأكمل .

ترى من هذا التقرير أن الآتى بالبسملة يسأل الله المعونة ، والسؤال إنما يتوجه الى ذات الله عز وجل ، ثم يستحضر ذاته عز وجل استحضارا يقوى إرادته ، وكأنه يضمن له النجاح فى عمله ، ووسيلة استحضار الذات الأعلى هو إحضار اسمه الكريم فى ذاكرته ، ليشعر أنه مستمد العون من قوة تضمن له النجاح ، وهذا هو السر فى ذكر لفظ الاسم ، وهذا هو المعنى الذى تفهمه ويتبادر الى ذهنك حين تسمع الاستعمال على هذا الوجه كما فى الأمثلة التى سردناها لك آنفا . فلفظ (اسم) يقال لما به استحضار المسمى ، فهو من السمة بمعنى العلامة الدالة . ويرى بعضهم أنه من السمو بمعنى العلو ، ويتمحل لذلك توجيها بعيدا عما يتبادر الى الفهم إذ يذكر لفظ اسم أو أحد مشتقات هذه المادة كقولك سميته وحضرنى اسمه وأمثال ذلك ، فإنما يتبادر منها معنى مايدل عليه ويعتبر علامة له . وحاصل توجيههم الذى أشرنا اليه هو أن الشيء لا يزال مغمورا فى ظلمات الجهالة حتى يوضع له اسم فيرتفع ويسمو به إذ يكون ظاهرا معروفا . فانظر تجدهم قد استعانوا فيما يزعمون من رفعته وعلوه بظهوره وحضوره فى الذهن ، فكأن الحضور فى الذهن هو أول ما يتبادر من مادة اسم ، ولفظ الجلالة اسم للذات

الأقدس الجامع لـكل صفات التنزيه والتمجيد، ومعنى صفات التنزيه الصفات التى معناها سلبى، كالوحدانية وعدم المثيل والشريك، وكالبقاء والقـدم . ومعنى صفات التمجيد الصفات الدالة على المعنى الايجابى، كالعـلم والقدرة، والتدبير والخلق والرزق، والرحمة والانعام .

فأسماء الله الحسنى تجد لـكل اسم منها معنى خاصا يدل عليه، وأما لفظ الجـلالة فاسم للذات المنزهة عن كل ما لا يليق، المتحلية بكل كمال إلهى .

و «الرحمن الرحيم» صفتان مشبهتان من الرحمة بمعنى الإحسان، ومعنى الرحمن : من له تلك الآثار العظيمة التى تتجلى أمامنا فى كل مظهر من مظاهر الوجود، نخلق هـذه الـكائنات علويّها وسفليّها، وإعطاء كل عالَم منها منتهى كماله وغاية نظامه، وتعهدها بالتنمية والحفظ والمعـونة على وصولها الى مراتب كمالها، كل أولئك أثر من آثار رحمته، فهو المفيض للرحمة إفاضة لا ينكرها أحد من العالمين، ولو استطاع لسان أن ينكرها لحظة حين يفـقد نعمة من النعم فإن لسان حاله لا يلبث أن يفطن لباقى نعمه فيلجأ اليه عز وجل فى أن يحفظها عليه . وهل المنتحر الذى يلقى بنفسه فى ظلمـات الهلاك ترى علة لا نتحاره إلا أنه فقد فى نظر نفسه بعض نعم الله عليه فلم يطق لفقدها صبرا، فجره جزعه الى أن ينسحب من بقية النعم لأنه لم يطق الصبر على فقد نعمة واحـدة منها ؟

ومعنى الرحيم : الذى دلّت آثار رحمته المتوالية وتـكررها وظهورها باطراد فى كل حال وفى كل عالم، علوى أو سفلى، نوع أو فرد، دلّت تلك الآثار على أن رحمته من ذاته ثابتة راسخة لا تعتريها التبدلات، ولا يخشى عليها التقلبات . وصيغة فعيل أكثر ما تستعمل فى الملـكات الراسخة كقولهم : شريف وكريم وبخيل وشحيح وأمثال ذلك، فـكأنه بالوصفين يشار الى مظاهر الرحمة التى نراها فى كل شىء، والى أن ذلك من الصفات الراسخة كرسوخ الملكات، ولله المثل الأعلى، وإلا فلا يقال فى جانب الله ملـكة ولا حال، ويكون تقديم صيغة الرحمن على صيغة الرحيم من باب تقديم الدليل على المدلول

أو المقدمات على النتائج ، فإن من رأى تلك المظاهر الرحموتية متوالية فى كل شىء وفى كل آن ، جزم بأن رحمته ذاتية ليست متكلفة .

ويفسرهما بعضهم بأن الرحمن هو المنعم بجلائل النعم ، والرحيم هو المنعم بدقائقها . فالأولى كنعمة الإيجاد والإيمان والتخليد فى دار النعيم ، والثانية كتيسير بعض أمور جزئية مما يعتبر أمرا كماليا ، أو مصادفة مطلب بقرب كان ينتظر أن يكد فيه كثيرا ، وقالوا فى توجيهم : إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . ولفظ رحمن مركب من خمسة أحرف باحتساب المدة بعد الميم ، ولفظ رحيم مركب من أربعة ، ويكون وجه تقديم الرحمن على الرحيم البدء بالأهم ، ثم تعقيبه بما هو كالمتمم له ، للدلالة على أنه واهب كل شىء كبيرا كان أو صغيرا . ونرى التوجيه الأول أدق ، والله أعلم .

« الٓمٓ » :

هذه أسماء للحروف التى يتركب منها الكلمات ، وقد اختلف المفسرون فى المراد منها فى فواتح السور ، فقيل هى من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه ، وقد روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : لكل كتاب سر وسر القرآن أوائل السور . والحكمة فى بدء السور بها وإن لم يفهم المراد منها أنّ قرع السمع فى أول الكلام بما يعيي النفوس فهمه دافع لها أن تلتفت وتصغى وتزيد يقظتها وتستقصى فى التأمل ، فيزداد بذلك انتفاعها بتفهم ما يلقى عليها ، وذلك أن النفوس مولعة بتتبع ما لم تفهمه ، والاستقصاء فى البحث عنه ، فلا تزال تردد ذهنها فيه ، وكلما ازدادت تأملا ازدادت من فوائده استنباطا وانتفاعا ، والقرآن لا تنقضى عجائبه كما روى ذلك عن على كرم الله وجهه . وأيضا فى احتواء القرآن على ما لم يفهم ، وهو معنى المتشابه فى رأى الكثير ، اختبار للإيمان بالغيب الذى امتدح الله عز وجل صاحبه ، فهو فى الأقوال بمنزلة التكليف بما لم تعرف حكمته تفصيلا من الأفعال ، كرمى الجمار فى الحج ، يختبر به رسوخ الإيمان فى النفوس ، وقوة اعتقادها بحكمة الآمر ، فهى تطيعه فيما فهمت حكمته وفيما لم

تفهم ، وهى تؤمن بأن ما أنزل على يد الصادق المصدق هو من عنـد الله سواء فيما فهمته وفيما لم تفهمه ، وهذا لا يكون إلا حيث يرسخ الإيمان بصدق المبلِّغ فى النفس رسوخا لا يزلزله تعاصى فَهْم بعض ما بلَّغ قياسا له على ما ملأها يقينا وإيمانا .

ومن حكمته أيضا أنه يوجه نفوس المعرضين الى الاستماع ، فيهجم عليهم مما يليه من آيات الكتاب الحكيم ما يملك عليهم حواسهم ، ويجذب الى الهدى نفوسهم ، فقد كانوا يقولون بعضهم لبعض : لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوْا فيه ، فلما أنزلت السور المبدوءة بحروف الهجاء وقرع سمعهم ما لم يألفوا ، التفتوا وإذا هم أمام آيات بينات استهوت قلوبهم ، وجذبت اليها عقولهم ، فكان يؤمن من أراد الله له الإيمان ، ويقترب من الإيمان من شاء الله تأخيره الى أوان ، وتقوم الحجة فى وجه أهل العناد والطغيان .

وقيل : بل المعنى المقصود منها معلوم ، وكونها من المتشابه لا يمنع ذلك ، فالمتشابه يعلمه الله والراسخون فى العلم ، فإن الوقف فى آية آل عمران وهى قوله تعالى : « وما يعلم تأويلَه إلا اللهُ والراسخون فى العلم » هو على قوله : فى العلم . قالوا وإلا كان القرآن مشتملا على مالم يفهم معناه ، فلم يكن تبيانا وهدى ، ولم يكن بلسان عربى مبين ، ولم يصلح جميعه للتحدى به ، فإنه لا يتأتى التحدى بما لم يفهم . وعلى هذا قيل : إنها أسماء للسور المبدوءة بها ، ولا يضر اشتراك مسميات عدة فى اسم واحد ، كما يسمى جماعة كل منهم بمحمد أو عبد الله مثلا ، ويكون التمييز بينها بإضافة كلمة أخرى نحو آلـم البقرة وآلـم آل عمران ، وآلـم لقمان ، وهكذا ، فطه ، وطس ، ويس ، وق ، ون ، كلها أسماء للسور المبدوءة بها ، ولا يضر أن تسمى السورة بأول كلمة منها لتعرف به . وقيل بل هى أسماء للحروف التى تدل عليها فى التهجى وإنما ذكرت لبيان أن ما سيتلى عليهم ويعجزون عن معارضته هو مؤلف مما تناله قدرهم ويدور دائما على ألسنتهم ، فلا تعاصى فى مادته على أحد منهم ، فإذا عجزوا عن تأليف هذه المادة الميسورة تأليفا يضاهى ما أنزل اليهم ، وقد زعموا أنهم أمراء الكلام وفرسان البيان ، تمّت عليهم الحجة بأنه ليس من تأليف

البشر ، ووجب أن يعترفوا بأنه من عند الله الحكيم العليم . وقيل بل هى إشارة الى أسماء وصفات ، فالألف إشارة الى لفظ الجلالة : الله ، واللام إشارة الى اسمه تعالى لطيف . والميم إشارة الى اسمه تعالى الملك ، أو الألف إشارة الى الله ، واللام إشارة الى جبريل ، والميم إشارة الى محمد ، وكأن المعنى : الله نزل جبريل بالوحى الى محمد . وهى معان كما ترى لا تنبنى على قاعدة معلومة ، وهى أشبه بتجليات صوفية منها بمعان تنبنى على قواعد ثابتة ، فلعل أظهر هذه الأقوال إن قلنا إن المراد منها معلوم ، هو أنها أسماء للسور ، ولعل أظهر منه أنها من المتشابه ، وحكمة الإتيان به ما قدمناه ، والله أعلم .

« تلك آيات الكتاب الحكيم » :

نجد ما يشبه هذه البداءة فى كثير من سور الذكر الحكيم : «الٓمٓ ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين» سورة البقرة . « المٓصٓ كتاب أُنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين » سورة الأعراف . « الٓرٰ تلك آيات الكتاب الحكيم » سورة يونس . « الٓرٰ كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدُن حكيم خبير » سورة هود . « الٓرٰ تلك آيات الكتاب المبين » سورة يوسف . « الٓمٓرٰ تلك آيات الكتاب والذى أُنزل اليك من ربك الحقُّ » سورة الرعد . «الٓرٰ تلك آيات الكتاب وقرآنٍ مبين» سورة الحجر ، وغير ذلك من السور .

ولعل من السر فى هذه البداءة أن التنويه فى أول الكلام بشأنه ، وجعله هو الكتاب الجدير بأن يستحق هذا الاسم من بين الكتب أو جعله آيات الكتاب ، وأن كل جزء متمارف منه مستقل بالقصد والإفادة آية على أنه منزل من حكيم عليم ، أو أنه كتاب قد أحكمت آياته وفصلت من لدن حكيم خبير ، أوماشابه ذلك من الصفات المشوقة لما سيتلى المبينة لمنزلته ، أقول : لعل من السر فى تلك البداءة أن التنويه بشأن الكلام فى بدايته يبعث على الإصغاء اليه ، والاستماع بتدبر ، والتوجه بانتباه ويقظة ، فتمتلئ النفس بالنور والهدى المنبعث من جنباته ، فتكمل بذلك الرحمة للخلائق ، وهو المقصود

الأمم . وحاش لله أن يكون هذا من قبيل التباهى والفخر الذى يعمد اليه بعض الشعراء تساميا وتعاليا ، وإنما هو من باب إشادة الناصح بقدر نصيحته حتى يكمل الانتفاع بها ، والتحلى بحلاها ، والتخلق بما تدعو اليه .

والإشارة فيها إما للسورة المبدوءة أو للقرآن بجملته . ولا يقال كيف والجملة التى فيها الإشارة جزء من المشار اليه ؟ لأنه لا مانع من أن يكون فى جزء الشىء الإشارة الى جملته ، وإنك لتجد فى كثير من قصائد الشعراء أبياتا فى وصف القصيدة والتحدث عنها وهى معدودة من جملتها ، كقول بعضهم فى آخر قصيدة فى النصح :

وإليكها وضاحة ضمنتها الدرر الحسان
فإن اقتديت بها اهتديـ ـت وإن أبيت فلا أشان

فهما بيتان يصفان القصيدة برمّتها ، ومع ذلك فهما معدودان جزءا منها ، وهو مستفيض كثيراً فى لسان البلغاء .

والآيات جمع آية بمعنى العلامة ، وأكثر ما تستعمل فى المعنى يكون معهودا بين متخاطبين يتخذه أحدهما دليلا على صدق رسوله الى صاحبه ، تقول لرسولك : قل لفلان بآية ما كان بينى وبينه من حديث فى موضوع كذا حين تقابلنا فى موضع كذا . ووجه حسن هذا الاستعمال هنا أنه يشير الى ما أودع الله فى فطرة الانسان من شواهد يعلمها من نفسه ، فيعترف أن واهبها وموجدها هو المهيمن على العالم ، المتصرف فيه بقدرته وإرادته ، وأن النواميس التى بثها فى أجزائه وجعلها عادة مطردة فى خلقه لا تخضع فى اطرادها أو تخلفها إلا له ، فإذا ما خرقت العادة فيها على يد واحد من عباده خرقا مقترنا بدعواه أنه مرسل من قبل الله عز وجل ، كان هذا الخرق كالتذكير لبنى الانسان بما أودع فى فطرتهم ، وجعله شاهدا على ربوبيته لهم ، وأنه الذى خلقهم وتعهدهم برحمته وتداركهم بهدايته ، وأن هذا كالعهد بينه عز وجل وبين خلقه ، فإذا جاءهم الرسول يحمل هذه الأمارة كان ذلك دليل صدقه . وهذا المعنى له نوع اتصال بما أشير

اليه فى قوله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » على ما يراه بعض المحققين من المفسرين من أن هذا الاشهاد بواسطة ما أودع فى خلقتهم من دلائل ، وبثه فى نفوسهم من شعور يحملهم على الاعتراف بأنهم وكلٌ ما يتصل بهم مربوبون لرب العالمين ، فكذلك هنا قد جعل بمنزلة المعهود بين الله وخلقه ، ما غرس فى نفوسهم من تصديق الرسول يأتى بآية ليست فى متناول أحد غيره إلا من اختصه المرسِل بها ، فيعلم أنه ما خصه بها إلا ليؤيده ويصدقه ، وتكون الآية بمنزلة : صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى .

ولقد سبق لنا القول فى المجلة فى تفسير قوله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم » الآية ، فى العدد الأول من المجلد السادس ، فعسى أن ترجع اليه .

والكتاب : أصله من كتب بمعنى جمع ، ومنه قولهم الكَتِيبة لأفراد الجيش المجتمعين . والحكيم بمعنى المحكَم ، أى الذى وضعه صاحبه على وفق الحكمة ، وهى وضع الشىء فى المحل اللائق به ، أو بمعنى المشتمل على الحكمة الداعى اليها الهادى الى سبيلها . وفى القرآن ولله الحمد المنيان ، فهو محكم الترتيب ، متقن الوضع ، وهو أيضا مشتمل على الحكمة داع اليها هاد الى سبيلها . ويرى بعضهم أن نسبة الحكمة اليه على طريق التجوز أى الحكيم مُنزله ، فإن الحكمة صفة فى الأصل لمن له العلم ، وهذا متحقق فى المنزل جل شأنه ، ولكن فى التوجيهين السابقين ما يغنى عن هذا التجوز وإن كان فى ذاته مما يصح .

نسأله تعالى أن يفيض علينا من هدايته ، ويحققنا ببالغ حكمته ، إنه سميع مجيب م؟

ابراهيم الجبالى

حياة محمد

بقلم الدكتور هـ . فوستر

شبهات داحضة ، وحملة فاشلة

نأتى اليوم على ملخص ما أورده الدكتور فوستر من الشبهات على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فى مجلة (ذى مسلم وورلد) التى تصدر بنيورك ، و نتبعها بما يدحضها من الحقائق التى لا يختلف فيها اثنان .

ملخص شبهات الدكتور فوستر ، قال :

« إن محمداً وإن كان قد أعلن عن نبوته مفاجأة ، فإنه كان قد استعد لها استعدادا عظيما من اتصاله باليهود والنصارى .

« لا يوجد شك فى أن محمدا نشأ على دين آبائه مشركا ، ويحتمل أن اشمئزازه من عبادة الأوثان ومن ذيوع الشرور والآثام بين أهل مكة إذ ذاك ، قد دفعاه الى الرجوع لدين قومه القديم وهو دين ابراهيم . فقد ألح فى أنه كان الدين السائد عليهم .

« ولكن الأكثر احتمالا أن فكرة التوحيد جاءته من محادثاته مع اليهود والنصارى ، ولكونه لا يعرف العبرية ولا اليونانية ، فلم تتح له فرصة الاطلاع على هذين الدينين فى مصادرهما الأولية ، ولكنه تلقف حكايات عنهما من البسطاء لا المتعلمين ، لذلك سرت اليه تلك التحريفات الغريبة والإضافات ، مما أقحم فى الإنجيل بعد نزوله ، وهى نتيجة الخيال البشرى الذى لا يقف عند حد ، فأساء محمد فهم المسيحية ، ولكنه لم ينكر أن اليهودية والنصرانية كانتا من آثار العناية الإلهية لإنقاذ الناس من الشرور ، وكان الاسلام فى اعتقاده آخر الأديان وأكملها .

« إن محمداً يجنح الى توحيد اليهود أكثر من جنوحه الى توحيد النصارى ، فهو

لم يفهم روح المسيح . وقد كانت المسيحية الشرقية على عهده غرقة فى الطقوس الدينية الملتاثة بالوثنية ، حتى نسيت الفدية والغفران والإخاء مع الله ، وطاعة قانون الحب العام . لذلك عاقبها الله بأن سلط عليها سيل الاسلام المدمر . وإن الكنيسة الغربية اليوم التى لاتعنى بغير الشعائر الدينية ، وفن البناء ، وجمع الثراء ، تعرض نفسها لسقوط شبيه بذلك السقوط .

« وإن أحاديثه مع أهل الديانات الكبرى وإن كانت أكثر تأثيرا فى إعداده لعمله الذى قام به ، فإن لاقتداره الشخصى فى استغلال شوق الناس الى النعيم العظيم ، وهلعهم من العذاب المقيم ، تأثيرا أيضا فى جذب الناس الى ديانته ، فقد كان من هذه الناحية يبز (دانتى) فى الوصف وسعة الخيال »

ردنا على هذه الشبهات :

يقول الدكتور فوستر: إن محمدا قد استعد لنبوته استعدادا عظيما باختلاطه باليهود والنصارى ، ولم يقل كيف يكون الاستعداد للنبوة ؟

لا مشاحة فى أنه يريد بالنبوة النبوة الكاذبة ، ويريد بالاستعداد لها أن يتعلم مدعيها المسائل التى تعنى بها الأديان ، والأساليب التى تتبعها فى بث تعاليمها ، والفلسفة التى تدعمها بها .

فأما المسائل التى تعنى بها الأديان فلا يجهلها أحد ، سواء أكان وثنيا أو موحدا ، لأنها ميراث عام للبشر كافة ، وهى لا تعدو سبع مسائل رئيسية ، وهى العقيدة فى الله وفى الروح ، والخلود فى حياة بعد هذه الحياة ، وفى وجود العالم الروحانى ، وفى الأنبياء والمرسلين والكتب الإلهية ، وفى صحة العقاب والثواب الأخرويين ، وما يتبع ذلك من الدعوة الى عقائل الأخلاق ، وكرائم الآداب .

بقيت الأساليب التى تتبعها الأديان فى بث تعاليمها ، والفلسفة التى تستند على أصولها

فى تدعيمها ، مما أطلق عليه اسم علم اللاهوت ، وهذا هو الذى يحتاج لدراسة طويلة ، وتفكير عميق .

فهل هذا العلم هو الذى استمدّ محمد صلى الله عليه وسلم بتلقيه لدور النبوة الذى قام به ؟

لا يعترف الدكتور فوستر بذلك ، وهو يقرر أن محمدا لم يقابل إلا العامة والسذج الأميين من اليهود والنصارى ، فلم يحصل منهم إلا ما هم أهل للإفضاء به من الأوهام والأكاذيب ، حتى إنهم لم يستطيعوا أن يفهموه حقيقة المسيح . فإذا اعتمدنا على قوله هذا أصبحنا لم نفهم معنى قوله إن محمدا استمد لادعاء النبوة استمدادا عظيما بمقابلته لرجال من تينك الملتين . فهل الاستمداد العظيم لادعاء النبوة يكون بتلقف معلومات ناقصة وخرافية (كما يقول) من عامة أهل دينين سابقين ؟

وإذا كان ادعاء النبوة والنجاح فيها الى الحد الذى بلغه محمد صلى الله عليه وسلم يتم بتصيد معلومات ناقصة من عامة بعض الأمم المتدينة ، فلم لم ينجح فى دعوى النبوة العدد العديد من المغامرين الذين جمعوا بين أدق ضروب الختل والخداع ، ثقافة علمية عالية ، فكان جزاؤهم أن افتضح أمرهم ، وباءوا بخزى عظيم ؟

دعوى النبوة على القليل ككل دعوى لا تقوم على قدميها حتى يسندها دليل عملى . فمن ادعى الشعر أو الكتابة أو الفلسفة أو أى صناعة أخرى عقلية أو مادية ، أمهله الناس حتى يقدم الدليل على ما يقول من قرض الشعر ، أو تحبير المقالات ، أو بسط الآراء والمذاهب وتحليلها واستخلاص لبابها الخ ، فإن لم يفعل ، أو فعل ولم يحسن ، لفظ لفظ النواة ، وكتب فى سجل المدعين .

فدعوى النبوة أمر جلل ، وهى تمس أخص حالات الإنسان النفسية والعقلية ، والنجاح فيها لا يكفى فيه الدليل القاطع فحسب ، ولكن يجب أن يصحبه سمو خلق عظيم ، وتأثير روحانى كبير . وليس فى تاريخ العالم من الناحية الدينية ما يشبه النجاح

الباهر الذى أصابه محمد صلى الله عليه وسلم عقب دعواه النبوة . فالمسألة كما يقول العبقرى الانجليزى الكبير (كارلايل) : «ماذا تطلب من الأدلة على صدق من يدعى لك أنه بنّاء أكثر من أن يبنى لك صرحا يبقى أكثر من ألف ومائتى عام ، ويؤوى أكثر من مائتى مليون نسمة ؟ »

وإذا أصر الدكتور فوستر على أن الأنبياء الكذبة قد ينجحون فى خدع ألوف الملايين من الناس فى عدد عديد من القرون ، فقد أبطل حجة الله على عباده ، ولم يكن هناك وجه لمؤاخـذة أحد على الأخـذ بأى دين أراد مادامت لا توجد أوصاف مميزة للصادقين فى دعواهم والكاذبين ، ومادام التأييد الإلهى يصيب هؤلاء وأولئك بدون تفريق ، وهذا مالم يسمع به فى عهد من عهود العقلية الانسانية .

يبدى الدكتور فوستر الثقة كلها فى أن محمدا كان فى أول أمره مشركا ثم اهتدى الى التوحيد من اختلاطه بالنصارى واليهود .

فأما أنه كان مشركا فليس لدى الدكتور فوستر عليه لادليل ولا شبه دليل ، غير مايتملكه من عاطفة التحيز وشهوة التحقير . وإنا لنعتبر نفيه الشك عن هذا الموضوع من ضروب الجرأة التى لايسمح بها لباحث فى القرن العشرين ، إلا إذا كان بيده حجة محسوسة على ما يقول . وأين هى من الدكتور فوستر فى العالم الجديد ؟ أنصّت على ذلك الكتب السماوية التى بين يديه ، وقد أنزل آخرها قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بستة قرون ؟ أم عثر فى بعض رحلاته فى بلاد العرب على كتابات حجرية ، أومحفورات وثنية تشير الى ما يدعيه ، ولم تعلم عنه رحلة واحدة الى بلاد العرب ، ولم يعثر غيره على شىء من هذا القبيل ؟

وهل عدم الشرك قبل النبوة شرط فى حصولها بواسطة الهداية الإلهية ؟ لم يقل بذلك ذوعقل فى العالمين . فإن كان قالها الدكتور فوستر بصيغة التأكيد وليس عنده عليها شبه دليل ، فقد طعن فى كفايته للبحث ، وشكك الناس فى كل ما يقول ، فإنه

ليس من صفات المتثبتين أن يسرفوا فى تأكيداتهم وفى ترجيحاتهم ، بل فى ظنونهم ، بغير أثارة من دليل .

وأما أن محمدا صلى الله عليه وسلم أخذ التوحيد عن النصارى واليهود ، فهو من أغرب ما يقوله باحث غير رشيد .

فتى كان التوحيد مجهولا فى عهد من عهود البشر حتى يضطر أحد الناس ، وإن كان فى أحط دركات الغباء ، أن يتعلمه من الغير ؟ يجوز أن يكون فى البله والمعتوهين ، وفى الأطفال فى سنتهم الثانية ، من يجهل الاثنين والثلاثة ، ولكن ليس فيهم من يجهل الواحد على وجه التعيين .

فإن كان أمر يقتضى أن يسبقه التعليم والتلقين من أمور الدين ، فذلك يعقل فيما يُدّعى فى ذات الله من التثنية والتثليث ، أو ما فوق هذا القدر من التعديد ، أما التوحيد فلا يعقل أن يُجهل بوجه من الوجوه ، لا سيما وقد أثبت الدكتور الكبير ماكس موللر من اطلاعه على أقدم المخطوطات لدى الهنود والصينيين ، أن الديانة العالمية كان أساسها التوحيد ، وما نشأ التعديد إلا بعد أن لعب الخيال دوره من قريب .

على أنه ماذا أخذ محمد صلى الله عليه وسلم عن اليهود والنصارى الذين كانوا فى بلاده عن العقيدة بالتوحيد ، وقد تولاهم الكتاب الكريم عليها بالنقد ، ونعى عليهم ما تغابوا فيه عن سلطان العقل ، وما تورطوا فيه من حمأة الجهل ، حتى قال فيهم : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

أما ما قاله الدكتور فوستر : أن محمدا لم يلق إلا الجاهلين الأميين من اليهود والنصارى ، فتلقف عنهم خرافات عقائدهم مما أدمج فى الكتب المقدسة وأضيف اليها وليس منها ، فذلك أعجب من كل ما مر . فإذا كان الدكتور فوستر يقول إن التوراة والانجيل قد كابدا تحريفا وأدخل اليهما إضافات ليست منهما ، وألحقت باليهودية والمسيحية خرافات لا تمت اليهما بسبب ، فليبين لنا ذلك بصراحة يمكن الاعتماد عليها .

أما القرآن الكريم فلم يتناول بالنقد إلا ما كان عليه اليهود والنصارى وما لا يزالون عليه رسميا الى اليوم .

ولا تنكر أن فى هاتين الملتين رجالا لهم على كتابهما نقد عظيم ، ونظرات صادقة بعيدة المدى ، ولكنهم معتبرين كفرة أو مبتدعة فى نظر اليهود والنصارى ، فهل فوستر من هؤلاء ؟

وإن كان هو منهم وجب عليه أن يعظم القرآن ويعترف بإمامته باعتبار أنه أول من فتح عيون البشر للنقد ، ووجهها للنظر والتمحيص .

ولكن الدكتور فوستر ليس من هؤلاء ، فإنه لا يزال يقول إن محمدا لم يفهم المسيح ، وهذا يُشعر بأن له فهما فى المسيح غير ما يفهمه الانسان لأول وهلة . إن كان كذلك فله فهمه ، ولكن الناس وفى مقدمتهم أولو العلم والحكمة فى جميع الأجيال لا يستطيعون أن يفهموا إلا ما دل عليه القرآن من أمر عيسى عليه السلام ، وهو أنه رسول من رسل الله المكرمين ؟

محمد فريد وجدى

كلمات حكيمة عن الفاروق

قال عمر رضى الله عنه : ما كانت الدنيا هم رجل قط إلا لزم قلبه أربع خصال : فقر لا يدرك غناه ، وهم لا ينقضى مداه ، وشغل لا ينفد أولاه ، وأمل لا يبلغ مداه .

وجاء فى فصول قصار من كلامه رضى الله عنه :

من كتم سره كان الخيار فى يده . أشقى الولاة من شقيت به رعيته . أعقل الناس أعذرهم للناس . ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع . لا يكن حبك كلفا ، ولا بغضك تلفا . مر ذوى القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا . قلما أدبر شيء فأقبل . أشكو الى الله ضعف الأمين وخيانة القوى . تكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون . لو أن الشكر والصبر بعيران ما باليت أيهما أركب . ومن لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه .

مسألة فى الوصية

ورد الى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى هذا السؤال :

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ يوسف الدجوى من هيئة كبار العلماء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فأتشرف بإرسال السؤال المرفق بجوابى هذا ، وأرجو من فضيلتكم أن تفيدونا بما ترونه فى هذه المسألة ، ولكم الشكر الجزيل .

ما قولكم دام فضلكم فى وصية من رجل فى شدة مرضه مشتملة على الإيصاء بنقد معين يوزع على أناس معينين ، وبوقف عقار معين على شخص من القرابة غير وارث وعلى ذريته من بعده ، والثلث يسع الجميع ، والحال أن المريض المذكور لم يوص بثلث . والذى أملاه الوصية هو ذلك الشخص المذكور الذى جعل لنفسه العقار ، وقد أحضر شاهدين عند المريض فقرأ الوصية أحد الشاهدين فقالا للمريض : أنشهد عليك ؟ قال نعم ، فذهبا الى القاضى وشهدا شهادة مجملة ، وكتب القاضى : بموجب شهادتهما ثبتت لدىّ هذه الوصية وصحت . وفى الوصية أن الوصى ابنه . وقبل تحقق رشده جعل الناظر عليه الموصى له بوقفية العقار المذكور . وبعد وفاة الموصى صار المتولى هو الناظر ، فحاز العقار لنفسه ، وأخرج بعض النقود الموصى بها . ثم إن ابن الموصى المذكور أثبت رشده . وبذلك ارتفع نظر الناظر عنه . وبعد ذلك قام ذلك الابن بعد بلوغ رشده يدعى بطلان الوصية بزعمه أن والده حين الإيصاء لم يكن فى حسه وتمام شعوره . وحصل النزاع بين ابن الموصى وبين الناظر الموقوف عليه العقار ، فادّعى الابن بدعواه المذكورة ، وأنكر الناظر ذلك ، واحتج على صحة الوصية بتثبيت القاضى عليها بعد شهادة الشاهدين ، وأحضر الحاكم الشاهدين الوصية ليستبين منهما الشهادة ، فأجاب أحدهما

بأن الموصى كان ناقص الحواس حين الإشهاد ، والآخر قال : أنا لا أجزم بوجود حواسه ولا بعدمها حين الإشهاد له على الوصية ، وقد أقام المدعى شهودا عدولا متعددين يشهدون أن الموصى لم يكن فى شعوره ولم تكن حواسه حاضرة ، كما أقام المدعى عليه شهودا أنه كان فى شعوره . ومن شهود المدعى عليه من له شىء معين فى الوصية المذكورة على لسان الموصى .

فهل يعدّ ذلك من الشاهدين رجوعا عن الشهادة الأولى ؟ وهل تثبيت القاضى على الوصية يعد حكما أم لا ؟ ويوجد فى الوصية إمضاء الموصى بقلمه ولكن الابن يعارض فى ذلك .

أفتونا مأجورين ، ولكم من الله الأجر والثواب ؟ سلمان بن احمد كمال
صاحب المكتبة الكمالية بالبحرين

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد : فقد راجعنا بعض كتب الفقه عندنا ، وسنتلو عليك بعض تلك النصوص . وهاك ما استخلصناه منها :

(أولا) قول القاضى الذى وقع أمامه الإشهاد على الوصية : « بموجب شهادتهما ثبتت لدىّ هذه الوصية وصحت » ليس حكما بصحة الوصية غير قابل للنقض وإعادة النظر فيها . وذلك لأن الحكم عندنا معشر المالكية وإن كان لا يتوقف على لفظ حكمت بل يحصل بغيره كقول القاضى : نقلت الملك ، إلا أنه لا يكون حكما إلا بعد استيفاء ما لا بد منه قبله ، ومنه الإعذار للخصم فى بينة المدعى . وفى الحادثة المسئول عنها لم يحصل إعذار له ، لأن الخصم فيها لم يحضر الإشهاد على الوصية لدى القاضى ، بل لو حضر لكان حضوره غير معتبر لعدم رشده إذ ذاك كما يفيده نص الاستفتاء ، وإذاً فما صدر من القاضى لا يزيد على كونه إثبات حالة قابلة للنظر فيها بعد .

(ثانيا) نص الأمير فى حاشيته على مجموعه أن من شرط الموصى أن يكون غير مخلط حين الإيصاء، ونص أيضا نقلا عن السيد أن الموصى له إن ادعى أن الوصية وقعت حال التمييز من الموصى فعليه إثبات ذلك.

(ثالثا) حيث إن المسألة بناء على ماقدمناه لم يقع فيها حكم، فرجوع شاهدى الوصية فى شهادتهما حيث قال أحدهما: إن الموصى كان ناقص الحواس عند الإشهاد، وقال الآخر: أنا لا أجزم، هذا الرجوع معتبر بأنه قبل الحكم، وإذن فشهادتهما الأولى لاغية لا تثبت بها الوصية.

(رابعا) نص الفقهاء على أنه إذا وجد بينتان متعارضتان وجب أن يصار فيهما الى الترجيح إن أمكن، كزيادة العدالة فى واحدة منهما، فإنه يجب الأخذ بقولها دون قول الأخرى، وكوجود تهمة معتدّ بها توجب سقوط إحدى البينتين. فإن لم يوجد مرجح سقطتا. هذا ومجرد كون الشهود من إخوان المشهود له لا يقتضى بطلان الشهادة ولو كان الشاهد صديقا للمشهود له متى كان مبرزا فى العدالة ولم يكن ممن ينفق عليه المشهود له.

الخلاصة:

والخلاصة أنه يظهر من وقائع هذه الدعوى أن هذه الوصية لم يقم دليل صحيح على صحتها واعتبارها شرعا. فإما أن يقيم الموصَى لهم دليلا صحيحا سالما من المعارضة على أن الموصِى كان أهلا للوصية حين الإيصاء، وإذاً يجب تنفيذها، وإلا فهى باطلة وترجع الأعيان الموصَى بها ميراثا. ولا بد حين قيام البينة المفضية لصحة الوصية من ثبوت أن التوقيع عليها كان بخط الموصى، لأن ابنه يطعن فى ذلك، ويدعى أن التوقيع ليس بخطه. أسأل الله أن يلهمنا جميعا الرشد فى القول والعمل بمنه وكرمه؟

يوسف الدجوى
من جماعة كبار العلماء

مسألة فى الطلاق

حكم من قال على الطلاق من أول زوجة لا أفعل كذا وقد فعله

ــــــــــــــــ

وورد أيضا الى فضيلته السؤال الآتى :

ما قولكم دام فضلكم فى رجل قال علىّ الطلاق من أول زوجة لا أفعل كذا وقد فعله وتكرر ذلك منه ثلاث مرات ويريد الآن أن يتزوج فماذا يكون الحال ؟

نرجوكم الإجابة على المذاهب الأربعة إن أمكن ، وإن تفضلتم بذكر النصوص كان لفضيلتكم شكر على شكر .

والسلام عليكم ورحمة الله م ؟ سليمان احمد رجب

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد : فقد بحثنا فى كتب المذاهب الأربعة . ولنسق بعض نصوصها إجابة لرغبة السائل فنقول :

إن هذه الصيغة التى ذكرت فى السؤال لغو لا يقع بها شىء عند الشافعية إلا إذا كان على عصمة مملوكة . قال فى شرح المنهج : « وشرط فى المحل كونه زوجة مملوكة للمطلق ، فلو قال : كل امرأة أنكحها فهى طالق ثم نكح امرأة لم تطلق » .

وعند الحنفية لا يقع إلا إذا كان فى الملك أو مضافا أى معلقا على سبب الملك بأن قال : إن نكحت امرأة أو فلانة فهى طالق فنكحها طلقت .

وظاهر أن ذلك مبنى على قاعدة عندهم وهى أن الطلاق المعلق منجز عند وجود الشرط . فمن قال : إن نكحت امرأة فهى طالق فكأنه قال لها : أنت طالق عقب

النكاح ، فكان الطلاق فى الملك فيقع . وأما عند الشافعية فالشرط قيد ، فكأنه قال : أنت طالق وقت النكاح ، فكان فى غير الملك فلا يقع .

وعند الحنابلة كذلك لا يقع الطلاق ولا يصح تعليقه إلا فى الملك . قال فى الإقناع : فإن قالت له أى زوجته : قل : كل امرأة أتزوجها غيرك فهى طالق ، فقال ذلك ولم يكن له زوجة غيرها ثم تزوج امرأة ، لم تطلق ، أى لأنه لم يكن مالكا لعصمتها وقت التعليق . وهذا هو المذهب عندهم . واستدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام : « إن الطلاق لمن أخذ بالساق »

وأما عند المالكية فقد شرطوا شروطا نص عليها فى شرح الخرشى قال : « وشرط المحل الذى يقع فيه الطلاق أن يكون مملوكا للزوج قبل نفوذ الطلاق ، سواء أكان ملكه حين التلفظ به ملكا محققا كزوجته التى فى عصمته أم تعليقا ، سواء أكان التعليق بالنية كقوله لأجنبية : أنت طالق ونوى إن تزوجها ، وأنت طالق إن دخلت الدار ونوى إن دخلتها بعد نكاحها ، أو بالبساط كقوله عند خطبة امرأة : هى طالق ، لأن وقوع هذا الكلام عند الخطبة بساط يدل على التعليق ولو مع فقد النية ، ومثل ذلك ما إذا قال ذلك حين قيل له : تزوج فلانة » .

فهذا هو حكم ما سألت عنه فى المذاهب الأربعة قد تلوناه عليك ، ووكلنا أمر الاختيار اليك ، والله يتولى هدانا جميعا بمنه وكرمه ؟

يوسف الدجوى
من جماعة كبار العلماء

بعد الدار أجلب للمودة

قال أكثم بن صيفى تباعدوا فى الدار تتقاربوا فى المودة .

وقال رجل لخالد بن صفوان : إنى أحبك . فقال خالد : وما يمنعك من ذلك ولست لك بجار ولا أخ ولا ابن عم ، يريد أن الحسد موكل بالأدنى فالأدنى .

محمد صلى الله عليه وسلم

فى تقدير المنصفين من قادة الأفكار فى أوربا

اشتهرت فى كل دور من دوار المدنيات الإنسانية نساء بلغن شأو كبار الرجال فى العلم والفلسفة والأدب . فمن هؤلاء العبقريات فى هذا العصر (أنى بيزانت) Annie Besant ، وهى انجليزية الأصل ، وقفت حياتها على العلم والفلسفة ، فبدأت مسيحية تقية ، ولكنها لما لم تقف من مباحثها عند حد ، أدركها الإلحاد ، فلما توغلت فى عالم الحقائق استنار قلبها بإيمان راسخ بالحق على قواعد علمية بحت كإيمان العلماء المنتهين ، ومالت الى التصوف فى شكله المعروف فى العالم الغربى باسم التيوصوفية ، فسلم لها أهل هذه الطائفة الزعامة العامة لجماعاتهم ، فقامت بما عهد اليها من هذه الزعامة على أقوم السبل ، وأدق الأساليب العلمية . وقامت بتأليف نحو خمسة وعشرين كتابا كان لها جميعا شهرة عالمية ، وقد ترجم أكثرها الى لغات عديدة .

وقد توفيت هذه السيدة العظيمة منذ نحو ثلاث سنين ، وحملت التلغرافات العامة والخاصة خبر وفاتها الى أربعة أرجاء المعمورة ، مشفوعا بكل إكبار وتقدير لجهودها العظيمة فى خدمة العقل والروح معا .

من مؤلفات هذه السيدة كتاب كبير عرضت فيه لتاريخ الديانات الموجودة بالهند ، ومنها الاسلام ، وقد كتبت فيه فصلا يدل على بعد نظر ، وسعة اطلاع ، وحب للحقيقة ، نرى أن نترجمه لقراء مجلة الأزهر ، فإن فيه مظهرا جديدا من مظاهر تأثير الروح المحمدية فى العقول ، وسريان سلطانها فى القلوب ، حتى قلوب الذين لا يعرفون لغة القرآن الكريم .

لنبدأ الآن فى تعريب ذلك البحث ، قالت :

« توجد أربع مسائل تجب دراستها فى كل ديانة ، وهى : (١) حياة مؤسسها الذى لا بد

من أن تنطبع صورة روحه وأخلاقه عليها . (٢) الناحية العامة لتلك الديانة وهى ما يُسمح به للدهماء . (٣) فاسفة تلك الديانة ، وهى ما تقتضيه حالة الطبقـة المستنيرة . (٤) ناحيتها القلبية ، وهى مظهر الحاجة الخالدة للنفس البشرية التى لا تفتأ تنزع الى الاتصال بمصدرها الأول ، فلندرس الاسلام تحت ضوء هذه التقاسيم :

« اتبعنى أيها القارئ الى سورية وبلاد العرب فى القرن السادس المسيحى ، اتبعنى وانظر فى حالة بلاد العرب الجميلة وسورية التى وطئتها أقدام المسيح ، فإنك تجد الحرب الدينية يتأجج سعيرها فى كل مكان ، تهدم البلدان وتفرق بين الناس . معارك وحشية دموية ، وأحقاد تتوارث من جيل الى جيل ،غارسة بذور الشقاق بين الآحاد والقبائل والشعوب . انظـر الى بلاد العرب ، تلك البقعة التى تسود فيها وثنية وحشية قاسية تسمح بالتضحية بالنفوس البشرية لمرضاة الأوثان ، حيث كان عباد الله يقيمون الولائم بأجساد الموتى ، وحيث كانت الشهوات البهيمية قد حلت محل الحب الانسانى ، والإباحة محل الحياة البيتية ، وحيث كانت الحـروب الطاحنة التى لا تخمد نارها تشب لأتفه الأسباب ، وحيث كان الرجل يقتل قريبه ، والجار يهلك جاره ، وحيث كانت الحياة على وجه الإجمال قد فسدت الى حد لا يمكن أن يصفه إنسان .

« فى معمعان هذا السعير المحرق من الشهوات ، وسفك الدماء ، والإباحة الحيوانية ، والقسوة البهيمية ، ولد طفل فاتحا عينيه البريئتين للنـور ، وكان ذلك فى ٢٩ أغسطس سنة ٥٧٠ فى مدينة مكة من قبيلة قريش . وكان أبوه قـد مات قبل ميـلاده ببضعة أسابيع ، ولحقت أمه بأبيه بعد بضع سنين .

« كبر هذا الطفل وترعرع فى بيت جده ، هادئ النفس ، كثير الصمت ، ذا طبع جذاب لطيف ، صبورا ، مُحَبَّبا الى قلوب الناس . ولم تمض إلا بضع سنين حتى مات جده ، فكفله عمه أبو طالب ، وهو أنبل جميع أقاربه طبعا ، وأحناهم عليه نفسا . كفله بعد أن ذاق مرارة اليتم مرتين بل ثلاثا . فلبث عند عمه حتى بلغ سن الشباب ، فسافر الى الشام

لمزاولة الأعمال التجارية متأملا فى كل ما هو حوله من مشاهد بنظر ثاقب نفّاذ .

«فلما بلغ الرابعة والعشرين سافر الى الشام فى تجارة إحدى قريباته ، خديجة ، وكانت أسن منه . ولما عاد وجدته من الأمانة والقناعة والطهر والاستقامة بحيث ارتضته زوجا لها ، ولم يكن محمد قد أوتى النبوة بعد ، ولم تكن خديجة إذ ذاك أول المؤمنين به . ومع كونه فى ميعة الصبا ، وامرأته أكبر منه سنا ، فانهما سعدا بزواجهما ، وعاشا معامعيشة تعتبر مثلا أعلى فى هذه الحياة ، الى اليوم الذى توفيت فيه خديجة تاركة زوجها فى الخمسين من عمره ، بعد أن أمضت معه حياة زوجية هنيئة ستا وعشرين سنة .

«أتت على محمد بعد الزواج خمس عشرة سنة قضاها فى التأملات وهو هادىء البال من ناحية حياته الداخلية ، ولكنها كانت من أهول السنين من ناحية مكافحاته الباطنية .

«كان محمدا إذا سار فى طرقات مكة احتف به الصبية وتعلقوا بركبتيه ، فكان يقابلهم بكلمات طيبة ، وملاطفات تناسب طفولتهم . لم يُعهد عليه قط أنه أخلف وعدا ، أو تجهم فقيرا أو محزونا ، ولكنه كان عنده لهما من النصح ما يخفف ما بهما . وقد لقبه جيرانه بالأمين الجدير بالركون اليه ، وهو أجمل لقب يمكن أن يحصل إنسان عليه .

« ولكن بينما كانت حياة محمد الداخلية على هذه الحالة من النفع والطيبة والمعونة ، أندرى ماذا كان عليه فى حياته الباطنية ؟ آه ، من ذا الذى يستطيع أن يصف تلك الأعاصير من الهم والكمد التى كان يكافحها هذا النبى المستقبل ، ويبعدها عنه فى الصحراء المحيطة به ، التى كان ينازع فيها نفسه بنفسه ؟ من ذا الذى يستطيع أن يصف واحدة من هذه المعارك الباطنية التى لا يعرفها إلا الرجال المخصوصون بالوحى الإلهى ؟ فكان محمد ، وقلبه مجال هذه المعارك ، يفزع الى الصحراء كلما اشتدت حملاتها عليه ، وظل على هذه الحال الشهور تليها الشهور ، حتى بلغت خمس عشرة سنة . فكان يأوى الى غار فى وسط الصحراء وحيدا ساكنا متأملا راجيا الله ، والشك المريب فى نفسه يحيق به سائلا

نفسه عن معنى الرسالة التى كان يتوقعها حتى سمع قائلا يقول له : « تكلم باسم ربك » فأجابه هو : « ومن أنا حتى أتكلم ، وماذا يجب علىّ أن أعلن للناس ؟ » أيتكلم وهو عرضة لتارات الشك والهم ، وفى يأس من كفايته الذاتية ؟ فكيف يثق بهذا الصوت الذى يناديه من قرارة قلبه وهو أمىّ ، ولم يستعد لما يندب اليه ؟ ألا يحتمل أن يكون هذا الصوت الباطنى أثراً من كبريائه الذاتى ، ومن اعتداده بنفسه ، ومن تعطشه للسلطان ، وليس هو بصوت الله يأمره أن ينشر كلمته فى الأرض ؟

« مضت على محمد فى هذه الحال خمس عشرة سنة ، وهى حالة من الكفاح والنزاع لا يقدرها حق قدرها إلا الأقلون .

« ولكن حدث ذات ليلة صافية الأديم ، أنه بينما كان مستلقيا على الأرض غرقا فى همومه وآلامه ، أن غشيه نور نزل اليه من السماء ، وإذا بملك كريم واقف أمامه وهو يقول : « قم إنك رسول الله ، فطف الأرض وتكلم باسم الله » .

« فسأله محمد : « وماذا أقول للناس » ؟

« فأجابه الملك : « قل » ، ثم أخذ يعلمه ما يجب أن يعرفه من تكوين العوالم ، وخلق الانسان ، وتوحيد الله ، ووجود الملائكة ، وبين له العمل الذى يجب عليه أن يؤديه .

« فهذا الرجل الذى كان أشد الناس اعتزالا للناس أصبح مصدراً لحياة أمة برمتها ، وقد أمر أن يذهب اليها بنفسه ، وأن يختلط بها ويكلمها ، يكلمها باسم مولاه ، الله .

« ما كاد محمد يلقى اليه هذا الوحى حتى أسرع الى خديجة قائلا : « ماذا أفعل ؟ من أنا ؟ وماذا أصابنى » ؟

« فأجابته زوجته الأمينة بصوتها الهادئ المتزن : « إنك مخلص أمين ، ولست بمخلف للوعد ، الناس يعرفون لك ما أنت عليه من أخلاق ، والله لا يغرر بعبد أمين مثلك ، فاتبع ما يلقى اليك وأطع النداء » . فكان هذا الكلام من امرأته ، وهى أولى أتباعه ، نافثا روح الشجاعة الى هذا القلب البشرى الذى خارت قواه أمام عظمة المهمة

التى عهد بها اليه . فنهض محمد شاعرا بأنه ليس على ما كان عليه فى أمسه رجلا بسيطا ، ولكنه نبي البلاد العربية ، الذى سيجعل منها مملكة منظمة ، ودولة مهيبة ، يحمل خلفاؤه عليها الى أوربا مشكاة العلم ، بعد أن أنطفأت فيها ، وأنهم سيؤسسون أمبراطوريات قوية ، وأنهم سيقومون أمام الله بعبادة لم يعهد لها مثيل فى أية ديانة أخرى .

« نعم : فإنه يجب عليكم جميعا معشر الذين لا تتبعون ديانة هذا النبي العربى أن تتحققوا بأنه لايوجد فى جميع الديانات البشرية ديانة توحى الى الآخذ بها عقيدة أبين صحة ، وأعلق بنفس صاحبها ، من الديانة التى خرجت من فم النبي العربى .

« وإذا كان الأمر كما يقول الفيلسوف بن (Bain) أن العقيدة تثبت صحتها بسيرة أهلها ، فتأمل فى أتباع محمد ، وانظر كيف تتحكم أقواله الى اليوم فى أعمال الناس .

« لا يوجد مسلم فى الأرض يخجل من السجود فى الصلاة ، وإن كان حوله جمهور من المستهزئين الذين يكرهون النبي الذى ينتمى اليه . فانظر الى أى مدى قهرت العقيدة عند أتباعه كل خوف من الموت . وأين تصادف بطولة مثل بطولة هؤلاء الدراويش الافريقيين الذين اقتحموا مجالا سلطت عليه بنادق كاتلنج ، ووقعوا صفا بعد صف قبل أن يصلوا الى أعدائهم ، سائرين الى الموت ، كما يسير غيرهم الى خطيباتهم ، كل ذلك محبة فى نبيهم وفى عقائد الاسلام ؟

« إن مثل هذا الايمان لابد من أن يكون له مستقبل باهر فى هذا العالم . ويجب أن يُرفع هذا الايمان الى مكان أرفع من المكان الذى هو فيه اليوم .

محمد فريد وجدى

(مجلة الازهر) عربنا هذا الفصل من البحث ، وسنو الى ترجمة سائره . ولكن لعل القراء يلاحظون أن الكاتبة قد تصرفت فى تاريخ الوحى وغيره تصرفا يوافق الذوق الكتابى عند أهل الغرب ، ولا بأس من التغاضى عنه فى نظرنا مادام غرضنا هو بيان ماتؤدى اليه الفلسفة الاوربية من تقدير قيمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيمة الدين الحق الذى جاء به .

عوامل فقدان أدب الحضارة العربية

عرض بعض الباحثين الى موضوع أدب الحضارة العربية، وعوامل فقدانه، ورأى أن العامل فى ذلك إنما هو اختلاف لغات العرب فى أصقاع الجزيرة المختلفة. قال صاحب فجر الاسلام: « وهنا يستوقف نظرنا شىء يظهر لنا غريبا، ذلك أنا نرى اللخميين فى الحيرة والغسانيين فى الشام عمروا قرونا وبلغوا من المدنية شأوا بعيدا إذا قيس بحالة العرب فى الجزيرة، وكان منهم من يخالط الفرس والروم ويتكلم بلغتهم، ودينهم كان أرقى على العموم من دين غيرهم من العرب، فهم إما نصارى أو مجوس، وهذا كله كان داعيا الى خصب الذهن وتفتق القريحة بالشعر، وكان من المعقول أن تخرج بلادهم فحولا من الشعراء يفتحون فيه أبوابا جديدة، ومعانى جديدة، مع رشاقة فى اللفظ تتناسب مع حياتهم الحضرية، ولكنا على غير المعقول لم نظفر منهم بشعر ذى خطر فما السر فى هذا؟ ؛ قلبنا الأمر على وجوه مختلفة من النظر فقلنا لعل السر أن البادية هى منبع الشعر، وهى التى تحرك نفس العربى وتغذى خياله، وتنطق لسانه، يشعر فيها باستقلاله وعظمته، لا ترهقه سلطة، ولا يقيده قانون، تنبسط أمامه رقعة الأرض، فينعم بنظرها فيجيش صدره، وينطلق بالشعر لسانه، فاذا تحضر ذل، وعقلت من لسانه قوانين المدنية وتقاليد الحضارة، وحرم منظر الصحراء الجميل، فحرم الشعر الجميل، بهذا لم يك للعراق شعر قيم، ولا للغسانى شعر ما. ولكنا رأينا أن هذا التعليل غير صحيح، فما عهدنا أن الحضارة تميت الشعر، فحضارة الفرس والروم وحضارة المسلمين فى الدولة الأموية والعباسية لم تضيق خيالهم، ولم تعقل من لسانهم، والحضارة اليوم فى أوربا بعثت على الشعر ولم تقف فى وجهه. إنما كل ما يصح أن يقال أن الحضارة تميت أنواعا من الشعر لا تعيش إلا فى البادية، كما تحيى أنواعا من الشعر لا تعيش إلا فى نعيم الحضارة. والتعليل الصحيح فى نظرنا أن هؤلاء الحيريين

والغسانيين كان فيهم شعراء ، ولكن كانت لهم أيضا لغة خاصة بهم غير لغة قريش التي سادت الحجاز ، ولم تستطع أن تسود الحيرة وغسان لبعد موطنهما ، ولأن الحيريين والغسانيين أرقى ممن حولهم من العرب ، فأنفوا أن يخضعوا للسان غير لسانهم ، وقد يستتبع ذلك أن يكون فى الشعر أوزان خاصة تتفق مع لغتهم وعقليتهم ، فلما جاء الاسلام ونزل القرآن بلغة قريش أهمل الرواة ما كان خارجا عن هذه اللغة وقواعدها وأوزانها » اه .

هذا رأى نحب أن يلتفت الأدباء والباحثون الى دراسته دراسة إمعان وتمحيص ، فإن نظرية تعدد اللغات عند العرب لا تقوى ، كما قدمناه فى مقالاتنا السابقة ، على حل مشكلة فقدان أدب الحضارة العربية ، فلابد من تعليل آخر يتمشى مع المنطق وطبيعة الحياة ، والذى نرجحه أن ذلك يرجع الى جملة أسباب مجتمعة ، وقد يكون فى تعدد اللهجات ما يساعد تلك الأسباب والعوامل على قوة تأثيرها .

العامل الأول : اتجاه الحضارة . يرى جمهرة الباحثين أن الحضارة من أكبر الدواعى العامل على كثرة الإنتاج الأدبى ، لما فيها من الصور التى تحرك الخيال وتثير الفكر ، وتغذى العاطفة ، والخيال والفكر ، والعاطفة هى عناصر الأدب الحى ، ومنابعه الفياضة .

وهذا قول قد يكون فيه بعض الحق ، وليس هو بالحق كله ، لأن الحضارة فى أية أمة وعصر وبيئة تتكيف باتجاه الأمة ، ومظهر العصر ، وطبيعة البيئة ، فإذا طغت الروح المادية التحليلية على الحياة لم يكن للحضارة من الصور الظاهرة إلا هذه الجزئيات الدقيقة الراسبة التى تصورها التقارير الحسابية ، والأوضاع الهندسية والعواطف المادية المحدودة ، والنظريات التحليلية فى نحو الطبيعة والكيمياء وما اليها من التجارب العملية ، والخيال ، والفكر ، والعاطفة ، وهى مبعث المثل الأعلى فى التصوير الأدبى لا تعرف النهاية والتحديد ، ويجب أن يكون ميدانها من جنس طبيعتها المطلقة من كل قيد مادي .

فالحضارة المادية الصرفة لا نرى أنها من دواعى الإنتاج الأدبى الذى تتمثل فيه الإحساسات الوجدانية، والعواطف النفسية، كالشعر المطبوع، والنثر البديع، وإنما يكثر فيها هذا النحو الضيق الذى نراه فى شبه قضايا مسلمة كقول رجل الاقتصاد: اثنين فى اثنين، يساوى أربعة، مما لو حاول أبدع الناس خيالا، وأبرعهم عبقرية أن يغير من صورتها شيئا لما استطاع الى ذلك سبيلا، لأن حدودها المادية تقف دون الخيال حتى ترده حسيرا.

قال باحث أديب: «يعلل بعض الباحثين فقر الأمم الغربية فى الشعراء ورغبتها عن الشعر بالمدنية المادية التى تغوص فيها الى مفرق الرأس، وعندهم أن وسائل النقل الحديثة، وانتشار الإباحية، وزوال ذلك البرقع الجذاب عن وجه الانسانية، واشتغال الدول بالشئون الاقتصادية والسياسية، وانهماك الأفراد فى تحصيل القوت الضرورى، والخلاصة زوال الأحوال الروائية عن ظهر الكرة الأرضية، كل ذلك من العوامل التى ذهبت برشاقة النظم، وقضت على دولة الشعر، حتى إن جائزة كبيرة عرضت منذ أمد قريب فى فرنسا للمجلى فى حلبة الشعر فلم يتسابق للحصول عليها أحد».

قد ينخدع بعض الناس بكثرة ما يسمع من أسماء نوابغ الأدب فى بعض الأمم المتحضرة فى هذا العصر المادى، وما يسبحون فيه بأرواحهم من موضوعات طريفة تدخل فى صميم الحياة، للخيال والفكر فيها القدح المعلى، ولا سيما الأدب القصصى والشعر الروائى، ولكن هذا فى الواقع لا يدل على اتجاه أدبى فى الأمة أكثر من أن أفرادا من العباقرة خصهم الله بمناجاة الطبيعة فى عزلة عن المادية وتيارها الجارف، فوقعوا على أوتار الخيال ألحانا من نغم الطبيعة طربت لها الحياة فرددت نغماتها وخلدت آياتها، وهؤلاء الأفذاذ الملهمون هم الذين يحفظون كيان الأمم من الانزلاق الى الحضيض.

وإذا ذهبنا الى قياس هذه الآيات الأدبية الخالدة بما حفظته سجلات الاقتصاد والسياسة، ونظم الاجتماع المادية كانت فى جانبها كالدرة فى قعر المحيط.

أما إذا كانت الحضارة مزيجا من الروحية والمادية ، فهى التى تثير العواطف وتحرك الخيال وتغذى الفكر ، وتكون من عوامل الإنتاج الأدبى فى صورة رائعة تحلق فى أفق الحقيقة والخيال على سواء ، وبهذا يمكن تعليل وجود الثروة الأدبية الاسلامية فى عصرها الذهبى ، لأن الدين والفلسفة الأفلاطونية تحالفا على إذكاء الروحية فى الأمة ، والحياة المعاشية بلذائذها ، والنظم الاجتماعية نمت المادة وقوتها ، فكان للروحية جانبها ، وللمادية جانبها فى زمن واحد ومكان واحد .

والحضارة العربية فى الحيرة والشام واليمن قبل الاسلام كانت حضارة مادية ، لأن الروحية إنما تستمد نورها من الدين والفلسفة العليا ، ولم يكن للدين فى مواطن الحضارة العربية شأن ، بل لم يكن له من المظاهر إلا شىء تافه حينما دخلت عليهم النصرانية ، أما التدين الوثنى فلم يكن إلا ضربا من طغيان المادية استبد بالروح فحجب عنها نور الحياة ، ولم تعرف العرب فى عصورها المتأخرة قبل الاسلام فلسفة روحية تهذب النفس وتصقل العاطفة بما يوازى المادية الجارفة ، ومن هنا كان الإنتاج الأدبى من النوع النفسانى الخالد بذاته قليلا فى تلك الحواضر العربية .

قد يدور فى خلد بعض الناس أن هذه النظرية أحرى بأن تطبق على أدب البداوة ، لأنه أدب مادى يقوم فى تصويره على المحسوس ، وليس للخيال الضافى والفكر العميق فيه أى شأن يذكر . نعم ، ولكن مادية البداوة بسيطة ساذجة وقتية لا تصرف البدوى عن تغنيه بأشجانه وأفراحه وعواطفه الجياشة ، فهو أبدا يتغنى بما حوله من مظاهر الطبيعة ٢

صادق ابراهيم عرجون

الاسلام والفلسفة

- ٦ -

رأيت فى الكلمة السابقة كيف ناقش الإمام الغزالى عبارة الفارابى وابن سينا : « العالم مخلوق لله مع كونه صادرا عنه صدور المعلول عن علته » وكيف انتهى الى أن فى هذا التعبير تمويها وتلبيسا من جانبهما قصدا بهما النجاة من سخط المسلمين ومن حملات المتكلمين ، وليس هذا غريبا ولا مستبعدا ، إذ أن ابن رشد نفسه ، وهو من بحور الفلاسفة وحججهم ، قد رمى ابن سينا بأنه ما دفعه الى القول بمراتب الموجودات الثلاث : مرتبة واجب الوجود لذاته ، ومرتبة واجب الوجود لغيره ، ومرتبة ممكن الوجود ، إلا اتقاؤه المتكلمين ، ذلك الاتقاء الذى لا يليق بالفلاسفة الأحرار .

على أنى أنا شخصيا لا أستبعد مع هذا الفرض المتقدم أن يكون هذا التعبير ناشئا عن الخلط والاضطراب .

وسواء أكان الأول أم الثانى ، فإن الذى لا ريب فيه هو أن الفارابى قد قام بجهود الجبابرة فى سبيل محاولة التوفيق ، بوساطة نظرية العقول العشرة ، بين القواعد الاغريقية الثلاث : (١) الواحد من كل وجه لا يصدر عنه إلا واحد . (٢) الكامل من كل وجه لا يصدر عنه إلا كامل . (٣) العدم لا ينتج وجودا ، وبين الاسلام الذى يؤكد كتابه الكريم أن الله خالق كل شىء ، بأن وضع بين مرتبة الإله الكامل من كل وجه ، الواحد من كل وجه ، وبين مرتبة العالم الناقص المتعدد ، مرتبة وسطى ، وهى مرتبة العقل الأول الذى هو واحد ولكن لا من كل وجه ، وكامل ولكن لا من كل وجه كذلك . وقد أصدر الفارابى هذا العقل عن البارى إصدار المعلول

عن علته ، فحسب أنه بهذا قد سوى نقط الخلاف بين الاسلام وتلك القواعد ، وما هو فى ذلك إلا واهم كما أبنّا فى الفصول السالفة .

ومهما يكن من إخفاق الفارابى أو من توفيقه فى هذه المحاولة ، فإن تلك العقول كما أسلفنا ، فى المرتبة الثانية بعدواجب الوجود عند الفارابى .

وفى المرتبة الثالثة يوجد العقل الانسانى ، وفى الرابعة توجد النفس البشرية ، وفى الخامسة توجد درجة « الهيولى » وفى السادسة توجد درجة الصورة . وهذه هى المراتب الست المكونة للعالم العقلى ، وليس منها متعدد متصل إلا الأربع الأخيرة : العقل والنفس الانسانيان ، والهيولى والصورة . أما المرتبتان : الأولى والثانية فهما مجردتان غير متعددتين .

وأما العالم المادى فهو : (١) الأجرام السماوية (٢) العناصر الأربعة : الماء والتراب والهواء والنار (٣) المعدن (٤) النبات (٥) الحيوان (٦) الانسان .

ولا ريب أن لذلك المذهب الاسكندرى الملفق من مذاهب : « أفلاطون » و « أرسطو » و « أفلوطين » أثرا واضحا على هذه الفلسفة الفارابية ، لأننا نرى أفلوطين يصرح فى وضوح أن أعلى مراتب المادة هى أحط بكثير من أدنى مراتب العالم العقلى . وقد عزا الاسكندريون أمثال هذا الرأى الى أرسطو وسجلوها فى كتب نسبوها إليه فاتخذها الفارابى منوالا نسج عليه فى فلسفته . أما أرسطو الحقيقى فلم يكن يستهين بالمادة الى هذا الحد ، وإلا لما نشب الخلاف بينه وبين أفلاطون .

النفس عنده :

يقسم الفارابى النفس البشرية الى أربع قوى ، وهى : القوة الغاذية ، والقوة الاحساسية ، والقوة المتخيلة ، والقوة الناطقة . فأما الأولى فهى التى بوساطتها يتغذى وينمو . وأما الثانية وهى الإحساسية فهى التى يدرك بها المحسات الخارجية من : مبصرات ومسموعات وملموسات وغيرها . وأما الثالثة وهى المتخيلة أو الذاكرة فهى التى

ترتب المحسات وتحفظ أثرها بعد غيابها عن الحواس . وأما الرابعة وهى الناطقة فهى التى تفكر وتميز وتحكم . ومحل هذه القوى الأربع الرئيسة القلب ، غير أنه لكل من الأولى والثانية منها خدام وتوابع أو آلات لا يتحقق المقصود منها إلا بوساطتها. فآلات القوة الغاذية مثلا هى : الفم والمعدة والكبد والطحال وهلم جرا . وآلات القوة الاحساسية هى : العينان والأذنان والأنف وهكذا . وأما القوتان : المتخيلة والناطقة فليس لهما توابع ولا خدم .

ويرى الفارابى أن هذه القوى الأربع لم تخلق فى الانسان دفعة واحدة ، وإنما يوجد بينها تفاضل وتمايز ، وأن رياستها جميعها إنما هى للقوة الناطقة التى تميز وتحكم . فهى كما أن لها اختصاصا تنفرد به ، تستطيع كذلك أن تصدر الأمر الفاصل فى اختصاصات القوى الأخرى . والقوة الغاذية عنده هى مادة بحتة وليست صورة لغيرها . وأما القوتان : الثانية والثالثة ، فهما مادتان من جهة ، وصورتان من جهة أخرى ، لأن القوة الإحساسية صورة للقوة الغاذية ، وهى فى نفس الوقت شبه مادة للقوة الناطقة . وأما القوة الناطقة فهى صورة فحسب وليست مادة لغيرها .

ويرى الفارابى كذلك أن هناك قوة خامسة ، ولكنها ليست مستقلة كالقوى الأربع السابقة ، وإنما هى شبه مزيج من خواص هذه القوى الأربع كالحرارة التى تتكون من النار والشمس فى وقت واحد ، وتسمى القوة النزوعية ، ومجموعة هذه القوى الخمس المتصلة تكوّن النفس البشرية ، فكأنها مظاهر ووظائف لها فقط .

طريق المعرفة عنده :

إن طريق المعرفة عند هذا الفيلسوف هى هذه القوى الثلاث الجوهرية : الإحساسية والمتخيلة والناطقة ، لأن النفس على أثر إدراكها المحسات الخارجية يحدث فيها نزاع داخلى ينتهى بأخذ صورة من هذه المحسات ، وبتسجيلها فى القوة المتخيلة حتى لا تتلاشى بعد انصراف الحواس عنها . فإذا تم ذلك التسجيل نقلت هذه الصورة

ووضعت بين يدى القوة الناطقة ، لتميزها وتصدر فيها حكمها ثم تتركها لدى القوة المتخيلة ، لتطلبها عند الحاجة . وبهذه الطريقة تحدث المعرفة الانسانية ، وهذا هو عين ما يراه أكثر الفلاسفة من أن طريق المعرفة هى الحواس والعقل ، أو أن طريقها هو القوتان : الخارجية والداخلية ، غاية ما فى الأمر أن الفارابى يفصل فى القوة الداخلية وهى العقل ، فيجعل له درجتين : الأولى درجة التسجيل أو الاختزان ، والثانية درجة التمييز والحكم . وهو يرى كذلك أن الحواس لا تتعدى الجزئيات الخارجية .

وأما القوة الناطقة فهى عنده كما تميز منقولات الحواس إليها تدرك أشياء أخرى لا ترق إليها الحواس ، وهى المعقولات المحضة ، وأن القوة المتخيلة كما تسجل مدركات الحواس ، تسجل كذلك معقولات القوة الناطقة .

الأخلاق عنده :

يرى الفارابى أن الله منح العقل الانسانى قوة كافية لتمييز الخير من الشر ، والحسن من القبيح بهيئة حرة مستقلة ، ولولا هذا لما كان مسئولا أمام البارى ولا مستحقا ثوابه وعقابه . وإذاً فالخير عنده هو ما حسنه العقل ، والشر هو ما قبحه العقل . وهذه هى إحدى النظريات التى خالف فيها الفارابى أهل السنة ، ولا أدرى كيف كان يطمئن الى هذا الرأى مع مشاهدة خطأ هذه القوى النفسية التى هى وسائل المعرفة ، ولكن لعل تتلمذه لأرسطو وحبه إياه هما اللذان سلكا به هذا الطريق الوعر ، اللهم إلا أن يكون قد قصد بالعقل العقل الذى يستضىء بنور البصيرة ، ولا سيما أنه كان قد خدع فى رأى أرسطو بتلك الكتب المصنوعة التى لفقها الاسكندريون من مذهبى : أفلاطون وأفلوطين ثم نسبوها الى أرسطو ، وفيها يرى القارئ أرسطو بصيريا ، بل متصوفا أحيانا على عكس ما كان فى حقيقته . وفوق ذلك فقد كان الفارابى فى حياته العملية ـ إذا صح مارواه لنا التاريخ ـ صوفيا متنسكا أقرب الى «فيثاغورس» وأفلوطين منه الى أرسطو .

ومهما يكن من شيء ، فإن العقل السليم هو مرجع التمييز بين الخير والشر عند الفارابى ، أما السعادة عنده فليس جديرا منها بهذا الاسم إلا ما كان سعادة فى ذاته ولذاته ، وليس وسيلة لغيره ولا محتاجا فى كماله الى غيره ، وهذا هو رأى سقراط فى الخير ، إذ قسمه الى قسمين : خير كامل وخير ناقص ، وعرف الكامل بأنه ما كان ذاتيا ولم يحتج فى كماله الى غيره مثل الفضيلة . وحدَّ الناقص بأنه ما كان خيرا لغيره واحتاج فى كماله الى شيء آخر مثل الصحة والثروة ، إذ كل منهما خير لغيره ، وهو إتمام السعادة ، كما أن كلا منهما محتاج فى كماله الى الآخر والى أشياء أخرى .

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

ضرار الصدائى يصف عليا

دخل ضرار الصدائى على معاوية وهو أمير المؤمنين ، وكان ضرار من خاصة أصحاب على كرم الله وجهه ، فقال له معاوية : صف لى عليا .

فقال ضرار : اعفنى يا أمير المؤمنين . فقال معاوية : لتصفنه .

فقال ضرار : « كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته . كان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ماخشن ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا ، لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يادنيا اليك عنى ، غرى غيرى ، الى تعرضت أم الى تشوفت ، هيهات قد باينتك ثلاثا ، لا رجعة لى عليك ، فعمرك قصير وخطرك حقير ، وخطبك يسير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ، ووحشة الطريق !! » .

قيل فبكى معاوية وسأل ضرارا عن مبلغ حزنه عليه . فأجابه : حزن من ذبح واحدها فى حجرها .

علم الطبيعة

هل هـذه التسمية صحيحة ؟

أطلق لفظ الطبيعة على مجموع الكائنات المحسوسة وعلى القـوى العاملة فيها ، ثم حدث توسع فى هذا الإطلاق لجعل للطبيعة شخصية موهومة ، فقيل : الطبيعة فعلت كذا ، والطبيعة لا تسمح بكذا . وهو تسامح قد ضلل كثيرا من الناس وجعل بعضهم يظنون بهذا العلم الجليل الظنون .

المشتغلون بهذا العلم أحد رجلين : رجل غرته المظاهر ، وازدهته القشور ، فخيل اليه أنه أدرك سر الوجود ، ووقف على كل جليـل وحقير فيه . ورجل لم تقفه الظواهر عند حدودها ، ورمى ببصيرته الى ما وراءها ، فأدرك كما أدرك كل عالم متزن قبله ، أنه لم يعرف من هذا الوجـود إلا بعض كائناته وبعض العـلاقات الموجودة بينها ، أما كنهها ، ومستقر القوى الطبيعية منها ، ومصدر ينابيعها ، وحدود سلطانها ، فهو فيه والعامى سواء .

مثال ذلك : رأى العلامة الفلـكى (نيوتن) الأجرام العلوية من المجموعة الشمسية معلقة فى الفضاء بغير ماسك يمسكها ، فافترض وجود قوة تجذبها كلها الى الشمس ، وسمى تلك القوى بناموس الجذب العام . ولـكن تلك الأجرام مع وجودها معلقة فى الفضاء ، تدور حول ذلك الجـرم فى مدارات محدودة لـكل منها ، فلم يستطع أن يتخيل لتلك الحركات الدائرية ناموسا يعللها ، فقرر بأن القدرة الإلهية هى التى تدبرها ، معلنا إفلاس العقل عن تعليل تلك الحركات .

ولـكن هل العـلامة نيوتن مصيب فى نظرية الجذب العام التى تخيلها ، وعلقت بالأذهان ، واشتهرت حتى عدت من أكبر الاكتشافات العلمية ؟

نسأل فى ذلك أقطاب العلم العصرى . قال العلامة الفرنسى (شارل ريشيه) العضو بالمجمع العلمى :

« لماذا لا نصرح بصوت عال بأن كل هذا العلم الذى نفخر به الى هذا الحد ليس فى حقيقته إلا إدراكا لظواهر الأشياء ، أما حقائقها فتفلت منا ولا تقع تحت إدراكنا . والطبيعة الحقة للنواميس التى تقود المادة الحية أو الجامدة تتعالى عن أن تلم بها عقولنا .

« مثال ذلك أننا إذا ألقينا حجرا فى الهواء نراه يسقط الى الأرض ، فلماذا يسقط ؟ يجيبنا نيوتن بقوله : إنه يسقط لجذب الأرض إياه جذبا مناسبا لمادته ، وللمسافة التى سقط منها . ولـكن ما هو هذا الناموس إن لم يكن من باب تحصيل الحاصل ، وإلا فهل أدرك أحد تلك التذبذبات الجاذبة التى تجعل الحجر يسقط على الأرض ؟ إن ظاهرة سقوط حجر على الأرض من الشيوع بحيث لا تدهشنا ، ولـكن الحقيقة أنه لا يوجد عقل إنسانى فهم ذلك . إن هذه الظاهرة عادية وعامة ومقبولة ، ولكنها غير مفهومة كـكل ظواهر الطبيعة بلا استثناء » (١)

يعتبر العلم الطبيعى من ناحية بحوثه المادية مستودع الحقائق الثابتة ، ولـكنه من ناحية فلسفة بعض أشياعه مستقر الظنون والأوهام ، ومستنقع الخيالات والأهواء . وليس هذا العاب واقعا على العلم الطبيعى نفسه ، ولكن على خفاف الأحلام من حملته .

ذلك أن هذا العلم موضوعه درس الموجودات فى جملتها وتفصيلها ، فهو من هذه الناحية يكشف للعقل من العلاقات الموجودة بين تلك الموجودات مايهديه لاستخدامها فى مصالحه . من هنا أتت منزلتـه السامية فى القلوب . أما سقطاته فقـد جناها عليه المتسرعة من أتباعه .

مثال ذلك رأى العقل الانسانىّ حيا مدركا مريدا ، فقرر أن قـوة علوية تثوى فى جثمانه فترفعه عن مستوى الموجودات ، وتخضعها لسلطانه ، ولـكن رجالا من الطبيعيين

(١) انظر مقدمة كتاب (الظواهر النفسية) للدكتور ماكسويل ص ٧ من الطبعة الخامسة .

قالوا لماذا نلجأ الى هذا التعليل الساذج، فنفترض أن للانسان روحا هبطت عليه من عالم لا نعرفه، فنخوض فى الظنون ما دامت المعلومات الطبيعية تكفى فى تعليل حياته؟

فزعموا الروح الانسانية هى ثمرة مجموع وظائف الأعضاء الجسمانية المركبة على هذا النحو الآلى المتناهى فى الدقة.

ولكنهم ما كادوا يرتاحون الى هذا التعليل حتى اعترضتهم عقبة كأداء دونه، هى تفسير وجود المادة الآلية، لأن هذه تمتاز عن المادة الجامدة بوجود الحياة فيها، فما هى هذه الحياة وكيف نشأت من الجماد نشوءا؟

هنا اختلفت الآراء، وتشعبت المذاهب، وخاصة بعد أن أثبت العلامة (باستور) أن الكائن الحى لا يتولد إلا من كائن حى، ولا يمكن أن يتولد من الجماد على الإطلاق.

فلما أعوزت أولئك الطبيعيين التعليلات، رأى واحد منهم رأيا من أغرب ما سمع عن مثله، وهو قوله: إن كائنا حيا يحتمل أن يكون سقط على الأرض، محمولا على أحد النيازك، فكان أصلا لجميع الأحياء الأرضية.

ووجه الغرابة فى هذا الرأى أن النيازك وهى الأحجار التى تسقط فى بعض فصول السنة على الأرض من بقايا كوكب متحطم، تصل فى أثناء سقوطها بسبب احتكاكها بالهواء الى درجة من الحرارة عالية جدا، بحيث تذيبها قبل أن تصل الى الأرض، فان كان واحد من هذه الأحجار كبيرا، ولم تكف مدة هُوِيّه لإذابته كله، هبط حارا الى درجة تكفى لإذابة المعادن، فما ظنك بكائن حى سواء أكان نباتيا أم حيوانيا؟

لا مشاحة فى أن أمثال هذه التعليلات تعتبر أوهاما، وما أكثرها فى الفلسفة التى تُدعى طبيعية، كما سيمر بك فى مراحل هذا البحث.

ولكن للعلم الطبيعى رجالا لا تزدهيهم مثل هذه الصغريات، قد تجلى لهم العجز عن تعليل أصغر كائنات الطبيعة الى حد أن حملهم على الاعتراف بذلك بدافع ذاتى لا رادّ له.

منهم الأستاذ شارل ريشيه الذى تقدم ذكره فى هـذه المقالة ، قال فى كتابه الذى عيناه هنالك :

« إننا نعيش فى وسط ظواهر تتوالى حوالنا ولم نفهم سر واحدة منها فهماً يناسب درجتها، حتى أن أكثرها سذاجة لا تزال سرا من الأسرار المحتجبة كل الاحتجاب. فما معنى اتحاد الايدروجين بالأوكسيجين ؟ ومن الذى استطاع أن يفهم ولو مرة واحدة معنى هذا الاتحاد ، وهو يفضى الى إبطال خواص الجسمين المتحدين وإيجاد جسم ثالث مخالف للأولين كل المخالفة ؟

« إن العلماء لم يتفقوا للآن حتى على طبيعة الجوهر الفرد المادى ، الذى يوصف بأنه غير قابل للوزن ، وهو مع ذلك يقبله متى اجتمع عدد كبير منه .

« فالأولى بالعالم الصحيح أن يكون متواضعا وجريئا فى آن واحد ، متواضعا لأن علومنا ضئيلة ، وجريئا لأن مجال العوالم المجهولة مفتوح أمامه .

ثم ختم كلامه بقوله : « فالويل للعلماء الذين يظنون أن كتاب الطبيعة قد أقفل ، وأنه لا يوجد شىء جديد يحسن تفهيمه للانسان الضعيف » .

وقال العلامة (وليم جمس) أستاذ جامعة هارفارد بالولايات المتحدة فى كتابه (إرادة الاعتقاد) صفحة ٧٣ :

« إن علمنا قطرة وجهلنا بحر زاخر ، والأمر الوحيد الذى يمكن أن يقال بشىء من التأكيد هو أن عالم معارفنا الطبيعية الحالية ، محاط بعالم أوسع منه من نوع آخر ، لم ندرك خواصه المكونة له الى اليوم » . يشير الأستاذ بهذا الى العالم الروحانى .

وقال العلامة هرشل مبينا الثمرة الحقيقية للعلم الطبيعى :

« كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلى لاحد لقدرته . فالجيولوجيون (علماء طبقات الأرض) والرياضيون والفلكيون والطبيعيون ، قد تعاونوا جميعا وتكافلوا على تشييد صرح العلم ، وهو صرح العظمة الإلهية فى الواقع » ؟

محمد فريد وجدى

الاسلام والطب الحديث

بحوث دينية علمية

« وَتَوَلَّى عنهم وقال يا أَسَفَى على يوسفَ وَابيَضّتْ عيناه من الُحزنِ فهو كَظِيمٌ » :

البياض المصحوب بضياع البصر غالبا معناه « الجلوكوما » ، والمعروف عند الاختصاصيين فى أمراض العيون أن أهم سبب لها هو التغيرات فى الأوعية الشعرية ، نتيجة لأسباب كثيرة من أهمها الانفعالات العصبية (كما يحدث فى زيادة ضغط الدم) لا سيما الحزن (الدكتور سلر) .

« فلمّا أنْ جاء البَشيرُ ألقاه على وجهه فَارْتَدّ بَصيراً قال ألم أقل لكم إنى أعلم من الله مالا تعلمون » :

لا تتحسن أعراض مرض « الجلوكوما » (أو شدة توتر العين) أو تقف شدته إلا بالعلاج ، ومنه العمليات الجراحية ، ولكن شفاء سيدنا يعقوب بوضع القميص على وجهه هو معجزة من المعجزات الخارجة عن قدرة الانسان ، وليس المهم هو القميص أو وضعه على وجهه ، فقد كان ذلك لتسهيل وقع المعجزة على الحاضرين فحسب ، ولكن المهم هو طريقة الشفاء وهى إرادة الله المنحصرة فى « كن فيكون » ، وهذه خارجة عن كل السنن الطبيعية التى أمر الانسان أن يتعلمها ، فعظمة المعجزة ليست فى النتيجة فحسب ، ولكن فى طريقة الشفاء .

وما أعظم إعجاز القرآن الذى وصف حالة مرضية خاصة وبيّن سببها ، ولم يكن يعلم العالم شيئا عن هذا المرض ولا عن أسبابه فى ذلك الوقت ، ولا بعده بزمن طويل :

* * *

« ربّنا إنى أسكنتُ من ذريتى بوادٍ غيرِ ذى زرع عند بيتِك المُحرّم ربّنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدةً مِن الناس تَهْوِى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » :

آيات القرآن يفسر بعضها بعضا، ودعاء سيدنا ابراهيم يفسر ماقلناه، وهو أن الدعاء سنة طبيعية لا أكثر ولا أقل، فالنبي يدعو ربه ليلهم الناس حج البيت، فهو يستعين بسنة طبيعية، وهي إلهام الخالق لنا، مع أنه يعلم أن الله قادر على أن ينزل عليهم رزقا من السماء، ولكن النبي ضرب لنا مثلا في طريقة استعمال الدعاء وقيمته، فالدعاء لاينافي سنة طبيعية ولا يأتي بالمعجزات، ولكن الداعي يطلب من الخالق الهداية الى إحدى السنن الطبيعية، وسأضرب لذلك مثلا بالنسبة للمريض وعلاجه، فقد أخبرني البعض أن من يطلب الطبيب لا يستعين بالدعاء، والحقيقة غير ذلك، فالوالد الذي يدعو ربه لشفاء ولده:

١ — لا فائدة من دعائه إذا كان الولد قد مات فعلا، كما قلنا سابقا.

٢ — لا فائدة من دعائه إذا كان مرضه مميتا حتما، وليس له علاج في ذلك الوقت، لأن الدعاء لا يخلق سنة جديدة، ولا فائدة كذلك من أي علاج لأن المريض تحت تأثير سنة طبيعية، وهي أن هذا النوع من المرض مميت حتما وعلاجه لم يكتشف الى اليوم، ولا فرق بينه وبين من مات فعلا أو فقد عضواً من أعضائه لا يمكن الاستعاضة منه بغيره، ولو أراد الله شفاءه لما مرض بهذا المرض.

٣ — قد يكون للمرض طرق علاج، أو قد يشفى من نفسه في ظروف خاصة، فالدعاء في هذه الحالة معناه إلهام المريض ومن حوله من طبيب وغيره باستعمال الطريق المؤدي الى الشفاء، والطبيب يحتاج دائما الى هذا الإلهام، وكم من مرة يقف في مفترق الطرق ولا يدري أية ناحية يسلك، وكل طريق سنة طبيعية تؤدي الى نتيجة خاصة، والدعاء هداية الى السنة المؤدية الى الشفاء، وهكذا يكون الدعاء والتطبيب وكل أعمال الانسان يكمل بعضها بعضا، ولكنها ليست متناقضة.

فدعاء سيدنا ابراهيم معناه أن الله يلهم الناس بواسطة القوانين الطبيعية حج البيت، وقد يقال: « ولكننا لانشعر بإلهام من عند الله وكل أفعالنا نتيجة مباشرة لتفكيرنا والشخص الذي يحج لا يشعر بإلهام أو بشيء خفي ».

والحقيقة أن أفعال الانسان قد تكون :

١ — نتيجة تفكيره واختباراته ويكون سبب حركاته ظاهراً .

٢ — قد تكون أفعاله غير منطبقة على تفكيره واختباراته الأخيرة ولكنه مع هذا يندفع الى العمل ، وقد ظهر بطريق الفحص العلمي المسمى (Psycho - analysis) (التحليل النفسي) وبطريق التنويم المغنطيسي أن هذه الأفعال ممكن تفسيرها بتجارب واختبارات حصلت للشخص في زمن سابق ، وبقيت في مخه الباطني « Subconscious » وقد يكون نسيها تماما ، ولكنها تؤثر دائما في أفعاله الحاضرة دون علمه .

٣ — قد تكون الأفعال كالنوع الثاني ، ولكن ليس من السهل على علماء النفس تحليلها ، أو ردّها الى تجارب « الإرادة الخفية » . وفي اعتقادي أن بعض هذه الأفعال كالأوامر التي يقوم بها المنوم « بفتح الواو وتشديدها » امتثالا لأمر المنوم « بكسر الواو وتشديدها » حتى بعد اليقظة ، وهو يعتقد أنها من عنده ولا يشعر بأنها من تأثير إرادة خارجة عنه .

وقد تكون هذه الأفعال من تأثير إرادة أشخاص آخرين أوأشياء جامدة ، وما أكثر الأشياء التي يؤثر على الانسان فعلها كالتنويم تماما ، ولا يشعر الشخص بها إلا كما يشعر في النوع الثاني ، ثم لا تعرف إلا أنها نتيجة لإرادته ، والحقيقة أنها هداية من الله بواسطة حواس غير الحواس الاعتيادية خلقها الله في الانسان ، ولم يدرسها العلم بعد ، وهذه كالمنوم « بفتح الواو وتشديدها » تؤثر في أفعاله بغير أن يعرف مصدرها ، وقد ثبت لبعض علماء الفزيولوجيا وجود حس في بعض الأفراد على الأقل سموه الحس السادس .

وكثيرا ما نشاهد أشخاصا لا يفكرون في الحج مدة طويلة ، ولكن فجأة وبدون سبب ظاهر يصممون على الحج وينفذون إرادتهم ، وهذا العمل ظاهره الاختيار طبعا ، ولكنهم مدفوعون بقوة مسيطرة عليهم أشبه بالغريزة أو الوحي (Impulse) وقد أجاب الله النبي الى دعائه ، فألهم الناس الحج في آلاف السنين ، والى ماشاء الله لا في مدة حياته فحسب ، وفي هذا إظهار لقدرة الخالق وصدق وعده . دكتور عبد العزيز اسماعيل

معنى الحياة وقيمتها

مقـدمة (١)

إن مسألة معنى الحياة وقيمتها لا يمكن أن تفهم على حقيقتها ، لأنها توضع فى أزمنة لم يتبين فيها السائل مضمون الحياة بوضوح على ما تمثلها له البيئة التى يعيش فيها . وهـذا النقص فى المعرفة يدل من جهته على أن المذخورات التقليدية ليست كفؤا للمطالب التى يقتضيها التقدم فى مجالات الحياة . ولكن إذا أراد الفكر أن يتطوع للاجابة على هـذه المسألة وجد نفسه فى حرج شديد ، لأن تغلب الأفكار العالية علينا يحقر فى نظرنا مادة العالم الخارجى ، ويزيد الهاوية التى تفصلنا عنه عمقا ، حتى إن ذلك ليفضى الى جعل هـذا العالم أجنبيا عنا الى حد أن يظهره غـير صالح لأن يكشف لنا عن معنى وجـودنا فيه . وبانحياز الانسان عن العالم الخارجى اضطر للرجوع الى نفسه باحثا عن حقيقة روحه . فهنا وليس فى مكان آخر تستطيع الحياة أن تدرك الأغراض التى وضعت لها ، والوسائل التى توصلها اليها . ولكن هذه المحاولة تنتهى باقناع الانسان بان حياته التى فصلها عن العالم الخارجى ، ولم يقف عليه جهوده ، تزداد فاقة يوما بعد يوم ، وتقع نهائيا بسبب ذلك فى فراغ باطنى . فيجب والحالة هذه وجدان أية وسيلة لاجتياز الهاوية التى تفصل الروح عن العالم الخارجى ، ولازالة التناقض بينهما . وهذا يقتضى أن تبلغ الحياة درجة عالية من الرقى ، وحالة رفيعة من الجلالة والسعة فى ذاتها . ولـكن كيف يتاتى للانسان أن يصل الى هـذه المكانة إذا اتجه نحوها والتلاؤم بين نفسه والعالم الخارجى قد هدم فى أثناء الحياة ؟ على هذه الصورة تندفع فى هذه المسألة الى الامام ، متوغلين فى متاهات الشكوك ، ومن الشكوك الى الجحود التام .

هذه الحالة من الضلال ، ومن المباحث التحسسية ، هى حالة عصرنا الراهن كما هو ظاهر للعيان . وإن عدم الوقوف على ما تطمئن عليه النفس من مسالة معنى الحياة ، يتضح خصوصا من عدم وجود نقطة مركزية تتحكم فى حياتنا ، ومنها يمكن ملاحظة تغيراتها بالنظر اليها نظرة إجمالية . وعليه فان هذه المسألة حتى من ناحيتها العامة لا يمكن تحديدها ، فأولى أن يكون وجدان الجواب الكافى عنها غير ممكن كذلك .

لا يعز علينا فى العهد الراهن أن نحاول إعطاء الحياة نقطة مركزية ، ثم تنظيمها بالبـدء

---

(١) ترجمنا عن الفرنسية فى العدد الماضى مقدمة الفيلسوف المشهور برغسون على كتاب الاستاذ الالمانى رودولف أوكن تحت العنوان المتقدم ، واليوم نأتى على ترجمة مقدمة الكتاب بقلم المؤلف نفسه عن النسخة الفرنسية

من تلك النقطة على شكل خاص ، ولكن تمدد هذه المحاولات يساعد على زيادة تعقدها ، فان هذه المحاولات تتخالف تخالفا شديدا حتى إنها لتتناقض الى حد أن الانسانية الحاضرة لا تختلف فى شيء مثل اختلافها عليها . فالخلاف ينشأ قبل كل شيء من التخالف بين أساليب التفكير القديمة والحديثة فى الحياة ، من أول جذورها الأولى الى آخر نقطة من تفرعاتها . ومن هنا ينشأ التعارض الذريع على فهم معناها وإدراك قيمتها .

فالاسلوب القديم كما هو ماثل فى الدين وفى المدنيات المثالية ، يرتكز على عقيدة وجود عالم مرئى لعين البصيرة وحدها هو العالم الروحانى ، وتضع الوجود المؤقت فى إشراقات ذلك العالم وفى خدمته . وكل ما يظن فى هذا الوجود أنه موجود بذاته ، أو أنه يؤدى عملا خارجا عن الحد المقرر له ، فانه إن لم يعتبر مما لا يجوز أن يهتم به ، اعتبر على القليل عرضيا . تقابل هذه الفلسفة فلسفة حديثة العهد ، وهى اعتبار الحياة جزءا من الوجود المحسوس ، وعدم جواز العمل إلا بالوسائل التى يمنحها إياها هذا الوجود نفسه . وكل خطوة يخطوها الانسان خارجا عن حدوده تفضى الى الضلال فى الفراغ المحض .

هاتان الفلسفتان تؤثران علينا بشدة ، وتجراننا الى اتجاهين متعاكسين . فميولنا المثالية ، وأحكام عقولنا ، تجرى غالبا على الفلسفة القديمة ، ولكن مصالحنا ومحاولاتنا تجرى على الفلسفة الجديدة .

فى نظر الذى يخيل له من معاصرينا أنه يستطيع أن يتبع واحدا من هذين الاتجاهين مكتفيا به ، إما بحسبان الفلسفة الجديدة من الثمرات العقلية التى ظهر فسادها ، وإما باعتبار أن الفلسفة القديمة قد رثت وأدركها البلى ، قلنا فى نظر الذى يطوف برأسه هذا الخيال الأمر بسيط للغاية ولا يحتمل أقل شبهة . ولكنه لا يدرى أنه قد ثبت ، وأصبح فى أرفع مكان من العقلية الانسانية ، أن كل وجهة نظر لا تخلو من حقائق لا يجوز إغفالها ، وأنه يجب الاحتفاظ بكل هذه الوجهات والتوفيق بينها على أى حال من الأحوال .

نعم إن تفصيل وجوه التوفيق بينها ، على شدة ما بينها من التباين ، من الصعوبة بمكان . وها نحن ، قبل أن نصل اليه ، تحت تأثير حالة ليس لها قرار . وقد نتج من هذا الاضطراب والقلق شعور بعدم الطمأنينة ، وبفراغ يشل كل حركة ويستحيل التخلص منها ، إلا إذا كان الانسان رغما عن عمله المتواصل فى الناحية الظاهرية من الوجود ، يعمل على الحياة والتكمل بالعمل المثمر باعتبار أنه عالم قائم بذاته . هذا هو الذى يشهد به الواقع ، فان الانسان فى العصر الراهن وهو فى وسط مبدعات عبقرية ، وترقيات لا تنقطع ، يرى أنه مجرد من شعور ارتياح وثقة بالحياة ، وأن كل هذه الأعمال الناجحة لم تؤده الى الرضاء عن حالته ، وأنه فى تقدير ما يحيط به ، قد تعود إسقاط قيمته وقيمة المكان الذى شغله من هذا العالم . فأى تبدل

عظيم قد لحقه من هذه الناحية ، إذا قورنت نفسيته فى هذا العصر بنفسية أسلافه فى القرن الثامن عشر ، وهـو عهد لم يـكن من القوة على مثـل العهد الذى نحن فيـه ، حيث كانوا يعتقدون بعظمة الانسان وسمو مكانته فى الوجود . والحال أنه بقدر ما هو حق أن الانسان لا يستطيع الاضطلاع بالمهام العظيمة التى يقتضيها منه العصر الحاضر ، إلا إذا أسعدته قوة حيوية يحدوها الرجاء والتفاؤل ، وبقدر ما هو حق أيضا بأنه لا يستطيع أن يعفى نفسه من التساؤل عن معنى الحياة ، فهو حق كذلك أن هذه المسألة العامة ستتغلب على سائر مسائله الثانوية .

وعلى وجه الاجمال : الانسانية جمعاء والفرد الواحد يـكافحان هنا لحفظ ذاتيتهما الروحية . وهـذه المسالة يمكن إرجاؤها الى حين ، ولـكن من المحال إغفالها بتاتا ، فانها بقدر ما تهمل تعاود الـكرة باشـد قوة وسطوة مما كانت عليه .

الصعوبة الرئيسية هنا تأتى من عدم وجود حالة محددة كل التحديد ، بحيث تبقى ثابتة على الرغم من جميع التاويلات والمذاهب ، وتاتى تلك الصعوبة كذلك من عدم ثبات الحياة وقبولها للتركب على ضروب شتى ، طوع الاسلوب المتبع فى التركيب . فلهذا تتخالف صور تلك التراكيب ويتباين أيضا ما ينشأ عنها من الأمور الواقعة . فالاحكام التى صدرت على ما هو أصلى أو تبعى ، وما هو قيم أو ما لا قيمة له ، وما هو نافع أو ضار فى الحياة ، تأتى متخالفة ومتناقضة تبعا لوجهات التركيب التى عوملت بها من قبل . وعلى هذا فان النزاع القائم اليوم منصب على الحياة نفسها أكثر مما هو منصب على اختلاف وجهات المفكرين . فاصبحنا والانقسام واقع على الحياة نفسها كما هو واقع على المتكلمين فيها . إذن فلا يتاتى التغلب على هـذا الانقسام فى المذاهب إلا بالتوفيق بين مداركها ، نعم ولـكن بواسطة الـكفاح للحصول على حياة جديدة تسمو بأصالتها وكمالها عن التناقض والاعتراض . وإن اتجاه الحركات الراهنة الى إيجاد حياة جديدة هو الذى يبعث فى تلك الحركات نفسها خطورة وقوى خاصة . نعم إن تحولا من هذا النوع لا يمكن أن يتم من اليوم الى غد ، ويقتضى عملا متواصلا فى أجيال متعاقبة ، ولـكن بعد الغاية لا يجوز أن يحمل أحدا على اعتبارها مستحيلة ، ما دام يمكن التاهب لها ووضع أساسها مذ اليوم .

وإذا كان العمل العلمى يعتبر جزءا من حركة واسعة النطاق من هذه الناحية ، فيهمنا أن ننبه عقولنا الى ما بذل من الجهد للتوحيد بين وجهات النظر ، ولبناء التراكيب المختلفة عن الحياة فيما مضى من الزمان وفى العصر الراهن ، مما كان له أثر كبير علينا . لأن هذه التراكيب لا يمـكن إقصاؤها باعتبار أنها صور ساذجة ، فعملها على شمول جميع حالات الحياة ترينا صـورة من الخصائص الانسانية وهى تتطـور فى درجات الـكمال ، وترينا أيضا كنه استعصاء الأشياء عليها . ومن هنا يمـكن أن نحصل على تجارب ذات قيم ثابتة . ولا يغيبن عنا أن هذه التراكيب كان يصعب عليها أن تجمع بين عدد عديد من الأرواح ، وأن تؤثر فى الأشياء الانسانية تأثيرا

عميقا إن لم تكن حاصلة على قسط ما من الحقيقة . والنقد الصحيح لهذه المحاولات يمكن أن يشمل جملة التجارب والحقائق التي حصل الناظرون عليها ، وأن يسمح بمعرفة حقيقة الحالة الراهنة لمسألة الحياة بما لا تسمح به نظرة عامة عنها . وهذا التمحيص نفسه يساعد على بيان الوجهة التي يجب أن تتبع للبحث عن إصلاح الحياة ، وعن وجه جديد لتركيزها .

أما أن مثل هذه البحوث تؤدى الى نجاح من هذه الناحية فذلك مما ينتظر أن تعرفنا به التجربة وحركة الحياة نفسها . فانه لأجل الحصول على تقدم فى هـذه السبيل يجب أن توجد قوى جديدة كامنة فينا ، وأن لا تكون قد استنفدت ذخرها فى الصور التى أنتجتها الى الآن . ولكن إذا كان الوجود كله لا يزال فى حالة تطور فهل يعقل أن يكون الانسان خارجا عن هذه الحركة العامة ، وهل يتصور أن تكون الكلمة الاخيرة قد قيلت فيه وحده ؛ ولأى سبب يحرم من التطور كغيره من أشياء هذا الوجود ؟

مهما كانت الحال فاننا لا نستطيع أن نبقى جامدين ، منتظرين ما يحدث غير مكترثين له . لأن التناقضات فى هذا الموضوع تزداد كل يوم وضوحا ، وتعمل على تجزئة الذخر الروحانى للحياة . فاذا كنا نريد أن لا ندفع فى تيهور إفلاس باطنى لا قرار له ، وجب علينا أن نتقدم فى هذا البحث بدون إمهال ، متشجعين بهذه العقيدة بأن هنالك أمورا ضرورية قيد البحث ، تترفع أن تؤثر فيها إرادة أو رأى لا من فرد واحد ، ولكن من الناس مجتمعين ، فلنشرع الآن فيما تصدينا له معتمدين على هذه الحقيقة .

محمد فريد وجدى

(مجلة الأزهر) هذه مقدمة الاستاذ رودولف أوكن ، وهى لا تستدعى النقد ولا المقارنة ، فكل ما جاء فيها يتفق وأية فلسفة إسلامية ، فلننتظر ما يأتى به فى الفصول المقبلة من كتابه ، فان فيها مجالا فسيحا للنقد والتطبيق ، وهى على أية حال تقفنا على اتجاهات الروح العصرية فى عهد كل المعقولات البشرية موضوعة فيه تحت البحث والتمحيص ، مما لا يصح أن يجهله مسلم يحمل أمانة الوحى الالهى الاخير .

بقاء الذكر

قال أبو تمام الطائى فى هذا المعنى :

وما ابن آدم إلا ذكر صالحة ... أو ذكر سيئة يسرى بها الكلم
أما سمعت بدهـر باد أمتـه ... جاءت بأخبارها من بعدها أمم

التيسير روح الاسلام

جاء فى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » :

هذا الحديث من جوامع الكلم وأمهات الحكم ، وهذا شان الرسول فى كل مقال ، ولاتعجب لأن العجب إنما يكون عندخفاء السبب ، والسبب فى ذلك واضح جلى ، فان الله قد رفع درجته فى العلم والبيان ليوافق أسلوبه أسلوب القرآن ، فملأ قلبه علما وحكمة ، وهذا الحديث أصدق شاهد على ما نقول ، فقد أمر بالتدريج فى التعليم ، واللطف فى التاديب ، والتخفيف فى التكليف ، على وفق ما كانت عليه طريقة الاسلام فى عهد التنزيل ، وقد كان لهذه الطريقة الحكيمة من الاثر فى هداية النفوس الجامحة ، وإرشاد القلوب الشاردة ، وإلانة الشكائم الجامدة ، ما ليس لغيره من أى أسلوب توسل به مسيطر عنيف .

نعم إن نجاح الدعوة الاسلامية قام على الحق الذى أتى به الكتاب الكريم ، ولكن الأسلوب الحكيم فى نشره كان من أكبر دواعى إصغاء الناس اليه ، وأخذهم به ، وتحمسهم له .

مما يمكن أن يساق من الملح المناسبة لهذا المقام ، ما روى أن رجلا قال لهرون الرشيد : « يا أمير المؤمنين إنى أريد أن أعظك بعظة فيها بعض الغلظة فاحتملها » فقال له الرشيد : « كلا إن الله قد أمر من هو خير منك بالانة القول لمن هو شر منى فقال لنبيه موسى إذ أرسله الى فرعون : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » .

وفى الحق أن أسلوب القرآن وأدبه فى البيان فوق كل أدب وكل أسلوب ، فقد كان الله تعالى شانه يتنزل مع أعدائه فيخاطبهم بما لا يغضبهم ، فيملك عليهم أسماعهم ، ويستميل عقولهم ، حتى يستمعوا المواعظ القرآنية فتملأ قلوبهم نورا وإيمانا . انظر الى قوله فى القرآن : « ادفع بالتى هى أحسن » وقوله : «وجادلهم بالتى هى أحسن» وقوله : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » وقوله : « قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون »

فهذا هدى الله فى كتابه وهدى النبى صلى الله عليه وسلم ، ذكرت لك منهما طرفا لتقيس به أمرك وتقتدى به فى هديك ، فانى قد وجدت بعض غلاظ القلوب معسرين منفرين على العكس من ذلك الحديث ، يجدونه الصواب فى طريقتهم كما يجد المريض الحلو مرا .

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إن هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » فانك لا تكاد تجد زاجرا عن الغلو فى الدين أبلغ من تشبيه حال المتعمق

فيه بحال من ارتحل ظهرا ويمم سفرا ، فان أكره راحلته على قطع الطريق دفعة ، هلكت وبقى وحده يقلب كفيه ندما ولات حين مندم ؛ وإن سار بها مع الرفق أوصلته للغاية مع ربح الثواب وحسن المآب . فاى أسلوب فى كلام البشر بدا فى ذلك الأسلوب الحكيم الذى دعا به رسول الله جميع الخلق الى الاقتصاد فى الأمر والاعتدال فى النصح وعدم التشديد على النفس ، وكم فى السنة من أحاديث غير هذا حث بها على الرفق ونهى عن التعمق ، كقوله لبعض أصحابه من حديث طويل : «قم ونم وصم وأفطر فان لبدنك عليك حقا» وكقوله : «يأيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أم بالناس فليوجز فان من ورائكم الكبير والصغير وذا الحاجة » . رواه الشيخان . ومن هذا الباب قول على بن أبى طالب رضى الله عنه : « أريحوا هذه القلوب فانها تمل كما تمل الأبدان والنفس مؤثرة للهوى طالبة للراحة أمارة بالسوء فان أكرهتها أنضيتها وإن أهملتها أرديتها » . ومن حكم أكثم بن صيفى فى هذا المعنى قوله : « من شدد نفر ومن تراخى ألف »

صفوة القول أن الخطاب فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «يسروا ولا تعسروا الخ» خطاب عام لكل راع مع رعيته ، وخاص للعلماء والحكام ، فانهم ساسة الشعوب وقادة الأمم ، وكأنه صلى الله عليه وسلم يقول : يامعاشر العلماء وياجماعة الحكام يسروا ولا تعسروا على الناس ، وبشروهم بثواب الله الذى أعده لعباده العاملين ، وخذوهم بالحلم والحكمة والموعظة الحسنة ، فان كان منكم إيعاد لهم بوعيد فليكن بجواره برق بوعد كريم مراعين مقتضى الحال مع كل مستمع سواء أكان فردا أم جماعة . فان كان فردا فانصحوا اليه كما كان ينصح لمثله سيد الخلق صلى الله عليه وسلم على ضوء الفراسة ونور البصيرة ، فقد كان يقول لرجل : « لا تغضب ويكررها ثلاثا » ويقول لآخر : « اقرأ السلام وألن الكلام » وما الى ذلك مما يختلف باختلاف حال السائل . وأما إن كان جمعا فان كانوا من الخاصة فيحسن لهم وحدهم الايجاز . ويحسن فيما عدا ذلك الاطناب .

وهذا كله فى حدود التيسير والتبشير لا فى حدود التنفير بالمقال الشديد الذى يخلع القلوب ويذهل العقول ، فانه فضلا عن كونه غير مجد فهو عمل رجعى مكروه لا يتقرب الى الله بمثله . انظر الى قول الله تعالى : «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» وقوله : « وماجعل عليكم فى الدين من حرج » وقوله : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وفى الحديث « أحب العمل الى الله الحنيفية السمحة »

وبالجملة فان باب الرفق فى كل شىء باب جم الفوائد كثير العوائد ، أذكر لك نبذة وجيزة فى مآخذ الامراء والخلفاء سياستهم الرشيدة من هدى الحنيفية السمحة فانتفعوا بذلك فى كسب مودة الشعوب واستقامة الجنود حتى قيل فى التاريخ الصحيح : إن عمر وحده قد فتح

فى عهده ستة وثلاثون ألف مكان مابين مدن وقلاع وقرى وحصون . فمن ذلك ما فعله عمرو بن العاص وهو فى طريقه الى مصر حيث وجد ابنة المقوقس حاكم الاقباط فى مصر السفلى بالنيابة عن مليك الروم ، فبعث بها الى أبيها مع الحفاوة والتكريم ، فأثرت هذه المعاملة الحسنة فى نفس أبيها ، وأثمرت المحبة للاسلام والمسلمين ، وكان من ثمراتها أن بعث رسلا من عنده للمفاوضة مع عمرو فى شأن الصلح ، فلما رجعوا اليه قالوا له : « لقد وجدنا قوما التواضع أحب اليهم من العظمة ، ليس لأحدهم رغبة فى الدنيا ولا نهمة ، جلوسهم على الأرض ، وأميرهم كواحد منهم ، لا يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا الحر فيهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة قاموا اليها ولم يتخلف منهم أحد ، يغسلون أطرافهم ويتخشعون فى صلاتهم » فقال المقوقس ، وقد وقع هذا الكلام من نفسه موقع الاعجاب بالاسلام والمسلمين: «لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، ولا يقوى على قتالهم أحد، فالرأى أن نصطلح معهم» وعلى ذلك رضى قومه ، فكتب الى عمرو يقول : « إنى لم أزل حريصا على إجابتك الى خصلة مما طلبت فأبى ذلك من حضرنى من الروم ، ثم عرفوا نصحى فرجعوا الى قولى ، فأعطنى امانا حتى اجتمع أنا وأنت فى نفر من أصحابى ونفر من أصحابك ،فان استقام الأمر بيننا تم الصلح ، وإن أبيتم رجعنا الى ما كنا عليه » فرضى عمرو بذلك ، واجتمع الفريقان ،ثم اصطلحا على فرض الجزية على غير الشيوخ والصغار والنساء ، وعلى احترام حقوق الأقباط من مال وأرض ومعابد وكنائس ، وأن يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم .

ومن هذا الباب أيضا رفق عمر بن الخطاب بجيوشه فى الفتوحات الاسلامية ، وعتابه الشديد لأمير الجيش فيما يراه شديدا من تعاليم نحو جنده . روى أن أبا عبيدة بن الجراح لما فتح أنطاكية صلحا ، وكانت بلدة ذات شهرة عظيمة فى التاريخ مناخها معتدل وهواؤها جيد ، كتب الى عمر يستأذنه فى عدم إقامة الجيش فيها خوف أن يخلد الجيش الى الراحة ويستعذب الهواء ، فرد عليه عمر يقول : « وأما قولك إنك لم تقم بأنطاكية لطيب هوائها فالله عز وجل لم يحرم الطيبات على المتقين الذين يعملون الصالحات ، قال تعالى : « يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم » وكان يجب عليك أن تريح الجند من تعبهم وتدعهم يرغدون فى مطعمهم ويريحون الأبدان من نصبها ، أنت الشاهد وأنا الغائب » .

الاستفتاح والتفريع :

لقد بنى الاسلام كله على التيسير، وجاءت شريعته مشبعة بهذه الروح الشريفة ، يظهر ذلك جليا فى كل حكم من أحكامها ، وكل قاعدة من قواعدها ، نذكر طرفا من ذلك على سبيل المثال لا الاستقصاء ، فاليك :

١ — من ذلك نهى الامام عن إطالة الصلاة بالناس لما فى ذلك من المشقة على المريض

والكبير وذى الحاجة ، وإنما عملنا بتلك القاعدة فى مثل هذا الفرع دون القاعدة الآخرى وهى « الاقل يتبع الاكثر » إذ مقتضاها أن لانعول على المريض والكبير وذى الحاجة لقلتهم وكثرة الأصحاء ، لأن سماحة الدين تقضى بالتيسير لا بالتعسير .

٢ — ومنه رخص المرضى وهى كثيرة ، فمنها إباحة التيمم لمن خاف المرض أو زيادته ، وإباحة الصلاة من جلوس أو اضطجاع أو إيماء على قدر المستطاع ، وكالفطر فى رمضان ، وما الى ذلك .

٣ — ومنه رخص السفر كالفطر فى رمضان ، وقصر الصلاة الرباعية الى ركعتين مع جعل القصر سنة مؤكدة ، وجعل التمام مكروها ولو فى جماعة ، ككراهة الصيام للحاج يوم عرفة ولو كان مستطيعا .

٤ — ومنه مارخص للموظف يكون له زى خاص فى العمامة تقضى به المراسيم ، فاذا كانت تلحقه مشقة بفكها فانه يمسح عليها فى الوضوء .

٥ — ومنه آداب عيادة المريض ، ففى الحديث «أفضل العيادة أجرا سرعة القيام من عند المريض »

٦ — ومنه الرفق بطلاب العلم ، فلا يجوز للمعلم أن يعنف سائلا أويمل سامعا ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه : «حدث الناس ما حدجوك بأسماعهم ولحظوك بأبصارهم ، فان رأيت منهم فتورا فأمسك »

سيد احمد متولى الشيخ

من علماء الازهر برشيد

من غوالى النصائح

قال الأديب الكبير شهاب الدين أحمد بن عبد ربه :

يا من تجلد للزما ن أما زمانك منك أجلد
سلط نهاك على هوا ك وعد يومك ليس من غد
إن الحياة مزارع فازرع بها ما شئت تحصد
والناس لا يبقى سوى آثارهم والعين تفقد
او ما سمعت بمن مضى هذا يذم وذاك يحمد
المال إن أصلحته يصلح وإن أفسدت يفسد

الحكمة فى خلق الحشرات (١)

المعارك المنظمة بين أنواع من الحشرات

فى الخلق عجائب استأثر بعلمها العلماء ومن يتتبعون بحوثهم من ذوى الالباب ، ولو علم الدهماء أن تلك البحوث لاتقتصر على تغذية العقول والقلوب ، ولكنها تتعدى ذلك الى فتح باحات جديدة لتحسين أحوالهم المعيشية ، وترقية مواردهم الاقتصادية ، لأقبلوا على الاطلاع عليها أكثر من إقبالهم على البحوث الأدبية . وإنا لآتون هنا على ملخص بحث نشر فى مجلة العلم والحياة الفرنسية تحت العنوان المتقدم ، فان فيه علما ، ولذة عقلية ، ونفعا للحياة العلمية ، وسبيلا الى معرفة الله من النظر الى مصنوعاته — قالت المجلة الفرنسية :

إن نظرية تنازع البقاء تتخذ أشكالا غريبة مختلفة فى المملكة الحيوانية ، ولا سيما فيما بين الحشرات ، فقد شوهد أن هناك عراكاً مستمرا بين الحشرات التى تتغذى ببويضات أو دويدات الحشرات الأخرى . من تلك الحشرات عدد عظيم جدا يغتال أنواعا منها تفتك بالمزروعات ، فتأتى بفائدة عظيمة للزراع . وقد كنا نتساءل كثيرا هل يتأتى للمشتغلين بعلوم الطبيعة أن يستفيدوا من ذلك العراك القائم بين هذه الكائنات فيعملوا على مناصرة الأولى للتغلب على الثانية ؟

ولقد كانت نتيجة ذلك أن أنشئت عدة معامل كيمائية للبحث عن حل لهذه المسألة .

والآن لم تصبح معلوماتنا مقصورة على معرفة عدد كبير من الحشرات النافعة ، ولكنا عرفنا طريقة استيلادها ونقلها الى المناطق التى وإن لم تُبِد فيها الحشرات الضارة تماما إلا أنها تخفف كثيرا من وطأتها ، وتقلل بنسبة عظيمة من عملها الضار .

وقد اكتشف المسيو باركر حشرة عجيبة ذات أجنحة غشائية تعيش دوابدها فى ديدان الحشرة التى تفتك بالكروم وتتلف الذرة . وقد شرح خاصة حالة هذه الحشرة ونمو أجنحتها الكثيرة ، إذ قد تخرج إحدى بويضاتها ثمانية أوعشرة أفراد .

(١) مترجم عن الفرنسية عن مجلة العلم والحياة الباريسية .

وكان أول من لاحظ مسألة كثرة الأجنة المسيو مارشال ، فذكر أن الحشرة المسماة أنستروس فوسيو ليس ، تخرج إحدى بويضاتها مائة دويدة على الأقل . وهذه الدويدة المتناهية فى الصغر ذات الأجنحة الغشائية ، والتى يبلغ طولها ملليمترا ، تعيش على بويضات دويدات ذات أجنحة غشائية أخرى لا ترى إلا بالمجهر ، وهى من فصيلة الأرضة التى تنخر أشجار البرقوق والتفاح وغيرهما ، فهى تثقب بويضة الفراشة لتضع فيها إحدى بويضاتها ، ثم تفقس البويضة بحالة طبيعية وتكبر وهى حاملة معها حشرة «الأنسيرتوس» (Encyrtus) التى تنمو تدريجيا حتى يكمل نموها ، وفى هذا الوقت لا يظهر إلا غلافها الخارجى وقد تقشف وتجمد ، ويحتوى على أكثر من مائة بويضة تخرج منها الحشرات كاملة النمو ، وهذا العمل يتكرر مع الأنثى مائة مرة على الأقل ، فينتهى بإخراج عدد هائل جدا من هذه الحشرة الضارة .

ولكن على الرغم من كل الصعوبات فإن الجهود مبذولة لوضع حشرات من نوع إزاء حشرات من نوع معادٍ لها لتطاردها وتبيدها صيانة لمزروعاتنا من شرها . فمن تلك الحشرات المطاردة نذكر الخنفساء ، والحشرة التى يطلق عليها اسم «فرس النبى» تتغذى حتى وهى فى حالة الدورة الدودية من الحشرات الضارة ، وهى ذات نشاط عظيم ، وتأتى بمساعدة فعالة للزراع ، لأنها تبيد الحشرات الضارة وتقضى على نسلها .

فبعض الحشرات ذات الأجنحة الغشائية وكثير من الحشرات المزدوجة الأجنحة مثل الأزيل (Aziles) تقوم بنفس الخدم ، وتغتال على الأخص الحشرات التى تم نموها من الحشرات الضارة .

هذا ولا ننسى الحشرات التى تتغذى بأعدائها فى طور نموها وتقتلها قبل أن يكمل تطورها ، فتوقف الاكثار من نوعها ، وإن كانت بذلك لا تمنعها وقت وجودها من إتلاف المزروعات . ثم إنه يوجد كذلك عدد لا حصر له من الحشرات المتناهية فى الصغر ذات الأجنحة الغشائية والتى تضع بويضاتها فى بيض الحشرات القتالة

فتفسد تلقيحها أو تعدمها بوضع بويضاتها الصغيرة مكان البويضات الضارة التى كان لابد من فقسها لولا تلك البويضات الصغيرة التى احتلت مكانها . فكل تلك الأعوان النافعة التى تساعد الزراع على إبادة الحشرات الضارة ليست للآن كافية لدرجة أن تبيد جميع الحشرات الضارة ، لأن الطيور آكلة الحشرات تلتهم كثيرا منها أو تأكلها حشرات أخرى تعيش بالتغذى بها .

تنظيم المقاومة فى جميع الممالك :

لقد حاول الأمريكيون أولاً تطبيق الطرق الكيمائية لمقاومة الحشرات الضارة بالزراعة ، فاستعملوا المساحيق والسوائل السامة للحشرات ، لكن هذا النوع من المقاومة كان يقضى على الحشرات الضارة والحشرات النافعة فى آن واحد ، فلجئوا الى تنظيم طرق أخرى للمقاومة .

فأوفدت الولايات المتحدة بعثات كثيرة للبحث عن طفليات النوعين الموجودين بها من دود القز، فأرسلت الى الولايات المتحدة آلاف الأعشاش والصغار من تينك الفراشتين المريعتين ، ووضعت فى صناديق خاصة لتربيتها ، وبوشرت بعناية تامة واهتمام كبير. وعند فقسها أخذ فى تنقية الطفيليات الأصلية ، وعزلت منها الطفيليات الدخيلة ، وأطلقت النافعة فى الغابات التى تغتالها الحشرات الضارة ، ووضع بعضها فى أقفاص خاصة لتربيتها واستيلادها للإكثار منها .

ومنذ ذلك الحين استمرت هذه المقاومة للحشرات الضارة فى جميع الممالك . وفى كل البلدان الآن يلجئون الى تلك الأعوان الطبيعية لمطاردة أعداء الزراعة ، إلا أنهم لم تنحصر المقاومة فى استخدام تلك الطفيليات فحسب ، بل لجئوا كذلك الى الحشرات المطاردة ، فقد عرفنا تلك الحشرة الشبيهة بالخنفساء التى تأوى غابات فرنسا وتفتك بالديدان الضارة التى تعيش جماعات متجمعة ، والتى نقص عددها حتى آلت الى كميات لا يعتد بها .

هـذا وفضلا عن ذلك فإن الحشرة الخطرة التى ذهبت الى فرنسا من استراليا

دخلت الولايات المتحدة من طريق المصادفة ، ثم فى إفريقية الجنوبية والبورتغال وإيطالية ومصر .

وقد وقفنا بسرعة على نتائج المقاومة للحشرات الضارة بواسطة الحشرات النافعة . وأرسلت كميات من ديدان هذه الحشرات الأخيرة ومن صغارها وهى فى دور تطورها الثانى الى جميع البلدان التى تفتك بمزروعاتها الحشرات الضارة .

لقد ذكرنا هنا نوعا واحداً من الحشرات النافعة ، ولكن توجد أنواع كثيرة غيره ، فبعضها يوجد بفرنسا ، وهى ذات تأثير فعال لدرجة أنها تبيد الحشرات الضارة بأشد وأحسن من معالجتها بالمواد السامة القاتلة للحشرات .

ميل الحشرات فى الفتك بأعدائها :

وتوجد أنواع أخرى من الحشرات الصغيرة جدا تتخذ طرقا أخرى لقتل الحشرات الضارة التى تكون غالبا من حجمها ، وذلك بأن تخرق الدودة وتضع بويضاتها تحت مرقد البويضات الضارة ، فالدود الذى يخرج من الأولى يبيد بويضات الضارة ولا يترك مرقده إلا وقد كمل نموه وأتى على البويضات الضارة .

والآن نتكلم عن الحشرات ذات الأجنحة الغشائية ، وهى غالبا من فصيلة الحشرات ذات البقع ، ومن حجم فريستها ، وتفتك بها بحيلة أخرى غيرها ، تلك أنها وهى فى حجم بعوضة صغيرة تأكل الدود الكبير ، وكثيرا ما شاهدنا أكثر من مائة بعوضة تخرج من جسم دودة حديثة متوسطة الحجم .

وأحيانا نرى البعوضة تضع بيضة أو أكثر فوق جسم الدودة الكبيرة ، فالدود الذى يخرج من البيض ينفذ الى جسم الحشرة الكبيرة وينمو داخله دون أن يمس أعضاءها الحيوية ، وقد رأينا الحشرة ذات البقع تضع بويضاتها بالقرب من فريستها التى تدخل فى مرقد البيض ، وأحيانا يفقس الدود الصغير خارج الحشرة ويتعلق بضيفه المقبل ويعمل معه عمله كما فى الحالة الأولى .

هذا ويلاحظ أنه فى مدة نمو الطفيليات لا يفقد الدود نشاطه أبداً ، بل يستمر على عمليـة الإتلاف والإضرار ، وبذلك لا يكون للطفيليات تأثير مباشر كما هو الحال مع الحشرات المطاردة .

معامل لتربية الحشرات النافعة :

لقد أبنّا بتلك الأمثلة السالفة ما تفعله تلك الأعوان المطاردة ، وما تقوم به الطفيليات التى هى مساعد كبير للزراع لقتل الحشرات الضارة ، إلا أنه مع ذلك يوجد خطر جدى فى الالتجاء دائما الى الاستعانة بها ، إذ أنه قد تكون حشرة من الحشرات نافعة فى بلادها الأصلية ، تصبح ضارة عندما تنقل الى بلاد غير بلادها بالنسبة لاختلاف الجو والنباتات فى منطقتها الأصلية مع جو ونباتات المنطقة التى تنقل اليها ، فلا تتناسب حياتها فى حالة النمو مع حياة ونمو أعدائها الذين يراد أن توضع أمامهم لمقاومتهم ، فبعد أن كانت نافعة واقية تصير ضارة مفسدة .

فماذا يجب أن يعمل إذاً للتفريق بين الحشرات التى تكون وحدها مفيدة وفى حد ذاتها نافعة دائما ؟

لقد أنشئت لهذا الغرض فى فرنسا معامل خاصة ، كاملة الاستعداد تامة النظام ، وتقوم بتنقية الفقس ، واختيار أحسن الأنواع ، وفحص الحيوانات الصغيرة والمشتبه فيها ، وإجراء التجارب عمليا عليها للتأكد مما إذا كانت تصلح لأن تتغذى من غيرها ولا تنقلب ضارة .

ولقد أجريت تجارب طويلة لتربية الحشرة النافعـة بكميات كبيرة ، ثم إطلاقها للقيام بعملية المطاردة ، فتنتشر بسرعة فى المنطقة التى يراد حمايتها ، وتؤدى الواجب الذى نيط بها ،؟

أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته

نظام الوقف في الاسلام أيضا

مضينا بحضرات القراء في شطر غير قليل من الكلام عن الوقف وما ينعقد به وما يصير به صحيحا، وأبنّا في جلاء أن انعقاد الوقف يعتمد شروطا أربعة، واقف، موقوف، موقوف عليه، صيغة يتأدى بها المعنى المراد. فأسلفنا في إفاضة مايجب توافره من شروط في الواقف، وما يجب توافره من شروط في الموقوف وفي الموقوف عليه.

وفي هذا البحث نحاول أن نبسط آراء علماء الفروع بسطا يتناسب وهذه المجلة، ليكون القراء على بينة ولو بقدر من ذلك التصرف الذي كان ولا يزال من أجدى أنواع التصرفات وأفضل مناحي الخير والمبرات.

فمن المتفق عليه بين جمهرة من علماء الفروع أن يكون الوقف منجزا، على معنى أن يكون واقعا على شيء قائم، فلا ينعقد الوقف لو كان معلقا على شرط غير موجود حين الوقف. فمثلا لو قال إنسان: هذه العين موقوفة على جهة كذا إذا جاء الغد، أو رجع أخي من أوبته، أو إذا تملكت هذه العين، فالوقف في هذه الصور باطل. والسر في بطلانه — على ما حكاه صاحب البحر الرائق — أن هذا التصرف لا يعدو أن يكون تبرعا، ومن المتفق عليه أن التبرعات، حاشا الوصية، لا يصح تعليقها على شيء غير قائم، كالهبة سواء بسواء.

واعتبروا من الوقف المعلق على غير موجود كذلك ما إذا قال: أرضي هذه وقفتها على جهة كذا إن شئت، ثم بعد فترة قال شئت دون أن يزيد عليها، ففي هذه الصورة لا ينعقد الوقف لأنه علقه على شيء غير قائم، حتى لو قال في الصيغة المتقدمة شئت وجعلتها وقفا لا ينعقد الوقف إلا بهذا الإنشاء الثاني، لأنه غير معلق، دون أن ينعقد بالإنشاء الأول.

فالمناط فى انعقاد الوقف عند علماء الفروع إطلاقه من غير تعليق ، وأن يكون الموقوف موجودا بالفعل ، حتى لو قال بصيغة التعليق : إن كانت هذه العين لى مملوكة فهى وقف ثم اتضحت أنها كانت كذلك وقت وقفه ، انعقد الوقف ، ووقع صحيحا ، ضرورة أن المعلق على الموجود فى حكم المنجز وفى معناه .

على أن الكلام فى الوقف المعلق هل يقع أو لا يقع رأى لجمهرة الفقهاء كما أسلفنا . وإلا فقد نقل صاحب ملتقى الأبحر وصاحب كتاب أنفع الوسائل أن التعليق لا يبطل الوقف ، وهو مذهب مالك أيضا .

ومن هذه الشروط ألا يكون الوقف مضافا الى ما بعد موت الواقف ، وألا يكون معلقا على موته . فلو قال على الأول : أرضى هذه صدقة موقوفة على الفقراء بعد موتى ، فلايعتبر منه وقفا ، بحيث يصح له أن يرجع فيه قيد حياته . فإذا مات وبقى مصراً على الوقف انقلب بعد موته وصية . فإن خرجت العين الموقوفة من ثلث تركته تطبيقا لأحكام الوصية ، أو لم تخرج وأجازها الورثة ، ففى الحالتين تكون غلتها للفقراء . وإن لم تجز الورثة هذا التصرف فللفقراء الموقوف عليهم غلة ما يخرج من الثلث ليس غير ، والباقى يصير ملكا للورثة . ولو قال على الثانى : إذا مت فأرضى هذه صدقة موقوفة على الفقراء ، لا ينعقد وقفا كذلك . فإن أضافه الواقف الى وقت مستقبل غير وقت موته كما لو قال : أرضى هذه موقوفة بعد عام أو نحو ذلك ، صح الوقف ولزم .

والحكمة فى ذلك أن الوقف كان فى الأول معلقا على مجهول أو مضافا الى ما بعده وهو الموت ، فلا ينعقد فيه الوقف على رأى القائلين ببطلان تعليق الوقف . أما إضافة الوقف الى وقت غير وقت موته فهو منعقد قطعا ، لأنه أضافه الى مستقبل محقق الوقوع إذا مد له فى حياته .

ومن الشروط المصححة للوقف أن لا تقترن صيغته بشرط الخيار ، سواء أكانت مدته معلومة أو غير معلومة . فعلى اقتران الصيغة بشرط الخيار كما لو قال : وقفت أرضى

على الفقراء على أنى بالخيار فى ذلك ثلاثة أيام ، إن شئت مضيت ، وإن شئت رجعت ، بطل الوقف عند محمد ، وهو الراجح ، وعليه عمل المحاكم اليوم . وقد أفتى برجحانه صاحب الفتاوى المهدية ، وحققه صاحب كتاب أنفع الوسائل فى باب الوقف . وعند أبى يوسف تفصيل فى المسألة : فإن اقترنت صيغة الوقف بشرط الخيار لأكثر من ثلاثة أيام ، بطل الوقف ، وإلا انعقد صحيحا . لكن حقق صاحب المحيط وتابعه فريق من المتأخرين استثناء حكم المسجد من شرط الخيار المتقدم ، فان شرط الخيار فيه باطل على أية حالة ، والوقف صحيح اتفاقا بين الأئمة .

ومنها ألا تقترن الصيغة بشرط ينافى حكم الوقف ، بأن قال الواقف : وقفت أرضى على أن لى أن أبيعها وأتصدق بثمنها أو أهبها أو أعيرها أو أرهنها ، أو على أن لمن احتاج من ولدى مستقبلا بيعها أوهبتها أو صرف ثمنها فى حوائجه ، كان الوقف غير منعقد ، ضرورة أن حكم الوقف لزومه . لكن نقل صاحب المجموع من كبار فقهاء المالكية أن مالكا رضى الله عنه قال : يصح للواقف فى هذه الصورة أن يشترط أن لمن احتاج من الموقوف عليهم أن يبيع من الوقف أو يشرط ذلك لنفسه إن احتاج . وحينئذ يعمل بشرطه . وفى هذه الحالة لابد من إثبات الحاجة المشروطة فى كتاب وقفه لنفسه أو لولده والحلف عليها ، إلا إذا اشترط الواقف أن يصدقه فى دعواه من غير يمين عليها .

وقد أسلفنا فى صدر البحوث السابقة أن القائل بلزوم الوقف هو الإمام محمد كما نقل صاحب الدر ، خلافا لما ذهب إليه أبو حنيفة وهو عدم اللزوم . ونقل الزيلعى أن مذهب أبى يوسف القول ببطلان الشرط وصحة الوقف فى هذه المسألة ، وليس بين الرأيين كبير خلاف كما نرى ، ونقل الزيلعى أن الفتوى على رأى أبى يوسف ، وأنه استحسان ، وأن رأى محمد هو القياس .

وقد اتفق الفقهاء على أن كل شرط يضر بمصلحة الوقف مع عدم منافاته للزومه

يقع فاسدا ، وينعقد الوقف صحيحا ، فلو قال الواقف فى إشهادوقفه : وقفت هذه العين على جهة كذا ، وشرطت كذلك ألا أعزل إذا خنت ، أوشرط تقديم صرف ريع هذه العين الموقوفة للمستحقين على الغلة ، وهو عكس ما عليه العمل شرعا ، وقع الوقف صحيحا ، ووقع الشرط باطلا ، فان الوقف لا يبطل بالشرط الفاسد اتفاقا بين الفقهاء .

ومن الشروط المتعلقة بصيغة الوقف أن يكون الوقف مؤبدا ، فقد نقل صاحب ملتقى الأبحر أن ليس بين محمد وأبى يوسف خلاف على تأبيد الوقف فى معناه ، وإنما الخلاف بينهما قائم على اشتراط النص على التأبيد أو ما يجرى مجراه وعدم اشتراط ذلك ، فالنص على تأبيد الموقوف فيما لو قال الواقف : أرضى هـذه موقوفة أبدا ، أو أرضى صدقة موقوفة ، أو هى موقوفة على الفقراء ، فعلى الأول يكون التأبيد بلفظه قائما فى الصيغة ، وعلى الثانى ما يقوم مقامه ، لأن الصدقـة لا تـكون إلا للفقراء وهم لاينقطعون فى كل عصر وجيل ، وهذه قرينة على نية التأبيد عند الواقف فى الحالة الثانية .

وقصارى القـول على ما حققه الـكمال بن الهمام فى فتح القـدير ، أن الإمام محمدا ذهب الى أنه يجب لصحة الوقف أن ينص الواقف على التأبيد أو ما يقـوم مقامه ، على شريطة ألا يذكر بعده مصرف يحتمل الانقطاع والإبادة ، كأن يقول : أرضى هذه صدقة موقوفة ، أو أن يقول موقوفة على الفقراء ، أو موقوفة لله أو لوجه الله ، فان ما لله فى الحقيقة للفقراء لأنهم عيال على الله . أو يقول : أرضى هذه موقوفة فى بناء المساجد أو الحصون أو ترميمها أو الجهاد فى سبيل الله ، أو ما الى ذلك من جهات البر التى لا تنقطع .

ولنا عودة إلى هذا البحث فى العدد القادم حبا فى استقصاء ما ورد فيه من نظريات طريفة وقضايا علمية ليس للعالم غنى عنها ، فإلى الغد القريب ؟

عباس طه
المحامى الشرعى

تاريخ العلوم الدينية والتشريعية

فى الادب العربى (١)

انتهت بانتهاء العصر الأول من تاريخ الأدب العربى مجهودات العلماء فى فن قراءة القرآن ، وأخذت بعد ذلك فى النقصان تدريجيا الى أن انعدمت فيها أو كادت الروح الفكرية والناحية العلمية ، فاقتصرت أغلب محاولاتهم الأدبية على بحث ما جمعه المتقدمون من مواد ، وإخراجها فى أبسط الأشكال وأسهلها ، بغير اهتمام للروح العلمية التى امتاز بها القدماء ، وأشهر المؤلفات التى ظهرت فى هذا الفن لهذا العصر هو كتاب عثمان الدانى المتوفى بمدينة «دانيه» من أعمال الأندلس عام ٤٤٤ هـ وقد نظمه باختصار مواطنه القاسم الشاطبى المتوفى سنة ٥٩٠ هـ .

أما المجهود الأدبى الذى بذله العلماء فى علم التفسير فقد ظل حافظا لنشاطه الأول ، فقد ظهرت مؤلفات عديدة عامة فى هذا المضمار ، هذا الى جانب العدد الكبير من المؤلفات الخاصة بتفسير بعض أجزاء القرآن ، وأول المؤلفين المعروفين فى هذا العصر هو على الواحدى المتوفى سنة ٤٦٨ هـ وكان تلميذا للعالم اللغوى الفارسى الشهير الثعالبى ، وقد وضع ثلاثة مؤلفات كاملة فى التفسير ، كما وضع سفرا جليلا بأسباب نزول الآيات ومناسبات الوحى ، واهتم من بعده العالم الأندلسى عبد الرحمن السهيلى ، المتوفى بمراكش سنة ٥٨١ هـ بجمع وتعريف ما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام .

ولقد كانت أشهر المؤلفات فى هذا العصر وأكثرها ذيوعا التفسير الذى وضعه الزمخشرى الذى سبق لنا ذكره فى الحديث عن العلماء اللغويين ، فلما أثار كتابه فى التفسير معارضة قوية بين العلماء المتأخرين بسبب منحاه الدينى الخاص ، رأى عبد الله

---

(١) تكملة المنشور فى الجزء السابع (شهر رجب سنة ١٣٥٥) من هذه المجلة مترجما من الالمانية نقلا عن كتاب « تاريخ الادب العربى » للمستشرق الالمانى الكبير الاستاذ الدكتور « بروكلمان » .

البيضاوى المتوفى بتبريز عام ٦٨٥هـ ضرورة مراجعته واستكماله من المصادر الأخرى ، وسرعان ما اكتسب رضاء الجميع وبقى حائزا لثقة السنيين حتى العصر الحاضر ، وذلك بالرغم مما رماه به احمد النوبى عام ١٠٢٧هـ من أنه لم ينجح فى التخلص من إلحاد المنزلة .

وأما من ناحيـة القيمة العلمية فامتاز التفسير الذى وضعه فخر الدين الرازى المتوفى بهراة عام ٦٠٦هـ عن كل ما سواه ، وربما كان عدم ذيوعه بين العامة واقتصاره على دوائر العلم والعلماء يرجع الى حجمه ، ولقد وضع فخر الدين الرازى علاوة عن هذا السفر العظيم فى التفسير عـدة مؤلفات أخرى فى عـلوم الديانة والتشريع والفلسفة والتنجيم بعضها كُتب بالفارسية .

وظهر فى بدء هذا العصر عالم كبير تدين له علوم العقائد بكثير من الأبحاث الخطيرة استقرت بفضلها منازعات القرون الأولى الى قرار نهائى هو الحل الوحيد الذى اتخذه الاسلام من بعـد ذلك ، هـذا العالم البارز المبتكر هـو محمد الغـزالى ، ولد بطوس فى خراسان عام ٤٥١هـ ، طلب العلم ناشئا بنيسابور وانضم الى بطانة الوزير الساجوقى نظام الملك ، واستكمل فى رعايته علوم الدين والفلسفة ، وفى عام ٤٨٤هـ احترف التدريس فى الديانة بالمدرسة العالية التى أسسها ببغداد وليه المعجب به ، ولـكنه ما لبث أن تنازل بعد أربعة أعوام لأخيه أحمد عن منصبه ، وذلك رغبة منه فى التفرغ الى الأبحاث العلمية بعيدا عن المشاغل ، خصوصا أن الشك فى صحة التعاليم السنية كان قد قام بنفسـه منذ اشتغاله بالتدريس ، فظهرت له من المشاكل ما يتطلب الحل السريع والتفسير الشافى ، وكانت رغبته هـذه فى البحث والتنقيب تضطره الى زيارة العواصم الاسلامية ، فاتجـه أولا الى مـكة فدمشق ثم الى الاسكندرية ، واتفق له أثناء سنى ترحاله أن يوفق الى إيجاد مايسد به ثغرة الخلاف بين العقيدة والعلم بواسطة التشكك الجدلى ، ولو أنه لم يشعر براحة ضميره وخلود نفسه إلا بالتصوف ، فارتمى بكلياته فى أحضانه ، وبلغه وهو بالاسكندرية خبر المرابطين فى أقصى البلاد الاسلامية غربا ، وكانوا يعتقدون أنهم وفقوا فى إعادة بناء

الدين بما تقتضيه الروح الاسلامية الحقة الأصلية ، فكان لهذا النبأ وقع عظيم عليه فلأه غبطة وحماسا ، واعتزم العمل معهم فى خدمة أميرهم يوسف بن تاشفين ، ولكن المنية عاجلت هذا الأمير فتوفى عام ٥٠٠ هـ قبل أن يقوم الغزالى بتنفيذ ما استقر عليه عزمه ، وبذا أراح نفسه ألم خيبة الأمل التى كان لابد ملاقيها ، فان المرابطين كانوا أبعد من أن يرضوا بمبادئه أو يعطفوا عليها ، فما كاد يتولى علىّ الخلافة بعد أبيه يوسف حتى أمر باحراق جميع مؤلفات الغزالى علنا بمراكش ، وعلى أثر ذلك عاد الغزالى الى موطنه طوس ، وقضى بها بقية حياته مؤثرا العزلة ، الى أن دعاه السلطان محمد بن ملكشاه الى التدريس بنيسابور ، فأجاب رغبته لمدة قصيرة ، وتوفى عام ٥٠٥ هـ .

كانت قريحة الغزالى على غاية عظيمة من الخصوبة ، فجادت بروائع التأليف الممتاز ، وضربت بسهم وافر فى جميع نواحى العلوم الفلسفية والدينية والتشريعية وعلوم العقائد والأخلاق والتصوف .

وكان فى مؤلفاته فى العقائد ملماً بجميع نواحى هذا العلم المتشعب ، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وهكذا كان دأبه فى المؤلفات التشريعية ، فهو الواضع لأهم الكتب القانونية فى المذهب الشافعى ، وأخيرا وضع فى الصوفية مؤلفا جليلا فى إحياء العلوم الدينية هو عماد الصوفية السنية . ولم يهمل قط حاجات الشعب ، فكتب عدة رسائل فى الأخلاق صادف بعضها رواجا كبيرا فى البلاد الأجنبية .

فإذا ظهر لنا من مؤلفات الغزالى الكفاح المستمر فى الاسلام بين العقيدة والفلسفة ، فقد استقرت من بعده العلاقة ، وبواسطته بدأ ظهور تلك الطريقة الثابتة التى دوّنها عمر النسفى المتوفى سنة ٥٣٧ هـ فى رسالة العقائد .

إلا أنه رغما عن ذلك بقيت أخبار هذا الكفاح الفكرى فى القرون الأولى من الاسلام زمنا طويلا موضع اهتمام الناس وحديثهم فى الشرق ولو من الناحية التاريخية ، فوضع فى ذلك محمد الشهرستانى المتوفى بخراسان عام ٥٤٨ هـ كتاب الملل والنحل عن بيان الفرق الدينية والمذاهب الفلسفية المختلفة فى الاسلام .

وكان حب علماء المسلمين فى الدفاع هو السبب القوى لعدم تركهم سلاح الجدل، وكانت تسنح لهم أيضا بين الآونة والأخرى فرصة مهاجمة المسيحية، ولو أن ذلك كان نادر الوقوع. ومن المؤلفات المعروفة فى هذا الصدد الكتاب الذى وضعه سليمان الباجى المتوفى بمدينة المرية من أعمال الأندلس عام ٤٧٤ هـ فى تفنيد الدفاع عن المسيحية، وكان قد وجهه أحد رهبان مقاطعة (فرانكن) الى المقتدر بالله وكان أميرا على سرقسطه فى منتصف القرن الخامس الهجرى، وربما كانت كذلك الرسالة التى وضعها قيصر بيزنطه وقدمها الى الملك الكامل سلطان مصر فى بدء القرن السابع الهجرى هى السبب المباشر الذى من أجله تصدى صالح الجعفرى عام ٦١٨ هـ الى وضع رد مفصل لتفنيد المسيحية واليهودية.

ولقد ظهر بين العلماء المسلمين فى هذا العصر مؤلفون عديدون فى النواحى العملية المختلفة من الديانة والتشريع، فكانوا يضعون مؤلفاتهم إما رسائل خاصة «فتاوى» وإما على صورة كتب دراسية، وامتازت بعض هذه الرسائل والكتب بقيمتها العلمية، فذاعت ذيوعا واسعا، وكثر تداولها واستعمالها.

وأهم من ظهر من علماء هذا المضمار الأدبى بين الحنفيين هو على المرغينانى المتوفى سنة ٥٩٣هـ ووضع كتابا فى الشريعة امتاز بفائدته العملية، وانتشر انتشارا واسعا، ويعد من أهم المراجع الموثوق بها.

واشتهر من بعده من علماء المذهب الحنفى سراج الدين السجاوندى فى أواخر القرن السادس الهجرى، فوضع كتابا هاما عالج فيه ناحية خاصة من الشريعة وهى قانون الميراث، يرجع اليه فى كثير من الأحكام.

وأما من بين المالكيين فاشتهر من علماء التشريع محمد بن رشد القاضى وإمام الجامع الكبير بقرطبة المتوفى سنة ٥٢٠ هـ فوضع عدة رسائل ومؤلفا كاملا فى التشريع.

وظهر بين علماء الشافعية عدد كبير من المؤلفين الممتازين، وصادفت مؤلفاتهم

رواجا كبيرا، وأقدمهم ابراهيم الشيرازى المتوفى سنة ٤٧٦ هـ وكان أول عميد للمدرسة النظامية ببغداد.

واشتهر من بعده فى أواخر القرن السادس الهجرى أبو شجاع الأصفهانى، فوضع كتابا دراسيا، قام بتفسيره محمد الغزى، واليه يرجع الفضل فى ذيوعه، ولا يزال مرجعا هاما فى التدريس بالقاهرة حتى الآن.

وآخر علماء الشافعيين الذين ظهروا فى هذا العصر هو يحيى النواوى المتوفى بموطنه نوا بالقرب من دمشق عام ٦٧٦ هـ، تولى التدريس بمدرسة الحديث الأشرفية بدمشق عقب وفاة أبى شامة، وكتب عدة رسائل صغيرة فى العلوم الدينية، ووضع مؤلفا هاما فى التشريع، قام بتفسيره فى القرن العاشر الهجرى كل من ابن حجر والرملى، فصادف بذلك انتشارا كبيرا وتداولا واسع النطاق حتى أصبح عماد الكتب القانونية فى هذا المذهب.

وأما المؤلفات التى اشتهرت بين علماء الشافعية فى النواحى الخاصة العلمية فأهمها كتاب المواريث لابن الحسين الرحبى بن المتقنة المتوفى سنة ٥٧٩ هـ وكتاب الأحكام العامة الذى وضعه الماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ فى حقوق الخلفاء وواجباتهم.

وأما مذهب الحنابلة فإنه صادف فى القرن السادس من الهجرة بين علماء هذا العصر من يرفع لواءه ويعلى شأنه بمؤلفات عديدة امتازت عما كتبه زملاؤه من علماء هذا المذهب فى كثير من النواحى العلمية والأدبية كان لها أثر ظاهر فى نهضة الأدب وتطوره فى هذا العصر، وهذا العالم الجليل هو أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ، ولد ببغداد عام ٥١٠ هـ من سلالة ترجع فى الأصل الى الخليفة أبى بكر، وكان أبوه من الأثرياء، فكفل له حياة دراسية ممتازة، واهتم بالدراسات العلمية والأبحاث الدينية، فكرس لها حياته مشتغلا بالوعظ والارشاد، فكان له فى هذا المضمار شأو بعيد، وكان شديد التعصب لسنية مذهبه مغاليا فى الذود عن تعاليمها،

فدفعه تطرفه الى الوقوف فى وجه كل من أدخل على الحديث تحويرا بدون مراعاة لمصدره، حتى إنه تصدى لمناقشة كتاب الغزالى (إحياء علوم الدين) ومراجعته مستبعدا من الأحاديث كل ما تشوبه ريبة أو يمسه الشك من قريب أو بعيد، ولقد كانت مجهوداته الأدبية وافرة المحصول متعددة الفروع، فشملت التاريخ وعلم الحديث وإيضاح القرآن خاصة فى الوعظ والخطابة، وله مؤلفات أخرى فى الجغرافيا والعلوم الطبية لم تتعد المحاولات البسيطة.

وأما مذهب الظاهرية الذى شيد بناءه داود بن على فى القرن الثالث الهجرى فانه وجد فى علىّ بن حزم من يمثله بالأندلس فى هذا العصر، وكان فى وقت من الأوقات وزيرا بقرطبة، وتوفى عام ٤٥٦هـ، وأشهر مؤلفاته كتابان: الأول فى تاريخ الفرق الدينية، والثانى فى مناقشة المذاهب التشريعية، ولقد قام العالم الصوفى ابن العربى بتنقيحه وإخراجه على الصورة المعروفة الآن، وكان ابن حزم ميالا بطبيعته للهدم أكثر من البناء، فلم ينفع مبادئه بقدر ما أضرّ بها، فعاش بقية حياته فى عزلة عن الناس، يرميه أعداؤه بالالحاد والخروج على الدين، وهكذا كانت نهاية هذا المذهب الذى لم تقم له قائمة بعد وفاته، اللهم إلا ما بقى من بعض تلك التعاليم فى العلوم الصوفية.

وقامت فى غضون هذا العصر فى غرب البلاد الاسلامية فرقتان بقصد الإصلاح الدينى، لم تترك أولاهما (المرابطون) أثرا أدبيا بين المؤلفات العربية الاسلامية، وأما الفرقة الثانية (الموحدون)، وهى التى حلت محل الفرقة الأولى بعد تشتيتها، فإن مجهودها الفكرى قد بقى لحسن الحظ ممثلا فى مؤلفات مؤسسها محمد بن تومرت، وهو من البربر من قبيلة مصموده، وكان يعيش بالجنوب الغربى لجبال الأطلس فى أواخر القرن الخامس من الهجرة، وطلب العلم بقرطبة عام ٥٠١هـ ثم ببغداد، وعلى الأخص علم العقائد متبعا تعاليم أبى الحسن الأشعرى، فلما عاد الى موطنه حاول نشر هذه التعاليم التى سماها التوحيد، مخالفا بذلك التشبيه فى السنية المالكية، وبذلك ارتبطت بعقيدة

الشيعة بأحقية آل على بالإمامة ، ولما طرد من البلاد الساحلية ذهب الى قبيلته الجبلية ، ونجح فى اكتساب أتباع مخلصين ، وفى عام ٥١٥ هـ أعلن عن نفسه بأنه المهدى ، وبدأ كفاحه ضد المرابطين ، وهاجم مراكش سنة ٥٢٤ هـ ولم تفلح حملته ، وتوفى عقب ذلك بقليل ، وكان قد وضع كتاباً بتعاليمه ومبادئه التى ما لبثت بعد وفاته أن انتشرت على يد أتباعه انتشارا واسعا ، فخضعت لها شمال إفريقيه ، بل ودانت لها بلاد الأندلس بأجمعها.

وأما فرقة الشيعة فقد نشطت حركتها الأدبية وكثرت مؤلفاتها بين جماعة الزيديين بجنوب بلاد العرب ، ويرجع ذلك الى تمتعهم فى هذه البقاع بحياة فكرية هادئة فى ظل رعاية حكومة منظمة ، فكان كل إمام يشعر بواجبه نحو شعبه فى الوعظ والإرشاد

وأشهر علماء الشيعة فى الشرق محمد الطوسى المتوفى بالنجف سنة ٤٥٩ هـ ووضع عدة مؤلفات تشريعية ، كما عنى بوضع قائمة جمع فيها كل مؤلفات العلماء الشيعيين السائدة فى هذا العصر ، وتدلنا هذه القائمة الضخمة على المجهود الأدبى العظيم الذى بذله علماء هذه الفرقه ومؤلفوها ، كما يتضح منها أن ما بقى حتى هذا العصر من المؤلفات لايقاس بجانب ما أضاعته الأيام .

وأما فرقة الاسماعيلية التى سادت مصر وشمال إفريقية بواسطة الفاطميين ، فقد خُلدت ذكرى عقيدتهم فى القصيدة الدينية التى وضعها الوزير طلائع بن رزيك ، صديق عمارة الحكمى ، وكذلك فى المحاضرات الدينية التى ألقيت ببلاط الفاطميين بالقاهرة عام ٥٤٣ هـ .

وأما علم الحديث فلم يثمر فى هذا العصر ثمرا جديدا ، فلم تظهر فى ميدان التأليف موضوعات جديدة أو مجهودات مبتكرة ، على الرغم من كثرة من اشترك فى هذا المضمار من العلماء ، ولم يكن غير ذلك منتظرا ، فإن النهضة التى صادفها هذا العلم فى غضون القرن الثالث الهجرى كانت قد توجت مجهوداتها وختمت بالمجموعات الصحيحة المعروفة ، ولو أن مصادر الحديث لم تكن لتغلق أبوابها حتى هذا العصر ،

فنشأت قصص دينية مختلفة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ولم تعوز أمثال ابن الجوزى من المجتهدين المتعصبين الحيلة فى إثبات صلاحها ، ولو أن ذلك كله لم يكن ليمنع على وجه العموم وقف هذا العلم عند حدود بحث المتقدمين من علماء الحديث ، وبذلك لم تتعد جهود علماء هذا العصر تنظيم المواد الموجودة فى أبواب جديدة وتقسيمها الى فروع مختلفة . والى جانب ذلك نشأ فرع جديد من الأبحاث الدينية كان له نصيب كبير فى الحياة العلمية ، وهذا الفرع هو علم مصطلح الحديث الذى يبحث فى الثقة من الرواة ، ولو أنه لم يكن ليسترعى اهتماما عاما ، اللهم إلا بين طبقة العلماء ، وذلك لما كانت عليه أعمال البخارى ومسلم من الثقة النهائية .

ومن مجموعات الحديث التى ظهرت فى هذا العصر واحدة تستحق الذكر الى جانب مجموعات القرن الثالث من الهجرة ، وهذه المجموعة هى التى وضعها حسن البغوى المتوفى بمرو الروذ عام ٥١٦ ه ، وهى مكونة من سبعة أجزاء ، روعى فى تقسيم الحديث فيها نظام ثابت : صحيحة إذا كان مصدرها البخارى أو مسلم ، وحسنة إذا رجعت الى السنن ، وضعيفة إذا كانت ترجع الى مصادر أخرى ، ولقد قام محمد الخطيب التبريزى فى عام ٧٣٧ ه بتنقيح هذا السفر الجليل وإخراجه بصورته الجديدة ، فانتشر انتشارا واسعا بسبب محتوياته الفنية وفائدته العلمية ، فكان هذا الكتاب للمسلمين من أنصاف المتعلمين عوضا وافيا عن المجموعات الأخرى لخلوه من الأثقال العلمية .

وقد لا يستحق الذكر فى هذا المقام من المؤلفات العلمية الأخرى التى ظهرت فى هذا العصر إلا الكتاب الذى وضعه القاضى عياض المتوفى بمراكش عام ٥٤٤ ه مبيناً فيه واجبات المسلمين نحو النبى (صلى الله عليه وسلم) ، ولا تزال الأيدى تتداول هذا الكتاب فى دور العلم بين طلابه حتى هذا الوقت ، وقد تصدى لتفسيره وإيضاحه الكثير من العلماء من بعده ؟

poured over his head three scoops of water with his hands. Finally he let the water flow over the whole of his skin.

غُرَفٍ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ يُفِيضُ المَاءَ عَلَى جِلْدِهِ كُلِّهِ.

2. We are informed by Muhammad b. Yûsuf, who had it from Sufyân, through Al-Aᶜmash, through Sâlim b. Abu-l-Jaᶜd, through Kuraib, through Ibn ᶜAbbâs, through Maimûnah the wife of the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said:

٢ ـ حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا سفيان عن الاعمش عن سالم بن أبي الجعد عن كريب عن ابن عباس عن ميمونة زَوجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قالت:

"The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) used to perform his wudû' as for prayer, excepting his feet. He then washed his member and any part sullied by seminal discharge. Next he let the water flow over himself. Finally he shifted his feet and washed them. Such was his ghusl in consequence of pollution through sexual intercourse."

« توَضَّا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وُضُوءَهُ لِلصَّلاَةِ غيْرَ رِجْلَيْهِ وَغَسَلَ فَرْجَهُ وَمَا أَصابَهُ مِنَ الأَذى ثُمَّ أَفاضَ عَلَيْهِ المَاءَ ثم نَحَّى رِجْلَيه فغَسَلَهُمَا ، هذهِ غُسْلهُ مِنَ الجَنَابَةِ ».

CHAPTER 2.

— ٢ —

On a man performing his ghusl from the same vessel as his wife.

بَابُ غُسْلِ الرَّجُلِ مع امْرأَتِهِ:

We are informed by Adam b. Abu Iyâs, who had it from Ibn Abu Dhiᵓb, through Az-Zuhri, through ᶜUrwah, through ᶜAᵓishah, who said:

حدثنا آدم بن أبي إياس قال حدثنا ابن أبي ذئب عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت :

"I and the Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to perform our ghusl from the same vessel. This vessel was called a faraq. (1)"

« كُنْتُ أغتَسِلُ أنَا والنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم مِن إِنَاءٍ وَاحِدٍ من قدَحٍ يقَالُ لهُ الفَرَقُ ».

(1) A faraq is a measure of capacity equal to two sâᶜs or sixteen rotls.

sexual intercourse — except ye be wayfaring -- until ye take a ritual bath; and if ye be sick or travelling, or if any of you cometh from the draught, or if ye have had contact with women, and fail to find water, then perform a dry ablution using clean surface earth, wiping your faces and hands with it. Truly Allâh is gracious and forgiving". (1)

سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً ».

CHAPTER 1.

— ١ —

On performing the wudû' before the ghusl.

بَابُ الوُضُوءِ قَبْلَ الغُسْلِ :

1. We are informed by ʿAbdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Hishâm, through his father, through ʿA'ishah the wife of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) that:

١ ـ حدثنا عبد الله بن يوسف قالَ أخبرنا مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة زَوْجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم :

When the Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to perform the ghusl in consequence of ritual uncleanness through sexual intercourse, he began by washing his hands, after which he performed his wudû' as for prayer. He then immersed his fingers in the water, and having passed them through the roots of his hair, he

أن النَّبيَّ صَلى الله عليه وسلم كانَ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الجَنَابَةِ بَدَأَ فَغَسَلَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ تَوَضَّأَ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ يُدْخِلُ أَصَابِعَهُ فِي المَاءِ فَيُخَلِّلُ بِهَا أُصُولَ شَعَرِهِ، ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ

(1) Surâh 4: 43. This Book is prefaced by these two verses from the Qur'ân in order to stress the fact that the practice of ghusl is ordained in the Holy Book.

In The Name Of Allâh The All-Loving The Most Merciful.

بسم الله الرحمن الرحيم

BOOK V.

الكتاب الخامس

On Ghusl ; (1)

(كِتَابُ الغُسْلِ)

and the word of Allâh (be He exalted) : " . . . . . and if ye be ritually unclean through sexual intercourse, then take a ritual bath; and if ye be sick or travelling, or if any of you cometh from the draught, or if ye have had contact with women, (2) and fail to find water, then perform a dry ablution using clean surface earth, wiping your faces and hands with it ; Allâh desireth not to make it burdensome to you, but desireth to purify you and fulfil his blessing upon you, that haply ye may be thankful" ; (3)

وَقَوْلِ اللهِ تعالى : وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ، مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ،

and on His word (glorified be His name) : "O ye that believe ! Draw not nigh unto prayer while ye are drunken, until ye know what ye are saying ; nor yet while ye are ritually unclean through

وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي

---

(1) Ghusl = a ritual bath as a consequence of having been in a state of ritual uncleanness consisting in the menses, coitus, childbirth, nocturnal emissions or contact with the dead.

(2) — either mere touch as according to Ash-Shâfi'i, or in particular, sexual contact as according to Abu Hanifah.

(3) Surah 5 : 6.

from Thee save in Thee. O Allâh, I believe in Thy Book which Thou hast revealed, and in Thy Prophet whom Thou hast sent.' Then if thou diest that night, thou diest in the true Faith. Let these words be the last that thou utterest."

Al-Barâ' added: "When I was rehearsing this supplication to the Prophet (Allâh bless him and give him peace) and reached the words; 'O Allâh, I believe in Thy Book which Thou hast revealed,' I said: 'and Thy Messenger.' 'No', said the Prophet, 'say — and Thy Prophet whom Thou hast sent. —'" (1)

إليكَ ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إلا إليكَ ، اللَّهُمَّ آمنتُ بِكِتَابِكَ الذي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ . فإنْ مُتَّ مِن لَيْلَتِكَ فَأَنتَ على الفِطْرَةِ ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ .

قال فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا بَلَغْتُ « اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الذي أَنْزَلْتَ » قُلْتُ « وَرَسُولِكَ » قَالَ « لا ، وَنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ » .

The End of the Book of Wudû'.

انتهى كتاب الوضوء

---

(1) Ibn Hajar states that the Prophet wished to stress that the function of prophet is of a higher order than that of messenger, the latter being shared by angels, who are sent to prophets without being prophets themselves. He also supposes that the Prophet wished to combine the idea of prophethood and message, since he was a prophet before he was a messenger. Al-Qastallâni suggests that the Prophet wished to avoid the alliteration of رسول and أرسلت, since the question of style is not without its importance; and besides, the Prophet's own words may not be changed, as being not only inspired, but the final appeal in rhetoric.

It is noteworthy that Al-Bukhâri has chosen this hadith to conclude the Book of Wudû', in order that it may end on a beautiful and devotional note. The fact that the wudû' before sleep is the last of the day, and that death may come during sleep, lends special charm to its due performance — the passage on the last wudû' coinciding with the last hadith of the Book.

"I saw myself *in a vision* using a tooth-stick when two men came to me, one of them being older than the other. When I handed the tooth-stick to the younger of them, it was said to me *by Gabriel*: 'Serve the elder first" so I offered it to the elder of the two."

Al-Bukhâri stated that this hadîth was given in an abridged form by Nu'aim, through Ibn-ul-Mubârak, through Usâmah, through Nâfi', through Ibn 'Umar.

«أَرَانِي أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ فَجَاءَنِي رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْغَرَ مِنْهُمَا فَقِيلَ لِي : كَبِّرْ فَدَفَعْتُهُ إِلَى الأَكْبَرِ مِنْهُمَا» .

قال أبو عبدِ الله : اخْتَصَرَهُ نُعَيْم عن ابن المبارك عن أسامة عن نافع عن ابن عمر .

Chapter 77.

On the merit of one who goeth to sleep at night in a state of wudû'.

We are informed by Muhammad b. Muqâtil, who had it from 'Abdullâh, who was told it by Sufyân, through Mansûr, through Sa'd b. 'Ubaidah, through Al-Barâ' b. 'Azib, who stated that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said to him:

"When thou goest to thy couch, perform thy wudû' as for prayer, and then lie upon thy right side. After that say: 'O Allâh to Thee I commit myself, to Thee I resign my being, and upon Thee do I rely in hope and fear of Thee; there is no refuge and no escape

— ٧٧ —

بَابُ فَضْلِ مَنْ بَاتَ عَلَى الوُضُوءِ :

حدثنا محمد بن مقاتل قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا سفيان عن منصور عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب قال قال لي النبي صلى اللهُ عليه وسلم:

«إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً

1. We are informed by Abu-n-Nuʿmân, who had it from Hammâd b. Zaid, through Ghailân b. Jarîr, through Abu Burdah, through his father, who said:

"I once visited the Prophet (Allâh bless him and give him peace), and found him rubbing his teeth with a tooth-stick in his hand and making guttural sounds (1) while the tooth-stick was in his mouth, as if he was vomiting."

2. We are informed by ʿUthmân, who had it from Jarîr, through Mansûr, through Abu Wâʾil, through Hudhaifah, who said:

"When the Prophet (Allâh bless him and give him peace) rose in the night *to pray*, he used to cleanse his mouth with a tooth-stick."

١ - حدثنا أبو النعمان قال حدثنا حماد ابن زيد عن غَيْلان بن جرير عن أبي بردة عن أبيه قال:

«أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فوَجدْته يَسْتَنُّ بسِواكٍ بيَدِه يَقول: أُعْ أُعْ، وَالسِّوَاكُ في فِيهِ كَأَنَّه يَتَهَوَّعُ».

٢ - حدثنا عثمان قال حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن حذيفة قال:

«كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إذا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فاهُ بِالسِّوَاكِ».

Chapter 76.

On offering the tooth-stick to the elder *first*.

ʿAffân stated that he was informed by Sakhr b. Juwairiyah, through Nâfiʿ, through Ibn ʿUmar that the Prophet (Allâh bless him and give peace) said:

— ٦٧ —

بابُ دَفعِ السِّوَاكِ الى الأكْبَرِ.

وَقالَ عَفَّان حدثنا صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(1) أُعْ أُعْ — the vomiting sound produced on the contact of an object with the back of the palate.

and on Abu-l-ʿAliyah having said:

"Pass your wet hands over my foot, for it is sore."(1)

We are informed by Muhammad, who had it from Sufyân b. ʿUyainah, through Abu Hâzim, who heard Sahl b. Saʿd As-Sâʿidi say (there being no one intervening between him and Abu Hâzim) in answer to a question put to him by some people as to the remedy used for the Prophet's wound (Allâh bless him and give him peace):

"There is no one living that knoweth the matter better than I do. ʿAli had brought his shield full of water, and Fâtimah washed the blood off the Prophet's face. A straw mat was then taken and burnt, and his wound was stanched with the ashes."(2)

وَقَالَ أَبُو العَالِيَةِ : «امْسَحُوا عَلَى رِجْلِي فَإِنَّهَا مَرِيضَةٌ» :

حدثنا محمد قال أخبرنا سفيان بن عيينة عن أبي حازم سمع سهل بن سعد الساعديَّ وَسَأَلَهُ النَّاسُ وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحد : بِأَيِّ شَيْءٍ دُووِيَ جُرْحُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم؟ فَقَالَ :

«مَا بَقِيَ أَحد أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي : كَانَ عَلِيٌّ يَجِيءُ بِتُرْسِهِ فِيهِ ماء وَفَاطِمَةُ تَغْسِلُ عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ فَأُخِذَ حَصِيرٌ فَأُحْرِقَ فَحُشِيَ بِهِ جُرْحُهُ» .

Chapter 75.

— ٧٥ —

On rubbing the teeth with the tooth-stick;

and on Ibn ʿAbbâs having said: "I spent a night in the Prophet's house (Allâh bless him and give him peace), when he used the tooth-stick.

بابُ السِّوَاكِ ،

وقالَ ابنُ عباس : «بِتُّ عِنْدَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم فَاسْتَنَّ» :

---

(1) i. e. both cases show that help may be sought in removing defilement for the purpose of the wudûʾ.

(2) This incident took place at the Battle of Uhud, when the Prophet's face was cut and a tooth injured.

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للأستاذ ابراهيم حسن الموجى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

CHAPTER 73.

The wudû' is not permissible with wine or any intoxicant;

and it was reproved by Al-Hasan and Abu-l-ʿAliyah;

and ʿAtâ' declared: "I prefer the dry ablution to that performed with wine or milk."

We are informed by ʿAli b. ʿAbdullâh, who was told it by Sufyân, who had it from Az-Zuhri, through Abu Salamah, through ʿA'ishah, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said:

"Any drink that intoxicateth is forbidden."

— ٧٣ —

بَابٌ: لَا يَجُوزُ الْوُضُوءُ بِالنَّبِيذِ وَلَا بِالْمُسْكِرِ،

وَكَرِهَهُ الْحَسَنُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ،

وَقَالَ عَطَاءٌ: «التَّيَمُّمُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْوُضُوءِ بِالنَّبِيذِ وَاللَّبَنِ»:

حدثنا على بن عبد الله قال حدثنا سفيان قال حدثنا الزهرى عن أبى سلمة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ».

CHAPTER 74.

On a woman washing blood from her father's face;

— ٧٤ —

بَابُ غَسْلِ الْمَرْأَةِ أَبَاهَا الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ،



مجلة الازهر

حضرات المشتركين

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فانه نظرا لوشك انتهاء السنة السابعة لمجلة الأزهر ، نرجو حضرتكم التفضل بارسال بدل الاشتراك المتأخر ، لاننا عاملون على تسوية حسابها ، ومثلكم يسره معاونة الادارة على القيام بمهمتها .

فنرجوكم تقديرا لهـذه المجلة التي تخدم الثقافة الاسلامية أن تلبوا طلبها ، ولكم الشكر الجزيل .

تفضلوا بقبول احترامي الفائق ؟

مدير مجلة الأزهر

محمد فريد وجدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الشئون الاجتماعية والمذاهب الفقهية

كلمة جامعة لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام
الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر

لقد أطلق الاسلام حرية البحث والنظر لكل مفكر من أهله، ولم يقيده إلا بما تقيد به الفطرة السليمة أهمها، من توخى الحق، وتحرى العدل، والاستهداء بالأعلام التى نصبها الله للوصول الى اللباب البحت، من كل مايعرض للنظر، أو تدفع الحاجة اليه.

أول ماعرض للمسلمين بعد تألفهم جماعة، أن يقيموا لهم حكومة، وأن تكون لهم شريعة، فكانت شريعتهم الكتاب وما ثبت من سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا لم يجدوا الحكم فى الكتاب بحثوا عنه فى السنة، فإن عز عليهم فيها عمدوا الى الرأى مستأنسين بالأشباه والنظائر، ومعتمدين على الأصول الاسلامية الأولية من إقامة العدل، وإثبات الحق، مع مراعاة المساواة المطلقة بين الأقوياء والضعفاء.

فلما استقرت للاسلام الدولة، وتشعبت مصالحها، واتسعت معاملاتها، اقتضت أن ينقطع رجال من أصحاب العقول الكبيرة الى العمل على بناء صرح الشريعة، فنظروا فى الكتاب ثم فى السنة، ثم فيما جرى عليه العمل فى المسائل المختلفة، وأعملوا آراءهم فيما لم يهتدوا الى نص عنه، أو حكم سبق فيه أو فى مثله، فكانوا يجلسون فى مساجدهم حلقات حلقات يتفهمون هذه المسائل الشرعية، ويتباحثون فيها، غير مقيدين بغير

ما قدمناه من الأصول الاسلامية المقررة ، لحدثت فى المسألة الواحدة مذاهب عدة ، لكل مذهب منها معتمد يعتمد عليه ، ودليل يستند اليه .

فلما تتابعت الأيام ، وجاء القرن الثانى ثم الثالث ، حدث انتخاب طبيعى فى جميع هذه المذاهب ، وأمكن إدماج أكثر الآراء الفقهية فى أربعة مذاهب رئيسية ، ومابقى منها خارج هذه الأربعة لم يهمل أمره ، ولكنه دون فى كتبها وأشير اليه فى أثناء عرض الآراء المختلفة ، واستؤنس به فى تفهم بعض الأحكام الغامضة ، بل وأُخذ به عند الضرورة ، لأن الفقهاء الاسلاميين لم يقرروا إقفال باب التجديد الفقهى فى أى زمن من الأزمان الى يومنا هذا . وقضوا بأن كل رأى يثبت أنه أقرب الآراء لمقصد الشارع ، ويستند فى الوقت نفسه الى الأصول الأولية التى جعلها الاسلام أساسا لكل قانون عادل ، يجب الأخذ به وإن لم يقل به أحد من المتقدمين ، كما أخذ بأقوال الأئمة الأربعة سواء بسواء .

هـذا الأسـلوب التشريعى ليس له نظير فى أية ملة من الملل ، فإذا كان أصحاب القوانين الوضعية يقومون عليـه منذ عدة قرون ، فان الاسلام قـد سبقهم اليه قبل نحو ألف سنة ، ولم ينكره أحد من أهله حتى فى أشد أجيالهم جمودا على القديم .

ولست بحاجة أن أنبه أن هـذا الأسلوب يضمن للشريعة الاسلامية البقاء والتفوق حتى تقوم الساعة . ولا يعقل أن يأتى عهد يقال للمسلمين فيه : إن قانونكم أصبح متحجراً فاذا أردتم النهوض وجب عليكم أن تأخذوا بغيره من القوانين الوضعية .

فإذا كان قد حدث مثل ذلك فلأن العالم الاسلامى كان يخلو من رءوس كبيرة تحمى حمى شريعته ، بمثل هذه الحجج البينة ، وتعمل على إثبات ذلك بالفعل .

كيف يعقل أن يتطرق الجمود الى الشرع الاسلامى ، أو يضيق عن حاجات الاجتماع ، وهو إنما يقوم على الحقوق الطبيعية ، والعدل المطلق ، والمساواة التى لا تشوبها شائبة ؟ ولم يقل أحد من الذين تولوا أمره من أول عهد الاسلام الى اليوم إنه يجب على المسلمين

أن يقفوا حيث هم جامدين حيال الضرورات الاجتماعية التى تطالبهم بما يسد ثُلَمَها ، وأن يأخذوا بالقوانين الوضعية أولى لهم من أن يرجعوا الى رأى من آراء الصحابة والتابعين بحجة أنها لم ترد فى واحد من المذاهب الأربعة .

وهذه أقوال أصحاب المذاهب الأربعة تنعى على هؤلاء الجامدين موقفهم هذا وتعده من الخروج على الدين .

كان أبو حنيفة إذا أفتى يقول : « هذا رأى أبى حنيفة وهو أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا بأحسن منه فهو أولى بالصواب » .

وكان مالك يقول لأصحابه كلما استنبط حكما : « انظروا فيه فإنه دين ، وما من أحد إلا ومأخوذ من كلامه ، ومردود عليه إلا صاحب هذه الروضة » يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الشافعى لتلميذه الربيع : « يا أبا إسحق لا تقلدنى فى كل ما أقول وانظر فى ذلك لنفسك فإنه دين » .

وقال أحمد بن حنبل : « انظروا فى أمر دينكم فإن التقليد لغير المعصوم مذموم وفيه عمى للبصيرة » .

كان الإمام الجليل الشيخ محمد عبده أول رأس كبيرة ظهرت فى العالم الاسلامى عقب دور طال أمده فى الفتور ، فعمل جهده على إقامة حجة الدين ، وسعى سعيا متواصلا لتحسين موقف المسلمين حيال هذه الشبهة الخطيرة ، ولكن العقبات على عهده كانت مما لا يمكن تذليلها بفعل الأفراد ، فبقيت أقواله تنبه الغافلين ، وتهيب بالجامدين ، وخلفه على طريقته تلميذه الأول الإمام الجليل صاحب الفضيلة الشيخ المراغى ، فكان أول ما وجه همته اليه إصلاح قانون الأحوال الشخصية قبل نحو عشر سنين ، بغير تقييد بالمذاهب الأربعة ، ولكن أخذاً من جميع الآراء الاسلامية فى العهد الذهبى الذى

سبق هذه المذاهب ، فحالت الحوائل دون نفاذ ذلك القانون ، بسبب بقية جمود كانت لا تزال موجودة تعرقل أعمال المصلحين .

فلما تسنى لفضيلته اليوم أن يرأس اللجنة التى عهد اليها أن تصلح قانون الأحوال الشخصية ، الذى أثبتت الحوادث عدم كفايته ، تناوله بتلك الروح العالية التى تناوله بها أول مرة ، مؤاليا على نفسه أن يخرج للناس بمعونة الله ، ومساعدة الأعضاء الكرام الذين ندبوا للعمل تحت إشرافه ، نظاما إسلاميا للأحوال الشخصية تتجلى فيه سماحة الاسلام وسموّ نظره فى الشئون الاجتماعية ، مما يكون له أبعد الآثار فى إصلاح الأسرة وحفظ كيان الجماعة فى هذا العصر الحافل بالفتن والزعازع .

وها نحن نعرض على القارئين نص الخطبة الجليلة التى ألقاها فضيلة الأستاذ الامام المراغى ، وهى على قصرها فاتحة عهد الحياة الاسلامية الصحيحة ، تستقبله الأمة فى مشارق الأرض ومغاربها بما يستحقه من الاحتفاء والتكريم .

كلمة فضيلة الاستاذ الاكبر

فى اجتماع اللجنة الشرعية العليا

حضرات السادة :

حددت وزارة الحقانية فى مذكرتها التى استصدرت بها قرار تأليف هذه اللجنة مهمتها ، وبينت الدواعى التى دعت الى تأليفها ، وقد منحت الحرية لهذه اللجنة فى تخير الأحكام من مذاهب فقهاء الاسلام . وقد يظن أن فى هذا العمل ابتداعا ، وأن سلف هذه الأمة لم يعملوا مثله ، وأنا أدفع لكم هذا الظن بما أطلعكم عليه مما هو مذكور فى كتاب الولاة والقضاة للكندى ، فقد جاء فيه فى مواضع متفرقة ما يأتى :

« وكان أبو عبيد يذهب مذهب أبي ثور ثم صار يختار ، لجميع أحكامه بمصر باختياره ، وحكم بما لو حكم به غيره ماسكتوا عنه ، فلم ينكر عليه أحد ، لأن أبا عبيد كان لايطعن عليه فى علم ، ولا تلحقه تهمة فى رشوة ، ولايحيف فى حكم ، وهو آخر قاض ركب اليه الأمراء فى مصر ، وكتبت بمصر ألفاظه ، وجمعت توقيعاته ، وكانت محشوة فقهاو بلاغة .

« قال الطحاوى : وكان أبو عبيد يذاكرنى بالمسائل ، فأجبته يوما فى مسألة ، فقال لى : ما هذا رأى أبي حنيفة ، فقلت له : أيها القاضى أو كلما قال أبو حنيفة أقول به ؟ قال : ظننتك مقلداً ، فقلت له : وهل يقلد إلا عصبي ؟ فقال : أو غبي . فطارت هذه الكلمة بمصر حتى صارت مثلا » .

وأبو عبيد هذا هو القاضى على بن الحسين بن حرب ، ولى القضاء بمصر سنة ٢٩٣ هجرية وصرف عنه سنة ٣١١

هذا أيها السادة كان حال أبي عبيد وحال الامام الكبير الطحاوى : بريان أن التقليد ثمرة الغباوة أو العصبية . وأبو عبيد القاضى يتخير الأحكام دون إنكار منكر ومنازعة منازع ، وهذا الى ما هو معلوم لكم من قواعد المذاهب فى إعمال العرف ومراعاة الضرورة والحرج ومراعاة المصالح العامة ، ومن روح الشريعة الاسلامية فى اليسر ومراعاة قواعد العدل ، يدفع عنكم كل شبهة تخطر ببال الجامدين والأغبياء المتعصبين .

نعم إنه وإن كان تخيّر الأحكام حسنا وعمل به من قبل ، إلا أن ترك الحرية للقضاة يختارون يعدد فى الحقيقة قوانين الدولة الواحدة والأمة الواحدة ، ويجعل الناس حيارى لا يدرون على التحديد أو التقريب القانونَ الذى يطبق على أقضيتهم عند التنازع . وقد شعر الناس قديما بضرر ذلك ، وبوجوب اتباع قانون واحد يسرى على المملكة الواحدة ، فمن الواجب أن يتخير القانون ، وأن يحمل القضاة على اتباعه ، وهذا هو العمل الذى كلفتم به ، والذى أرجو أن تقوموا به وتؤدوه ابتغاء إسعاد هذه الأمة وتحقيق الخير لها وإقامة العدل بينها .

وفى كتب الفقه الاسلامى من الآراء والمذاهب ما فيه شفاء للناس إذا أحسن التخير وصدقت النية وصحت العزيمة ، وأعتقد أنه لا يكاد يخطر رأى بالبال فى حادثة عرضت للفقهاء من قبل إلا وهذا الرأى موجود يمكن العثور عليه للباحث المجد .

وقد وضعت الحكومة ثقتها فيكم ، وأنتم من خيرة الفقهاء وخيرة العلماء القادرين على البحث والترجيح والاستنباط ، ومنكم كثيرون لابسوا الحياة العملية ، وقبضوا على ميزان العدل والقسطاس بين الناس ، وأدركوا مقدار الحرج والضيق الذى يستولى على القاضى عند ما يكون الحكم الملزم باتباعه غير محقق للعدل وغير ملائم للحادثة التى يريد الفصل فيها .

غير أنه لا يصح أن يفوتنى ، وقد كنت قاضيا من قبل ، أن إصلاح قانون الموضوع إصلاح لنصف القضاء فحسب ، أما النصف الآخر فهو بيد القاضى نفسه ، لأن عليه أن يفهم الوقائع أولا كما هى بعد تلمس أدلتها ونقدها ، وبعد الموازنة بينها ، وعليه أن يبذل الجهد لئلا يطول الوقت والحق يفلت من يد صاحبه ، وعليه أن يشعر الناس جميعهم بالاطمئنان اليه ، وأن يحملهم على الرضاء بحكمه ولو كان عليهم ، بسيرته الطاهرة وبعده عن الشبهات . وإذا صح التغاضى عن تخير الرجال فى بعض أعمال الدولة فلا يجوز بحال التغاضى عن تخير القضاة من أفاضل العلماء علما وخلقا وأدبا وفهما وصبرا واستقامة واستمساكا بالدين والفضيلة والمروءة . وهذا ما أرجو أن تجعله وزارة الحقانية موضع عنايتها .

والله يتولى هدانا ، ويبصرنا مواضع الحق ، ويجنبنا مواضع الزلل ، إنه نعم السميع المجيب .

وهنا نهض سعادة مصطفى حنفى بك وكيل وزارة الحقانية وألقى الخطبة التالية :

خطبة سعادة حنفى بك

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر – سادتى :

كلفنى حضرة صاحب المعالى وزير الحقانية أن أقدم لحضراتكم أحسن تحياته وأطيب تمنياته ، كما كلفنى أن أقدم لكم باسم الحكومة شكرها الجزيل على تفضلكم بتلبية ندائها ، بل نداء الأمة بأسرها للقيام بهذا العمل الجليل أثره ، العظيم خطره . ولا شك أنكم ستبذلون فيه من وقتكم وجهدكم ما أنتم فى حاجة اليه فى مهامكم الأخرى التى تقومون بها ، غير أنى أشعر أنكم إذ تبذلون هذه التضحية تشعرون معها بغبطة وراحة تنسيكم عظيم ما تبذلون ، ذلك لأنكم وأنتم من أكابر رجال الشرع والقانون تقدرون أثر ما أنتم قادمون عليه .

ألسنا نطلب منكم أن تعملوا على إصلاح حال الأسرة ، وبالتالى الأمة المصرية ؟ وما الأمة إلا أسر مجتمعة ، وستضعون لها قانونا تستمدونه من الشرع الشريف يساعدكم عليه ما لكم من خبرة وتجربة ، آخذين فى هذا كله بأرفق المذاهب ، لتسهلوا على الناس حياتهم العائلية ، وتضمنوا لهم السعادة الأبدية ، فنحن نطلب اليكم أن تتعهدوا الناس من مهدهم الى لحدهم ، فتضعوا القواعد لرعاية الطفل ، وإثبات نسبه ، وضمانة حضانته ، والمحافظة على أمواله ، فإذا أصبح رجلا تعهدتم أهليته وحفظتم أمواله ، فإذا مات كفلتم ورثته فأعطيتم كل ذى حق حقه ، ثم قمتم على ما أوصى به من خير ، فوصلتم البر الى ذويه ، وما أظن أن شيئا أعظم من هذا يعرض علينا فى حياتنا العملية .

سادتى :

هل لى بعد ذلك أن أتحدث اليكم بفضل الله علينا وحسن توفيقه ؟ فرئيسنا بل وشيخنا الأستاذ المراغى العالم الكبير كان من أوائل الذين فكروا فى هذا الاصلاح وعملوا له ، ومنذ ما يقرب من عشرين عاما كان الاستاذ المراغى رئيس التفتيش الشرعى

بوزارة الحقانية عاكفا فى غرفته هنا يفكر فيما نفكر فيه الآن ، ويبث آراءه هنا وهنالك ، وكان يسعى سعيا حثيثا مدى عشرة أعوام ناشدا فيها الاصلاح ، حتى أخرجت الحكومة بعض القوانين الشرعية التى أخذت فيها بأرفق الأقوال من مذهب الامام الأعظم ، وكان فى ذلك رحمة بالناس .

والآن ياسادة أراد الله أن يتم على الرجل نعمته ، فشاءت حكمته أن تتيح له هذه الفرصة السعيدة ، وأن يضع الأمر كله بين يديه على منوال أوسع يمكن من تحقيق جميع الآمال . وليس أشهى الى النفس الكريمة من تحقيق أغراضها الكريمة ، والشيخ المراغى إذ يوفق فى هذا الأمر — وهو موفق فيه باذن الله — لا يحقق غرضا سعى اليه طوال حياته فحسب ، بل يشيد بيمناه ذكرى خالدة ستتحدث بها الأجيال مابقيت الدنيا ، وسيقيم صرحا يكون سجلا خالداً يشهد لحضراتكم جميعا بما قمتم به للأمة من جليل الأعمال ، وشاركتم فيه من نبيل الاصلاح .

فإليك أيها الصديق العزيز أرفع تهنئتى الخاصة ، وأدعو الله أن يطيل حياتك ويمدك بروح من عنده ، واليكم أكرر شكرى جميعا ، وأدعو الله لكم بالتوفيق .

سادتى :

مما يزيد سرورى أن نبدأ أعمالنا فى عهد جديد ، أسأل الله أن يكون عهداً سعيداً ، وأن يحقق آمال هذه الأمة فى ظل جلالة الملك ورعاية حكومته !

الروح الاسلامية ومدى تأثيرها

فى النفس البشرية

— ٧ —

مقومات العاطفة الاعتقادية فى الاسلام

الانسان محمول بفطرته الى اتخاذ عقائد دينية له، وهذه العقائد يتناولها أكثر المتدينين من آبائهم، وقادة أديانهم، من طريق التقليد بدون نقد ولا تمحيص. ولكن الاسلام حرم على أهله هذا الضرب من توارث العقائد، فشرط أن يكون أساسها العقل، وسنادها الدليل. وهذا مالا عهد للانسانية به إلا فى العلوم الكونية بعد الاصلاح الخطير الذى أحدثه فيها العلامة الانجليزى الكبير بيكون من لدن القرن السابع عشر، فخرجت المعارف الانسانية بهذه الوسيلة من حيز الظنيات الى حيز اليقينيات. فما أحدثه هذا العبقرى الانجليزى من التمحيص فى مجال المعارف المادية، سبقه الاسلام اليه بأكثر من ألف سنة فى عالم المعتقدات الدينية.

فليس على مسلم بموجب هذا الأصل الاسلامى أن يتناول عقيدة من كائن من كان دون أن يعقلها، وأن يستطيع أن يدلل عليها، حتى ساغ لأهل الأصول من المسلمين أن يقرروا أن إيمان المقلد لا يقبل منه.

هذا حدث جلل لم يكن يخطر لأحد على بال من أهل الأجيال السالفة، ولا يزال يجهله غير المسلمين ويظنون أن الاسلام دين كالأديان المعروفة.

لقد أشبعنا هذا الأصل الاسلامى بحثا فى مقالاتنا السابقة تحت عنوان (مهمة الدين الاسلامى فى العالم)، فإن كنا نعود اليه الآن فذلك لبيان مقوماته، فإن له مقومات تحفظ كيانه، وتكفل ترقيه وكماله.

لأن العقل فى ذاته وإن كان خاصة طبيعية من صفاته التمييز بين الحق والباطل،

والحسن والقبيح ، ولكنه فى حاجة الى نور يستمده من الخارج ، تظهر له به الأمور على ما هى عليه فى الواقع ، فما كل ما ظهر لأول وهلة أنه حق حقا ، ولا كل ما تبادر الى الذهن أنه باطل باطلا ، ولا كل ما لاح أنه حسن حسنا ، ولا كل ما أوهم مظهره أنه قبيح قبيحا .

ولو كانت هذه الخاصة تدرك الأشياء على حقائقها دون حاجة الى ما يقومها ويكملها ، لما شجر بين الناس خلاف على معقول قط ، بل لما تنازعوا على شىء أصلا ، ولا كان هنالك تفاوت بين ذوق وذوق ، ولا بين نظر ونظر .

فالعين خاصتها المميزة رؤية الأشياء على ما هى عليه فى ظاهرها ، ولكنها فى حاجة الى نور خارجى يبين لها الأشياء فى مواضعها ، ويظهر تفصيلاتها ، ويشترط أن يكون ذلك الضوء خاليا من الشوائب ، وكافيا لإظهار جميع الدقائق . فما كل ما يلوح فى الغبش أنه حسن حسنا ، ولا أنه قبيح قبيحا .

وهنالك ما هو أدق من هذا تأثيرا فى تقدير الحسن والقبح ، وهى الخصائص الذاتية والمزايا التبعية ، فالمرارة تعتبر قبحا ، ولكنها فى العلاجات المفيدة بمرارتها تعتبر حسنا ، وإذا اشتدت صارت غاية فى الحسن . والحلاوة تحسب حسنا ، ولكنها إذا اشتدت حتى أحدثت غثيانا وقيئا عدت قبحا ، وإذا أفرطت اعتبرت نهاية فى القبح .

فخاصة العقل بحكم وظيفتها فى التفرقة بين الأمور الفاضلة والرذلة ، والشئون النافعة والضارة ، فى حاجة ماسة الى المقومات الذاتية ، والمقومات الخارجية . فالمقومات الذاتية المعارف على جميع ضروبها ، والتجارب على اختلاف مواضيعها ، فان العقل الخاوى من العلم والمجرد من التجارب ، يتعقل الأشياء تعقلا ساذجا ، ويميز بين الحسن والقبيح تمييزا سطحيا ، ولكن أيستطيع أن يفرق بين حق وباطل ، أو بين حسن وقبيح تفرقة صحيحة ؟

إذا كان ذلك ممكنا لما اختلف الناس فى عقائدهم وشرائعهم ومبادئهم على النحو الذى هم عليه اليوم .

لذلك عنى الاسلام بأمر المقومات العقلية بنوعيها كل العناية ، بقدر ما عنى بنصب العقل حكما بين ما هو حق وباطل ، وحسن وقبيح ، وخير وشر .

فأما من ناحية المقومات الذاتية فقد حث على وجوب طلب العلم ، فقال تعالى : « وقُلْ ربِّ زِدْنى عِلماً » ، وعلل هذه العناية منه بوجوب طلب العلم بأن العلم يوجد لأهله مزايا يتجرد منها المحرومون منه ، وهو يريد أن يكون للآخذين به جميع المزايا التى يمكن أن يتمتع البشر بها ، فقال تعالى : « هَلْ يستَوِى الذين يَعلَمُون والذين لا يَعلَمُون ؟ » ، وصرح بأن بين المؤمن الجاهل والمؤمن العالم درجات ، فقال تعالى : « يَرْفَعِ اللهُ الذينَ آمَنُوا مِنْكم والَّذينَ أُوتُوا العِلْمَ درجاتٍ » قال البيضاوى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم » بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا ، وإيوائهم غرف الجنان فى الآخرة . « والذين أوتوا العلم درجات » ويرفع العلماء منهم خاصة درجاتٍ بما جمعوا من العلم والعمل . فإن العلم مع علو درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة . ولذلك يقتدى بالعالم فى أفعاله ولا يقتدى بغيره . وفى الحديث : فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب »

نقول : وقد قدر ابن عباس رضى الله عنه هذه الدرجات بسبعين درجة .

وقد حض الاسلام ذويه أيضا على إجالة الفكر فى الأمور ، وتناولها بالبحث والتقدير ، وحرضهم على النظر فى الكون والكائنات وتنور أسرارها ، واستكناه مساتيرها ، واعتبر ذلك أفضل من العبادة بالجوارح ، فقال تعالى : «ويَتَفكّرون فى خَلْق السموات والأرض » : وقال « إنّ فى ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون » . و « إن فى ذلك لآياتٍ لأولى النُّهَى » . وكرر ذلك فى عشرات من الآيات .

وورد فى الأحاديث النبوية تحضيض شديد على التفكير ، حتى جعله النبى صلى الله عليه وسلم خير ضروب العبادة ، فقال : « فِكر ساعةٍ خيرٌ من عبادة سنة »

وقد شفع الاسلام هذا التحضيض على التفكير ببيان النواحى التى يجب توجيه الفكر اليها ، وهى : (١) الوجود فى جملته ، فقال تعالى : « قل انْظروا ماذا فى السموات

والأرض » ، وقال : « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون » ، وقال : « أفلم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء » .

(٢) الكائنات الأرضية من جمادية ونباتية وحيوانية ، والتأمل فى صورها وأشكالها ، وطبائعها وأسرار وجودها . قال الله تعالى : « فلينظر الانسان الى طعامه ، أنا صببنا الماء صباً ، ثم شققنا الأرض شقاً ، فأنبتنا فيها حباً ، وعنبا وقضباً (أى رطبا) ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلباً (أى ذات أشجار غليظة) وفاكهة وأباً ، متاعاً لكم ولأنعامكم » . وقال : « وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء ، فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حبا متراكباً ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب ، والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا الى ثمره إذا أثمر وينعه ، إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » : وقال : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت » الخ

(٣) الانسان ، تكونه فى الرحم وميلاده وأطواره وأحواله ونفسه ، قال تعالى : « وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون » وقال : « وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون » . وقال : « فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » . وقال : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين » .

فهذا ومئات من أمثاله فى الكتاب الكريم يوقظ فى النفس غريزة النظر فيما بين يديها وما خلفها ، ويثير فيها رغبة ملحة لكشف المساتير واستجلاء غوامض الخليقة ، فتجد فيها مادة العقل غذاء لها يبلغها غاية ما تصل اليه من قوة التحليل والتركيب المعقولات ، فلا تؤخذ بظاهر خلاب ، ولا عرض فاتن ، فإذا أرادت الحكم

على الأشياء ردها عن الانخداع بالظواهر ما تمرست به من النفوذ الى السرائر، والغوص لاستخراج الحقائق .

ولم يكتف الاسلام بهذا من مقومات العقل، فدفع بالآخذين به الى مخالطة الأمم، ومعاملة الشعوب، وحفزهم الى التجوال فى الأرض، والضرب فى أكنافها، ودراسة أحوال الجماعات البشرية، والنظر فى شئونها، من قوة وضعف، وعزة وذلة، وارتقاء وجمود، والبحث عن أسباب ذلك وعلله، من أمورها الراهنة، وتاريخها الماضى، وتقدير ذلك بالمعايير العلمية، وقياسها بالمقاييس الحكمية، قال تعالى: « أوَ لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعَمَرُوها أكثرَ مما عَمَرُوها، وجاءتهم رسلهم بالبينات، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » . وقال: « قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين »، وصرح جل وعز بأن ثمرة هذه السياحات كشط ماعلى القلوب من ظلمات الجهالة، وما على العقول من غاشيات الغباوة، وإزالة ما علق بالنفس من ران العماية، قال تعالى: « أفلم يسيروا فى الأرض فتكونَ لهم قلوب يعقلون بها، أو آذان يسمعون بها، فإنها لا تَعمَى الأبصار ولكن تَعمَى القلوب التى فى الصدور » .

لم يدع الاسلام هدفا من أهداف النظر، ولا موضعا من مواضع الاستبصار، ولا عاملا مما يوقظ غريزة التأمل، وينبه خاصة التفهم، إلا دعا اليها واستنهض الهمم للتنافس فيها، كل ذلك منه ليطوف بالعقل فى جميع أدوار التربية والنمو، فيبلغه النضج الذى يصبح معه قادرا على الحكم على ما هو حق وما هو باطل، وما هو حسن وما هو قبيح، حكما يكون هو الصواب كله أو قريبا منه .

والذى يتتبع وصايا الاسلام وتعاليمه يجده لم يهمل وجها من وجوه تربية الانسان هذه التربية الأدبية إلا نبه ذويه اليه، وحضهم عليه، حتى مايتوهم بعض الناس أنه لاعلاقة له بها، كالرياضة البدنية، من المصارعة، والمضاربة بالسيف، والسباحة، والمسابقة

على الحيل ، مما قد يدفع بعض خصوم الاسلام أن يقولوا : ما لهذه الألاعيب والدين الذى يستدعى الوقار وحسن السمت والخشوع ؟ ويغيب عنهم أن هذه الرياضات التى يسمونها ألاعيب لا تنافى الوقار والسمت الحسن والخشوع ولا أرقى مظاهر التقوى ، ولكنها تعين عليها بفهم وتعقل وحنين صادق ، بما توجده للجسم من الصحة الكاملة ، وما تقتضيه من مراس عقلى وتدبير فكرى ، وخروج عن عوامل التحجر الجسدى والأدبى ، التى تعترى الذين يكرهون الحركات الجسمية ، ويألفون تمضية حياتهم بين جدران دورهم ومعابدهم . فإذا كان القصد من الدين تكميل الانسان حسا ومعنى ، فهذه سبيل هذا التكميل ، وهذه أساليبه ، هُدِى اليها البشر من طريق العمل ، ونزل بها الوحى الالهى قبل عصر العلم على خاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم .

يقول خصوم الاسلام : إن الاسلام دين مادى يحض على العمل ، وعلى الضرب فى الأرض ، وعلى كسب المال ، وعلى الفتوح والتوسع فى الأرض ، وغاب عنهم أن الاسلام دين أوحى ليعتَقَد ويُعْمَل به ، لا ليعتقد ويلق به فى زاوية باعتبار أنه لا يمكن القيام عليه .

وما رقى الاسلام من كل ذلك إلا لتحتك الناحية الأدبية من الانسان بكل ما يمكن أن يصقلها ، ويستصفى جوهرها ، بتورطها فى مضايق الحياة ومآزمها ، وتَمَرُّسها بأحداثها وجوائحها ، فإذا اجتازت كل هذه القواطع خرجت منها مستكملة جميع الشرائط الصحية ، حاصلة على جميع خصائصها الطبيعية ، ناضجة نضوجا يؤهلها لبلوغ جميع غاياتها الروحية ؟

محمد فريد وجدى



سورة لقمان

- ٢ -

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (الم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ . هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) :

قدمنا الكلام فى المقال السابق على حروف الفواتح ، وعلى قوله جل شأنه : « تلك آيات الكتاب الحكيم » والآن نعرض لتفسير باقى الآيات :

قوله تعالى : « هُدًى ورحمة للمحسنين » :

الهدى كالهداية : مصدر هداه يهديه ، وقد جاءت مصادر على هذا الوزن كالتقى والسرى ، وقيل : هو اسم مصدر . ويستعمل فى المتعدى كما هنا ، وفى اللازم كقوله تعالى : « أولئك على هدى من ربهم » .

وهو اسم للدلالة الموصلة بالفعل كما هنا ، وكما فى قوله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم » أى دلنا عليها دلالة مقترنة بالتوفيق لها والوصول اليها ، وإلا فالدلالة المطلقة التى هى أعم من الموصلة وغيرها متحققة بدون هذا الدعاء ، وأيضا فان الذى يقصده العاقل فى دعائه هو الدلالة المقرونة بالتوفيق والتوصيل .

ومن استعمالها فى الموصلة أيضا قوله عز من قائل : « إنك لا تَهدِى من أحببتَ »

فإن معناه : ليس الأمر فى الوصول الى المبتغى اليك يا محمد ، وإنما هو منوط بمن بيده ملكوت كل شيء ، وهو مقلب القلوب والأبصار . وكذلك قوله تعالى : « أفأنت تَهدِى العُمْىَ ولو كانوا لا يبصرون » .

ومن استعمالها فى الدلالة المطلقة قوله عزوجل : « وإنك لَتَهدِى الى صراط مستقيم » . وعلى الجملة فما من شك فى أن اللفظ يستعمل فى المعنيين كما ترى .

ولقد تناوله الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة ، وأقيمت الأدلة من كلا الطرفين على ما يؤيد مذهبه ، ففريق يقول : إن الهدى الدلالة مطلقا ، ويستدل بما جاء دالاً على هذا المعنى ، وفريق يقول : إن الهداية هى الدلالة الموصلة ، ويستدل بما جاء دالاً على ذلك ، وقد رأيت أن اللفظ ورد فى كل منهما ، والمشترك مستفيض فى اللغة ، فليت شعرى لم لا نقول بكل من المعنيين واستعمال اللفظ فيهما ؛ ولعل الولوع بالخلاف وضيق صدر الطوائف بعضها من ناحية بعض من أكبر العوامل فى إثارة الخلاف لكل مناسبة .

ولفظ هدى هنا بمعنى هاد ، وعبر بهدى بدل هاد للدلالة على أنه قد تمكن من وصف الهداية حتى صار هو نفس الهدى ، على حد قولهم : محمد عدل ، أى أنه زاد فى العدالة حتى صار كأنه العدل بعينه ، وكما يقولون : فلان علم مجسم ، وفضل محض ، وأشباه ذلك ، وهو مستفيض فى بليغ الكلام .

والرحمة فى الأصل : صفة فى النفس ينشأ عنها الإحسان والعطف والتفضل والمواساة ، وقد تطلق على الإحسان نفسه . والمراد هنا بالرحمة أنه منشأ لها ، أومظهر من مظاهرها . فعلى الأول يكون المعنى أن هذا الكتاب تعريض للمرء أن ينال من رحمة ربه وإحسانه ما يستحقه بالعمل بموجبه وأحكامه . وعلى الثانى يكون المعنى أن أنزل هذا الكتاب مظهراً من مظاهر الرحمة الإلهية ، فإن الإنقاذ من الحيرة ، والإرشاد الى سبيل الخير والسعادة ، رحمة من الله تجلت فى هذا الكتاب . فعلى الأول يكون

المعنى هو سبب الرحمة ، ولما كان سببا لها مؤديا إليها أكمل أداء ، عبر عنه بأنه الرحمة نفسها ، وعلى الثانى يكون هو رحمة ، والأمر فيها ظاهر .

والإحسان يأتى تارة بمعنى إيصال الخير الى الغير ، تقول : أحسنت الى فلان أى أوصلت اليه إحسانا ، وليس هو المراد هنا ، وتارة بمعنى أتى بعمل حسن ، كما فى قوله تعالى : « إن الله لا يُضيع أجر مَن أحْسَنَ عملا » ، وإحسان العمل لغةً معروف ، وهو الإتيان به على أكمل وجوهه وأجمل صفاته . وأما الإحسان شرعا فقد جاء تفسيره فى الحديث الشريف : «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» . ولا شك أن من أدى مراسم العبادة بين يدى ربه ، مستحضرا لجلاله ، ممتلئ القلب بعظمته ، مستنير اللب بنوره ، كأنه لعظم استحضاره له يشاهده ، فهو مقبل عليه كأنه يشاهده ، فقد أدى حقوق العبودية ، وقام بواجب التعظيم ، وهو مقام لا يعرفه حق المعرفة إلا من ذاقه ، وهو المسمى فى لسان الصوفية بمقام الشهود ، ويليه استيقان المرء بأنه على مرأى من ربه ، وملاحظة أنه مطلع على خفى سره وجلى أمره ، لا تخفى عليه منه خافية ، فيستولى عليه الحياء من ربه ، وتحيط به الخشية ، فلا يصدر منه ما يوجب غضبه أو يعرضه لسخطه . ويوضح هذا المعنى ما ورد فى الأثر « نعم المرء صُهَيب لو لم يَخَف الله لم يعصه » أى أنه ممتلئ القلب باستحضار أن الله مطلع عليه ، وأنه بمرأى منه ، فلو فرض أنه لا يخاف سطوته فهو ألبتة يستحيي من هيبته . وهذا المعنى هو ما أشير اليه بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » أى أنه لو لاحظ مقتضى إيمانه واستحضر ما هو كامن فى عقيدته ، من اطلاع المولى على سره وجهره ، وعلمه بجميع أمره ، لكان إن لم يمنعه الخوف منعه الحياء . وانظر إن شئت الى قول الحريرى : « وتستحى من مملوكك ، وأنت بمرأى مليكك » . ألست ترى أن المرء يتوارى حين يقارف منكرا من أخس الناس عنده ، فلو شعر أن طفلا خادما عنده اطلع عليه لذهبت عنه نشوته وتدهورت نفسه ، فهل يظن أن

الله غير مطلع عليه ؟ كلا إنما هي الغفلة والا بتماد عن مغزى قوله عليه السلام : « فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وإلا فلو زعم أن الله لا يطلع عليه ولا يعلم أمره لكفر ، وكذلك لو تحقق بمقام ملاحظة أن الله يراه وإن كان لا يراه لاستحال أن يقارف ما يقارف .

وقد يقال : لم خص المحسنين مع أنه هاد للجميع ؟ فإذا فسرت الهدى بالدلالة الموصلة زال هذا السؤال ، ولكن يبقى سؤال آخر ، وهو أن المحسنين قد اهتدوا بالفعل ولولم يهتدوا ما سموا محسنين ، فما معنى أنه هدى لهم ؟ والجواب أن المحسنين هم الذين استعدت نفوسهم لقبول الإرشاد والهداية ، واستشرفوا اليهما ، فإذا ورد الكتاب على هذا الاستعداد فقد استفادوا واهتدوا به ، بخلاف غيرهم فلم يهتدوا به إذ ليس لديهم استعداد له . فالاحسان معناه التهيؤ لتلقيه ، والاستشراف له انتظارا لحلوله ، أوهو من قبيل قوله تعالى : « والذين اهتَدَوا زادهم هدًى وآتاهم تقواهم » إذ المعنى أن ماهم فيه من إحسان منشؤه اهتداؤهم به . وإذا قلنا إن الهدى معناه الدلالة مطلقا كان قصر الهداية على المحسنين ، مع أنه هدى للجميع ، أن الهداية بالنسبة الى غير المحسنين لمّا لم تؤت ثمرتها نزلت منزلة مالم يحصل .

بقي أنه قرئ هدًى ورحمةً بالنصب على أنهما حالان من « آيات الكتاب » الذى هو خبر اسم الاشارة ، وبالرفع على أنه خبر بعد خبر لتلك .

« الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون » :

فيه تبيين لمعنى المحسنين ، ويشبه هذا الصنع من بعض الوجوه قول الشاعر :

الألمعي الذى يظن بك الظـــن كأن قد رأى وقد سمعا

فقد سئل بعض علماء اللغة : ما معنى الألمعي ؟ فقال : الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمع . فيكون على هذا القياس أمارة المحسنين وعلامتهم التى بها يمتازون عن غيرهم ، أنهم يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويوقنون بالآخرة ، والجزاء يوم المعاد .

ونرى فى التعبير بيقيمون الصلاة دون يصلون مثلا ، الدلالة على أن الصلاة إنما تكون صلاة بالمعنى المقصود للشارع إذا أديت على الوجه الذى هو أقوم : بأن يقف خاشعا حاضر القلب ، مستحضراً جلال من وقف بين يديه يؤدى له حق العبودية ، فإذا ركع أوسجد كان مراعيا فى ذلك خضوعه لعظمة مولاه ، وذلته أمام عليائه وعزته ، فإذا ما تلا كلامه القديم يناجيه به كان مستحضرا بقلبه معانى مايتلوه لسانه ، لا مجرد حركات بجوارحه أولسانه ، وهو شارد القلب ساه عن صلاته ، وإلا كان داخلا فى وعيد قوله عزمن قائل : «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون». وأى امرئ أحق بالويل ممن شرفه الله تبارك وتعالى بالوقوف بين يديه يخاطبه بكلامه القديم وهو يسمعه ويراه ، ثم يند بقلبه عن هذا المقام الشريف ، مع أن الله تبارك وتعالى محص عليه كل شىء ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ؟

انظر الى ما يجرى بين الناس حتى المتكافئين فى المنزلة ، وتصور رجلا يكلم زميله وهو مقبل عليه مصغ اليه ، وإذا بالمتكلم يبدو عليه ما يدل على أنه لم يلق بالا لما يقول ، وأن لسانه يجرى بالكلمات وحاله يدل على أنه مشغول البال بشىء آخر ، ألا يدل هذا على عدم اهتمام المتكلم بسامعه ، ويوجب امتعاض المخاطب منه ، ونفرته ، واعتباره متهاونا به وهو يخاطبه ، وربما نهره إن قدر ، أو اشمأز من هذا التهاون وانصرفت عنه نفسه ساخطا عليه ، فكيف بالوقوف أمام رب العالمين الذى يعلم السر وأخفى ؟!

أما إنك لو تأملت لوجدت أن الصلاة مع انصراف صاحبها عنها جديرة بأن صاحبها يستحق الويل حقيقة ، وإذا قال قائل : إنك لو لم تصل لكان أهون ، لكان كقول القائل للمتكلم فى الصورة الأولى : إذا كان الموضوع الذى تكلمنا فيه من الهوان عليك بحيث تكلمنا فيه وأنت شارد الفكر منصرف عنا بقلبك فأرحنا من حديثك وأرح نفسك مما لا فائدة منه .

وإنك حين تتأمل فى الصلاة على الوجه الذى شرحناه تجدها جديرة بما وصفها

الله عز وجل فى قوله : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » إذ كيف يمر على قلبه مرات كثيرة فى اليوم الواحد الثناء على الله بأنه رب العالمين خلقهم وكملهم ، وأنه المحسن اليهم إحسانا متواليا ، وأنه مالك الأمر كله فى يوم الجزاء ، ثم يقبل عليه بتخصيصه بالعبادة وطلب المعونة ، ثم يطلب منه الهداية الى أقوم صراط الخ ، ثم يخضع لعظمته ، ثم يضع جبهته على الأرض اعترافا بعليائه وذلاً أمام عزته ، يتكرر منه ذلك مرات كثيرة كل يوم ، ثم يجاهره بالمعصية والفحشاء والمنكر؟ إن هذا بعيد كل البعد ، ومن صدرت منه الفحشاء وقد أدى الصلاة ، فهو إنما أتى بصورة الصلاة وهو عنها ساه ، وإذا فرض أن قارف المصلىّ شيئا من ذلك فلا بد أن صلاته ستنهاه ، هذا سر التعبير بيقيمون الصلاة بدل يصلون .

وقوله : « ويؤتون الزكاة » أى لمستحقيها :

عبر كذلك بلفظ يؤتون الزكاة الذى معناه يوصلونها لمستحقيها ، للتنصيص على سرّ المقصود من الزكاة تتبادل بين الأغنياء والفقراء ، وهو أنهم يوصلونها اليهم ، فيصلون مابينهم وبينهم برباط محكم ، لا أن المقصود مجرد إخراج المال ، بل توصيله الى مستحقيه ، ليكمل الارتباط بين المؤمنين ، ويكونوا فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، فهل يأتى هذا إلا بمراعاة الإيتاء؟ وقد جبلت النفوس على حب من أحسن اليها .

وقوله تعالى : « وهم بالآخرة هم يوقنون » :

اليقين : هو علم الشىء بلا ملابسة شك ولا ريب ، وإنما يطلق على ما طرأ من العلم بعد الشك أو الإنكار ، فلا يقال : تيقنت بوجود نفسى أو بأن الأرض تحتى ، إلا إذا كان يشير أنه أصابته حال ذهل فيها عن المعلومات الضرورية ، واعتراه من الشك ما يشبه الغيبوبة . والمراد بالآخرة : هى وما احتوت عليه من جزاء ثواب أو عقاب . والمدح باليقين بالآخرة لأنه مدعاة للعمل على ما ينجى من هولها ، ويمدّ

النفس لإحراز الكرامة والسعادة فيها . ونجد فى تكرار الضمير فى قوله : « وهم بالآخرة هم يوقنون » لتقوية الإخبار ، تنويها بشأن هذا اليقين ، وإبرازا له فى صورة من العظمة تدعو للاتصاف به .

« أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » :

قد يكون المشار اليه مذكورا بصفات متعددة صوّرته وشخصته وجعلته ماثلا فى الذهن تتجلى فيه هذه الصفات ، فاذا ذكر بلفظ الضمير فإنما يحضر ذاته دون التنبيه على صفاته ، وأما إذا عبر عنه باسم الاشارة فكأنه حضر ماثلا أمام الذهن بمشخصاته التى تجلى بها ، فيستحضر السامع ذاته متحلية بصفاته المذكورة ، وهى مناط الإخبار ، وقد استحق الحكم المحمول عليه بسبب تلك الصفات . فهذا سر التعبير عنه باسم الإشارة بدل الضمير . وأما تكراره فى قوله : « وأولئك هم المفلحون » فليدل على أن كل واحد من الخبرين مقصود بالإفادة لذاته . والخبران هما : على هدى ، والمفلحون . والضمير الذى قبل « المفلحون » يسمى عند النحويين ضمير الفصل ، لأنه يفصل بين الصفة والخبر ، أى يبين أن المذكور بعده خبر لا صفة ، فإنه إذا قيل : « وأولئك المفلحون » قد يتوهم أن المفلحون بيان لأولئك والخبر لم يأت بعد .

والتعبير بقوله : « على هدى » لبيان أنهم تمكنوا من الهدى واستقروا عليه فهم غير متزحزحين عنه .

نسأل الله تعالى أن يمكننا من الهدى حتى تطمئن نفوسنا ، وأن يرزقنا الفلاح فى الدنيا والآخرة ، إنه سميع مجيب . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

ابراهيم الجبالى

خطبة الجمعة فى الاسلام

شرع الاسلام خطبة الجمعة يلقيها أمراء المؤمنين فى دار الخلافة ، والولاة فى عواصم الأقاليم، ومن يليهم من العمال كل فى دائرة عمله ، تحقيقا لمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإحياء لروح التكافل بين الحاكمين والمحكومين ، لتقوم الجماعة على أقوم أساليب الحياة العامة ، وتستكمل شرائط الاتجاه الاجماعى الصحيح لنيل الأغراض العالية التى عينها الدين . فخطبة الجمعة رباط روحانى يجمع بين المؤمنين حاكمهم ومحكومهم ، يتعهده القائمون بامر الجماعة كل أسبوع ، حياطة لها من أن تتسرب اليها بدعة تفسد من كيانها ، أو عادة سيئة تحط من كرامتها ، أو تنبيها لها الى خطر يتهددها ، أو الى فرصة سنحت يجب أن تنتهزها .

فالخطبة بهذا الاعتبار تيار من الحياة يوجهه حفظة هذا الدين الى الناس فى صورة عبادة ، والله يعبد بكل ما هو حق وكل ما هو خير للفرد وللجماعة وللناس كافة .

فلما اعترى المسلمين فتور فى بعض أدوار تاريخهم ، تاثرت به جميع حوافظ وجودهم الادبى والمادى ، فاسندت الخطابة الى رجال غير مسؤلين منهم ، فاصبحت هذه الوظيفة صورية يقوم بها كل متصد لها ، سواء أأحسن القيام بها أم لم يحسنه ، فبطل تأثيرها فى الناس ، وآلت الى مظهر شكلى متمم لصلاة الجمعة لا أقل ولا أكثر .

لم يفت هذا الامر العلامة الامام الشيخ محمد عبده ، فعمل على إحداث إصلاح أولى فيه بالاتفاق مع وزارة الاوقاف على عدم إسناد هذه الوظيفة إلا الى العلماء المتخرجين فى العلوم الاسلامية بالازهر ، ونشط المسلمون من ناحيتهم لحث أولى الامر على العناية بخطبة الجمعة ، فحدث ترق محسوس فى موضوعها وفى لغتها وفى إلقائها ، ولكن الحاجة لا تزال ماسة الى المزيد من إصلاحها ، والمامول بلوغها الى المستوى المرجو لها بهمة الساعين فى ترقيتها .

ولما ولى الأزهر خليفة الاستاذ الامام وتلميذه الأول حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ الامام محمد مصطفى المراغى ، أيقن الناس بأن روح التجديد الذى يرفع لواءها عاليا خفاقا ستسرى فى هذه الناحية من الاصلاح الدينى أيضا ، فما عتموا أن حقق الله ظنهم ، ورأوا فضيلته يضع الأساس العملى بنفسه لهذا الاصلاح المنتظر ، بما قام به من تولى خطبة الجمعة بنفسه بالجامع الأزهر يوم أن شرفه حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول بالصلاة فيه ، فى اليوم الحادى عشر من شهر شوال الراهن . فكان هذا الأمر منه إيذانا للناس بان هذه الخطة الشرعية قد عادت اليها كرامتها ، ورجعت اليها مهابتها . ومن الذى يضن بنفسه بعد فضيلته من القيام بمثل هذه المهمة فى الحى الذى هو فيه ، أو فى بلدته ، أو فى أى مسجد من مساجد المسلمين ؟

لا جرم أن فضيلة الامام المراغى قد رفع بما فعله من شان الخطابة والامامة الى الاوج

الذى هو من حقهما فى الواقع ، وأعاد سيرة السلف الصالح حيالها بافضل ما يمكن ان يفعله مصلح مثله فى هذا العصر .

لقد كان المسلمون يقرءون ما يروى لهم من خطب بابا روما ورئيس أساقفة كنتربرى وبرادفورد وغيرهم من رءوس أحبار الملة النصرانية ، ويأسفون من ترفع كبار شيوخ المسلمين عن مثل ذلك ، وأسلافهم آباء بجدتها ، فاليوم يسرى عنهم هذا الأسف بما فعله إمامهم المجدد ، وفق الله من يلونه من أئمة الدين لان يحذوا حذوه ، ويقتاسوا به .

أما الخطبة التى ألقاها فضيلة الاستاذ الامام بين يدى حضرة صاحب الجلالة فتعتبر قبسا من نور الاسلام ، وروحا من صميم حكمته ، فى موضوع أحوج ما كان الناس اليه فى عهدهم الحاضر ، وإنا لمسجلوها فى صفحات مجلة الأزهر لتقوم بجانب ما سجلناه لفضيلته من نوابغ الكلم فى شئون متعددة .

وهذا هو نص الخطبة التى ألقاها صاحب الفضيلة شيخ الازهر :

الخطبة :

أحمدك اللهم حمد من اخلص النية لوجهك الكريم ، وأشكرك شكر من أطاعك لذاتك وابتغاء رضوانك العميم . وأشهد أن لا إله إلا الله تفرد بالعزة والسلطان ، واشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله بعثه الله رحمة للانسان . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الاطهار وصحبه الطيبين الأخيار .

قال الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون »

هذا وعد الله الصادق ، ولن يخلف الله وعده .

أمور ثلاثة أيها المؤمنون ، هى أسمى ما يتصوره الانسان ، جعلها الله جزاء العمل الصالح المنبعث عن الايمان : استخلاف العاملين فى الأرض ، وتمكين دينهم الذى ارتضاه لهم ، وتبديلهم بعد الخوف أمنا وطمأنينة .

والاستخلاف فى الأرض خلافة عن الله فى عمارة كونه ، وتوزيع العدل والاحسان بين عباده ، وهو يعتمد على القوة وشمول السلطان ونفاذ الكلمة ، وهو مطلب تتفانى الامم فى سبيله ، وتضحى بابنائها وأموالها ابتغاء الوصول اليه .

وما استقامت عقيدة ولا استقر سلطان ، ولا وجد مجد وسؤدد ، ولاشعرت أمة بالعزة إلا إذا حمتها القوة وبسطت عليها أجنحتها ، وهذه المثل قائمة ، وشواهد الماضى حاضرة فى الذهن ماثلة .

وتمكين الدين والعقيدة نعمة عظيمة ، ومقصد رفيع ، يتبعه استقرار النفوس ، وراحة الضمائر ، والشعور بالعزة والكرامة . ليس أشهى الى النفس ولا أمتع للقلب ولا أهنأ للروح من أن يرى الانسان أن عقيدته صاحبة السلطان والنفوذ فى نفوس الناس أجمعين .

والآمن بعد الخوف أعز مطلب للفرد والجماعة . وللخوف آثار تفسد العقل ، وتذهب بالتفكير ، وتجعل العيش مريرا ، والحياة مضطربة .

وما أحلى الامن يستقر بعد الفرق ، وما أعذبه يتدفق بعد القلق ! عندئذ يندفع الانسان نحو العمل صافى القلب ، متجها الى الله ، ملتمسا خير العباد .

وليس الايمان أيها المؤمنون تصورات تتخيلها العقول وتجرى عباراتها على اللسان ، وإنما هو عقيدة تملأ القلب وتتبعها آثارها .

« إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون» .

ومن آثار العقيدة الدفاع عنها بالنفس ، والاستهانة فى سبيل نشرها بالمال . ومن آثارها العمل الصالح . وليس العمل الصالح مجرد صلاة تؤدى بالحركات ، أو صيام يؤدى بالحرمان من اللذات ، أو ذكر يجرى على اللسان ألفاظا ميتة خالية من الخشية والرهبة .

إنما العمل الصالح ما اشتمل على روح الاسعاد : من إخلاص لله ، ومحبة لخير الفرد والجماعة ، واداء للحقوق كاملة : لله ، ولعباد الله .

« وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة »

إن أعلى العمل الصالح منزلة عند الله فضائل الأخلاق : من الوفاء بالعهد ، والصدق فى القول ، والشجاعة فى الحق ، والصبر على احتمال المكاره ، والعدل مع الأفراد : بأداء حقوقهم ، وحب السعادة لهم ، وإرشادهم الى الخير ، ومعاونتهم فيه .

ومن العمل الصالح إطاعة الفرد لما تفرضه الجماعة ، وما يفرضه الحاكم ، مما ليس فيه معصية للخالق .

ومن العمل الصالح للحاكم توفيره الخير للرعية ، والدأب والسهر على مصالحها ، وحياطتها من الانزلاق فى الشرور والتهاون فى الدين

وإن قوام العمل الصالح مهما تعددت شعبه ، العدل ، وهو مطلوب من الحكام ، ومطلوب من الرعية ، والعدل هو اتباع السنن الالهية ، والأوامر الدينية ، والنواميس الوضعية التى لا تتنافى والدين .

إن الأمة الصالحة التى تستحق الخلافة أيها المؤمنون ، كما يجب أن تقوم على العدل ، يجب

أيضا أن تؤدى الارض حقها من عمران ، وأن تستخرج ما فيها وما حولها من قوى ومنافع ، لتحقق الارادة الالهية من خلق تلك القوى وتسخيرها لمنفعة الانسان .

« الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .

عباد الله :

لا تسعد أمة تتفرق أهواؤها وتصبح شيعا وأحزابا رائدها الهوى وقائدها المصالح الخاصة .

لا تسعد أمة لا تعتصم بحبل الله المتين ، ولا تعتبر بسير الذاهبين الأولين .

لا تسعد أمة تحتكم الى الشهوات ، وتتعامى عن الآيات ، وتدع النذر ، وتعمى عن العبر .

لا تسعد أمة تنبذ تعاليم الدين وراءها ظهريا ، وتزدرى بالأخلاق الفاضلة حباً فى الاستمتاع بالشهوات وما فى الحياة من لذات .

لا تسعد أمة ينغمس أمراؤها وأغنياؤها فى الترف ، ويستعذبون الراحة ، ويأنفون العمل « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

أيها المؤمنون :

نحن بين أمرين : إما أن نستضىء بنور العقل ونهتدى بهدى الشرع ، فنصير فى الدنيا الى عزة نعلو بها فى أجواز الفضاء ونخترق بها أطباق الأرض ، ثم فى الآخرة الى جنة عرضها السموات والأرض ، الى مغفرة الله ورضوانه .

وإما أن نعمى عن هدى الله ، ونغمض عما حل بالأمم السابقة أعيننا ، ونغلى مراجل الشهوات فيما بيننا ، فتأكل نيران الأحقاد قلوبنا ، فنصير فى الدنيا الى ذلة وضعة ، ثم فى الآخرة الى نار وقودها الناس والحجارة ، الى خزى من الله وخذلان .

« من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحوراً . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا» .

وقانا الله عذاب النار وسوء المصير ، وقادنا الى الخير وحسن العاقبة ، وهدانا الى ما يرضيه ويقربنا من عفوه ورحمته !

روى البخارى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » .

هل يجوز الدعاء على المسلم بالكفر

ما رأيكم ادام الله فضلكم فى رجل يدعى العلم ، وقد أذنب أحد أصحابه ذنبا على زعم ذلك المدعى ، فصار يدعو على هذا المذنب قائلا ما نصه : « اللهم أعم بصرك يا فلان . اللهم اسلب إيمانك يا فلان . اللهم أمتك على الكفر يا فلان » فى جمع من المسلمين ، فغضب أحدهم وامتنع عن مصاحبته ، فعلم ذلك المدعى بسبب امتناعه ، وهو الدعاء ، نخطأه وأفتى بجواز ذلك الدعاء ، وأصر عليه ؟ فنرجوكم بالحاح الاجابة على ذلك ، ولكم من الله الثواب ، ومن المسلمين الشكر ؟

أحمد عبد المنعم اللقانى

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

اطلعنا على خطابكم وما ذكرتموه عن ذلك المفتى الذى يأتى المنكرات الصريحة زاعما أنها من الدين ، وأنه من خير المسلمين الغيورين . والجواب أنه إن صح عنه ذلك كان من أكذب الكاذبين وأجهل الجاهلين . ولو كان على شىء من العلم لاقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » ، أو بابراهيم عليه السلام حيث يقول : « ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » ، أو بالمؤمنين الأولين حيث يقولون : « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم » .

ولنرو لك حديثا هو نص فى الموضوع ، وسنذكر لك أحاديث كثيرة بعد :

عن عمر رضى الله عنه أنه قد أتى برجل شرب الخمر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلده فى الخمر قبل ذلك ، فقال رجل من القوم بحضرته صلى الله عليه وسلم : اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به ! فقال صلى الله عليه وسلم : « لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله » أخرجه البخارى . وفى رواية لأبى داود عن أبى هريرة « لا تقولوا هذا ولكن قولوا : اللهم ارحمه ، اللهم تب عليه » .

فهذا هو أدب الاسلام ، لا ما فعله هذا المفتى . وقد كان صلى الله عليه وسلم يلاطف من سبق عليه القضاء فوقع فى حد من حدود الله تعالى ، ويقول : « ادرءوا الحدود بالشبهات » علما منه صلى الله عليه وسلم بالضعف البشرى الذى كثيرا ما يغلب صاحبه المؤمن إيمانا قلبيا صحيحا ، عالما أنه سيرده إيمانه وقتا من الأوقات ، وستنهاه صلاته يوما

من الايام ، ناظرا الى سعة الرحمة الالهية ، والى كرم الله الذى ينظر الى القلوب لا الى الصور ، مبينا لنا أن الندم توبة ، وأن التوبة تجب ما قبلها ، وأن الحسنات يذهبن السيئات .

وقد عرف صلى الله عليه وسلم أن الانسان بمقتضى البشرية لابد أن يكون له هنات وهفوات ، فأرشدنا الى الحمية ما استطعنا . فاذا وقعنا فى مرض الذنب لم يوئسنا ولم يقنطنا ، بل أرشدنا الى الدواء الذى يخلصنا مما وقعنا فيه ، فقال : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

فانظر الى هذا التعليم النبوى الوجيز الذى اشتمل على مجامع السعادات الدنيوية والأخروية . فجزاه الله عنا أفضل ما جازى نبيا عن أمته . وقد كان صلى الله عليه وسلم يقبل اعتذار المعتذر، ويرشده ، ولا يؤنبه ، ويكتفى من الناس بظواهرهم ، علما منه أن صلاح الظواهر قد يجر الى صلاح البواطن ، ولا يطلب من الناس الكمال فى الأشياء ، ولا يكلفهم غاية واحدة ، نظرا الى ما بينهم من التفاوت فى الاستعداد ، وأن كلا ياخذ ما قدر له ولا يتجاوز مرتبته ، فكان يسيرهم جميعا فى طريق الخير ، وينير لهم طريق الهدى ، ثم يدعهم لله تعالى ، ولا يدقق هذا التدقيق الذى يفعله الآن أولئك المتفيهقون . وقد غضب على أسامة غضبا شديدا عند ما قتل الرجل الذى قال : لا إله إلا الله ، ولم يقبل منه أنه قالها تقية ، وصار يقول له : أقتلته ؟! بعد أن قالها ، حتى تمنى أسامة أنه لم يكن أسلم قبل . مع أن الظاهر أن الرجل ما قالها إلا تقية ، ولكنه صلى الله عليه وسلم لا يحب أن يفتح باب الاحتمال وسوء الظن ، علما منه بما يترتب على ذلك من الشرور والمفاسد ، واتباع الاهواء والأغراض والاوهام والجهالات . ولذلك زجر أسامة وقال له : هلا شققت عن قلبه !

وسر هذا أن إصلاح الظواهر كثيرا ما يجر الى إصلاح البواطن كما قلنا ، خصوصا فى بيئات الهدى ، وأوساط الدين والصلاح .

هذا وقد قالوا « إن الرضا بالكفر كفر » . فهل يعتبر الدعاء بالكفر رضاء به ، أو فوق الرضاء كما هو ظاهر ؟ وقد ورد فى الصحيح أن من رمى غيره بالكفر باء به أحدهما ، الى غير ذلك مما لا نريد أن نتوسع فيه . فانظر الى تغليظ الشارع فى هذا الباب الضيق الذى يجب أن يبتعد عنه المسلمون كل الابتعاد . ولولا أننا نعلم أن الشيخ الداعى بالكفر من المتأولين لأغلظنا عليه القول ، ولكننا لا نفعل ، وإن كان تأويلا فاسدا ، وتهورا شنيعا .

غلطة فاحشة :

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن ننبه على أن قوله الذى ساقه السائل بنصه « اللهم أمتك على الكفر يافلان » غلط فاحش ، فانه جمع بين خطابين لمخاطبين فى جملة واحدة ، وهو مما نص علماء العربية على امتناعه .

وبعد : فقد رأينا أن نسوق الى القارئ الكريم بعض ما ورد من الأحاديث التى تبين حقوق المسلم على المسلم ، وتحث على الرحمة والشفقة حتى بالحيوان الأعجم ، ليعتبر بها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فنقول :

عن واثلة بن الاسقع قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المسلم على المسلم حرام : دمه ، وعرضه ، وماله . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، التقوى هاهنا ، وأومأ بيده الى القلب ، وحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » . رواه الامام أحمد وغيره وإسناده جيد .

وعن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار » رواه أحمد والطبرانى.

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول هذه الأمة خيارهم ، وآخرها شرارهم مختلفين متفرقين ، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلتأته منيته وهو يأتى الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه » . رواه الطبرانى . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فان كان له مخرج فخلوا سبيله ، فلأن يخطئ الامام فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة » أخرجه الترمذى .

وعن جرير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » أخرجه الشيخان والترمذى . وفى أخرى لأبى داود والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم : « لا تنزع الرحمة إلا من شقى » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه « من لا يرحم لا يرحم » . أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان منى ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب ، فشكر الله تعالى له فغفر له . قالوا : يارسول الله وإن لنا فى البهائم أجرا ؟ قال : فى كل كبد رطبة أجر » . أخرجه الشيخان وأبوداود . وقد ورد مثل ذلك فى مومس رحمت كلبا مثل ذلك .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرفق ما كان فى شىء إلا زانه ، ولا نزع من شىء إلا شانه » . أخرجه مسلم وأبو داود .

وعن جرير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يحرم الرفق يحرم الخير كله » أخرجه مسلم وأبو داود .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحدا فى بعض أمره قال : « بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا » . أخرجه أبو داود ، الى آخر ما جاء فى السنة وهو كثير .

وبعد : فلا غرابة فى مثل تلك الفتاوى الضالة ، فقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أن الناس سيتخذون رؤساء جهالا فاذا سألوهم أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا . وقد أخبرنى من أثق به أن بعض العلماء المفتونين قال أمامه : إن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد الأذان أشد من أكبر الكبائر حتى القتل « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا » مع ملاحظة أن علماء المذاهب الأربعة يرون أن الاتيان بها مستحسن . ويصرح الشافعية بسنيتها . وقد ذكرنا وجه ذلك فى بعض ما كتبناه .

فانظر الى أى مدى وصل التبجح وقلة الحياء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مع أئمة المسلمين وعلمائهم :

فلا والله مافى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

ليس هذا شأن المسلم الذى يحتاط لدينه أو يعرف قدر نفسه . ولعل ذلك يقع منك موقع الغرابة والدهشة ، ولكن لامحل للغرابة بعد ما قال صلى الله عليه وسلم : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

ولنذكر لك ما استند اليه ذلك الجاهل فى فتواه الحمقاء ، تخفيفا لدهشك ، وتقريبا لبعض ما كنت تظن أنه لا يقع من مسلم فضلا عن عالم : ذلك أنه يقول : إنه تشريع جديد من عند من قال به ولاتشريع إلا لله ورسوله . وأما صاحب المعصية فلم يشرع شيئا من عند نفسه لأنه يعتقد أن المعصية حرام كما فى شرع الله ورسوله . وقد فات هذا الجاهل الغبى أن من قال ذلك من أئمة المسلمين لم يقله على أنه شرع من عند نفسه ، بل قاله على أنه شرع الله فى اعتقاده ، فليس عليه شىء ولو كان مخطئا فى الواقع ، لأن المجتهد له أجران إذا أصاب ، وأجر إذا أخطأ ، كما فى الحديث الصحيح . ويجب على كل مجتهد أن يعمل باجتهاده ، ولايجوز له أن يخالف ظنه ، كما بين ذلك فى علم الأصول ، خصوصا على رأى المصوبة ، ولكن ما للجهول ولهذه المباحث ؟ وأنى له بعد ذلك بمدارك الأئمة الذين عرفوا من روح الشريعة ما لم يذق له طعما ، واستنبطوا من منطوقها ومفهومها وإشاراتها وعلل أحكامها وأسرار تشريعها ما لم يشم له رائحة ؟ وكأن ذلك المسكين فهم أنهم ادعوا الرسالة حتى قال ما قال .

والانسان مجمع العجائب والغرائب ، ومظهر المتضادات والمتناقضات ، فرحم الله امرأ عرف قدره ، ولم يتعد طوره ، فسلم لأئمة الهدى ما قالوا ، ولم ينازعهم فيما لم يدر سره ولم يسبر غوره

فحسبك تسليم العلوم لاهلها   وحقك فيها أن تكون متابعا

أسأل الله أن يقينا شر فتنة العقل الناقص ، والعلم الأبتر ، وأن يخلصنا من ضلالات هذا العصر الذى تسابقت فيه عرج الحمير ، بمنه وكرمه ؟

يوسف الدجوى
من جماعة كبار العلماء

من حكم على بن أبى طالب

قال على رضى الله عنه : لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة لطول الأمل ، ويقول فى الدنيا بقول الزاهدين ، ويعمل فيها بعمل الراغبين ، إن أعطى منها لم يشبع ، وإن منع لم يقنع ، يعجز عن شكر ما أوتى ، ويبتغى الزيادة فيما بقى ، ينهى ولا ينتهى ويأمر بما لا يأتى ، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ، ويبغض المسيئين وهو منهم ، يكره الموت لكثرة ذنوبه ، ويقيم على ما يكره الموت له ، إن سقم ظل نادما ، وإن صح أمن لاهيا ، يعجب بنفسه إذا عوفى ، ويقنط إذا ابتلى ، تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن ، ولا يثق بالرزق بما ضمن له ، ولا يعمل من العمل بما فرض عليه ، إن استغنى بطر وفتن ، وإن افتقر قنط وحزن ، فهو من الذنب والنعمة موقر ، يبتغى الزيادة ولا يشكر ، ويتكلف من الناس ما لم يؤمر ، ويضيع من نفسه ما هو أكثر ، ويبالغ إذا سأل ، ويقصر إذا عمل ، يخشى الموت ولا يبادر الفوت ، يستكثر من معصية غيره ، ما يستقله من نفسه ، ويستكثر من طاعته ، ما يستقله من غيره ، فهو على الناس طاعن ، ولنفسه مداهن ، اللغو مع الأغنياء أحب اليه من الذكر مع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكم عليها لغيره ، وهو يطاع ويعصى ، ويستوفى ولا يوفى .

باب الأسئلة والفتاوى

فى الميراث

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاءات الآتية :

رجل توفى عن أختين شقيقتين ، وأم ، وجد لأب ، فما هو الحكم فى هذه المسألة على مذهب المالكية ؟ عبد الله محمد بيومى الاسنوى

الجواب :

توزع التركة على الوجه الآتى :

سدسها للأم ، والباقى بعد ذلك يقسم نصفين ، فأحد النصفين للجد لأب ، والنصف الآخر للأختين الشقيقتين ، يقسم بينهما بالسوية ، وهذا على مذهب المالكية والشافعية وبعض الحنفية ، والله أعلم .

***

امرأة توفيت عن زوجها ، وشقيقها ، وابن أخيها من العصب ، فمن يرث ، ومن لا يرث ؟ محمد محمد الحسينى

الجواب :

تقسم هذه التركة بين زوج المتوفاة وأخيها الشقيق ، لكل منهما النصف ، ولا شىء لابن أخيها ، والله أعلم .

منافع المسجد لا تأخذ حكمه

دورة مياه (مطهرة) لمسجد عليها مبان قديمة مضى عليها مائة سنة تقريبا . ويريد

مالك هذه المبانى هدم مبانيه وإعادتها على هذه الدورة . فهل يمنع مانع شرعى من ذلك ؟ وهل الدورة حكمها فى ذلك حكم المسجد شرعا ؟ الدكتور أحمد نشأت

الجواب :

المتتبع للأحكام التي اختص بها المسجد عند الحنفية لا يرى أن واحدا منها يثبت للمطهرة والمراحيض . وإذاً لا تكون جزءا من المسجد ، فلا تأخذ حكمه فى منع البناء عليه . ولم يبق إلا أنها موقوفة للمنافع العامة التى ينتفع بها كل الناس ولا يختص بها أحد دون آخر . وهى من هذه الجهة يجوز البناء عليها ، إذ لا مانع شرعا من أن مكانا موقوفا للمصالح العامة يكون علوه مملوكا ملكا خاصا ، أو موقوفا على جهة خاصة .

وبناء على هذا نقول : متى كانت المبانى القديمة المقامة على المطهرة والمراحيض مملوكة شرعا لشخص فلا مانع شرعا من هدمها وإعادتها الى ما كانت عليه ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد الفحام

هل يفسد الزمان

حدث أبو جعفر الشيبانى قال : أتانا يوما أبو مياس الشاعر ونحن فى جماعة فقال : ما أنتم وما تتذاكرون ؟

قلنا : نذم الزمان وفساده .

قال : كلا ، إنما الزمان وعاء ، وما ألقى فيه من خير أو شر كان على حاله ، ثم أنشأ يقول :

أرى حللا تصان على أناس وأخلاقا تداس فما تصان
يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

نقول : يريد بالأخلاق الثياب البالية من قولهم : خلق الثوب يخلق أى بلى ، ومراده أن الأعمال كالحلل منها الجيد الذى يصان ، والأسمال التى تبتذل وتهان . أما الزمان فهو هو من يوم أن كان .

جلالة الملك يكرم العلم فى شخص امامه

لقد جمع الله فى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول جميع الخلال الشريفة التى امتازت بها الأسرة العلوية الكريمة ، وزاد عليها ما يقتضيه هذا العصر من ملك يقود شعبا متعطشا للديموقراطية الصحيحة . فكان كل ما أثر عن جلالته من الأقوال والأعمال مؤيدا للتفاؤل الكبير الذى قوبل به تبوؤه عرش أسلافه العظام فى هذه الآونة التى تعتبر فاتحة عهد جديد لهذه البلاد .

ومما كان له أكبر أثر فى نفس الشعب المصرى ، بل فى نفوس الشعوب الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها ، ما تفضل به جلالته من تكريم العلم فى شخص إمامه الجليل حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى ، بتشريفه داره بالمراغة ، فى أثناء رحلة جلالته الأخيرة فى الوجه القبلى . فجاء هذا العمل العظيم من جلالته دليلا عمليا على إكباره للعلم فى شخص أكبر ممثليه ، وعلى ماينتظر منه فى مستقبل الأيام من حمايته له وحماية أهله على طريقة كبار الملوك ، ممن كانت أيامهم عهودا ذهبية لا تمهم سجلتها لهم أجمل صحائف التاريخ .

لقد وفق جلالته بتفضله بهذه الزيارة لامام الدين أعظم التوفيق ، فان الأعباء التى يضطلع بها فضيلته ، والاصلاح الخطير الذى أخذ على عاتقه القيام به مما ينتظره منه مسلمو الأرض قاطبة ، ويبذل فيه كل قوى عبقريته العالية ، تقتضى من جلالته كل تأييد ، وليس من ضروبه ما هو أعظم أثرا من تكرمه بهذه الزيارة التى تشف بدليل محسوس عن رعايته الملكية .

وقد وفق الله فضيلة الامام الى إلقاء كلمتين إحداهما فى حضرة جلالة الملك ، والثانية فى السرادق الفخم الذى أقامه أمام داره ، جاءتا على إيجازهما أبلغ ما ينتظر من خطيب عليم فى مثل هذا الموقف التاريخى العظيم .

كلمة الدار

مولاى ياصاحب الجلالة :

لقد غمرتنى بفضلك ، وأحطتنى برعايتك وعطفك ، وصيرتنى بما حبوتنى به وغمرتنى من الاحسان ، عاجزاً عن الشكران .

خلدت ذكرى هذه القرية ، وأعليت قدر هذه الدار ، وهى وإن كانت فى ذاتها لا تذكر بين الدور ، فقد جلت وارتفعت بعطفكم عن الصروح والقصور ، أدام الله لك المجد رفيعا ، والملك موطداً خالدا ، والنعمة سابغة موفورة ، والتوفيق رفيقا وقرينا !

كلمة السرادق

حضرات السادة : هذا يوم القرى لا يوم المدائن ، فقد أراد جلالة المليك أعزه الله ألا تحرم القرى من التيمن بطلعته المباركة ، فاختار هذه القرية السعيدة لمقدمه ، وخصها بزيارته ، وعملا برأى أبى العلاء المعرى القائل :

فلا هطلت على ولا بأرضى سحائب ليس تنتظم البلادا

أعتبر هذا العطف الملكى السامى موجها إلى جميع القرى ، لا إلى هذه القرية وحدها ، والقرى تستحق هذا العطف ، فهى وطن الفلاح والزارع المنتج ، ووطن الثروة والخير والنعمة ، ولولاها ما كان فى مصر مدينة ، ولولاها مااستطاع أهل المدينة أن يعيشوا فى البلد ، ولولاها ما قامت القصور الشامخة ، ولولاها مانعم أهل المدن بالترف الذى هم فيه .

والقرية شريكة المدينة فى إقامة صرح المدنية ، وإيجاد جميع العناصر التى تتألف منها من علم وأدب وفن ، فأبناء القرى أولاد الفلاحين نبغ منهم علماء وفنانون وأساطين الأدب ، ونبغ منهم رجال قبضوا على أزمة الحكم ، وصرفوا وجوه السياسة ، وأكثر رجال الجيش حارس الدولة وحامى حماها منهم ، ولولا الخوف أن تزهو القرية وتختال على المدينة ، لكان لى متسع فى القول ، وقد يكون من حق القرية أن تعتب على أبنائها ، فقد هجروها وهى لا تستحق الهجر ، وعابوها وهى لا تستحق العيب .

ولكن جلالة الملك فاروق نبه الناس بهذه الزيارة المباركة الى حقوق القرية ، والأمل بعد ذلك عظيم فى أنها ستأخذ حظها كاملا ونصيبها وافرا .

وقد أستأذن القرية وأهل القرية فأنتزع من هذه الزيارة معنى آخر له قدره وخطره من السمو والرفعة ، فأعتبر اختصاص هذه القرية بالزيارة ، لأن هذا العاجز الضعيف الذى ينتسب الى خدمة العلم والدين من أهل هذه القرية ، فقصد جلالة الملك أعزه الله باكرامه إكرام جميع العلماء والمنتسبين الى خدمة العلم والدين ، وليس هذا من الفاروق بعجيب .

فقد فطره الله على حب العلم وحب الدين ، وعلى إعزاز شأن العلم والعلماء .

حضرات السادة : قد أكون من أحق الناس بالحديث عن جلالة الملك ، والتحدث عما خصه الله به من المزايا الخلقية والملكات النفسية الفاضلة ، ففيه من سرعة الخاطر ودقة الملاحظة ، وفيه من حفظ مايرد عليه مما يسمع ويقرأ ، وفيه من عاطفة الخير والبر والرحمة ، وفيه من حبه شعبه حبا فياضا ، وفيه من حب العدل ما هو كفيل بأن يديم سعادة شعبه وسعادته بشعبه .

أسأل الله أن ينير له طريق الخير والحق ، وأن يديم رعايته ، وأن يبارك له فى عمره بالصحة الوافرة والهناء الدائم !

معنى الحياة وقيمتها

المذاهب القديمة للحياة

المذهب الدينى (١)

لا يوجد بين المذاهب المختلفة التى تتنازع السيادة على الانسان الراهن فى الحياة، ما هو أقوى سلطانا عليه من المذهب المستمد من الدين. هذا المذهب يجعل أساس الحياة قائما على صلة بين الانسان وبين روح علوى هو مصرف الوجود، والحاكم المطلق فيه.

(بعد ما تقدم ذكر المؤلف الديانة المسيحية فى بضعة أسطر، فنهمل ترجمتها جريا على عادتنا من عدم التعرض للأديان مدحا ولاذما إلا ماتقتضيه مصلحة البحث، ولا مقتضى فى هذا الموطن، فلنتابع الترجمة التى نحن بصددها) :

المذهب الدينى يعتبر الديانة مركزا للحياة، وموجدة لعالم روحانى خاص. وقد نشأ هذا الاعتبار من رؤية الوجود الانسانى مزعزع الأركان، متداعى البنيان، فى أحوال أثبتت للانسان بوضوح عظيم وهن العالم الأرضى وأنه ظل سريع الزوال، وملأته برغبة ملحة فى الحصول على حياة أكمل حالا، وأفضل مآلا. هذا هو الذى حدث لدينا فى أثناء القرون الحافلة بالاضطرابات التى خرجت منها المسيحية منتصرة. وهذا الميل الشديد للترامى على الدين خفت حدته فيما بعد وصار أكثر تبصرا. وأخذ يتألف يسيرا يسيرا مذهب دينى كان له تاثير قوى على العقول طوال القرون الماضية، ولا يزال له السلطان القاهر على العقول الى اليوم.

الحياة على موجب هذا المذهب تدور حول أمر واحد هو الاتصال بالروح المطلق الكامل. وكل عمل لا تكون له قيمة إلا إذا كانت له علاقة بهذا الاتصال، وبالخدم التى يمكن أن تؤدى له، يضاف الى هذا وجوب ترقية الخصائص النفسية المستقلة عن غيرها استقلالا تاما، بحيث تعلو على جميع الارتباطات الدنيوية. هذه الخصائص النفسية عينها تحرر الانسان من مسولات العالم الخارجى، وتعين له من ذاتها العمل الذى يجب عليه أن يؤديه، وتؤسس بينه وبين أمثاله ارتباطا ووحدة تامة فى الشعور والحياة. وبواسطة وحدة هذه القاعدة التى تعتبر أبعد القواعد غورا، تأسس اجتماع قوى بين الناس لم يتأت لعامل آخر أن يحدثه. وهذه الحياة الدينية تقوم على الاعتقاد بحب الله للناس حبا لا حد له. وهذا الحب إذا أضيف اليه طهر الأخلاق اكتسبت الحياة به صفة خاصة، وصحبها وقار لا غاية بعده.

---

(١) بقلم الاستاذ رودولف أوكن المدرس بجامعة يينا بالمانيا مترجمة عن النسخة الفرنسية.

هذه الأحوال سمحت للانسان ان يكون له عن نفسه وعن حياته اسمى الآراء. فباعتقاده أنه مخلوق على صورة الله وضع نفسه فى مركز عالم الشهادة ، وخول نفسه حق التحكم بسيرته وأعماله فى حالة المجموع الذى حوله الى الابد. فالانسان فى هذا المذهب يعتبر نفسه عضوا من الملا الاعلى نزل الى الأرض ، وقد رسم له أن يتشبه بما تهديه اليه محاولاته فيه ، ولكنه قد كتب عليه أن يختط لنفسه دائرة خاصة لايتعداها ، معتبرا وجوده الغاية الأخيرة للخليقة . أما من ناحية تكميل المجموع المحيط به من الكائنات مما لا يجوز أن تضيع منه ذرة سدى فقد اعتقد أنه من اختصاصه أيضا .

هذه الحياة ليست مجردة من المشاغل والكوارث والآلام ، فان سمو المطالب ، وشدة التنازع فى الدائرة الانسانية ، تمنع الشعور باية متعة وسعادة بالمعنى العرفى لهذه الكلمات ، بل قد تكون فداحة الألم والخطيئة لأول وهلة اشد مع وجود هذه الحالة النفسية لا أخف . ولكن محاولة الانسان القيام بحقوق الدين ، والعمل على إنقاذ العالم من ضلال آخذ بمخنقه ، بايجاد حياة جديدة له ، يرفع نفسه فوق مجالات الكفاح والنوازل . والاتصال بالله من طريق الحب والعفو يسمح له أن يستمد تكملا من الكمال الالهى ، وأن يتمتع بسعادة لا حد لها . فاذا قاوم العالم الخارجى محاولات الانسان ، وأشمرته الحياة الجديدة التى أوجدها بقوة هذه المقاومة ، فلا هذا ولا أى شىء آخر يستطيع أن يدفع به فى تيهور الشكوك ، أو أن يشل من حركاته نحو الغرض المطلوب . فاذا اعتبرنا قيمة الواجبات التى تفرضها هذه الحال على صاحبها ، علمنا أن حياته لا تكون حياة ترف ومتع فحسب ، ولكنها تكون حياة حافلة بالحركة ، وقائمة على علاقات متينة ، فهى ليست حياة عاطلة .

على هذه الحال ساد المذهب الدينى فى مدى سلسلة طويلة من القرون على مناطق واسعة من الانسانية ، فقرب بين الآحاد والشعوب ، وأيقظ عددا لايحصى من الأرواح من سباتها العميق ، موجدا لها سلاما عميقا وسكينة . فبينما تسرى روح إلهية فى الحياة الانسانية وتبنى عالما جديدا مكان الحياة القديمة ، تظهر أحوال مناقضة لها تسلب من الحياة المتوسطة بينهما كل طمأنينة .

فى هذا المذهب العنصر الالهى مع سموه على كل شىء قريب جدا من الروح الانسانية . والانسان على صغره المتناهى مدعو للاتصال بالله اتصالا جوهريا . والحب والاحترام ، والوداعة والوقار ، مرتبط كل واحد منها بالآخر ارتباطا وثيقا ، والغياهب الحالكة والانوار الساطعة ، والمصائب الفادحة والسعادات المطلقة يتقوى إحداها بالأخرى وإنتاجها توترا شديدا ، وعملا متواصلا ، توحى الى النفس سيرة صحيحة ، وتجعل من هذه السيرة مركزا لكل حقيقة . فى خلال كل هذه الأحوال قامت رغبة بعيدة المدى متشبعة بالحب والخلود ، بل حياة غنية بعقائدها وآمالها ، وتركت وراءها وبعيدا عنها الزمن الحاضر كله ، ولكنها من ناحية

اصلها الذى تعتقده رفيعا تأوى الى ركن أمين فى عالم الحقيقة الا بدية . فالحياة الانسانية فى أى مذهب غير هذا المذهب الدينى لم تصل الى مثل هذا الغور البعيد ، ولم تبلغ الى مثل هذا المستوى الرفيع من معناها الصميم .

مع هذا تتوجه اعتراضات على هذا الضرب من الحياة ، وبخاصة على ما يتعلق بمناقضتها لحياة الكافة . وقد نتجت هذه الاعتراضات من مناقضتها للعالم المباشر ، ومن قطعها علائقها به . ذلك أن الانسانية فى أخريات العهد القديم بعد محاولات باءت بالفشل ، كانت قد فقدت الثقة بنفسها وبقدرتها ، ولم تجد غرضا شريفا تتجه اليه فى عالم الشهادة ، غير التوجه بالقلب نحو عالم آخر ظهر لها أنه يستطيع أن يحفظها من الغم ومن التلاشى ، وعلى ذلك استولى الانسان على العالم الآخر باندفاع استعان فيه بكل ما أوتى من قوة روحية ، وكان أثر ذلك عليه أن انقلب وجوده ظهرا لبطن . فاصبح الايمان ملجاه الرئيسى من متاعب الحياة . أما العالم المرئى فقد قذف به ظهريا . هذه الحالة لايستطاع البقاء عليها إلا مادامت الرغبة فى العالم الآخر حافظة لسلطانها القاهر .

ولكن هذه الرغبة بدأت تتزعزع حين أخذت الانسانية تسترد ثقتها بقوتها الذاتية ، وفى الوقت ذاته جدت جواذب فى العالم الخارجى تدعوها اليه . عند ذلك اتجهت الجهود والمحاولات الى العالم المحيط بالانسان ، وهنا هديت الحياة لأسمى عمل كتب عليها أن تقوم به ، وهو إخضاع هذا العالم لسلطانها ، وإضافة القوى الناتجة منه الى قوتها . فاخذ بذلك عالم الشهادة يتدرج لا ن يكون وطنا روحيا للانسان ، وبينما كانت المحاولات المادية فى تنوعها ونجاحها الفاتن تنسى الانسان العناية بنجاة روحه ، كان موقف الدين يتغير تغيرا ذريعا ، فبعد أن كان مركزا للحياة فى دائرة محدودة ، اخذ محيط هذه الدائرة يتسع يسيرا يسيرا ، ثم اضطر الدين بعد ذلك أن يكافح حركة آخذة فى الاشتداد فى اتجاه معاكس ، مما لا يستطيع أن يعلله بتغلب الأهواء وضعف الايمان إلاضرب من هزيل التفكير . فاما من الظاهر فكانت الشكوك التى تتوجه الى العقائد الدينية وتعتبر فى الدرجة الا ولى من الخطورة . وهى تستمد قوتها من التحول الذريع الذى طرأ على فهم الطبيعة والتاريخ بتاثير الروح العصرية الجديدة . ولكن كان من السهل احتمال هذه الشكوك أو دحضها إذا كانت الحياة ظلت محافظة على مركزها القديم وإيمانها الا ول ، دون أن تكابد ضعفا ، بل كانت كوارث العالم الخارجى المحيط بالانسان تستطيع فى هذه الحالة تقوية إيمانها فيصبح الدين ثابتا لا يتزعزع .

ولكن الذى جعل هذه الضربات خطيرة هو ضعف الدين نفسه عن الكفاح ، وامحاء تجاربه الاساسية امحاء تدريجيا ، وتطور الشعور بالحياة الانسانية . فى مثل هذه الحالة ثار على الدين من الشبهات ما كان يثور عليه من أقدم العهود ، كما ثار عليه أيضا كل ماهاجته الثقافة الحديثة ، وجدت جميع هذه الشبهات والشكوك اذانا مصغية . فكان هجوم هذه الشبهات على الدين منحصرا

فى نقط منعزلة أو فى بعض الأمور التفصيلية للدين ، ولمذهبه فى تنظيم الحياة ، ولكنها لم تلبث أن اتجهت الى الدين نفسه ، والى إمكان تنظيم الحياة على أساسه فى آن واحد . فقد اعتبر النظام الذى أوجده حرجا للغاية ، وعورض فى الوقت نفسه بسمة هذه المدنية العامة . ورئى أن الدين لم يعول عليه فى تقدير حقيقة أو ترقية معنى إلا باعتبار أنه جزء من حياة أعم منه . وقد اتضح للناس فى العهود الأخيرة أن الآراء التى أتى بها مبنية كلها على مذهب التجسيد والتشبيه ، وأن فكرته الاساسية فى إيجاد اتصال بين الله والانسان ، قد هجرت باعتبار أنها مستحيلة ، وأن تقسيم الخليقة الى عالمين ، عدت ضلالا ، كما عدت كذلك محاولته جعل الغرض الرئيسى للحياة ليس بلوغ الكمال فى الحياة الراهنة ، ولكن الاستعداد والتأهب لحياة مستقبلة . كان أثر تعرض الدين لكل هذه الشبهات أن اعتبر أخيرا أنه ثمرة الخيال ، وعد كل ما أتى به نسيجا من الأوهام فى دولة الظلمات والاحلام .

لقد قوبل هذا الالحاد ، والحق يقال ، بمقاومة شديدة ، ودوفع عن حقوق الدين نفسه ، إن لم يكن عن حقوق نظمه أيضا ، بكل شجاعة من جانب أنصاره العديدين ، ولكن الذيوع المستمر لهذا الالحاد يدل دلالة قاطعة على أن آفاقا واسعة فى العصر الحاضر لا تستطيع أن تخضع لعوامل الحركة الدينية ، وأن هذه العوامل وعالمها قد أصبحا أجانب بالنسبة لهذه الآفاق ، بل غير مفهومة عندها . ولا يمكننا أن ننكر أنه رغما عما يبذله الدين من المثابرة على العمل والغيرة عليه ، فلا يثبت إلا القليل من أعماله المنتجة . وقد ضعف شعورنا اليوم بوجود قوة دينية ثمرتها رفع قيمة الانسان وترسيخ قدمه فى الوجود وإيصاله الى الله . فيجب على الدين والحالة هذه أن يخضع للاغراض التى يستهدفها الانسان وهى نقية وبسيطة ، وأن يتنزل الى مستواها . وهذا يكون مستطاعا لو طاوع طبيعته فى الاستيلاء ، أو عمل على حفظ العواطف النفسية النقية الساذجة فى حالة يقظة وتنبه . ولكن الدين فى مثل هذه الحالة من الترعزع وفى وسط هذه الشكوك لا يتأتى له أن يكون سندا قويا للانسان ، ولا أن يقود الحياة ، ولا أن يحدد معناه وقيمته . فكيف يؤمل أن ينال جواب صحيح على المسألة التى نحن بصددها من مصدر هو نفسه قد أصبح مسألة تحتاج الى حل ؟

***

ملاحظتنا على هذا المقال :

أحسن الاستاذ أوكن فى صدر مقاله فى وصف السلطان الذى للدين على النفس البشرية وبيان وجه لجئها اليه ، وتعويلها عليه ، ولكنه عاد فقلب له ظهر المجن ، وحمل عليه حملات منكرة فهمنا منها أن يستهدف دينا معيناً أو أديانا معروفة لديه ، لا الدين من حيث هو . وإنا لملخصون اعتراضاته ، ثم لمبدون ملاحظتنا عليها ، قال :

« يتوجـه اعتراض على الحيـاة الدينية لقطعها علائقها بالعـالم المـادى عقب فقدها للثقة بنفسها ولجوئها الى العالم الروحانى ، فقد ظهر لها أنه يستطيع أن يحفظها من الغم ومن التلاشى .

« ولـكن هذه الحالة بدأت تنقلب الى عكسها حين ساغ للانسانية أن تسترد ثقتها بنفسها وأن تتخذ لهـا غرضا ساميا للحياة ، وهو إخضاع هـذا العالم لسلطانها ، فاصبح عالم الشهادة يتدرج لأن يكون وطنا روحيا للانسان دون غيره .

« وبينا كان نجاح الانسان فى فتوحاته المـادية ينسيه حياته الروحية ، ظهرت حركة جديدة ضد الدين ماثلة فى الشكوك التى تتوجه على عقائده .

« كان أمر هذه الشكوك يهون بواسطة دحضها ، ولـكن الذى جعل هذه الحملات خطيرة هوضعف الدين فى ذاته عن تحملها ، وامحاء تجاربه الرئيسية امحاء تدريجيا ، وتطور الشعور بالحياة الانسانية .

« كانت هذه الشبهات تتوجه الى نقطة منعزلة من الدين أو الى بعض أموره التفصيلية ، ولـكنها لم تلبث أن اتجهت للدين نفسه ، فقد اعتبر أسلوبه فى الحياة حرجا لا يمـكن القيام عليه ، إذا قورن بأسلوب المدنية ، ورئى أن الآراء التى أتى بها كلها مبنية على مذهب التجسيد والتشبيه ، وأن غرضه من إيجاد صلة بين الله والانسان من الحالات العقلية ، وأن تقسيمه الخليقة الى عالمين متميزين من الضلالات الوهمية ، وأن دعواه بأن غاية الحياة هى الاستعداد لحياة مستقبلة لا بلوغ الـكمال فى هذه الحياة ، من الأحلام الخرافية » .

هذه خلاصة الفصل الاول من كتاب الفيلسوف أوكن ، والقارىء يتبين منه لاول وهلة أن الغرض منه هدم حالة تقليدية عامة بين البشر ، وهى الانضواء تحت لواء الدين ، واعتبار كل ما عداه أمورا ثانوية لا يصح الاعتداد بها ، وهى دعوة قام بها أهل العلم منذ نال العلم حريته قبل نحو ثلاثة قرون ، ولا تزال تتردد فى أوروبا تحت ألوان شتى لازالة البقية العالقة فى بعض النفوس من هذه النزعة .

ولو كان غرض الأستاذ أوكن غير هذا لوجب عليه أن ينظر فى الاديان البشرية كافة ليرى هل ما ذكره من الأصول الأولية عنها ، ووجوه الضعف التى أحصاها ، تنطبق عليها جميعا أم يسلم بعضها منها ؟

ولا يكفى هذا وحده ، فانه ذكر أن الانسان العصرى قد أخلد الى الارض ، واكتفى بما يحصله من خيراتها ، وما يتسلط عليه من قواها ، وأنه قد نسى فى سبيل ذلك كل ما تطالبه به فطرته من العـلم بما وراء هذه الحجب الـكثيفة ، ولم يأبه بما ينتظره من الفناء والتلاشى عقب حياة قصيرة . وهذا التأكيد منه يحتاج لتمحيص ، ولو صح لـكان نتيجة تطور نفسانى ذريع لم يحدث مثله للنفسية البشرية منذ خلق الله العالم الى اليوم . وهو ما يكذبه الواقع المحسوس

فان فى أوروبا وامريكا اليوم حركة لم يسجل مثلها تاريخ الانسانية ، ترمى الى كشف الحجاب عن الروح ، لا من ناحية إدراك ماهيتها ، ولكن من ناحية إثبات وجودها ، ومعرفة علاقاتها بعالم أرق من هذا العالم . والذى يقوم بهذه الحركة رجال من أقطاب العلم فى كل بلد متمدن ، حتى ليستطاع أن يقال إن العناية بالبحث عن عالم الغيب لم تصل الى مثل ما بلغته فى هذا العصر ، فى أى عهد من عهود البشرية . وقد مضى على هذه الحركة العلمية الروحية اليوم نحو تسعين سنة ولم تزدد إلا قوة . وقد نشأت احتجاجا على العقيدة المادية التى تطوع لنشرها فى العهد الاخير وأمثاله من الماديين الفيلسوف الألمانى أوكن .

ليس غرضى من هـذا أن أدافع عن المبادئ المعيبـة التى احصاها الفيلسوف وجعلها من أسباب ضعف الدين . فانا أعتبرها مثله عيوبا لا يمكن أن تخضع لها الانسانية فى أى عهد من عهودها العلمية ، ولـكنى أخالفه فى أنها عيوب ذاتيـة فى الدين ، وأقول إنها من وضع الذين تولوه ، ونصبوا أنفسهم حراسا عليه ، وإنها مما يتبرأ منه الاسلام ، ولا تقول به طائفة من طوائفه .

فالاسـلام لم يقطع علاقاته بالعلم المـادى ، بل أمر باحترامها فى حدود الحـكمة . والدليل العملى على ذلك مابلغه أهله الأولون من سعة الملك وبسطة العلم ، وذهابهم فى الابداع المـادى كل مذهب ، مع محافظتهم على سمو روحانى ليس للمنقطعين فى الصوامع مثله .

وأسلوب الاسلام فى الحياة ليس بحرج ، بل هو أوسع مما توجده أعظم مدنية ، فانه أباح لأهله كل ما يمكن ان يبيحه العلم من تحصيل المـاديات ، واستثمار الارض ، والابداع فى الصناعات ، وزاد عليها وجوب إحكام الصلة بين الانسان وعالم الروح ، وهو ما تقوم عليه الانسانية اليوم(١). فانه بعد أن تخمت النفوس من الجسدانيات ، انست نفسها فى العهد الاخير أشد ما تكون حنينا

---

(١) يرجع لمعرفة تفصيل مذهب الاسلام فى الاتصال بالعالم الخارجى والتسلط عليه وتسخيره الى ماكتبناه فى مقالتنا الافتتاحية فى الجزء السابق تحت عنوان (مقومات علاقات الانسان بالعالم الخارجى) ، فقد ذكرنا هنالك من الآيات القرآنية والادلة التاريخية ما لايدع شكا فى ان الاسلام هو أول من كشف للانسان عن سر روحه من ناحية استعدادها لتسخير الكون والتسلط على قواه . وهل بعد قوله تعالى : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه » مرمى يمكن أن يبلغه أو يزيد عليـه أى مذهب من المذاهب المادية ؟ فاذا كان الفيلسوف اوكن يعد فى الارض اديانا تكره الانسان فى العمل المـادى وتقطعه للحياة الروحية ، فلا يستطيع ان يعد الاسلام منها ، وقد اوجد لاهله ملكا لا تغرب عنه الشمس ، ومدنية جمعت كل ما فى المدنيات التى كانت معروفة من خصائص ومميزات ، حتى شهد مؤرخو الفرنجة انفسهم أنها كانت اجمع مدنيـة سمح بها الزمان لاهله فى عهد لم يكن الناس يفكرون فى تجديد شىء رث ، او إيجاد ما ليس بموجود من قبل .

إن سوق الـكلام على الاسـلوب الذى فعله الفيلسوف اوكن ليس مما يمكن إساغته فى عصر من اخص صفات علمائه التمحيص والتحليل وعدم المجازفة بالتعميم فى الاحكام ، وبخاصة إذا كان المتكلم يريد ان يضع مبدا جديدا او قاعدة لم يقم عليها الناس من قبل ، كما هو المتبادر من مقدمات الاستاذ اوكن .

الى ضرب من المعـرفة يصلها بعالمها الروحانى ، فاكبت عليه بحثا وتنقيبا على أسلوبها العلمى المقرر ، كما أسلفنا ذلك ، مع حفظ كيانها المادى على ما كان عليه .

والاسلام بعيد عن التجسيد والتشبيه بحيث لا يصح أن توجه اليه مثل هذه الشبهة .

أما قول الأستاذ أوكن بان صلة الانسان بالله قد اتضح أنها من المحالات العقلية ، وأن اعتبار الخليقة عالمين متميزين من الضلالات الوهميـة ، فهو من أغرب ما قرأناه من الآراء الفلسفية . فهل يغيب عن مثله أن المراد من هذه الصلة أن تكون روحية لا مادية ، وأن ثمرتها أن توجه الانسان الى الناحية التى تتجه اليها الارادة الالهيـة من عمارية الـكون ، والهيمنة عليه ، واتباع سيرته فى مخلوقاته ، من العدل والنظام والحكمة وسعة العلم والابداع والترق ؟

وأى ضرر فى أن يستعد الانسان فى حياته هذه لحياة أرفع منها فى عالم وراء هذا العالم ؟ ألا يكون فى نزعته هذه أرفع نفسا ، وأكرم حالا ، واضن بنفسه عن مواطن الدنايا ، مما لو اعتقد أن هذه الحياة غايته ، وأنه متى مات انتهى الى ماتنتهى اليه الجمادات من الضياع والتلاشى ؟

اللهم إنى لم أجد فى كل ماذكره الفيلسوف أوكن مايشرف الفلسفة ، وإن كنت اعتقد ان من الناس من تطوف برأسه مثل هذه الأوهام ، لذلك لم أر باسا من إيرادها ودحضها تنويرا للاذهان ؟

محمد فريد وجدى

فى الشدائد يعرف الاخوان

قيل : خير الاخوان من أقبل عليك إذا أدبر الزمان .

وقيل لبعض الولاة : كم صديقا لك ؟ .

قال : لا أدرى ، الدنيا مقبلة على ، والناس كلهم أصدقائى ، وإنما أعرف ذلك إذا أدبرت عنى .

وقال شاعر :

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة ... ولدى الشدائد تعرف الاخوان

وقال غيره :

فان أولى الموالى من تواليه ... عند السرور لمن واساك فى الحزن
إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يالفهم فى المنزل الخشن

الاسلام والطب الحديث

« وأرسلنا الرياحَ لَوَاقِحَ فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » :

لقاح الأزهار والنباتات على العموم يحصل من شجرة الى شجرة بواسطة الهواء أو الحشرات ، أو بواسطة الانسان ، وأهمها الهواء . والقرآن يتكلم عن فائدة من فوائد الهواء الذى ينقل نطفة الذكر الى الأنثى ، وذلك قبل أن يتقدم علم تشريح النباتات ، وقبل أن يعرف شيء عن ذلك بمدة طويلة ، فما أصدق القرآن وما أعظم إعجازه !

* * *

« إنما أمرُنا لشيء إذا أردناه أنْ نقولَ له كُن فيكونُ » :

هذه الآية الكريمة تعلمنا طريقة إنجاز إرادة الخالق ، وهى تختلف عن إنجاز إرادة كل المخلوقات ، فالانسان يستخدم السنن الطبيعية المادية بازدياد العلوم وتقدمها ، فهو يعرف مثلا أن بذرة القطن لا يمكن أن تنتج قمحا ، وأنها لا تنتج غير القطن ، وأنها تموت بدون الماء ، وهكذا تجرى السنن التى لا تتبدل أبدا ، ويستخدم المخلوق أيضا بعض سنن غير مادية أمرنا الله بها ، مثل « ادعونى أستجبْ لكم » ومثل « وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » ومثل « لئن شكرتم لأزيدنّكم » ، فهذه أيضا سنن ثابتة لا تبديل فيها ، مثلها مثل الأولى تماما ، ولو أن من الصعب علينا تطبيقها ، بخلاف السنن المادية ، والأنبياء عليهم السلام يعلمون كثيرا من النوع الثانى « وإنه لذُو علم لِما علّمناه » فى قصة يعقوب .

أما الخالق جل وعلا فإرادته ليست مقيدة بسنة أبدا ، ولا نعلم من طرق إنجازها إلا « كن فيكون » . وهذا هو الفرق الأساسى بين المعجزة التى من صنع الله مباشرة وبين أفعالنا المقيدة بالسنن الإلهية .

« ثم كلِى من كل الثمرات فاسلكى سُبُلَ ربك ذُللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، إن فى ذلك لآيةً لقوم يتفكرون » :

ما أصدق الآية الكريمة « فيه شفاء للناس » عند ذكر عسل النحل وتركيبه الكيماوى ، وهو :

٢٥ — ٤٠ ٪ دكستروز (جلوكوز)

٣٠ — ٤٥ ٪ ليفيلوز

١٥ — ٢٥ ٪ ماء

(والجلوكوز) الموجود فيه نسبة أكثر من أى غذاء آخر هو سلاح الطبيب فى أغلب الأمراض ، واستعماله فى ازدياد مستمر بتقدم الطب ، فيعطى بالفم ، وبالحقن الشرجية ، وتحت الجلد ، وفى الوريد ، ويعطى بصفته مقويا ومغذيا ، وضد التسمم الناشئ من مواد خارجية مثل الزرنيخ والزئبق والذهب والكلوروفورم والمورفين الخ ، وضد التسمم الناشئ من أمراض أعضاء فى الجسم مثل التسمم البولى ، والناشئ من أمراض الكبد والاضطرابات المعدية المعوية ، وضد التسمم فى الحميات مثل التيفويد والالتهاب الرئوى والسحائى المخى والحصبة ، وفى حالات ضعف القلب وحالات الذبحة الصدرية ، وبطريقة خاصة فى الارتشاحات العمومية الناشئة من التهابات الكلى الحادة ، وفى احتقان المخ ، وفى الأورام المخية الخ .

وقد يقال : وما أهمية هذه الآية مع أن كل أنواع الغذاء لها فوائد ، وقد ذكر العسل لأنه غذاء لذيذ الطعم ، وبطريق المصادفة ؟ فالحقيقة هى أن أنواع الغذاء الأخرى لا تستعمل كعلاج إلا فيما ندر من الأمراض الناشئة عن نقصها فى الغذاء فقط ، وهذه الفواكه التى تشبه العسل فى الطعم ، فان السكر الذى فيها هو سكر القصب أو أنواع أخرى ، ولكن ليس فيها إلا نسبة ضئيلة من « الجلوكوز » الذى هو أهم عناصر العسل .

وإذا علمنا أن (الجلوكوز) يستعمل مع (الانسيولين) حتى فى حالة التسمم الناشئ عن مرض البول السكرى، علمنا مقدار فوائده، وأن القرآن الكريم لم يذكره بطريق المصادفة، ولكنه تنزيل ممن خلق الانسان والنحل، وعلم كلا منهما علاقته بالآخر؟

دكتور عبد العزيز اسماعيل

التحبب الى الناس

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سعد بن أبى وقاص: إن الله إذا أحب عبدا حببه الى خلقه، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس، واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للناس عندك.

وقال أبو دهمان لسعيد بن مسلم وقد وقف ببابه يطلب الاذن فى الدخول فحجبه حينا ثم أذن له، فلما مثل بين يديه قال: إن هذا الامر الذى صار اليك، وفى يديك، قد كان فى يدى غيرك فامسى والله حديثا إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فتحبب الى عباد الله بحسن البشر، وتسهيل الحجاب، ولين الجانب، فان حب عباد الله موصول بحب الله، وبغضهم موصول ببغض الله، لأنهم شهداء الله على خلقه، ورقباؤه على من اعوج عن سبيله.

وقيل لمعاوية: من أحب الناس اليك؟ قال: من كانت له عندى يد صالحة. قيل له: ثم من قال: من كانت لى عنده يد صالحة.

وقال محمد بن يزيد النحوى: أتيت الخليل فوجدته جالسا على طنفسة صغيرة، فوسع لى، وكرهت أن أضيق عليه، فانقبضت، فأخذ بعضدى وقربنى الى نفسه، وقال: إنه لا يضيق سم الخياط بمتحابين، ولا تسع الدنيا متباغضين.

وقال ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد:

صل من هويت وإن أبدى معاتبة ... فاطيب العيش وصل بين إلفين
واقطع حبائل خدن لا تلاءمه ... فربما ضاقت الدنيا باثنين

وقال حكيم: لا يكن حبك كلفا، ولا بغضك سرفا.

الاسلام والفلسفة

— ٧ —

ابن سـينا

نسبه :

هو أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على بن سينا . وكان أبوه ، فيما يحدثنا هو ، رجلا من أهل بلخ ، وقد انتقل منها الى بخارى فى أيام نوح بن منصور ، واشتغل فيها بالتصرف فى أمور الدولة ، وتولى العمل أثناء أيامه بقرية يقال لها « خرمثين » وهى من أمهات قرى بخارى ، وبقربها قرية يقال لها « أفشنة » تزوج منها أبوه بوالدته ، وولد بها فى سنة ٩٨٠ ميلادية .

حياته العلمية :

أتم ابن سينا حفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة ، وأخذ يتثقف بمنظوم الادب ومنثوره بعد أن درس قواعد اللغة وأسرار اشتقاقاتها دراسة قوية متينة ، ثم أنشأ يدرس المنطق والفلسفة والطب والرياضة والطبيعة والموسيقى وكل ما كان يعرفه أهل عصره من علوم وفنون . وقد حدثنا هو عن نفسه — ولا أحسبه إلا صادقا — أنه وهو فى طليعة شبابه فاق أستاذه فى المنطق ، واكتشف من أسرار هذا العلم وعلم من خفايا قواعده وقضاياه ما لم يتنبه اليه ذلك الأستاذ على طول عهده بعلم المنطق وعلو كعبه فيه ، غير أن « ما وراء الطبيعة » لأرسطو ظل أمامه مظلما غامضا حتى كاد يوئسه من الفلسفة لولا كتاب من كتب الفارابى قذف به الله اليه على يد « دلال » بسيط ، فاشتراه بثلاثة دراهم بعد إباء ، فلما استوعبه أدرك منه أسرار « ما وراء الطبيعة » ووقف به على معضلات الفلسفة ، فعاد اليه حبه إياها وشغفه بها بعد أن كان قد انصرف عنها بسبب ما قاساه فى غير كتب الفارابى من الظلمة والتعقيد . وإذا ، فالفارابى يعتبر أستاذ ابن سينا من هذه الناحية ، لأنه هو الذى أنار له سبيل الحكمة التى كانت أمام عينيه قاتمة الى درجة إيقاعه فى اليأس والقنوط .

وفى هذه الاثناء مرض أمير بخارى وعالجه ابن سينا وشفى على يديه ، فكان مما كافأه به أن فتح له باب مكتبته الفخمة على مصراعيه ، فاخذ هذا الشاب الذكى النشيط الصبور المتعطش الى العلم يلتهم كل قيم ونفيس فى هذه المكتبة مما لم يطلع عليه أحد فى عصره ، حتى حوى رأسه أقصى ما يمكن أن يحويه رأس إنسان ممتاز . وهاك ما يرويه فى وصفه البستانى فى دائرة معارفه :

« كان من أشهر الحكماء والأطباء العرب ، فهو «أبقراط» الطب ، و «أرسطو» الحكمة عند العرب والافرنج ، وقد جمع فى فسيح صدره كتابات أرسطو ، ووعى فى خزانة معارفه حكمه وقواعده . وقد نقل الافرنج عنه أكثر ما عندهم من كتابات « جالينوس » وأبقراط ، ونشروا أشهر تآليفه فى اللغة العربية ، وترجموا أكثرها الى لغاتهم . وكان هو المعول عليه شرقا وغربا فى قواعد الحكمة والطب . وقد اعترف له الجميع بالحكمة والفضل ، فافتخر به الشرق ، وأخذ عنه ، ومدحه الغرب وانتفع بتصانيفه » .

مؤلفاته :

وفى السنة العشرين من عمره بدأ ابن سينا يكتب ويؤلف فى المنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة ، والرياضة ، ونخص بالذكر من هذه المؤلفات كتابه « الشفاء » الذى لم يكد يظهر حتى ترجم الى اللغة اللاتينية ، وكان له عند قرائه فيها شأن عظيم ، وكذلك كتاب «النجاة» الذى هو مختصر كتاب «الشفاء» وكتابه الجليل «الاشارات» وغير ذلك من المؤلفات النافعة المفيدة .

وأخص ما تمتاز به كتب ابن سينا الفلسفية أنها تكاد تكون مقصورة على تفصيل « ماوراء الطبيعة » وبسطة الاسهاب فى شرح نظرية المعرفة .

فلسفته :

لم يزد ابن سينا فى مذهبه « الماوراء الطبيعى » على ما قرره الفارابى شيئا يستحق الذكر ، لأنه — كما أسلفنا — كان أستاذه وملهمه ، فقد صدر فى فلسفته مثله عن إله واحد عظيم قادر نشأ عنه كل شىء بطريق العلية والمعلولية ، وإن كانت عبارة الخلق والايجاد كثيرا ما ترد فى كتبهما . وقد أسلفنا فى فلسفة الفارابى مناقشة الامام الغزالى لهذا التعبير ، أى الخلق والايجاد ، تلك المناقشة التى أوضحت أنه تعبير مموه زائف ، وأبنا رأينا فى هذه النقطة . وعلى أى الأحوال فقد رتب ابن سينا نشوء العقول والأفلاك عن الموجود الأول على النحو الذى قدمناه عند الفارابى . وقد علل نظرية العقول والأفلاك وصدورها عن المبدع الاول بتلك القاعدة اليونانية القديمة القائلة بأن الواحد من كل جهة لا يمكن أن يصدر عنه إلا واحد ، وإلا لتعددت جهات ذلك الواحد بتعدد الاعتبارات التى عن كل منها صدر واحد من تلك الكثرة . ولهذا فقد صدر عن الله الواحد من جميع الوجوه العقل الأول ، وهو وإن كان واحدا إلا أن وحدانيته ليست من كل وجه ، ولهذا فلا مانع من أن يصدر عنه أكثر من واحد ، وقد حدث ذلك بالفعل ، فصدر عن كل عقل عقل وفلك الى أن انتهينا الى العقل العاشر ، وهو الذى صدرت عنه الموجودات الدنيا . وليس فى هذا الترتيب ما يناقض تلك القاعدة اليونانية التى أوضح ابن سينا مرماها وجلا غموضها فى « إشاراته » حيث قال فى بيانها ما نصه :

« تنبيه : مفهوم أن علة ما بحيث يجب عنها (أ) غير مفهوم أن علة ما بحيث يجب عنها (ب) وإذا كان الواحد يجب عنه شيئان فن حيثيتين مختلفتي المفهوم ، مختلفتي الحقيقة ، فاما أن تكونا من مقوماته أو من لوازمه ، فان فرضنا من لوازمه عاد الطلب جذعا فينتهي الى حيثيتين من مقومات العلة مختلفتين، إما للماهية ، وإما لأنه موجود ، وإما بالتفريق ، فكل ما يلزم عنه اثنان معا ليس أحدهما بتوسط الآخر فهو منقسم الحقيقة » (١)

أما الموجود عند ابن سينا ، فهو يختلف عن الموجود عند الفارابي : بأن قسمه الى ثلاثة أقسام (١) واجب الوجود لذاته وهو البارى . (٢) ممكن الوجود بذاته ، ولكنه واجب الوجود لغيره ، وهو العقول العشرة . (٣) ممكن الوجود بذاته لجميع العوالم الأرضية . وهاك ما وضح به هذه النظرية المبتدعة فى إشاراته :

« تنبيه : كل موجود إذا التفت اليه من حيث ذاته من غير التفات الى غيره ، فاما أن يكون بحيث يجب له الوجود فى نفسه أو لا يكون ، فان وجب فهو الحق بذاته الواجب وجوده من ذاته وهو القيوم ، وإن لم يجب لم يجز أن يقال : إنه ممتنع بذاته بعد ما فرض موجودا ، بل إن قرن باعتبار ذاته شرط مثل شرط عدم صار ممتنعا ، أو مثل شرط وجود علة صار واجبا ، وإما أن يقرن بها شرط لا حصول علة ولا عدمها بقى له فى ذاته الأمر الثالث وهو الامكان ، فيكون باعتبار ذاته الشيء الذى لا يجب ولا يمتنع ، فكل موجود إما واجب الوجود بذاته ، وإما ممكن الوجود بحسب ذاته » (٢)

وقد خطأ ابن رشد الرئيس ابن سينا فى هذه النظرية ، واعترض عليه بأن واجب الوجود بغيره لا يمكن أن يكون ممكن الوجود إلا إذا انعدمت علته ، والعلة الأولى عند ابن سينا لا تنعدم . وإذاً ، فليس هناك قسم يسمى ممكن الوجود لذاته ، وواجب الوجود بغيره فى نفس الوقت .

ويرى ابن سينا أن المتكلمين الذين يرون أن الوجود صفة زائدة على الذات مخطئون ، وأن الحق هو فيما ذهب اليه الفلاسفة من إثبات وحدانية الذات والوجود ، أو من اعتبار الوجود عين الذات ، وصرح بأن مذهب المتكلمين يؤدى الى تطرق النقص اليه ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، واليك رأيه فى هذه النظرية :

« إشارة : لو التأم ذات واجب الوجود من شيئين أو أشياء تتجمع ، لوجب بها ، ولكان الواحد منها أو كل واحد منها قبل الواجب الوجود ومقوما لواجب الوجود ، فواجب الوجود لا ينقسم فى المعنى ولا فى الكم » .

---

(١) راجع المسألة التاسعة من النمط الخامس من كتاب الاشارات . (٢) راجع المسألة الثالثة من النمط الرابع من الكتاب المذكور .

« إشارة : كل ما لايدخل الوجود فى مفهوم ذاته على ما اعتبرنا قبل ، فالوجود غير مقوم له لماهيته ، ولا يجوز أن يكون لا زما لذاته على ما بان ، فبقى أن يكون عن غيره » (١)

وعند ابن سينا : المتفرد بالوحدة هو واجب الوجود لذاته وحده ، أما القسمان الآخران أى الواجب لغيره والممكن ، فلاتطلق الوحدة على الواحد منهما إلا مجازا ، لأنها طارئة عليهما . وقد خطاه ابن رشد فى هذه النقطة أيضا ، ورماه بانه خلط بين الوحدة المطلقة التى هى روح الوجود والتى لايتصف بها الا البارى ، وبين الوحدة العددية الحادثة التى يكون المتصف بها مع غيره عددا . وقرر ابن رشد أن الشيخ الرئيس لو تنبه الى ذلك الفرق الهائل الموجود بين الوحدتين : المطلقة والعدية ، لما كبا هذه الكبوة .

هذا ، وسنتم لك الحديث عن بقية نواحى فلسفة هذا الحكيم فى الفصول المقبلة ، مناقشين من نظرياتها ما يستدعى المناقشة ، فالى الملتقى .

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

رب أخ لك لم تلده أمك

هذه حكمة قالها حكيم ، وصدقتها تجاريب الحياة ، فرب أخ لك لا بيك وأمك ، لم يمد لك يدا فى نازلة ، ولم يسعفك فى كارثة ، ورب صديق لم تجمعك به وشيجة من نسب ولا صهر ، حاطك فى شدتك بمعونته ، وعمل على تفريج كربتك بكل ما وصلت اليه يده . فكان كما قال حكيم : رب بعيد أقرب من قريب .

وسئل بعض فلاسفة اليونانيين : أتحب أخاك أم صديقك ؟

قال : أحب أخى إن كان صديقى .

وقال شاعر :

أخو ثقة يسر ببعض شأنى وإن لم تدنه منى قرابه
أحب الى من ألفى قريب تبيت صدورهم لى مسترابه

---

(١) راجع المسالة الخامسة من النمط الرابع .

عوامل فقدان أدب الحضارة العربية (١)

العامل الثانى — الطبيعة العربية :

تحدثنا فى المقال السابق عن العامل الأول من العوامل التى كان لها فى رأينا أعظم الأثر فى فقدان أدب الحضارة العربية ، وهو اتجاه الحضارة ، وذكرنا فرقا عمليا بين الحضارة المادية الجافة المحدودة ، والحضارة الفكرية الروحية التى لا تقف فى رقيها عند حد أو نهاية . والآن نريد أن نتحدث عن عوامل أخرى تنضاف الى ذلك العامل ، ولكل منها أثره ، فإذا اجتمعت كان لها ذلك الأثر القوى الفعال فى إذهاب أدب الحضارة العربية بين طيات الإهمال والضياع ، وسنجمل الكلام إجمالا ننهى به هذا البحث لننتقل الى غيره .

أول ما يبدَه الباحثَ فى حياة العرب على عهد بداوتهم فى المرحلة التى أدركهم عليها الاسلام ، طبيعة التفرد التى — وإن تعددت مظاهرها — ترجع الى حقيقة واحدة ، فهى تبدأ بالفرد الذى يرى لنفسه تمام الحرية فى حياته الشخصية الى جانب غيره من الأشخاص ، وهذا بطبيعة الدفاع عن النفس وحب البقاء ، يدعوه الى أن يعتصم فى بعض الأحوال بأسرته ، ويندغم فيها حماية لتفرده ، وخشية أن يغلب على أمره ، أو تمس حريته .

وإذا لحنا فى الأسرة البدوية شيئا من التماسك بالنسبة الى الفرد ، فهذا التماسك نفسه يكون تفردا فى مقابلة تماسك أسرة أخرى أعظم منها ، ولا تزال هذه الظاهرة تصحب أطوار التكوين فى الجماعات البدوية مبتدئة بالفرد ، وتنتهى بالقبيلة والشعب ، تصويرا لأقصى حدود التفرد فى الجماعة .

سيطرت هذه الطبيعة على حياة عرب البداوة ، فلم تترك سبيلا لظهور القومية

(١) تتمة البحث .

العامة تبدو فيه الأمة كلها ذات شخصية واحدة متحدة ، وكانت مظاهر هذا التفرد قوية غامرة تتردد فى صدى المفاخرة الموضعية . فالمضرية ، والقرشية ، والهاشمية ، والتميمية ، والبكرية ، والتغلبية ، والقيسية ، والربعية ، هى الصيحات التى كانت تتجاوب فى أرجاء البداوة العربية فتثير النخوة ، وتحرك الإباء عند البدوى ، ويعز أن يسمع صوت فى تلك البداوة يهتف بالعروبة ويعتز بها كقومية عامة ، حتى فى حوادثهم وأيامهم مع الأمم الأخرى ، لا تجد فخرا للشعراء والخطباء إلا بقبائلهم ، فهذا العديل ابن الفرج العجلى يقول :

ما أوقد الناس من نار لمكرمة إلا اصطلينا وكنا موقدى النار
وما يَعُدُّون من يوم سمعت به للناس أفضل من يوم بذى قار
جئنا بأسلابهم والخيل عابسة لما استلبنا لكسرى كل أسوار

فهو يفخر بقومه ، وما كان لهم فى يوم ذى قار من مواقف محمودة ، وهذا اليوم كان يوما من أيام العرب التى وقفت فيها العرب كأمة لها وحدة تقابل وحدة العجم .

وقد أقام الاسلام بناء الدولة الاسلامية الشامخ على دعامة العزة العربية ، فرمى الأمم بالعرب كلها بعد أن حزمها بالوحدة القومية ، وأشعرها بوجودها كاملا الى جانب سواها من الأمم الأخرى .

وإذا كانت طبيعة التفرد خصيصة أهل البداوة من العرب ، فوجود شىء من الحضارة عند فريق منهم يزيد فصل ما بينهم ، ويقوى التفرد الجماعى فى كل فريق بالنسبة الى الآخر . على أن اختلاط المتحضرين من العرب بالأمم المصاقبة لهم كالفرس والرومان يجعل نظرة عرب البداوة إليهم شذراء ملتوية ، لأن البدوى بطبيعته التفردية يزدرى تلك الأمم الأجنبية . ويرى أنه أعز منها نفسا ، وأحمى أنفا ، وأكرم عنصرا . قال الدكتور « دوزى » المستشرق الهولندى : « وصلف البدوى يؤكد له أنه يتجسم فيه أكمل وأتم نموذج للمخلوقات الكائنة ، فهو يحتقر غيره من الأمم لمجرد أنها ليست

مثله ، وهو يعتقد اعتقادا راسخا لا كفاء له بأنه أسعد حالا من الرجل المتحضر » . ولهذا الإحساس أثره بالنسبة لإخوانه المتحضرين ، لاتصالهم بتلك الأمم اتصال تبعية وخضوع .

ومن خواص الأدب أنه ينمو ويخصب فى ظل الالتئام والوحدة الاجتماعية فى أى شكل من أشكالها ، لأنها تزيد طبيعة التفرد قوة ، فإن الأدب هو الصلة الفكرية الظاهرة بين الجماعات المتجانسة ، فاذا لم يكن بينها من القرب النفسى ، والاتحاد العاطفى ، والائتلاف القومى ما يكفل لهذه الصلة الحياة الطليقة بعيدة عن الزمانة والتقبض فى مدار واحد ، أخذت سبيلها الى السقم والاضمحلال ، ثم التناسى والزوال .

وآداب الحضارة العربية التى نتحدث عنها لم تجد الى قلب البادية طريقا بالرغم من أن أدب البداوة وجد الى حواضر الممالك العربية ومعاهد حضارتها طرقا على ألسنة رواد القصور من فطاحل شعراء البادية ، وخطبائها ، وكان أولويا أن لا تجد الى الممالك الأجنبية المجاورة كالفرس والرومان سببا ، لعدم المجانسة الطبيعية والبيئية مجانسة قوية ، ولأن نظام الحياة يقضى بتقليد التابع للمتبوع وأنفة المتبوع عن أن يأخذ من التابع حكمة ، أو يروى له أدبا كما هو مشاهد محسوس ، وللفرق فى روح الأدب القيمية فى ذاتها ، ومن ثم بقيت تلك الآداب فى حواضر العرب منحجرة فى مهادها التى نشأت فيها ، ولم يتح لها الذيوع فى جو غير جوها الضيق الذى ظلت محبوسة فيه ، وقد توالت على هذه الدويلات العربية فى أخريات عهودها حوادث مدلهمة زعزعت أركانها ، فليس ببعيد أن يكون ذلك من أسباب ضياع تلك الآداب وذهابها بذهاب مناشئها .

العامل الثالث — الانقلاب الاسلامى :

سطعت شمس الاسلام فى بطحاء الحجاز من الجزيرة العربية ، وعربُ البداوة يومئذ يحيون حياة أدبية حافلة ، ولا سيما الشعر ، فإنه — كما يقول ابن خلدون — فن من الكلام كان شريفا عند العرب ، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم ، وشاهد

صوابهم وخطئهم ، وأصلا يرجعون اليه فى الكثير من علومهم وحكمهم ، وكانت ملكته مستحكمة فيهم ، وكان له أرفع مكانة فى نفوسهم ، يهزها الى المكارم هزا ، ويثير فيها الحمية حتى ليحبب الى الجبان احتضان المنايا باسما . قال ابن رشيق فى كتاب العمدة : « كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الأطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن فى الأعراس ، وتباشر الرجال والولدان ، لأنه حماية لأعراضهم ، وذب عن أحسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، وإشادة بذكرهم » .

كان الى جانب هذه الحياة الأدبية الزاخرة تيار من الفوضى الاجتماعية والدينية وجّه الاسلام عنايته لاجتثاث أصولها ، ووضع نظام اجتماعى راسخ يقوم عليه بناء الدولة العربية التى نيط بها تبليغ دعوة الحق الى الأحمر والأسود ، وكان من أساس ذلك النظام إصلاح شامل بتوجيه الأدب العربى وجهة الخير والحق والإصلاح الخلقى ، والقضاء على تلك الفوضى الاجتماعية الدينية ، وما يمت اليها من الأدب بسبب ، وكان طبيعيا أن يستقر هذا الاصلاح شيئا ما فى العرب الذين ظهر النبي صلى الله عليه وسلم من بينهم ، وهم عرب الحجاز وحاملو لواء البداوة يومئذ قبل غيرهم من عرب الأطراف المتحضرين ، الذين كانت حالهم على العكس من عرب البداوة حيث كانت الحياة الاجتماعية ظاهرة منظمة الأوضاع ، والحياة الأدبية راكدة ضعيفة للأسباب التى سلفت عند الحديث عن طبيعة الحضارة .

بيد أن ذلك النظام الاجتماعى كان أشد ضررا على الانسانية ، وأفتك بكيان الأمة من فوضى البداوة ، لأن تلك الفوضى أساسها الحرية الجامحة ، وكبح هذا الجموح يسيرٌ سهل إذا وجد حزما صادقا وسياسة حكيمة كالذى توافر فى تشريع الاسلام ، أما ذلك النظام فإنه يقوم على دعائم الاستبداد الفردى الممثل فى نوع الحكم إذ ذاك ، وهو أخطر ما يكون على النفوس الانسانية ، لأنه يفسد الفطرة ، ويقتل الكرامة ، ويفشىْ

الأمة على الذلة والخنوع ، ومن هنا يمكن تعليل ما لقيه الاسلام فى طريقه من محن قاسية ، وشر مستطير من الأمم المتحضرة الأجنبية مما لم يلق القليل منه من عرب البداوة على شدة عنادهم ، وقد كان للفرس والرومان تأثير كبير فى توجيه سياسة دويلات العرب الثلاث فى اليمن والشام والعراق .

والأدب فى مثل تلك البيئات إنما يردد صدى الحياة الاجتماعية بمساوبها وأوزارها، والاسلام من أول مبادئه وأهمها إنقاذ الفطرة الانسانية من بلايا الاستعباد الفكرى ، وبعث الشعور فى الأفراد والجماعات بحقهم فى الحياة الطليقة فى حدود الحق والخير ، فكان قويا عنيفا فى محاربة هذا اللون من الاستبداد والظلم ، ونشر مبادئ الحرية الفاضلة .

اشتد الصراع بين تعاليم الاسلام الحكيمة العادلة ، وما كان هناك من نظم وأخلاق وعادات موروثة تتجه فى أكثرها الى العبث والفساد فى الحياة ، حتى قضى عليها ، وأبدلهم بها إصلاحا شاملا فى اللغة والدين والآداب ونظام الحكم والمعارف والأخلاق والعادات . قال أحمد بن فارس : « كانت العرب فى جاهليتها على إرث من إرث آبائهم فى لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم ، فلما جاء الله جل ثناؤه بالاسلام حالت أحوال ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع الى مواضع أخرى ، بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت ، فعفى الآخر الأول ، وشغل القوم بعد المغاورات والتجارات وتطلب الأرباح والكدح للمعاش فى رحلة الشتاء والصيف ، وبعد الإغرام بالصيد والمعاقرة والمياسرة ، بتلاوة الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وبالتفقه فى دين الله عز وجل ، وحفظ سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع اجتهادهم فى مجاهدة أعداء الاسلام ، فصار الذى نشأ عليه آباؤهم ونشؤا عليه كأن لم يكن » .

قد يقال إن عامل الطبيعة العربية وما فيها من حرص على الذات والتفرد ، وعامل

الانقلاب الاسلامى موجودان بإزاء أدب البداوة ، فلم لم يكن لهما هذا الأثر الذى كان لهما على أدب الحضارة ؟ فنقول : نعم ، وقد كان لهما من الأثر شىء كثير مما يدخل فى حيزهما من أدب البداوة ، قال صاحب العمدة : « ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره » غير أن عاملا قويا من عوامل الحياة تولد من الانقلاب الاسلامى فساعد على حفظ هذا القدر الذى وصلنا من أدب العرب .

ذلك أن العرب ظلوا فى البادية محتفظين أشد الاحتفاظ بلغتهم ، عاملين على حمايتها من الدخيل واللحن ، بتجافيهم عن الاختلاط بمن جاورهم من الأمم الأعجمية ، فلما استقرت تعاليم الاسلام فى نفوس العرب ، وابتدأت الفتوحات الاسلامية ، وأقبلت حرار الأعاجم على الجزيرة العربية ، وجاس العرب خلال ديارهم ، شعر العلماء بالحاجة الى الاستشهاد بكلام العرب الخلص على معانى القرآن الكريم والحديث النبوى لتبيانها للناس ، لجؤا الى أدب البداوة لثقتهم به ثقة تامة ، وتشككهم فى آداب الأطراف العربية لكثرة الدخيل فيها ، وتطرق العجمة اليها ، بوساطة الاختلاط بالأمم غير العربية ، وأبوا شعر كثير من الشعراء الذين تأثروا بهذا الاختلاط . قال ابن قتيبة فى عدى بن زيد الشاعر : « وكان عدى يسكن الحيرة ويدخل الأرياف ، فثقل لسانه واحتمل عنه شىء كثير جدا ، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة » . وكذلك تحامى بعض العلماء عن كثرة الاستشهاد بشعر الأعشى ، لأنه كان يفد على ملوك فارس ، وتكلم فى شعره بكلمات فارسية .

وإنما كان اعتماد العلماء على الشعر فى هذه السبيل أكثر من النثر ، لأن الشعر له من أوزانه الخاصة وطبيعته ما يجعل التلاعب فيه بما لا يتفق مع أوضاع اللغة وقواعدها عسيراً ، ولأن عناية العرب أنفسهم كانت بالشعر أشد ، وذيوعه فى أرجاء الجزيرة أكثر ، لما فيه « من التغنى بمكارم أخلاقها ، وطيب أعراقها ، وذكر أيامها

الصالحة ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الأنجاد ، وسمحائها الأجواد ، لتهز نفسها الى الكرم ، وتدل أبناءها على محاسن الشيم » .

أما النثر فمع ما يعتوره من إمكان التحلل عن أصوله التى صدر بها فى الخطب والمحاورات والوصايا وما اليها ، فالذى قضى عليه بضياع الكثير منه ، على ما يظهر لى ، سببان : الأول : ما فيه من معان ضيقة لا قيمة لها تدور حول مفاخرات جاهلية أماتها الاسلام وقضى على روحها ، والثانى : أسلوب القرآن الكريم ، لأنه من واديه فى ألفاظه وعدم تقيده بأوزان خاصة كالشعر ، ولكن الفرق بينهما فرق ما بين الحياة والموت ، فما كادت آيات القرآن تتلى فى أندية العرب حتى ازوروا عن ذلك اللون من الكلام المنثور الذى تراءى لهم يومئذ الى جانب القرآن أجوف ، لا يحمل من معانى الحياة السامية التى فتح القرآن اليها أعينهم ما يكفل له الخلود والبقاء ، كما بقى الشعر وبعض الحكم والأمثال ، وهذا أمر معهود ، نشاهده فيما نقرأ من بحوث ورسائل أدبية وعلمية ، فإن حلاوة بعض الكلام وبلاغته تعفى على كل أثر لغيره من الكلام الذى دونه بلاغةً وحلاوة وجمالا ؟

صادق ابراهيم عرجون

صديق يناجى صديقا

يامن فدت نفسه نفسى ومن جعلت … له وقاء لما يخشى وأخشاه
أبلغ أخاك وإن شط المزار به … أنى وإن كنت لا ألقاه ألقاه
وأن طرفى موصول برؤيته … وإن تباعد عن مثواى مثواه
الله يعلم أنى لست أذكره … وكيف يذكره من ليس ينساه
عدوا فهل حسن لم يحوه حسن … وهل فتى عدلت جدواه جدواه
فالدهر يفنى ولا تفنى مكارمه … والقطر يحصى ولا تحصى عطاياه

محمد صلى الله عليه وسلم

كما يقدره قادة الافكار في أوربا

تابع بحث مدام انى بيزنت رئيسة جمعيات التيوصوفية

لنرجع الى ذكر النبي الذي تركناه وليس له من الأتباع إلا امرأته، وقد آمن به بعدها أقاربه الأدنون. وهذه حادثة ذات مغزى كبير بالنسبة لمؤسس دين. فإنه من السهل أن تحصل أتباعا من جمهور لا يعرفونك ولم يروك إلا على منبر الخطابة، ولم يسمعوك إلا في محاضرة متقنة، أو في أجوبة على مسائل موضوعة، ولكن أن يصير الانسان نبيا في نظر امرأته، وبنته، وصهره، وأقاربه الأدنين، فهذه هي النبوة حقا. وهو انتصار لمحمد لم يحصل على مثله عيسى نفسه. هؤلاء هم أتباعه الأولون. ولكن عمه أبا طالب الذي كان حاميا له طوال حياته لم يرد أن يَعُد نبيا رجلا كان بالأمس غلاما صغيرا يتعلق بركبتيه، واكتفى بأن قال له حين دعاه للايمان: « يابن أخي إني لا أستطيع أن أرتد عن دين آبائي، ولكن والله لن يصل اليك أحد منهم مادمت حيا ». ثم التفت الى ولده عليّ، وهو الحبر المحترم، وقال له: ما دينك؟ فأجابه عليّ قائلا: « يا أبتي إني أؤمن بالله ورسوله، وسأتبع هذا ». فقال له أبوه: « لا بأس من ذلك يابني، فإنه لن يدعوك لعمل غير صالح، فأنت حر في التعلق به ».

مكث محمد يعمل ثلاث سنين في هدوء، فلم يزد أتباعه بعد انقضائها على الثلاثين، فاضطر أن يعلن الدعوة لأول مرة، فتكلم عن وحدة الله، ونعى على عادة القربان البشري، وعلى الانهماك على الشهوات، وتعاطي المسكرات، وعلى إفساد الحياة. فاجتمع اليه عدد آخر من الأشياع مأخوذين في تيار الكلمات التي تنبعث من بين شفتيه. ولكن بقدر ما أصبح كثير الأنصار أخذ الاضطهاد يشتد عليه، وشرعوا في تعذيب أصحابه بقسوة يكاد يكون من المحال أن يتحملها الجسم البشري، فكانوا يمزقون أجسامهم ويطعنونهم

بالرماح، ويلقون بهم على الرمضاء المحرقة، وجوههم معرضة الى الشمس، وعلى صدورهم قطع من صخور ثقيلة، ثم يأمرونهم وهم على تلك الحالة أن يكفروا بالله ورسوله، فيأبون، ويموتون وهم يقولون: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

أعيرونى أسماعكم: كان يوجد بين هؤلاء المضطهدين رجل قطعوا لحمه قطعة قطعة، فسأله الذين يتولون تعذيبه وهم يضحكون قائلين: «ألا تحب أن يكون محمد مكانك وأن تكون أنت فى دارك آمنا»؟

فأجابهم قائلا: «الله شهيد على ما أقول: أنا لا أحب أن أكون فى بيتى قريبا من امرأتى وأولادى وأموالى إذا كان ذلك لا يتأتى إلا بأن يشاك محمد بشوكة!».

هذا مثال من الحب الذى كان يبثه محمد فى قلوب الذين يموتون من أجله.

فلما أعيت أتباعه الحيل، قرروا الهجرة الى بلد يحتمون فيه من هذه الاضطهادات، فتأمل فيما يقوله الذين أنقذهم هذا النبى من الشر، فى صفته، وفيما سببه لهم من الخير، لأن شهادة التلميذ هى أصدق شهادة فى معلمه. ومن هنا تدرك كيف استطاع هذا الرجل أن يستولى على قلوب أشياعه. قال أحدهم لملك الحبشة وهو يتكلم باعتباره على رأس وفد حضر ليبحث فى تلك المملكة عن ملجأ يحمى المهاجرين اليها من اضطهاد المشركين، قال:

«أيها الملك: لقد كنا غرقى فى أبعد أغوار الجهالة والوحشية، نعبد الأوثان، ونعيش فى الأرجاس، ونأكل الميتة، ونخوض فى الرفث، ونحقر كل عاطفة إنسانية، ولا نقوم بحقوق الضيافة والجوار، ولا نعرف قانونا غير ماتقتضيه القوة، حتى أرسل الله الينا رجلا نعرف تاريخه وإخلاصه وشرفه وطهره، فدعانا الى توحيد الله، ونهانا أن نشرك به شيئا، وصرفنا عن عبادة الأوثان، وأمرنا أن نقول الحق، وأن نبر فى أيماننا، وأن نكون رحماء مراعين لحقوق جيراننا، وحرم علينا أن نقذف النساء، وأن نأكل أموال اليتامى، وأمرنا أن نتجنب الفواحش، وأن نمتنع عن الشرور والآثام، وأن نقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ونصوم رمضان، فصدقناه واتبعنا وصاياه»

هـذه هى شهادة أتباع محمد للدين الذى أتام به ، وهـذه أقوال الذين باعوا حياتهم فى مرضاته .

أىّ صنف من صنوف الرجال كان محمد حين يجلس فيحتف به تلاميذه ؟ كان يكلم رجلا من السراة يوما رجاء أن يدخله فى دينه (لأن فى كسب هوى الأغنياء والكبراء تأمينا لحياة الذين اتبعوه) ، فمر به رجل مكفوف البصر وقال له : « يا محمد : دلنى على طريق النجاة » ، فلم يأبه به محمد ، واستمر يتحدث الى ذلك السرى ، ولم يعرف ذلك الكفيف أن النبي مشتغل بالحديث الى غيره ، صاح به ثانية : « يارسول الله : دلنى على طريق النجاة » . فقطب النبي بين حاجبيه وأشاح عنه . فلما كان اليوم التالى أوحى اليه بما أصبح مدونا الى الأبد فى القرآن ليتذكر به من يتذكر ، وهو : « عَبَس وتَولّى أنْ جاءه الأعمى وما يدريك لعله يَزّكّى ، أو يذكر فتنفعَه الذكرى . أما من استغنى فأنت له تَصَدّى ، وما عليك ألاّ يَزّكى ؟ وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تَلَهّى ، كلا إنها تذكرة » . فكان النبي كلما لقى ذلك الرجل بعد ذلك يعامله باحترام عظيم ، قائلا : مرحبا بالذى لامنى الله من أجله . وجعله واليا على المدينة مرتين .

هكذا كان محمد نبي البلاد العربية ، هذا الرجل العظيم الذى كان يلوم نفسه كما يلوم أتباعه . هذا هو محمد رسول الله .

ولكن الاضطهادات كانت تزداد وتشتد يوما فيوما ، حتى أن أتباع محمد هاجروا مكة متفرقين فى كل وجه ، الى أن لم يبق معه إلا رجل واحد لم يرد أن يهاجر ، وعمه أبو طالب الذى لم يرد أن ينضم الى شيعته ، ولقى أبو طالب النبي وقال له : « يا بن أخى دعك مما أنت فيه ، واترك هذا الأمر الذى لا يرجى له نجح » .

فأجابه النبي قائلا : « لا يا عم ، فاذا استطاع أعدائى أن يضعوا الشمس فى يدى اليمنى ، والقمر فى يدى اليسرى ليحملونى على التخلى عن هذا الأمر ، فلا أتخلى عنه قبل أن يقضى الله فيه بأمر أو أن أموت دونه » . عند ذلك تأثر قلبه البشرى من رؤية عمه

وحاميه ومحبه يتحول عنه ، فألقى بردائه على وجهه ليخفي آلامه ، وانصرف . فناداه عمه صائحا به « قف قف ، قل يامحمد كل ماتريد أن تقوله للناس ، فوالله لن أتركك أبدا ! ».

ولكن اتفق أن مات عمه ، وكأن تلك السنة كانت سنة أحزان ، فقد حدثت مصيبة تفوق التي مضت ألف مرة ، وتلك أن خديجة لحقت بربها أيضا ، وهي زوجته المحبوبة ، وسكنه الوحيد في الحياة . فبقي وحيدا بعد أن قضى ستا وعشرين سنة في سعادة زوجية كاملة .

كان النبي يحاول هداية التجار الذين كانوا يترددون على مكة ، فتعاقد معه ستة منهم وكتبوا صورة العقد على تل العقبة تحت اسم بيعة العقبة ، وهي : « بايعنا محمدا على أن لا نشرك بالله شيئا ، وأن لا نسرق ، وأن لا نقتل أولادنا ، وأن نتجنب النميمة والإثم ، وأن نطيع الرسول في كل ما يأمرنا به من خير ، وأن نخلص له في اليسر والعسر »

فلما تمت هجرة أصحابه ولم يبق معه بمكة إلا شيخ مخلص هو أبو بكر وعلي ، قرر الهجرة ، فحاول أعداؤه محاصرته في داره ، فأفلت منهم من النافذة ، ودعيت هذه السنة بسنة الهجرة ، ذكرى لخروج النبي من مكة ، واعتبرت مبدأ للتاريخ الاسلامي . فتعقب الكفرة النبي ومن معه ، وجعلوا لمن يأتي برأسه قدرا من المال ، وأدرك أبا بكر الذعر ، فقال لمحمد : « لسنا إلا اثنين » ، فأجابه محمد قائلا : « لا ، نحن ثلاثة ، فان الله معنا » .

محمد فريد وجدي

الرجال أربعة صنوف

قال الخليل بن أحمد : الرجال اربعة ، فرجل يدرى ويدرى أنه يدرى ، فذلك عالم فسلوه ، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى ، فذلك الناسي فذكروه ، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى ، فذلك الجاهل فعلموه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى ، فذلك الاحمق فارفضوه .

أليس من البلوى بأنك جاهل   وأنك لا تدرى بانك لا تدرى !

القواعد العامة لتفسير القرآن الكريم

لما قررت مشيخة الازهر بالاتفاق مع وزارة المعارف ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغات الأجنبية ، ندبت لجنة على رأسها صاحب الفضيلة مفتى مصر لوضع تفسير موجز للكتاب الكريم يستهدى به المترجمون ، فاجتمعت هذه اللجنة مرات قررت فيها قواعد عامة تسير على موجبها فى وضع ذلك التفسير ، ورأت أن ترسل بها الى كبار العلماء والى الجماعات الاسلامية فى الاقطار لتبدى آراءها فيها ليجىء عملها إجماعيا من جميع المسلمين .

وإنا لموردون هذه القواعد العامة ليطلع عليها القارءون :

١ — أن يكون التفسير خاليا ما أمكن من المصطلحات والمباحث العلمية إلا ما استدعاه فهم الآية .

٢ — ألا يتعرض فيه للنظريات العلمية ، فلا يذكر مثلا التفسير العلمى للرعد والبرق عند آية فيها رعد وبرق ، ولا رأى الفلكيين فى السماء والنجوم عند آية فيها سماء ونجوم ، إنما تفسر الآية بما يدل عليه اللفظ العربى ، وتوضح مواضع العبرة والهداية فيها.

٣ — إذا مست الحاجة الى التوسع فى تحقيق بعض المسائل وضعته اللجنة فى حاشية التفسير .

٤ — ألا تخضع اللجنة إلا لما تدل عليه الآية الكريمة ، فلا تتقيد بمذهب معين من المذاهب الفقهية ، ولا مذهب معين من المذاهب الكلامية وغيرها ، ولا تتعسف فى تأويل آيات المعجزات وأمور الآخرة ونحو ذلك .

٥ — أن يفسر القرآن بقراءة حفص ، ولا يتعرض لتفسير قراءات أخرى إلا عند الحاجة اليها .

٦ — أن يجتنب التكلف فى ربط الآيات والسور بعضها ببعض .

٧ — أن يذكر من أسباب النزول ما صح بعد البحث ، وأعان على فهم الآية .

٨ — عند التفسير تذكر الآية كاملة أو الآيات إذا كانت كلها مرتبطة بموضوع

واحد، ثم تحرر معانى الكلمات فى دقة، ثم تفسر معانى الآية أو الآيات مسلسلة فى عبارة واضحة قوية، ويوضع سبب النزول والربط وما يؤخذ من الآيات فى الموضع المناسب.

٩ — ألاّ يصار الى النسخ إلا عند تعذر الجمع بين الآيات.

١٠ — يوضع فى أول كل سورة ما تصل اليه اللجنة من بحثها فى السورة: أمكية هى أم مدنية، وماذا فى السورة المكية من آيات مدنية، والعكس.

١١ — توضع للتفسير مقدمة فى التعريف بالقرآن وبيان مسلكه فى كل من فنونه، كالدعوة الى الله، وكالتشريع، والقصص، والجدل، ونحو ذلك. كما يذكر فيها منهج اللجنة فى تفسيرها.

طريقة التفسير:

ورأت اللجنة بعد ذلك أن تضع قواعد عامة خاصة بالطريقة التى تتبعها فى تفسير معانى القرآن الكريم ننشرها فيما يأتى:

١ — تبحث أسباب النزول والتفسير بالمأثور، فتفحص مروياتها وتنقد، ويفسر الصحيح منها بالتدوين، مع بيان وجه قوة القوى، وضعف الضعيف من ذلك

٢ — تبحث مفردات القرآن الكريم بحثا لغويا، وخصائص التراكيب القرآنية بحثا بلاغيا وتدون.

٣ — تبحث آراء المفسرين بالرأى والتفسير بالمأثور، ويختار ما تفسر الآية به من بيان وجه رد المردود وقبول المقبول، وبعد ذلك كله:

٤ — يصاغ التفسير مستوفيا مانص على استيفائه فى الفقرة الثانية من القواعد السابقة، وتكون هذه الصياغة بأسلوب مناسب لأفهام جمهرة المتعلمين، خال من الإغراب والصنعة.

النصرانية والاسلام فى السودان

نشرت جريدة المصرى يوم ٣٠ ديسمبر خبرا نقلته عن جريدة السودان مؤداه أن المبشرين يلقون تاييدا من الحكومة هنالك ، وأن المسلمين فى جنوب السودان يكابدون تضييقا فى حريتهم وإقامة شعائرهم ، فاستاء الناس هنا من حدوث هذا الامر ، وكان أشدهم استياء علماء الازهر وطلابه ، فقصد وفد منهم الى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر ورفعوا اليه هذا الامر واستنزلوا عونه فى إزالة العنت الذى يلقاه المسلمون فى جنوب السودان . فوجدوا من فضيلته كل عناية بهذا الموضوع ، وأرسل الى كل من حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء وحضرة صاحب المعالى حاكم السودان كتابا يبلغه فيه استياء المسلمين مما بلغهم عن إخوانهم فى جنوب السودان ، ويرجوه العمل على رفع الحيف عنهم . وهذا نص ما كتبه فضيلته الى كل منهما :

الى رئيس الوزراء

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء .

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد جاء فى عدد جريدة السودان الصادر بتاريخ ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٦ ما ملخصه أن المبشرين فى جنوب السودان يتمتعون بحماية الحكومة لهم ، وبالسلطة التى تخولهم إبعاد من يريدون إبعاده من التجار او الموظفين الذين يرونهم غير مرغوب فيهم من وجهتهم التبشيرية ، وأن المسلمين الموجودين هناك يلقون غبنا وضيقا فى سبيل إقامة شعائر دينهم ، وقد وضعت الحكومة القواعد الآتية :

١ — حرمان المتزوج من الجنوب من أخذ زوجته وأولاده عند مغادرته جنوب السودان .

٢ — منع المسلمين من الاذان للصلوات الخمس .

٣ — جعل بطالة عيدى الفطر والأضحى يوما واحدا ، وبطالة العيد المسيحى أربعة أيام .

٤ — مساعدة المبشرين بالمال الذى يدفعه المسلمون للحكومة .

وقد نقلت جريدة المصرى فى عددها الصادر بتاريخ ٣٠ الجارى مانشرته جريدة السودان ، وقد أثارهذا موجة من السخط العام من علماء الأزهر وتلاميذ الكليات والمعاهد ، وترتب على ذلك أن اضطربت الدراسة وخرج التلاميذ فى مظاهرة الى إدارة الأزهر .

وإذا صح هذا فانه مدعاة للعجب والاستغراب ، لأنه إذا لم يكن للدين الاسلامى حق التفضيل لاعتبارات كثيرة فلا أقل من أن يكون أهله على قدم المساواة مع أهل الأديان الأخرى يتمتعون بحق إقامة الشعائر جهارا ، وبحق الدعوة اليه ، ويتمتعون بالاقامة والسفر بصاحبة أولادهم وزوجاتهم عند رحيلهم . وإذا صح أن الضرائب التى تجبى من الرعية وأكثرهم مسلمون يعطى منها المبشرون شيئا للمساعدة على نشر دينهم ، كان ذلك موضوعا للتأمل الطويل والتفكير العميق . وإنى لأرجو من دولتكم إعطاء هذا الموضوع حقه من العناية والبحث الجديرين به ، وأرجو أن تصلوا الى حل يحقق الآمال ويزيل هذا القلق المستولى على النفوس . والله يتولى توفيقكم وعونكم .

ومع هذا عدد من جريدة السودان المشار اليه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

من الأستاذ الأكبر الى الحاكم العام :

حضرة صاحب المعالى حاكم السودان العام بالخرطوم .

نشرت جريدة السودان بتاريخ ٢٥ الجارى أخبارا مزعجة خاصة بالمبشرين جنوب السودان وبالتعليم . وقد استاء الازهر علماؤه وطلابه استياء تاما حتى اضطربت الدراسة بسبب ذلك .

وإذا صح هذا فانى أحتج باسم الازهر ، وأرجو وقف هذه الاعمال ، وجعل الاسلام فى جميع بلاد السودان يتمتع أهله بالحرية فى السفر والاقامة ، وباقامة الشعائر الدينية حتى تهدأ الخواطر وتستقر الامور .

من رئيس الوزراء الى الحاكم العام :

وقد أرسل حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة الى حاكم السودان العام البرقية الآتى نصها :

نشرت جريدة السودان بتاريخ ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٦ ونقلت عنها الجرائد المصرية عبارة تتلخص فى أن المبشرين يتمتعون فى جنوب السودان بحماية الحكومة السودانية ، والسلطة فى إبعاد من يرون إبعاده من التجار أو الموظفين غير المرغوب فيهم من وجهتهم التبشيرية ، وأن المسلمين هناك يلقون عنتا وتضييقا فى سبيل إقامة شعائر دينهم ، وأن الحكومة وضعت لهم القواعد الآتية :

١ — حرمان المتزوج من جنوب السودان من أخذ زوجته وأولاده عند مغادرته جنوب السودان .

٢ — منع المسلمين من الأذان للصلوات الخمس .

٣ — جعل بطالة عيدى الفطر والأضحى يوما واحدا وبطالة العيد المسيحى أربعة أيام .

٤ — مساعدة المبشرين بالمال الذى يدفعه المسلمون للحكومة .

وقد أثارت هـذه الأنباء ثائرة الرأى العام المصرى ، وعلى الخصوص علماء الأزهر وطلابه وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الازهر . فارجو إفادتى عن حقيقة الامر فيما نشر ، وما اتخذ تموه معاليكم بشأنه من الاجراءات .

رد الحاكم العام .

وقد تلقى مقامه الرفيع من معالى الحاكم العام الرد الآتى :

ردا على برقيـة مقامكم الرفيـع بتاريخ أمس يسرنى أن أكون قادرا على أن أقرر لـكم أن البيانات التى نشرتها الصحف وأشرتم اليها بيانات خاطئة ومضللة للغاية ، وأنه ليس صحيحا على الخصوص الادعاء بأن أفرادا قـد حرموا فى أى جزء من أجزاء السودان حـرية القيام بشعائرهم الدينية ، وكذلك الادعاء بأن بعض الهيئات الخاصة أو الدينية قـد خولت مباشرة سلطة إدارية .

أما ما فرض فى جنوب السودان من القيود المحليـة على صغار التجار وأمثالهم فقد قصد به منع استغلال الاهالى الذين هم فى أبسط حالات الفطرة استغلالا غير مشروع . وهذه القيود تتناقص بالتدريج .

سايمس حاكم عام

السودد فى الجاهلية والاسلام

حدث ابن الـكلبى قال : قال لى خالد القسرى : ما تعدون السودد ؟ قلت : أما فى الجاهلية فالرياسة ، وأما فى الاسلام فالولاية ، وخير من ذا وذلك التقوى .

قال خالد : صدقت ، كان أبى يقول : لم يدرك الأول الشرف إلا بالعقل ، ولم يدرك الآخر إلا بما أدرك به الأول .

قلت له : صدق أبوك ، إنما ساد الأحنف بن قيس بحلمه ، ومالك بن مسمع بحب العشيرة له ، وقتيبة بن مسلم بدهائه ، وساد المهلب بهذه الخلال كلها .

قال الأصمعى : قيل لأعرابى يقال له منتجع بن نبهان : ما السميدع ؟ قال : السيد الموطأ الاكناف .

أسرار التشريع الاسلامى وفلسفته

نظام الوقف فى الاسلام أيضا

عرضنا فى البحث السابق لما يجب توفره فى انعقاد تصرف الوقف صحيحا من الشرائط المصححة لصيغته التى يتأدى بها المعنى المراد من الواقف لتكون هذه الشرائط منضمة الى شرائط الأركان التى اشترطها علماء الفروع لتحقق إشهاد الوقف مستوفية جميع أركانه .

والآن نعرض للكشف عما يجب توفره من شرائط فى الجهة الموقوف عليها ، ليتسق البحث على وتيرة واحدة ، وليجرى على سنن لا لبس فيه ولا إبهام : فما لا مراء فيه أن علماء الفروع اشترطوا لصحة الجهة الموقوف عليها شروطا كثيرة ، غير أن فريقا من الفقهاء المتقدمين عنى بحصرها فى خمسة شروط حتى اعتبر ما عداها راجعا اليها فى حقيقة أمره ، فاشترطوا فى الجهة الموقوف عليها : أن يكون صرف غلة الوقف اليها قربة فى ذاته ، وأن يكون الواقف قصد بها كذلك .

ومعنى أنه قربة فى ذاته ، أن يكون من حيث مظهره وصورته راجعا الى مرد من الشريعة وموئل من قواعد الفقه الاسلامى ، فلا بد إذن من اعتبار القربة الى الله أساسا لصرف غلة الوقف . وقد فرع صاحب البحر الرائق على هذا الشرط ، أن الوقف على الأغنياء دون الفقراء لا يقع صحيحا . وظاهر من عدم وقوعه صحيحا أن ليس فيه الى الله قربة ظاهرة من جهة الواقف ، وكل ما هنالك أن يعتبر صرف الغلة اليهم جاريا مجرى الهبة ، فالمفروض فى الوقف أن يكون قد قصد به الواقف سد عوز فريق من المحتاجين ، وصونهم عن ذل الفاقة والمسألة ، والأغنياء ليسوا كذلك فى هذا الاعتبار . فلو قال الواقف فى هذه الصورة : أرضى صدقة على بنى فلان أو أسرة فلان وكانوا أغنياء أو أكثريتهم كذلك ، ثم ثبت عجز الواقف عن إحصائهم عددا لحصول

الجهالة بكمية أفرادهم وسائر الجهات التى يقيمون فيها ، لا ينعقد الوقف ، ووقع باطلا لعدم تحقق القربة ، أما إذا أحصاهم الواقف حال قيام اليسار بهم أو بأكثريتهم ، وقع الوقف صحيحا ، لأنه يعتبر مسميا لهم بأعيانهم ، ودالا عليهم بوصفهم العنوانى ، وفى هذه الحالة المقابلة يصرف من بعدهم للفقراء .

وقد وضع علماء الفروع لهذه الصورة ومقابلها ضابطا ، فقالوا : الواقف حين يريد ضبط إشهاد بوقفه إما أن يعين لوقفه مصرفا تصرف فيه غلته أولا ، فإن حبس الواقف الموقوف مرسلا عن الجهة الموقوف عليها ، كان مصرفه للفقراء إطلاقا ، إلا إذا قضى العرف بالتسوية بينهم وبين الأغنياء فى الانتفاع بالموقوف ، كأن يكون الموقوف من المنافع العامة ، كوقف المدارس وكتب العلم والمصاحف والطواحين والآبار والملاجئ والمستشفيات والمقابر والسقايات على الظاهر ، فإن الأغنياء والفقراء متساوون فى الحاجة بالانتفاع بهذه المرافق عرفا ، كما تدل عليه كتب القوم ، ولا يوجد فى أوضاعهم ماينفيه ، وإما أن يذكر الواقف لوقفه مصرفا ، فإن كان محتملا للانقطاع بأن كان المصرف من حيث أفراده لايحصى عددا فلا بد أن يذكر فى إشهاد وقفه ما يدل على حاجة الموقوف عليهم الى صدقته ، دلالة لفظية كالفقراء والمساكين ، أو استعمالا بحسب العرف كاليتامى والزمنى وأبناء السبيل وطلبة العلم ، فإن هذه الألفاظ وإن كانت مشتركة بين الغنى والفقير غير أن عرف الواقفين بنوع خاص قد قيدها بالفقراء لشيوع الفقر فى هؤلاء بعجزهم عن الكسب ، وفى هذه الحالة تصرف الغلة الى الفقراء دون سواهم .

ونقل صاحب الأشباه والنظائر خلافا بين أئمة المذاهب فى حد ما لا يحصى عددا فى الجهة الموقوف عليها ، فعن محمد رحمه الله تقدير ما لا يحصى بعشرة ، وعن أبى يوسف رحمه الله أنه مائة ، وقيل أربعون ، وقيل ثمانون ، وحقق صاحب البدائع أن الأحوط أن يفوض فى حده الى تقدير الحاكم .

أما إذا تجرد إشهاد الوقف عن التنصيص على الحاجة لا حقيقة ولا استعمالا ، كأن وقف الواقف عينا على الرجال أو النساء أو على المسلمين فى فلسطين أو شبه جزيرة

العرب ، وقع الوقف باطلا ، لأن اللفظ فى هـذه الصورة مشترك بين الغنى والفقير ، وليس بسائغ أن يصرف الى أحـدهما دون الآخـر لأنه ترجيح بلا مرجح ، ولا الى الصنفين معا لأنه يلزم عنه أن يكون الصرف اليهما هبة وصـدقة . وقـد أسلفنا وجوب أن يكون الصرف قربة ، هذا خلف .

فإن احتمل المصرف الانقطاع ، صح الوقف ، وإن لم يكن فيـه ما يشعر بحاجة الموقوف عليهم الى الانتفاع بغلته يستوفيه الغنى والفقير ، وذلك كما إذا وقف على أولاده من بعده ، فإنه يصرف اليهم ، فإذا انقرضوا صرفت غلته الى الفقراء .

ثم إن علماء الفروع رتبوا على عدم وقوع الوقف صحيحا فى حالة ما إذا كان الموقوف عليه غير منقطع ، أن الواقف لو قال : وقفت أرضى هـذه على الأغنياء من طلبة العلم ثم للفقراء من بعدهم ، لم يقع الوقف صحيحا ، ضرورة أن أغنياء طلبة العلم لا ينقطعون فى زمن من الأزمان ، فكأنه وقف عليهم أرضه دون سواهم ، وهو غير جائز شرعا .

وقد حكى صاحب كتاب أنفع الوسائل أن من تفاريع اشتراط القربة الى الله لتحقق معنى الخير المقصود من الوقف ، صحة وقف المسلم على فقراء أهل الذمة ، ووقف الذمى على فقراء المسلمين أو فقراء أهل الذمة من غير دينه ، لتحقق الشرط فى هذه الصور . فما هو جائز للمسلم شرعا أن يتصدق على فقراء أهـل الذمة ، كما يجوز لأهـل الذمة أن يتصدقوا على فقراء المسلمين ، لاعتقاد أهل الذمة أن فى التصدق قربة الى الله .

وقصارى القول فى وقف الذمى أن ما كان وقفه أو الجهة الموقوفة عليه فيه قربة ، يصح وقفـه ، والوقف عليه عندنا وعندهم . وما كان قربة عندنا فقط أو عندهم فقط ، لا يصح وقفه ولا الوقف عليه .

ويترتب على ذلك الضابط أن الذمى لو جعل داره بيعة أو كنيسة ثم بعد ذلك وقفها أو وقف أرضـه على البيع والـكنائس أو على فقراء أهـل الحرب أو على القساوسة والرهبان الذين فى كنيسة كذا أو على القائمين بشئون الـكنيسة ، لم يقع هذا الوقف صحيحا ، لأن هذا التصرف وإن كان فى اعتقاده قربة لـكنه ليس قربة عندنا .

ونقل العلامة صاحب المجموع من أثبات فقهاء المالكية أن الإمام مالكا رضى الله عنه يرى بطلان وقف الذمى إذا وقف على البيع والكنائس وأهل الحرب والقساوسة والرهبان وموظفى الكنيسة ، ونقل عن الامام ابن رشد أنه لايرى انعقاد وقف الذمى فى حالة ما إذا وقف على فقراء أهل الكنيسة . وتابعه فى ذلك عياض من بعض الوجوه ، وإذاً يكون له حق التصرف فيما وقفه بالبيع والشراء وسائر التصرفات الناقلة الملكية ، وإذا مات يورث عنه .

أما إذا وقف الذمى أرضه أو داره على فقراء أهل الكنيسة فإن الوقف فى هذه الحالة يقع صحيحا لأنه قصد الصدقة فى وقفه ، ولم يدر بخلده أنه قصد بهذا التصرف إعلاء شأن دينه والغض من الأديان الأخرى ، على ما حققه صاحب الاسعاف .

وكذلك إذا وقف الذمى داره على كنيسة ثم إذا خربت فى مستقبل الزمن تكون للفقراء أو لجهة بر أخرى ، فإن الوقف فى هذه الحالة يقع صحيحا ، غير أن الريع يصرف ابتداء الى الفقراء أو الى جهة البر التى عينها فى كتاب وقفه .

ويستنبط من كلام أبى يوسف منقولا عن البحر أنه لا فرق عنده بين أن يقول الذمى فى كتاب وقفه : أرضى هذه صدقة موقوفة على البيع أو الكنائس ثم يسكت ، وبين أن يقول : موقوفة على البيع أو الكنائس ثم من بعدها للفقراء لوقوع الوقف صحيحا فى الصورتين ، ضرورة أن المرعى فى الوقف هو الصدقة ، وخلو الصيغة من الفقراء لا يفوت هذا القصد ، فهم المعنيون فى نوايا الواقفين ، وهم المقصودون عند رواد الخير وطلاب الجزاء .

أما الكشف عن بقية هذا البحث الطريف وآراء الفقهاء فيه على اختلاف مذاهبهم وما هو الحق من كل هذه الخلافات ، فوعدنا به العدد التالى ، إن شاء الله ؟

عباس طه
المحامى الشرعى

لماذا اعتنقت الاسلام ؟

(فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِى السَّماءِ)

هذا ملخص فصل مقتبس من كتاب عنوانه (فى طريقى الى الاسلام) وضعه حضرة النابه الدكتور احمد نسيم سوسه الذى كان إسرائيليا عراقيا وأسلم عن اقتناع وبحث . فرأينا أن نختار من كتابه ماذكره عن سبب إسلامه ، وهو دكتور فى الفلسفة من جامعات الولايات المتحدة بأمريكا . قال :

يرجع ميلى الى الاسلام الى ما قبل ثلاث عشرة سنة حينما شرعت فى مطالعة القرآن الكريم للمرة الأولى فى عهد دراستى فى الجامعة الأميريكية البيروتية ، فولعت به ولعاً شديداً ، وانصرفت الى تلاوته مستعينا بالكتب المزوّدة بحواشى التفسير لفهم معناه حتى أهملت البعض من دروسى المدرسية الأخرى ، وكنت أطرب لتلاوة آيات القرآن ، وكثيراً ما كنت أنزوى فى مصيفى تحت ظل الأشجار وعلى سفح جبال لبنان فأمكث هناك ساعات طوالا أترنم بقراءته بأعلى صوتى . إلا أنى لم أفكر فى أمر اعتناق الاسلام إلا بعد أن قضيت فى أميريكا بضع سنوات ، ودرست فلسفات الأديان ، وتوغلت فى المواضيع التاريخية الاجتماعية حتى أدركت كثيرا من الأمور الغامضة التى كان يصعب علىّ حلها ، وفى الوقت نفسه إنى أعتقد بأن محيط أميريكا الذى تتجلى فيه الحياة الديمقراطية بأجلى بيان قد يستميل المرء الذى فطر على حب الحرية والسذاجة الى الانقياد الى تعاليم الدين الاسلامى المشبع بروح الديمقراطية الحقة والحرية والبساطة ، فأستطيع أن أقول بدون تردد بأنى مسلم شعورا وموطنا منذ نعومة أظفارى ، وقد يكون لتأثير ذلك النصيب الأكبر فيما دفعنى لأن أنفض عنى غبار الميراث من الدين والعنصر ، وأن أسبر أغوار الحقيقة لأهتدى بأنوارها الى المذهب الصحيح الحنيف ؛ إلا أنى يجب أن أعترف فى الوقت نفسه بأن الميل الفطرى لم يكن

مستندا على ما يقره الاستقراء العلمى والتمحيص الفكرى والتجارب الشخصية ، وما أعظم سرورى الآن حين جاء الاستدلال العلمى الصحيح مؤيدا الميل الفطرى ، فانتميت الى الدين الاسلامى بدافع طبيعى غريزى ، وبتأييد علمى تمحيصى ، فأصبحت بذلك مسلما شعورا وموطنا ودينا .

ومن الغريب أن العقيدة السائدة بأن كل من تعلم تعلما راقيا أصبح ملحداً بطبيعة الحال قد تمكنت فى إذهان شبابنا المثقفين بحيث أصبح الكثير يستغربون ويدهشون إذا أظهر أحد المتعلمين ظاهرة دينية أو تطرق الى البحث فى هذا الموضوع ، وأرى لزاما علىّ أن أبحث فى مقدمتى هذه ولو بصورة مقتضبة فيما أورده بهذا الصدد أحد أصدقائى بعد أن أعلنت له رغبتى فى اعتناق الاسلام إذ قال فى كتابه : « إنى لأشعر بخطورة رغبتك هذه لا سيما أنها جاءت فى القرن العشرين ، فى القرن الذى طغت فيه المادة وسادت فيه الملموسات ، وهى بنت فكر شخص عاش فى بيئة أمريكية ، وأنه من حملة الدكتوراه » .

وكأنى بصاحبى قد يخيل له أن من اكتسب علما حديثا وجب عليه طرح ناحية الدين جانبا والانصراف الى ما فى الحياة الدنيا من أعمال مثمرة ملموسة . وما أخطأ هذا الظن وأخطره على مصير مجتمعنا ! ما هو العلم ؟ ! أو هل يقتصر على تدريبنا لإنشاء المشاريع العمرانية فحسب ؟ أنا لا أنكر أن العلم قد نستفيد منه ونستعين به فى مشاريعنا الفنية ، ولكن أهى هذه الغاية من العلم ؟ ! أليست هذه المشاريع واسطة لا غاية ؟ ! إذن للعلم غاية سامية يرمى اليها صاحبه هى غير الأعمال الميكانيكية المادية ، وما هى هذه الغاية ؟ إن الغاية المهمة من العلم الراقى هى بنظرى تنبيه حس الطموح فى صاحبه الى استكشاف الحقائق والتدقيق والتمحيص ، سواء فى مجالات التفكير الروحى المعنوى أو فى منطقة الأعمال الملموسة لإدراك هذه الحقائق وإذاعتها ، فيستفيد منها المجتمع فى سبيل التعاون والتعاضد للنهوض بالانسانية الى أسنى درجات الكمال ؟

احمد نسيم سوسه
(دكتور فى الفلسفة)

لحضرات المشتركين

رغبة منا فى تنظيم علاقات وكلاء مجلة الازهر بقلم حساباتها ، رأينا أن نجعل بدل الايصالات المؤقتة التى يسلمونها للمشتركين إيصالات نهائية مذيلة بخاتم لنا خاص بالمجلة ، على الصورة التى يرونها فى نهاية هـذا الاعلان . وكل إيصال ليس عليه هـذا الخاتم لا تعتد به إدارة المجلة بعد تاريخ هذا الاعلان . فنرجو حضرات المشتركين ملاحظـة ذلك بكل دقة ، ولهم منا الشكر الجزيل ؟

مدير مجلة الازهر

محمد فريد وجدي

كتب جديدة

فاروق الاول :

أصدرت مجلة الهلال القيمة ملحقها لهذه السنة جعلت عنوانه اسم حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الاول ، وموضوعه سيرة جـلالته مدبجة بقـلم حضرة الاستاذ الالمعى الاديب طاهر افنـدى الطناحى سكرتير تحريرها ، وقد تناول سيرة جلالته العطرة من يوم ميلاده السعيد الى يومنا هذا ، فلم يدع صغيرة ولا كبيرة من هـذا الموضوع الشائق الممتع إلا ذكرها محلاة بالصور الأنيقة المعجبة .

لاشك فى أن هذه السيرة الجليلة ستحدث أبلغ الآثار فى الشبيبة المصرية من جهة القدوة الحسنة ، والمثل الأعلى ، فاذا كنا نـكد عقولنا وأقلامنا لتجلية هذا المثل الأعلى ، فان جلالة الملك يمثله للامة بالقيام عليه ، والعمل أبلغ تأثيرا من القول ، فلجلالته الفضل الاول فيه ، لا زال يحـدو جلالته التوفيق ، وتـكلؤه العناية الالهية ، حتى يبلغ أمته قمـة المجد ، وغاية السودد .

خلاصة الـكلام فى أركان الاسـلام :

هذا كتاب ألفه الاستاذ النابه على فكرى افندى ، الامين الاول بدار الـكتب المصرية سابقا ، فى أركان الاسلام وعباداته على المذاهب الأربعة . وقد أحصى جميع مايجب على الانسان أن يعرفه منها فى عبارة طلية خالية من التعقيد ، كـكل ما وضعه من المؤلفات القيمة . وقد وقع فى نحو ثلاثمائة صفحة ، مرتبة ترتيبا يكفل سهولة الرجوع الى كل مسألة منه عند الحاجة . فنشكر لحضرة المؤلف المجتهد هذه الخدمة ، ونرجو له التوفيق للمزيد منها .

وقد عنيت بطبعه مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده طبعا متقنا على ورق جيد .

ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث :

هـذا كتاب صنفه العالم الجليل عبد الغنى النابلسى المتوفى بدمشق سنة ١١٤٣ لتسهيل

الكشف عن الاحاديث في الكتب الستة : (البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه) وموطأ مالك .

قال رحمه الله : « إن أردت الاستخراج منه فتأمل في معنى الحديث الذي تريده في أي شيء هو ، ولا تعتبر خصوص ألفاظه ، ثم تأمل الصحابي الذي عنه رواية ذلك الحديث ، فقد يكون في السند عن عمر أو أنس مثلا ، والرواية عن صحابي آخر مذكور في ذلك الحديث ، فصحح الصحابي المروي عنه ، ثم اكشف عنه في محله تجده إن شاء الله » .

هذا الكتاب يقع في أربعة أجزاء ، أحضر فضيلة الأستاذ الشيخ احمد شاكر نسخته من الحجاز ، وقامت بطبعه جمعية النشر والتأليف الأزهرية ، وهو أثر جليل من آثارها نرجو أن يجد مكانه من كل مكتبة يعنى صاحبها بالبحث في الأحاديث النبوية .

التشريع الاسلامي :

مصادره ، قواعده العامة ، مزاياه ، الفقه الاسلامي والقانون الروماني ، الخ . هذه موضوعات بحثت في هذا الكتاب بحثا مدققا مستفيضا ، ولا غرو فواضعه الاستاذ الجليل المدقق حسن أحمد الخطيب مدرسها بدار العلوم ، وقد رتبه ترتيبا جميلا بحيث تنادي فيه المباحث لطالبها كأنها تتطلبه وهو يتطلبها . فنثني على همته ، ونرجو لكتابه الذيوع الذي يستحقه .

تهذيب الكفاية في علم الفقه على مذهب الشافعي :

هذا كتاب وضعه فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد كامل الخضري المدرس بمعهد دمياط ، وقد أهداه لحضرة صاحب الفضيلة الامام الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر ، وهو جدير بأن يهدى لمثله .

أما موضوعه فهو تهذيب كتاب كفاية الأخيار ، لتقي الدين أبي بكر بن محمد الحصني ، وقد وكل اليه تدريسه ، فوجد أن تحصيله شاق على الطلاب لتشتت مسائله ، وصعوبة عباراته ، قال : « فرأيت أن أجمع كتابا موجزا يشتمل على ما في الكفاية بعبارة سهلة مع ذكر أحاديث الاحكام واستيفائها وتتميم بعض المسائل وزيادة كثير من الفوائد » الخ

وقد وفى الاستاذ بما وعد ، فجاء كتابه منهلا عذبا للواردين . ولو حذا حذوه كل مدرس في المعاهد فأعاد صياغة الكتب القديمة وتهذيبها على هذا النحو ، لتم لنا إحداث انقلاب خطير في التعليم الديني ، بتقريبها من النظام الذي ألفه المعاصرون ، وأمكن الكافة تناول العلم الأزهري من مصادره الاولى دون تكلف لا نفاق وقت طويل في تفهم أساليبها . وبذلك يتم لنا نقل كتب أئمتنا الاولين دون التعرض لدور انتقال قد يكون شاقا وطويلا على الكثيرين .

لدينا كتب أخرى أرجأنا الكلام عليها للعدد المقبل لضيق المقام .

CHAPTER 9	- ٩ -
May one polluted by sexual intercourse immerse his hand in the ghusl-vessel before washing it, when it hath no dirt upon it apart from the ritual pollution of sexual intercourse?	**بَابٌ : هَلْ يدخلُ الجُنُبُ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ قَبْلَ أَنْ يَغْسِلَهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَى يَدِهِ قذرٌ غَيْرُ الجَنَابَةِ ؟**
Ibn ᶜUmar and Al-Barâʾ b. ᶜAzib immersed their hand in the purification-water without *first* washing it, and then performed their wuḍûʾ;	وَأَدخَلَ ابنُ عُمَرَ وَالبَرَاءُ بنُ عَازِبٍ يَدَهُ فِي الطَّهُورِ وَلَمْ يَغسِلهَا ثُمَّ تَوَضَّأ .
Ibn ᶜUmar and Ibn ᶜAbbâs saw no harm in water used *by one* for his ghusl after sexual intercourse, splashing back into the vessel.	وَلَمْ يَرَ ابنُ عُمَرَ وابنُ عباسٍ بَأساً بِمَا يَنْتَضِحُ مِنْ غسلِ الجَنَابَةِ :
1. We are informed by ᶜAbdullâh b Maslamah, who had it from Aflaḥ, through Al-Qâsim, through ᶜAʾishah, who said:	١ ـ حدثنا عبد الله بن مسلمة أخبرنا أفلح عن القاسم عن عائشة قالت :
"I used to perform my ghusl [1] together with the Prophet (Allâh bless him and give him peace) from the same vessel, in which we took turns in immersing our hands."	«كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا والنبيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ تختلفُ أَيدِينَا فِيهِ»
2. We are informed by Musaddad, who had it from Hammâd, through Hishâm, through his father, through ᶜAʾishah, who said:	٢ ـ حدثنا مسدد قال حدثنا حماد عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت :
"When the Prophet (Allâh bless him and give him peace) was about to perform the ghusl required after sexual intercourse, he used to wash his hand *first* [2]"	«كَانَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الجَنَابَةِ غَسَلَ يَدَهُ» .

(1) — required after sexual intercourse — according to Muslim.

(2) i.e. before immersing it into the vessel, in case it is soiled.

poured it from his right hand on to his left, and then washed them both. He next washed his member, after which he struck the ground with his hand, rubbed it on the earth and then washed it. Rinsing his mouth, and cleansing his nostrils, he proceeded to wash his face. Then pouring water over his head, he shifted his position and washed his feet. He was finally brought a towel, but he did not dry himself with it."(1)

قَالَ بِيَدِهِ الأَرْضَ فَمَسَحَهَا بِالتُّرَابِ، ثُمَّ غَسَلَهَا، ثُمَّ تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَأَفَاضَ عَلَى رَأْسِهِ، ثُمَّ تَنَحَّى فَغَسَلَ قَدَمَيْهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِمِنْدِيلٍ فَلَمْ يَنْفُضْ بِهَا.

CHAPTER 8.

- ٨ -

On rubbing the hand on the dust *during the ghusl* in order that it may be cleaner.

بَابُ مَسْحِ اليَدِ بِالتُّرَابِ لِتَكُونَ أَنْقَى:

We are informed by Al-Humaidi, who had it from Sufyân, who received it from Al-Aᵉmash, through Sâlim b. Abu-l-Jaᶜd, through Kuraib, through Ibn ᵉAbbâs, through Maimûnah that:

When the Prophet (Allâh bless him and give him peace) performed the ghusl required after sexual intercourse, he washed his member with his hand, which he then rubbed against the wall and washed. After that he performed his wudû' as for prayer, and when he had completed his ghusl he washed his feet.

حدثنا الحميدى قال حدثنا سفيان قال حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن كريب عن ابن عباس عن ميمونة :

«أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم اغْتَسَلَ مِنَ الجَنَابَةِ فَغَسَلَ فَرْجَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ دَلَكَ بِهَا الحَائِطَ، ثُمَّ غَسَلَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلاَةِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ غَسَلَ رِجْلَيْهِ».

---

(1) Either because the towel was not clean, or because wudû' - water has an element of sacredness. Other hadîths show that the Prophet was in the habit of using a towel.

"When the Prophet (Allâh bless him and give him peace) was about to perform the ghusl required after sexual intercourse, he called for a vessel *of water* equivalent to a milking-pail. He then took a handful of water from it, and began with the right side of his head, proceeding likewise with the left. Next he took *a third scoop of water* with both hands and poured (1) it over his head."

«كَانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا اغتَسَلَ مِنَ الجَنَابَةِ دَعَا بشَىْءٍ نَحْوَ الحِلاَبِ فَأَخَذَ بِكَفِّهِ فَبَدَأَ بِشِقِّ رَأْسِهِ الأَيْمَنِ ثُمَّ الأَيْسَرِ فَقَالَ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ».

CHAPTER 7.

- ٧ -

On rinsing the mouth and cleansing the nostrils in performing the ghusl required after sexual intercourse. (2)

بَابُ المَضْمَضَةِ والاسْتِنْشَاقِ فِى الجَنَابَةِ :

We are informed by 'Umar b. Hafs b. Ghiyâth, who had it from his father, who received it from Al-A'mash who was told it by Sâlim, through Kuraib, through Ibn 'Abbâs, to whom it was related by Maimûnah, who said :

حدثنا عمر بن حفص بن غياث قال حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال حدثنى سالم عن كريب عن ابن عباس قال حدثتنا ميمونة قالت :

"I once poured out ghusl-water for the Prophet (Allâh bless him and give him peace). He first

«صَبَبْتُ للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم غُسْلاً فَأَفْرَغَ بِيَمِينِهِ عَلَى يَسَارِهِ فَغَسَلَهُمَا ثُمَّ غَسَلَ فَرْجَهُ ثُمَّ

(1) The word قال is often used figuratively to denote actions other than speaking, as قال بيده (he took), قال برجله (he walked). Houdas and Marçais appear to have mistaken this idiom.

(2) Al-Bukhârî's purpose in giving this chapter is to draw the inference that the cleansing of the mouth and nostrils in performing the ghusl is optional and not obligatory.

We are informed by Mûsa, who received it from ᶜAbd-ul-Wâhid ,through Al-Aᶜmash, through Sâlim b. Abu-l-Ja ᶜd, through Kuraib, through Ibn ᶜAbbâs, who stated that Maimûnah said :

حدثنا موسى قال حدثنا عبد الواحد عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن كريب عن ابن عباس قال : قالت ميمونة :

" I placed water before the Prophet (Allâh bless him and give him peace) for his ghusl. He washed his hands two or three (1) times, after which he poured water into *the hollow* of his left hand and washed his parts. Then after rubbing his hand on the ground, he rinsed his mouth, cleansed his nostrils, and washed his face and hands. Next he let water flow over his body, and then shifting his place, washed his feet."

« وَضَعْتُ للنبيّ صلى الله عليه وسلم مَاءً لِلْغُسْلِ فَغَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً، ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَى شِمَالِهِ فَغَسَلَ مَذَاكِيرَهُ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَى جَسَدِهِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ مِنْ مَكَانِهِ فَغَسَلَ قَدَمَيْهِ ».

CHAPTER 6.

— ٦ —

On one who beginneth his ghusl by using water from a milking-pail (2) or by using perfume.

بَابُ مَنْ بَدَأَ بِالْحِلَابِ أَوِ الطِّيبِ عِنْدَ الْغُسْلِ :

We are informed by Muhammad b. Al-Muthannâ, who had it from Abu ᶜAsim, through Hanzalah, through Al-Qâsim, through ᶜAᵓishah, who said :

حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا أبو عاصم عن حنظلة عن القاسم عن عائشة قالت :

---

(1) The narrator is doubtful as to which.

(2) The word حلاب (milking-pail) has given rise to some controversy. The hilâb is literally a measure of capacity equal to eight rotls, or one milking of a she-camel. Some commentators prefer to read جلاب a word of Persian origin meaning rose-water, which is more in conformity with other hadiths of ᶜAᵓishah, which show the Prophet using perfume before the ghusl But since the text of the hadith makes no reference to perfume, other commentators prefer to take حلاب to mean water-vessel and الطيب as cleanliness or sweetness in general.

"The Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to pour three scoops of water over his head." (1)

«كان النبي صلى الله عليه وسلم يفرغ على رأسه ثلاثاً».

3. We are informed by Abu Nuʿaim, who had it from Maʿmar b. Yahyâ b Sâm, who received it from Abu Jaʿfar, who stated that Jâbir said to him :

٣ - حدثنا أبو نعيم قال حدثنا معمر ابن يحي بن سام حدثني أبو جعفر قال : قال لي جابر :

"Thy paternal cousin (2) — alluding to Al-Hasan b. Muhammad b. Al-Hanafiyyah — came to me and asked how the ghusl required after sexual intercourse should be performed. I replied : 'The Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to take three scoops of water in his hands and let them flow over his head, and then pour *more* water all over his body.'

«وأتاني ابن عمك - يعرض بالحسن بن محمد بن الحنفية - قال : كيف الغسل من الجنابة ؟ فقلت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ ثلاثة أكف ويفيضها على رأسه، ثم يفيض على سائر جسده،

'I am a man,' said Al-Hasan to me, 'with abundant hair !' 'The Prophet (Allâh bless him and give him peace),' replied I, 'had more abundant hair than thou.' "

فقال لي الحسن : إني رجل كثير الشعر، فقلت : كان النبي صلى الله عليه وسلم أكثر منك شعراً».

Chapter 5.

- ٥ -

On performing the ghusl once only. (3)

باب الغسل مرة واحدة :

---

(1) For purification after sexual intercourse — according to Al-Ismâʿîlî's narration.

(2) Cousin here is not meant literally, Al-Hasan being in fact the cousin of Abu Jaʿfar's uncle.

(3) The key of this title is to be found in the last sentence of the hadîth — فاض على جسده (he let water flow over his body).

The number of times not being specified, it is taken to imply once only. (Ibn Hajar)

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) and Maimûnah used to perform their ghusl from the same vessel.

«انَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وميمونة كـانـا يَغتَسِلانِ مِنْ إنَاءٍ وَاحِدٍ»

(Yazid b. Hârûn, Bahz and Al-Juddi—the three relating through Shuᶜbah – add قدر صاع measuring the equivalent of a sâᶜ.)

(وقال يزيدُ بن هارون وبهز والجدى عن شعبة «قَدْرِ صَاعٍ»)

Al-Bukhâri states that Ibn ᶜUyainah used to relate this hadith at the end of his life "through Ibn ᶜAbbâs and through him from Maimûnah." The more authentic of the two narrations, however, is that related to us by Abu Nuᶜaim.

قال أبو عبد الله: كانَ ابنُ عيينةَ يقولُ أخيراً «عن ابن عبـاس عن ميمونة» والصحيحُ ما روى أبو نُعَيم.

Chapter 4.

- ٤ -

On one who let water flow over his head thrice.

بَاب مَنْ أفَاضَ عَلىَ رَأسِه ثَلاَثاً:

1. "We are informed by Abu Nuᶜaim, who had it from Zuhair, through Abu Isḥâq, who received it from Sulaimân b. Surad, who was told it by Jubair b. Mutᶜim, who stated that the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said:

١ ـ حدثنا أبو نعيم قال حدثنا زهير عن أبي اسحاق قال حدثني سليمان بن صرد قال حدثني جبير بن مطعم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"For my own part, I let the water flow over my head three times." So saying he went through the action with both his hands.

«أمَّا أنَا فَأُفِيضُ على رَأسِي ثَلاَثاً» وأشار بيديه كِلْتَيْهِمَا.

2. We are informed by Muhammad b. Bashshâr, who had it from Ghundar, who received it from Shuᶜbah, through Mikhwal b. Râshid, through Muhammad b. ᶜAli, through Jâbir b. ᶜAbdullâh, who said:

٢ ـ حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا غُنْدَرٌ قال حدثنا شعبة عن مِخْوَل بن راشد عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال:

Between us and her there was a screen." (1)

وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهَا حِجَابٌ ».

Al-Bukhâri states that Yazîd b. Hârûn, Bahz and Al-Juddi — the three relating this hadith through Shu'bah — use the variant قدر صاع (instead of نحواً من صاع).

قال أبو عبد الله قال يزيد بن هارون وبهز والجُدِّيُّ عن شعبة «قدرِ صاعٍ»

2. We are informed by 'Abdullâh b. Muhammad, who had it from Yahyâ b. Adam, who received it from Zuhair, through Abu Ishâq, who said:

٢ ـ حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا يحيى بن آدم قال حدثنا زهير عن أبي اسحاق قال:

"Abu Ja'far informed me that he was once at the house of Jâbir b. 'Abdullâh, together with his father, there being certain other people present. On being questioned (2) about the ghusl, Jâbir replied: 'A sâ' is enough for thee'. 'No,' replied another man, 'it is not enough for me'. 'It was enough,' said Jâbir, 'for one who had more abundant hair than thou, and was nobler than thou.'

« حدثنا أبو جعفر أنهُ كانَ عِندَ جابِرِ بنِ عبد الله هُوَ وَأبوهُ وَعِندَهُ قَومٌ فَسألوهُ عَنِ الغُسْلِ ، فقال: يَكفيكَ صاعٌ ، فَقالَ رَجلٌ : ما يَكفِيني ، فقالَ جابرٌ : كانَ يكفي مَنْ هوَ أوفَى مِنكَ شَعَراً وَخيرٌ مِنكَ ،

Jâbir then led us in prayer clad in a single garment."

ثُمَّ أمَّنا في ثَوبٍ »

3. We are informed by Abu Nu'aim, who had it from Ibn 'Uyainah, through 'Amr, through Jâbir b. Zaid, through Ibn 'Abbâs that:

٣ ـ حدثنا أبو نعيم قال حدثنا ابن عيينة عن عَمرو عن جابر بن زيد عن ابن عباس:

(1) Both witnesses were of a prohibited degree of affinity, Abu Salamah being 'A'ishah's sister's son and the other her foster-brother, and therefore there was no breach of decorum. The screen allowed only the upper part of her body to be seen, the sight of the lower part being forbidden even to relatives of prohibited degrees of affinity.

(2) — by Abu Ja'far.

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للأستاذ ابراهيم حسن الموجى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

by

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

ON GHUSL

(continued)

CHAPTER 3.

On performing the ghusl with a sâᶜ of water, or its equivalent.

1. We are informed by Abdullâh b. Muhammad, who had it from ᶜAbd-us-Samad, who was told it by Shuᶜbah, who received it from Abu Bakr b. Hafs, who heard Abu Salamah say :

" I and ᶜAᵓishah's brother (1) once entered ᶜAᵓishah's apartments, when he questioned her on the manner in which the Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to perform the ghusl. So she called for a vessel containing the equivalent of a sâᶜ of water, and performed the ghusl letting the water flow over her head.

كتاب الغسل (تابع ما قبله)

-٣-

بَابُ الغُسْلِ بِالصَّاعِ وَنَحْوِهِ :

١ ـ حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنى عبد الصمد قال حدثنى شعبة قال حدثنى أبو بكر بن حفص قال سمعت أبا سلمة يقول :

« دَخَلْتُ أنا وَأَخُو عَائِشَةَ عَلَى عائِشةَ ، فَسَأَلهَا أخوها عَنْ غُسْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فدَعَتْ بإِنَاءٍ نَحْواً مِنْ صَاعٍ فَاغْتَسَلَتْ وَأَفَاضَتْ على رأسِهَا ،

(1) Foster-brother, namely ᶜAbdullâh b. Yazîd Al-Basri, according to Muslim.

بسم الله الرحمن الرحيم

الروح الاسلامية ومدى تأثيرها

فى النفس البشرية

— ٨ —

المقومات الخلقية

خلق الله الكائناتِ الحيوانيةَ وطبع كل جنس منها على ما به تصان حياته الشخصية والنوعية ، وما عليه تقوم سعادته النفسية والمادية ، فهو يجرى من محاولاته على قانون لا يتعداه ، وسنة لا يستطيع عنها حولا ، إلا الانسان فانه لقيام أمره على التعقل والاسترشاد ، ولارتباط كماله بتحرى الأصلح والأفضل من الأمور ، أطلقت له حرية النظر والاستدلال والاختيار . وما خلقه الله على هذا النحو إلا لأنه قد بنى وجوده على الارتقاء والسمو الى درجات لا يصل اليها الخيال ، فى كل ضرب من ضروب الكمالات الصورية والمعنوية ، حتى إن أبعد المتأملين خيالا عجزوا عن معرفة الحد الذى يقف عنده فى تدرجه الى الكمال .

وكيف يصلون الى معرفة هذا الحد ، وقد منح قوى عقلية وروحانية لا يمكن تقديرها بحال من الأحوال . فهو كلما وصل الى غاية تراءت له غايات أبعد منها ، وتيقظت فيه عوامل جديدة للوصول اليها ، ما كان يتخيل وجودها فى نفسه . حتى قيل إن كل ما يروى عن الخوارق التى تحدث على أيدى أفراد من الممتازين ، ستصبح أمورا عادية لأهل الأزمان المستقبلة ، فيقرأ بعضهم ما يجول فى ضمائر بعض ، ويعرف أحدهم ما يفعله صاحبه وهو على بعد آلاف من الأميال ، ويأمر القوى الطبيعية فتطيعه صاغرة ، ويرى بقلبه ما وراء الحوائل الكثيفة الخ الخ ، ويكون وهو فى هذه الحالة قد بلغ من السمو الروحانى الى درجة لا يفترق بها عن سكان الملأ الأعلى فى شىء .

ونحن لا نتعرض لهذه التخيلات بتصديق ولا تكذيب ، ولكننا نلفت القارئ الى ما تشير اليه من توقع الدرجات العلى للانسان ، من جراء ما تبين للباحثين من سمو القوى التى منحها ، وكان من أثرها فى آماد قصيرة الوصول من الناحية المادية الى الدرجة التى وصل اليها الآن ، ومن الناحية الروحية الى ما يروى عن الآحاد الذين عنوا بتربية أنفسهم على الأساليب الدينية الصحيحة .

هذا كله أثر الأخلاق والآداب التى يتبعها الانسان فى تدبير القوى المودعة صميم معناه . أقول فى تدبير القوى ، لأن الأخلاق والآداب المجردة من هذا التدبير لا تثمر شيئا أكثر من حسن السمت ، ولطف المعاشرة ، وهذا ليس بكبير الخطر فى حياة الأمم ، ولا هو مما يغنى عنها شيئا فى مواقفها حيال الطبيعة ، وحيال الجماعات التى تنازعها الوجود والغَلَب . فالانسان كما يطلب منه أن يكون على ضرب من الأخلاق إزاء معاشريه ومواطنيه ، كذلك يطلب منه أن يقوم على ضرب آخر منها أمام الجوائح الطبيعية المساورة له ، وحِذاء الجماعات التى تزاحمه فى مضمار الحياة . وهو إن انقاد لمجرد ميوله الفطرية فى هذه الأمور ، فلا يتأدى الى أكثر مما تأدت اليه الطوائف الساذجة فى أول وجودها على الأرض ، من تأليه القوى الطبيعية والاستخذاء لأفاعيلها ، وبذل الجهد كله فى مكافحة الجماعات المعادية لها ، والعمل المتواصل على إبادتها أو الفناء فيها .

هذا كل ما تعطيه الميول الفطرية غير المقوّمة تقويما علميا ، وقد استمر الانسان على هذه الحال قرونا لا تحصى حتى ولد العلم ، فعين موقف الانسان من الطبيعة ومن الجماعات الانسانية ، كما عينه من المجتمع الذى يعيش فيه ، وألزمه فى كل موقف من هذه المواقف أخلاقا وآدابا تناسب القوى العليا المودعة صميم معناه الانسانى .

هذا ما يفهمه العلم من كلمتى أخلاق وآداب ، أما ما يفهمه البعض منهما وهو ما يقتصر على المخالطة والمعاملة ، فهو ناحية صغيرة من نواحيها ، وليست بذات أثر كبير فى وجودها وترقيها . فلو قامت أمة من أخلاقها وآدابها على مثل ما عليه الكملة الأطهار ،

ولم توسع من دائرة هذه الأخلاق والآداب حتى تشمل سيرتها مع الكون الذى تعيش فيه ، والجماعات التي تنازعها العيش ، هان أمرها على أصغر أمة تعنى بهذه الناحية الثانية من الأخلاق ، وليست من الناحية الأولى على شيء .

فكم قبيل على مثل ما عليه الوحوش الضارية من الخشونة والتجرد عن الأخلاق ، داهموا قبيلا آخر فى أسمى درجات الآداب ، فأذاقوهم صنوف الويل ، ومزقوهم شر ممزق ، وجعلوهم أحاديث .

وكم أمة لا يراعى آحادها الأصول الأدبية المثلى ، ولكنهم على أصول قويمة حيال الوجود والأمم ، قد وصلوا الى قمة المدنية المادية ، ومدوا سلطانهم على مساحات واسعة من الأرض ، ويجاورهم أمم لا هم لها إلا تدارس الآداب وتطبيقها وهى لا تغنى عن أنفسها فتيلا .

من هذا التناقض نشأت شبهات قوية على الحكم الأدبية ، وعلى الأديان معا ، ونجمت مذاهب سقيمة على معنى الحياة ، حتى لقد ذهب المتطرفون منهم الى أن التقيد بالأخلاق الفاضلة ، والآداب العالية ، يعطل من نهوض الأمم ويعرقل حركاتها الى الغايات القاصية من المدنية المادية . فزعموا أن إطلاق العنان للشهوات يدفع بالنفوس لطلب المزيد من المتع الجسدية ، وهذا الإطلاق يحفز الى التوسع فى استغلال المادة ، والى التفكير فى وجوه تسخير قوى الكون للإرادة البشرية ، وهذا لا يكون إلا بدراسة العلوم وتطبيقها على العمل ، والتنقيب عن المساتير وحل معمياتها ، فجملة هذه الحركات النفسية والعلمية يدفع بالمدنية الى الارتقاء ، والتحليق فى أرفع آفاق الابداع .

هذه شبهات يظنها هؤلاء الإباحيون حججا لتبرير مذهبهم ، والحقيقة أن المدنية ليست مدينة لواحد من هؤلاء الشهوانيين بشىء ، وما دعّم قواعدها وأقام صروحها من علم وعمل وفن ، غير أفراد من خيار هذا النوع كانوا على جانب كبير من الاستقامة والنزاهة ، واصلوا أبحاثهم غير مدخرين مالاً ولا صحة ، وكثير منهم ذهبوا ضحايا

لإخلاصهم لتجاربهم . وأمثال هؤلاء يوجـدون فى كل مجتمع تتوافر لهم فيه شروط الحياة وحرية العمل . وإذا كان لثمرات قرائحهم خطر يهددها بالاجتياح ، فهو من ناحية أمثال هـذه المذاهب الإباحيـة . فقد تسلطت على مدنيات اليونان والرومان وغيرهم فأبادتها ، وجعلتها أقاصيص .

وإذا كان لا يمكن تقدم مادى بدون حافز شهوانى ، فكيف نشأت المدنية الاسلامية الباهرة فى بيئة كلها أخلاق وآداب وسمو روحانى ، حتى صارت أساسا للمدنية الأوربية الحاضرة ؟ وهـذه المدنية الحاضرة هـل يتوقع علماء الاجتماع تطرق الخراب اليها إلا من تفاقم شر الشهوات فيها ، كما صرح به كبار قادتها ونقلناه عنهم فى هذه المجلة ؟

فالأخلاق لأجل أن تكون كاملة ، وحاصلة على جميع مقوماتها الضرورية ، يجب أن تكون شاملة لـكل ضروب المعاملات ، والانسان لم يُطلب منه أن يعامل معايشيه ومواطنيه فحسب ، ولـكن يُطلب منه أن يعامل من يتصدى لمعاملته من الناس كافة ، بل ما يعـرض له من الـكائنات كافة ، فهو قبل أن يُدعى لمعاملة مواطنيه دُعى لمعاملة نفسه وجسمه ، وما يحيط به من الموجودات ، ولما تعلقت حاجاته بمخالطة الأمم ، والنظر فى الأجرام السماوية ، والعناصر الأرضية ، تبينت له الحاجة الى نظام عام شامل من الأخلاق والآداب يستهدى به فى كل هـذه الضروب من المعاملات التى تدعوه اليها حياته وارتقاؤه .

وقد كفل الاسلام إقامة صرح هذا النظام الخلقى العام على أقوى أساس من العلم والعمل ، حتى لا يتطرق الوهن الى بنيـة جماعته من أية ناحية من النـواحى ، وحتى يصلح شطره المادى لحماية شطره الروحانى ، فلا يكون عرضة فى كل دور من أدوار الاجتماع لأفاعيل الانقلابات الفـكرية ، والتطورات النفسية . فقرر للانسان حيال كل مايعرض له أخلاقا وآدابا . فما جعله له منها مع نفسه ، أن لايهينها ولا يعرضها للأمراض النفسانية ، وأن يعمل على السمو بها الى أعلى درجات الطهر والنبل ؛ ومما سنه له منها

مع عقله ، أن يغذيه بالمعارف الحقة ، وأن يوسع من دائرة تجاربه الى أقصى حد يمكنه الوصول اليه ؛ ومما فرضه عليه منها مع جسده أن يكرمه بالنظافة ، وأن لا يرهقه فى عمل ، سواء أكان دنيويا أم دينيا ، وأن يلتمس له الصحة من كل مظانها ؛ ومما أوجبه عليه مع الكون أن يتدبر آياته ، ويكشف عن مساتيره ؛ ومع بنى ملته أن يعتبرهم إخوانا ، وأن ينصفهم من نفسه ، وأن يعمل لخيرهم جهده ؛ ومع بنى نوعه أن يحسن اليهم ويبرهم ، وأن يعدل فيهم الخ الخ ، حتى لم يستثن من كل ما هداه اليه من أخلاق ، ما يجب عليه نحو الحيوانات العجم ، والجامدات الصم .

فهذه المجموعة من الأخلاق يقوّم بعضها بعضا ، وهى فى ترابطها وتساندها يتألف منها سياج أدبى يسمح للأمة التى تأخذ به أن تدخل فى جميع ضروب التطورات الاجتماعية والأدبية آمنة من الانحلال والتلاشى . وقد دل تاريخ المسلمين على صدق هذا النظر ، فإن المسلمين فى جميع أدوار قوتهم لم يعترهم ما اعترى الأمم من التراخى فى كيانهم، وإنك لتراهم وهم فى أشد حالات ضعفهم يستعصون على جميع عوامل الانحلال . وهذا الأثر قد أدهش علماء الاجتماع ، فلا فتن المدنية ، ولا غلبة الاستعمار الأجنبى ، ولا انتشار الجهالة فى بعض بيئاتهم ، بصالحة لأن تحل رابطتهم الاجتماعية ، أو تعدو على حالاتهم النفسية . بل تجد أضعف جماعة فيهم عظيمة الثقة بالمستقبل ، قوية الايمان بصلاحيتها لأن تسترد فى يوم من الأيام مجدها الضائع على أكمل وجه . فهذه القوى المعنوية الضخمة فى أشد الحالات الموجبة لليأس ، هى أثر ذلك السياج الخلقى المتين ، الذى برهن فى كل عهد من عهود الانقلابات التاريخية ، على أنه من قوة الاحتمال بحيث تصطدم به أقوى عوامل التحليل فترتد عنه خاسرة .

لا جرم أن هذا أقوى بناء اجتماعى عرفه البشر منذ أن خلق الله العالم الى اليوم ؟

محمد فريد وجدى



سورة لقمان

- ٣ -

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً ، أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ . وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ ٱلنَّعِيمِ . خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ، وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) :

تضمنت فاتحة السورة الكريمة التنويه بآيات الكتاب تجلت عليهم بنورها وهداها ، حتى صارت كالمحسوس يشار اليه ، ويشاهد ما فيه من مزايا تملأ القلب وتبهر اللب ، حتى صارت هى الجديرة بأن تسمى الآيات حقا ، وانحصرت فيها الآيات لا تتجاوزها الى سواها . وأردف ذلك ببيان أنها هدى من الله العليم الحكيم ، ورحمة بالخلق من قبل الرحمن الرحيم ، فمن حقها أن يتسارع الى اقتنائها والتحلى بحلاها . واستدرج الى بيان شأن من وهبه الله الانتفاع بهديها ، وأنه هو المحسن فى عمله الذى ظهرت آثار الهداية على جوارحه ، فهو الذى يقيم الصلاة خاشعا لله ، متشرفا بعبوديته له ، وهو الذى فاضت الرحمة الإلهية على قلبه فرزق العطف على الفقراء والمساكين ، فهو يعطيهم من مال الله الذى آتاه ، فيجمع القلوب على محبته ، ويبادلهم حبا بحب ،

وإخلاصا بإخلاص . ثم هو الذى امتلأ قلبه يقينا بالآخرة ويوم الجزاء ، تيقن من ملاقاته ذلك اليوم العظيم ، يوم تجد كلُّ نفس ما عملت من خير مُحضَرا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ، فهو على هذا اليقين دائم العناية بتهذيب نفسه وتنمية حسناته وتنحية سيئاته ، وهو لهذا اليقين دائما فى كمال روحى يتزايد ، وتهذيب نفسى وتطهير خلقى .

انظر هذا مع نظرك الى أولئك الذين طمس الله على قلوبهم فأعرضوا عن رحمة الله تهدى اليهم بلا أجر ولا ثمن ، وأقبلوا على لهو الحديث يشترونه ويبذلون فى طريق تحصيله ما يملكون !

هذا هو وجه ارتباط الآية الكريمة بسابقتها ، وهو ربط فى منتهى الإحكام ، ويشبهه قولهم : وبضدها تتميز الأشياء ، أو قولهم : إن الضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده . وعلى كل حال فإبراز طرفى الهدى والضلال ، وتطهير النفوس وتدنيسها والإقبال على النافع ، أكبر نفع يهدى الى الانسان بلا ثمن . وضده المعرض عن ذلك ، يتكلف المشاق ليحصل مافيه ضرره وهلاكه ، ثم يبذل فيه من الثمن ما هو بحاجة اليه . وما أجمل التعبير عنهم بعبارة « من الناس ! » كأن فى ذلك عجبا أىّ عجب أن يكون مثل هؤلاء من الناس .

روى فى سبب نزول هذه الآية أن النضر بن الحارث اشترى قينة مغنية ، وكان يرصد من يريد الاسلام فيدعوه الى قينته تطعمه وتسقيه وتغنيه ، ويقول له : هذا خير مما يدعوك اليه محمد صلى الله عليه وسلم من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه .

وروى أنه كان يخرج تاجرا الى فارس فيشترى أخبار الأعاجم وكتبها ، فيرويها ويحدث بها قريشا ، ويقول : إن محمداً صلى الله عليه وسلم يحدثكم بأخبار عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة ، فيقبلون عليه ويستمعون للهوه . وروى غير ذلك ، ولا مانع من تعدد السبب .

والتعبير بيشترى لهو الحديث : إن حمل اللهو على كتب الأعاجم وأخبارهم فالأمر ظاهر ، وإن حمل على مشترى الجارية المغنية فوجهه أنه لما كان اشتراؤه لها لا سبب له إلا الاستمتاع بصوتها وغنائها ، فكأن المشترَى واقع على حديثها لا على ذاتها . وإذا فسرت يشترى بيجتلب ويحّصل وأمثال ذلك فالأمر ظاهر ، والتعبير عنه بالاشتراء لأنه لما اتجهت رغبته اليه وبذل فى سبيل الحصول عليه ما يملك ، سمى ذلك اشتراء ، وإلا فالحديث نفسه لا يشترى ، وإنما الشراء يتعلق بالذوات والأعيان .

ويؤخذ من الآية الكريمة النعى على من يقبل على لهو الحديث ، سواء فى ذلك القصص الخرافية التى لا يقصد منها سوى التسلى وقطع الوقت بلا فائدة ، أو الغناء المهيج لقوى الشهوات والمؤدى الى الوقوع فى الرعونات . وقلما يخلو الغناء فى زماننا هذا عن ذلك .

أما الغناء الذى يقصد منه فائدة مباحة كتَغَنِّى الحداة لإبلهم لتنشط فى السير ، أو تغنِّى أرباب المهن الشاقة تعاونا على عملهم ، أو تغنى النساء لترضية أطفالهن ، فأمثال هذه لاشك فى حلها متى أمنت الفتنة من ورائها . ومثل ذلك التغنى فى الأعراس إشهاراً لها ، والتغنى فى الأعياد إظهارا للسرور بها ، فقد روى أن أبا بكر رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى حجرة عائشة ، وعندها جاريتان تغنيان بالأشعار التى كانت قيلت يوم بعاث — وهو أحد أيام الأوس والخزرج فى الجاهلية ، وأصله اسم لموضع قرب المدينة ، وسمى به اليوم الذى حصلت فيه الموقعة — فانتهر عائشة رضى الله عنها وقال : أمزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عليه الصلاة والسلام قد التف بكسائه واضطجع وولى وجهه نحو الحائط ، فقال عليه السلام : دعهما فإنه يوم عيد . قالت عائشة : فلما غفل غمزتهما فخرجتا . ومعلوم أن الفتنة فى هذه الحال مأمونة ، ولذلك قال عليه السلام : دعهما ، مبينا الحكمة بأنه يوم عيد .

أما الغناء تلهيا وتشهيا فلا شك أنه من لهو الحديث الذى وقع التشنيع فى الآية

على من يشتريه ، ذلك أنه مظنة تهييج الشهوات ، وموقع فى الرعونات ، وخارق للمروءات ، فكم يبدو على السامع الوقور من مظاهر الرعونة والخفة والطيش والخروج على حدود الوقار ما لو رآه ذلك السامع من غيره لأنكره أتم إنكار ، وقد سئل بعضهم عن الغناء فأجاب هكذا : لو رأيت أن الله قد ماز الحق من الباطل ففى أى قسم يضع الغناء ؟

ويرى بعضهم أنه فى ذاته لاحرمة فيه ، فإذا عرض له حرمة فلغيره ، كما يعرض له الكراهة لغيره ، بل كما يعرض له الندب أو الإباحة ، ذلك أنه يقول فى نفس الغناء : هل خرج عن أنه كلام حَسَنه حسن وقبيحه قبيح ؟ كما قالوه فى الشعر ، فلوأن المتكلم به قد مطط فى ألفاظه ومدها ووزنها ورفع صوته به تارة وخفضه أخرى ما خرج بذلك الى الحرمة فى شىء ، فلو أن القائل له كان حسن الصوت شجيه ما عرض له بحسن صوته حكم جديد ، فلا يختلف الحكم بين حَسَن الصوت وقبيحه ، ولكن إذا عرض له أنه هيج شهوة أو دعا الى فسوق أو نبه نفسا للشر ، فالحرمة تعرض له من جهة ما عرض عليه من حالات .

فإذا كان لتسلية نفس حتى تنهض بعملها ، وكان مساعدا على تنمية قوى النفس وتربية نشاطها ، اعتراه حكم ذلك العمل .

فلو كان لمعونة فى سفر حج أو سير لطاعة أو نحو ذلك كان مسنونا . ومثله إذا كان الشخص من أرباب الأحوال التى تنشط فيها النفوس بالطاعة ، ويكمل لها الاتجاهات الشريفة حتى تصفو نفسه ويزداد تأمله ، فلا مانع من القول بسنيته حينئذ ، وإن كان ينبغى الاحتراس من أهل الدعاوى الكاذبة ممن احترفوا التصوف واعتبروه صناعة يرتزقون منها ، مستعملين التمويه والتدجيل على الناس ، وملحين فى استنزاف ما بأيديهم ولو فقراء معدمين ليتمتعوا بلذات الطعوم ، فليحذر كل الحذر من هؤلاء وأمثالهم ، وليضرب على أيديهم لتخليص الناس من ترهاتهم وخزعبلاتهم ، فما كانوا إلا دجالين

ممخرقين ، يبرأ منهم الدين وأهـل الدين ورب الدين . فالحال التي شرحناها إنما هي حال المرء في خويصة نفسه ، لا أن يتخذه صناعة يرتزق بها .

وقد يكون مباحا كما إذا تغنى متغزلا في حلال : من زوجة أو أمة ، أو متشوقا الى صديق غائب ، مما لا يثير نزعة خبيثة .

وعلى كل حال فهو في ذاته من المباحات ، ويعـرض له النهي بحسب ما اشتمل عليه من المفاسد والمحظورات ، فاذا ما تجرد عن ذلك كله فأقل أمره أنه لهو لا يجدر بالمؤمن الذي ينبغي أن تكون الخشية أغلب أحواله والوقار سياج كماله أن يقارفه أو أن يولع به . فاذا كان في مركز يقتدى به فيه كان من المؤكد له الابتعاد عنه كل الابتعاد مهما كان لونه ، فربما رآه امرؤ وهو يسمع الغناء المباح فيأخذ منه أنه يستمع الغناء وكفى ، فيتوسع من عند نفسه حسبما تقضي به شهوته ، فسد الذرائع يقتضي الامتناع لمثله على الإطـلاق .

وقوله تعالى : « ليضل عن سبيل الله بغير علم » يلوح أن المشتغل باللهو على إطلاقه صاد عن سبيل الله مهما كانت حاله ، وباستغراقه في ذلك تراه يدعو الى مشاركته في حاله ، لما في النفوس من استلذاذ الملاهي والتعلق بها ، فتنصرف نفسه عن العمل لآخرته كما يطلب منه ، ويدعو الناس الى نبذها وطرح الاشتغال بها ، فيكون مضلا عن سبيل الله وهو لا يخطر له ببال أنه مضل ، فيكون « بغير علم » أي بغير شعور ، أو يصرف الناس عن سبيل الله الى غيره بدون أن يكون عنده علم بتقدير ما صرف عنه وما صرف اليه ، مع أن الكياسة أنه ليس للعاقل أن يصرف عن شيء إلا إذا علم أن في غيره خيرا منه ، فإذا نزلت الآية على سبب النزول كان معنى « بغير علم » أي بدون أن يكون عنده علم يحسن به الاختيار ، ولا يكون الاختيار في محله إلا إذا صادفه العلم . ويجوز أن يكون « بغير علم »متعلقا بيضل ، أي أنه يضل بما يفعل عن سبيل الله وهو لا يعلم أنه يضل ، أو لا يعلم أن الذي يضل عنه هو سبيل الله .

وأياما كان فإن المتبادر من الآية أن النعى والتشنيع هو على من اشترى اللهو يقصد به الإضلال عن سبيل الله ، حتى يستحق هذا الوعيد والتشنيع ، وإلا فجرد اللهو قد يكون فى المباحات ولا يستحق عليه العذاب المهين . أما إذا كان يقصد بلهوه صد الناس عن سبيل الله ، أو صرف أفكارهم عن الاهتداء بهدى الله ، كما كان يفعل النضر ابن الحارث الذى تقدم الخبر فى حقه ، فلا شك فى استحقاقه العذاب المهين ، ولاسيما إذا لوحظ اقترانها بقوله : « ويتخذها هزوا » فأى موجب لاستحقاق العذاب والهوان أكثر من الإضلال عن سبيل الله باللهو ، واتخاذها هزوا وسخرية ؟! وبذلك ترى أن الآية ليست صريحة فى تحريم اللهو على إطلاقه .

ثم ضمير يتخذها عائد على سبيل الله لأن السبيل يذكر ويؤنث . وجوز بعضهم أن يكون الضمير راجعا للآيات المذكورة فى أول الآية ، وهو بعيد . وقد قرئ ويتخذُها بالرفع عطفا على يشترى .

هذا وإنما اختار وصف العذاب بالمهين ، لأنهم لما أعرضوا عن الآيات واستهزءوا بها وأضلوا عن سبيل الله ، فقد أهانوا الحق بالاستهزاء به وتقديم اللهو عليه ، فقد حقت عليهم كلمة الهوان ليكون الجزاء من جنس العمل . وقد سبق لنا القول مرارا بأن التعبير باسم الاشارة بعد ذكر المشار اليه بأوصاف ليكون اسم الاشارة محضرا له بالصفات التى اتصف بها كأنه ماثل أمام السامع يشاهده بصفاته التى هى علة استحقاقه الحكم الذى بعد اسم الإشارة .

قال تعالى : « وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم » :

هذه حال لذلك المشترى فى بيان إعراضه عما فيه خيره بعد ما بيّن اشتغاله بما فيه ضرره . وقوله : « تتلى عليه آياتنا » فيه تشنيع عليه من عدة وجوه : فقد جعل الآيات تتلى عليه أى تقرأ متوالية ، وقصد إسماعه إياها أخذا من قوله : عليه ، وعبر

عنها بالآيات لبيان أن كل جملة منها آية دالة على صدق الرسول وحقية المنزل ، ثم أضيفت الآيات لضمير الحق جل جلاله ، مع بيان العظمة ، كل هذا ليصور حاله التعيس أبلغ تصوير ، ثم ماذا كان منه : أعارضها ، أطعن فيها ، أعترض عليها ؟ كلا كلا لم يكن شيء من ذلك ، وإنما ولى منهزما أمامها ، إذ لا سبيل له الى مقاومتها ، ثم لبس ثوب الكبرياء وبالغ فى التكبر ، ولا يبالغ المرء فى التكبر إلا حيث يشعر بالصغار فى قرارة نفسه ، فان علة التكبر بالحقيقة شعور النفس بالنقص والصغار ، فيتكلف الشخص مداراته ، فينفخ نفسه بمنفاخ الكبرياء ليوارى ذلك النقص الذى يحسه عن الناس ، ولذا قال الشاعر :

لا تجمع النفس بين الكبر والكبر .

وقوله : « كأنْ لم يسمعها » أى أنه فى إعراضه وسده على نفسه طريق الانتفاع بها يشبه حال من لم يسمعها ، وإن كان هو قد سمعها وملأت قلبه ، حتى أخذ نفسه بمقاومتها ، وتكلف إحضار القيان ومشترى الأخبار ليصرف الناس عنها ، علماً منه أنهم إذا سمعوها انطاعوا لها لا محالة .

وقوله : « كأن فى أذنيه وقرا » أى صمماً . وأصل الوقر الحمل الثقيل ، استعمل فى الصمم ، ثم غلب فيه حتى صار كالحقيقة .

وقوله : « فبشره بعذاب أليم » : التبشير هنا مستعمل فى ضده وهو الإنذار ، وحُسْنه من جهة أنه حين التعبير بلفظ بشره تتجه النفس الى ما به البشارة وتستشرف له الأذن ، فحين يقرع سمعه ذلك العذاب الأليم يحز فى نفسه حزا لا مناص له منه . وكأن الإتيان بوصف أليم فى هذا المقام لأنه لما تلذذ بما صرف الناس وتلهى بالأغانى والقصص الخرافية ، كان مستحقا فى مقابلة تلك اللذائذ الباطلة أن يستوفى جزاءه من الآلام التى لا قبل له بها .

ومن الملاحظات اللطيفة فى الآية الكريمة أنه أفرد الضمير فى قوله : « يشترى

لهو الحديث » مراعاة للفظ مَن ، وجمع اسم الاشارة فى قوله : « أولئك لهم عـذاب مهين » نظرا للمعنى ، ثم عاد الى مراعاة اللفظ فى قوله : « وإذا تتلى عليه آياتنا » . والسبب أن مبتدع هذا المسلك قد يكون واحدا ثم يشاركه غيره فيستحقون الجزاء معه . ومن السر فى ذلك أن الألم يحسه كل واحد واحد فى نفسه ، وأما الهوان فتشعر به المجموعة فى مجموعها .

« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم . خالدين فيها وعـد الله حقا وهو العزيز الحكيم » :

جرت عادة القرآن الكريم أن يردف آيات الوعيـد والترهيب بآيات الوعد والترغيب ، حتى يكون العبد بين الرغبة والرهبـة ، وحتى تستوفى الدعوة عواملها المؤثرة ، فإن من الناس من يؤثر فيه الإرهاب ، ومنهم من تعمل فيه عوامل الكرامة . وقوله : « لهم جنات النعيم » يمتاز عن قوله : نعيم الجنات ، بأمرين : (الأول) أنهم مالكون للجنات ونعيمها ، وقد يكون المرء متمتعا بنعيم شىء هو مملوك لغيره ، فإذا ملكه أيضا كان أكمل فى النعيم . (والثانى) الدلالة على أن النعيم قد عرف وظهر حتى عرفت الجنات بإضافتها اليه . وقوله : « وعد الله حقا » بالنصب على أنه مفعول مطلق أى وعدهم الله وعدا حقا لا تخلف فيه . وقوله : « وهو العزيز الحكيم » أى فلا معقب لحكمه ، ويضع الأمر فى نصابه .

نسأله تعالى أن يجعلنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات حتى يكون لنا جنات النعيم؛ وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم ؟ ابراهيم الجبالى

محمد صلى الله عليه وسلم

فى تقدير المنصفين من قادة الأفكار فى أوربا (١)

لجأ محمد الى المدينة فاستقبل فيها بالترحاب ، وبدأ تلاميذه يحتفون به ، فاصبح رأسا لمملكة ، ولكن أعداءه المكيين أجمعوا على تعقبه حيث ذهب ، وهم الذين كانوا يضطهدون ويعذبون أشياعه الأولين . فتقصدوه فى كتائب كثيرة العدد وهو فى قلة من الجنود ، فكانت وقعة بدر ، فلجأ الرسول الى مولاه وهو يقول : « رب إذا كنت قدرت أن تهلك هذه الطائفة القليلة من الرجال فلا يبقى من يعبدك حق عبادتك »

كانت المعركة حامية الوطيس ، وهبت عاصفة هوجاء من الرمال والحصباء كأنها جاءت تقاتل مع المسلمين ، فأتاهم الله النصر بفضل القوى التى أمدهم الله بها ، فكان هذا النصر دليلا لأصحابه بأن محمدا رسول الله حقا . كانت هذه أول مرة سمح فيها محمد باراقة الدماء دفعا لغارة شنت عليه . وكان أعداؤه يدعونه بالمتأنث لشدة رحمته وفرط شفقته . ولكنه كان من هذه الحادثة يقوم بمهمة رئيس لمملكة ، وقائد لجيش ، يدرك ما عليه من التبعات لأصحابه المؤمنين به ، ولم يكن فردا غير مسئول ، يحسن به أن يصفح عن الأذى الذى يوجه اليه . فقد حان الوقت الذى أصبح فيه باعتبار أنه حاكم لأمة مضطرا لأن يعاقب على الجرائم التى طالما صفح عنها وهو رجل بسيط ، ذلك لأنه لم يكن كما تخيلوه رجلا ضعيفا مسخرا لعاطفة نفسية .

بعد انتهاء معركة بدر لم ينفذ حكم القتل إلا فى رجلين ، أما من بقى من الأسرى فقد عوملوا بأمر النبى بكل إحسان ، على الرغم من عادة العرب إذ ذاك ، فكان المسلمون يؤثرونهم بالخبز ويكتفون هم أنفسهم بالتمر .

ثم عقب هذه الحرب سنوات من المكافحات والاضطرابات ، وصعوبات أخرى حدثت فيها منازعات بين أصحاب النبى ، وزاد فيها عدد الأعداء المحيطين به . هنا مجال لذكر مظهر جميل أحب أن أقف أمامه هنيهة ، فقد كانت حدثت موقعة انتهت بانتصار النبى ووزعت مغانمها ولم يصب الذين طال عهد صحبتهم للنبى شىء منها ، فاستاءوا من حرمانهم ، فخاطبهم النبى قائلا :

« أخبرت يا معشر الانصار بما دار بينكم من حديث . إنى عند ما جئت إليكم وجدتكم هائمين فى ظلمات الجهالة ، فهداكم الله بى الى سواء السبيل . وكنتم فى شقاء فأسعدكم بى ، وكانت الأحقاد تتأجج نيرانها فى قلوبكم فملأها حبا أخويا ووفق بينكم . أليس هذا حقا ؟ أجيبونى » .

---

(١) هذا المقال تابع لما قبله مما كتبته زعيمة الصوفية العالمية السيدة (انى بزانت) راجع العددين الثامن والتاسع .

فقالوا : نعم كل ما قلته حق لا مرية فيه ، ونحن نعترف بفضل الله علينا ورسوله .

فقال لهم النبي : « لا والله ، فقـد كان فى وسعكم أن تجيبونى بغير هذا ، وكان جوابكم يجىء صحيحا لأنى أشهد أنا نفسي بصحته .

«كان فى وسعكم أن تجيبونى بقولكم : لقد جئت الينا طريدا كما يفعل بالكذبة والخراصين فآمنا بك ، وأقبلت الينا إقبال الملتجئ الذى لا مناعة له ، فعززناك ونصرناك ، وأتيتنا فقيرا مضطهدا فآويناك ، ووافيتنا كاسف البال لا صاحب لك فواسيناك . لا أدرى لماذا تتكدر قلوبكم من فوت حطام هذه الدنيا ؟ ألم يرضكم أن ينال غيركم الشياه والابل ، ويكون حظكم أن تعودوا بى الى بيوتكم ؟ فوالذى نفسى بيـده إنى لا أترككم . وإذا سارت الانسانية كلها فى طريق ، وسارت الانصار فى طريق آخر لاتبعتهم ، رضى الله عنهم وبارك فيهم ، هم وأبنائهم وأبناء أبنائهم » .

قال ناقل هذا التاريخ : فبكى هؤلاء المحاربون البواسل ، وسالت مدامعهم حتى بلت لحاهم وصاحوا قائلين :

« نعم يانبي الله إننا راضون بنصيبنا » (١) .

فيا إخوانى الهنود الذين لايعرفون شيئا عن النبي العربى العظيم ، ألا تشعرون ببيانه الساحر ، وبالقدرة العظيمة التى كانت له فى قيادة الرجال وسوقهم لتحمل الآلام ومواجهة الموت الزؤام حبا فيه ، وفى استبقائه هذا الحب فى قلوبهم فى خلال القرون ؟ ومع كل هذا فقد كان محمد يتشدد فى تنبيههم الى أنه بشر مثلهم ، وأنه واحـد منهم ، حتى أن الحب العظيم الذى تأثروا نحوه به لم يتطور الى تأليهه .

استمرت الحال على ما رأيت مدة عشر سنين ، وبعدها حانت نهاية هـذا الدور . فلما تمت الصلاة وكانت تؤدى من قيام فى المسجد ، كان النبي ضعيفا الى حد أنه لم يستطع أن يقف على قدميه ، فأقبل على والفضل فسنداه من جانبيه ، فرفع صوته الضعيف وقال : « أيها المسلمون إن كنت قد أسأت الى أحـد منكم فهأنذا مستعد لاصلاح إساءتى إياه ، وإن كنت مدينا لواحد منكم بشىء مهما حقر قدره فكل ما أملكه فهو لكم » .

فقال أحد الحاضرين : إنه دائن له فى ثلاثة دراهم ، فدفعت له . وهذا آخر دين يؤديه محمد فى هذه الأرض ، وهـذا أيضا كان آخر حضور له الى المسجد ، فقد طلب ليعود الى مقره ، فان مهمته كانت قد تمت . فأخذ يدعو الله وهو ممدد على فراشه ، وأخذ صوته يضعف يسيرا

(١) اننا ترجمنا عبارة المؤلفة كما روتها .

يسيرا حتى لم يبق منه إلا همس خافت . وفى السادس من شهر يونيو سنة ٦٣٢ ترك النبى جسده الأرضى وذهب يراقب من عالم أعلى من هذا العالم الديانة التى أسسها وقام على الدفاع عنها .

فما أكرم هذه الحياة وأنبلها ! حياة عجيبة هى حياة رسول لله حقا . وكانت فى الوقت نفسه حياة بسيطة زاهدة مخبتة . كان هذا الرجل يرقع بيده ثيابه البالية ، ويضع المسامير فى نعليه بنفسه ، بينما كان ألوف من الرجال يحنون رءوسهم أمامه باعتبار أنه نبى ، وكان هو يعامل باللطف والاحسان كل الذين يحتفون به . ولقد صرح خادمه أنس بانه التحق بخدمته عشر سنين فما قال له « أف » قط .

هنالك تهمتان خطيرتان توجهان الى النبى : أولاهما أنه تزوج وهو فى سن متقدمة بتسع نسوة . هذا صحيح ، ولكن أيسوغ لك أن تدعى ، مستندا الى هذا وحده ، بأن الرجل الذى تزوج وهو فى عنفوان الشبيبة ، ولم يكن له من العمر أكثر من أربع وعشرين سنة ، بامرأة تكبره فى السن الى مدى بعيد ، وبقى وفيا لها مدة ست وعشرين سنة ، ينقلب وهو فى الخمسين ، حيث تخمد سورة الشهوات ، شهوانيا ، فيتزوج منقادا لعوامل الرغبات البهيمية والنزغات الجسدانية ؟ كلا ! لا يجوز أن يحكم بهذا الأسلوب على حياة الرجال ، لأنك إن تعرفت حال النساء المختلفات اللاتى تزوج بهن ، وجدت أنه قصد بواسطة الارتباط بكل واحدة منهن أن يوجد رابطة بينه وبين قومها ، أو أن يحصل خيرا لا تباعه من ورائها ، أو أن تكون تلك المرأة فى حاجة ماسة الى الحماية .

ثانية التهمتين : قولهم : إن محمدا كان يدعو الى الجهاد ، وإبادة الكافرين ، وإراقة دمائهم ، على طريقة وحشية . ويغيب عن هؤلاء الناقدين ، أن الاصوليين من المسلمين قرروا أنه إذا وجد أمران فى موضوع واحد ، أحدهما مطلق مثل « اقتلوا الكافرين » ، والآخر مقيد مثل « اقتلوا الكافر إذا هاجمكم ، ولم يرد أن يترككم أحرارا لأداء شعائركم الدينية » ، فان هذا التقييد يسرى على الامر المطلق . وهذه القاعدة قد جرى عليها العمل فى فهم القرآن ، وأيدتها السنة العملية للنبى نفسه . وإنى لا أقول ذلك من تلقاء نفسى حتى لا تظنوا أنى أتكلم على طريقة المحامين . ولذلك فانى ساردة عليكم نصوص المذهب الذى نشره محمد فى حياته . فقد رأيناه يصرح فى حق الكافرين بما يأتى :

« قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفرلهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير . وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم ، نعم المولى ونعم النصير » (السورة الثامنة الايات ٣٩ و ٤٠ و ٤١)

وفى موضع آخر من القرآن : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . وإن عاقبتم فعاقبوا

بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون» (السورة السادسة عشرة الآيات من ١٢٥ الى ١٢٨) وفى موضع آخر أيضا : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » (السورة الثانية الآية ٢٥٦) . « فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فانما هم فى شقاق » (السورة الثانية الآية ١٣٧) .

وقد جاء فى الكتاب تعريف جليل القدر لمن يعتبر كافرا : جاء فيه «والكافرون هم الظالمون» (السورة الثانية الآية ٢٥٤) .

هؤلاء هم أهل السوء ، ولا يراد بهم البعيدون عن الديانة الاسلامية ، لأننا سنرى أن الاسلام فى عرف النبى لا ينحصر فى أتباعه وحدهم ، فقد جاء فى الكتاب : « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم ، وألقوا اليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » .

فهل من العدل أن نتناسى كل هذه القواعد التى بنيت فى معمعان الحروب والمكافحات والاضطهادات ، وأن نقتصر على التنويه بالعبارات التى قيلت لنفث روح الشجاعة والاقدام فى طائفة قليلة العدد ، وهى عبارات يفوه بمثلها كل قائد وهو يسير الى المعركة قدما ؟

هذا هو تعليل ما فاه به النبى من الأوامر المطلقة .

فلننظر الآن كيف جاءت سيرته الشخصية مطابقة لتعاليمه القولية : إنه لم يسىء اليه أحد قط إلا قابله بالعفو والمغفرة ، ولم توجه اليه إهانة إلا لاقاها بالصفح الجميل .

فيأيها الاخوان (تخاطب من يصغون الى محاضرتها) أحذركم أن تنظروا الى رجل من هذا الطراز من خلال حجاب من الآراء الموروثة . لا تخلو ديانة قط من أخطاء ، ولا تتنزه سيرة ما لأى رجل من انحرافات (١) . فان المشايعين الجهال كثيرا ما يخطئون فى فهم أمور يكون رسولهم قد فاه بالحقيقة فيها . فاحكموا على الاديان بالنظر الى سيرة أرقى ممثليها ، لا الى انحرافات أحط الآخذين بها . إن جرينا على هذا عرفنا كيف يحب بعضنا بعضا كاخوان ، وكيف لا يبغض بعضنا بعضا على طريقة الغلاة المتعصبين . (يتبع)

محمد فريد وجدى

(١) مجلة الأزهر : هذه العبارة ترجمناها حرفيا من بحث الدكتورة المحاضرة وهى تتحمل تبعة اطلاقها .

هل يقع الطلاق فى الحيض

استفتاء موجه لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ الدجوى وجوابه عليه

زعم بعض أن الطلاق لا يقع فى الحيض ، فرد عليه بحديث عبد الله بن عمر المروى فى موطأ الامام مالك ، فأجاب بأن هذا الحديث لا يصح الاستدلال به للطعن فى بعض رجاله ، والامام مالك لسلامة ضميره لم يفطن لذلك .

فارجو من فضيلة مولاى القول الفصل فى هذا الموضوع ؟

عبد الحكيم عبد الرحيم

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

أما بعد : فهذا الرجل من أجهل الجاهلين بالامام مالك ، وفيما قاله أغلاط فاحشة كما سيتضح لك ، فان الحديث لم يروه مالك فقط ، بل رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم ، فهو حديث متفق عليه .

ومن العجب العاجب قوله : « إن هذا الحديث لا يصح الاستدلال به للطعن فى بعض رجاله » فكأنه أعرف بالرجال من مالك ومن البخارى ومسلم وغيرهم . وليت شعرى من ذلك المطعون فيه الذى لم يعرفه مالك ، مع أنه لم يذكر فى هذا الحديث بعد مالك إلا نافع وعبد الله ابن عمر وعمر بن الخطاب ؟ !

أما عمر فهو الذى وافق ربه فى مسائل كثيرة معروفة ، وقد كان من المحدثين (١) وإذا سلك فجا سلك الشيطان فجا آخر ، كما فى الاحاديث الصحيحة ، فلندع الاسهاب والاطناب .

وأما عبد الله بن عمر فهو صحابى جليل من أكابر الصحابة وعلمائهم وأهل الفتوى فيهم ، وقد شهد له صلى الله عليه وسلم بالصلاح ، كما فى الحديث الصحيح .

وأما نافع فهو من أجل التابعين ، حتى قال البخارى : « إن أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر » . وصرح كثير من المحدثين أن هذه السلسلة هى سلسلة الذهب .

وأما مالك فهو مالك وكفى .

ولنذكر لك ما قيل فى أصح الاسانيد :

---

(١) أى الملهمين .

قال أبو داود : « أصح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك عن نافع عن ابن عمر ، ثم مالك عن الزهرى عن سالم عن أبيه ، ثم مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة » . فأنت تراه قد ذكر مالكا فى كل ما قال إنه أصح الأسانيد ، وبدأ بروايته عن نافع ، فماذا تقول لذلك الجاهل بعد هذا ؟

ولنذكر لك رواية الموطأ لتكون على بصيرة منها ، فانها لم تذكر بنصها فى السؤال : « حدثنى يحيى عن مالك عن نافع أن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهى حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مره فليراجعها فليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم إن شاء أمسكها بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس ، فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء » .

ولا نطيل بذكر الروايات الأخرى التى جاءت فى البخارى وغيره . وقد رأينا أن نذكر لك شيئا عن مالك وما قاله أئمة هذا الشأن فيه لتعرف الى أى حد وصل جهل هذا القائل . ولكن لا عجب ، فقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أن من علامات الساعة أن يلعن اخر هذه الأمة أولها . وقد قال فى آخر هذا الحديث الذى أخرجه الترمذى وغيره : « فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا أو مسخا وقذفا » . وماذا ننتظر من ذوى الجهل المركب الذين حرموا العلم الذى يقفهم على الحقائق وينأى بهم عن الترهات ، والعقل الذى يرشدهم الى أن ذلك يضرهم ولا ينفعهم .

وسر تلك المجازفات أنهم توهموا أنهم يذكرون بذلك بين الناس ، وقد غفلوا عن أنهم إذا ذكروا فانما يذكرون على نحو ما ذكر الاعراب فى قوله تعالى : « الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم » .

وما أجدرنا أن نتمثل بقول القائل :

إن العصافير لما قام قائمها توهمت أنها صارت شواهينا

وقد جاء فى بعض الآثار : لا تقوم الساعة حتى يتكلم الرويبضة (والرويبضة الرجل التافه الحقير) .

ألا إنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

وقد قالوا قديما « لو سكت من لا يعرف لارتفع النزاع » .

وهاك نموذجا من احتياط الامام مالك وتحريه :

قال ابن القاسم وهو من اجل أصحابه : كان مالك يقول : « ربما وردت على المسألة فأسهر فيها

عامة ليلتى » . وقال ابن عبد الحكم : كان مالك إذا سئل عن المسألة قال للسائل : انصرف حتى أنظر ، فينصرف ويتردد فيها ، فقلنا له فى ذلك ، فبكى وقال : إنى أخاف أن يكون لى من المسائل يوم وأى يوم ! » وقال ابن وهب : قال مالك : سمعت من ابن شهاب أحاديث كثيرة ما حدثت بها قط ولا أحدث بها . وقال الشافعى : كان مالك إذا شك فى الحديث طرحه كله .

أما شهادة العلماء له فشىء كثير لا يسعه هذا المقام ، وهاك قليلا منها ، ولنبدأ بشهادة النبى صلى الله عليه وسلم له على ما رآه أجلة العلماء :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن تضرب الناس أكباد الابل فى طلب العلم . وفى رواية : يلتمسون العلم ، فلايجدون عالما أعلم ، وفى رواية : أفقه من عالم المدينة » . وفى بعضها : آباط الابل مكان أكباد الابل . وقد رواه البخارى عن ابن جريج موقوفا على أبى هريرة رضى الله عنهم ، ومحمد بن عبد الله الانصارى عن ابن جريج أيضا مسندا ، وهو ثقة مأمون. وخرجه أيضا النسائى فى مصنفه مرفوعا الى أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يضربون أكباد الابل ويطلبون العلم ولا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة . ورواه أيضا أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال سفيان : نرى أن المراد بهذا الحديث مالك بن أنس . وفى رواية عنه كنت أقول هو ابن المسيب حتى قلت كان فى زمان ابن المسيب سليمان وسالم وغيرهما ثم أصبحت اليوم أقول إنه مالك . وقال ابن جريج وعبد الرزاق : نرى أن المراد به مالك ، إنه لم يوجد لغيره من علماء المدينة ممن تقدمه أو جاء بعده من الرواة والآخذين عنه مثل مالك ، وقد أبلغ بعضهم الرواة عنه ألفى راو . وليعلم أن طلبة العلم لم يضربوا أكباد الابل من مشرق الأرض ومغربها الى عالم ولارحلوا اليه من الآفاق رحلتهم الى مالك .

فالناس أكيس من أن يمدحوا رجلا من غير أن يجدوا آثار إحسان

وقال سفيان بن عيينة لما بلغته وفاته : ماترك على الأرض مثله . وكان يقول : مالك سراج الامة ، ومالك حجة الله ، وإنما كنا نتبع آثار مالك . وقال الشافعى : مالك أستاذى وعنه أخذت العلم . وكان يقول : جعلت مالكا حجة بينى وبين الله ، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب . وقال بقية بن الوليد : ما بقى على وجه الارض أعلم بسنة ماضية ولا باقية من مالك . وقدمه أحمد بن حنبل على الاوزاعى والثورى والليث وحماد والحكم فى العلم ، وقال : هو إمام فى الحديث والفقه .

وقال ابن مهدى وهو من كبار الحفاظ الذين كان يعظمهم الشافعى كل التعظيم : ما بقى على وجه الأرض آمن على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من مالك .

وقال العقبى : ما أحسب مالكا بلغ ما بلغ إلا بسريرة بينه وبين الله تعالى . وقال أبو زرعة وهو من كبار رجال الحديث : لو حلف رجل بالطلاق على أحاديث مالك التى فى الموطأ أنها صحاح كلها لم يحنث . وقال بعضهم من أبيات كثيرة :

تفرق شمل العلم فى كل تابع ... فكل امرئ منهم له فيه مذهب
فخلصه بالسبك للناس مالك ... ومنه صحيح فى الجس واجرب
فبادر موطأ مالك واستجل ما به ... فما بعده إن فات للحق مطلب
ودع للموطا كل علم تريده ... فان الموطا الشمس والغير كوكب
جزى الله عنا فى موطاه مالكا ... بأفضل ما يجزى اللبيب المهذب
لقد فاق أهل العلم حيا وميتا ... فصارت به الأمثال فى الناس تضرب

ولا بأس أن نذكر لك شيئا مما امتاز به مذهب مالك ولا نكاد نراه فى غيره :

ذلك أن الامام مالكا يتوسط فى الأمور ، كمسألة اللمس : توسط فيها بين الشافعى والحنفى ؛ وكذلك مسألة السجود القبلى والبعدى ؛ وكذلك قراءة المأموم فى السرية دون الجهرية ؛ وكذلك عدد الجمعة ، مع ماله من الانظار البعيدة ، كالمصالح المرسلة التى يطول الكلام فيها .

ولنختم هذا المقال بشىء وجيز من كلامه رضى الله عنه :

كان يقول : « لا خير فيمن يرى نفسه بحالة لا يراه الناس لها أهلا » وكان يقول : « ما جالست سفيها قط » وكان يقول : « لم أجد فى الناس أقل من الانصاف فأردت المداومة عليه » . وكان يقول « كتبت بيدى مائة ألف حديث » . وكان يقول : « لقد ذهب حفظ الناس ، ما استودعت قلبى شيئا قط فنسيته » . وكان يقول : « إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه ، لقد أدركت سبعين ممن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين (وأشار الى المسجد) فما أخذت عنهم شيئا ، وإن أحدهم لو اؤتمن على بيت مال لكان أمينا ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن » . وكان يقول : « لا يكون إماما من حدث بكل ما سمع » . وكان يقول إذا جاءه أحد من أهل الأهواء : « أما أنا فعلى بينة من ربى ، وأما أنت فشاك فاذهب الى شاك مثلك فخاصمه » . ثم يقرأ « هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » .

أما توقيره لحديث رسول الله فما سارت به الركبان ، قال عبد الله بن المبارك : كنت عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلدغته عقرب ست عشرة مرة ، ومالك يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس ، قلت : يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا ، فقال : نعم إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم !

ومما يلتحق بذلك انه دخل يوما على الرشيد لحثه على مصالح المؤمنين وقال له : لقد بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان فى فضله وقدمه ينفخ لهم عام الرمادة بالنار تحت القدور حتى يخرج الدخان من تحت لحيته رضى الله عنه ، وقد رضى الناس منكم بدون هذا .

هـذا قليل من كثير ، فالى الله المشتكى من زمان اختلط فيـه الحابل بالنابل ، وطم فيه الجهل ، وبخس فيـه الفضل ، واضطر كثير من العلماء الى السكوت وملازمـة البيوت يأسا من الاصلاح ، عالمين أننا فى آخر الوقت الذى يصير فيه المنكر معروفا والمعروف منكرا كما فى الحديث . ولابأس أن ننشد فى هذا المقام قول الشاطبى ، وزماننا أصعب من زمانه ، وأقل أعوانا ، والمصلحون فيه أحرج مكانا ، ومع ذلك يقول :

بليت يا قـوم والبـلوى منوعة ... بمن أداريه حتى كاد يردينى
دفع المضرة لا جلب لمصلحة ... فحسبى الله فى عقـلى وفى دينى

أسأل الله أن يصلح حال الأمة المحمدية ، وأن يعلى كلمة الحـق ويكثر أنصاره ، ويعرفنا قدر أسلافنا الماضين بمنه وكرمه ؟

يوسف الدجوى
من جماعة كبار العلماء

بلاغة الخلفاء فى العفو

روى أنه لما حج المنصور مر بالمدينة فقال لحاجبه الربيع : على بجعفر بن محمد ، فأحضره ، فلما مثل بين يديه سلم عليه .

فقال أمير المؤمنين : لا سلم الله عليك ياعدو الله ! تعمل على الغوائل فى ملـكى !

قال جعفر : ياأمير المؤمنين إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف ظلم فغفر ، وأنت على إرث منهم ، وأحق من تأسى بهم .

فنكس المنصور رأسه مليا ، وجعفر واقف ، ثم رفع رأسه فقال له : الى أبا عبـد الله ، فانت القريب القرابة ، وذو الرحم الواشجة ، السليم الناحية ، القليل الغائلة ، ثم صافحه بيمينه وعانقه بشماله وأجلسه معه على فراشه ، وانحـرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويسائله ، ثم قال ياربيع عجل لأبى عبد الله كسوته وجائزته ، وأذنه .

من أحسن ما قيل فى الاعتذار من الذنب قول صريع الغوانى :

إن كان ذنبى قـد أحاط بحرمتى ... فاحط بذنبى عفـوك المـأمولا

الاخلاق النظرية

– ١ –

مقدمة تمهيدية

لما كانت الأخلاق هى روح الحياة، وضوء عين الانسانية، وقبس النور فى هذا الوجود المظلم، وسر المبدع الأول الذى قذف به فى قلوب بنى البشر منذ اللحظة الأولى لوجودهم، فقد سار الانسان الأول على ضوئها، واهتدى بهداها، وأخذ يبث تعاليمها، وينقش فوائدها فى رءوس أبنائه وأحفاده الذين خلقوا على أتم استعداد لقبول هذه النصائح، لأن البارى جل وعلا قد منحهم من السر النورانى مثل ما منح أبويهم الأولين. غير أن هـذا الأب الأول أمر بنصحهم ليحفظهم مما عساه أن يحول تيار إرادتهم الى ناحية الشر، لاسيما وأنه قد علم أن النفس البشرية متأثرة بعوامل مختلفة تخضع لأحدها تارة وللثانى تارة أخرى.

وما زالت الإنسانية سائرة على هذا النحو يلبى بعض أفرادها صوت الضمير الأعلى فيسلك سبيل الهدى والرشاد، ويذعن البعض الآخر لقوة الشهوة أو التوحش فيهوى فى حضيض التعاسة والشقاء.

وما انفك الأبناء يرثون عن الآباء ويقلدون الإخوة والرفاق فى خيرهم وشرهم، وينسجون على مناولهم المختلفة التى هى مزيج من حسن الحياة وقبحها، وخليط من بياض الفضيلة وسواد الرذيلة، والتى لا يصلح نظام الوجود إلا بتسييرها على هذا النسق المعتدل الحكيم.

هـذا كله بالنسبة الى الأخلاق أو التخلق، أما علم الأخلاق فلم يأخذ مكانه تحت الشمس، فيما نعلم الى الآن، إلا فى عهد الفلسفة اليونانية التى انتهى بها الأمر

فى عهد « سقراط » الى احتضان الأخلاق واعتبارها غصنا من أهم أغصان دوحتها .
وما زال هذا الوليد يدرج ويترعرع فى حضن أمه الرءوم (الفلسفة) ويلاق من سقراط وتلاميذه وغيرهم منذ القرن الخامس قبل المسيح الى اليوم رعاية تختلف كثرة وقلة باختلاف العقليات والبيئات والعصور . وهذه هى الدورة التى سأطوف معكم بها فى سرعة لتقفوا على تطورات هذا العلم منذ نشأته الى العصر الذى نعيش فيه الآن ، ولكنى أريد أن أذكر لكم تعريف علم الأخلاق وموضوعه وغايته قبل أن نعرض لهذه السلسلة التاريخية لعلم الأخلاق ، ليكون سيرنا طبيعيا ، ولتكونوا فى تتبعكم هذه الدورة الموجزة على بينة من هذا العلم المتشعب المسالك والطرقات .

تعريف علم الاخلاق وموضوعه وغايته :

قرأت تعريفاتٍ كثيرةً لعلم الأخلاق ، بعضها لفلاسفة الفرنجة من يونانيين وألمانيين وفرنسيين وانجليز ، والبعض الآخر لمن كتبوا مؤلفات فى علم الأخلاق من محدثى المصريين والسوريين . ولكنى رأيت أن كل هذه التعاريف غير دافعة للحاجة ولا وافية بالغرض المراد ، إذ ألفيت بعضها ناقصا ، والبعض الآخر مظلما أو هدفا للنقد والاعتراض .

واليكم نموذجا من هذه التعريفات الأوربية :

عرف بعضهم علم الأخلاق بأنه : « علم الخير » لأنه يفرق بين الخير والشر ، ويميز بينهما تمييزا يحمل الانسان على اعتناق الأول والنفور من الثانى .

وعرفه آخر بأنه : « علم الواجب » لأنه يهدينا الى ما يجب علينا عمله ، ويشتغل دائما بوضع زمام الحياة البشرية فى يدى الواجب .

وحدّه ثالث بأنه : « علم فن الحياة السعيدة » لأنه يقود الى السعادة الناشئة من استراحة الضمير .

وعـذر هؤلاء الأخلاقيين فى نقص تعريفاتهم وظلمتها واضح ، لأن هـذا العلم ليس من العـلوم المـادية التى يسهل حدها ، بل هو علم نظرى يحوى فى داخل مسائله ميدانا فسيحا للجدل والنقاش ، ويحتمل الأخذ والرد كبقية أغصان شجرة الفلسفة ، غير أنى اعتزمت ، بالرغم من هـذه الصعوبة ، وبعد الاطلاع على أكثر ما كتبوه فى هـذا الشأن ، أن أنقب جهد طاقتى عن تعريف يبرأ — بقدر المستطاع — مما دار بخـلدى أو جاء فى كتب النقاد من الاعتراضات والإشـكالات . وأخـيرا قر رأيى على أن أضع لعلم الأخلاق هذا التعريف وهو : « علم نظرى أومعيارى يبحث بواسطة قانون داخلى عما بين أعمال بنى الانسان الإرادية من خير أو شر ، وعن نواياهم العامة » .

ونعنى بقولنا : إنه علم ، أنه ليس بفن ، وإن كان تطبيقه فى الخارج يعد من الدخول فى باب الفنون . والعلم هو مجموعة مسائل مرتبة منظمة تنفى عن المحيط بها جهلا نسبيا . ولمـا كانت قوانين الأخـلاق كذلك فقد سميناها علمـا . ونعنى بقولنـا : إنه نظرى أومعيارى ، أنه ليس وصفيا ولا تجريبيا أو وضعيا وإن كان تطبيقه فى الخارج يقربه نوعا من فصيلة العلوم التجريبية . ونقصد بقولنا : إنه يبحث بوساطة قانون داخلى ، أنه لا يستمد عناصر نظرياته من ظواهر الطبيعة المـادية ، ولا يخضع لأوامر وضعية ، وإنما هو يتلقى مبادئه ومواده من ذلك الضمير الداخلى أو الصوت الروحى الأسمى .

ومعنى قولنا : إنه يبحث عن أعمال بنى الإنسان الإرادية ونواياهم العامة ، أنه لا يهتم إلا بالأعمال المقصودة للفاعل أى التى سبقتها نية حرة شاعرة بالإذعان للواجب بصرف النظر عن النتائج الناشئة من هذا العمل .

من هذا التعريف يتضح جليا موضوع علم الأخلاق وغايته القصوى ، إذ نستطيع أن نقول : إن موضوع هـذا العلم هو أعمال بنى الانسان الإرادية ونواياهم العـامة من حيث خيريتها وشريتها الأدبيتان ، أو استبطان هذه الأعمال الإرادية واكتناه دواخلها ومعرفة حظ الإذعان للواجب منها .

أما غاية هذا العلم فهى الخير الأسمى ، والوصول عن طريق الفضائل الى المثل الأعلى والكمال الانسانى .

يظهر مما قدمنا لعلم الأخلاق من تعريف وموضوع وغاية ، ما بينه وبين علمى النفس والاجتماع من روابط واتفاقات ، ومن فوارق واختلافات سنوضحها هنا ، ولكن بعد أن نفرق بين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية ، ونبين الدور الذى يمثله كل من القسمين على مسرح الحياة البشرية ، وبعد أن نلق نظرة عاجلة على تاريخ الأخلاق منذ نشأتها (كعلم منظم) الى اليوم .

دكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

البلاغة فى الاعتراف والاستعطاف

لما سخط المهدى على وزيره يعقوب بن داود ، قال له : يا يعقوب .

قال : لبيك يا أمير المؤمنين تلبية مكروب لموجدتك .

قال : ألم أرفع من قدرك إذ كنت وضيعا ، وأبعد من ذكرك إذ كنت خاملا ، وألبسك من نعمتى مالم أجد لك بها يدين من الشكر ؟ فكيف رأيت الله أظهر عليك ، ورد اليك منك ؟

قال يعقوب : إن كان ذلك بعلمك يا أمير المؤمنين فتصديق معترف منيب ، وإن كان مما استخرجته دفائن الباغين فعائذ بفضلك .

فقال أمير المؤمنين : والله لولا الحنث فى دمك بما تقدم لك لألبستك منه قيصا لا تشد عليه زرا . ثم أمر به الى الحبس .

فتولى يعقوب وهو يقول : الوفاء يا أمير المؤمنين كرم ، والمودة ترحم ، وأنت بهما جدير.

ولما رضى الرشيد عن يزيد بن مزيد أذن له فى الدخول عليه ، فلما مثل بين يديه قال : الحمد لله الذى سهل لى سبيل الكرامة بلقائك ، ورد على النعمة بوجه الرضاء منك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين فى حال سخطك جزاء المحسنين المراقبين ، وفى حال رضاك جزاء المنعمين المتطولين ، فقد جعلك الله ، وله الحمد ، تثبت تحرجا عند الغضب ، وتمتن تطولا بالنعم ، وتستبقى المعروف عند الصنائع تفضلا بالعفو .

الادب بين الفن والفضيلة

خصومة قديمة بين الفن والفضيلة تنازعت الادب فأثرت فيه أثرا كان يبدو حينا فى جانب الفن، وحينا آخر فى جانب الاخلاق والفضائل، وكأن هذه الخصومة ضرورة قداقتضتها طبيعة الادب باعتباره المعبر عن الأغراض، الواصف للحقائق، واقتضتها طبيعة الفن باعتباره المصور لظواهر الوجود كما هى فى غير خداع أو تزوير، واقتضتها طبيعة الفضيلة باعتبارها غاية من غايات الخير الذى تدعو إليه الاديان السماوية، والاخلاق الكريمة.

وقد كان الادب العربى ميدانا لهذا النضال الممتع، لأن الفن أراد أن يكون الادب ريشته الفنية المصورة ليخرج بها صورا من أفانين الحياة كما خلقها الله من الحسن والقبح، والخير والشر، وهدفه الذى يرمى إليه فى هذا التصوير هو الصدق فى وصف الحقائق أيا كانت عاقبتها، ولكن الفضيلة أبت على الفن موقفه هذا من الادب كل الاباء، وأنكرت أن يكون الادب وسيلة من وسائل تحبيب الشر للناس تحت ستار الفنية، بل يجب أن يكون الادب سبيل إصلاح، وداعية خير وتهذيب.

نلمح هذا الاثر أولا فى الادب الجاهلى، فالشعراء الذين لم يتصلوا كثيرا بالحياة الحضرية التى فيها من نظام الاجتماع والاوضاع الدينية ما يسمو بالفضيلة الى مكان التقديس بل عاشوا فى حياة طليقة من قيود الاجتماع والدين والاخلاق، كانوا الى جانب الفن أميل. والشعراء الذين عاشوا فى حياة تعرف للدين قداسته، وللاخلاق حرمتها، كانوا الى جانب الفضيلة أقرب، فامرؤ القيس حينما يقول فى إحدى قصائده:

سموت إليها بعد ما نام أهلها ... سمو حباب الماء حالا على حال
وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا ... ورضت فذلت صعبة أى إذلال

إنما يجنح الى الفن يحكمه فى شاعريته التى أبرزت هذه الصورة فى قالبها الفنى البديع، وليس للفضيلة وجود فى ثنايا هذا الكلام الدعر الخليع. وعدى بن زيد حينما يقول:

وتبين رب الخورنق إذ أشر ... ف يوما وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يمـ ... ـلك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غبـ ... ـطة حى الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والامـ ... ـة وارتهم هناك القبور
ثم أضحوا كأنهم ورق جـ ... ـف فالوت به الصبا والدبور

إنما يستوحى الفضيلة الماثلة فى نصرانيته التى كان يدين بها ، والتى من أسسها الدعاية الى الزهـد فى الدنيا ولذاتها . ولو راح إنسان يوازن بين الاسلوبين فى الصياغة لوجـد مجال الفرق واسعا بين الشاعرين ، فصاحب الفن سما الى ذروة البراعة فى الأسلوب الشعرى الجميل ، وصاحب الفضيلة استطاع أن يكون واعظا فى أسلوبه ، يجمع الى العبرة البالغة ، العظة النافعة فى صياغة هى الى الـكلام أقرب منها الى الشعر ، وهذا النحو تجده كثيرا فى الشعر الجاهلى ، وهو فى أغلبه أميل الى الفن منه الى الفضيلة . ولو قرأت شعر الأعشى فى خمرياته ، وشعر النابغة فى اعتذارياته ، ثم قرأت شـعر أمية بن أبى الصلت فى دينياته لرأيت أن الاعشى والنابغة كانا فنيين ، وأن أمية كان داعية دين وشاعر فضيلة حتى أفسد عليه الحسد فطرته المتدينة ، فأعاده الى فنية حانقة مغيظة لم يستقم لها الأداء الشعرى كما استقام لغيره من الشعراء الفنيين .

ونلمح هذا الأثر — ثانيا — فى الأدب الاسلامى ، فحسان بن ثابت شاعر فنى حينما كان يقول الشعر طليقا من قيود الدين والاجتماع ، وهو شاعر الفضيلة والخلق الـكريم حينما كان ينافح عن الدين ، ويتحدث عن فضائله ، روى صاحب الموشـح عن الأصمعى أنه قال : « طريق الشعر إذا أدخلته فى باب الخير لان ، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا فى الجاهلية والاسلام ، فلما دخل شعره فى باب الخير من مراثى النبى صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم ، لان شعره ، وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرىء القيس ، وزهـير ، والنابغة من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب ... وصفة الحمر والخيل والحروب والافتخار ، فاذا أدخلته فى باب الخير لان » . وهـذا الحطيئة أدرك الاسلام ، ولـكن بشاشة الايمان لم تخالط قلبه ، فبقى على جاهليته فى شعره ، وكان من أجزل شعراء عصره عبارة ، وأصفاهم ديباجة ، حتى إن الأصمعى يقول فيه : ليس من شعر تريد له عيبا إلا وجدته ، خلا شعر الحطيئة ، وليس له فى ميدان الفضيلة خطوة إلا فلتة لسان كقوله :

من يصنع الخير لا يعـدم جوازيه لا يذهب العـرف بين الله والناس

وله فى الهجاء أعاجيب ، فقد هجا من أحسن اليه ، ومن أساء ، وهجا أباه وأمه ، وزوجه ونفسه ، وهو فى كل ذلك شاعر فنى يبلغ الغاية فى تصوير ما يريد .

ونلمح أيضا هـذا الأثر — ثالثا — فى الأدب العباسى ، ذلك العصر الذى تذبذبت فيه الروح الادبية ، فطورا تطلق لها الحرية إطلاقا ، تذهب فى فنون القول كل مذهب ، لا يزجرها دين ، ولا يصدها خلق ، ولا يمنعها سلطان ، وفى ظلال تلك الحرية الجامحة نشأ بشار بن برد وأبو نواس ، ووالبة بن الحبـاب ، ومسـلم بن الوليـد ، وأضرابهم ، وأنشأوا فنهم المرذول خلقيا ، وطورا تتحرك عوامل السياسة ، وقيود النظام الاجتماعى ، ودوافع الدين فى نفوس الحاكمين فيقفون دون هـذه الحرية الجامحة ليردوها الى ساحة الفضيلة فتأبى إلا أن تتحايل

فى سبيل الرجوع الى طبيعتها الفنية فى شىء من الالف والدوران ، كما يقول أبو نواس ، وهو معروف المذهب :

أيها الرائحان باللـــــوم لوما | لا أذوق المـــــدام إلا شميما
نالنى بالمـــــلام فيها إمام | لا أرى لى خـــــلافه مستقيما
فاصرفاها الى ســـــواى فانى | لست إلا على الحـديث نديما
كبر حظى منها إذا هى دارت | أن أراها وأن أشم النسيما
فكأنى وما أزين منهـــــا | قعـــــدى يزين التحكيما
كل عن حمله السلاح الى الحـــــرب فأوصى المطيـق ألا يقيما

وإذا لم ترض الفضيلة منه بهذه الروح المتأرجحة فى غوايتها ، وثب وثبا الى مقام التقى والبر فقال :

أخى ما بال قلبـك ليس ينـقى | كأنك لا تظن الموت حقا
ألا يا بن الذين فنـوا وبادوا | أما والله ما ذهبـوا لتبـــــقى
وما أحـد بزادك منـك أحظى | وما أحـد بزادك منـك أشقى
ولا لك غـير تقـوى الله زاد | إذا جعلت الى اللهـوات ترقى

هذا مذهب المتقين الأبرار ، أو العتاهيين الدهاة ، وأبو نواس رجل لا من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وإنما هى الرهبة قادته الى سلوك هذا الطريق ، والذى يلقى بنظرة موازنة بين أسلوبه فى هذه الأبيات الوعظية الدينية التى تمثل جانبا من الفضيلة ، وبين أسلوبه فى شعر إحساسه ومذهبه المعروف يدرك أن هذه الأبيات الوعظية ليس فيها من حرارة الصدق فى الاحساس والشعور شىء .

وهذا الحد من الحرية ضرورى فى كل زمان لحماية الدين والاخلاق من عبث الاباحية ، ولـكنه خسارة على الادب وفنونه ، لانه يفقده الاحساس الصادق والوضوح فى العواطف والنزعات النفسية . قال القاضى أبو بكر الباقلانى فى كتاب إعجاز القـرآن : « وشبهوا الخط والنطق بالتصوير ، وقد أجمعوا على أن من أحذق المصورين من صور لك البا كى المتضاحك ، والبا كى الحزين ، والضاحك المتبا كى ، والضاحك المستبشر »

والأديب الذى يتحدث للرغبـة أو للرهبة من العسير عليـه أن يكون أمينا لفنه ، وإن استطاع أن يكون ماهرا ، والمثل الأعلى للأديب أن يكون ماهرا وأمينا معا ، والتعبير عن الفضيلة إحساس بالحياة من جانب الخير والنقاء والحق والنور والجمال النفسى ، والأدب قد يكون تعبيرا عن الفضيلة ، وليس هو الفضيلة ، وفرق بين الأمرين ، والتمييز بينهما مهمة المصلحين ، فاذا رأوا أدبا يعبر عن فضيلة قالوا عن صاحبه : هذا أديب فاضل حكيم يحب الفضيلة

ويجرى على سننها ، وإذا رأوا شرا قالوا : هذا أديب شرير ماجن ، أو مقذع فاجـر ، يهوى الرذيلة ويحبذها . قال قدامة بن جعفر فى كتاب نقد الشعر : « وعلى الشاعر إذا شرع فى أى معنى كان من الرفعة ، والضعة ، والرفث ، والنزاهة ، والبذخ ، والقناعة ، والمدح ، وغير ذلك من المعانى الحميدة أو الذميمة ، أن يتوخى البلوغ من التجويد فى ذلك الى الغاية المطلوبة . وأحسب أنه اختلط على كثير من الناس وصف الشعر بوصف الشاعر ، فلم يكادوا يفرقون بينهما »

وخلاصـة الرأى أن الفضيلة شرعة الاخلاق والديانات ، والحرية الكاملة شرعة الادب الكامل ، وقد يتلاقيان فى روح الاديب الممتاز بسمو شعوره ونقاء عبقريتـه إذا صادف بيئة فاضلة ؟

صادق ابراهيم عرجون

فضيلة التواضع

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من تواضع لله رفعه » فالتواضع المشروع لله لا للخلق ، وليس معنى هذا ان يتواضع المرء لله ويتكبر على الخلق تحت ستار حفظ الكرامة ، أو إظهار الاستغناء عنهم ، فلكل مقام حال يجب أن يراعى .

وقال عبد الملك بن مروان ، ورفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم : « أفضل الرجال من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وأنصف عن قوة » .

وقال ابن السماك لعيسى بن موسى : تواضعك فى شرفك أكبر من شرفك .

وقالت الحكماء : كل نعمة يحسد عليها صاحبها إلا التواضع .

وخرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويده على المعلى بن الجارود العبدى ، فلقيته امرأة من قريش ، فقالت له : يا عمر ! فوقف لها . فقالت له كنا نعرفك مـدة عميرا ، ثم صرت من بعد عمير عمر ، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين ، فاتق الله يابن الخطاب وانظر فى أمور الناس ، فانه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشى الفوت .

فقال المعلى : إيها يا أمة الله ، فقد أبكيت أمير المؤمنين !

فقال له عمر : أسكت أتدرى من هذه ؟ هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من سمائه ، فعمر أحرى أن يسمع قولها ويقتدى به .

وقال أبو عباد : ما جلس الى رجل قط إلا خيل الى أنى أنا جالس اليه .

وسئل الحسن عن التواضع فقال : هو أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيت له الفضل عليك .

الاسلام والطب الحديث

« يأيها النـاس إن كنتم فى ريب من البعث فانا خلقنا كم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لـكم ، ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد الى أرذل العمر لـكيلا يعلم من بعد علم شيئا » . (سورة الحج الآية ٥)

« ولقـد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم إنـكم بعد ذلك لميتون » . (سورة المؤمنون الآيات ١٢ — ١٤)

« أمن يبدأ الخلق ثم يعيده » . (سورة النمل الآية ٦٤)

« أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير . قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ، ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ، إن الله على كل شىء قـدير » .
(سورة العنكبوت الآيتان ١٩ و ٢٠)

« الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ، يخلق مايشاء وهو العليم القدير » . (سورة الروم الآية ٥٤)

« ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ، إن الله سميع بصير » . (سورة لقمان الآية ٢٨)

« الذى أحسن كل شىء خلقـه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سـلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لـكم السمع والأبصار والأفئدة ، قليلا ما تشكرون » . (سورة السجدة الآيات ٧ — ٩)

« إنا نحن نحيي الموتى ونـكتب ما قدموا وآثارهم ، وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين »
(سورة يس الآية ١٢)

« سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » .
(سورة يس الآية ٣٦)

« يخلقكم فى بطون أمهاتـكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ، ذلـكم الله ربكم له الملك »
(سورة الزمر الآية ٦)

« أئذا متنا وكنا ترابا ، ذلك رجع بعيد . قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ » . (سورة ق الآية ٣ و ٤)

« وقد خلقكم أطوارا » « والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا » .
(سورة نوح الآيات ١٤ و ١٧ و ١٨)

« ألم نخلقكم من ماء مهين ، فجعلناه فى قرار مكين ، الى قدر معلوم ، فقدرنا فنعم القادرون » .
(سورة المرسلات الآيات ٢٠ — ٢٣)

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق » . (سورة العلق)

« يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم » . (سورة الزلزلة)

« وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » . (سورة الاسراء الآية ١٣ و ١٤)

« ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .
(سورة الاسراء الآية ٣٦)

« ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ماهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا » .
(سورة الكهف الآية ٤٩)

« حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ، قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء » . (سورة فصلت ٢٠ و ٢١)

« وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه » . (سورة الروم ٢٧)

هذه الآيات الكريمة يفسر بعضها بعضا ، وبعضها لا بد أنه كان صعب الفهم على العرب وقت نزوله ، وهومايزال كذلك ، إلا إذا نظر اليه على ضوء العلم الحديث ، وسيزداد وضوحا بلا شك كلما تقدمت العلوم .

إن العالم الكبير إذا دعى لمخاطبة أطفال أو جهلاء فانه يخاطبهم على قدر عقولهم ، ولكنه لا يقول إلا حقا ، وعند الضرورة يقول الحق كله ، ولذا قد يسمعهم بعض مالا يفهمونه ، فان تكلم عن تعريف القاهرة مثلا ، فقد يقول : إنها عاصمة القطر المصرى أحد ممالك إفريقيا ، مع أنهم قد لا يعرفون معنى « لافريقيا » ولكنهم يفهمونها بعد أن يزيد رشدهم . ويرى العالم أن التعريف بدون لفظة إفريقيا ناقص ، وسيظهر نقصه لهم فى المستقبل .

كذلك الحال فى بعض آيات الكتاب الكريم ، فالقرآن ليس كتاب طب أو هندسة أو أى علم من العلوم ، ولكنه ، وقد رد على أسئلة المشركين ، كان يجيبهم على قدر عقولهم ،

على أنه لايقـول إلاحقا ، فالأمة العربيـة التى كانت فى أعلى درجات الفصاحة آمنت به وبما أمكنها فهمه من آياته ، وما لم يمكنها فهمه ردته الى المجاز ، أو آمنت به إجمالا ، ولو لم تفهم تفصيله ، لوثوقها أن كل ماجاء فى القرآن هو من عند الله تعالى .

أما من خلفوا الأمة العربية بعد ذلك فقد قلت فصاحتهم وزاد إدراكهم ، فهم يحكمون علمهم ، ولا يصدقون ما لا ينطبق عليه ، وقد كشف العلم الحديث عن معنى بعض الآيات ، وسينكشف الباقى منها كلما تقدمت العلوم ، ثم يأتى وقت يكون فيه العلماء الماديون أقرب الناس الى الدين .

وفى الآيات القرآنية المتقدمة كثير من الحقائق التى لم يعلمها العلماء إلابعد مرور ألف سنة على الدين الاسلامى « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

هـذه الآيات تجيب بصراحة على أربعة أسئلة مافتئ الانسان ، الجاهـل والفيلسوف ، يبحثان عنها كل منهما على قدر عقله :

١ — كيف بدئ الخلق أى كيف خلق أول إنسان ، وكيف يخلق باقى المخلوقات .

٢ — تطورات الجنين .

٣ — حياة الانسان على الأرض وبعد الموت .

٤ — النشأة الثانية أو البعث والحساب .

١ — بدأ الله الخلق من طين ، ولم تتقدم العلوم لتثبت ذلك ، وسيأتى الوقت الذى يثبت فيه هـذا حتما « قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق » وكل ما يقـال عن مذهب النشوء والارتقاء ومذهب « داروين » الخ ، لا يزال فى دور التجربة ، ولم يثبت منه شىء بصفة قاطعة أبدا ، ومما يسهل فهمه أن خلق أول المخـلوقات هو من نفس المادة التى يخلق الله منها جميع المخلوقات ، وقد أخبرنا القرآن أنها من ثلاثة أشياء :

(ا) مما تنبت الأرض .

(ب) من أنفسهم .

(ج) مما لا يعلمون .

(ا) فالجسم الحى ينمو بأن يحول مايأكله الى جزء حى من جسمه ، وهذه هى أهم مميزات الحى ، وما يأكله الطفل حتى يصير رجلا لا يخرج عن كونه مأخوذا من الحيوان أو النبات . والحيوان أصله من النبات ، فالكل مأخوذ من النبات الذى ينمو من مواد الارض والهواء . وهكذا يكون جسم الانسان كله من الطين الذى يتحول بقوة الحياة فيه كما يتحول الماء الى بخار بقوة الحرارة .

(ب) « من أنفسهم » أى من النطفة التى تمنى .

(ج) « مما لا يعلمون » تفسرها سورة السجدة « ثم سواه ونفخ فيه من روحه » فهناك شيء آخر هو « الروح » وهو خارج عن الطين ، وقد تقدمت علوم المادة حتى ظن العلماء أن المخ والغدد ذات الافرازات الداخلية تفسر كل أفعال الانسان ، ولكن كثيرا منهم أخذ يعترف بأن هذا لا يكفى ، وذهب فريق الى أن بعض الاشعة الكونية النائية قد يكون له تأثير فى المادة المخية « وما زلنا لا نعلم » كثيرا مما يقع بين علماء المادة ، وعلماء المادة والروح من سوء تفاهم ، فيقول الأولون : إن المخ إذا أصيب بمرض تأثرت القوى العقلية بل الاخلاق وغيرها الخ . وهذا دليل على أن المادة هى كل شيء ، ومن المدهش أن من أكبر العلماء من يحتج بذلك على أنه لا وجود للروح ، مثل « كيث وسمث » وغيرهما ، والحقيقة أن المادة ضرورية لاظهار شيء خفى عنا ، ومثلها مثل عدة المسرة « التليفون » فانها ضرورية لسماع صوت من يتكلم ، وإذا أصيبت المسرة بضرر اختل الكلام ووقف ، ولكن المسرة ليست منشا الكلام مطلقا ، وقد أقنع شرلوك هلمس كثيرين من معارضيه بذلك . وهذا لايثبت طبعا وجود الروح ، ولكن يجعله ممكنا ، وهذه هى آخر درجة معرفتنا أو بالأحرى « جهلنا » والمهم أنه لم يظهر شيء للآن يتنافى مع هذه الآيات .

والله جلت قدرته يخاطبنا على قدر عقولنا ، ويتكلم عن النشاة الأولى وعن بدء الخلق ، كانه تعالى قد اختص ببدء الخلق فقط مع أن الله بدأ الخلق وسن السنن الالهية الطبيعية ، (ومنها خلق الكون كله) التى لا تبديل فيها أبدا لكى تكفل وجود النوع الانسانى مادامت السموات والارض . وهكذا يكون معنى خلق آدم عليه السلام بعد خلق السموات والارض والسنن الالهية ، خلق العالم كله الى النهاية التى أرادها الخالق وقت بدئها ، وإذا كان صانع « الاوتوموبيل » عند مايأتى بالمواد الخام التى يستعملها يتصور فى مخيلته شكل الاوتوموبيل النهائى وسرعته الخ مع أنه لا يتحكم فى الحوادث التى قد تطرأ عليه ، ويجهل كثيرا منها ، أفلا يعلم الخالق الأول كل ما سيكون عند بدء الخلق مع أنه واضع السنن كلها ، وهذه السنن لا تتغير أبداً ، فالحقيقة أن الله بدأ الخلق ، والله خلق كل شيء ، وهذا هو معنى الآيات « ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة » و « يخلقكم فى بطون أمهاتكم » الآية .

٢ — تطورات الجنين : يقول تعالى : إنه يكون أولا نطفة ثم يصير علقة . وصحيح أن شكله يكون مستطيلا مثل العلقة تماما ، ويستمر كذلك فى الأربعة الأسابيع الأولى تقريبا ، وإذا عرفنا أن طوله حينئذ لا يزيد على خمس السنتيمتر الواحد ، وأنه لا يميز بالعين المجردة تماما ، وأن أول ميكروسكوب عملت فى سنة ١٦٨٣ أى بعد ألف سنة من نزول القرآن ، عرفنا أنه كلام الله تعالى .

على أن الجنين يصير بعد ذلك مستديرا بغير انتظام ومكورا ، ويبقى كذلك بضعة أسابيع

وقد سماه الخالق مضغة لكثرة الشبه بينه وبين قطعة اللحم الممضوغة ، وبعدها تظهر العظام واللحم (العضلات) التى تتصل بها كما وصفت تماما .

ويعلمنا القران أن الجنين له ثلاثة أغشية سماها ظلمات ، هى الغشاء المنبارى ، والخوربون ، والغشاء اللفائفى (الترجمة من قاموس الدكتور شرف) مع أنهما لا تظهر إلا بالتشريح الدقيق ، وتظهر كأنها غشاء واحد بالعين المجردة .

وقد ظهر للعلماء أن تاريخ الانسان الجنينى هو تاريخ للحياة منذ بدئت على ظهر الأرض ، فهو أولا يشبه الحيوان ذا الخلية الواحدة ، ثم ذا الخليات المتعددة ، ثم يشبه الحيوانات المائية والحيوانات ذات الثديين الخ ، وتاريخه تاريخ مذهب النشوء والارتقاء ، وقد لخص القرآن ذلك فى قوله : « وقد خلقكم أطوارا »

٣ — حياة الانسان والموت .

٤ — بعثه وحسابه .

أدوار حياة الانسان كما وصفها الكتاب الكريم :

لقد وفى هذه المسائل حقها من البحث الدكتور محمد عبد الحميد بك فى مقالاته ، وأما الموت فقد شبهه الله بالنوم ، وما أعظم الشبه بينهما ، والنوم هو موت جزئى للأعضاء ، وكما أن النائم يستيقظ كما يشاهد ، كذلك الميت أيضا يستيقظ ولو لم يشاهد ، إلا باذن الله وعلى أيدى الأنبياء ، ومن لم يشاهد ذلك يجادل ويقل : كيف نبعث ثانية بعد أن نكون عظاماً وتراباً ؟ والله يجيب على ذلك بقوله : إن الانسان خلق من طين ، وإنه يعلم ما يدخل فى تركيبه علما تاما « ألا يعلم من خلق » « قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ » وبهذا يمكنه أن يعيده سيرته الأولى .

وتتحول المادة من شكل الى شكل ، ولكنها فى صندوق الكون لا تفنى أبدا ، وكما أن الماء لا يفنى بتحوله الى ثلج أو بخار كذلك يتحول الطين الى نبات وحيوان ثم الى جسم إنسان ، ثم الى التراب ثانيا ، ثم يعيده الله كما كان .

وقد علمتنا العلوم أن معنى « كتاب حفيظ » ليس بالمعنى المعروف ، ولكنه سجل أدق وأوفى . والانسان الضعيف قد صنع آلات تسجل من نفسها ، والله صنع هذا الكون كله كآلة عظيمة تسجل كل شىء « كتاب حفيظ » فالانسان إذا تكلم انتشر صوته فى الفضاء كله دون أن يشعر ، بل قد أمكن الانسان أن يسجله ويستعيده عند الحاجة بعد زمن طويل (الراديو والفونوغراف) .

وكما أن الصوت يسجل تسجيلا ، أفلا يكون ذلك بالنسبة لكل حركاته وسكناته ، بل قد يتقدم العلم ، ونعرف أن أفكار الانسان يمكن قراءتها على بعد كبير بل يمكن تسجيلها ، فالانسان جسم صغير فى آلة كبيرة دقيقة حساسة تتأثر وتسجل كل حركات هذا الجسم وما يطرأ عليه لتستعيده عند الحاجة .

وقد شبه الله هذا التسجيل بآثار القدمين التى يعرفها العرب جيداً ، فقال « إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه فى إمام مبين » وهـذا هو كتاب الكون الذى يقول الله فيه : « لا يضل ربى ولا ينسى » و« شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون » . ويقولون : « لم شهدتم علينا ؟ » فتقول : « أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليـه ترجعون » ويقولون « ياويلتنا ما لهـذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحدا » . وسيرى الانسان أعماله نفسها فى المرآة ، ويرى صورة دقيقة لكل أفعاله وأفكاره كما كانت تماما ، فهو نفس المتكلم ونفس الفاعل « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » .

والسنن الطبيعية علمتنا أنه لا يوجد شيء فى هذا الكون بلا فائدة ، فالانسان مع ضعفه قد استخدم السنن الطبيعية وأمكنه أن يسجل الصوت ويستعيده بعد زمن طويل ، أفلا يكون هذا دليلا على أن التسجيل لا بد أن يكون لمهمة كبرى ، وأن الطبيعة لا تسرف أبدا « إنا كل شيء خلقناه بقـدر » فالله يسجل كل أحياة الانسان ليستعيدها يوم البعث ، وهـذا أهون من بدء خلق الانسان ، فالنشأة الثانية إعادة وهى أهون من الأولى ، وهما بالاضافة الى قدرة الله تعالى سيان ، كما قال الله تعالى : « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » . وهكذا نرى القرآن لا يبالغ أبداً كما نفهم من معنى المبالغة فى كلامنا حتى فيما لا ندركه تماما .

وقد يقال إن إحياء الموتى قد يكون فى المستقبل على يد أطباء مع أن الله يقول « إنا نحن نحيي الموتى » وذلك لما يقرؤه الناس أحيانا فى الجرائد عن إحياء الميت ورجوع الحياة اليه بعد وقوف علاماتها مثل التنفس والنبض . والحقيقة هى أن هناك فرقا كبيرا بين الموت العادى كما يفهم الناس من وقف الاعضاء عن العمل كعدم اشتغال المخ أو وقوف القلب ، وبين الموت العلمى الحقيقى ، وهو لا يكون بوقوف عمل الأعضاء فقط ، ولكنه يكون بموتها ، ولو أخذ القلب من ميت عادى بعد وقوف ضرباته ووضع فى محلول مخصوص لاستأنف ضرباته كما كان فى جسم الانسان من بضع ساعات ثم يموت ، ولا يمكن أن يضرب بعد ذلك مهما عمل فيه ، وهذا هو الموت الحقيقى الذى يتحلل بعده الانسان الى عناصره الأولى . وقد يتوصل الطبيب ، وقد توصل أحيانا ، الى إعادة الحياة فى الميت العادى ، أى أن القلب يعود فيضرب مدة قصيرة بعد وقوفه ، وقبل أن يكون قد بدأ فى التحلل أى قبل موته الحقيقى . وأما أن العلم يصل الى إعادة الحياة بعد التحلل فهذا مستحيل لانه لا فرق بين إعادة الحياة الى جسم ميت تماما ، وبين إيجاد حياة فى الجماد مثل الطين .

دكتور عبد العزيز اسماعيل

دحض شبهات عن الاسلام

مضت فترة من الزمان لم نتعقب فيها ما نشره الكاتب الفرنسى أندريه هرفيه من شبهات على الاسلام ، وقد وصلنا الى شبهته السادسة ، فنذكرها ملخصة ، ونكر بالرد عليها على نحو ما فعلناه بسابقاتها . قال :

الشبهة السادسة :

إن نجاح العرب فى فتوحاتهم العظيمة لايعلى من قيمتهم ، فان الفاتحين من أمثال أتيلا وجانكيز خان قد أخضعوا شعوبا كثيرة ، ولكنها ليست مدينة لهم بمدنية .

رد هذه الشبهة :

يريد المسيو أندريه هرفيه أن يقول إن مثل العرب فى توسعهم فى الفتوحات ، وبسط سلطانهم على الأمم ، كان كمثل الهونيين والتتار الذين قادهم أتيلا وجانكيز خان لمجرد الفتح والتسلط . ولما كان هذان الفاتحان قد أتيا على كل عامر فأخرباه ، وكل آهل فأقفراه ، ولم يكن همهم من الفتوح إلا سفك الدماء ، وسلب الأموال ، فنحن نسأل المسيو أندريه : هل هو بالقياس الذى أتى به يريد أن العرب كانوا على هذه السنة فى تحطيم العمران ، ونشر الذعر فى كل مكان ؟

إنه لم يشر الى هذا الأمر لأنه لا يقوى على مناهضة الحقائق التاريخية الى هذا الحد ، ولكنه أراد أن يقلل من عظمة هذه الفتوحات المحيرة للعقل ، حتى لا يستنتج منها الناظرون أنها تدل على فضائل نفسية ، أو على عبقرية حربية ، محاولة منه أن يجرد العرب المسلمين من كل مزية إنسانية ، فان نهضتهم الفجائية تحت تأثير تعاليم الاسلام ، بعد أن كانوا قبائل ممزقة الأوصال ، وأوزاعا لا تجمعها رابطة ، ولا تؤلف بينها آصرة ، غير أهل لأن يعيشوا فى عقر دارهم أحرارا آمنين ، حتى وقعت أخصب بقاعهم تحت سلطان الفرس والأحباش والرومانيين ، قلنا فان نهضتهم الفجائية هذه لا لأن يساووا الأمم فى تآلفها وتكافلها فحسب ، ولكن لكى ينقلبوا فاتحين متغلبين ، قد أدهشت جهرة المؤرخين ، وحيرت عقولهم أجمعين . ومما زاد فى دهشتهم وحيرتهم أن هذه الطائفة التى نهضت هذه النهضة الباهرة ، لم تنثن أمام أية قوة ضخمة بليت بها من لدن الفرس والرومانيين ، الذين حارب فى صفوفهم حتى العرب الذين كانوا لسلطانهم خاضعين .

فهذه الفتوحات قد اعتبرت أطروفة التاريخ الانسانى لأنها حدثت على غير السنن المعروفة ، وقامت بمهام عالمية فى سنين معدودة ، لم تأت بمثلها الأمم العريقة فى الوحدة الاجتماعية ، والنظم الحربية . فقد جمعت فى أقل من ثمانين سنة بين أقطار كان يجهل بعضها وجود البعض الآخر ،

فى القارات الثلاث الكبرى ، آسيا وأوربا وأفريقيا ، وانتظمت فى سلك امبراطورية موحدة ، لا تزال أحكامهم فيها مضرب الامثال الى يومنا هذا ، حتى قال أقرب المؤرخين الينا وهو جوستاف لوبون فى كتابه تمدن العرب : « لم ترزق الارض بفاتحين أكثر رحمة بالمقهورين من العرب المسلمين » . وقال المؤرخ المشهور (سديو) الفرنسى : « لقد نشر المسلمون العلم والمدنية حيث وطئت أقدامهم » .

ومما لم يمهد فى تاريخ الفتوح الانسانية ، وأصبح أعجوبة العلم الاجتماعى ، أن شعوبا دعت المسلمين لفتح بلادها ، والحلول محل المتغلبين عليها ، لما آنسوه فيهم من العطف على المقهورين والبر بهم .

فهل يصح أن يقارن المسيو أندريه هذه الفتوحات التى كانت خيرا وبركة على الشعوب ، بتلك الغارات المخربة التى شنها اتيلا وجانكيزخان على الامم التى بليت بمجاورتهما ؟

لا يمكن أن يقول عاقل بان ذلك يصح لا من ناحية سعة الفتوحات ، ولا من ناحية آثارها على المغلوبين . ففتوحات المسلمين كانت سلسلة انقلابات اجتماعية ، أوجبت تطورا أدبيا عاما بين شعوب كانت قد أصيبت بتحجر عقلى ونفسى لا ينقذها منه إلا حركة انقلاب عامة ، كالتى بعث الله خاتم النبيين لاحداثها ، وقد أدت ما أريد منها ، ودخل العالم بسببها فى طور جديد ، أجمع المؤرخون كلهم على أن ما فيه الناس اليوم من نعمة الديموقراطية والفتوحات العلمية من آثارها وثمراتها . فأين هذه الفتوحات العمرانية من تلك الغارات التلصصية التى انتهكت حرمات الاجتماع ، وديست فيها العواطف الانسانية بالاقدام ؟

يمثل المسيو أندريه هذه النفحات من الرحمة الالهية بفتوحات أتيلا وجانجكيزخان ، أفكلف نفسه أن يعرف قبل أن ينوه باسميهما من هما أتيلا وجنكيزخان ؟

فأما أتيلا فقد كان رئيسا لقوم يدعون بالهونيين ، هاجروا تحت قيادته من مقرهم الاول على سواحل بحر قزوين ، فى نحو منتصف القرن الخامس للميلاد ، واجتازوا آسيا الى أوربا فى عهد كانت مهاجرات القبائل فيها مباحة ، ومازالوا سائرين حتى نزلوا على حدود بلاد الغول وهى فرنسا الحالية ، ولما استقربهم المقام قاموا بما جبلوا عليه من الغارات والسلب ، فخربوا مدنا كثيرة من تلك البلاد ، وكان رئيسهم يلقب نفسه ببلاء الله ، ويفخر بما يأتيه من أعمال التخريب . ومما يؤثر عنه قوله : « إن العشب لاينبت حيث تطا قدماى » ومازال قومه يزاولون أعمالهم التخريبية حتى اتفق عليهم القائد الرومانى أيتيوس Aetius وتيودوريك théodoric ملك الويزيغوتيين ، وميروفيه Merovèe ملك الفرنكيين ، فقاتلوهم قتالا طاحنا فى كتالونيك Catalaunique حتى هزموهم شر هزيمة ، وأجلوهم عن بلاد الغول ، فغادروها مذءومين مدحورين ، الى أن استقربهم النوى على شواطئ نهر الدانوب . ومات أتيلا سنة ٤٥٣ .

هذا أتيلا الذى يضرب المسيو أندريه بفتوحاته مثلا ، ويقارن بها فتوحات المسلمين !

أما جنكيز خان فهو ابن يسوكاى بهادور رئيس قبائل بيكا مغول التتارية . تولى الرئاسة بعد أبيه ، وأخذ يحارب قبائل المغول التى حوله ، ووقع مرات عديدة أسيرا فى أيدى أعدائه ، حتى كانت سنة (١٢٠١) ميلادية فانتصر عليهم . فتألبوا عليه ثانية فدحرهم . ولما هزم جيوش بويورك رئيس قبائل الرايمان وقتله ، اعتبر نفسه منذلك اليوم رئيسا لجميع المعولين ، واعلن نفسه ملكا عليهم . وعقب ذلك أعلن الحرب على الصين ، فكانت حروب طويلة انتهت بدخوله بكين سنة ١٢١٤ . ثم أغار على مملكة خوارزم شاه وأخضعها ، وعلى سمرقند فسلمت له . ثم عاد الى بلاده ، وتوفى سنة (١٢٢٧) .

لامشاحة فى أن هذه الحركات تعتبر فتوحا بالمعنى الاجتماعى ، ولكنها كانت موضعية جنسية ، لأن ثمرتها كانت جمع القبائل المغولية تحت حكومة واحدة ، وكانت قبل جنكيز خان تحت حكومات متعددة ، ثم لم تلبث هذه الوحدة أن انفصم عراها بفعل جنكيز نفسه ، فأنه قبل أن يموت قسم ملكه بين أولاده ، وفى هذا إيذان بان هذه الفتوح كلها كان الغرض منها مصلحة أسرة مالكة ، لا إيجاد وحدة بين جنس واحد لغرض اجتماعى سام .

والفرق بينهما وبين الفتوح الاسلامية يظهر من ناحيتين : (أولاهما) أن تلك الفتوح كانت فى بقعة من الأرض محدودة ولم يك واحد منها ضد دولة لها شأن فى تاريخ العالم . (ثانيتهما) أنها لم تكن لغرض اجتماعى ابتنت عليه انقلابات جغرافية وأدبية .

فمن الناحية الأولى رأينا الفتوح الاسلامية لم تقتصر على توحيد الجنس العربى ، ولكنها كانت ذات صبغة عالمية ، فامتدت من جزيرة العرب الى سورية فالفرس فما وراء النهر الى الصين شرقا ، ومنها الى مصر وجميع شمال أفريقيا غربا ، ومنها أيضا الى أوربا وجزائر البحر الابيض المتوسط شمالا .

وأعجب ما فى هذا أن الجيوش الاسلامية ، وهى قليلة العدد ، استطاعت أن تحفظ خطوط مواصلاتها فى أقطار شاسعة على مسافات لا تقل عن أربعة آلاف كيلومتر ، وكانت موجهة ضد دولتين انفردتا بالسلطان فى الارض إذ ذاك ، وهما دولتا الفرس والرومان . ولم يكن على سطح الارض من يستطيع أن يقف فى وجههما ، وكانتا مالكتين لجميع البقاع التى تجاورهما من بلاد العرب .

فهذه الفتوحات الاسلامية لا يمكن أن تقارن بها فتوحات جنكيز خان المحلية ، فالمقارنة على هذا النحو عبث بالمعقول ، وتضليل يراد به الحط من الاسلام .

أما من الناحية الثانية فان الفتوحات الاسلامية لم يكن الغرض منها زيادة سلطان أسرة مالكة ، أو تغليب جنس على جنس ؛ ولكن كان القصد منها إعلاء كلمة الله فى الارض ، وتاسيس

دولة تقوم على الحق والمصلحة العالمية ، لا على القوة والمصلحة الجنسية .

تتبين هذه الاغراض العالية من السياسة التي اتبعها أولئك الفاتحون في هذا الملك العظيم ، فقد كانوا يرسلون الى الأقطار أعقل رجالاتهم وأرفعهم نفوسا ، وأطهرهم قلوبا ، ويوصونهم بالعدل المطلق ، والمساواة التامة بين القاهرين والمقهورين ، والاحسان الى المخالفين لهم في الدين .

ولما حضرت الخليفة الأول الوفاة ، طلب اليه رجال دولته أن يختار لهم من يخلفه فامتنع ، فلما ألحوا عليه لم يقع اختياره على واحد من أولاده ، وما فيهم إلا من يصلح للخلافة ، ولكنه اختار لهم عمر .

فلما حضرت عمر الوفاة ألح عليه كبار أصحابه أن يعهد بالأمر الى ابنه عبد الله ، وكان من أجدر الناس بهذا الأمر الجلل ، فلم يقبل ، ونهاه عن قبوله ، ولفت نظرهم الى اختيار رجل من ستة رجال من خيرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

فالفارق كما ترى ظاهر بين الفتحين .

وإذا تأملت في نتائجهما ألفيت فتوحات جنكيز خان كانت كفقاعة الصابون تضخمت ثم انفجرت ، ولم يبق منها عين ولا أثر ، ولكن فتوحات المسلمين ترتبت عليها نتائج عالمية خطيرة أدبية ومادية ، لا تزال باقية الى عصرنا هذا ، وستبقى بفضل الله الى آخر الزمان .

فهل ماوقع فيه المسيو أندريه هرفيه من هذه المقارنة مما يصح أن يقع فيه كاتب في القرن العشرين عصر البحوث المدققة ، والمقارنات الموفقة ؟ وهل مثل هذه السذاجة الكتابية تصلح أن تهدم صرحا مشمخرا من المآثر التالدة ، والمناقب الخالدة ، والاعمال الضخمة الماجدة ؟ !

نترك الجواب للقارئين ؟

محمد فريد وجدى

البلاغة في الايجاز

قال نقدة الكلام : خير الكلام مالم يحتج بعده الى كلام :

وقد وصف حسان بن ثابت عبد الله بن عباس من هذه الناحية فقال :

إذا قال لم يترك مقالا لقائل بملتقطات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع لذى إربة في القول جدا ولا هزلا

ومن الأقوال الوجيزة الدالة على المعانى الكثيرة ما قاله الفرزدق للحسين بن على رضى الله عنهما في مسيره الى العراق ، وقد سأله عن الناس : القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر في السماء .

الاسلام والفلسفة

فلسفة ابن سينا

يرى ابن سينا ، عدا الذى أسلفناه فى المقال السابق ، أن العالم أزلى ، لأنه معلول للعلة الأزلية ، ومعلول العلة الأزلية واجب الوجود بغيره ، وإن كان حقه فى ذاته الامكان ، وهذه الأزلية الثابتة عنده للعالم لا تختلف عن أزلية البارى إلا بالرتبة المدركة فى العقل وهى أن أزلية البارى ذاتيـة ، وأزلية العالم تابعة معلولة . ولا ريب أن ابن سينا فى هـذه النظرية متأثر بالقاعدة الاغريقيـة الثالثة : « إن العـدم لا ينتج وجودا » . وهو يبرهن على صحة ما ذهب إليه بأنه لو كان العالم قد وجد بعـد أن لم يكن ، للزم أن تكون العـلة قد وجدت وتحققت شروطها كلها ثم تأخر وجود المعلول عنها زمنا ما ثم وجد بعد هذا الزمن ، وهذا الوجود لا يمكن أن يكون إلا بمرجح تجدد قبيل هـذا الوجود ، وهـذا المرجح المتجدد لا يمكن أن يقوم بالبارى ، لأن البارى لا تقوم به المتجددات ، ولا يمكن أن يكون قد قام بالمعلول ، لأن المعلول لم يوجد بعد ، ولا أن يكون هـذا المرجح علة مستقلة بذاتها ، وإلا لتعددت العلل على معلول واحد من الجهة عينها ، وهو جلى الاستحالة بإجماع الفلاسفة . وإذا فالعالم عنده معلول أزلى بأزليـة علته ، وهو موجود منـذ وجودها ، ولا يمكن أن يتأخر عنها مطلقا . ولو أننا فرضنا هذا الامكان لتخلف المعلول عن العلة المستوفية للشروط ، وهذا محال كما أسلفنا ، وللزم نشوء هذا المعلول عن علة أخرى تحتل مكان الأولى ويكون لها فضل ترجيح كفة الوجود على كفة العدم . وهذه العلة الثانية التى فرضناها إما أن تكون ممكنة الوجود أو واجبته ، فان كانت ممكنة ، فهى ناشئة عن غيرها ، والكلام فيها يكون كالكلام فى كل ناشىء عن غيره . وإن كانت واجبة لزم أن يتعدد واجب الوجود ، وهو محال . وبناء على هذا كله وجب الجزم بأن العالم معلول للعلة الأولى الازلية الواجبة الوجود ، وكل ما كان كذلك فهو أزلى واجب الوجود لغيره ومن غيره .

ويوضح ابن سينا هذا الرأى فى إشاراته فيقول : « تنبيه وإشارة : كل شىء لم يكن ثم كان ، فتبين فى العقل أن ترجح أحد طرفى إمكانه صار أولى بشىء أو بسبب ، وإن كان قد يمكن العقل أن يذهل عن هذا البين ويفرغ الى ضروب من البيان ، وهذا الترجيح والتخصيص عن ذلك الشىء إما أن يقع وقد وجب عن السبب أو بعـد لم يجب ، بل هو فى حد الامكان عنه إذ لا وجه للامتناع عنه ، فيعود الحال فى طلب سبب الترجيح جذعا ولا يقف ، فالحق أنه يجب عنه (١) » .

(١) راجع المسألة الثامنة من النمط الخامس .

لم يكتف ابن سينا فى هـذا المقام بذكر رأيه ، بل شرع يسرد مذاهب خصومه من المتكلمين وغيرهم ، ليكون الرد عليها واضحا مستقيما ، فقال : «ومنهم من وافق على أن واجب الوجود واحد ، ثم افترقوا فقال فريق منهم إنه لم يزل ولا وجود لشيء عنه ثم ابتدأ أو أراد وجود شيء عنه ، ولولا هذا لكانت أحوال متحددة من أصناف شتى فى الماضى لا نهاية لها موجودة بالفعل ، لأن كل واحد منها وجد ، فالكل وجد ، فيكون لما لا نهاية له من أمور متعاقبة كلية منحصرة فى الوجـود . قالوا وذلك محال ؛ وإن لم تكن كلية حاصرة لأجزائها معا ، فانها فى حكم ذلك ، وكيف يمكن أن تكون حال من هذه الأحوال توصف بأنها لا تكون إلا بعد ما لا نهاية له فتكون موقوفة على ما لا نهاية له فيقطع اليها ما لا نهاية له ، ثم كل وقت يتجدد يزداد عدد تلك الاحوال ، وكيف يزداد عدد ما لا نهاية له ؟ ومن هؤلاء من قال : إن العالم وجد حين كان أصلح لوجوده . ومنهم من قال : لا يمكن وجوده إلا حين وجد . ومنهم من قال : لا يتعلق وجوده بحين ولا بشيء آخر بل بالفاعل ، ولا يسأل عن لم » (١) الخ

لا ريب أن هـذه الآراء القائلة بأن البارى لم يزل ، وكان ولا شيء معه ولا موجـود سواه ثم ابتدأ فأوجد العالم ، أو الذاهبة الى أن العالم لم يكن وجوده ممكنا إلا حين وجد ، أو المائلة الى أن وجود العالم لا يتعلق إلا بالفاعل وهو لا يسأل عما يفعل : لم فعل ؟ ولا عما يترك : لم ترك ؟ كلها مذاهب فرق إسلامية تخالف القاعدة اليونانية الذاهبة الى أن معلول العلة الأزلية يجب أن يكون أزليا .

ولما كان أبلغ الردود القديمة التى صوبت سهامها الى هذا الرأى هو رد الامام الغزالى ، فقد رأيت أن من المفيد أن تلم هنا بطرف من هذا الرد المفحم المدعم بالحجة والبرهان بعد أن رددنا نحن فيما مضى من الفصول على نظرية العلية والمعلولية بما يقوضها من أساسها ، لتأدية القـول بها الى الاعتقاد بعدم وجـود الارادة والحكمة الالهيتين اللتين عليهما تاسس هـذا النظام الكونى الفائق .

وهاك شيئا من مناقشة الامام الغـزالى لهذه النظرية : « ولهذا الفن من الادلة ثلاثة : الاول قولهم : يستحيل صدور حادث من قديم مطلقا ، لانا إذا فرضنا القديم ولم يصدر منه العالم مثلا فانما لم يصدر لانه لم يكن للوجود مرجح بل كان وجود العالم ممكنا إمكانا صرفا ، فاذا حدث بعد ذلك لم يخل : إما أن يتجدد مرجح أو لم يتجدد ، فان لم يتجدد مرجح ، بقى العالم على الامكان الصرف كما كان قبل ذلك ، وإن تجدد مرجح ، فمن محدث ذلك المرجح ؟ ولم حدث الآن ولم يحدث من قبل ؟ فالسؤال فى حدوث المرجح قائم . وبالجملة فاحوال القديم إذا كانت متشابهة ، فاما أن لا يوجد عنه شيء قط ، وإما أن يوجد على الدوام ، فأما أن يتميز حال الترك

(١) انظر المسألة العاشرة من النمط نفسه .

عن حال الشرع فهو محال . وتحقيقه أن يقال : لم لم يحدث العالم قبل حدوثه ؟ لا يمكن أن يحال على عجزه عن الاحداث ولا على استحالة الحدوث ، فان ذلك يؤدى الى أن ينقلب القديم من العجز الى القدرة ، والعالم من الاستحالة الى الامكان ، وكلاهما محالان . ولا يمكن ان يقال : لم يكن قبله غرض ثم تجدد غرض ، ولا يمكن أن يحال على فقد آلة ثم على وجودها ، بل أقرب ما يتخيل أن يقال : لم يرد وجوده قبل ذلك ، فيلزم أن يقال : حصل على وجوده لأنه صار مريدا لوجوده بعد أن لم يكن مريدا ، فيكون قد حدثت الارادة ، وحدوثها فى ذاته محال ، لانه ليس محل الحوادث ، وحدوثها فى ذاته لا يجعله مريدا . ولنترك النظر فى محل حدوثه البين ، فأما الاشكال فى أصل حدوثه . وأنه من أين حدث ؟ ولم حدث الآن ولم يحدث قبله ؟ أحدث الآن لا من جهة الله ؟ فان جاز حدوث حادث من غير محدث ، فليكن العالم حادثا لا صانع له ، وإلا فأى فرق بين حادث وحادث ؟ وإن حدث باحداث الله ، فلم حدث الآن ولم يحدث قبل ؟ ألعدم آلة أو قدرة أو غرض أو طبيعة ؟ فلماذا تبدل ذلك بالوجود وحدث ؟ وعاد الاشكال بعينه ، أو لعدم الارادة الاولى ويتسلسل الى غير نهاية . فاذاً قد تحقق بالقول المطلق أن صدور الحادث من القديم من غير تغيير أمر من القديم من قدرة أو آلة أو وقت أو غرض أو طبع ، محال ، وتقدير تغيير القديم محال ، لان الكلام فى ذلك التغيير الحادث كالكلام فى غيره ، والكل محال . ومهما كان العالم موجودا واستحال حدوثه ثبت قدمه لا محالة . فهذا أخيل أدلتهم .

« وبالجملة كلامهم فى سائر مسائل الالهيات أنزل من كلامهم فى هذه المسألة ، إذ يقدرون ها هنا على فنون من التخييل لا يتمكنون منه فى غيرها ، فلذلك قدمنا هذه المسألة وقدمنا أقوى أدلتهم . والاعتراض من وجهين : أحدهما أن يقال : لم تنكرون على من يقول : إن العالم حدث ، إرادة قديمة اقتضت وجوده فى الوقت الذى وجد فيه ، وأن يستمر العدم الى الغاية التى استمر اليها ، وأن يبتدأ الوجود من حيث ابتدئ ، وأن الوجود قبله لم يكن مرادا فلم يحدث لذلك ، وأنه فى وقته الذى حدث فيه مراد بالارادة القديمة فحدث لذلك . فما المانع لهذا الاعتقاد ؟ وما المحيل له ؟ فان قيل : هذا محال بين الاحالة ، لان الحادث موجب ومسبب وكما يستحيل حادث بغير سبب وموجب ، يستحيل أيضا وجود موجب قد تم بشرائط إيجابه وأركانه ، وأسبابه حاصلة حتى لم يبق شىء منتظر ألبتة ثم يتأخر عنه الموجب ، بل وجود الموجب عند تحقق الموجب بتمام شروطه ضرورى ، وتأخره محال حسب استحالة وجود الحادث الموجب ، فقبل وجود العالم كان المريد موجودا ، والارادة موجودة ، ونسبتها الى المراد موجودة ، ولم يتجدد مريد ، ولم تتجدد إرادة ، ولا تجدد للارادة نسبة لم تكن قبل ، فان كل ذلك تغير ، فكيف تجدد المراد ، وما المانع من التجدد قبل ذلك وحال التجدد لم يتميز عن الحال السابق فى شىء من الأشياء وأمر من الامور وحال من الأحوال ونسبة من النسب ، بل الأمور كما كانت بعينها ، ثم لم يكن وجد المراد وبقيت هى بعينها كما كانت فوجد المراد ، ماهذا

إلا غاية الاحالة ، وليس استحالة هـذا الجنس فى الموجب والموجب الضرورى الذاتى ، بل وفى العرضى والوضعى ، فان الرجل لو تلفظ بطلاق زوجته ولم تحصل البينونة فى الحال لم يتصور أن تحصل بعده ، لانه جعل اللفظ علة للحكم بالوضع والاصطلاح لم يعقل تأخير المعلول إلا أن يعلق الطلاق لمجىء الغد أو بدخول الدار فلا يقع فى الحال ، ولكن يقع عند مجىء الغد أو عند دخول الدار ، فان جعله عـلة بالاضافة الى شىء منتظر ، فلما لم يـكن حاضرا فى الوقت وهو الغد والدخول ، توقف حصول الموجب على حضور ما ليس بحاضر ، فما حصل الموجب إلا وقد تجدد أمر وهـو الدخول وحضور الغـد لو أراد أن يؤخر الموجب عن اللفظ ، غير منوط بحصول ما ليس بحاصل ، لم يعقل مع أنه الواضع وأنه المختار فى تفصيل الوضع ، فاذا لم يمكننا وضع هذا بشهوتنا ولم نعقله فكيف نعقله فى الايجابات الذاتية العقلية الضررية ؟ .

« وأما فى العادات ، فما يحصل بقصدنا لا يتأخر عن القصد مع وجود القصد اليه إلا لمانع ، فان لحقت القصد القدرة وارتفعت الموانع لم يعقل تأخر المقصود ، وإنما يتصور ذلك فى العزم لأن العزم غير كاف فى وجود الفعل ، بل العزم على الكتابة لا يوقع الكتابة مالم يتجدد قصد هو انبعاث فى الانسان متجدد حال الفعل ، فان كانت الارادة القديمة فى حكم قصدنا الى الفعل ، فلا يتصور تأخر المقصود إلا لمانع ، ولا يتصور تقدم القصد ، فلا يعقل قصد فى اليوم الى قيام فى الغـد إلا بطريق العزم . وإن كانت الارادة القـديمة فى حـكم عزمنا ، فليس ذلك كافيا فى وقوع المعزوم ، بل لا بد من تجدد انبعاث قصدى عند الايجاد . وفيه قول بتغير القديم ، ثم يبـقى عين الاشكال فى أن ذلك الانبعاث أو القصد أو الارادة أو ما شئت سمه لم حـدث الآن ولم يحدث قبل ذلك ؟ فاما أن يبقى حادث بلا سـبب أو يتسلسل الى غير نهاية ، فرجع حاصل الـكلام الى أنه وجد الموجب بتمام شروطه ولم يبق أمر منتظر ، ومع ذلك تأخر الموجب ولم يوجد فى مدة لا يرتقى الوهم الى أولها ، بل آلاف سنين ولا ينقص شىء منها ، ثم انقلب الموجب موجودا بغتة من غير أمر تجدد وشرط تحقق ، وهو محال فى نفسه . والجواب أن يقال : استحالة إرادة قديمة متعلقة باحداث شىء أى شىء كان يعرفونه بضرورة العـقل أو نظره . وعلى لغتكم فى المنطق أتعرفون الالتقاء بين هذين الحدين بحد أوسط ؟ فان ادعيتم حدا أوسط ، وهو الطريق النظرى فلا بد من إظهاره ، وإن ادعيتم معرفة ذلك ضرورة ، فكيف لم يشارككم فى معرفته مخالفوكم ؟

« والفرقة المعتقدة لحدوث العالم بارادة قديمة لا يحصرها بلد ، ولا يحصيها عدد ، ولا شك فى أنهم لا يكابرون العقول عنادا مع المعرفة ، فلا بد من إقامة برهان على شرط المنطق يدل على استحالة ذلك ، إذ ليس فى جميع ما ذكرتموه إلا الاستعداد المجرد والتمسك بعزمنا وإرادتنا ، وهو فاسد ، فلا تضاهى الارادة القـديمة القصود الحادثة . وأما الاستعداد المجرد فلا يكفى

من غير برهان(١) » الى أن يقول : « بم تنكرون على خصومكم إذ قالوا : قدم العالم محال ، لأنه يؤدى الى إثبات دورات للفلك لا نهاية لأعدادها ، ولا حصر لآحادها مع أن لها سدسا وربعا ونصفا ، فان فلك الشمس يدور فى سنة ، وفلك زحل فى ثلاثين سنة ، فتكون أدوار زحل ثلث عشر أدوار الشمس ، وأدوار المشترى نصف سدس أدوار الشمس ، فانه يدور فى اثنتى عشرة سنة ، ثم إنه كما لا نهاية لأعداد دورات زحل، لانهاية لاعداد دورات الشمس مع أنه ثلث عشر ، بل لا نهاية لادوار فلك الكواكب الذى يدور فى ستة وثلاثين ألف سنة مرة واحدة ، فلو قال قائل : هذا مما يعلم استحالته ضرورة ، فبماذا تنفصلون عن قوله ؟ بل لو قال قائل : أعداد هذه الدورات شفع أو وتر أو شفع ووتر جميعا ، أو لا شفع ولا وتر . فان قلتم : شفع ووتر جميعا أو لا شفع ولا وتر ، فيعلم بطلانه ضرورة . وإن قلتم : شفع ، فالشفع يصير وترا بواحد فكيف أعوز ما لا نهاية له واحد ؟

وإن قلتم : وتر ، فالوتر يصير بواحد شفعا ، فكيف أعوزه ذلك الواحد الذى به يصير شفعا فيلزمكم القول بأنه ليس بشفع ولا وتر . فان قيل : إنما يوصف بالشفع والوتر المتناهى ، ومالا يتناهى لا يوصف به . قلنا : فجملة مركبة من آحاد لها سدس وعشر كما سبق ثم لا يوصف بشفع ولا وتر يعلم بطلانه ضرورة من غير نظر . فبماذا تنفصلون عن هذا ؟ فان قيل : محل الغلط فى قولكم : إنه جملة مركبة من آحاد ، فان هذه الدورات معدومة ، أما الماضى فقد انقرض ، وأما المستقبل فلم يوجد ، والجملة إشارة الى موجودات حاضرة ، ولا موجود هاهنا . قلنا : العدد ينقسم الى الشفع والوتر ، ويستحيل أن يخرج عنه سواء كان المعدود موجودا باقيا أو فانيا ، فاذا فرضنا عددا من الأفراس لزمنا أن نعتقد أنه لا يخلو من كونه شفعا أو وترا سواء قدرناها موجودة أو معدومة ، فان انعدمت بعد الوجود لم تتغير هذه القضية » . (٢)

هذا نموذج قيم من جدل الامام الغزالى مع فلاسفة المسلمين الذين استهوتهم الفلسفة الأغريقية فأذهلتهم عن كل شىء حتى عن المنطق والتحقيق .

هذا ، وسنكتفى الآن بما أوردناه من مناقشة الامام الغزالى لهذه الآراء ، وسنعود فى الأعداد التالية الى تتميم هذه البحوث معتمدين على أدلتنا الخاصة بعد أن استأنسنا بأدلة هذا المفكر الجليل ، فالى اللقاء .

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

---

(١) انظر صفحتى ٧ و ٨ من كتاب « تهافت الفلاسفة » للغزالى .

(٢) انظر صفحة ٩ من الكتاب المذكور .

فيوضات النفس الناطقة

مضينا بالقارئ في شيء غير قليل من التحدث عن النفس الناطقة في أوضاع الفلاسفة المتقدمين منهم والمتأخرين في بحوث سابقة. والآن نحاول في شيء من التبسط تتسع له المجلة أن نعرض لبعض البحوث التحليلية التي أجملها الفلاسفة والمتكلمون في النفس الناطقة. فما انعقد عليه إجماع المتقدمين من الفلاسفة أن النفس الناطقة هي كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما تدرك الكليات والمجردات وتفعل الأفعال الفكرية وتستنبط ماتتجه إليه بالرأي والروية. وقد اتفقت كلمتهم على أن النفس الانسانية بديهية الظهور والجلاء، فلا يرتاب أحد في وجودها ولا في أنها مدركة، ضرورة أن كل إنسان لا يرقى الشك الى فرد من أفراد نوعه في أن له شيئا يشير اليه (بأنا) وأنه مدرك لذاته. لكنهم بعد ذلك اختلفوا فيما هو ذلك الشيء اختلافا عظيما في تعريفه والكشف عنه بالقدر الذي حملوا منه قسطا من الحجة والدليل وملامسة الواقع والاستهداء بهدى المشاهدات. والمختار على ما حققه الامام العضد وارتضته جمهرة من المشتغلين بعلوم النفس الناطقة، ما عليه أهل التحقيق من أئمة علماء الكلام، وهو أنه جوهر مجرد ليس جسما ولا جسمانيا، وهو متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف لا تعلق الجزء بالكل ولا تعلق الحال بالمحل، وأنه حادث باق بعد خراب البدن مدرك للكليات والجزئيات.

ثم إن في النفس الناطقة مذاهب شتى في تكييفها وحقيقة جوهرها وفي مدى تصرفها وفي الآثار الصادرة عنها، وقد تبلغ هذه المذاهب الثلاثين عداً، غير أن المشهور منها ثلاثة عشر مذهبا.

ولأن الأخلاق في صدورها عن النفس الناطقة وثيقة الاتصال بها وبآثارها فلا بد أن نتكلم ولو لماما عن أم المذاهب ليكون القارئ على بينة مما قيل في النفس الناطقة

التى هى مصدر الفضائل ومناط هـذا المجتمع بما فيه من أنماط صالحة وغير صالحة :

ذهب جالينوس وعامة الأطباء وكثير من الفلاسفة فى تعريف النفس الناطقة الى أنها عبارة عن ثلاث قوى ، وتلك القوى هى مباد للأفعال (إحداها) الحيوانية التى بها الحس والحركة الإرادية ، ومسكنها القلب ، على معنى أنه يوجد فى القلب قوة تدبر أمر الروح الذى هو مركب الحس والحركة ، وتمده لقبوله إياهما إذا حصل فى الدماغ ، وتجعله بحيث يخلع على ذلك العضو الذى يفشو فيه الحياة ، فرياسة الدماغ موقوفة على الحواس الظاهرة والباطنة لاشتراط صدور الحس والحركة عن القوة القائمة بالروح بكونه حاصلا فى الدماغ ، لا لأن تلك القوة قائمة بالدماغ . و (الثانية) هى النباتية التى هى مبدأ للأفعال الطبيعية المغذية بالقياس الى سائر الأعضاء ، وبواسطتها تحصل قوة التغذى فى سائر الأعضاء ، ومسكنها الكبد .

و (الثالثة) فى الدماغ وهى النفسانية ، فإن الدماغ إما بنفسه وإما بمعونة القلب مبدأ للأفاعيل النفسانية بالقياس الى سائر الأعضاء ، على معنى أنه مصدر لتلك الأفاعيل بحيث لا تصدر إلا عنه ولا تنتظم فى سمت واحد وعلى سنن واحد إلا بالقياس الى مبلغ استمداده وقوة تهيئه .

وذهب بعض المحققين من علماء الكلام الى أنها الهيكل المحسوس والبنية المشاهدة ذات الأثر المشاهد التى تصدر عنها المشاهدات الكونية الخاضعة لناموس هذا الوجود .

وذهب بعض الفلاسفة الى أنها عبارة عن الأخلاط التى يتولد عنها هـذا البدن والمعتدلة كما وكيفا ، ضرورة أن بقاءها بكيفياتها وكمومها سبب لبقاء الحياة بالدوران .

وذهب بعض الأطباء من المتأخرين الى أنها الدم المعتدل ، إذ بكثرته واعتداله تبقى الحياة ، وبقلته وعدم اعتداله تضعف الحياة . ويذهب الفيلسوف الكبير ديوجانس الى أنها اعتدال المزاج النوعى ، فتبقى الحياة ما بقى الاعتدال النوعى ، وتزول إذا زال ، وأنها هى النفس المتردد المنبعث عن تلك البنية وذلك المزاج ، فبانقطاعه تنقطع الحياة ، وببقائه مترددا تبقى الحياة .

ويذهب طاليس الملطى الى أنها عبارة عن عنصر الماء ، لأن الماء سبب النشوء والنمو ، والنفس من حيث إذكاء الفضائل أو إنماء الرذائل ومن حيث إفاضتها تلك الآثار فى الانسان قوة وضعفا وقلة وكثرة إنما تستمد نماءها وقوتها وحياتها من الماء. لكن يأتى افلاطوخس فيخالف صاحب هذا المذهب ، ويذهب الى أن النفس الناطقة هى النار ، لأن خاصية النار الإشراق والحركة ، وخاصية النفس الحركة والإدراك الذى هو إشراق .

ويرى بعض علماء النفس من المتقدمين أنها قوة فى الدماغ تصعد إليه من القلب ويكنون عنها بالروح ، وتتكيف تلك القوة بالكيفية الصالحة لقبول الحس والحركة ، والحفظ والفكر والذكر ، ينفذ فى الأعصاب الى جميع البدن . ويتابع صاحب هذا المذهب العلامة ابن الراوندى فيذهب الى أنها جزء لا يتجزأ من القلب وليس جسما ولا جسمانيا منقسما . ثم إن النظّام نحا نحوا آخر فى تعريف النفس الناطقة ، فذهب الى أنها أجسام لطيفة لذواتها مخالفة بالماهية للجسم الذى تتولد عنه الأعضاء ، وهى نورانية علوية خفيفة حية لذواتها متحركة بأنفسها سارية فى جواهر الأعضاء سريان الماء فى الورد والدهن فى السمسم والنار فى الفحم لا يتطرق إليها انحلال ولا تبدل ، إذ كل أحد يعلم أنه باق غير متبدل ، ولا يلزم من ذوبان البدن وتحلله ذوبان النفس وتحللها ، فما دامت الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها وهى قوة الاحساس والحركة الارادية ، بقيت فى هذه الأعضاء وأفادتها هذه الآثار ، وبقاؤها فيها هو حياتها ، وإذا فسدت هذه الأعضاء وخرجت عن قبول هذه الآثار انفصلت عنها ، وانفصالها عنها هو موتها وفسادها .

وجلى أن هذا المذهب فيه كثير من التعسف ، ولذلك وردت عليه تعقيبات لا يتسع لها هذا البحث . أما بيان الصحيح من تلك المذاهب وغيره فموعده سوانح مقبلة .

عباس طه

تاريخ الادب العربى

فى العصر الأموى (١)

استقرت السيادة الدينية التى شيدها النبى (صلى الله عليه وسلم) وأحكم بناءها ، وحافظ عليها رجال الاسلام الاولون من الخلفاء الراشدين ، وأحاطوها بسياج منيع من الحكمة والعدل فى أول عهد الاسلام ، فلم يتسرب اليها الضعف ولم تقو على مغالبتها الامور الدنيوية ، ولكنها ما لبثت بعد ذلك أن أفسحت مجالا للتطور الطبيعى الذى كانت تحتمه تغيرات الزمان وتقلبات الحوادث ، خصوصا أن رجالا مثل عمر وأبى بكر يندر أن يجود التاريخ بأمثالهما .

تغلبت العواطف البشرية على الخلفاء من بعدهم ، فمهدت الطريق الطبيعى للسيادة الدنيوية التى بدأت آثارها تظهر شيئا فشيئا فى مرافق الحياة العامة ومظاهر الحكم ؛ فعادت أعلام قريش ورجالها الى الظهور بعد انزوائهم الطويل وزوال سلطانهم على العرب ، فاكتسبوا بعض السلطة فى خلافة عثمان ، وحكموا بعض الولايات ، وأخذت سطوتهم فى ازدياد ، وحكمهم فى اتساع ، الى أن تمكن معاوية الأموى من الفوز فى أمر الخلافة على المسلمين ضد مزاحمه على بن أبى طالب ابن عم النبى (صلى الله عليه وسلم) وتمت له السيادة المطلقة على جميع المسلمين . ولم ينس خلفاء الأسرة الاموية أن الفضل فى انتصارهم لا يرجع الى الاسلام ، وإنما الى مقاومتهم للنتائج المباشرة المترتبة عليه ، ولذلك فانا نجد رجال الدين من أهل المدينة كانوا دائما يعتبرون سيادة الامويين ملكا وليست خلافة بالمعنى الاسلامى الصحيح .

لم يحاول الأمويون أن يعبثوا بالحياة العربية فى البدو ، فاننا نجد أن المنازعات فى صحراء الشام فى عصر عبد الملك ، وهو أقوى خلفاء بنى أمية ، كما نعلم أنه لم ينشئ حكومات نظامية إلا فى البلاد ذات الحضارة القديمة مثل بابل والشام ، وذلك لأنه رأى أن الحرية وعدم التقيد وهما الخصلتان اللتان طبع عليهما العرب منذ القدم ، تصبحان خطرا مهددا لكيان أسرته لو أنهما التقيا بوسائل القوة الكامنة التى امتازت بها تلك البلاد المتحضرة ؛ وبقيت كذلك الأحوال القديمة فى بلاد العرب الاصلية على حالها فلم يدخلها تغيير بعد أن كسرت شوكة الداعين الى الاستقلال من رجال الدين من أهل الحجاز .

ولما كان تطور الحركة الفكرية يتدرج مع الحياة السياسية ، فقد بقيت الحياة الادبية

---

(١) مترجمة من الالمانية نقلا عن كتاب (تاريخ الادب العربى) للمستشرق الالمانى الكبير الاستاذ الدكتور « بروكلمان »

على وتيرتها القديمة ، ولم يكن للاسلام أثر كبير على فنون الشعر ، وقلما امتدح أحد من الأبطال بالفضائل الخلقية التى عرفت عن طريق الدين الجديد ، وبقى كذلك الشعر على شكله القديم فلم يدخله تغيير ، كما بقيت العوامل الشعرية محدودة بعامل التقليد ، إلا فيما يختص بأبواب الغزل ، فقد ظهر فيه من الشعراء ما جعله يحيا حياة مستقلة فى هذا العصر بعد أن كان لا يعرف منه إلا ما افتتحت به القصائد القديمة .

وكانت بلاد العرب الأصلية مهد أشعار الغزل وموطن رعايتها ، ويرجع السبب فى ذلك الى أن الغزوات الاسلامية الكبيرة كانت تغرى الرجال من ذوى الهمم العالية والنشاط الكبير الى خوض غمارها ، كما كانت تستهويهم قواعد الحكم ومراكز السلطة فى الشام حيث يجدون فى الحياة السياسية غذاء كافيا لمطامعهم الكبيرة ، فاقفرت منهم بلاد العرب موطنهم الأصلى القديم ، ولم يبق بها إلا من كان يستعذب ملاذ الحياة ، خصوصا فى مركزى الاسلام مكة والمدينة ، حيث لم يوجد بهما إلا حماة السنة الاسلامية القديمة من رجال الدين والى جانبهم عدد كبير من الشباب المستهترين . وكانت الحياة بمكة مدعاة للتسلية بسبب وفود الحجاج والحاجات اليها من جميع أنحاء الممالك الاسلامية ، ولا زالت هذه المدينة حتى الآن ترتزق من زيارة الاجانب بانجع وسائل الترغيب ، ولم تقل المدينة عنها استعدادا لملاذ الحياة ، ويستدل على ذلك من الغرفة التى أعدها هناك عبد الحكم بن عمر الجمحى للعب والقراءة .

وأظهر شعراء الغزل فى هذا العصر هو عمر بن أبى ربيعة من قبيلة مخزوم المكية ، وقد ولد حوالى عام ٢٣ هـ وكانت أمه إحدى الاسرى الحميريين اتخذها أبوه عبد الله سرية له عندما ولاه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الحكم على ولاية فى جنوب بلاد العرب ، ولم يكن ميلاده هذا عائبا عليه شيئا عند الرأى الاسلامى ، ولذلك فأننا نجد أنه كان يعيش عيشة الوارث الغنى منذ أول أمره ، وكان يعيش منذ شبابه بمكة ، ولما لم يكن له مطامع سياسية ، وكان يعيش على ثروة أبيه ، فانه لم يجد سببا يحمله يتزلف الى الخلفاء ، بل إنه لم يكن فى وقت من الأوقات محبوبا عندهم ، لأنه كثيرا ما كان يشبب بأميرات بنى أمية بأشعاره المنتشرة انتشارا واسعا درن أن يخشى فى ذلك لائمة ، لشعوره بأنهن لا يعلو عنه مرتبة .

وكان أخوه يخشى عليه من تورطه فى مغامراته ، فزاد له من النصح ، ولكنه تمادى فيها فكانت مدعاة لأشعاره الغنائية ، وبقى كذلك على نشاطه وحبه للغزل وحياة العشق حتى سنه المتقدم ، الى أن جاء الى منصة الحكم عمر بن عبد العزيز ، وهو ربيب رجال الدين الثقات من أهل المدينة ، فأراد أن يعيد الى السيادة الدينية سطوتها فى الحياة السياسية ، فأوقف عمر بن أبى ربيعة عند حدود الدين ، واستدعاه مع الاحوص الى دمشق وجعلهما يقسمان ألا يعودا الى ما كانا عليه من الحياة الماجنة ، ولكنه لم يدم على هذه الحال طويلا إذ وافته المنية بعد ذلك بقليل حوالى سنة ١٠١ هـ

امتازت أشعار عمر بن أبي ربيعة بأنها كانت وليدة مغامراته الشخصية ، فانشدها عن هوى دفين وغرام لجوج ، ولو أن دائرة العوامل الشعرية لم تتسع كثيرا بواسطته عما كانت عليه فى الشعر القديم ، إلا انه عرف كيف يقتطف ثمارا يانعة من هذا الحقل المغروس ، وكانت عبارته فى منتهى الرشاقة منسجمة فى أجلى المظاهر مع رقيق الشعور ، فلاعجب أن نرى أن أشعاره كانت غذاء شهيا للاغانى الشعبية التى كانت قد وصلت فى هذا العصر الى أعلى درجاتها بفضل ما أدخل عليها من الحضارة الاغريقية والفارسية .

ولم يكن عمر بن أبي ربيعة الوحيد فى هذه الناحية من فنون الشعر ، فأننا نعرف من قومه الحارث بن خالد الذى كان حاكما على مكة فى عصر عبد الملك ، والأموى عبد الله بن عمر العرجى ممن جروا على وتيرته فى هذا المضمار .

وأما فى المدنية فكان فن القصائد الغزلية ممثلا فى الأحوص عبد الله بن محمد الأنصارى ، إلا أن هذا الضرب من الشعر لم يجد رواجا فى مهد الاسلام ومعقل الدين ، فلم ينج الاحوص بسببه من المتاعب والمنازعات مع ولاة الامور ، فعاقبه كل من الوليد وسليمان بن عبد الملك بالسجن ، واستدعاه عمر بن عبد العزيز الى دمشق مع عمر بن أبى ربيعة ، ثم نفى الى جهة نائية على البحر الاحمر الى أن صفح عنه الخليفة يزيد الثانى ، فعاش بدمشق حتى وفاته حوالى عام ١١٠ هـ

لم يكن فن الانشودة الغرامية باى حال من الاحوال وقفا على الطبقات الثرية ، بل إنه كان الى حد بعيد أيضا من الفنون الشعبية التى بقيت آثارها حتى الآن ماثلة فى عدد كبير من القصائد القصيرة تتفق فى لونها ومعناها مع روح أغانى الغزل الشعبية ، بالرغم من صياغتها فى عبارة قديمة أعلى من لغة العامة ، كالتى نجدها بين قصص ألف ليلة وليلة ، أو كالتى ينشدها العامة حتى الآن فى البلاد العربية بالشرق . وكان العرب يعزون اجتهادا هذه القصائد الى بعض الشعراء الذين عرفوا بأشعارهم الغرامية ، جريا على عادتهم القديمة من إيجاد نسبة لكل شىء ، لنفورهم من كل ما ليس له أصل يرجع إليه ، وكانت أهم الشخصيات التاريخية المعروفة التى ألصقت بها أغلب هذه الأشعار ثلاثة : الأول قيس بن ذريح المتوفى سنة ٦٨ هجرية من قبيلة بكر بن عبد مناة وهو أخو الحسين سبط النبى (صلى الله عليه وسلم) من الرضاعة ، والثانى جميل بن عبد الله من قبيلة عذرة بجنوب بلاد العرب المتوفى حوالى عام ٨٢ هـ

والثالث قيس بن الملوح (مجنون بنى عامر) المتوفى حوالى عام ٧٠ هـ ولو أن الاخيرين لم تثبت بشكل حاسم شخصياتهما التاريخية . فنسبوا الى الاول كل القصائد حيث تنشد لبنى ، وللثانى حيث تنشد بثينة ، وللثالث حيث تنشد ليلى ، وقد انتشرت هذه القصائد انتشارا كبيرا خصوصا ما نسب الى الاخير منهم ، فأنها وجدت رواجا عظيما ، ونقلت الى الادب الفارسى ، ولقيت شخصيته مجالا واسعا فى القصص حتى العصور المتأخرة .

واشتهر كذلك فى هـذا الميدان راوية جميل ، ويدعى كثير من قبيلة خـزاعة بن ربيعة فى جنوب بلاد العرب ، فأنشد قصائد الغزل فى عزة من قبيلة ضمرة ، ولـكنه عرف كيف يضع فنه فى خـدمة مبادئه الدينية السياسية ، وكان يتبع فرقة الـكيسانية من الشيعة ، وكان يعتقد بتناسخ الارواح ، فـكان بسبب ذلك معاديا للحكومة الاموية ، إلا أنه لم يبخل عليهم بقصائد مديحه التى قربته من دار الخلافة بدمشق ، وتوفى كثير عام ١٠٥ هـ وامتازت أشعاره برجولتها عن أشعار مواطنيه مما جعلته يسمو الى مرتبة معاصريه من شعراء الشام والعراق .

وأما النثر العربي فـكان قد اتخذ صياغته منذ العصور الجاهليـة الأولى ، إلا أنه بالرغم من ذلك كان فى العصر الأموى موضع عناية بعض الأدباء الذين يرجع اليهم الفضل فى إعداده للتطور العظيم الذى صادفه بعد ذلك عند العباسيين .

وكان أول الادباء اهتماما بصياغة العبارة الانشائية عبد الحميد الاصغر المتـوفى بمصر عام ١٣٢ هـ ولا زالت بعض مؤلفاته فى الانشاء باقية للآن ، ومن بعده أصبح هذا الفن مضمارا يتنافس فيه رجال النثر الى أن وصل الى أعلى مراتب الـكمال .

وأما المؤلفات التاريخية فانها بدأت ببحث القصص الدينية ، وعلى الاخص التى جاء ذكرها فى القرآن أو التى ذاعت على ألسنة أهالى جنوب بلاد العرب . وأشهر من عرف من الادباء فى هذا الميدان عبيد بن شريه ووهب بن منبه ، ولو أنه لم يصلنا من مؤلفاتهما شىء مستقل ، بل كان أغلب ما عرف عنهما ما ظهر أثره فى المؤلفات المتأخرة ، وكانت بداية هـذه الابحاث التاريخية عبارة عن رسائل مقصورة على أحد الأشخاص أو إحدى الحوادث ، واشتهر فى هذا المضمار الادبى أبو مخنف لوط بن يحيى الازدى الذى ذاع صيتـه بعـد ذلك الى أن صار المؤرخون يستشهدون باسمه تصديقا لرواياتهم .

وكانت بداية جمع الأحاديث النبوية كذلك فى العصر الاموى . ولا زالت بعض المجهودات الادبية باقية حتى الآن . وأشهرها ما جمعه أسـد بن موسى بن ابراهيم الملقب أسد السنة ، ولو أنه قصر مجهوده على الاحاديث الخاصة بيوم القيامة وبعذاب الجحيم .

وأما دراسات العلوم الطبيعية وعلى الاخص الفلك والطب وكيمياء الذهب فأخذها العرب عن المصادر الاغريقية ، ويرجع أغلب الفضل فى ذلك الى أحد أمراء الامويين خالد بن يزيد المتوفى سنة ٨٥ هـ ، فعالج هذه الموضوعات فى عدة رسائل نثرية ومنظومة .

« يتبع »

حياة أبى الطيب المتنبى

دينه — أخلاقه — تنبؤه — منازعاته مع النحاة

كلمة فضيلة مندوب الازهر فى المهرجان الذى أقيم لاحياء ذكراه فى دمشق
فى ٥ أغسطس الى ١٢ منه سنة ١٩٣٦

تحيـة :

أيها السادة : أحييكم أطيب تحية ، وابلغكم ما أرسلت به من تحيات الأزهريين كافة أساتذة وطلابا ، وفى طليعتهم حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الاسلام والمسلمين وزعيم المصلحين وقائد النهضة المباركة فى هـذا العصر ، المنتصر بالله تعالى الشيخ محمد بن مصطفى المراغى .

موضوعات هذا البحث :

وبعد : فلقد فكرت طويلا فيما عسى ان يكون موضوع كلمتى التى أتشرف بالقائها بين يديكم من منـاحى المتنبى ، وعرضت مسائل البحث على خاطرى ، فكنت كلما فكرت فى أمر وجـدت له ما يبرر التوجه اليه ، ووجدت مع ذلك من الشبهات ما يذودنى عنه ويقطعنى عن الاسترسال فيه ؛ ولـكننى استطعت فى اخر الامر أن أقنع نفسى بانى وافد الازهر اليكم ، وبان الازهر هو المعهد الذى يقوم على حراسة الدين : أصوله وفروعه ، وعلى حياطة العربية وآدابها ؛ وبأن بحث من يمثـل الازهر يجب أن يكون متصلا بما يؤديه الازهر للعالم من أمانة ، وما يضطلع به من الاعباء ؛ فاستقام عندى بعد هذه المقدمات أن يدور بحثى حول « دين المتنبى وأخـلاقه ، وتنبئه ، وموقفه من النحاة » . وما كدت انتهى من ذلك الامر وأخلص من التفكير بهذه النتيجة حتى عرض لى أمر آخر ألقيت له بالى كله ، وذلك الامر هو المقصود بهذا المهرجان : أهو تقريظ المتنبى والثناء عليه ، إما باطرائه وكيل المديح له إن حقا وإن باطلا ؛ وإما باثارة الجميل من أخباره وشعره والاعراض عما عسى أن يغض من شانه ، أم هو بحث المتنبى من جميع وجوهه لوجه الحق من غير تعنت ولا تحيز ؟ ولم ازل أفكر واقدر للامر حتى أيقنت أن هذا الحفل الذى يجمع أقطاب الادباء والعلماء من كل قطر لا يمكن أن يستوى عنده الأمران ، فان فرق ما بينهما أوضح من أن يدل عليه ، وأى إنسان يستطيع أن ينسى الفرق بين حفل يجتمع لتكريم رجل وبين حفل يجتمع فيه صفوة الادباء لدراسة رجل من رجال الادب كان له أشياع وأعداء ، وكان أشياعه ينشرون مما دحه ويذيعون فضائله ويتاولون له ، وكان أعداؤه

يملأون الارض حوله ضجيجا ويرمونه بكل نقائص الانسانية ، وهم لا يتورعون عن الكذب فيما يحدثون به من أخبار ؛ أليس من أول ما يلزم الباحثين أن يعرضوا مقالات أعدائه وشيعته جميعا على موازين البحث الصحيحة ليخلصوا بنتيجة ترضى العقل وتسد حاجة التفكير غير مبالين أن تكون هذه النتيجة مما يتمدح به أو مما يعده الناس نقصا ؟ فان أنا عرضت عليكم شيئا من هذا ، فهذه معذرتي وهذا رأيي ، ولعلي لا أكون قد أبعدت أو جانبت الصواب فيما ذهبت اليه .

دين المتنبي :

أيها السادة : لقد منى ابو الطيب بصنفين من الناس كان لكل واحد منهما من الاثر فى حياته وفى أخباره التى نتوارثها الى اليوم أقبح الاثر ، ولولاهما لعاش الرجل عيشة هادئة ، ولولاهما لكانت صحيفته فى تاريخ الشعر والشعراء غير الصحيفة التى نقرؤها اليوم ، ولولاهما لما وجد الباحث عنه هذا الغموض وهذا التناقض اللذين يعانيهما الآن ؛ أما أحدهما فجماعة من ذوى المكانة بين الناس وأصحاب الجاه ، خافوه على أنفسهم ورهبوا أن تمتد مطامعه الى مكانتهم وجاههم ، أو طمعوا منه فى أن يتملقهم ويرائيهم فيرد حضرتهم كما كان غيره يردها وكما كان هو يرد حضرة غيرهم من الملوك والامراء فلم ينالوا ذلك منه ، أو دفعت أبا الطيب نوازع نفسية فنال من أعراضهم ؛ فكانوا لأحد هذه الاسباب أو لها كلها مجتمعة يحنقون عليه ويغضون من شانه ، وكانوا مع ذلك يؤلبون عليه الشعراء والعلماء لينالوا منه ويؤذوه فى نفسه وفى شعره ، وكان أبو الطيب يخشاهم ويرهب سلطانهم ، بل لم يكن يخشاهم على نفسه فحسب ، وإنما خشيهم على بعض أصدقائه ومن يشفق عليه ؛ فقد حدث أبو إسحاق الصابي قال : « راسلت أبا الطيب رحمه الله فى أن يمدحنى بقصيدتين وأعطيه خمسة آلاف درهم ، ووسطت بينى وبينه رجلا من وجوه التجار ؛ فقال : قل له : والله ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ، ولا أوجب على فى هذه البلاد أحد من الحق ما أوجبت ، وإن أنا مدحتك تنكر لك الوزير (يعنى أبا محمد المهلبى) وتغير عليك ؛ لاننى لم أمدحه ؛ فان كنت لا تبالى هذه الحال فانا أجيبك الى ما التمست ، وما أريد منك مالا ولا عن شعرى عوضا . فتنبهت على موضع الغلط ، وعلمت أنه نصح ، فلم أعاوده » اه . وأما الصنف الآخر فجماعة ممن كانوا يأملون أن تكون لهم المنزلة التى أدركها من الحظوة عند الملوك وحرص كل واحد منهم على أن يكون أبو الطيب من بطانته وتنافسهم فى ذلك ، فلما لم يبلغ هؤلاء المؤملون هذه الامنية أكل الحقد عليه قلوبهم واشتعلت جذوة الحسد بين جوانحهم ، فتفننوا فى التقول عليه والدس له ، ونشروا عنه من المقابح ما لم يكن يعلم من أمره أكثره شيئا ، ولم يكتفوا بأن يعملوا على إبعاده عن الملوك الذين كان التقرب اليهم منتهى آمالهم ، بل حاولوا التفريق بينه وبين الجمهور ، فجاءوه

من ناحية الدين ، ثقة منهم أن للدين في نظر جمهرة الناس وعامتهم المنزلة الاولى ، فاذا أتى الرجل من جهته فقد سقط وإن بقي له كل شيء .

رموه بانه كان رقيق الدين تاركا لأركان الاسلام ، ورموه بانه كان يستخف بالأنبياء ويستصغر شأنهم ، ورموه بانه ذهب في الفلسفة مذهبا بعيدا عما يعتقده المسلمون ، وقد نسوا حين رموا أبا الطيب بذلك كله أن دين الاسلام شديد الصرامة في حكم هذه المسألة ، وأنه لا يحل لمن يعتنقه أن يرمي أخاه بأمثال هذه التهم لارضاء حفيظة نفسه حتى يكون بين يديه دليل لا يقبل التأويل .

ولسنا حين نتشكك في أخبار هؤلاء الناس أو ننكر استنتاجهم ندعي لأبي الطيب أنه كان رجلا صالحا ورعا يقوم الليل ويصوم النهار ويطيل العبادة وقراءة القرآن ، ولكننا نفعل ذلك لنقرر أن حياة أبي الطيب قد أحاطها أعداؤه بكثير من الغموض ، وأحاطوها مع هذا الغموض بكثير من الأكاذيب والمفتريات ، كان من شأنها أن تريك حياته سلسلة من المتناقضات .

حكى علي بن حمزة البصري قال : « بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة ، وتلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث خلال ذميمة ، وتلك أنه ماصام ولا صلى ولا قرأ القرآن » . وهذا خبر لم يذكر قائله معه وجها يقربه من الصدق . وهل يستطيع إنسان في الدنيا أن ينفي عن آخر فعل شيء حتى يزعم أنه لزمه طول حياته فلم يفارقه ، وأنه مارآه يفعله قط ؟! ثم إن أمر الصوم في حديث علي بن حمزة أهون من أمر الصلاة وقراءة القرآن ، فهو يستطيع أن يدعي مرة اخرى أنه رأى أبا الطيب كل عام في شهر رمضان في حلب ومصر والعراق وشيراز وسائر البلاد التي وطئتها قدما أبي الطيب ، وأنه رآه مع ذلك يأكل أو يشرب نهارا ، يستطيع أن يدعي هذا كله وحينئذ يتم له ما أراد من أنه بلا من أبي الطيب خلة ذميمة وهي أنه ماصام ، ولكن أنى له أن يدعي ذلك ! فاما أمر الصلاة وقراءة القران فنحن نسائله: أكان قد لزم أبا الطيب في مغداه ومراحه ومتيقظه ومنامه حتى يستطيع أن يزعم أنه ما صلى؟ وشيء آخر : ذلك أنه بلا منه خلة محمودة وهي أنه ما كذب ، فهل سأله عن صلاته وقراءته القرآن فحدثه وصدقه الحديث أنه ما صلى ولا قرأ القرآن ؟ والحق أن علي بن حمزة البصري رجل أراد أن يرمي أبا الطيب بما رمى به أمثاله أمثال أبي الطيب من قبل ، وبما لا يزال أمثاله يرمون به أمثال أبي الطيب الى اليوم ، يريد بذلك أن يرضي خصوم أبي الطيب أو يشبع شهوة الانتقام منه ، وأراد أن يعمي على الناس ويحملهم على تصديقه فذكر في صدر حديثه أنه بلا منه ثلاث خلال محمودة ، وهذه العبارة فيما نعلم من أمر الناس إحدى الدلائل على اختلاق الحديث . هذا وقد ذكر أبو العلاء في شأن صلاة أبي الطيب قال : « وحدثت ان أبا الطيب

أيام كان إقطاعه بصف (١) رئى يصلى بموضع بمعرة النعمان يقال له كنيسة الاعراب ، وانه صلى العصر ركعتين ، فيجوز أن يكون رأى أنه على سفر وأن القصر له جائز » فهل يمكن أن يكون خبر على بن حمزة بعد ذلك موثوقا به ؟ فاما تأول المتنبي وأنه رأى أن القصر له جائز فأمر آخر ليس بحثه من شأننا الآن ، وقراءة القرآن التى زعم على بن حمزة أن أبا الطيب لم يفعلها ، افى الناس من يعقل أن رجلا نشأ على حفظ اللغة واستظهار غريبها والتنقل فى البوادى ليتلقطها من أفواه الاعراب يجد القرآن بين يديه وهو كتاب لغة وأسلوب وفكر فوق أنه كتاب هداية وخلق وآداب ثم لايقرؤه ليتأسى به ويتقبل أساليبه ويتخذ من اطراد منطقه وإحكام الحجة فيه منهجا لنفسه ؟ ! ونحن نذكر لعلى بن حمزة أن أبا الطيب قد قرأ القرآن وفهمه ، ونذكر له مما يشير إلى ذلك قوله من قصيدة يمدح فيها كافورا :

كان كل سؤال فى مسامعه ... قيص يوسف فى أجفان يعقوب

وقوله من قصيدة يمدح فيها محمد بن زريق الطرسوسى :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه ... لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان لج البحر مثل يمينه ... ما انشق حتى جاز فيه موسى

فاما ماذكروه من استخفافه بالانبياء واستصغاره شانهم وعدم مبالاته بأصول العقيدة فقد رأينا فيما جمعناه من كلام أبى الطيب مما هو متصل بهذه المسألة أن بعض ما ذكروه اهون من أن يؤبه له ، كقوله :

ما مقامى بارض نخلة إلا ... كمقام المسيح بين اليهود

وكقوله :

أنا فى أمة تداركها اللـه ... غريب كصالح فى ثمود

وأى شىء فى أن يشبه نفسه وهو يقيم بين قوم يعتقد أنهم أعداؤه بالمسيح عليه السلام حين أقام بين اليهود ؟ وأى شىء فى أن يدل على أن بقاءه بين قوم لا تجانس بينه وبينهم غربة تشبه اغتراب صالح عليه السلام إذ كان يعيش فى وسط لا يرون رأيه ؟ وبعض ما أخذوه عليه تجد له محملا فى الكلام لوأنت حملته عليه لم يكن به بأس ، وذلك كقوله فى قصيدة مدح بها الحسين بن إسحاق التنوخى :

فما ترزق الأقدار من أنت حارم ... وما تحرم الأقدار من أنت رازق

فانه يمكن أن يكون قد أراد أن الحسين بن إسحاق رجل موفق الى السداد وإصابة

(١) قال ياقوت : « صف : ضيعة بالمعرة كانت إقطاعا للمتنبي من سيف الدولة ، ومنها هرب الى دمشق ومنها الى مصر »

المقادير ، فهى تجرى دائما موافقة لما اهتدى اليه ، ولا شىء فى ذلك فيما نظن ، واما بقية ما أخذوه عليه فداخل فى باب المبالغة التى تجرى على ألسنة الشعراء وهى لم تخالط قلوبهم ، وأبو الطيب كثير المبالغة فى شعره ؛ فنحن ناخذها عليه من الناحية الادبية ولا نستدل بها على فساد عقيدته ؛ فمن ذلك قوله فى مدح محمد بن زريق :

لو كان للنيران ضوء جبينه عبدت فصار العالمون مجوسا

ومن ذلك قوله من قصيدة يقولها فى صباه :

عمرك الله هل رايت بدورا طلعت فى براقع وعقود
راميات باسهم ريشها الهد ب تشق القلوب قبل الجلود
يترشفن من فمى رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

وقد اعتذر الناس عن قوله : « هن فيه أحلى من التوحيد » بوجوه : أحدها قاله ابن جنى وملخصه إنكار هذه الرواية ، والرواية عنده « هن فيه حلاوة التوحيد » وقد سرى الى ابن جنى داء النحاة فى تحريف الشواهد وتغييرها على ما يوافقهم . والوجه الثانى : تفسير التوحيد بانه تمر من تمار العراق حلو المذاق ، والوجه الثالث قاله العكبرى ، وملخصه أنه ليس المراد تفضيل حلاوة الرشفات على حلاوة التوحيد ، وإنما المراد تقريب حلاوتها من حلاوته ؛ لأن حلاوته ثابتة غير مشكوك فيها وحلاوتها غير معروفة ، وذانك الوجهان من باب التمحلات البعيدة كما ترون ، وليس لنا إلا أن نعترف بأن هذا غلو أفرط فيه أبو الطيب فتجاوز الحد . ومن ذلك قوله من قصيدة مدح بها أبا شجاع عضد الدولة :

الناس كالعابدين آلهة وعبده كالموحد الله

وقوله من قصيدة مدح بها بدر بن عمار :

لو كان علمك بالاله مقسما فى الناس ما بعث الاله رسولا
لو كان لفظك فيهم ما أنزل الـ ـقرآن والتوراة والانجيلا

وكل هذا من الغلو البعيد كما قدمنا ، ونحن نعتب عليه أنه قد أسلس العنان لفكره حتى جال فى هذا الميدان ؛ فلا بدع ان يعلق من غباره وتصيبه إحدى قذائفه .

فاما ما اتهموه به من الذهاب فى فلسفته مذهبا لا يقره الاسلام فانى أبادر بانكار ذلك عليهم ، وأعرض عليكم شيئا مما ذكروه لتتبينوا بأنفسكم أنهم لم يكونوا منصفين حين نسبوه الى ما نسبوه اليه ؛ زعموا أنه أنكر المعاد لقوله :

تمتع من سهاد أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام
فان لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

وأى دليل فى هذا الكلام على إنكار المعاد ؟ وأى شىء فى أن تقول : إن للموت معنى غير معنى النوم واليقظة ؟ ومن ذا الذى يزعم أن معنى الموت هو معنى النوم واليقظة ، أو أن حال الانسان فيه كحاله فيهما ؟ وزعموا أنه يرى راى السوفسطائية الذين ينكرون ثبوت حقائق الأشياء لقوله :

هون على بصر ما شق منظره ... فانما يقظات العين كالحلم

ولو كان ذلك من مذهب السوفسطائية لما جاز لأحد أن يشبه شيئا بضده إذا اشتركا فى أمر من الامور . ونحن ما نزال نسمع الناس يقولون : إن نوم فلان ويقظته سواء ، إذا كان لا يستفاد من يقظته أو كان لا يجد الراحة فى نومه كما لا يجدها فى يقظته ، وما نزال نسمعهم يشبهون الموجود بالمعدوم ، والمنير بالمظلم ، وهكذا مما يجرى على الالسنة من غير أن يلتفت أحد إلى هذا الذى زعموه . ونسبوه إلى القول بقدم العالم مستنتجين ذلك من قوله فى قصيدة رثى فيها أخت سيف الدولة :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم ... إلا على شجب ، والخلف فى الشجب
فقيل : تخلص نفس المرء سالمة ... وقيل : تشرك جسم المرء فى العطب

وهذا استنتاج لا يقضى العجب منه ، بل انا أصارحكم — ولا ضير على فى ذلك — بانى لم أعرف وجه هذا الاستنتاج ، ولو استنتجوا من هذين البيتين أنه ينكر المعاد لكان لاستنتاجهم وجه ، على أنه إذا صح أن يكفر رجل بهذا الكلام لوجب أن نحكم على علماء المسلمين عامة بالكفر ، ونحكم بذلك بادئ الأمر على المشتغلين بعلم الكلام والرد على فرق الملاحدة ؛ ذلك بأنهم يحكون لنا أقوال الكفار كما حكاها أبو الطيب فى هذين البيتين ، بل إن علماء المسلمين أولى بهذا الحكم منه ، لأنهم يذكرون مع مايحكونه من الآراء شبهة أهل هذه الآراء ، وقد يصورون شبهاتهم فى صورة الادلة . يجب عند خصوم أبى الطيب أن يكون علماء المسلمين كفارا وإن لم يعتقدوا مايحكونه من آراء ، وإن كان عندهم من الادلة على بطلانها ما لا يدخل فى حساب أحد . وفى الحق أن أعداء أبى الطيب لم يكونوا موفقين فيما رموه به ، وأن أبا الطيب نفسه لم يسعفه التوفيق فى كل ما جرى على لسانه .

ومما يتصل بالكلام على دين أبى الطيب أنه لم يشرب الخمر إلا فى القليل النادر ؛ فليس هو من المدمنين الماجنين ، ولذلك لا تجد فى شعره شيئا من المجون إلا أن يهجو فيقذع فى هجائه ، وما لأبى الطيب والخمر وهى إنما يشربها الغواة وذوو البطالة ومن لامطمع لهم فى الحياة يسعون لتحقيقه ، فأما الرجل الذى يفكر فى المجد ، ويامل أن يصل الى ذروته فليس ممن يفكرون فى الخمر . حدثوا أن صديقا لأبى الطيب كنيته أبو ضبس سأله يوما أن يشرب معه فأجابه بقوله :

ألذ من المدام الخندريس ... واحلى من معاطاة الكؤوس
معاطاة الصفائح والعوالى ... وإقحامى خميسا فى خميس
فموتى فى الوغى عيشى لأنى ... رأيت العيش فى أرب النفوس
ولو سقينها بيدى كريم ... أسر به لكان أبا ضبيس

وهو ينادم إخوانه إذا شربوا الخمر فيشرب كأسا من الماء ؛ فقد قال له بعض بنى كلاب : أشرب هذه الكأس سرورا بك ، فأجابه بقوله :

إذا ما شربت الخمر صرفا مهنا ... شربنا الذى من مثله شرب الكرم
ألا حبذا قوم نداما هم القنا ... يسقونها ريا وساقيهم العزم

ومد إنسان له يده بكأس من الخمر وحلف بالطلاق ليشربنها ، فقال :

وأخ لنا بعث الطلاق ألية ... لأعللن بهذه الخرطوم
فجعلت ردى عرسه كفارة ... عن شربها وشربت غير أثيم

وهذه إحدى المرات التى شرب فيها الخمر ، ولم يصب حكم الشريعة فى قوله « وشربت غير أثيم » ولكنها إحدى تظرفات الشعراء . ولعلها مع ذلك تدل على أن امتناعه عن الشرب فى غير هذه المرة لمخافة الاثم .

أخلاق أبى الطيب :

سنتكلم فى هذه العجالة على أربع خلال كان لها أثر ظاهر فى حياة أبى الطيب وأخباره وشعره ، وهى : الشجاعة ، والكبر ، والبخل ، والغدر . فأما شجاعته فهى أظهر من أن تلتمس لها الشواهد ، فهو شجاع يحن شوقا الى لقاء العدا ، ويستصغر المخاطر فى هذه السبيل ، ويستهين بما يكابد فيه من أهوال ، ولقد كان مسوقا الى اقتحام الردى ، تدفعه اليه نفسه المتوثبة الطامحة ، وتغريه به آماله الجسام التى يحرص على إدراكها الحرص كله ، والتى يعتقد أن الوسيلة اليها هى التضحية وبذل النفس ، وقد كانت فيه مع ذلك عجلة تشبه الرعونة نبتت فيه من تلهفه على بلوغ الغاية التى يصبو اليها ، حتى كان يخشى أن يعجل اليه الموت قبل بلوغها ، انظر اليه وهو يحدثك عن المجد الذى يتطلع اليه ، ويشير الى أن الحياة أضيق من أن تتسع لانتظاره :

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها ... فمفترق جاران دارهما العمر
ولا تحسبن المجد زقا وقينة ... فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى ... لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك فى الدنيا دويا كأنما ... تداول سمع المرء أنمله العشر

ثم انظر اليه وهو يحدثك عن مطلبه ويصف لك أن إدراكه بعيد، ويحضك على الا تبالى بما تلقاه فى حياتك من الشدائد والمحن:

أريد من زمنى ذا أن يبلغنى ... ما ليس يدركه من نفسه الزمن
لا تلق دهرك إلا غير مكترث ... ما دام يصحب فيه روحك البدن
فما يدوم سرور ما سررت به ... ولا يرد عليك الفائت الحزن

ثم انظر اليه وهو يدلك على أن هناءة العيش وسعته وطيب الحياة وسائر ما فى الدنيا من متاع أمور لا تدرك إلا بحد السيف:

وخضرة ثوب العيش فى الخضرة التى ... أرتك احمرار الموت فى مدرج النمل

وتراه لا يترك الحديث عن آماله وشجاعته حتى فى المواقف التى لا يحسن فيها الفخر. ولقد كان مما اشتهر به شعره أنه يتحدث عن نفسه فى أثناء المديح والرثاء، استمع اليه وهو يقول لكافور:

فارم بى حيثما أردت فانى ... أسد القلب ادمى الرواء
وفؤادى من الملوك وإن كا ... ن لسانى يرى من الشعراء

وهو مفتون بذلك منذ صباه، ولا عجب فى ذلك فان كثيرا من الناس تولد معهم الآمال فى طراءة السن وميعة الشباب. وعصر أبى الطيب الصاخب المليء بحوادث الانقلاب خليق بأن يثير فى نفسه لواعج الآمال. قيل له وهو صبى: ما أحسن وفرتك! فأجاب:

لا تحسن الوفرة حتى ترى ... منشورة الضفرين يوم القتال
على فتى معتقل صعدة ... يعلها من كل وافى السبال

فاما الكبر فقد كان أبو الطيب متكبرا تياها صلفا؛ يرى أن لا أحد مثله، وأن أعلم أهل زمانه قدم وأحزمهم وغد، وأن كل ما خلق وما لم يخلق حقير الى جانب عظمته كشعرة فى مفرقه. ولقد كان من آثار كبره أن ترفع عن مدح الوزير المهلبى والصاحب بن عباد، وحدثته نفسه أن يتابى على عضد الدولة، ولولا أن ابن العميد زين له الذهاب اليه وأغراه بما سيناله لديه من التكرمة والمال لكان قد امتنع؛ ولقد جر على نفسه بهذا الترفع عداوة الوزير والصاحب، وعداوة أشياعهما من الشعراء والكتاب والعلماء؛ فأما الوزير فقد أغرى به شعراء العراق يزدرونه وينالون من عرضه ويبالغون فى هجائه، وأغرى به جماعة من العلماء، منهم أبو الفرج صاحب كتاب الأغانى، يتعقبونه ويشهرون به، وأما الصاحب فلم يسكته عنه علمه بمحاسنه وكثرة ما كان ينتفع بمعانيه، بل أخذ يتتبع هفواته، ويعد عليه سقطاته، ويغرى به المترددين عليه الطامعين فى عطاياه، وما أكثر هؤلاء.

ونحب أن ندل هنا على أمرين: الأول: أن آثار كبر أبى الطيب وترفعه لم تظهر جلية واضحة

إلا بعد أن اتصل بسيف الدولة ونبه شانه ؛ فانت تراه قبل ذلك يمدح قوما لا نباهة لهم ولا ذكر ، وتراه يمدح على أتفه العطايا ، وقد تنبه الى ذلك أبو منصور الثعالبي ، فهو يقول : « وكان قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ، ويصطاد ما بين الكركى والعندليب » اهـ . وأبو الطيب معذور فى ذلك ؛ فان سيف الدولة قد غمره بعطاياه حتى درت له أخلاف الدنيا ، ولقى فى جواره من الكرامة ماشجا حاسديه ؛ فكان خليقا أن يقول فيه :

تركت السرى خلفى لمن قل ماله وأنعلت أفراسى بنعماك عسجدا
وقيدت نفسى فى هواك محبة ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

الامر الثانى : أنه قد اختلط على بعض الناس كثير من مواقف أبى الطيب فاعتبروها كبرا أو تكبرا ، وليست هى من الكبر فى شىء ، وإنما هى عزة النفس والاحتفاظ بالكرامة ؛ وتقدير المرء نفسه وإكرامه إياها من الكبر بالمكان النائى البعيد ؛ فليس لأحد أن يزعم أن من الكبر إنشاد أبى الطيب سيف الدولة وهو جالس واشتراطه عليه ألا يقبل الأرض بين يديه ؛ إلا أن يكون ممن تختلط الاخلاق فى أنظارهم فيرونها بغير المنظار الذى يراها به الناس ، وعسيت أن تسأل بعد ذلك أين ذهبت عزة نفسه حين أنشد كافورا وهو واقف ؟ والجواب على ذلك أن ننبهك الى أنه فارق سيف الدولة حانقا متبرما ؛ فلعل وقوفه بين يدى كافور وهو من اعداء سيف الدولة ليثير غيظه ، أو لعله أراد به مصانعة كافور لينال منه الذى وفد عليه من أجله ، على أنه — وإن كان قد ترك معه ما جرت به عادته مع سيف الدولة — قد اتخذ لعزته لونا آخر ؛ فقد كان يقف بين يديه وفى رجليه خفان وفى وسطه سيفه ومنطقته .

فأما البخل فقد رماه الناس به ، وحكوا فى ذلك عنه أنه أحضر مالا من صلات سيف الدولة وصب بين يديه على حصير قد افترشه ، ووزن وأعيد فى الكيس ، وإذا قطعة كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت الحصير ؛ فأكب عليها ينقرها ويعالج استنقاذها ، ويشتغل بذلك عن جلسائه ، حتى إذا ظهر له بعضها تمثل بقول قيس بن الخطيم :

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ولم يزل كذلك حتى استخرجها وأمر باعادتها الى مكانها من الكيس . وعجيب أن يكون بخيلا ذلك الذى يقول :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى صنع الفقر

ولكنهم يروون عنه أنه قال : « إنى وجدت الناس لا يكرمون أحدا إكرامهم من يعتقدون أنه يملك مائة ألف دينار ، فاعتمدت أن يكون عندى مثلها ؛ فأنا أجد فى ذلك حتى يقول الناس : إن أبا الطيب قد ملك مائة ألف دينار » اهـ . وإن يكن القوم صادقين وكان لأبى الطيب

عذر فى حرصه على المال وفى ضنه أن تضيع منه قطعة كأصغر ما يكون ، فليس هو هذا العذر الذى نسبوه اليه ؛ وإنما عذره أن المجد الذى كانت نفسه تحدثه به فى حاجة الى المال ؛ وهذه إشارة نجتزئ بها فى هذا الموضوع .

فاما الغدر فآيته أنك تراه كل يوم بين يدى ملك أو وزير ، وتراه كلما وقف بين يدى واحد منهم يمدحه بأنه أكرم الناس وأشجع الناس وخير الناس ، وقد يتجاوز ذلك الى التعريض بمن مدحه من قبل ، وقد يتجاوز التعريض والتلويح الى التصريح ، ثم قد يتجاوز ذلك كله الى الهجاء ، اسمع اليه يقول لسيف الدولة :

وحاشا لارتياحك أن يبارى وللكرم الذى لك أن يباقى

ولكنا نداعب منك قرما تراجعت القروم له حقاقا

فانه لم يكتف بأن جعل ارتياحه للبذل لا يباريه ارتياح ، وكرمه لا يطاوله فى البقاء كرم حتى جعله سيدا فحلا وجعل الناس فى موازنته حقاقا ؛ فلما وفد على كافور كان فى أول قصيدة قالها له قوله :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

ثم يقول بعد ذلك فى شان سيف الدولة :

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ولا يدر على مرعاكم اللبن

جزاء كل قريب منكم مال وحظ كل محب منكم ضغن

وتغضبون على من نال رفدكم حتى يعاقبه التنغيص والمنن

فغادر الهجر مابينى وبينكم بهماء تكذب فيها العين والأذن

وكان كلما نازعته نفسه الى سيف الدولة واستشعر شيئا من الأسف على فراقه يعلل نفسه بأنه لقى أهلا بأهل ؛ فيقول :

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه وإن لم أشأ تملى على فأكتب

إذا ترك الانسان أهلا وراءه ويمم كافورا فما يتغرب

ولكنه ماعتم أن اجتوى كافورا وتبرم به ويئس مما كان أمله فيه ، فلما اعتزم أن يتركه أسف على غدره ونازعته نفسه الى ممدوحه الأول فقال وهو يهجو كافورا :

وفارقت خير الناس قاصد شرهم وأكرمهم طرا لألأمهم طرا

فعاقبنى المخصى بالغدر جازيا لأن رحيلى كان عن حلب غدرا

وما كنت إلا فائل الرأى لم أعن بحزم ولا استصحبت فى وجهتى حجرا

ومع أنه يعترف بالغدر فقد حانت له فرصة أن يعود الى الوفاء فلم يهتبلها ، تلك أن سيف الدولة حين علم رجوعه من مصر أرسل اليه ابنه بهدية ، فاكتفى بأن يرسل اليه قصيدة يقول فيها :

كلما رحبت بنا الروض قلنا   حلب قصدنا وأنت السبيل
فيك مرعى جيادنا ، والمطايا   واليها وجيفنا والذميل
والمسمون بالامير كثير   والامير الذى بها المأمول
الذى زلت عنه شرقا وغربا   ونداه مقابلى ما يزول
ومعى أينما سلكت كأنى   كل وجه له بوجهى كفيل

ويمر بعد ذلك عامان وبضعة أشهر فيرسل اليه سيف الدولة كتابا بخطه يسأله فيه المسير اليه فيعتذر له بقوله :

وما عاقنى غير خوف الوشاة   وأن الوشايات طرق الكذب
وتكثير قوم وتقليلهم   وتقريبهم بيننا والخبب

وقد عاوده طبعه الذى دللنا عليه حين ورد على عضد الدولة ، فقد قال له فى أول لقاء :

وقد رأيت الملوك قاطبة   وسرت حتى رأيت مولاها

ثم يقول له بعد ذلك :

يقول بشعب بوان حصانى   أعن هذا يسار الى الطعان
أبوكم آدم سن المعاصى   وعلمكم مفارقة الجنان
فقلت : إذا رأيت أبا شجاع   سلوت عن العباد وذا المكان
فان الناس والدنيا طريق   الى من ماله فى الناس ثان
لقد علمت نفسى القول فيهم   كتعليم الطراد بلا سنان

وانظر الى هذا البيت الأخير فانه يعتذر فيه عن كل مدائحه التى قالها من قبل عضد الدولة ، بانه كان يقولها ليروض نفسه ويعلمها حتى إذا اعتادت لم يحسن منه القول إلا فيه .

« يتبع »

محمد محي الدين عبد الحميد
المدرس بكلية اللغة العربية

فريضة الحج

« وأذّنْ فى الناس بالحج يأتوكَ رِجالاً وعلى كل ضَامِرٍ يأتين من كل فَجّ عَمِيقٍ »

صدق الله العظيم ، لقد مضى على نزول هذه الآية نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن ولا تزال تتجاوب بإصدائها أقطار الأرض الى اليوم . وقد امتد مداها بتوالى الأحقاب حتى اجتازت السهوب والاقيانوسات وأصبحت عالمية عامة ، ليس لها فى العالم شبيه كما ترى .

أثر واضح شديد الوقع فى النفس لقوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

يَعِد قيوم الوجود الآخذين بهـذا الدين بأن النـاس سيرون آياته على توالى الأيام فى آفاق العـالم ، وفى أنفسهم حتى يتبينوا أنه الدين الحق . وعدٌ غير مكذوب ، ظهرت تباشيره فى كل مكان ، حتى اضطر مثل الكاتب الفيلسوف الأشهر برناردشو أن يقول : إن المستقبل كله للاسلام ، وإن مصير العالم اليه على أكبر تقدير بعد قرنين .

لا تجيل بصرك فى أى بقعة من بقاع الأرض حتى ترى الدعـوة اليه تسود كل دعوة ، وهل بعد أن يجد هذا الدين من الفلاسفة ورجال العلم معضدا له شك فى أنه سيكون دين العالم كله بعد قرنين أو بعد عدة قرون ؟

دين يدعو الى الأخذ بكل حسن مما هو معروف وما سيعرف الى آخر الزمان ، والى التعويل على ما عُرِف أنه حق ، وما يثبت أنه كذلك فى خلال العصور ، والى الخضوع لسلطان العقل والميل معه حيث مال ، ولو بتأويل النصوص التى يوهم ظاهرها غير ما يقره هذا العقل المستنير بالعلم والحكمة . دين كهذا لا يعقل أن يقف حيث هو أو يضمحل ، ولا يتصـور أن لا يكون دين العـالم كله متى زالت الجهالة ، وامّحى أثر التقليد ، وبطل سلطان الوراثات .

ألا ترى أن جميع الأديان قد تراجعت الى الوراء إلا الاسلام ؟ وهى لم تتراجع لأنها من توليدات الأوهام ، ولكن لأنها قد تحملت آصارا من آراء قادتها ، وتحجرت حتى لم تعد سائغة فى عقول الآخذين بها ، وخلفها الاسلام ، لا لأنه شىء جديد ، ولكن لأنه هو هى خالصةً لا تشوبها شائبة من هوى ، كما نزل بها الروح الأمين ، على قلوب الأنبياء والمرسلين : « أفلم يدّبروا القول ، أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ؟ » .

هذه كلمة نسوقها بين يدى ما سنذكره عن الحج ، وقد رأينا أفواجهم تستقل الفلك ميممة البلاد المقدسة ، ملبين داعى الله الى بيته المحرم . مَظهرٌ يلفت النظر ، ويستدعى التفكير ، لا لأنه طريف ، فالسفر الى الحج مألوف فى جميع بلاد المسلمين ، ولكن لأن الحجيج فى هذه السنين الأخيرة ، يكثر بينهم من كان لا يخطر لهم على بال من المترفين والسراة ، وقد كان فى الفترة التى تقدمت هذا العهد يكاد يكون مقصورا على طبقة معينة من الأمة .

ظاهرة دينية تستدعى التأمل ، ولقد تأملنا فيها فرأيناها ترجع الى ثلاثة أسباب : أولها : الأمن على النفس ، وثانيها : تحسن وسائل الانتقال ، وثالثها : يقظة العاطفة الدينية فى القلوب .

فأما الأمن على النفس فيرجع الفضل فيه للحكومة الحجازية ، فإن جلالة الملك ابن السعود لم يأل جهدا فى الأخذ على أيدى العابثين بحياة الحجيج وأموالهم ، حتى طهرت الطرق من مناسرهم ، وخلت الصحارى من غوائلهم .

وأما تحسين وسائل النقل ، فهو من مآثر رجال بنك مصر وعلى رأسهم المالى العظيم محمد طلعت حرب باشا ، فانه لا يفتأ يبذل فى هذا السبيل جهدا محمودا ، فمن سفن مستكملة وسائل الراحة ، الى أوتوموبيلات تنقل الناس لمكة وعرفة ومنى والمدينة ، الى دور ورياش يأوى اليها الحجاج ، يؤتون فيها بما تعودوه من مأكل ومشرب ومأكن للنوم.

أما يقظة العاطفة الدينية فهى ذات التأثير الغالب فى حمل علية القوم ومتعلميهم على

أداء هذه الفريضة ، وهى تستمد عواملها من البحوث القيمة التى كتبت فى التدليل على صحة الدين ، وعلى سلامة أصوله من الوهن ، وعلى تأديته لسعادتى الحياتين معا .

ولا يحسن بنا فى هذا الموطن أن نغمط حق العلم ، فانه بفضل المستكشفات التى هُدى إليها العلماء فى المادة ، حتى انتهى الأمر الى تحليلها الى قوة ، وفى النفس البشرية من الناحية التجريبية حتى ثبت علميا استقلال الروح عن الجسد وإمكان قيامها بدونه ، مما أفضى الى القول بخلودها فى عالم روحانى ، وقد شوهدت آثار هذا العالم بما لا يمكن التشكك فيه ، بفضل هذه المستكشفات كلها قام الدليل العملى على صدق الأديان فيما أتت به من العقائد الغيبية . كل هذا كان له تأثير عظيم فى إيقاظ العاطفة الدينية ، وصرف الانسان عن التعاليم الالحادية ، التى بذل أنصارها نحو ثلاثة قرون فى بثها فى العقول ، وحملها على منابذة الأديان ، والتفصى من علائقها .

وبما أن ما حصله العالم فى هذا المجال يعتبر من العلوم اليقينية ، فينتظر أن تزداد أصول الدين قوة على قوتها ، وتجد من النفس ميلا الى تقوية الارتباط بها .

فعلى هذا النحو زالت أكبر عقبة كانت قائمة باسم العلم أمام الأديان ، بل أمام الاسلام ، وأصبحت الطريق مفتوحة حياله ليصل بالناس الى السمو الروحانى والخلق الذى خلقهم الله ليصلوا اليه ، واعتبر الحياة بدونه لهوا ولعبا ، ليست من شأن الانسانية فى شىء .

يختلف الحج فى الاسلام عن الحج فى جميع الأديان ، فإن الحج فيها كان الغرض منه التبرك بقبور القديسين ، وما تركوه من الآثار والمبانى ، وأفضله عندها ما حمّل الانسان نفسه فى سبيله المشاق والمهالك . وكان الكهنة والرهابنة يفتنُّون لهم فى تعيين ضروب المرهقات البدنية . فكان منهم من يثقل كاهله بالسلاسل والأغلال ، ومنهم يمشى على قدميه المسافات الشاسعة ، ومنهم من يمشى داخل كيس يتعثر فيه فى كل خطوة ، ومنهم من كانوا يطوفون حول معابدهم زحفا على بطونهم . ولكن الاسلام كره كل ذلك

فشرط أن لا يحج إلا من كان قادرا على الحج ، ونهى أن يُحَمِّل الانسان نفسه ما يرهقها، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى هرما يمشى بين ولديه ، فسأل عن شأنه فقيل له : إنه نذر أن يحج ماشيا ، فكره ذلك ، وقال : إن الله غنى عن تعذيب هذا نفسه . وأمر أن يحمل على بعير . وكان هذا منه صلى الله عليه وسلم عملا بقوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

ذلك لأن الاسلام قد رمى فى كل ما شرع الى إبلاغ الانسان كماله الذى خلق له ، ومُنح القوى الادبية التى توصله اليه ، وهذا الكمال كما قرره الاسلام لا ينال إلا بالعلم الصحيح ، وتطهير العقل من الوساوس ، والقلب من طَبَع الصفات البهيمية . وهذا عينه ما تراه الفلسفة ويؤيده العلم الطبيعى . وقد جرى الاسلام فى كل أوامره ونواهيه على هذه السنة قبل أن يكون للعالم فى هذا الشأن علم قائم بنفسه .

نعم إن الفلاسفة القدماء من اليونانيين ، قد كتبوا كتابات قيمة فى هذا الشأن ، ولكنهم لم يصلوا فى كثير من مقومات العقل والقلب الى المدى الذى وصل اليه الاسلام . ونحن نضرب لذلك أمثلة :

اعتبرت الفلسفة اليونانية الجنس الاغريقى خير الأجناس البشرية ، ولكن الاسلام لم يجعل الجنس مقياسا للتفاضل بين الناس ، فقد ساوى بين جميع الأجناس ، وجعل معيار التفاضل التقوى . وهذا أصل أقره العلم فى القرون الأخيرة ، ولا يزال يوجد فى الفلسفات الحديثة مالا يقره ذهابا منها الى أن الجنس الأبيض خير الأجناس كلها ، وأقبل من سائرها للكمال الأدبى ، وهذا خطأ فاحش .

وحسبت الفلسفة اليونانية أن للأرقاء منزلة أمام العدالة أدنى من منزلة الأحرار ، ولا يرى الاسلام ذلك ، ويحسب جميع الناس سواء أمام الشريعة ، أما الرق فى نفسه فعرض اقتضته شئون لا دخل لها فى أصل المساواة العامة ، التى هى نصيب الكافة على السواء .

وعـدّت الفلسفة اليونانية المهن المختلفة سببا للتفاوت بين النـاس فى الحقوق الوطنية ، فسلبت العمال كل هـذه الحقـوق ، وجعلتها وقفـا على الأشراف وأهـل اليسار ، والإسـلام عد النـاس كلهم سواء فى التمتع بهـذه الحقوق لا فرق بين عامل ماهن ، وسرى كبير ، ولا بين فقير مدقع ، وثرى خطير .

فهذا وأمثاله يعتبر نقصا عظيما فى الفلسفة الأدبية ، والأخذ بها لا يوصل الانسان الى السمو الخالص من الشوائب، الجدير بالقلب الانسانى الذى يعكر صفاءه أن يكون فيه أثر من أمثال هذه الأخطاء الفاحشة فى تقدير العدالة والمساواة والحقوق الطبيعية .

فلم يصل الناس الى تذوق الديموقراطية الصحيحية إلا فى هذا العهد ، بعد أن رسم الاسلام دائرتها بنحو ألف ومائتى سنة .

فلا عجب بعد هـذا أن يشرع الاسلام الحج للآخذين به ، وينص على أنه شُرع لمحض مصلحتهم يقومون به قادرين عليه ، أصحاء الجسوم والعقول ، بأ كل الوسائل وأوفقها لراحتهم الجسدية والعقلية ، ولو استطـاعوا أن يقطعوا المسافـة الشاسعة بين بلادهم والأماكن المقدسة فى ساعة من زمان ، فاذا توهم بعضهم أن يعدل عن هذه الوسيلة المريحة الى ماهو أشق على نفسه منها ، فإن الاسلام يكره منه ذلك ولا يعتبره موصلا الى الكمال الذى ينشده ، وقد دله على أن ذلك الكمال لا يتأتى إلا من طريقيه العلمى والتطهيرى ، لا من تعـذيب النفس وإرهاقهـا بالمشاق وتعريضها للأمراض والقواطع ، حتى إن النبى صلى الله عليه وسلم ، جريا على هـذه القاعدة ، أمر من يؤم الناس أن يخفف فى صلاته ، لأنه قد يكون فيمن يأتمون به المريض وذو الحاجة .

فسقيا للرجال الذين يعملون على تسهيل الحج على المسلمين ، فانهم إنما يعملون لخدمة الاسلام من أخص النواحى ، وأعودها بالخير على أهله !؟

محمد فريد وجدى

باب الأسئلة والفتاوى

رسم المصحف الكريم

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الازهر اقتراح خاص بطبع المصحف الكريم على الكيفية الآتية :

(أولا) أن يكون بالرسم الكتابي العادي المتبع الآن بالأزهر الشريف وفروعه وجميع المعاهد العلمية بمصر والبلاد العربية إسلامية وغير إسلامية .

(ثانيا) أن يراعى وضع علامات الترقيم وسط الجمل لا فوقها كما هو متبع الآن .

(ثالثا) أن يوضع تفسير عصرى مختصر بهامش هذه الطبعة بمعرفة هيئة من كبار العلماء .

وقد جاء فى تقرير مرافق لهذا الاقتراح ما خلاصته : أن الغرض هو تيسير تناول كتاب الله الكريم ، وسهولة تلاوته كما أنزل مع فهم ما غمض من معانيه ، لأن كثيرا من المتعلمين فى المدارس مع نبوغهم فى اللغة العربية لا يستطيعون تلاوة القرآن فى المصحف بطبعته الحالية ، لاختلاف هجائه عن الهجاء الذى ألفوه ودرسوه فى معاهدهم ، فحرصا على أن تكون تلاوة هؤلاء وأمثالهم ممن لا يحفظون القرآن ولم يتلقوه عن القراء صحيحة ، يجب طبعه بالهجاء العادى المعروف لهم ؛ وحرصا على فهم معانى القرآن لمن يقرؤه فى المصحف ، يجب وضع تفسير مختصر مفيد على هامش هذه الطبعة .

محمود عفيفى
المحامى بالزقازيق

رأى اللجنة فى هذا الاقتراح :

توافق اللجنة على وضع تفسير مختصر مفيد على هامش المصحف ، وترجو ان يوفق الله جماعة من العلماء لوضع هذا التفسير ، حتى يعم الانتفاع بالقرآن الكريم .

أما وضع علامات الترقيم وسط الجمل لا فوقها ، فاللجنة ترى أن المصحف الكريم قد وضعت فيه قديما وحديثا علامات على بعض الحروف ، وبعض الكلمات ، وفى وسط الجمل ، للدلالة على كيفيات لهذه الحروف ، كالادغام والاخفاء ، وللدلالة على معان تتعلق بالتلاوة كحسن الوقف ولزومه وامتناعه ، وغير ذلك ، وهذه العلامات لا ترى اللجنة حاجة لاحداث تعديل فى وضعها ، لأنها وضعت فى أماكنها للدلالة على أغراض خاصة ، وقد أدت بوضعها فى أماكنها

هذه الاغراض بوضوح لا لبس فيه ، وبين كل ذلك فى التعريف الشامل بالمصحف الذى وضع فى ذيل الطبعة التى أمر بها حضرة صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد الاول سنة ١٣٤٧ هجرية .

واما إنشاء علامات ترقيم أخرى للدلالة على ان الجملة استفهامية مثلا، أو مقولة لقول سابق أومحذوف ، فلا ترى اللجنة مانعا منه بشرط أن توضع بشكل لايوجد لبسا على القارئ ، فقد كان المصحف الكريم مجردا عن « التعشير » و « الاعجام » و « النقط » و « رموز الوقف » ثم أحدث كل ذلك ، واستحسنه كثير من العلماء ، حفظا للآى ، وضبطا للاعراب ، خصوصا للاعاجم وغيرهم ممن لا يحسنون العربية . قال الزيلعى من علماء الحنفية : « هو وإن كان محدثا فستحسن ، وكم من شىء يختلف باختلاف الزمان والمكان » اه

وأما طبع المصحف الكريم على قواعد الرسم الكتابى العادى المتبع الآن ، فاللجنة ترى لزوم الوقوف عند المأثور من كتابة المصحف وهجائه ، وذلك لان القرآن الكريم كتب وقت نزوله على النبى صلى الله عليه وسلم ، ومضى عهده صلى الله عليه وسلم والقرآن على هذه الكتبة ، لم يحدث فيها تغيير ولا تبديل ، وقد كتبت به مصاحف عثمان ، ووزعت على الامصار لتكون إماما للمسلمين ، وأقر أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عمل عثمان رضى الله عنه ، ولم يخالفه أحد فيما فعل ، واستمر المصحف مكتوبا بهذا الرسم فى عهد بقية الصحابة والتابعين وتابعى التابعين والأئمة المجتهدين فى عصورهم المختلفة ، ولم ينقل عن أحد من هؤلاء جميعا أنه رأى تغيير هجاء المصحف عما رسم به اولا الى تلك القواعد التى حدثت فى عهد ازدهار التأليف والتدوين فى البصرة والكوفة ، بل ظل مصطلح القرآن قائما مستقلا بنفسه ، بعيدا عن التأثر بتلك القواعد .

ولاريب أنه وجد فى تلك العصور المختلفة أناس يقرءون القران ولا يحفظونه ، وهم فى الوقت نفسه لا يعرفون من الرسم إلا ما وضعت قواعده فى عصر التأليف والتدوين ، وشاع استعمالها بين الناس فى كتابة غير القرآن ، ولم يكن وجود هؤلاء مما يبعث الأئمة على تغيير رسم المصحف بما تقضى به تلك القواعد .

قال العلامة نظام الدين النيسابورى فى كتابه « غرائب القرآن ورغائب الفرقان » ما نصه :

« وقال جماعة من الأئمة : إن الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتاب أن يتبعوا هذا الرسم فى خط المصحف ، فانه رسم زيد بن ثابت ، وكان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكاتب وحيه » اه

وجاء فى الاتقان للامام السيوطى ما نصه :

«وقال أشهب : سئل مالك : هل يكتب المصحف على ما احدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا إلا على الكتبة الأولى ، رواه الداني فى المقنع ، ثم قال : ولا مخالف له من علماء الأمة .

وقال فى موضع آخر : سئل مالك عن الحروف فى القرءان ، مثل الواو والألف : أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك ؟ قال : لا ، قال ابو عمـرو : يعنى الواو والألف المزيدتين فى الرسم ، المعدومتين فى اللفظ ، نحو (أولوا) »

وقال الامام احمد : « يحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو أو ياء أو الف او غير ذلك »

وقال البيهقى فى شعب الايمان : « من يكتب مصحفا ينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوه شيئا ، فانهم كانوا أكثر علما ، وأصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة منا ، فـلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم » اهـ

وقد جاء فى فقه الحنابلة ما يؤيد نقل السيوطى فى الاتقان عن الامام احمد بن حنبل .

وجاء فى حواشى المنهج فى فقه الشافعية : أن كلمة « الربا » تكتب بالواو والألف ، كما جاء فى الرسم العثمانى ، ولا تكتب فى القران بالياء أو الألف ، لأن رسمه سنة متبعة .

وجاء فى المحيط البرهانى فى فقه الحنفية : أنه ينبغى ألا يكتب المصحف بغير الرسم العثمانى .

على أن قواعد الاملاء التى حدثت فى عهد التأليف والتدوين لم يتفق عليها واضعوها ، بل اختلفوا فى رسم كثير من الكلمات كما هو مدون فى مواضعه ، وهى بعد ذلك عرضة للتغيير والتبديل ، وقد صارت اليوم موضع شكوى وتفكير نظراً لما فيها من كتابة أحرف لا وجود لها فى النطق ، وترك أحرف منطوق بها ، فلا ينبغى والحالة هـذه أن يخضع القرآن فى رسمه لهذه القواعد المختلف فيها ، والتى هى عرضة للتغيير والتبديل .

وأما ما يراه أبو بكر الباقلانى من أن الرسم العثمانى لا يلزم ان يتبع فى كتابة المصحف ، فهو رأى ضعيف ، لأن الائمة فى جميع العصور المختلفة درجوا على التزامه فى كتابة المصاحف ، ولأن سد ذرائع الفساد مهما كانت بعيدة ، أصل من أصول الشريعة الاسلامية التى تبنى الاحكام عليها ، وما كان موقف الائمة من الرسم العثمانى إلا بدافع هذا الاصل العظيم ، مبالغة فى حفظ القرءان وصونه .

وأما ما ذكره صاحب الاقتراح من أن كثيرا من المتعلمين لا يحفظون القرءان ، ولا يحسنون قراءته فى المصحف ، لعدم معرفتهم الرسم العثمانى ، فاللجنة ترى تسهيلا للقراءة على هؤلاء أن ينبه فى ذيل كل صفحة على ما يكون فيها من الكلمات المخالفة للرسم المعروف .

على أن الامر أهون مما يتصوره المقترحون للتغيير ، لأن رسم المصحف العثمانى لا يخالف قواعـد الاملاء المعروفة إلا فى كلمات قليلة معـدودة . ومع ذلك ، فليست هـذه المخالفة مما تحدث شيئا من اللبس على القارئ المتأمل ، لأنها إما بحذف حرف ، كحذف الألف

فى « بسم الله الرحمن الرحيم » أو زيادة حرف ، كزيادة الواو والالف فى « أولوا » أو إبدال حرف من حرف ، كرسم « الصلوة » بالواو بدلا من الألف ، أو وصل ما حقه الفصل ، مثل وصل « إن » بما الموصولة ، كما فى قوله تعالى : « إنما توعدون لآت » أو فصل ما حقه الوصل ، كفصل « فى » الجارة من « ما » الموصولة ، مثل « فى ما فعلن فى أنفسهن » . وواضح أن مثل هذا لايشتبه على أحد أن ينطق به صحيحا .

وإن من يطلع على التعريف بالمصحف الذى أشير اليه فيما سبق ، يستطيع أن يتعرف تلك الكلمات بسهولة ، والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

لحضرات المشتركين

رغبة منا فى تنظيم علاقات وكلاء مجلة الازهر بقلم حساباتها ، رأينا أن نجعل بدل الايصالات المؤقتة التى يسلمونها للمشتركين إيصالات نهائية مذيلة بخاتم لنا خاص بالمجلة ، على الصورة التى يرونها فى نهاية هذا الاعلان . وكل إيصال ليس عليه هذا الخاتم لا تعتد به إدارة المجلة بعد تاريخ هذا الاعلان . فنرجو حضرات المشتركين ملاحظة ذلك بكل دقة ، ولهم منا الشكر الجزيل ؟

مدير مجلة الازهر

محمد فريد وجدى

ترجمة صحيح البخارى :

تاخرت تجربة ملزمة الترجمة لدى الاستاذ الموجى بلندن فلم تلحق هذا العدد .

الفهرس العام

للسنة السابعة (١٣٥٥ هـ) من مجلة الازهر

المقالات

الفتاوى